

**THE BOOK WAS  
DRENCHED**

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_190514**

UNIVERSAL  
LIBRARY







OUP—800—5-8-74—10,000

**OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY**

Call No.

۸۹۲۵۷۱۲۱

Accession No

48273

Author

زکی دہانی

ابن زیدون

Title

ذیلان ابن زیدون و فطرتہ

This book should be returned on or before the date last marked below



شِعْرُ الْأَنْدَلُسِ

# ديوان ابن زيدون

رَسَائِلُهُ اخْتِبَارُهُ شِعْرُ الْمَلِكَيْنِ

« ابن زيدون عقرى رمانه قصر المحسنون عن إحسانه

أحد الروم في الحريرة عسه ومشوا في حياه وافئانه . »

CHECKED 1966

« سوفى »

شَرِّحَ وَضَبَطَ وَتَصْنِيفُ

كامل كيلانى و عبد الرحمن خليفه

الطبعة الأولى

١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م - رقم ٤٧٤

كل الحقوق محفوظة

\*\*\*

طبع بطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

واشرطقه . محمد امين عمران



# فهرس

## مقدمة ديوان ابن زيدون

| صفحة |                     | صفحة |                         |
|------|---------------------|------|-------------------------|
| ١٧   | ان جهور - بنو عباد  | ٨    | تصدير                   |
| ٢٧   | المهاجع الأدبية     | ١٠   | مقدمة الديوان           |
| ٣٠   | نشأة ابن زيدون      | ١٠   | تحرير الديوان           |
| ٣٣   | بختري المغرب        | ١٠   | أمثلة من التحرير        |
| ٣٧   | شاعرية ابن زيدون    | ١٢   | أثر التحرير             |
| ٤٢   | لماذا سجن ابن زيدون | ١٣   | لماذا بدأت هذا الديوان  |
| ٤٤   | حساد ابن زيدون      | ١٥   | تعميد الفكرة            |
| ٥٠   | حب ولادة            | ١٦   | رسائل ابن زيدون وأخباره |
| ٥٥   | أدب ابن زيدون       | ١٧   | إلمامة                  |
|      |                     | ١٧   | ملوك اللوائف            |

## فهرس ديوان ابن زيدون

| صفحة |                              | صفحة |                        |
|------|------------------------------|------|------------------------|
| ٣٨   | جواب كتاب                    | ١    | في السجن               |
| ٣٩   | في العزل                     | ٤    | ذكرى أنام الوصال       |
| ٤٠   | في مدح ابن جهور              | ٩    | في مدح ابن جهور        |
| ٤٩   | بعد خمسمائة يوم في السجن     | ١٢   | ذكرى ولادة             |
| ٥٤   | من قصيدة صعبها بطليوس        | ١٣   | بعد إقرار من السجن     |
| ٥٧   | في العزل                     | ١٩   | في مدينة بطليوس        |
| ٥٨   | بين صديقين                   | ٢٢   | يوم يوصل ساعة          |
| ٥٩   | دعوة                         | ٢٣   | في عيد الأنصبي         |
| ٦٠   | قال في الوري الشيخ أبي الحزم | ٣٤   | في طرطوشة              |
| ٦٠   | وصال                         | ٣٥   | إلى الوري أنى عمد الله |

|     |                        |
|-----|------------------------|
| ١١٩ | حب                     |
| ١٢٠ | في مدح ابن جهور        |
| ١٢٢ | الى المظهر             |
| ١٣٠ | في نكمة بنى دكوان      |
| ١٣٦ | تهنئة بقران            |
| ١٣٩ | عهد                    |
| ١٤٠ | مدح ورثاء              |
| ١٤٨ | الى ابن دكوان          |
| ١٤٩ | الى المعتمد            |
| ١٥٠ | مدح ورثاء وتهنئة       |
| ١٥٢ | هدية عب                |
| ١٥٣ | رثاء ابن دكوان         |
| ١٥٨ | في مدح المعتصد         |
| ١٦٥ | عنة فلاح               |
| ١٦٧ | شكر على ريادة          |
| ١٦٨ | تهنئة                  |
| ١٦٩ | اتداء قصيدة            |
| ١٧٠ | الى اى التاسع          |
| ١٧٤ | مدح ابن جهور ورثاء أمه |
| ١٧٧ | في مدح ابن جهور        |
| ١٨٤ | رثاء أم المعتصد        |
| ١٨٨ | نيل للدعاة             |
| ١٩٢ | ذكرى قرطبة             |
| ١٩٥ | سلاوى المصطر           |
| ١٩٧ | في مدح المعتصد         |
| ١١٦ | في » »                 |
| ١٢٣ | دولة عباد              |

|     |                                   |
|-----|-----------------------------------|
| ٦١  | وقال معانبا من قصيدة              |
| ٦١  | موقف وداع                         |
| ٦٢  | وقال أيضا يمدح أبا الوليد بن جهور |
| ٦٦  | مداعبة                            |
| ٦٨  | حرب الناس وامتحن                  |
| ٦٩  | في مدح ابن جهور                   |
| ٧٤  | عتاب                              |
| ٧٥  | رثاء فتاه                         |
| ٧٦  | في العزل                          |
| ٧٧  | تهنئة                             |
| ٧٨  | تهنئة بقصد                        |
| ٧٩  | في مدح ابن جهور                   |
| ٨٢  | سبكر                              |
| ٨٩  | شماعة                             |
| ٩١  | هدية تفاح                         |
| ٩٢  | لا يهيا الشمت                     |
| ٩٨  | أترع الكأس                        |
| ٩٨  | لا حيلة في الحب                   |
| ٩٩  | في مدح ابن جهور                   |
| ١٠٥ | الى ابن جهور                      |
| ١٠٦ | محلس أنى على                      |
| ١٠٧ | جواب                              |
| ١٠٨ | كن كيف شئت                        |
| ١٠٩ | حين                               |
| ١١١ | في العزل                          |
| ١١١ | في بعض مجالس الأس                 |
| ١١٢ | شكوى وألم                         |
| ١١٨ | جواب                              |



| صفحة |                                     | صفحة |                      |
|------|-------------------------------------|------|----------------------|
| ٣١١  | الى المعتمد                         | ٢٧٣  | بقاء على العهد       |
| ٣١٣  | صرعى الحب                           | ٢٧٤  | أين وياؤك            |
| ٣١٢  | ذكرى قرطبة                          | ٢٧٤  | صرع الحب             |
| ٣١٣  | رسائل ابن زيدون وأحماره وشعر الملوك | ٢٧٥  | وفاء الحب            |
| ٣١٤  | الرسالة الطولية                     | ٢٧٥  | أنت حسبي             |
| ٣٣٣  | الرسالة الحدية لابن زيدون           | ٢٧٥  | الى هاجر             |
| ٣٤٦  | رسالة الى المطير                    | ٢٧٦  | لاستيل الى السلو     |
| ٣٥٥  | رسالة الى ابن مسامة                 | ٢٧٦  | أنت الحياء           |
| ٣٥٧  | رسالة الى المعتصم                   | ٢٧٦  | ذكرى معاهد قرطبة     |
| ٣٥٨  | رسالة من قرطبة                      | ٢٧٧  | غدر الحبيب           |
| ٣٦٠  | من رسالة                            | ٢٧٨  | اصع ماشئت            |
| ٣٧٠  | شعر المعتصم                         | ٢٧٨  | أمنية                |
| ٣٧٧  | شعر المعتمد                         | ٢٧٨  | نسي فداؤك            |
| ٣٧٩  | ابن عمار                            | ٢٧٨  | دين الحب             |
| ٤٠١  | معارضات الشعراء لابن زيدون          | ٢٧٩  | وفاء                 |
| ٤٠١  | معارضة أنى كمر                      | ٢٧٩  | فى سبيل الهوى        |
| ٤٠١  | معارضات أمير الشعراء                | ٢٧٩  | صلة الحب             |
| ٤٠٩  | مسابقات من كتاب الدحيرد             | ٢٨٠  | مقيم على العهد       |
| ٤٢١  | مسابقات من كتاب دفع اللط            | ٢٨٠  | آلام الحب            |
| ٤٢٣  | من كتاب                             | ٢٨١  | المعاني والأعوار     |
| ٤٢٥  | من كتاب                             | ٢٨١  | الى المعتمد          |
| ٤٢٥  | من كتاب                             | ٢٩٩  | الى المعتمد على الله |
| ٤٢٦  | من كتاب العيني                      | ٣٠١  | جواب                 |
| ٤٢٧  | ملك الظراف                          | ٣٠٣  | الى المعتمد          |
| ٤٣٠  | دراسة الدكتور محمد صيب لابن زيدون   | ٣٠٦  | جواب على بيت مطير    |
| ٤٣٨  | دراسة الأستاذ المكندرى              | ٣٠٧  | البيت المطير         |
| ٤٤٢  | دراسة الأستاذ علام سلامه            | ٣٠٧  | حل البيت المطير      |
| ٤٤٣  | دراسة الأستاذ أحمد ركي اشا          | ٣٠٨  | حوار على بيت مطير    |
| ٤٥٥  | مهرس القوافى                        |      |                      |



مقدمة ابن زيدون

# تقدير

لحضرة صاحب السعادة أمير الشعراء

يَا ابْنَ زَيْدُونَ مَرْحَبًا      قَدْ أَطَلَّتِ التَّغْيِبَا  
إِنَّ دِيْوَانَكَ الَّذِي      ظَلَّ سِرًّا مُحَجَّبَا  
يَشْتَكِي الْيُمْنُ دُرَّهُ ،      وَيُقَايِي التَّغْرُبَا  
صَارَ - فِي كُلِّ بَلَدَةٍ -      إِلَّا لِبَاءِ مَطْلَبَا  
جَاءَنَا « كَامِلٌ » بِهِ      عَرِيًّا مُهْدَبَا  
تَجِدُ النَّصَّ مُعْجِبَا      وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجِبَا

\*\*\*

أَنْتَ فِي الْقَوْلِ كُلِّهِ      أَجْمَلُ النَّاسِ مَذْهَبَا  
بِأَبِي أَنْتَ هَيْكَلًا      - مِنْ فُنُونٍ - مُرْكَبَا  
شَاعِرًا أَمْ مُصَوِّرًا      كُنْتَ، أَمْ كُنْتَ مُطْرِبًا؟  
تُرْسِلُ اللَّحْنَ كُلَّهُ      مُبْدِعًا فِيهِ مَغْرِبَا  
أَحْسَنَ النَّاسِ هَاتِفًا ،      بِالْغَوَانِي مَشَبَا  
وَتُرِيَلُ الْمُتَوَجِّهِ      نَ الدِّيمِ الْمُقْرَبَا  
كَمْ سَقَاهُمْ بِشِعْرِهِ      مَذْحَةَ أَوْ تَعْبَا  
وَمِنَ الْمَذْحِ مَا جَزَى      وَأَذَاعَ الْمَنَاقِبَا

\*\*\*

إِذَا الْهَجْوُ هَاجَهُ      - لِمَعَانَاتِهِ - أَبَى

وَرَأَاهُ رَذِيلَةَ لَا تُتَمَنَّى التَّادُّبَا  
مَا رَأَى النَّاسُ شَاعِرًا فَاضِلَ الْخُلُقِ طَيِّبَا  
دَسَّ لِلنَّاشِقِينَ - فِي زَنْبِقِ الشَّعْرِ - عَقْرَبَا

\*  
\* \*

جُلْتُ - فِي الْخُلْدِ - جَوْلَهُ هَلْ عَنِ الْخُلْدِ مَنْ نَبَا ؟  
صِفْ لَنَا مَا وَرَاءَهُ مِنْ عُيُونٍ وَمِنْ رَبِي  
وَنَعِيمٍ وَنَضْرَةٍ وَظِلَالٍ مِنْ الصَّبَا  
وَصِفِ الْحُورَ مُحِيزًا - وَإِذَا شِئْتَ - مُطْنِبَا «

\*  
\* \*

وَمَنْ تَرَ الْأَرْضَ - مِثْلَ مَا كُنْتُمْ وَأَمْسٍ - مَلْعَبَا  
وَتَرَى الْعَيْشَ لَمْ يَزَلْ - ابْنِي الْمَوْتِ - مَا رَبَا  
وَتَرَى ذَلِكَ - بِالَّذِي عِنْدَ هَذَا - مُعَدَّبَا

\*  
\* \*

« إِنْ مَرَّ وَأَنْ عُسْبُهُ يَصْنَعُونَ الْعَجَائِبَا  
طَوَّفُوا الْأَرْضَ مَشْرِقًا - بِالْأَيْدِي - وَمَغْرِبَا  
آلَهُ أَطْلَعْتَكَ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ كَوْكَبَا  
أَنْتَ لِلْعَنْجِ تَنْتَمِي وَكُنِيَ الْفَتْحُ مَنْصِبَا  
لَسْتُ أَرْضَى بغيرِهِ لَكَ جَدًّا وَلَا أَبَا «

« شوقي »

# مقدمة

## ١ تحريف الديوان

كان أيسر ما في هذا الديوان سحبه وصطفه وشرحه : فقد أسانا ما كان دناه فيه من عاء التحريف كل عاء آخر كان دناه فيه ، وبعد وفق الساحت أيعا توفيق في تشويه محاسن هذا الديوان القدة ، وتحريف أبياته ، وطمس غوره وتبويه .

ولقد كما نقرأ القصيدة عدة مرات ، وكأنا - لشدة ما فيها من تحريف واضطراب - أمام طاسم عامص لاسنبل إلى حله ، ثم لا يلبث الصبر أن يدان من العقاب ما كنا نوقن باستحالة تذليله ، وكانت تعريبا لده الدور والانتصار - كلما احترا عسة - أن فتحم أخرى حتى انتهت من هذا الديوان ونحن لاسكاد نصدق بأننا قد احترا هذه المغارة المحفمة . ورفعا عن ذلك المصحح للرائع كثيرا من الهضاب والكسبان المتراسة بوجه .

وما رعم أنا قد برأنا هذا الديوان من كل عيب ، ورهقه عن كل تحريف ، ولكننا نحروا فرعم أنا لم أأل جهدا في تبرئه من كل عيب وتبريمه عن كل تحريف ، فإنا نذكر عن طارنا معنى أولق بذهبا كلال في تصحيح بيت أو تخلية عامص وهو الدهن الاساني يخلق ثم يسقط ، ويدع ثم سحف ، ويعتوره النقص والكمال ، أقوى ما يكون رعة في تونخى الاداع والكمال .

## ٢ أمثلة من التحريف

قلنا إن سح هذا الديوان وصطفه وشرحه كانت أيسر ما أسياه من العاء ، وهذا الكلام ر بما ملح فيه القارئ الخلقى لدهن نوعا من الزهو والخيلاء ، ولكنه الخفصة التي لا أثر للعلافة فيها ، ولو أننا أردنا أن نسر كل ما أصاحنا من تحريف وتشويه . لاضطررنا إلى ذكر أكثر أبيات الديوان ، وقد أشرنا إلى ما في مواضعها من الكسب ، فليحترق ذكر الخليل منها عن الكثير ، ليرى القارئ المصنف مقدار ما حصى الساحت نلى شعر هذا الشاعر العظيم ، ونحن لارى في مثل هذا العمل إلا أنه ركة يؤدها الأديب الأدب العربي الراحر بأروع الخواص النفسية وأسمى المعاني الرائعة

وليمثل القارئ نفسه أمام هذا البيت مثلا .

« لم يدع منى شيا من حله مع أنى لم أرل ننت العرر . »

أو البيت التالى :

« كأننا لم يواليا زمان لين الأخدع . »

أو قوله فى سنن القصيدة : « وأب المل لا يجدع . »

أو قوله فى قصيدة أخرى :

« حياء هو الليل ادلهم طلامه . »

أو قوله :

« رمن كما لون الرضا ع يشوق ذكره الفطيم »

أو قوله : « لم أدع حظى منها بالحيل . »

أو قوله :

« فما اسك إلا عدل نفسك إن يسر فللحسم لا للنفس منك مقام »

فى قصيدة لم يرد فيها ذكر اسمه نتانا :

فادا قرأت البيت الأول قراءة صحيحة . قلت :

« لم بدع مى سقامى حلدا مع أنى لم أرل ثنت المرر »

والبيت الثانى

« كأننا لم يوالنا زمان لين الأخدع »

والشطر الثالث : « وأب المل لا يجدع »

والبيت الرابع :

« حقاء هو الليل ادلهم طلامه »

والبيت الخامس

« رمن كما ألوف الرضا ع يشوق ذكره الفطيم »

والبيت السادس

« لم أروع حظى منها بالحيل »

والبيت السابع

« فما انك إلا عدل نفسك ان يعى فللحسم لا للنفس منك مقام »

فادا أضفت إلى هذا المعاء عاء آخر هو بعض تكملة الأبيات الناقصة بما يلائمها، طهر لك

أننا لم ركن معانين فى وصف ما كاندها من المشقة واللعب .

ومن أمثلة ذلك قوله : « . . . فى حواركم دليل . »

وقد أتمناه عما يلائم المعنى فقلنا : « [ حاسى ] فى حواركم دليل »

وقوله :

« . . . . . سادعنا لأياديك التى بعصها فوق الشام »

وقد أتمناه وأصلحناه كما يلي .

« [ فتقبله ] شافعا لأبيدي . لك التي بعضها يفوق الشاء »

وانما اجترأنا بهذه الأمثلة القليلة لأن الثمرة - كما يقول شيخ المعرفة - تدل على الشجرة  
ولأن الديوان كله مائل بين يدي القارئ فلا حاجة بنا إلى الافاصه في ذكر الأمثلة .

### ٣ أثر التحريف

وكثير مما يرويه أساتذة الأدب في المدارس من شعر ابن زيدون محرف أو مشوه ، من ذلك ما أنقته الأستاذ علام سلامة في مذكراته المطبوعة لطلبة دار العلوم :

« وبنت ملك كأن الله أنشأ مسكا وقد أنشأ الله الوري طيبا . »

والبيت في وصف ولادة . دصوانه . « ريب ملك » ، وقد أكثر شعراء الأندلس - ومهم  
اس زيدون - من هذا التعبير ، والرواية التي أحدها الأستاذ علام هي رواية فصح الطيب الذي  
لا يقل تحريفه وتصحيفه عن تحريف الديوان وتصحيحه . وقد أنشأ هذا البيت كما يلي :

« ريب ملك كأن الله أنشأ مسكا وقدر إنشاء الوري طيبا »

وهذا يظهر جمال أسلوب اس زيدون وروعة أدائه .

وقد روى بعض الأدباء البيت الثاني لاس زيدون هكذا .

« سون من الأيام جس قطعنها أسيرا ، وإن لم يد شدا ولا قط . »

وصوابها « سون من الأيام جس قطعنها » فان سون من الأيام أو سوين من الليالي أو

سوين من الساعات لا معنى لها - ويؤيد هذا الرأي قول اس زيدون «سه من قصيدة  
أخرى في رسالة لاس جهمر .

« أفصرا مئين جسا من الأيام »

وقد وقع في هذا الحيز الأستاذ أحمد ركي ناشأتم نعه في ذلك الأستاذ أحمد السكندري

وطن الأستاذ ركي ناشا اس زيدون قد سجن مرين . الأولى جس سواب ، واسدل

على ذلك مالبت الأول ، والثانية جسا . يوم ، واسدل على ذلك مالبت الثاني .

أما الأستاذ السكندري فتد قور أن اس زيدون سجن جس سواب (١) ، وهو لم

يسجن إلا جسامنة يوم كما يدل على ذلك سعد .

(١) قال الاساد السكندري :

« لست اس زيدون في السجن سبع سنين ، وانكن كم كتاب مدنها ؟ ومتى كن مدوها ؟ »

أما الأول فيجبنا هو عليه بقوله من قصيدته الطائفة البليغة :

« سون من الأيام - جس قطعنها أسيرا ، وإن لم يد شدا ولا قط »

وأما الثاني فيجبنا هو أيضا عليه بقوله من قصيدته الرائية الى كتبها من السجن الى أني الحرم

جهور : « لم يرد شاي كمة وأرى برق المشاعلى في عارض الشعر »

وقد جنى تحريف النساخ على أدباء العربية وشعرائها جناية لا تعترف فاصطارت سببه آيات البلاغة ودقائق البيان وعرف الكثيرون عن أدبهم بعد أن رأوا ما فيه من الخلط والتشويه والتحريف ولا وهم على ذنوب لم يجترموها وأحدوهم بعيوب لا يد لهم فيها :

« وذنب جرّه سفهاء قوم وحل بعير جارمه العقاب »

ولا يزال رجال الأدب وأساتيده الأفاضل مسؤولين عن إصلاح هذه الروائع وتنظيم هذه الكنوز الفيسة وردها إلى الصواب، حتى يظهر حلال الأدب العربي وروعته وتراً دم القدماء مما لحق آثارهم الأدبية من الخلط والتشويه .

## ٤ - لماذا بدأت بهذا الديوان

كانت فكرة موفقة سديدة تلك الفكرة التي خطرت بالأساذ الكبير الدكتور «أحمد صيف» مدرس الأدب العربي بالجامعة المصرية القديمة حين طلب إلى عام ١٩٢٢ أن أترجم لطلبة الجامعة الفصل الرابع الذي كتبه الأستاذ المستشرق « نيكلسون » عن الأدب الأندلسي وتاريخه ، فقد كان من آثار تلك الفكرة أني شطت إلى إلقاء تلك المحاضرات التي أظهرتها للقراء في ذلك العام بعنوان « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي <sup>(١)</sup> » ووعدت في مقدمة ذلك الكتاب بالعودة إلى البحث .

قل الثلاثين لإعبد الصاكنث وللشبية عصف غير مهتصر»  
ونحن نعلم أن انقطاع دعوة بني أمية عن قرطبة كان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وسلم أن قد ولد ابن ريدون في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة فإذا كان بدأ خدمته في دولة آل حهور وهو في الثانية والعشرين من عمره وإذا قدرنا أنه بعث بهذه القصيدة في مبدأ اعتقاله كما هو الظاهر إذ قد صرح فيها بأنه لم يبلغ الثلاثين، كانت مدة خدمته لآل حهور لا تزيد على سنتين وكان بدء اعتقاله في نهاية سنة أربع وعشرين وأربعمائة أو أول خمس وعشرين وأربعمائة .

لث اس ريدون في السجن خمس سنتين استطعف فيها أبا الحرم حهورا واستشعع عنده نابه أنى الوليد محمد بن حهور ، وكان أليعه وصديقه من قل ونفسيه من الرؤساء ووجوه قرطبة وث إليه وإلهم شكواه عدة قصائد أبدعها ورسائل استعذ فيها حبه فإ ألاب له قلا اه

(١) وقد جاء في مقدمة ذلك الكتاب مايلي

طلب الى حضرة الدكتور أحمد صيف ، أن أترجم الفصل التاسع من كتاب « تاريخ آداب العرب للاستاذ بيكاهون » لأنني في الجامعة المصرية ، وهو الفصل الذي أفرده من كتابه الممتع ، بالكلام على تاريخ الأدب العربي في أسبابها .

لم أكد أقرأ هذا الفصل حتى بدا لي خطره ونفاسه وعرضت لي عدة ملاحظات على بعض ما جاء فيه ولم أكد أشرع في مناقشة قطب الجوهري حتى اتسع أمامي مجال البحث وشجعت على مواصلة ما رايت من القص الشديد الذي يكاد يلغسه كل مطلع على الكتب العربية التي تناولت الكلام في هذا الموضوع وما علمته من الحاجة الماسة الى كتاب ييسر على طلبة الأدب الأندلسي وغيرهم من المشتغلين به ، قليلا مما يتكبدونه من عناء البحث في الأسفار العربية الضخمة المهوشة ويحفظ وتهم الثمين من الضائع .

فالآن أعود إلى الكتانة بعد عشر سنوات مصت على تلك المحوثة التمهيدية الأولى .

\*\*\*

ولكن لماذا اخترت ابن زيدون وبدأت به قبل غيره من الشعراء ؟  
لقد كنت أسىء الظن بشعر ابن زيدون وأدبه ، ويحيل إلى - كما يحيل إلى كثير من  
أدبائنا الذين يتسرعون في الحكم على الشعراء من غير أن يعوا أنفسهم بدرس آثارهم  
وعصورهم دراسة مستفيضة - أنه شاعر صعبة مولع بالدعج والمقالات اللطيفة لا يسمو إلى  
درجة الفحول الممتازين .

فلما وصت إلى قول « ييكاسون » في فصله الرابع : « وكوا يلقون ابن هانيء بأنه  
متبني العرب ، كما يلقون ابن زيدون بأنه يحترى العرب <sup>(١)</sup> » صارت الهاريء حبيد بأني  
لا أستطيع الحكم على الجزء الثاني من هذه التسمية ، وقد عقدت فصلا موحرا في المقارنة بين ابن  
هانيء والمتبنيء لأني درست ديوانيهما وقد عدت الآن عن بعض رأئي في ذلك الفصل . ولم  
أستطع المقارنة بين ابن زيدون والبحتري ، لأنني قرأت ديوان الثاني ولم أقرأ لأول إلا بصع  
قصائد لا تكفي للحكم على شاعر .

ودكرت أن حلا هسقا القرية لا يناسب مع حولها عظماء لعنا الذين ركوا أوصح الأثر في بلاد  
تستمد منها الحياة والنووة ، وفي كل من ادأحت الأبحول الانسان عظماء الأمم دوى الأثر الكبير في  
الحضارة العالمية فهو أحد الأبحول - حضاهه في كل شيء .  
دفعني هذه الاستارات إلى عدم الاقتصار على ترجمة هذا الفصل الممتع وتم اتحدته مرحعا من المراجع  
السكبيرة التي رحمت لها بدلا من أن اتحدته موضوع محصورة .

وقد أقصرت في هذا الكتاب على ترجمة نصف الأول من هذا الفصل ، وقد أغيب القسم الأكبر من  
هذه المحاضرات - أكثر من عشرين في خمسة المصريه ، ثم نشرت بعضها في إحدى الصحف الأدبية  
فقدت من لا تتحسان وإن صامتا بعض على طبعها .

ولم يقتنى أن أورد في حوس الكتاب كثير من المحدثات الضرورية التي لاصت في صيق الزمن وإن  
الاكتفاء بالإشارة إليها دون ذكرها وقت انهاء المحاضرات .  
وقد تعممت ذكر ثمة وموضوعات مكانا من الكتاب ما كانت تشعله لولم كما حدثت من إلى  
الاستشهاد - أو لولم أني وثبت أن جمهور الأدباء - عددا منهم .

(ومع ذلك) وهذه محرات سريعة أسبغ بها إلى نايح الأدب الاندلسي - ونسبها بعد قليل القسم الثاني  
منها فليقرأ الناريء على انهاء هذه الدراسة لأدب في ذلك المصير ، واجدها بوة الكتاب تناول فيه  
ذلك الخارج شيء من الوسم ولاسهب اد أمكننا لفرص . وكان في الأصل بقية .  
(١) فان الأسناد يكسبو

« إن قائمة علماء من المدن رحلوا في طلب العلم إلى إفريقيا ومصر وإلى المدن المندسة في بلاد العرب وإلى  
حواسر - وريا العظمه والعراق ، وإلى حراسان وركند بل وإلى بلاد الديار - فأتى نحوى  
كل ما يلقى الأدياء وحل اللاعة العربية الذين أنجسوا لسانيا لإعلامه كما يرى ذلك من يتصفح الفصل  
الخامس من كتاب الممرى . لهذا كان حركة تبادل الآراء في دؤب ونشاط فلم يستأثر أحد من رجال الشرق  
والغرب بشيء خاص ، معترف بالناس قبل كل شيء أنه مشهور شعراء الاندلس كاس هانيء وابن زيدون كان  
يقعها النداءات فقول الجمهور - بما تسمى العرب وحترية »



ورأيت أن واجب الأمانة يقضى علىّ أن أدرس ابن زيدون كما درست السحترى لئلا ينسب لي أن أنصفه .

وما كدت أبدأ في درس ابن زيدون ، شعره وثره ، وأنقضى أحاره وأخار عصره ، حتى رأيت ماراعى وأدهشني مارأيت ، لقد كنت أستكثر عليه اسم شاعر عادي فصرت أسقله الآن اسم شاعر كبير وكنت أكرهه لكلفه بالصنعة التي بعثت إليها أكثر شعراء ذلك العصر وأوسدت عليها أكثر الأدب العربي ، فإداني أحب هذا اللون الرائع من الصنعة المجدبة التي تتمزج بالنفس وتهيمن على القلب وتحببها أشد الناس بعضها ، وقد عرف ابن زيدون كيف يتخذ من الصنعة والديع أدوات للافتنان في الأداء والتعبير والابداع في تصوير أروع المعاني الساحرة وأدق الحوالم النفسية ، وإدائها نفس تطرب إلى الجبال وتدنّي في التعبير عنه ، وطبيعة سمحة صانع لالأنواء فيها ولا تكلف ، وقد صدق القائل : « كل طعام يتناوله الصبيح ينقلب إلى صحة ، وكل طعام يتناوله المريض ينقلب إلى مرض » وهكذا كرها المقلدون في الصنعة والديع ، كما حسب إليها المدعوون كثيرا من ألوان الصنعة والديع .

الحق أن ابن زيدون ساحر ماني حلاب يتحد من الصنعة وسيلة للروعة والدقة وحسن الأداء ، كما يتحد المصور الماهر من مختلف الألوان والأصابع - وسيلة للتعبير عن أدق وأحي الأسرار والملاحظات .

ولأؤكتم القارئ أي من أدب أعداء الصنعة اللفظية ، ولكي من أشد أنصارها إذا حاب عن هذه الطريق .

ولقد أراد بعض الكتاب أن يعيب على ابن زيدون وأباتول فراس أنهما من رجال الأساليب ، وسوا أن الأسلوب العالي هو غاية تحاج دونهما الرقاب ، وأن طول المزاينة والدرس تخلق من صاحبها الكاتب الحادق والشاعر اللبق ولكها أنجز من أن علق الكاتب الموهوب والشاعر العقري أو تلهمهما الأسلوب العالي الذي يحاول بعض الأدباء أن يررب به ويحقره .

## ٥ تنفيذ العسكرة

ولم أكأكد أدب في قراءة ديوانه وسنخه حتى أكبرت الرجل وقتت شعره وسحرت ديانه الرائع وإن قطع علىّ إغماضي وفنتي ما اعتوره من التحريف والتشويه - وهما من جبايات الساخ على الأدب العربي - ولكي اعترمت المضي في هذه الطريق الوعرة وصممت على اجتياز هذه المعاره التي لا أنغام فيها ولا صوى <sup>(١)</sup> نسترشدها في السير ، ثم شعلتي أعمالي الكثرة عن المضي فيها لما تطله من غباء لا تحتمله حتى المهوكة ، وفراغ من الزمن يضيق عنه وقتي المردحم بالفروض والواجبات .

(١) الصوى - ثلاث الطريق التي طلى عليها اسم « Milestones »

ولم يكن من اليسير على أن أظفر بأديب تدفعه العبرة على الأدب العربي الى التضحية بصحته ووقته في عمل مضمّن شاق لا يفهم منه القارئ العادي إلا أنه هين سهل لا يتجاوز شرح ديوان شاعر وسطه .

ولكن صديق الأديب العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن خليفة تقدم الى مظهر الى استعداد لهعاونتي في هذا العمل والسير معي في هذه المغامرة .

ولصديقي الفاضل ولع شديد بدرس الأدب العربي، وغيره نادرة على اللغة العربية، وحرص بالغ على كدور البيان العربي ، وصبر لا يشركه فيه الا القليل من الأدباء المخلصين ، وعزيمة لا تعرف للتردد والكوص معنى ، وهذه هي الصفات التي كست ولا زال أشدها فيمن ينصدي لمثل هذه الأعمال المضنية .

وكان صديقي عند حسن طي به ، فقد كان يقضي معي الساعات الطوال دائما لا يكل ولا يبي ولا يستريحه الا ريثما يتحدد ، ويعود الى أقوى مما كان عليه نشاطا وهمة ، وهكذا مضيا معترمين في شرح الديوان وسطه وإصلاح تحريره حتى أظهرناه للقارئ في هذا المظهر الأنيق .

## ٦ - رسائل ابن زيدون وأخباره

ولما كان التحريف قد لحق بثر ابن زيدون كما لحق أشعاره وان جمعت عناية الأدباء وتعاونهم وشروحهام عناء التحريف في الرسائلين الحدية والمزلة فقد رأينا أن نثبت كل ما وقع لنا من ثثر ابن زيدون وشعره وأخباره كما أنثنا ما وصل اليها من شعر « المعتمد » و « المعتضد » و « ابن جهور » وبعض المعاصرين لان زيدون كان عمارا وعيره ، وأنعمهم بدراسات الأدباء المعاصرين تمة للبحث .

وقد اتسع الطاق حتى صاقت صفحات هذا الديوان - على كثرتها - فاضطرت إلى فصل سفرين عنه واحراهما مستقلين ليعاوبا القارئ على درس هذه الفكرة من كل وجوهها. وسأفرد - ان شاء الله - كتابا يظهر بعد انتهاء طبع هذا الديوان الخافل . بعنوان « ابن زيدون - أدبه وعصره » وكتابا آخر بعنوان « ملوك الطوائف » ، يتناول مساهم الكلام في عصر ابن زيدون الذي عاش فيه ، حتى لا يبتلى علينا قول المتنبي :

« ولم أرى عيوب الناس عينا كقص القادرين على التمام »

فاذا انتهيت من ذلك بدأت في إظهار ديوان « ابن جديس » في الحلقة الثانية من سلسلة شعراء الأندلس ، إن ساعدت الظروف وكان في الأجل بقية .

كامل كيلاني

# المُلْكُ السَّامِيُّ

## ١ - ملوك الطوائف (١)

ابن جهور - بنو عباد

مذ سنين عديدة تقلص طل السلطة العامة عن الولايات الاسلامية ، وأصبح أمرها بيدها ، ولم يكن تفكك السلطة أمراً مرغوباً فيه عند أهل تلك الولايات عامة ، فقد ذهب بهم التفكير إلى أبعد مداه جزعاً من المستقبل وأسفاً على الماضي . ولم يستفد من هذا الاحتلال في البلاد إلا ملوك الافرنج وحدهم . وكان من نتائج هذا الاحتلال أن اقتسم قواد البربر جنوب الجزيرة فيما بينهم ، وحكم الصقالبة الشرق ، وصار مانقي بعد ذلك نهماً مقبلاً بين الطائفتين المتوسيتين على الحكم ، وآخرين من نقايا الأسر العريقة ممن سنحت لهم الفرصة وساعدتهم على الثبات أمام ضربات « عبد الرحمن الثالث والمنصور » التي كانت مصوبة إلى الأرسطوقراطية ، وانتهى الأمر بأن تكون من المدينتين الكبيرتين : قرطبة ، واشبيلية . حكومتان شورتان ، أما قرطبة فقد حدث بعد إعلاء الخلافة أن اجتمع كبار أهلها وعمدوا إلى إسعاد السلطة التنفيذية إلى « ابن جهور » الذي عرف عبد الجبج بالحدارة والاستحقاق لتقلد هذا المنصب والاصطلاح بالحكم فرص - بادي ذي بدء ، هذا المركز السامي الذي عرص عليه ، وبعد إلحاح من جماعة المتخفين له ، رضى بقول هذا المنصب ، ولكن على شريطة أن يكون عضواً من أسرته زميلين له في مجلس الشورى ، وهما : محمود بن عباس ، وعبد العزيز بن حسن ، فأجابته الجماعة إلى ما طلب ، ولكن على شرط أن يكون لهدبن الاثنين صوت استشاري .

وقد حكم السفير الأول الحكومة الشورية الحديدية بطريقة عادلة رشيدة ، وإليه يرجع الفضل في أن أهل قرطبة لم يعودوا يشكون شيئاً من المظالم التي كانت تقع عليهم من قسوة البربر . فكان أول ما وجه إليه نظره أن صرفهم عن الخدمة ، واحتفظ بنى

---

(١) ارجع إلى ما نقرناه في آخر الديوان الأستاذ « يكلسون » « ص ٤٢٧ » أما هذا الفعل هو للعلامة دوزي وقد نقله من كتاب « ملوك الطوائف » الذي طبعه قريباً في شاء الله .

ايفورين» « Beni - Iforen » وحدهم ، وهم الذين يستطيع أن يعتمد على ولائهم وطاعتهم ، واستندل بالآخرين الذين سرحهم من البربر خرسا وطيبا . وكان يظهر بمظهر من يريد استقرار نظام الحكم الجمهورى ، فكان إذا طلب إليه سيد إمصر يقول : « ليس من شأنى أن أقرر أمرا هو من إحتصاص مجلس الشورى ، وما أنا إلا مسد لأوامره وقراراته . »

وكما وردت عليه قصة أو كتاب رسمى يكون موجها إلى شخصه أبى تسلمه وأمر بتوجيهه إلى مجلس الوزراء . ولم يكن ليصدر قرارا قل عرصه على مجلس الشورى . أصف إلى هذا أنه لم يكن يتظاهر الة بمظهر الحاكم ، فهو بدلا من أن يقيم بقصر الخلافة - بقى مقيا بمسكه المتواضع الذى اعتاد سكناه دائما . وكانت العقيدة فى نراهته ثابتة قوية لا تخوم حولها الشكوك والريب ، وقدر فرض - مع هذا - أن يكون بيت المال إلى داره وتحت إمرته ، ومعه حراسه إلى أكر الناس مقاما وأكرتهم احتراما فى المدينة . ومع حه - فى الحقيقة - للال ، قصب عليه المصلحة ألا يرتك عملا غير شريف ، ولما كان مقتصد ابل وحريصا حرصا يكاد يصل به إلى درجة السحل فقد أثرى حتى صار أعنى رجل فى قرطبة ، ولكنه فى لوقت نسبه بذل من الجهد المجهود ما وفر به اليسر والرخاء على الناس كافة .

وكان يذل ماى وسعه لتحسين العلاقات الودية بينه وبين الممالك المجاورة ، وقد كتب له السحاح فى ذلك . فلم يمض وقت طويل حتى توطد الأمن . وأمت السبل ، وانتشرت التجارة والصناعة وهبطت أسعار المواد الغذائية . وأنم قرطبة طوانب كثيرة من السكان أعادوا ماء الأحياء إلى دمرها البربر أو أحرقوها حيا أو قعوا الهب والسلب فى المدينة .

وعلى الرغم من هذه الأعمال التى قام بها ، فإن قرطبة - عاصمة الخلافة القديمة - لم تسترد مكانتها السياسية ، ومد ذلك الحين بدأت اسبيلية - التى سعى ساريوخها عاية خاصة - تحرر الشأن الأول فى المركز السياسى .

كانت اسبيلية - مد أمد بعيد لانزال - مرتطة الخط بقرطبة متأثرة بمايجرى من الحوادث فيها ، مأساة بالعاصمة حاصعة الملوك الدولة الأموية على التعاقب ثم لدولة بنى جود ، ومن حراء ذلك كان للثورة التى وقعت فى قرطبة أثرها السيئ فى اسبيلية ، فقد ثار القرطبيون على فاسم بن جود وطردوه ، فعول هذا الامير على الاسحاء إلى اسبيلية حيث يقيم بها ولده ، ومعهما حامية من البربر تحت قيادة محمد بن ربرى من قبيلة بنى ايفورين .

وأرسل إلى الاسبيليين يأمرهم باحلاء مائة مسكن لحجوده القادمين معه . وقد ترك هذا الأمر أثرا سيئا فى نفوس أهل إشبيلية هذا إلى ما عرف عن جود وهم الذين هم أقدر أبناء جديهم من أنهم من كابر اللصوص . وقد أظهرت قرطبة للاشبيليين أن من الممكن أن يتحرروا من هذا الير الذى يصجون بالشكوى منه . فعولوا على أن يحدوا حذر قرطبة ، إلا أن خوفهم من حامية البربر المقيمة بين طهورايم حال بينهم وبين تحقيق أمانيهم ، وبعد

جهد بحج فاضى المدينة «أبو القاسم بن عباد» في كسب قائد الحامية وضمه إلى جانبه بعد أن صرح له بأنه من الهبن السهل أن يصح ملكاً على اشيلية ، فأعلن حيدئ محمد بن زيرى استعداده لمساعدته ، وسارع القاضى فعقد بينه وبين قائد بربر «قرموة» محالفة تقلدوا السلاح - على أثرها - صد ولدى قاسم وحاصروا قصره .

ووصل قاسم إلى أبواب اشيلية التي كانت معلقة ، وحاول أن يجتذب سكان المدينة إليه بالوعود الخلافة ، ولكنه أخفق في هذه المحاولة ، ولما أوجس حيفة من نفسه على ولديه اللذين كانا معرضين للهلاك داخل المدينة ، قطع على نفسه عهداً أن يجلى - هو ومن معه من الجند - عن أراضي اشيلية ، إذا ما أساءوا إليه ولديه وأموالهما ومملكتاهما ، فصمن له الاشيليون تعيد هذا الشرط ، وعلى أثر ذلك انسحب قاسم وعاد أراجيه ، وتم سحت للقاضى أول فرصة ليرضى حامية البربر . ولما حصلت المدينة على حريتها اجتمع سكانها ليختاروا حاكماً يولونه عليهم ، إلا أن الحواطر في هذه الحال لم تكن هادئة والقيوس لم تكن مطمئنة خشية أن تتحصن الحوادر عن ثورة . أو أن يعيد بوجود الكبرة عليهم ، وحيدئ لا يتوانون لحظة عن معاقبة المجرمين التائرين ، ولهذا لم تد من أحد مهم أية رعة قط في أن يأخذ على عاتقه تحمل عبء المسؤولية عما وقع .

واتفق عامتهم على أن يلتقوا عبء المسؤولية على عاتق القاضى وحده الذى حسدوا ثروتا واستشعروا سرورها حقياً في أعماق نفوسهم بدو الساعة التي تصادر فيها هذه الثروة الطائلة .

فعرضوا على القاضى أن يتولى حكم المملكة ، وكان - مع ما يجش بصدره من مطامع وآمال - حكماً حارماً ، فرفض في إباء أن يتولى الحكم في وقت غير مناسب . ولم يكن القاضى مصل السب بالسلالات العريقة ، إلا أنه امتار بخيارته أكر ثروة ، فقد كان يملك ثلث أرض اسيلية ، وفوق ذلك قد كانت له مئة سامة من الاعتار بطرا المواهب العالمية ، وكان يعوره أن يصم إلى هذه المؤهلات أن تدح أسرته صمن السلالات العريقة القديمة . وقد تم له ذلك - فيما بعد - تريخاً ، وكان يدرك أنه في حاجة ماسة إلى وجود عدد من الجند تحت إمرته ، وليس لهذا العدد وجود ، ولم يشك في أن الارسقاطية العظيمة المجيدة في اشيلية لابد أن تثور على صعلوك مثله غير معروف النسب ، يسمو مكانه إلى اسم دروة الخلافة ، ولم يكن ثمة شيء غير هذا في الواقع ، وقد وقع هذا حقيقة عندما أوسك بو عباد أن يؤسسوا الخلافة لأنفسهم . وثمة رعم آل عباد أنهم من سلالة ملوك « لحم » الذين كانوا يحكمون الحيرة قديماً فمن طهور محمد (صلى الله عليه وسلم) وكان الشعراء الذين يردون إسماع بطونهم يتحسبون . الفرص للإشادة بهذا النسب العربى المزعوم ، على أنه لم يوجد ما يبرر هذا الزعم ، لأن بى عباد والمترلمين إليهم ومن يتلقونهم لم يستطيعوا أن يقيموا الدليل على ذلك ، وكل ما يربط هذه الأسرة بملوك الحيرة أنها تنسب إلى قبيلة لحم اليمية التي ينسب إليها ملوك الحيرة . ولكن فرع أسرة آل عباد لدى

تسلسل منه آثاؤهم لم يقطن - على ما يظهر - الحيرة نانا ، ولكمهم كانوا يقيمون أخيرا بالعرش الواقعة على حدود مصر وسوريا في قسم إيمير « Emese » .

وعلى الرغم من أن آل عاد بذلوا ما استطاعتم كي يصلوا نسبهم بملوك الحيرة فانهم لم يستطيعوا أن يصعدوا به إلى أبعد من نعيم والد عطف ، وكان عطف هذا على رأس كتيبة من جنود إيمير وقد رحل إلى أسابيا مع بلج حيث أعطيت لحدود إيمير أراض على مقربة من اشيلية وأقام على ضفاف الوادي الكبير ، وقد انحدر عن أصل هذه الأسرة فروع فيما يقرب من سبعة أجيال أحرحت ببطه من طلعة الماضي أناسا صالحين عاملين مقتصدین ، واسماعيل والد القاضي هو عوان محمدها وهو الذي حط بحبه في الصحيفة الذهبية لسلاش اشيلية اسم عاد (١) . ولا غرو فقد كان اسماعيل من حملة الأقلام والسيوف ، وكان رجل فقهه ودين كما كان رجل حرب وطعان ، فقد تولى قيادة فرقة في حرس هشام الثاني ، ثم صار - فيما بعد - إماما لمجلس قرطبة الكبير ، ثم قاضيا لاشيلية ، واشتهر بالفقه والدكاء والورع وإرشاد العامة ، وإسداء النصيح للكافة ، وكانت شهرته في الزاهة تروى على سهرته في غير ذلك من الأمور ، فهو على الرغم من انتشار الفساد والرشوة كان يتورع عن أن يقل همة من سلطان أو وزير ، وكان كريما إلى أبعد غايات الكرم ، وقد لقي القرطبيون منه كرم الصياغة ، وحسن العشرة ، خفله كل هذه المزايا والصفات حريا أن يحرق أكر ألقاب السل والسؤدد في العرب .

وقبل العهد الذي نحن بصدده توفي إلى رحمة الله في غصون سنة ١٠١٩ .  
ورما كان اسمه أبو القاسم محمد يمانه علما وأدبا وإن كان لا يدايه خلقا وفصلا ، فقد كان أنانيا ذا أثره وطمع وصلف وتكبر وإسكار للحميل ، وقد حدث على أثر وفاة أبيه أن طمع في أن يخلقه في مصب القضاء ، ولكن القوم آثروا عليه غيره ، فتقدم بالرجاء إلى قاسم بن جود فقال - بفضل قاسم - بمصب القضاء الذي كان يؤمله . وقد يرى المتتبع للحوادث فيما بعد كيف كان سكرانه لهذا الحيل .

وفي مفتتح هذا العهد الذي نحن بصدده - أشار سلاش اشيلية وأصحاب الرأي فيها على أبي القاسم قاضي اشيلية أن يتنوّأ عرش المملكة ، ولما أدرك العاية التي يرمون إليها أظهر لهم أنه لا يستطيع أن يقل هذا الشرف الذي يولونه إياه إلا بشرط أن يشرك معه في الحكم أفرادا يعينهم هو نفسه على أن يكونوا ورياء وأعوانه في الاصطلاح بأعناء الحكم بحجة أن هؤلاء الأشخاص الذين يشركهم معه في الرأي ستتألف مهم هيئة شوربة تقوم على تدبير المملكة بحيث لا يصدر إلا عن رأيهم ، ولا يتحد أي قرار بدون مشاورتهم ، فقل الاشيليدون ما اشترطه القاضي من أن يكون حكمه على قواعد الشورى فلا يحكم بمفرده ، وطلبوا إليه إنفاذ ما ائتمره من تعيين أولئك الرماء والأعوان ، فعين بعض كرام الأسر العريقة مثل ابن حجاج وآخرين كانت تسمو إليهم الأنظار وترمقهم العيون من نصرائه الذين أنجبهم العصر ،

(١) وكان عاد الحد الثالث لإسماعيل

وأطلعهم كواكب في سماء المصير ، كأبي بكر الريدى العالم الحوى الشهير ومؤدب هشام الثانى ، وبعد أن تم له ما أراد من ذلك انصرف همه الى تكوين جيش للمملكة ، رفع أعطيات وأرزاق الجند ، فانضوى تحت لوائه كثير من العرب والبربر ، ثم اشترى عددا كبيرا من الممالك ودرّبهم على القتال وحرد منهم حملة على الشمال ، وهى فى الكثير العالب كانت موجهة الى أمراء آخرين ، وقد حاصر قصرين فى شمال فيزى أنشأ متقابلين على صخور يفصلهما سور وأطلق عليهما اسم الأخوين وهما معروفان الآن باسم «الأفوين» وكان يقطنهما اسبانيون مسيحيون كان أسلافهم قد عقدوا معاهدة مع موسى بن نصير ، والظاهر أن هذين القصرين لم يكونا فى العصر الذى يتحدث عنه فى حياره ملك ليون ولا فى حيازة أمير مسلم ، ولذلك استولى القاضى عليهما وأرغم الذين كانوا يدافعون عنهما - وهم زهاء ثلاثمائة فارس على - الانصواء تحت لوائه ، وبذلك رادت نواة جيشه فلعت خيمانه فارس ، وثمة اجتمع لديه من الجدماء ما يكفي للاعارة على الممالك المتاخمة له ، إلا أن حالته هذه لم تكن لتمكّه من صدّهجمات قوية جدية صدّ اشبيلية ، وهذا ما وقع له سنة ١٠٢٧ ، فى هذه السنة جاء الخليفة الجودى يحيى بن على وأمير بربر قرمونة محمد بن عبد الله وحاصرا اشبيلية ، ولما كان فى منتهى الضعف بحيث لا يستطيع المقاومة طويلا أخذ الاسبيليون يعادصون يحيى وأعلوا أهم مستعدون للاعتراف بسيادته عليهم على شرط ألا يدخل البربر مدينتهم فقبل يحيى هذا الشرط ولكنه شرط عليهم - صمانا لوفائهم وإحلاصهم - أن يرسل بعض أعيان وسلاء اشبيلية أولادهم ليكونوا عده رهائن يصمن بها ولاء الاشبيليين ، فلم يستطع أحد منهم أن يقدم ابيه حشية من البربر الذين يقضون على حياته لأقل شهة ، والقاضى وحده هو الذى لم يتردد فى إجابة الطلب إذ أرسل الى يحيى نجله عاد. ولعلم الخليفة بما للقاضى من الجاه والموذ اكتفى بقبول ابيه رهية لديه ، وبفضل هذا العمل المجيد الدال على الاحلاص للبلاد اردادت مكانة القاضى عند الاشبيليين عامة ، وأصبح - منذ ذلك الحين - لا يخشى شيئا لامن جاب الشعب ، ولا من جاب الخليفة الذى اعترف بسيادته شكلا وحيل إليه أن الفرصة السانحة قد أمكنته من الافراد بالحكم .

ولما كان قد أبعد من مجلس الحكم مثل ابن حجاج وغيره ولم يبق معه سوى زميلين ثم رأى أن يصرفهما عن خدمته - ، وبني زبيدى ، وعين رجلا من خواص اشبيلية اسمه «حبيب» رئيسا للوزارة ، ولم يكن حبيب هذا من رجال المادى إلا أنه مع هذا كان ذكيا مخلصا بكل معانى كلمة الاحلاص لمولاه ، مصرفا الى مصلحته .

وعلى أثر ذلك أراد القاضي أن يزيد في رقعة المملكة بالاستيلاء على باجة ، وقد حلت أخيرا ههه المدينة المصائب في غضون القرن التاسع عشر من جراء الحرب التي نشبت بين العرب والحائنين . إذ نهست وخرب البربر جزءا منها ، وعاثوا فيها سلبا ، وأحرقوا ماصادفوه في طريقهم ، وكان في نية القاضي إعادة تشييد محارب .ها ، ولكن لما اتصل بعد الله بن الأفطس أمير « باداجوز » عزم القاضي ، جرد جيوشه تحت إمرة ابنه محمد « الذي حلفه فيما بعد باسم المطفر » وتم استيلاء هذه الجيوش على باجة في الوقت الذي جاء فيه اسماعيل بن القاضي بجيش اشيلية وجيش حليف أبيه أمير قروونه ، فبدأ حصارها في الحال وأمر فرسانه بالسلب والنهب في القرى الواقعة بين إيفورا والبحر ، وعلى الرغم من المدد الذي جاء من اس طيفور ، فإن مجندا كان سيء الخط كثيرا إذ بعد أن فقد نخبة فرسانه المحاربين وقع أسيرا بين يدي أعدائه وأرسل الى قروونه .

زادت هذه الانتصارات في حماسة القاضي وحليفه الأمير ، فلم يكتفيا بالاغارة على باداحور وحدها بل أعارا على قرطبة أيضا فاضطرت حكومتها أن تستنجد للدفاع كثيرا من بربر ولاية سيدونا .

وبعد فترة من الزمن أرم القاضي وحليفه صلحا أو سمه - إن شئت - هدية مع الافتازيد وحيدئ أطلق محمد من الأسر برضا القاضي ( مارس سنة ١٠٣٠ ) ولما أبلغه أمير قروونه بأطلاق سراحه عرض عليه أن يعرج في طريقه على اشيلية ، ودياغ القاضي شكره ، ولكن مجندا لفرط شمهزازه من القاضي ، قال للأمير البربر : « إني أؤثر أن أظل سحيك على أن أفوم عما أشرت به على - فادا كست مديبا لعيرك باطلاق سراحي ، وكان على أن أشكر قاضي اشيلية وفاء لهذا الحق ، فاني أفصل أن أبقى حيث أنا سجين » فاحترم الأمير شعوره وأرسله الى ماداجوز مشيعا بما يليق برجل عظيم مثله من واجب الاحلال والتكريم .

وبعد نضع سين أي في - سنة ١٠٣٤ اتقم عند الله الطريقة قد تعتبر غير شريفة وتأثر لنفسه من تلك الشدائد التي نالته ، وذلك بأن أتاح للقاضي أن تمر بأرضه حدوده بقيادة ابنه اسماعيل وهي ذاهة في طريقها للاغارة على مملكة ليون ، ولما كان اسماعيل وحنوده في مسيق لايعد كثيرا عن الحدود الليونية باعته جيش الافتازيد فقتل من حنود اشيلية مقتلة عظيمة ، وقتل فرسان ليون فلول الجيش عند أياذهم بالفرار ، وأفلت اسماعيل من هذه المذبحة وبعه فر يسير من رحاله ، وفيما كان موليا وجهه شطر مدينة لشبونه الواقعة على حدود مملكة أبيه من الجهة الشمالية الغربية تحمل هو ومن معه أشد آلام الحرمان من حاجات المعيشة الضرورية .

ومنذ هذه <sup>١٠٣٥</sup> أراد القاضي الحصم الألد للأمير « باداجوز » وليس لدينا معلومات تفصيلية عن



المعارك التي دارت بعد ذلك بين أمير «باداجوز» وخصمه، ومما لا ريب فيه أن هذه الحروب لم تكن لها نتائج ذات شأن عظيم لأسانيا المسألة ولم تترك فيها أثرا يضارع مآثر كه فيها حادث آخر ستناوله فيما يلي.

قلنا ان القاضي اعترف بسيادة الخليفة الجودي يحيى بن علي. ولكن هذا الاعتراف عبارة عن تعهد غير محدد وقد بقي كذلك مدة طويلة فقد قام القاضي بحكم أشبيلية بلا سلطان عليه ولا رقابة وكان يحيى من الضعف بحيث لا يستطيع أن يلزمه بالمحافظة على حقوقه وقد نذرت هذه الحال تدريجا اذ وفق يحيى لأن يضم حوله جميع أمراء البربر تقريبا ، فأصبح من الآن بحق زعيم عامة الحزب الاخر بقى بعد أن كانت هذه الرعامة فيما مضى اسمية ، ولما كان معسكره العام في قرمونة التي طرد منها محمد بن عبد الله فقد أصبحت جيوشه تهدد قرطبة وأشبيلية في آن واحد ، وقد أوحى هذا الخطر المخيف المهدق الى القاضي بفكرة وطبية لها خطرها ، قيمتها لو لم يشبهها الحرص والطمع والأناية والخشع .

فقد رأى من الضروري أن يجتمع العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد حتى لا يعزو البربر الذين اتحدوا الاملاك التي سبق لهم غزوها .

وهذه هي الوسيلة التي تجعل اللاد ممحاة من حلول مثل ما حلّ بها من المصائب من قبل ، وكان القاضي يشعر من أعماق نفسه بهذه الضرورة ، فقويت عنده الرغبة في أن يتألف حزب قوى كبير يندمج فيه جميع العناصر المعادية للحزب الاخر بقى ، وهو في الوقت ذاته يمتنى أن يكون رئيسه ، ولم تكن العقبات التي عليه أن يذلها ليل تلك العاية مخفية عليه . فقد كان يدرك أن ملوك الصقالبة وأمراء العرب ، وشيوخ قرطبة يجرحون في كرامتهم اذا ما حاول أن يبسط سلطانه عليهم ، على أن شيئا من ذلك لم ينط همته ولم يجعل اليأس يتسرب الى نفسه .

ولما كانت المصادفات تستخدمه ، فهو سيتمكن الى حد ما من الوصول الى العاية التي يرى اليها ، والمشروع الذي يعمل على تحقيقه ، وسيرى فيما بعد على أي نحو يتم له ذلك .

أسلمنا أن الخليفة التمس «هشام الثاني» فر من القصر في عهد سليمان الثاني . رقلنا ان أكثر الظواهر تدلّ على أنه مات في آسيا محمولا غير معروف . ومع هذا فقد بقي الشعب غير مصدق بوفاته لتعلقه المفرط بالدولة الأموية التي درت عليه أحلاف البسر والراء ، وكسته حلق الشرف والمجد ، وكان عامة أفراد الشعب يتفقون الاشاعات التي كانت ترد اليهم من الخارج مسببة بقاءه على قيد الحياة باهتمام وشغف ، وهناك أفراد كانوا يزعمون أنهم واقفون على تفاصيل حياته بآسيا فقد أشاع بعض أولئك الراعمين أنه رحل أولا إلى مكة ومعه خريطة مملوءة بالقبود والمائس ، فسله الزنوح الذين كانوا برفقته مامعه ، وأنه استمر يومين لا يتدوّق طعما ولا شرما ، إلى أن رآه رجل يصنع الفخار فرق له ورثي لحاله ، ففرض عليه أن يمنح له الصلصال على أن يعطيه في اليوم درهمًا ورغيفا ، فرجا صانع الفخار أن يعطيه الآخر سلفا إذ قد مضى عليه يومان لم

يتناول فيهما طعاما وبعد لأى استطاع هشام على كسل دفرة فى العمل أن يكسب قوت يومه ، إلا أنه أف من هذه الحالة فهرب ، وسار مع فافلة ذاهبة الى فلسطين ، ووصل الى أورشليم ، وهو فى أشد حالات الاملاق ، وهناك بينما هو يتنقل فى بعض طرق المدينة إذ وقف على حانوت حصرى ، وأخذ ينظر الى عمله بانده شديد ، فسأله الحصرى : هل تعرف هذه الساعة ؟ فأجابه بحزن كلا ، وأنا أسف لأنه لا سبيل الى العيش وكسب ما أسد به الرمق ، فقال الحصرى : اذن فابق معى لحاجتى اليك فى احضار الخيزران ، ولك أجرك ، فقبل مسرورا وبقي عند الحصرى الى أن حذق الصناعة ، وما زال على هذه الحال بضع سنين ، وقد أذاعوا بعد ذلك أنه عاد الى أساميا فى سنة ١٠٣٣ ورل مائه ثم تحوّل عنها الى المريه ، فوصل اليها سنة ١٠٣٥ فاصطر الأمير زهير الى إبعاده خارج حدود مملكته ، فرحل الى كلاترافا وثمة التى بها عصا التسيار .

هذه الرواية التى صادفت رواجاً وقولا من الشعب لا تستحق - على ما يظهر - أن تال شئت من الثقة ، والذى وقع حقيقة هو أنه فى العهد الذى كان فيه يحيى يهتد إشبيلية وقرطبة ، كان فى كلاترافا رجل حصرى اسمه حلف يشبه تمام الشبه الخليفة هشاما الثانى ، ولكن لم يقم دليل على أنه هو بعينه ، وقد نفى الأمويون شيعة هشام ومعهم اس حيان وان حرم المؤرخان ما دار حول هشام المرعوم من الروايات والاراجيف وعدوه صرنا من الحيلة السياسية والحداق والقحة ، وان كان من مصلحتهم لو أمكن الوقوف لهشام على أثر ، ولم يتوقف حب حين طرق سمعه كثيرا أنه سـمـيه هشام عن ادعاء أنه هو نفسه الخليفة هشام الثانى ، وقد جارت هذه الحيلة على أهالى كلاترافا ، لان حلفا لم يكن معروف السب عددهم ، والأعرب من هذا أنهم دحلوا فى طاعته ، وثاروا على أميرهم اسماعيل بن دهمان - نون أمير طليحة فجاء هذا وحاصره ولم تفل مدة مقاومتهم ، وأخرج هشاما المرعوم من المدينة فهذا نأثر الأهالى ، وعادوا الى السكية والخصوع .

ولم ينته دور حلف عند هذا الحد ، بل رجع عودا على بدء حين علم فاصى اشبيلية بحيره وعلم الفائدة التى يجنيها من وراء ذلك الرجل اذا هو أحصره الى إشبيلية ، وكان الذى يهيمه إنما هو استغلال الموقف تقطع الضر عن سحضية الرجل . كما كان يسره كثيرا أن يراضى الناس أنه هشام ، ليستطيع أن يكون باسمه حربا صد البربر ويكون هو بعنوان كونه رئيس الوزراء زعيم روح هذا الحرب ، ولهذا بادر الى دعوة الخليفة المرعوم الى إشبيلية ، ووعده بتعصيده اذا نجح فى اثبات شخصيته ، ولما حضر الحصرى الى اسبيلية قدمه القاضى الى ساء هشام بالقصر ، فصرحن جميعون تقريبا بأنه هو بعينه الخليفة السابق ، وعول القاضى على قولهم ، وبعث الى سيوح اسبيلية وأسماء العرب والصقالبة يعلمهم بأن هشاما الثانى عدده ، ويدعوهم الى جل السلاح معه دفاعا عن حقوقه ، ومؤازرة لقضية الخلافة وقد كان الله هذا المسعى

بالنجاح ، واعترف بسيادة هشام محمد بن عبد الله أمير قرمونة المخلوع الذي لجأ إلى إشبيلية ،  
وعند العزيز أمير بلنسية ، ومجاهد أمير دانية ، وحزر بليار ، وأمير تر توزا ( طرطوشة ) .  
وعلم عامة الشعب في قرطبة علما مقروبا بالسروور أنه لا يزال على قيد الحياة ، إلا أن كبيرهم  
أبا الحزم بن جمهور كان أقلمهم تصديقا للخبر حرصا على الحكم ، فلم ينخدع ، ولم تجد هذه الحيلة  
إلى نفسه مساغا ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى مقاومة إرادة الشعب ، ومخالفة ميوله ، ورأى ضرورة  
اتحاد العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد ، لأنه كان يخشى في ذلك الحين أن يهاجم البربر  
قرطبة ، فلهذه الأسباب لم يباقر أغراض مواطنيه ، وسمحت نفسه بأن تتجدد الديعة لهشام  
الثاني من جديد .

وكان من نتيجة هذه الحوادث أنه بينما كان الحزب العرقي الصقلي يتسلح ضد يحيى ، كان هذا  
محاصرا إشبيلية ، محددا في تخريب ما يتصل بها من العمران ، موطنا النفس على الانتقام الهائل  
من القاضي الحاشى ، ولكن الملتزمين حوله - من بربر قرمونة الدين أكرههم على الانضواء تحت  
رايته - كان هواهم مع هشام الثاني خايقتهم السابق ، وكانت المخابرة بينهم وبينه سائرة ، وفى  
أكتوبر سنة ١٠٣٥ ذهب فريق منهم خفية إلى إشبيلية ، وأبلغوا القاضي ومحمد بن عبد الله  
أنه من السهل ماعطة يحيى لأنه لا يكاد يفيق من السكر ، ولم يدع القاضي وحليفه هذه الفرصة  
تمر دون أن يستفيدا منها ، وهما وجه القاضي إسماعيل ومعه محمد بن عبد الله على رأس  
الحيش الأسبيلي ، وعند ما أرحى الليل سدوله كمن إسماعيل مع أكثر الجند في كمين ، وأرسل  
كوكبة لمأوس قرمونة ليعرى يحيى بالخروج إلى طاهرها وقد نجح في خطته هذه ، إذ كان يحيى  
حين نلعه محيى اس عاد على رأس جيش ثلثا ، فنهض وكان متسككا على سريه وصاح قائلا :  
« يا لها من فرصة سعيدة ، هذا ابن عاد مقل لريارتى ، والآن أيها الحد ، حذوا أسلحتكم  
وامتلوا جيادكم قبل صياح الوقت ، وحرج في ثلاثة آلاف فارس ، وكان البيذ قد لعب برأسه  
فلم يتمل ريثما يعي جده ويظم خططه ، يضاف إلى ذلك أن ظلام الليل الحالكة كان يحجب  
عنه كل شيء ، وفوجئ الأشبيليون من هذا الهجوم المماغت فقابلوه من جاسهم بجند وعف ،  
وأحدوا يتقهقرون نظام نحو المكان الذى كمن فيه إسماعيل ، ومن هذه اللحظة سعى يحيى إلى  
حتمه بنفسه . فان إسماعيل اقصى عليه بكل قوات الجند ، واضطره إلى التقهقر ، وقتل  
يحيى نفسه في المعركة ، وكاد يأتى القتل على أكثر رجاله لو لم يحل محمد بن عبد الله دون ذلك ،  
وقال له : « إن أغلب هؤلاء المساكين من بربر قرمونة الدين أكرههم هذا الطاغية على الدخول  
في خدمته مع كراهمتهم واحتقارهم له . » فأبقى عليهم وأمر جده بترك تعقمهم وخف محمد  
ابن عبد الله إلى قرمونة على طهر جواده ليسترد ملكه ، وأراد رنوج يحيى الدين استولوا على  
أبواب المدينة أن يحولوا بينه وبين الدخول لو لا أن ساعده الأهالى على دخولها من ثرة ،  
وسار إلى قصر الامارة وسلم ساء الأمير يحيى إلى بيته ، واستولى على ما فى القصر من كنوز  
ونقائس « نوفمبر سنة ١٠٣٥ »

وقد أحدث بنا وفاة يحيى سرورا عظيما في اشبيلية وقرطبة ، وعند ما وصل الخبر الى مسامع القاضى خرت ساجدا شكرا لله ، وحذا حذوه جميع من كانوا حوله والآن أصبح القاضى لا يخشى شيئا من جاب الجوديين ، وقد نودى بادرىس أحد أشتاء يحيى خليفة فى ماله ، وقد كان يعوزه الوقت البكافى الذى يستطيع فيه أن يكسب بقوة هوذه ، وما يقدره من وعود ، قابو زعماء البربر ، ليحعلهم فى صفه ، ولهذا لم يعد فى استطاعته أن يخضع الجزيرة بعد أن نادى الرنوج فيها بان عمه محمد ، خليفة .

ولما رأى القاضى أن الظروف خدمته ، هم بأن يقيم هو وهشام الثانى الرعوم بقصر الخلافة فى قرطبة ، إلا أن يقنطه اس جهور ، وتصميمه على عدم الحللى عن الحكم ، وقنا سحر عثرة فى طريقه ، فقد سحج فى اقباع أهل قرطبة أن الخليفة المرعوم لم يكن سوى رجل ماكر مخادع وأن اسم هشام قد ألى من الامامة ، وعرف أن القاضى عند محيثة هشام الى قرطبة سيلقى أبوابها معلقة فى وجهه ، وثمة لا يستطيع التعال على مدينة مبيعة حصينة مثلها ، فيصطر أن يعود من حيث أتى .

٢٦

وعول فى بداية الأمر على أن تعسكر حيوشه عند الأمير الصقائى ، وهو الأمير الوحيد الذى أبى الاعتراف بهشام الثانى . ذلك الأمر هو رهبر أمير المرية ، وممد أراد الخليفة قسم أن يهون على الأمير ، واقطعه عدة أملاك بدأ رهبر يناصر الجوديين ، ولما نودى بادرىس خليفة بادرىس بالاعتراف به ، ولما صار الآن مهددا من القاضى عقد محالفة مع حوس الهرماطى ، ثم رحب جيش إسبيلية ، وذهب لمقاتلته بجوده وجود خليفة إذ اصطره إلى التقهقر . ومن المحقق أن القاضى قد نال فى الاعتداد بقوته ، ولم يحسب حساب أعدائه ، وكان عليه أن يخشى مجيء الوقت الذى تعرف فيه حوس المرية وعراطة بدورها إسبيلية . وكثيرا ما خدمته محاسن الصدف التى شاءت أن يحلصه أحد أعدائه من عدوه الآخر .

## ٢. المناهج الأدبية<sup>(١)</sup>

كل ما يكتب في هذا العصر إنما هو محاولات أولية ترمى الى المثل الأعلى الذي نشده جميعا ، ولا يزال الأدب العربي وتاريخ الأدب العربي في أشد الحاجة الى جهود الأدباء المتواصلة لتنظيمه وتمحيصه وإصلاح تحريره والكشف عن الأغلاط الكثيرة التي ألحقتها به النساخ . ولا زال كل جهد يدل في ازاحة الستور عن هذه المناجم الفيسة مفتقرا الى جهد آخر يشد أزره ويساعده .

قد كسا الى عهد قريب لاسكاد ثومن بأن في العربية كلها شاعرا واحدا يجارى المشهورين من شعراء العرب . فلما انصرف الأدباء والعلماء الى الدرس والتمحيص والبحث والتحليل ، اكتشف الشباب نخة من فادة الفكر العربي المتارين ، ولا زلنا نطمح في ازاحة الستور عن بقية اعلام الفكر العربي القدماء .

وقد كان من الطبعي أن يصحب نهضتنا وهي في أولها ما يصحب كل نهضة أخرى من العلو والاسراف في بعض الواجى ، وفي مهضنا الأدبية عيب جوهرى نخشى أن يعوق سيرها حيا من الزمن نحن في أشد الحاجة الى الاتماع به واستعلائه بأقصى ما فينا من قوة ، ذلك العيب الجوهري هو أن أكثر من يكتب في تاريخ الأدب العربي يقسم قسمين : فريق من المحافظين الحامدين وفريق من المجددين المسرفين .

يأتى الفريق الأول الا أن يتقيد بالصوص القديمة ويأخذ بآراء القدماء في القدر والأدب بالغة ما بلغت من الاضطراب والفساد من غير أن يعنى نفسه بعونها وتمحيصها ولا يكاد يردّد الا عبارات محمودة و (كلاسيكيات) قدأبلاها الدهر ولا يكاد يجزؤ على استخلاص نتيجة واحدة من محوئه الطويلة واطلاعه الواسع ، فامرؤ القيس أكر مرأياه أنه وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت واحد وذلك في قوله :

« قفا نك من دكرى حبيب ومنزل سقط اللوى بين الدحول فومل »

والمائة الديباني قد بز الشعراء بقوله :

« فانك كالألى الذى هو مدركى وان حلت أن المتأى عمك واسع »

الى آخر هذه العبارات التي حان الوق لاراحتها بعد أن أنهكها طول الاستعمال وكثرة الاستشهاد والتكرار .

الفريق الثانى من غلاة المجددين أو -على الأصح- دعاة التجديد ، لا يبالون بالصوص ولا يعنون أنفسهم بدرس الموضوع الذى يتصدون له ، وربما اكتفى بعضهم بالخلاصات المدرسية التافهة في الحكم على الشعراء والأدباء والأدب العربي كله .

فالعرب - في رأى أحدهم - لم يطرّقوا نوعا بعينه من الشعر ، لأنه لم يقرأ هذا النوع في تلك

(١) ثبت فيما بلى فهو لا مختارة من رسائلنا من زيدون ، تنويرا للقراء .

الخلاصات المدرسية ، وهذا الشاعر لا يسمو الى مرتبة الفحول لأن الأبيات القليلة التي قرأها في تلك الخلاصات لا تبرر وضعه في مصاف الممتارين والواهب .

وهم لا يرون اذا تصدوا للكتابة إلا وسيلة واحدة للطرافة والابداع وهي الخيال ، فهم لا يبالون اذا أعوزتهم المصوص أن يخلقوا تاريخ الشاعر خلقا ، وأن يدمجوا حياتهم في حياته وينحلوه نقائصهم وما يتحلبونه في هوسهم من مزاياء ، فتراهم يخلقون من الشاعر صورة هي أصدق مرآة نستشف فيها نفوسهم .

فاذا كان أحدهم خليعا تلمس شاعرا مشهورا بالخلاعة ولم يعن نفسه بشرح أسباب خلاعته مقدار عانيته بتبرير الخلاعة والتدح بها ، وإذا كان أحدهم حاقدا تلمس شاعرا مشهورا بالحق ، ولم يعن بالأسباب التي أحفظته على معاصريه عانيته بتبرير هذه الحلة فيه .

ولست أسكر على الباحث أن يتصدى لتحليل أية نفس إنسانية ماجة أو جادة ، راضية أو ساحطة ، ولكسي أسكر عليه أن يخلق التاريخ خلقا ليؤيد رأيا - صالحا كان أو فاسدا - فان أمانة المؤرخ ودقته هما أول واحد نحو الحقيقة والانصاف

اما أن ينصر هوى أو يحرقى وراء خيال أو يطبق لما - بلازوية ولأمانة - نظريات معلوطة وآراء فاسدة حاطة تلغها بلازوية لا تدر ، فذلك أصر على الحقيقة من أولئك الحامدين الذين لا يتقنوا ولا أدب خطوة واحدة .

وقد نابع من تهوس وشطط بعض دعاة التحديد أنهم أـكبروا كل خيال عربي - لماذا - لأنهم سمعوا أن أحد المستشرقين قال : « إن العرب صبقوا الخيال وإن سعة الخيال وعمق الفكر وقف على الآريين »

فإن الرومي مثلا واسع الخيال لأنهم افبعوا أسعة خياله ، بل لأن حدته رومي . والمعزى لأحياله وإن كان خياله أوسع من خيال ابن الرومي - لماذا ؟ لأنه عربي فبح ، ولكن المعزى هو صاحب رسالة العبران التي تعد آية من آيات الخيال العربي . فإذ يقولون فيها ؟ الأمر غاية في اليسر ، ليس في رسالة العبران كلها خيال وإنما هي كتاب أشباه المعزى في جغرافية الحنة والنار .

ومن اليوم إلى أن يظهر للمعزى حد رومي في رسالة العبران كتاب جغرافية ، ومتى ظهر له حد آرى أصحت « رسالة العبران » كسانا من أروع كتب الخيال هكذا يحكمون من غير أن يخاسوا هوسهم على ما يقولون .

وقد حاولنا جهدا أن نلمس لاس زيدون جدا آريا ، فقدم به الى هذه المئة لكبر سن مواهبه وحياله ، فلم نطفر بذلك .

على أن في ابن زيدون مزية قد تشفع له عند هؤلاء المقتوبين بالعرب ومايمت إلى العرب . فقد نشأ ابن زيدون في بلاد الأندلس : وهي في صميم أوروبا ، فهو شاعر أوروبى البيئة وقد مدحه كثير من المستشرقين ، ولعل هذا يشفع له عند هؤلاء المقلدين .

أما الشباب المنصف الذي لا يعنى إلا بالحقائق ، فاننا نتقدم إليه بديوان ابن زيدون ورسائله ، وسيرى فيها أمثلة من الابداع والافتنان ، ونماذج من الروعة والاحسان ، وصفحات رائعة من صفاء الديباجة وسحر البيان - وكلما ثقة بأن درس ابن زيدون سيكون أكبر حافز على درس غيره من خول الأدب العربى والبيان العربى .

وما أجدر الباحثين أن يتوخوا الانصاف فان آفة الرأى الهوى ، وأكثر الباقدين لافسد عليهم بحوثهم إلا التحيز وتنكب الجادة وإرصاد الزوات الفكرية الطائشة . وفى يقينى أن الناقد كالفاضل يجب أن يتوخى النزاهة التامة ، ويسمو بنفسه عن مزالق الأهواء ، ولا يألو جهدا فى البحث عن الحقيقة ، أما أن يقلب الناقد محاميا للدفاع أو نائبا لاتهم - كما يفعل أكثر الكتاب - بذلك ما لانصره له ، ولعلّ أكبر عقاب يناله هو فقدانه الثقة بما يكتب .

### ٣ - نشأة ابن زيدون

ولد ابن زيدون في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ في زمن الدولة العاصمية ، في أول عهد المظفر ابن المصور بعد سنة واحدة من موت المصور بن أبي عامر . وهو من أسرة مجيدة من بني مخزوم <sup>(١)</sup> ، وهو أحد ثلاثة تسموا بابن زيدون وهم :

١ - أبوه : عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون وكنيته أبو بكر ، وكان دقيها بقرطبة وكان قاصيا وعالما مشهورا وأديبا واسع الثقافة .

وقد مات <sup>(٢)</sup> سنة ٤٥٥ هـ ، وترك ابنه وسنه حينئذ إحدى عشرة سنة وهكذا أصاب ابن زيدون اليتيم وهو صغير .

٢ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون صاحب هذا الديوان الذي بين يدي القارئ وكنيته أبو الوليد

٣ - ابنه أبو بكر بن زيدون الذي تولى بعد وفاة أبيه وزارة المعتمد بن عباد وقتله يوسف بن تاشفين ، بعد أن استولى على ملك بني عباد سنة ٤٨٤ هـ .

\*\*\*

وكان ابن زيدون صاحب هذا الديوان أشهر هؤلاء الثلاثة وقد كرس حياته للدرس والتحصيل وساعده دوعه ومواهبه على ذبوع صيته وشهرته وهو لم يتجاوز العشرين من سنيه . وكان عصره أزهى عصر أدبي في الأندلس وقد ساعد على أساتيد الأدب في رسمه وألم من كل علم لطرف . وفرص الشعر وبع فيه وهو في العشرين من عمره ، واشترك في الفتنة القرطبية ، وهم بسبب كبير في تلك الثورة التي اندلعت بزعامها في قرطبة .

وكان ابن زيدون من زعماء تلك الفتنة التي رلرت دولة بني أمية ودولة بني جود والعلويين ، وانتهى الأمر بالقضاء عليهم جميعا وقيام ملوك الطوائف على انقاضهم وكانت سنة وقت الثورة ثمانيا وعشرين سنة <sup>(٣)</sup>

(١) نطن من قریش ، وهم عشيرة خالد بن الوليد .

(٢) مات أبوه بمدينة البيرة ، وسلف حنته الى قرطبة فدفن بها ، ومما وصل اليها من رثاء الشعراء فيه قول بعضهم :

«أي ركن من الرياضة هـ يصا وجوم من المسكارم غصبا  
حملوه من بلدة نحو أخرى ليوافوا به ثراه الأريضا  
من حمى السحاب ماء صديا ليدأوى به مكانا مريضا»

(٣) بدأت الثورة سنة ٤٢٢ هـ وكانت ولادته سنة ٣٩٤ هـ فتكون سنة حينئذ ٢٨ عاما . وقد طل ملك بني أمية في الأندلس ٦١٢ سنة وثلاثة وأربعين يوما . وقد انقسمت ممالك الأندلس بعد



فقربه اليه ابن جهور (١) وأعلى قدره ثم لم يلبث أن منحه لقب « ذى الوزارتين » .  
وكانت بين ابن زيدون وابن عبدوس مفاست كثيرة لاشتراكهما في حب ولادة ،  
فأخذ يكيد له ابن عبدوس هو وأصحابه اللاقون على ابن زيدون عند أبي الحزم حتى غيروا  
عليه قلبه وسجنوه بتهمة التآمر على قلب الملك واعادته الى بنى أمية كما سنفصل ذلك في  
رسالة خاصة .

وقد أنشأ ابن زيدون في سجنه كثيرا من القصائد الرائعة والرسائل البليغة التي يراها  
القارى في ديوانه . وحاول أن يستعطف بها ابن جهور متوسلا اليه تارة بابنه أبى الوليد وتارة  
بغيره من أصدقائه ، فلم تلقى شكواه أذا صاعية . على أن السجن لم يسب ابن زيدون حبه  
ولادة فطمع فيها نخة من أروع قصائده ، ولما يس من عفو أبى الحزم ، لجأ الى الفرار من السجن ،  
ولم يس ولادة التي كان يهيم بحبها ، ولكنها أغفلته واشتغلت عنه بحب ابن عبدوس (٢)  
على أن ابن زيدون لم يسها طول حياته ، وما زال يطمع الأشعار متعلا بها ، شديد الحنين  
الى أيام وصالتها وطل حبه الميعين الثرار الذى لا يضب ، وما زال يلهمه أروع حواطره الثائرة  
وعواطفه المآحجة ، وكان من أكثر الأسباب فى وصول ابن زيدون الى مرتبة الرعاية بين  
شعراء العزل المتأخرين .

ستوط الدواه الأُموية الى سبع عشرة مملكة منها ، قرطبة ، واشبيلية ، وحبان ، وقرمونة ، والعرب ،  
والحريرة الحضر ، ومرسية ، وبسنية ، ودابيه ، وطرطوشة ، ولاردة ، وسرسطة ، وطليطلة ، وناحة ،  
ولشوبه الخ

قال ابن حزم : كانت طرطوشة وسرسطة ومراة ولاردة وقلة أبواب فى يد بنى هود . وبلسنية  
فى يد عبد الملك بن عبد الزر . و لكراى مابوق طليطلة — من حبة الشمال — فى يد بنى ررس . وطليطلة  
فى يد بنى دى اللون . وفرطبة فى أيدي أماء حهور . واشبيلية فى يد بنى عاد . ومالقة والحريرة الحضر  
فى يد بنى رران من الررس . والمربة فى يد رهير العامرى ثم ابن صهاح . ودببة وسمالها الخرائر  
الشرقية فى يد محمد العامرى . و بطوبوس وبارة وشترى ، لشوبه فى يد بنى الأقطس وأصبح كل امرئ  
وما احار من الألف والاسماء ، حتى أن المسلمين ، لما جلس على كرسى الخلافة ، قال للناس أجمعين :  
« ارتعوا كفى شتموا وارتسبوا عاأحتم من الخطط » فقاموا لورارة فى أيامه — مفردة ومثدة — أرادوا  
الدائرة ، وأحاث الطارة ، فصلا عن رطاب الكمال ولخدمة .

(١) هو أبو الحزم من حهور الذى استولى على المملكة بعد طلع الحد آخر خلفاء بنى أمية ، ولم تتحول  
عن داره الى قصر الخلافة ، وحصل الأمر شورى ، وساس الأمور عزمه وحسن تدبيره ، وكانت مدته فى  
الحكم أربع عشرة سنة وصعته أشهر ، ثم خلعه ابنه أبو الوليد محمد بن حهور الذى مات فى شوال  
سنة ٣٤٣ هـ

(٢) وفى ذلك يقول ابن زيدون .

|   |  |
|---|--|
| « أكرم بولادة دحرا المدمر<br>قالوا : أبو عاصم أصحى لهمها<br>غيرتوما بأن قد صار يحلمها<br>أ كما شدد أصناما أطامه | لومرت بين بيطار وعطار<br>فك : العراشة قد تدنوس الدار<br>فيمس بحب ، وما فى ذلك من طار<br>نصا ، وبمصا صعبا عنه للعار » |
|---|--|

ولما مات أبو الحزم عاد ابن زيدون الى قرطبة وانضم الى أبي الوليد وقام بالسفارة بينه وبين ملوك الطوائف فأنجحوا به وتموا استنثارهم به لبراعته وخسن سيرته وتمكن من دولة ابن جمهور وابتسم له الحظ ثانية حتى أفسد الحساد مصلح ، وخشى ابن زيدون أن يلقى من الابن ما لقي من الأب من السكال والسجن ، ففر هاربا من قرطبة . وطلّ ينتقل في أرجاء الأندلس من رنده إلى باداجوز إلى اشبيلية أخيرا حيث اتصل بعباد ابن محمد صاحبها الملقب بالعتضد<sup>(١)</sup> ولم يكن يخفى أدبه وشهرته ومكانته عليه فهش له وبش وألقى اليه مقاليد وراثته ، وبعد أن مات العتضد حازل الوشاة وعلى رأسهم ابن عمار أحلص أصدقاء المعتمد أن يعيروا قلبه عليه وأن يدسوا له عدوه فلم يفلحوا ، وأقصاهم المعتمد بن عباد عنه وقرّب اليه ابن زيدون وأعلى مكانته عنده وطلّ ابن زيدون يزين له غزو قرطبة حتى ملكها عنوة بهصل تدبير ابن زيدون وسعة حيلته ، وانتقل المعتمد وابن زيدون اليها وجعلها عاصمة ملكه .

\*\*\*

ولما وقع الثورة صديهود أشبيلية ، انهز اس عمار وان مرتين وأبصارهما هذه الفرصة لاقضاء ابن زيدون عنهم تخلصا من مافسته ، فزيوا للمعتمد أن يورده إلى اشبيلية لشدة تعلق أهلها به واستغلال حزم في تسكين الاضطراب وتهذئة الحواطر ، وكان المعتمد يعلم ما يكره أهل اشبيلية لان زيدون من الحب وماله عندهم من المكانة والخطر وكان ابن زيدون مريضا فاضطره المعتمد الى السفر ، فلم يستطع إلى محالته سبيلا ، ولم يلبث أن اشتدت به الحلى وألح عليه السقم فلحقت به أسرته . ولكن الشجوة والمرص تكانفا عليه فأهلكاه في ١٥ رجب سنة ٤٦٣ هـ فخن عليه أهل اشبيلية أشد الحزن ودون فيها باحتفال مهيب . وقد مكث في خدمة آل عباد تسعة عشر عاما ، ولوطال عمره قليلا لأفصح حساده ومما فسوه في تعبير قلب المعتمد عليه والتسكيل به كما أفلحوا في مثل ذلك من قبل ، ولكن الموت أنقذه من دسائسهم وكيدهم ورجه من شرهم .

---

(١) استطاع المعتمد أن يملأ على كل ما واجهه من الدقات وبدل أقصى ما يبذل داهية من الدهاة حتى صمغ له الجو وسلم له الملك وكان أكثر من يباوئه من المتولين وأشدهم عليه صهاجة و هو بررال الدين كانوا قرمومة وأعمالها من نواحي اشبيلية ، فلم يرل يصرف الحيلة نارة - كما يقول المراكشي - ويجهز الحيوش أخرى الى أن استدلهم بفرق كدتهم ، وشت متطم أمرهم ، وسامع عن جميع تلك البلاد ، وصفت له أموره .

## بجترى المغرب

« ويقول بعض أدناثنا : إن ابن زيدون بجترى زماننا، وصدقوا

لأنه هذا حذو الوليد في بعض قصائده » « ابن سام »

قلت في فصل سابق : إنني ترددت في مشايعة « نيكسون » حين وصلت إلى قوله :

« وقد أطلقوا على ابن هانيء لقب متبجى العرب ، كما أطلقوا على ابن زيدون لقب بجترى

العرب . »

وقد قلت حينئذ :

« ولما كالم ندرس ابن زيدون دراسة تمكنا من الحكم عليه حكما صحيحا ، فانا نترك

مناقشة القسم الثاني من هذه التسمية ونكتفي الآن بالكلام على القطة الأولى وهي تشبيه

ابن هانيء بالمتبجى لاستطاعتنا الكلام في هذا الموضوع . »

والآن بعد عشر سنوات أستطيع أن أقرر مستوقفا : أن هذه التسمية صادقة في تفصيلها

وإجمالها ، وأن من يدرس ابن زيدون والبحتري يطلق على ابن زيدون لقب بجترى المغرب ، ولو

لم يعرف أن القدماء قد أطلقوا عليه ذلك اللقب ، فكلاهما رائع الظلم ساحر الأداء ، وأكثر الصور

الشعرية التي أبدعها جديرة بأن تنال أعز مكان في أرقى المتاحف الشعرية .

ولقد يسر علينا ما لقيناه من الجهد والعناء في اطهار هذا الديوان أن به من الصور الشعرية

الرائعة والبيان الساحر الحلاب ما يحرر به الأدب العربي والشعر العربي في أروع عصورهما

وأضرهما ، فقد كان ابن زيدون في سموه وافتانه - وما أكثر سموه وافتانه - مثالا رائعا

للساعر المدع القادر المتصرف بفنون القول وأساليب البيان .

وأحب أن أصرح القارئ أنني كدت أنسرّع في الحكم حين عرضت لهذه التسمية في

كتابي « نظرات في تاريخ الأدب الأدلسي » ، فأقرر أن في هذه التسمية كثيرا من الاسراف

والمبالغة ، وقد كنت حينئذ متسعا بروح البحتري مأخوذا بسحر بيانه ، وكنت لا أكاد أصدق

أن شاعرا - كان زيدون - جدير أن يوضع معه في ميزان أو يشركه في إحسان .

ولكنني رأيت أن من الظلم والعن أن أفاضل بين شاعرين درست أحدهما دراسة مستفيضة

ولم أقرأ لثانيهما إلا عشرات من الأبيات و بضع صفحات من النثر ، فأرجأت الحكم حتى أتم الدرس .

وهذه حالة نفسية تعرض لأكثر المشتغلين بالأدب في هذا العصر ، وهي آفة من الآفات

التي تفسد على الباحثين بحوثهم ، فان أكثرهم لا يتورع في الحكم على شاعر لم يدرسه ولم يعن

بقراءة آثاره وتقصى أخباره ، بأنه شاعر ممتاز أو سخي ، وبعضهم يكتفي بالختصرات المدرسية

والمختارات الشائعة المقتضبة فيصدر الأحكام السريعة على الشعراء والأدباء وربما عكف

أحدهم على درس شاعر ولم يدرس غيره ، فراح يملأ الأرض تمجيده له ويسرف في اطهار مزياه

وتفضيله على جميع شعراء العربية حتى ليقول أحدهم في وصف بعض الشعراء :

« فهو الشاعر من فرعه إلى قدمه وهو الشاعر في جيده ورديته ، وهو الشاعر فيما يحتفل به وما يليقه على عواهنه » إلى أن يقول « فماتحرك حركة الاكلان العنقرية فيها أرفى نصيب » (١) وقد كان المرحوم الشيخ محمد شريف سليم شارح ديوان ابن الرومي ، يرى بعد أن درسه دراسة مستفيضة أن ابن الرومي أشعر شعراء العربية . وأكثرهم تصرفاً بفنون القول وكان الناعث له على ذلك أنه عكف على درسه زمناً طويلاً فظهرت له مزاياه الناهرة فحسب أن أحداً من الشعراء مهما ما لن يصل إلى مكانة ابن الرومي .

وهؤلاء الباحثين عذرهم في إصدار هذه الأحكام وإن لم يصفوا الحقيقة ، فإن كل شاعر من هؤلاء الفحول يترحم لنا عن حصارة هائلة ويخلق لنا في أجواء ساحرة تنفسياً - حين نحاق فيها - كل شاعر سواه ، فالحجرتي والمتنبى والمعري وابن الرومي وابن زيدون وابن جنيدي وأضرابهم يكاد يعيبك واحد منهم ويملاً نفسك جلالاً وروعة إذا اقتصرت على درسه وحده . ولكنك بعد ذلك جدير ألا تحكم بتفصيل أحد هؤلاء على الآخرين والارراء بهم لأنك لم تدرسهم جميعاً دراسة مستفيضة .

وإذا كرر هذه المسألة أني كنت في محاسن يصمم صفوة من رجال الأدب المختارين كانوا يناقشون في الأدب فقال أحدهم :

« إن سيد كتاب العربية وإمام البيان العربي هو ابن المقفع » ثم راح يطربه ويحلق عليه كل عبارات الثناء ، فقال له الآخر : « أما أنا فليست من رأيك ، فإن أما الريح الاصهاني بنثره المجز قد بر كل كتاب العربية » فقال الثالث : « أين أنتم من عبد الجيد الكاتب فهو سيد هؤلاء جميعاً » فابرى له الرابع قتلاً :

« الحق أن أمام البيان العربي هو الحافظ » ثم سألوني رأيي فقلت : « بل سيد كتاب العربية هم هؤلاء جميعاً وأضرابهم ولكن كل واحد منكم تنكف على دس كاذب من هؤلاء خيل إليه أن أحداً لا يبدأ به بلاعة وسحراً »

وهذا مثال لا يزال يتكرر ولازلنا نرى في كل يوم ما نحن تأني الأ أن يتصرف لمناعة بعينه ويفصله على جميع الناس ، وفي هذا ما فيه من الاسراف والمبالاة وطلم الحقيقة .

وما رأيك في قروى لم يعادر فريته الخفية طول عمره ، فلما سافر إلى مدينة كبيرة ورأى ما فيها من فصور فخمة وحدائق غناء ، طن أن هذه المدينة الكبيرة - التي جمعت ألوان الحضارة والترف وجالبات السرور - هي أجل مدن العالم ، وليس من الضروري أن يزور الانسان كل المدن الشهيرة . فله أن يكتبي بواحدة أو أكثر ، ولكن من الضروري لمن يريد للمقارنة بينها وبين سائر المدن أن يزورها ويتعرفها جميعاً .

كذلك ليس من الضروري أن تقرأ كل شعراء العالم ، ولكن من الضروري ألا تنضل أحداً من الشعراء عليهم جميعاً من غير أن تقرأهم جميعاً .

(١) ارجع إلى كتابي « صور حديثة من الأدب العربي » ص ٢٢٣ »

ماذا ، بل أنت اذا توخيت الإنصاف والدقة والنزاهة عاجز - بعد طول الأناة والدرس - عن البت في تفضيل شاعر من الفحول على آخر ، وإن المصنف الزيه ليرتد في أن يحزم تفضيل قصيدة رائعة على أخرى كما يتردد في تفضيل حساء بارعة في الجبال على شبيهتها ، ورحم الله الأعرابي الذي طلب إليه أن يعاضل بين نوعين من الحلوى ، فظل يتذوق أحدهما نارة ، ويتذوق الثاني نارة أخرى ثم يعود إلى الأول ويرجع إلى الثاني ثم قال :

« إني كلما أردت أن أحكم لاحدهما أدلى الآخر بحجته »

وليس في قدرة ناقد غربي نزيه أن يسخف شاعرا خلا كشكسبيرو وإن كان في قدرته أن يتقده وينلهر عيوبه .

أما عندنا فعلى العكس من ذلك ، لا يتحرج كاتب عن تسخيف شاعر فحل كلامي أو إسكار شاعرية المعري أو تحقير مواهب ابن الرومي أو ابن زيدون أو ابن جديس أو السحري إلى آخر هؤلاء الفحول .

ثم ماذا ، عندنا من يجرؤ على إسكار شاعرية عصر بأكله كمصر ملوك الطوائف (١) الذي يعد أروع عصر أدبي في الأندلس ، بل عندنا منهوسون يجرؤون - فيزعمون بلا حيلة أو مبالاة - أن يسكروا الأدب العصري كله في جميع عصوره المختلفة ، وعندنا آخرون يسكرون روعة الأدب العربي في شتى لغاته وعصوره من غير أن يجسموا أنفسهم قراءة شيء من آثار هؤلاء أو أولئك .

وما كسا لعرض لمناقشة أمثال هؤلاء المتسرعين في الحكم لولا أن عدواهم كادت تسرى إلى أكثر شائنا وبعض شيوخ الأدب واعلام الفكر عندنا .

وقد ساعدت الخلاصات المدرسية التي كتبها مدرسو الآداب عندنا على إصدار هذه الأحكام السريعة ، فإن أحدهم ليكتب كتابا يعرض فيه لتاريخ أدب اللغة في جميع عصوره ويقتبس من أحكام القدماء ما شاء من غير أن يقرأ ديوان شاعر واحد بأكله ، ومن غير

---

(١) ومن هذه الأحكام قول أديب من هذا الطراز العجيب في هجاء هذا العصر الذهبي - عصر ملوك الطوائف - الذي لا يكاد يعرف منه غير اسمه :

« دلكم عصر الاسترخاء والترف . عصر ترنغ فيه الأنصار والعصائر فتكل عما وراء . اغشور والطواهر تهجم المذاهب في ذلك العصر فمعد الحواس ، وموت الحب افطرى فتروح في رفاته ديدان الشهوات . ونهيك مصر تكون فيه الهائم أصدق حاسا من الناس ، لأن الهائم لا تأم بالحب ولا يتبدله في مثل هاته المصوّر يأخذ الناس من كل شيء . تأيسره ، ويقعون من كل مطلب بأقربه إلى الحسن وأصعده . لا يكون الجمال فيها إلا صفة في البشرة تلحمها الألسنة حتى نزول ثم تمحها صافا ، ولا تكون الدانتين والأمواه إلا مجالس شراب وصراوح هواء ، ولا الطبيعة كأنها ورباحيتها وأثمارها إلا طغفئة مطررة بمختلف الألوان والأشكال ، ولا الشجر إلا مهرجاً رافاً لو صور شرا سواً لالت منه البيون ما لا تمال النفوس ، وما الأخلاق والمروءة والشرف إلا آداباً يصطلح عليها المارقون ليديم لهم صفو المجلس ، ثم ماشاء الماقر سد ذلك من غنى وشار ، وما طاب له من عبث واستهتار لا يشبه ذلك ولا يهدح في آداه . »

ان يدرس عصره ويتقصى أخباره ، وهو لو فعل لما استطاع اصدار فصل واحد من كتابه .  
وعندنا أن الخلاصات المدرسية - - - - - بها الا بعد أن يستوفى اللاحثون درس  
العصور والشعراء والأدباء ويقطع كل منهم لشاعر بعينه أو كاتب بعينه ، فيدرسه من جميع  
نواحيه ، فإذا تم ذلك كله أمكن اختصار بحوثهم المستفيضة في صفحات قليلة للماثين .  
وقد تكافتت فئة من أعلام اللاحثين في العصر الحديث كما قلنا على درس المتنبي وابن الرومي  
والمعري ، وطفروا بنتائج باهرة أقعت كثيرا من الشباب النصف بأن عندنا من الشعراء من  
نهاى بهم ونفخر معشطين ولا تردّد في مقارنتهم بأكبر شعراء العرب .  
وما كان في قدرة اسنان أن يفهم جلال شعراء العرب وكتابه ويقدر مواهبهم الممتازة  
وعقرياتهم الفذة لو لم يعرض المقادير والشرح واللاحثون لتحلية كل غامض وتوضيح مسامح  
انجاساتهم الفكرية ، ولن يقتنع الشباب العربي بأن أدبا زاحرا بالشعراء الدحول الدين  
لا يتحللون عن أكبر شعراء العرب ، الا بعد أن يتصدى أدباؤنا وباحثونا لتحليل آثار القدماء  
وتنظيمها وشرح غامضها وإراحة السطور عن مسامح العقريّة فيها وتقديم ثمار جهودهم الباصجة  
للشباب العربي ، وثم يرى شيئا أن هذه العقول العربية الكبيرة التي استوعبت أرقى  
الحضارات في أزهي العصور وعبرت عن أحق الحواشي النفسية وأدقّ الاحساسات وأروع  
الأفكار وأعظم الآراء ، حديرة بالانصاف والاقبال عليها والتمتع بسحرها الفاتن .  
وسيرى الشباب الذي يعلق عليه أكر الآمال - في ديار ابن زيدون محترى المعرب ، إذا  
درسه بعناية وأناة . ولم يكتب تصفحه والمروءة - على عادته - مروراً سريعاً ، أن ابن زيدون  
كان جديراً بما بذلنا من عناء وجهد ، وأنه جدير بمعاودة الكرة لدرسه دراسة مستفيضة  
في رسالتنا التي أوردناها لتحليل أدبه وعصره والتنبه على دقائقه ومراياه والامام بعصره الراهي .  
وبعض الناس يفصلون المحترى على ابن زيدون . لأن ابن زيدون كان يحبّه ،  
وهو رأى مردود عليهم . فان إعجاب ابن زيدون بالمحترى كان إعجاب المعري بالمتنبي ، إعجاب عظيم عظيم ،  
ولو تقدّم ابن زيدون ربه على رمن المحترى لقن المحترى شعره ، واتحد منه مثالا يسج  
على منواله وإماما يهتدى به في منه الرائع .

## شاعرية ابن زيدون

« ابن زيدون عبقرى زمانه قصر المحنون عن إحسانه  
أخذ الروم - في الجبريرة - منه ومشوا في خياله وافتناه »  
« شوق »

لكل شاعر من الفحول طابع خاص يمتاز به شعره فإذا امتاز المعرّى بالفلسفة في شعره وامتاز المتنبي بالحكمة ، وامتاز ابن الرومي بالعوص على المعاني النادرة ، وامتاز أبو العتاهية بالزهديات ، وأبو نواس بالجرديات ، والبحتري بحسن الطم ، وأبو تمام بالصناعة وابن جديس بالوصف فإى ميزة امتاز بها شعر ابن زيدون ؟

ميزة ابن زيدون التى تمكّد تفردّه من شعراء العربية هى الفن . فهو شاعر فنى قل أن يكون فيلسوفاً أو حكماً أو غوّاصاً على المعانى أو وصافاً .

الفن وحده هو الذى أ كسب ابن زيدون زعامة الشعر فى عصره ، وأغرى فحول الشعراء فى زمّنه و بعد زمنه بمحاكاةه والانبضاء تحت رايته . فهو شاعر الفن الذى أبدع أمير الشعراء فى وصفه حين قال :

« بأنى أت هيكلا من فون مركا »

وإنك ترى صورته الفية قد وصلت الى الذروة ، وقلما اشترك ابن زيدون مع شاعر آخر من الفحول فى معنى من المعانى إلا زه ابن زيدون بهه ، وأعجزه بديانه الساحر المحبب . حتى البحتري الذى كان القاد لبقون ابن زيدون به ، كثيرا ما اشترك معه ابن زيدون فى صور شعرية وتفوّقت صور ابن زيدون على صور البحتري .

وإما خصصا البحتري بالذكر ، لأن البحتري هو المثال الذى اختاره ابن زيدون ومحا نحوه حتى غلب عليه اسم بحتري المغرب .

ومن المحبب أن ابن زيدون قد اشترك مع البحتري فى عدّة صور شعرية - كما اشترك مع غيره من الشعراء - فكان ماذا ؟

كانت الصور الكلامية التى يدعها الشاعران جديرة أن توضع فى أرقى المتاحف حين يشتركان فى غرض واحد ، ولكن الصور التى أبدعها ابن زيدون جديرة بالجائزة الأولى فى أغلب الأحيان .

قال البحتري :

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| «ولما حضر ناسدة الاذن أخرت   | رجال عن الباب الذى أنا داخله |
| فأفضيت من قرب - إلى ذى مهابة | أقابل بدر التّم حين أقابله   |
| كما انتصب الرمح الردينى تقفت | أنايبه ، واهتز للطنن عامله   |
| وكالدبر ، وإفياه ، تم سعوده  | وتم سناه واستهلت منازلّه     |
| وسلمت ، فاعتاقت جناي هيبه    | تازعنى القول الذى أنا فائله  |
| فلما تأملنا الطلاقة ، وانثنى | إلىّ يبشر آنستنى ومخايله     |

دنوت فقبلت الـدى من يد امرئ كـريم يحياه ساط أنامله  
 صفت - مثل ما نصفو المدام - خلاله ورفت - كمارق النسيم - شمائله «  
 وقال ابن زيدون :

« فلما قضينا ماعانا أداؤه وكل بما يرضيك داع فخلحف  
 قرنا محمد الله حمدك ، إنه لأؤكد ما يحطى إليه ويزلف  
 وعدنا إلى القصر الذى هو كومة يعاديه منا ناظر أو مطرف  
 إذا نحن طالعا والافق لاس عجاجته والأرض بالجيل ترجف  
 رأيناك فى أعلى المصلى كاعا تطلع من محراب داود يوسف  
 ولما حصرنا الادن والدهر حادم تشير فيمضى ، والقضاء مصرف  
 وصلنا وقلنا الـدى منك فى يد مها يتلف المال الجسيم ويخلف  
 لقد جدت حتى ما نفس خصاصة وأمت حتى ما بقلب نخوف »

فأى الصورتين يعصل القارئ ؟

الحق ان الاسان ليحار فى تفصيل إحدى الصورتين على الأخرى ، فقد كادنا نصلان الى أقصى درجات الكمال . وتحلى إبداع الشاعرين فيهما إلى أقصى حد ، ولكن المصنف لا يلبث بعد طول الروية والأناة . أن يؤثر تلك الصورة الشعرية التى أدهما اس زيدون محترى المغرب على صورة صاحبه محترى المشرق .

وقد وقع كثير من القاد المعاصرين فى خطأ شيع حين تسرعوا فى الحكم على اس زيدون بأنه مقلد فى أكثر معانيه غير مستدع ، وحسوه لذلك شخصاح الفكر لا يبعد شعره إلى الأعماق ، وقد عاب بعض المتسرعين فى الحكم مثل ذلك على أناتول فراس ، وعبروه بأنه كانت أسلوب لا أكثر ، كما عبروا ابن زيدون بذلك ، وسوا أن الحق - كما يقول أناتول فراس - ليس فى الابداع والاختراع بقدر ما هو فى حسن التأليف ودقة الانسجام . وكثيرا ما نتخذ أناتول من الحوادث النافذة وسيلة إلى خلق قصة رائعة . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر - إذا اشتركا فى معنى من المعانى - بما يدهه أحدهما من الألوان وما يوفق اليه من التعبير عن طلال المعانى ودقائقها .

فان أمهات المعانى - كما قلت فى كتابى « صور حديدة من الأدب العربى » مشتركة بين الناس - على اختلاف لغاهم وأزمانهم وبيئاتهم وأحاسيسهم - وانك لو حاولت أن تجد لأكثر المعانى أشباها لما أعياك ذلك . ورمما قلت المعنى تحسب أنك اهردت به ثم عثرت على شبيهه - بعد عام أو عامين - فى شعر قديم أو حديث عربى أو غريبى وقديما أو عثرة :

« هل غادر الشعراء من متردم ؟ . » وذلك أن النفس الاسائية - على اختلاف نزعاتها وشتى أحساسها وشعورها - تكاد لا تختلف فى الشعور بأمهات المعانى ، وثمة توارد الخواطر . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر بالافتنان فى أداء هذه المعانى ، وروعة الأداء وحسن



التعير عن دقاتها وظلالها والابداع في صوغ الخواج النفسية والصور الشعرية المشرقة بالحياة والقدرة على تهيئة الجو الرائع الذي تخلفه شاعريته وعرض معانيه في أبهى صورها وأجل حليها .  
ولضرب للقارئ مثلاً واحداً من أمثلة عدّة لا يتسع لها المقام :

لعلّ كثيراً من الناس يدركون من أمثلة الحياة ونظمها أن ما يضرّ واحداً قد ينفع الآخر .  
هذا معنى شائع ميسور لكل متأمل وليس للسرقة مجال فيه . وقد أفن كثير من الشعراء في صوغه فظهرت في ذلك ميزاتهم ومواهبهم وتجلت قدرتهم على الخلق والابداع .

وقد صاغه المتنبي في أبسط صوره فقال . « مصائب قوم عند قوم فوائد . »

وتأوله ابن الرومي من قبله بخلافه في صورة أخرى وهي قوله :

« فاشقني انما هجاؤك عدى فحكمت تزيد في السراء

ومحال أن يسعد السعداء الدهر الا بشقوة الأشقياء . »

ولما طرقه المعري جلاه في أدع صوره وأجلها فقال :

« وسخط الطاء بما نالها تولد منه رضى الخابل . »

مثل لنا - من ذلك المعنى الشائع المطروق - صورة رائعة دقيقة مشرقة بالحياة وأظهر لنا - ريشة المصور العطن - طيبة يوقعها القدر وسوء الحظ - وسكد الطالع في حالة الاماص ودرك أن حينها قد اقترب وأن هلاكها وشيك ، وصياداً يراها - في هذه الحال من الألم والسخط - يرى فرصة ثمينة مادرة بات يحلم بها طويلاً .

ولقد أحسن الحرجاني حين قال في ضمن فصل طويل نحى أن يرجع الفارئ اليه في كتابه :  
« وقد يتفاضل مدعو هذه المعاني - بحسب مراتبهم - فنشترك الجماعة في الشيء المتداول ويفرد أحدهم بلفظة تستعبد أو ترتيب يستحسن أوناً كيد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى إليها - دون غيره - فيريك المتذل في صورة المتدع والمخترع . »

وقد ضرب الحرجاني لذلك أمثلة كثيرة ثم قال :

« ولم يبق عليك الا أن تحتس من التعريط - كما احتسرت من الافراط - فلا تكن كمن يرى السرقة لانتم الا باجتماع اللط والمعنى ونقل البيت جملة والمصراع تاماً ، بل لا يعرف إلا من يفعل فعل عبد الله بن الربربأبيات معن بن أوس . »

إلى أن قال بعد كلام طويل :

« والشرق - أيدك الله - داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه . »

ومن أجل ما أورده في ذلك الفصل قوله :

« ومتى انصفت علمت أن أهل عصرنا - ثم العصر الذي بعدنا - أقرب فيه الى المعذرة وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسقى إليها وأتى على معظمها ، وانما يحصل

على بقايا إما أن تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها أول بعد مطلبها واعتياص مرامها وتعذر الوصول إليها .

ومنى أجهد أحدنا نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره وذمه في تحصيل معنى - يظنه غريبا مستعذبا ونظم بيت يحسه فردا مخترعا ، ثم تصح عنه الدواوين - ثم لم يحظ أن يجده بعينه أو يجده مثالا لبعض من حسنه .

ولهذا السب أحضر على نفسي ولا أرى لعيري ت الحكم على شاعر بالسرقه . وقد أحسن أجد بن أبي طاهر في حجة المحتري لما ادعى السرق في قوله : -

« والشعر طهر يطرق أنت راكبه عنه مشعب أو غير مشعب

ورما ضم بين الرك مهبه وألصق الطب العالي على الطنب »

فاذا شئت أن مثل لك من شعر ابن ريدون بما يؤيد هذا الرأي ، عرصا لك نخبة موجزة

من أقوال رجال البيان في بعض المعاني التي طرقها ابن ريدون . فل معاوية : « السرو التعادل »

وقال المتبي : « ليس العى بسيد في قومه لكن سيد قومه المتعابي »

وقال زهير

« ومن لم يصابع في أمور كثيرة يصرس بأبياب ويوطأ عسم »

وقال بشار :

« اذا أنت لم تشرب مرارا على القدى طمئت وأى الناس تصفو مشاره

فحش واحدا ، أوصل أحاك ، فانه مقارف دس مرة ومحامه »

وقال أحد الشعراء .

« ومن يتبع حاهدا كل عبدة يجدها ، ولا يسلم له الدهر صاحب »

وقال آخر :

« اقل معادير من يأنيك معتدرا ان برّ عسك فيما قال أو خرا

فقد أحلك من أوصاك طاهره وقد أناعك من يعصيك مستترا »

الى آخر ما دلوه في هذا المعنى وهو كثير مختزى منه مما ذكرنا ، فهل ترى في كل ما دلوه

أروع من قول ابن ريدون :

« إن السيادة بالاغصاء لاسية مهاءها وجمال الحسن في الخفر »

ألا ترى أن فن ابن ريدون قد غلب فون هؤلاء المحول الأقداد وتوق عليهم في هذه

الصورة الرائعة ؟

وانظر الى ذلك البيت الرائع الذي طالما تعبنا به وحسنا فانه قد تخطى به درحات الكمال

والإبداع حين قال :

« يزيدك وجهه حسا اذا مازدته نظرا »

وقد أخذه ابن الرومي فقال في « وحيد » المعنية :

« ليت شعري ، اذا أعاد الينا كرة الطرف مبدئاً ومعيداً  
أهـى شئـ لا تسأم العين منه ؟ أم لها كل ساعة تجديد ؟  
بل هي العيش لا يزاله حتى استـ رضـ على غرائنا ويفد »

انظر كيف تلتف ابن زيدون في نظمته وتحويره اوفى أى صورة مشرقة بالحياة رائعة الحسن  
صاغه ذلك الشاعر العقري فقال :

« حسن أفانين لم تستوف أعينا غاليته بأفانين من النظر . »

ومن اليسير على كل اسنان أن يقرر أن حبه قد هجره ، وأنه لا يزال باقياً على عهده .  
ولكنه ليس من اليسير عليه أن يؤدى هذا المعنى كما أداه المجنون يقول :

« وأدبتي حتى اذا ما فتنتي بقول يحول العصم سهل الأباطح  
تـاءت عـى حين لالى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح »  
ولا أن يقول مثل قوله أيضاً :

« أليس وعدتني يا قلب أنى اذا ماتت عن ليلى تتوب  
فها أنا تائب عن حب ليلى فالك كلما ذكرت تذوب . »  
أو يقول كما قال ابن زيدون :

« كان التجارى بمحصن الودّ مدمز من ميدان أنس جرينا فيه أطلاقاً »

فالآن أحد ما كنا لهـدكو سلوتم وبقينا نحن عشاقاً (١) ؟ »

تلك صور فنية تخلع دوما الرقاب ولا يحسن أن يقولها إلا شاعر فنى موهوب ، ولا تزال  
أهميات المعانى كأصول لأنواع لا تكاد تختلف فى جللتها وان اختلفت فى دقاتها وتفاصيلها ، وانك  
لترى ألف حساء فترى فى وجه كل منهم ملاحظة من الحسن لا توجد فى الأخرى ، ولا يزال  
الرسام يتفنن فى التعبير عن أسرار الوجوه ويدع ماشاء ابداعه ، ولا يزال اللحن الواحد يؤديه  
ألف مغن بارع فتحس نفسك لكل صوت سحراً خاصاً يختلف عن الآخر .

وما نريد أن نخص ابن زيدون بالابداع فى كل معانيه دون سائر الشعراء ، فقد تختلف عنهم  
وقصر فى بعض قصائده كما يقصر المحول أحياناً . الشعر كما يقول ابن الرومى كالشجر :

« ركب فيه اللحاء والخشب اليا بس والشرك بينه الثمر . »

ولكن الانصاف يقضى عليك - إذا تصدّيت للتفضيل بين الشعراء - أن تقارن بين روائعهم  
وبدائعهم ، أما ما يقولونه عفو الحاطر ، أو فى ساعات الكلال والضعف ، فلست جديراً أن تحكم به  
على شاعريتهم ، فقد تخرج الشجرة الممتازة - إلى ثمارها الشهية العضة - ثمرة جفة فلا ينقص ذلك  
من قيمتها . وما نريد أن ننصر لابن زيدون وأن نمدحه وإن كنا نريد أن ننصفه ولا نظامه .

(١) هأتت ذا ترى صورتين رائعتين لمعنى واحد ، فهل تستطيع أن تعمل إحداهما عن الأخرى ؟ ألا ترى  
أن كل واحدة من هاتين الصورتين مستقلة عن الأخرى وكل الاستقلال وإن كانا تعبران عن معنى واحد ؟  
ألا ترى إلى الصدق الذى يمثل فى كل صورة بينهما ؟ ألا تست كل واحدة من هاتين الصورتين ملكاً  
لشاعر لا ينازع فيها الآخر ؟

## لماذا سجن ابن زيدون ؟

لأنكاد نقرأ تاريخ ابن زيدون في أى كتاب من كتب الأدب ونصل إلى هذا الفصل من تاريخ حياته حتى نقرأ هذه الجلة بنصها أو معناها .

« ثم سجنه ابن جهور لسبب وشاية أعداء ابن زيدون به » .

ولكن كيف وشى به أعداؤه فأحفظوا عليه قلب ابن جهور وأى وشاية هي ؟ ذلك ما يقف أمامه مؤرخو الأدب من غير أن يتعرفوا له حلا .

وقد حاول بعضهم أن يعزل ذلك باعتماد ابن زيدون في حب ولادة وقلوب ابن عدوس وأحبابه وشوا به عد ابن جهور فسحبه لأن أبا الحرم بن جهور - في رجمهم - رجل ورع يؤثر القوى والرهدة ولا يقلل أن يرى إلى حاشه خليعا ما حدا كابن زيدون ، وسى هذا الفرق من مؤرخي الآداب أن ابن عدوس نفسه كل معصا في حب ولادة وكان أكثر من ابن زيدون حلاعة ومجوا إن كان لابد من هذا التعبير الذى ارتضاه مؤرخو الآداب ، فليس من الانصاف أن يطلق اسم الملاحن المستهتر على مثل ابن زيدون ، فقد كل اذا فورن بعيره من شعراء عصره وشعراء العصور الأخرى أهد عن هذه الصفة اتى ألقبها به ، مؤرخو الآداب ، ولم يكن أبو الحرم بن جهور دنا متذلا ورعا متقشفا كما حاولوا أن يقنعوا به ، فقد كسر دنان الحر حين ولى أمور الناس ، وهذا يدل على حرم وعهد نظر ولا يدل على نقشف ورهد وورع .

وما كان أبو الحرم ليسى إلى وريره الذى حاص إلى حاشه نار الثورة القرطبية وكان يلهمها سلاعة ويعددها بدياه والذى كل لا يستعنى عنه أبو الحرم بن جهور ، بقول ليس أبو الحرم الدكى الأريب - الذى شاد ملكا موصد الأساس بين الرعارع والفتن - من العدة بحيث يأبه لأمثال هذه الصعائر ، أما كان يعنى أنا الحرم بن جهور أن يذت ملكه ولا يعسه بعد ذلك أن يكون ابن زيدون ملاكا طاهرا أو شيطانا فاحرا .

وقد سجن ابن زيدون وزير ابن جهور وكان معرضا للقتل وسجن ابن عمار وزير المعتمد وقتل وسجن غيرهما من الأدباء والشعراء الذين استررهم ملوك الطوائف ، فإذا شئت أن تبحث عن أسباب سجنهم وقتل أكثرهم ، فلن تجد لذلك الاسما واحدا وتهمة لا يتعداها من شاء أن يدس أو يكيد وهي التهمة التى تعنى ملوك الطوائف ونقض مضاجعهم وتنسبهم كل يد أسلفت إليهم ، هذه التهمة هي التآمر على قلب الملك والطمع فيه .

ولقد كان ابن عمار أحلص صديق للمعتمد وكان المقرّب الأمين عنده وكان أعزّ عليه من نفسه على حد تعبير المعتمد ، ولكنه طمع فى الملك فسعى المعتمد كل شئ الى سجنه وقتله والانتقام منه .

ولم تأخذ المعتضد رجة بأحد أولاده حين عرف أنه يطعم فى ملكه ، فقتله حنقا عليه .

ولقد كان ابن زيدون شابا في مقتبل عمره وكان قريب عهد بالثورة التي دعا إليها آل جهور .  
وكان أقرب شيء الى هذه النفس الشابة الفتية المتوقدة عزما وهمة ، والتي ظفرت بالوزارة  
في مشتهل حياتها السياسية أن تطمح الى ما هو أبعد من الوزارة .

وقد كان ابن زيدون كثير السفارات وكان موقفا محبوا من ملوك الطوائف ذائع الشهرة  
في عصره ، وكان قويا شديد النكاية والسخرية بخصوصه ، ولم يكن لهم طريق يسلكونها  
للازديان منه الا الكيد له - على أسلوب ذلك العصر - عند ابن جهور بأنه غير مخلص  
لعهد ولا أمين لأمره .

وما نرى ابن زيدون من تهمة التآمر فانه هو نفسه لم يتصل منها اتصالا واضحا صريحا ،  
بل نحن لانرى في تصديقها حرجا فقد كانت الظواهر كلها تؤيدها ولا تنفيها .

ولقد فر ابن زيدون من سجن أنى الحزم ثم عاد بعد وفاته الى ابنه أبي الوليد وبذل له  
الصيحة كما بذل لأبيه ، وطمع عده بأعلى مكانة . ولكن تهمة ذلك العصر فرت به من جديد  
وكاد - لولا فراره - يسجن من جديد ويقضى بقية عمره في السجن .

وقد اتصل بالمعتضد وحاول خصومه أن يدسوا له فلم يفلحوا ولمامات المعتضد أعادوا  
الكرة وأرادوا أن يعيروا عليه قلب المعتمد فأحققوا ، وقرعهم المعتمد أشد تقييع وما زال  
ابن زيدون الوفي الأمين المخلص للمعتمد ، حتى قرب ميته وقرب نجاح أعدائه في تغيير قلب  
المعتمد عليه ، ولوطال عمره قليلا لأصاه من كمال المعتمد وانتقامه مأصاه من أنى الحزم  
وما كاد يصيبه من أنى الوليد بن جهور . ولكن المية أنقذته من شرورهم وأحقادهم كما أسلفا .  
على أن سجن ابن زيدون قد ترك في نفسه الفتية الوثابة أثرا لا يوصف . وألمه الحكمة  
والأناة والصبر وعلمه مداراة الناس ومحاملة الخصوم ، وأقبعه بأن معاداة الرجال غير مأمونة  
العواقب وأن السهام « فلما اعتورت غرضا الا كلمته حتى بهى ما اشتد من قوته » فلم يدخر  
جهدا فيما بعد في اكتساب رضى العامة والخاصة ، حتى أحوه - الا القليل ممن دفعهم الحسد  
والغيرة وهؤلاء لاحيلة لأحد في اكتساب رصاهم وسل سخائمهم وأحقادهم - وقد مات فسكاه  
أهل أشبيلية وجزعت لفقده جبهة معاصريه . ولا تزال أشعاره ورسائله التي نظمها في سجنه  
آيات فذة من البيان العالي والشعر المعجز . ولا زال قوله :

« لايهئ الشامت المرتاح حاطره      أنى معنى الأملنى ضائع الخطر  
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة      أم الكسوف لغير الشمس والقمر »

وقوله :

« ولا يعط الأعداء كوني في السجن      فاني رأيت الشمس تحصن بالدجن  
وما كنت الا الصارم العصب في جفن      أو الليث في غاب أو الصقر في وكن  
أو العلق يخفى في الصوار ويخبأ »

إلى آخر هذه القصائد الفذة التي كتبت لها الخلود . مثالا عاليا للشعر الرائع والبيان الساحر

## حساد ابن زيدون .

كان من الطبيعي أن يلقي أديب مثقف وشاعر مجيد وسياسي مدرّب كابن زيدون -وصل في مقتل شابه الى أرقى الدرجات- كثيرا من المافسين والحساد يقومون على أدبه وتفوّقه وبقاؤون من تقرّبه الى الملوكة الذين أكرموا فضله وأدبه فقرّبوه منهم وحاطوه برعايتهم، وقد لقي ابن زيدون في قرطبة جماعة من المافسين وعلى رأسهم الوزير الأديب أبو عامر بن عدوس ، فكادوا له حتى أحفظوا عليه أنا الحزم جهور فسححه كما أشرنا الى ذلك في فصل سابق . ثم فرّ من السجن وعاد فاقبل بأبي الوليد بن أبي الحرم ، فلم يقطع كيد المافسين حتى غيروا عليه قلب الابن كما غيروا عليه قلب أبيه من قبل ، ففرّ ابن زيدون خوفا من السجن ومازال ينتقل بين ملوك الطوائف حتى استقرّ به البوى في اشبيلية فلقى من كيد الحساد وعنتهم مثل ما لقي في قرطبة ، ولكن مدائحهم الخالدة التي مدح بها المعتضد والتي تعدّ من مفاخر الشعر العربي وروائعه ، وحسن سياسة ابن زيدون وبعد نظر المعتضد تعلت على كيد المافسين وأرغمت أنوفهم وأحلتها في المكان الأوّل كما يقول من قصيدة رائعة :

« وأرغم في برى أنوف عصاة لقائهم جهنم وأعينهم شرر »

« ادا ما انشئ في الدسب عاقد حمة وهم سباطا حمله على الصدر »

فلما مات المعتضد أعادوا الكرّة وجعوا جوعهم للكيد له عند المعتمد ولكن المعتمد صدهم أشع صدّ وقرّبه اليه ، فلم يس له ابن زيدون هذه اليد وفي ذلك يقول :

« يطيل العدا في التاجي حنية يقولون لا تستفت قد قصي الأمر »

ثم ما زالوا يكيدون له حتى أقصوه عن قرطبة الى اشبيلية متهمين بفرصة مرضه فسار اليها مرغما حيث لقي حتمه . وأفلح كيد ابن عمار وأصحابه في التخلص من منافسة ابن زيدون . ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده في أبي الحرم وأبي الوليد والمعتضد والمعتمد من الشكوى الصارخة من كيد الحساد الذين تطوّعوا لا يذانه وأرهقوه بدسائسهم المتوالية ، والحسد داء قديم وكما لقي الأدباء والشعراء الممتازون منه ما عصى عليهم حياتهم وأقص مضاجعهم .

وقد لقي المتنبى قبله في مجلس سيف الدولة من حسد أبي فراس وابن خالويه ، ثم لقي عند كافور الاخشيدى من حسد ابن حنبل ، ثم لقي في بغداد من حسد الوزير المهلبى الذى أغرى به الشعراء والأدباء كالخاتمي وابن سكرة وغيرهما ، ما أقلق باله وفاده الى حتفه .

وقد كان يبلغ المتنبى بعد أن ترك سيف الدولة تشنيع حساده به عمده ، فيقول :

« رأيتمكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللابن »

جزاء كل قريب منكم ملل . وحظ كل غريب عنكم ضغن . »

الى آخر ما قال .

وكان يبلغ ابن زيدون عن ابن جهور بعد اتصاله بالمعتضد ما يسوءه في نفسه وقرابته  
بقرطبة فيقول :

« بنى جهور أحرقتم بجفائكم فؤادى فإبال المدائح تعبق  
تعدوني كالغبر الورد إنما تطيب لكم أنفاسه حين يحرق »  
وقوله :

« قل للوزير وقد قطعت بمدحه زما فكان السجن مه ثوابي :  
لا تخش في حق بما أمضيته من ذاك في ولا توق عتابي  
لم تخط في أمري الصواب موافقا هدا جزاء الشاعر الكذاب . »  
وقوله .

« من ملغ عى البلاد اذا ننت أن لست للفس الألوف باخع  
أما الهوان فصنت عه صفحة أعشى بها حد الرمان الشارح  
فليغم الحط المولى أنه ولي فلم أتمعه حطوة تابع  
ان الهى هو القاعة لا الذى يشتف قطعة ماء وجه القانع »  
الى آخر ما قال .

وقد كان لهذه الماهات أثرها العظيم في اجادة الشعارين واطهار أروع ما قاله من الشعر ،  
وصدق القائل :

« لولا اشتعال النار بما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود »  
وما كاد المعتد يتولى الأمر بعد أبيه المعتضد حتى شط الدساسون والمفسدون لمحاربة  
ابن زيدون فرموا اليه برقعة فيها قصيدة طويلة أولها :  
« يأبها الملك العلى الأعظم اقطع وريدى كل باغ يتم  
واقسم بسيفك داء كل منافق يبدى الجليل وصد ذلك يكتم »  
فكان رد المعتد على ذلك قوله :

« كذبت ما كم صرّحوا أوججموا الدين أمتن والسجية أكرم  
ختم وروهم أن أخون ، وربما حاولتم أن يستخف يالهم (١) . »

(١) وفيه يقول

« وأردم تضيق صدر لم يصب والسر في ثمر الحور نخطم  
ورحتم - محالكم - لمجرب مارال يثبت للمحال ميم زم  
أنى رحوتهم غدر من جر بتم مه الوفا وظلم من لا يظلم  
أنا لكم لا ألفى يثر غرسه عدى ولا مى الصيمة يهدم  
كفوا ، والا مارقوا لى نطشه باقى السفه بمثلها ميجلم »

وقد عرف ابن زيدون كيف يشكر له هذه اليد في قصيدته الرائعة التي يقول فيها :

« وأرى المساعي كالسيوف تادرت  
ولكم تسامى بالرفيع نصابه  
وفيها يقول ويندع :

« فل للعاة المنصين قسيهم  
أسررتهم ، فرأى محي عيوكم  
وعائتم - للفسق - طمر سعاية  
ونسذتم التقوى وراء ظهوركم  
ما كان حلم « محمد » ليحيله -  
وفيها يقول بعد أن أعراه بأعدائه :

« فرق عوب ، ورأرت رارة زاحر  
يأليت شعري هل يعود سمعهم  
لى منك - فليدب الحسود تلطيا -  
وشموف حظ ليس يفتأ يحتلى  
الى آخر هذه القصيدة الرائعة .

وقلما تخلو قصيدة من قصائده من ماسة يخلقها حلقا ، وينطرق منها الى الشكوى والألم  
من حساده ومنافيه وما لقيه من كيدهم وعنتهم  
ومن أروع ما ذل في ذلك ، قوله من قصيدة :

« كان الوشاة وقد ميتت فأفكهم  
الى أن قال :

« أنا سيفك الصدى الذى مهما تشأ  
تعد العقال اليه والتدريا  
وقوله :

« ايه « أبا الحرم » اهتبل عرّة  
لاطارى حظ إلى غاية  
عتاك - بعد العتب - أمية  
لم يشئ عن أمل ماجرى  
ألسنة الشكر عليها فصاح  
ان لم أكن منك مريش الجراح  
مالى على الدهر سواها اقتراح  
قد برقع الحرق وتوسى الجراح .

وقوله :

« ماجال بعدك لخطى فى سا القمر  
إلا ذكرتك ذكر العين بالآثر  
إلى أن قال :

« حسن أفابن لم تستوف أعيانا  
غايانه بأفابن من النظر .

إلى أن قال :



«من يسأل الناس عن حالى ، فشاهدها  
لم تطو برد شبابى نكبة وأرى  
قل التلاين إذ عهد الصا كث  
ها انها لوعة فى الصدر فادحة  
لا يهينى الشامت المرتاح خاطره  
هل الرياح بجهم الأرض عاصفة ؟  
إن طال فى السجن إيداعى فلا عجب  
وان يثبط - « أبأ الحرم » الرضى - قدر  
ماللذئوب - التى جاني ككأرها  
من لم أزل من تأنيسه على ثقة  
إلى أن قال :

« لآتله عى ولم أسألك معسفا  
واستوفى الخط من نصح وصاغية  
هنى أسأت فكان العلق سيئة  
ان السيادة بالأعضاء لابسة

وقال :

« ولو أنى أسطيع كى أرضى العدا  
شريت ببعض الحلم حظا من الجهل . »  
إلى أن قال :

« جواد إذا استنّ الحيات الى مدى  
نوى صامى فى مرابط الهون يشتكى  
إلى أن قال :

« أعدك للجلى وآمل أن أرى  
بعماك موسوما وما أنا بالعتل . »

ثم قال :

« أنن زعم الواشون ما ليس مزعما  
وأصدى إلى إسعافك السانغ الجنى  
\* . ولو أننى واقمت عمدا خطيئة  
فلم أسترحب « العجار » ولم أطع  
وانظر إلى قوله :

« فديتك كم ألقى النواغر من عدا  
عفا عنهم قدرى الرفيع فأهجرأ  
قراهم - لبيان الفساد - ثقاب  
وبانهم خلق الجيمل فهاجروا »

وقد تسمع الليث الجحاش نهيقها  
إذا راق حسن الروض أوفاح طيبه  
إلى أن قال :

« فأنت الحسام العضب أصدى منته  
وما السيف مما يستبان مضاًؤه  
وقوله :

« لا تستجز وضع قدرى بعد رفعه  
إلى أن قال :

« طن العدا إذ أغت - أمها انقطعت  
لابأس بالأمر - إن ساءت مادته  
إلى أن قال :

« كم غرة لى تلقها قلوبهم  
إذا تأملت حى عتب غشهم  
نلك العرايين لم يصلح لها شم  
أودعت نعامك منهم شرم فترس  
لازال جدك بالاعداء يصرعهم

وما أروع قوله معذرا عن هجره ابن جهور : « وهو يرى ويسمع أن بالحضرة قوما لا يحصرهم  
العد ، تحتمل سقطاتهم وتعتقر هفواتهم وتقال عثراتهم وما أعلم أنهم يدلون بوسيلة إلا ساركتهم  
فيها ولا يعمون بذريعة يعفرون دوى بها » الخ .

وقوله :

« أرى نوة لم أدر سرّ اعتراضها  
جفاء هو الليل ادلهم طلامه  
هـ العزل أخشى للولاية غاية  
فميم أرى ردّ السلام إشارة  
أناس هم أخشى للدعة مقولى

وقوله :

« ألا هل أتى الفتيان أن فتاهم  
وأن الجواد الفات الشاوصافن  
وأن الحسام العضب ثاو بجفنه  
فريسة من يعدو ومهزة من يسطو  
تخونه شكل وأزرى به ربط  
وماذم من غريه قد ولا قط »

وقوله :

« مئون من الأيام خس قطعها أسيرا ، وان لم يبد شد ولا قط . »

وقال :

« وما زال يدينى ، ويثنى قبوله هوى سرف منه وصاغية قوط . »

وقال :

« عدا سمعه عنى فأصنى الى عدا لهم فى أدبى كلما استمكنوا عط  
بلعت المنى إذ قصروا فقلوبهم مكان أحقاد أسودها رقط . »

وقوله :

« ومثلى قد تهفوه نشوة الصا ومثلك قد يعفو ، ومالك من مثل  
وانى لتهناى نهاى عن التى أشاد بها الواشى ويعقلنى عقلى . »

الى أن قال :

« وما كنت بالمهدي الى السودد الحا ولا بالمسئ القول فى الحسن الفعل . »

الى أن قال :

« هى العل زلت بى ، فهل أنت مكذب لقليل الأعادى انها زلة الحسل . »

الى أن قال :

« ألا إن طى - بين فعليك - واقف وقوف الهوى بين القطيعة والوصل . »

الى أن قال :

« وأين جواب عك ترضى به العلا اذا سألتنى بعد ألسنة الحفل . »

إلى آخر ما أبدعته هذه العقريّة الجبارة ، من الافتنان البارع ، فى صورها الشعرية التى لاتساقى .

## ٤ حب ولادة

تمرّ شتى الحوادث بالإنسان فيسأها ولا تكاد تترك في نفسه أثرا يذكر، على أن لبعض الحوادث أثرا لا يمحي، حيث تمرّ الأيام والشهور والسنون وهو باق في ذهنه يؤثر فيه أعمق الأثر، ويطبع نفسه بطابع خاص، ومن الحوادث التي أثرت في نفس ابن زيدون وشعره ونثره أكبر الأثر، حادثان : حب ولادة . وحسنه زهاء عاين .

فأما حب ولادة فقد ألهب نفسه إلهاما وأكسبها شاعرية خصصة ففاقت بأعذب الشعر وأبدعت في ضروب العزل ماشاء لها أن تدع، وأخرجت لها أروع قصائده العزلية، وألممته أسمى ألوان الخيال العالي والعزل الرقيق . كقوله :

« ودع الصبر محى ودعك ذائع من مره ما استودعك »

وقوله :

« أما منى نفسي ، فأنت جيعها      ياليتي أصبحت بعض مراك  
يدنو بوصلك حين شط مزاره      وهم أكاد به أقبل فاك »

وقوله :

« كان التجارى بمحص الودّ مدر من      ميدان أس حريا فيه أطلاقا  
فالآن أجد ما كنا له هدمك      سألتم وقيانا نحن عشا »

وقوله في هس القصيدة :

« لا سكن الله قلما عن ذكركم      فلم يطر بجراح الشوق حماة »

وقوله من قصيدة أخرى :

« بالليل طل ، لأشتهي      إلا بوصل قصرك »  
« لو كان عسدى فرى      مات أرمى قرك »

وقوله :

« بى وببك ما لو شئت لم يصع      سرادا ذاعت الأمرار لم يذع »

وقوله :

« بتم وبها ما اتلت جوامعا      شوقا إليكم ولا جفت ما قيا »

إلى أن يقول :

« ما حقا أن تقرّوا عين ذى حسد      بيا ولا أن تسروا كاشحا قيا »  
« غيظ العدا من تساقيا الهوى فدعوا      بأن بعض فقال الدهر آميا »  
« فأنحل ما كان معقودا بأفسا      وأبت ما كان موصولا بأيدينا »

وقوله :

« لاستجدن - في عشقها - زمنا يسى      سوائف أياى وأزمانى »

حتى تكون لمن أحببت خاتمة نسخت - في حبها - كفرا بإيمان «  
وقوله :

« إن ساء فعلك بي ، فما ذنبي أنا ؟  
لم أسأل حتى كان عذرك - في الذي  
واقعد شكوتك - بالضمير - الى الهوى  
منيت نفسي - من وفائك - ضالة  
وقوله :

« أغائبة عني وحاضرة معي  
أفي الحق أن أشقى بحبك أو أرى  
ألا عطفة تحيا بها نفس عاشق ؟  
صليتي - بعض الوصل - حتى تبيني  
وقوله :

« قد كان - في شكوى الصابرة - راحة  
لو أنني أشكو إلى من يرحم «  
وقوله :

« لما اتصلت اتصال الحب بالكبد  
ساء الوشاة مكانى مك واتقدت  
فليسحط الناس لأهدد الرضى لهم  
لو استطعت - اذا ما كنت غائبة -  
ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد  
- في صدر كل عدو - جرة الحسد  
ولا يضع لك عهد آخر الأبد  
غضضت طرفي فلم أنظر الى أحد «  
وقوله :

« يا ليل خبر . اني  
بالله قل لى : هل وفي ؟  
التد عنه خبرك  
فقال : « لا . بل عذرك »

وقوله :

« لئن فاتني منك حط الطر  
وان عرضت غفلة للرقي  
أحاذر أن تنظني الوشا  
واصبر مستيقنا انه  
لأكتفين بسماع الخبر  
- فحسبي تسلية تختصر  
ة ، وقد يستدام الهوى بالخذر  
سيحظي - بدليل المي - من صبر «

وقوله :

« أشمت بي فيك العدا  
لو كان يملك فدية  
كنت الحياة لعاشق  
وباعت - من ظلمي - المدى  
- من حيك القلب اقتدى  
- مذ حلت - أيقن بالردى

لم يسئل عنك ولو سلا      لعدرته ، فبك اوسدى «  
وقوله :

« أبديتلى - من أفاين القلى - عبرا  
لم تقى جارحة بالهجر من جسدى  
فليغن كفك انى بعض من ملكت  
ولقضى ماشئت - من هجر من صلة -  
سقى لعهدك والأيام تقلى  
إذ الزمان بليغ فى مساعدى  
ان كان لى أمل الا رصاك فلا

وقوله :

« انى لأعجى من شوق يطاولى  
كم نظرة لك فى عيى علمت بها  
قلب يطيل مقاماتى لطاعتكم -  
ماتوبتى بنصوح - من محتمكم

وقوله :

« معاهد هو لم تزل فى طلاها  
رمان رياض العيش خصر نواصر  
فان بان منى عهدا ، فلوعة  
تذكرت أيامى بها فتبادرت  
وصحبة قوم كلمصايح كاهم  
الى أن قال :

« محل عيى بالتمصايح - فأسعدا ، والحادثات بيا  
ما لحقت تلك المديالى ملامة      ولا دم - من داك الحيب - دمام »

وقوله : وهو بطايوس من قصيدة رائعة :

« إن قرت العين بأن أموا      لم آل أن أسترضى العضوبا  
حسبى ان أحرم المعيا      قد يمع المذنب أن يتوبا »

وقوله :

لم ينجنى منك ما استشعرت من حذر      هيهات كيد الهوى يستهلك الحذرا  
مكان حبك الافة قدرت      هل يستطيع فى أن يدفع القدرا «  
وقوله :

« مالى ضررك لو سسر بمرآك الحزين

وتلطف لـ صـب حـبـه فـيـك يـحـبـن «

وقوله :

د ماضر لو أنك لى راحم  
يهنيك يأسؤلى ويايفيتى  
تضحك فى الحر وأبكى أنا  
أقول لما طار عنى الكرى  
يا ناعما أيقظنى حـبـه  
وعلى أنت بها عالم  
انك عما أشتكى سالم  
الله - فيما بيننا - حاكم  
قول معنى قدسه هائم  
هـ لى رفادا أيها اللائم «

وقوله :

« هلاجعت - مدتك نفسى غاية  
لاتفسدن ما قد تأكد بيننا  
حاشاك من تضييع ألف وسيلة  
ان أجمه خطأ فقد عاقبتى  
للعن أباعها بجهد الجاهد  
- من صالح - خطرات ظن فاسد  
شجى العدو لها بذنب واحد  
ظلما بأبلغ من عقاب العامد «

وقوله :

« علام اطستك دواعى القلى ؟  
ألم الزم الصبر كيما أخف ؟  
ألم أرض منك بعبير الرضى  
ألم اغتفر موثقات الدنو  
وما ساء طوى فى أن يسىء  
على حين أصححت حسب الضمير  
وصانك منى وى أبى  
وفيم ثمتك نواهى العذل ؟  
ألم أكثر الهجر كى لأمل ؟  
وأبدى السرور بما لم أنل ؟  
بعمدا أتيت بها أم زلل ؟  
بى الفعل حسك حتى فعل  
ولم تنغ مك الأمانى بدل  
لعلق العلاقة أن يبتذل «

وقوله :

« عليك السلام سلام الوداع  
وما باختيار تسليت عنسك  
ولم يدر قلبى كيف التروع  
إلى أن رأى سيرة فامتثل «

إلى آخر هذه القصيدة التى تخلق بك فى جو العاس بن الأحف ، حتى ليخيل إليك أنها من شعره قد ألحقها بديوانه الخافل بهذه الروح الحائرة القلقة .

« يا من غدوت به فى الناس مشتهرا  
قلبي عليك يقاسى الهم والفكرا  
إن غبت لم ألقى إساما يؤنسنى  
وان حضرت فكل الناس قد حضرا «

وانظر إلى قوله وقد هاجته الذكري الى قرطبة :

« سقى الله أطلال الأحبة بالحي وحاك عليها ثوب وثى منمنا  
وأطلع فيها للأزاهير أنجما فكم رملت فيها الحرائد كالدمى  
إذ العيش غص والمان غلام »

وما أروع قوله فى تلك الموشحة الساحرة :

« أهيم بحجار يعز وأخضع شذا المسك من أردانه يتضوق  
أذاجت أشكوه الخوى ليس يسمع ها أنا فى شىء من الوصل أطمع  
ولا أن يرور المقتلين ممام »

الى أن يقول :

« فقل لزمان قد تولى نعيمه ورتت - على مر الليالى - رسومه  
وكم رقيه - بالعنى - سيمه ، ولاحت - لساى الليل فيه نجومه  
عليك من الصب المشوق سلام »

وقوله فى ذكرى قرطة وولادة ومجالس أسه :

« أقرطة العراء ، هل فىك مطمع وهل كد حرى لبيك تنقع  
وهل للياليك الجيدة مرشح اد الحسن مرأى فىك واللهم مسمع  
واد كسف الدنيا ليدىك موطأ »

« أليس عجيبا أن تشط الموى بك فأحيا كأى لم أس هج جنانك  
ولم يلتئم شمعى حلال شعانك ولم يك خلق بدوه من ترابك  
ولم يكتفى -- من بواحيك -- مدشا »

الى أن يقول :

« معاهد أنكمها لعهد تصرما أعص من الورد الجنى وأنعما  
لنسا الصا فيها حبرا ممما وقدنا إلى اللدات جيشا عرمرما  
له الأمن رده والعداوة مرأى »

وقوله :

« أمحواسا للواردى مصادر ولا أول إلا سيئلوه آحر  
وإنى لا اعتاب الزمان لاطر فقد يستقيل الحد ، والحد عاثر  
وتحمد عقيب الأمر مارال يشأ »

وما أبدع قوله :

« وان بلاد هت فيها لأهون ومن رام مثلى بالذنية أدنا . »

الى آخر هذه القصائد العدة التى يفخر بها الأدب العربى والبيان العربى . والتى كان  
البائت الأول على نظمها الحب وصوغها المعنى هم حب ولادة .



## ٥ - أدب ابن زيدون

قلما يظفر الإنسان بأديب عربي يحمل لواء الزعامتين في النظم والنثر ، فإن أغلب ما نشاهده أن يبدع الأديب في أحد النوعين إبداعاً يعطى على إبداعه في الآخر ، أما ابن زيدون فإليك تقرأ نثره فلا تكاد تصدق أن شعره يتساحل إلى مثل هذه المرتبة العالية ، فإذا عدت إلى شعره أنساك إبداعه روعة ما قرأت من نثره ، وهكذا لا تكاد تقرأ قطعة مختارة من شعره أو نثره حتى تملأ نفسك بهجة وسرورا ويسيك سحرها كل شيء آخر . وليس من الانصاف أن نقول إنه شاعر ممتاز حسب أوائره ممتاز فقط ، وما أجدرنا أن نضعه فقول إنه زعيم من زعماء البيان العربي .

لقد قضى ابن زيدون حياته بين الدرس والتحصيل والتجارب والاختصار والاتصال بكبار ساسة عصره ودهاتهم ، وصهر ولله حب ولادة كما أسلفنا ، وحببه إلى وطنه ، وأثر في نفسه الشاعرة الحساسة ما ماترت به الأندلس من جمال التربة وصفاء الجو ، ولقي من السعادة والتعجّل الحسن أشهى وأعذب ما لقي محب ، ثم لقي من لوعة الصدا والهجران أشقى وأمرّ ما لقي إنسان : « حسن أباين لم تستوف أعينها غاياته بأباين من النظر »

ولقد نعم بصولجان السلطة والقوة حيناً من الدهر ثم شقي بالسجن بين الأشرار والمجرمين زماً غير قليل ، ولقي من كيد المنافسين والحساد كما أسلفنا ما لم يلقه أحد . فلا غرو أن تتصافر كل هذه العوامل القوية على حلق الشاعر العظيم . وأنت إذا درست أدب ابن زيدون دراسة مستفيضة رأيته حليفاً بأن يقول كما قال فيلسوف المغرب :

« ماصر في هذه الدنيا بو زمن إلا وعدى من أخارهم طرف »

ولقد ترى في أدبه أمثلة من ثقافة المعري وسعة اطلاعه وتمكّنه من اللغة ، ومخاطبته على أساليبها ، كما ترى فيه أمثلة من صناعة أبي تمام ونظم الجحترى واسترسال ابن الرومي وقوة أداء المتنبي .

وإليك لتقرأ أكثر غرله فيخيل إليك لسهولته أنك تحلق في أجواء العباس بن الأحنف والشريف الرضي والمجنون ، ثم تقرأ أخوابياته فيخيل إليك لاسترساله وافتقانه في ضروب القول ، أنك تقرأ ابن الرومي وهو مخاطب أبا القاسم التوزي بهمزيته المشهورة ، ثم تقرأ رسائله فيخيل إليك أنك تقرأ رسائل الجاحظ في براعة الاستخفاف والنهكم أو رسائل المعري في سعة الاطاعة وكثرة الاستشهاد ، والولوع بالأمثال .

وقد كان ابن زيدون زعيم شعراء عصره في الأندلس فلا غرو أن يكون أدبه أصدق مرآة يتحلى فيها أدب هذا العصر الزاهي وثقافته .

وقد كان يجمع - إلى حسن رويته - قوة الذاكرة وسرعة الدبشة ، ولما يتفق لأديب عمق التفكير مع ذلاقة اللسان ، فقد روى صاحب نفح الطيب محدثاً عن ذلاقة ابن زيدون : أن أبنته توفيت ، وبعد الفراغ من دفنها ، وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليشكر لهم ، فقيل ، إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد ، قال الصفدي : « وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفتن في أساليب الكلام ، وهو أمر صعب إلى الغاية » إلى أن قال - بعد أن قارن بينه وبين واصل بن عطاء في تجنسه الرأ ، وأما ابن زيدون فأقول في حقه : « أقل ما كان في تلك الجنازة - وهو وزير - ألف رئيس ممن يتعين له أن يتشكر له ويضطر إلى ذلك فيحتاج في ذلك إلى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير العاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كده : « ولكنه صوب العقول اذا انبرت سحائب منه أعقت سحائب . » ومهما كان في هذا الخبر من الاسراف ، فان بعضه كاف في الدلالة على فضله . وكان ابن زيدون إلى ذلك إماماً من أئمة عصره حتى قال بعض الأدياء فيه : « من لس البياض وتحنم بالعقيق وقرأ لأبي عمرو وتفق للشافعي وروى شعر ابن زيدون ، فقد استكمل الطرف » .

كامل كيلاني



## في السجن<sup>(١)</sup>

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة الفياصة بالألم واللوعة والحزن ، وهو في السجن ، ولعث بها إلى صديقه الوزير الكاتب أبي حمص بن برد »

مَا عَلَى ظَنِّي بَاسٌ<sup>(٢)</sup> يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُو<sup>(٣)</sup>  
رُبَّمَا أَشْرَفَ بِالْمَرْءِ عَلَى الْأَمَالِ يَأْسُ  
وَلَقَدْ يُنَجِّيكَ إِغْفَاً لَوْ يُزِدِيكَ<sup>(٤)</sup> اخْتِرَاسُ  
وَالْمَحَازِيرُ سِهَامٌ وَالْمَقَادِيرُ قِيَاسُ<sup>(٥)</sup>  
وَلَكُمُ أَجْدَى<sup>(٦)</sup> قُعُودٌ وَلَكُمُ أَكْدَى<sup>(٧)</sup> التَّيَاسُ  
وَكَذَا الدَّهْرُ<sup>(٨)</sup> — إِذَا مَا عَزَّ نَاسٌ — ذَلَّ نَاسٌ  
وَبَنُو الْأَبَامِ أَخِيَا فُ سَرَاهُ وَخِسَاسُ<sup>(٩)</sup>

(١) جاء في فرائد العقيان :

« وله عند فقد الوفاء من آلاءه ، يحاطب أبا حمص بن برد ، وقد حار ولم يجد هادياً ، وصار رهيناً لا يرجو فادياً ، وعلم أن الناس متقلدون ، وعلى من اقلب الدهر متقلدون ، لا يديهم في الشدة إزاء ، ولا يشبههم عن دوى الخطوة رهز ولا انتحاء . »

ما على ظنى باس يجرح الدهر ويأسو

وقد ذكرت بترتيب يخالف هذا الترتيب الذي نقله عن نسخة الديوان .

(٢) ويروى : « ما على ظنى باس » . (٣) يداوى . (٤) وفي رواية : « وبؤدبك اختراس » (٥) جمع قوس : عن يعقوب وأبي عبيد وهو على فعال ، وأصله نواس قلت الواو ياء لمناسبة الكسرة ، وشاهده قول الفائق :

« ووتر الأساور أقياساً صفدية تنزع الأماسا »

(٦) أعى : أو أفاد . (٧) احقق ولم يمز — يقول : كثيراً ما يكون القعود عن المطلب سبباً في الطفر والموز والسمي سبباً في الاخفاق والحرمان ، وقد تهافت الشراء على هذا المعنى كثيراً ، ومن أحسن ما جاء فيه قول ابن دربي :

والسمي في الرق والأرزاق قد قسمت لى ألا إن بى إليه يصعره

(٨) في رواية : « وكذا الحكم » .

(٩) اللاس أخفاف : أي محتلمون ، شريف وحسيس : قال أحد الأعراب : « اللاس أخفاف وشقي في الشيم »

لَبَسْتُ الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ مُتَعَّةٌ ذَلِكَ اللَّبَاسُ <sup>(١)</sup>  
 بَابًا حَفْصٌ وَمَا سَا وَكَ فِي فَهَمٍ إِيَّاسُ <sup>(٢)</sup>  
 مِنْ سَنًا <sup>(٣)</sup> رَأَيْكَ لِي فِي غَسَقٍ <sup>(٤)</sup> الْخَطْبُ أَقْبَبَاسُ  
 وَوَدَادِي لَكَ نَصٌّ <sup>(٥)</sup> لَمْ يُخَالَفْهُ قِيَّاسُ <sup>(٦)</sup>  
 أَنَا حَيْرَانٌ وَلِأَمْرٍ وَضُوحٍ وَالتَّبَاسُ  
 مَا تَرَى فِي مَعْشَرٍ حَا لُوا عَنِ الْعَهْدِ وَخَاسُوا <sup>(٧)</sup>  
 وَرَأَوْنِي سَامِرِيًّا <sup>(٨)</sup> يُشَقُّ مِنْهُ الْمَسَاسُ  
 أَذْؤُبُ هَامَتِ بِلَحْمِي فَأَنْتَهَاسُ <sup>(٩)</sup> وَأَنْتَهَاسُ  
 كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا لِي وَلِلذُّبِ أَعْسَاسُ <sup>(١٠)</sup>

(١) يشير إلى قوله تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور »

(٢) هو القاضي إياس بن معاوية بن إياس المرزولي الفصاح في زمن عمر بن عبد العزيز ، وكان يهزبه  
 به التل في الألفية :

والألمى الذى يطن لك الظن كان قد رأى وقد سمعا

وليس هذا هو من علمه الحريرى بقوله في القامة السامة « عاذا ألعنق ألعبة ابن عباس ، وفراستى فراسة  
 إياس » وعنه أبو تمام في قصيدته السبية بقوله :

اندم عمر في ساحة حاتم في حلم أحب في ذكء إياس

(٣) من سوء رأيك (٤) طرفة (٥) الصم : السد القطوع صحنه والتعب على شئ .  
 وهو في عرف الفقهاء ، مقطوع صحنه فلا يخالفه قياس ، فكأنه يقول : إن وداى مسد إليك ، أو  
 هو موقوف عليك ، أو معين لك ، وقد استعمل الشاعر لفظي الصم والقياس في الشعر ، وهما من  
 مصطلحات الفقهاء عن عادته في ذلك ، وهو يشير بذلك إلى اصطلاح الفقهاء إذ يعتبرون الصم والقياس من  
 ما أحد الأحكام الشرعية ، والأول صريح نطق القرآن أو الحديث ، والثاني إلحاق قضية — لا يصح فيها —  
 بقضية أخرى منصوبة لاشتراكهما في علة حكم الأولى (٦) وفي رواية : القياس

(٧) خابوا (٨) السامري : عظيم من بني إسرائيل عند العجل . قال الكشاف : عوق في الدنيا  
 بفقوه لشيء آدم منها وأوحش ، وذلك أنه مع من مخالطة الناس منعاً كلياً ، وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته  
 ومبايعته ومواجهته وكل ما يماش الناس به معهم ، وإذا من أحد أرحل أو امرأة حم الملبس  
 والممسوس ، فتحلى الناس وتجاهوه ، وكان يصيح في الناس « لا مساس » .

(٩) الانتهاء بالشئ : الأحد بالأضراس ، والسبع : الأحد بقدم الأستان ، وفي رواية : فانتاب وانتاس  
 (١٠) طلب الصيد بالليل ، ومعنى الأبيات أن أعداءه كالذئاب لا ينون عن نهش لحمه ، متظاهرين بالتودد له  
 والاشفاق عليه ، فهم يسألون عن حاله متجسسين ، كما يتجسس الذئب ليتعرف مواطن مرسته .

\* \*

إِنْ قَسَا الدَّهْرُ فَلَمَّا      مِنْ الصَّخْرِ أَنْبَجَاسُ (١)  
وَلَنْ أَمْسَيْتُ نَجْوً      سَا فَلَنْغَيْتُ اخْتِبَاسُ  
يَلْبُدُ (٢) الْوَرْدُ السَّبَنَى      وَلَهُ بَعْدُ أَفْتِرَاسُ

\* \*

فَتَأْمَلْ كَيْفَ يَنْشَى      مُقَلَّةَ الْمَجْدِ النَّعَاسُ  
وَيَفْتُ الْمِسْكَ فِي الثَّرَى      بِ قِيُوطَا وَيُدَاسُ

\* \*

لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرْدًا      إِنَّ عَهْدِي لَكَ آسُ (٣)  
وَأَذِرْ ذِكْرِي كَأَسَا      مَا أَمْتَطْتَ كَفَاكَ كَأَسُ  
وَأَغْتَنِمْ صَفْوَ اللَّيَالِي      إِنَّمَا الْعَيْشُ اخْتِلَاسُ  
وَعَمَى أَنْ يَسْمَحَ الدَّهْرُ      رُ فَقَدْ طَالَ الشَّمْسُ (٤)

(١) أى تشقق يبع منه الماء ، وفى القرآن الكريم : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء » (٢) يلصق بالأرض ملارماً عريضة لا يبرحه والورد من أسماء الأسد ، والدينى الحرى ، ومنه فى صفة أنى لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قول الشماخ :

حزى الله حيراً من إمام وباركت      يد الله فى داك الأديم الممزق  
وما كنت أحتس أن تكون وفاته      نكى سنقى أدرق العين مطرق

والسنقى الهرم أيضاً ، وفى الدحية لابن سمام قوله : يلد الورد السنقى البيت ، كقول الأناضلة :

وقلت يا قوم إن البيت مقصص      على برائته للوثة الصارى

وأحده ابن الرومى فقال :

سكنت سكوماً كان وهماً لوثة      عماس كذاك البيت لاوث يلد

(٣) يقول : لا يكن عهدك كالورد فى سرعة الدبول ، فان عهدى دائم كالآس ، ويمر هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

ولكنى شرت بالورد عهدها ، وليس يدوم الورد والآس دائم

(٤) وفى رواية ثانية : « وقد طال انتباس » ومعنى الرواية الأولى أن عصيان الدهر وتجرده قد طالا .

## ذكرى أيام الوصال<sup>(١)</sup>

« كتب ابن زيدون هذه القصيدة العذبة ، يتحسر فيها على  
اقصاء أيام الوصال ويشكو فيها ما يحسه من الوجد المبرح  
والألم القاسى ، وقد بعث بها إلى حبيته «ولادة بت المستكى»  
أديبة الابدلس العذبة ، يستعطفها ويتلف على أيام  
الوصال الساقطة »

أَضْحَى الثَّنَائِي بِدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا      وَتَابَ<sup>(٢)</sup> عَنْ طِيبِ لَفْيَا مَا بَجَاوِينَا  
أَلَا<sup>(٣)</sup> وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْبَيْنِ صَبَحَنَا      حِينَ فَقَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ نَاعِينَا  
مَنْ مُبْلَغُ الْمُبْسِينَا بِاتِّزَاحِهِمْ      حُزْنَا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَنْبَلِي وَيُئَلِّمُنَا  
أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَارَّالَ يُضْحِكُنَا      أَنْسَا بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا  
غِيظَ الْعِدَامِ نَسَافِينَا الْهَوَى فَدَعَوْا      بِأَنْ نَعْصَ<sup>(٤)</sup> فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا  
فَأَحْلَ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا      وَأُنَبِّتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا  
وَقَدْ نَسْكُونُ وَمَا يُخَشَى تَفَرُّقُنَا      فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا

(١) حاء فى قلأء العقيان :

« ولم يرل يروم دو ولادة فيتعذر ، وباح دمه دونها ويهدر ، لسوء أثره فى ملك قرطبة ووالها ، وقائع  
كان يسبها اليه ووالها ، أهدت بى حور عليه ، وسددت أسنتم اليه ، فلما يس من اقيها ، وحب  
عنه مجها ، كتب اليها يستديم عهدا ، وتؤكد ودعا ، ويعتد من فراقها ما لخطب الذى عشيه ، والامتحان  
الذى حشيه ، وبعلمها أنه ماسلا عنها بحمر ، ولا حنا ما بين صلوعه لها من متب حمر ، وهى قصيدة ضربت  
فى الابداع بسهم ، وطلعت فى كل حاطر ووه ، وزرعت مترا قصر عه حيب واس المهم »

وقد عارض هذه القصيدة كثير من الشعراء - من قنما ، ومحدثين - وقد أنتنا شيئا من ذلك فى غير هذا  
المكان من الكتاب فليرجع اليه من شاء (٢) رواية الديوان « نان » .

(٣) لمة فى هلا ، والحين الهلاك ، والمسى هلا صبحنا الهلاك صديحة يوم العراق - كأل الهجر والموت  
فى نظر الشاعر سيان مادام كلاهما يعمده عن محبه ويهواه بل الموت أروح لأنه فراق اضطرار ، أما  
الهجر فإنه عن احيار (٤) غصن نالما شرق به أو وقفه فى حلقة .

\* \*

يَالَيْتَ شِعْرِي وَلَمْ نُعْتَبِ<sup>(١)</sup> أَعَادِيكُمْ  
لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ  
مَا حَقَّقْنَا أَنْ تَقْرُوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ  
هَلْ نَالَ حَظًّا مِنَ الْعُتْبَىٰ أَعَادِينَا  
رَأْيَا وَلَمْ تَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا  
بِنَا وَلَا أَنْ تَسْرُوا كَاشِحًا فِينَا

\* \*

كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسَلِّبُنَا عَوَارِضُهُ  
بِنْتُمْ<sup>(٢)</sup> وَبِنَا فَمَا أَتَلَّتْ جَوَانِحُنَا  
نَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا  
حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَفَدَتْ  
إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَقَ مِنْ تَأَلُّفِنَا  
وَإِذْ هَصَرْنَا<sup>(٣)</sup> فُؤُودَ<sup>(٤)</sup> الْوَصْلِ دَانِيَةً  
لَيْسَتْ<sup>(٥)</sup> عَهْدُكُمْ عَهْدُ السُّرُورِ فَمَا  
لَا تَحْسَبُوا تَأْيِيدَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا  
وَقَدْ يَمْسِنَا فَمَا لِلْيَأْسِ يُغَيِّرُنَا<sup>(٦)</sup>  
شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَتْ مَا فِينَا  
يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى<sup>(٧)</sup> لَوْلَا تَأْسِينَا<sup>(٨)</sup>  
سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ يِيضًا لِيَالِينَا  
وَمَزِجُ اللَّهُ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا  
فِطَافُهَا فَجَنِينَا مِنْهُ مَا شِينَا  
كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا  
إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا

(١) أعتبه أعطاه العتبى أى أرساه ، يقول : إنا لم نرض أعداءكم ، فهل أنتم كذلك لم ترضوا أعداءنا  
(٢) كنا نطن أن اليأس يسلى ، فما نال بأسا منكم يريدنا ولو عابكم ، وفي هذا المعنى يقول المهزون :

أليس وعدتي يا قلب انى إذا مانت عن ليلى تتوب  
مها أنا تائب عن حب ليلى فذاك كلما ذكرت تذوب

(٣) سدتهم وبعدنا (٤) الحزن (٥) التنزى

(٦) حصر الفصن : إمانته (٧) صروبه وأنواعه أو القود جمع فن ، وهو الفصن وما تشعب  
معه ، فى اللسان (قال أبو الهيثم : القود تكون فى الأصقان ، والأقصان تكون فى الشب ، والشعب  
تكون فى السوق) فكان الشاعر استعمار للوصل أنفاسا بهصرها أى يميلها إليه كلما أراد انتطاب زهرها ،  
واحتناء ثمها (٨) أى سقيا لمعكم عهدا .. أم بالله الذى لا اله الا الله .. الذى لا اله الا الله ..

وَاللّٰهُ مَا طَلَبْتَ <sup>(١)</sup> أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِّنْكُمْ وَلَا أَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

\* \*

يَا سَارِي الْبَرْقِ غَادِ <sup>(٢)</sup> الْقَصْرَ وَأَسْقِ بِهِ  
وَأَسْأَلُ هُنَالِكَ هَلْ عَنَى <sup>(٣)</sup> تَذَكَّرْنَا  
وَيَا نَسِيمِ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا  
فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِينَا مُسَاعِفَةً  
مِّنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوُدَّ يَسْقِينَا  
إِنَّمَا تَذَكَّرُهُ أَمْسَى يُعَانِينَا  
مَنْ لَوْ عَلَى الْقُرْبِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا  
مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَبًّا تَقَاضِينَا <sup>(٤)</sup>

\* \*

رَيْبُ مُلْكٍ كَانَ اللَّهُ أَنْشَأَهُ  
أَوْ صَاغَهُ وَرِقًا <sup>(١)</sup> مَحْضًا وَتَوَجَّهَ  
إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رِفَاهِيَةً  
كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظِلًّا <sup>(٢)</sup> فِي أَكِلَتِهِ <sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّمَا أُثْبِتَتْ فِي صَحْنٍ وَجَنَّتِهِ  
مِسْكًا <sup>(٤)</sup> وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينًا  
مِنْ نَاصِعِ الثَّبَرِ إِبْدَاعًا وَتَحْسِينًا  
تُومُ الْعُقُودِ وَأَدْمَتُهُ الثَّرَى لِينًا <sup>(٥)</sup>  
بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَايِينَا  
زُهْرُ الْكَوَاكِبِ تَعْمُوزِيذًا وَثَرِينًا <sup>(٦)</sup>

(١) وفي رواية : « ما طارت » استحدثت ، بدلا طريفا ، يقسم أنه ما استحدثت هوى حديداً مد

هوى أحبائه ، (٢) ماكره بالعلم أول النهار

(٣) حل شعل من بألمه يذكر ما كان علما يذكره .

(٤) اللَّبَّ في الزيارة أن تكون كل أسبوع ، والمقصود هنا التلقا . يقول الشاعر :

لأننا لم نقف الوصال من الدهر عا ، ولكننا تقا- بيناه الحاج مهمل ترى الدهر - بعد هذا -

يسمعا بالقاء ؟

(٥) ليس هذا المحبوب معلوما من طين أو تراب كسائر البشر كلا ، وإنما هو طينة من المسك ولا زال

الشعراء المحبون يتعالون فيسبحون إلى الآن ، حتى قال بعضهم أعياناً لموتته :

أنت روحانية لا تدعي أن هذا الحسن من طين وماء

(٦) فسه ، يريد أن الله أبدعه ناصع البياض وتوجهه شعر ذهبي (٧) يقول إذا تلى آذنه أي

أثقلته وشق حملها عليه (توم) أي لآلئ العقود وحرخته (البرى) أي الخلائيل ، وذلك لرفاهته

(٨) مرصعة ، جمع كلة : وهي ستر دقيق يقي من العوض

(٩) أي أن حاله استمرار زهر الكواكب لتكون زينة له ، وعمويزه من عيون حاسديه



مَا ضَرَّ أَنْ لَمْ نَكُنْ أَكْفَاءَهُ شَرْفًا      وَفِي الْمَوَدَّةِ كَافٍ مِنْ تَكَاثُفِنَا

\* \*

يَا رَوْضَةَ طَالَمَا أَجْنَتْ لَوَاحِظَنَا      وَرَدًّا جَلَاهُ الصَّبَا غَضًّا وَنَسْرِينَا  
وَيَا حَيَاةَ تَمَلِّينَا <sup>(١)</sup> بِزَهْرَتَيْهَا      مُنَى ضُرُوبًا وَلَدَاتِ أَفَانِينَا  
وَيَا نَعِيمًا خَطَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ <sup>(٢)</sup>      فِي وَشِي <sup>(٣)</sup> نَعْمَى سَحَبْنَا ذِيْلَهُ حِينَا  
لَسْنَا نُسَمِّكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً      وَقَدْرُكَ الْمُعْتَلَى عَنْ ذَاكَ يُغْنِينَا  
إِذَا انْفَرَدْتَ وَمَا شُورِكَتْ فِي صِفَةٍ      فَحَسَبْنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْدِينَا

\* \*

يَا جَنَّةَ ائْتَلِدِ أَبْدِلْنَا بِسِدْرَتِهَا      وَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ زَقُومًا وَغَسَلِينَا  
كَأَنَّكَ لَمْ تَبْتَ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا      وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ <sup>(٤)</sup> مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا  
سِرَانٍ فِي خَاطِرِ الظَّالِمَاءِ يَكْثُمُنَا      حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصَّبْحِ يُفْشِينَا <sup>(٥)</sup>  
لَا غَرَوْ فِي أَنْ ذَكَرْنَا الْحُزْنَ حِينَ نَهَتْ      عَنْهُ التَّهْنِى وَتَرَكْنَا الصَّبْرَ نَاسِينَا  
إِنَّا فَرَأْنَا الْأَمَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا      مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا

(١) تَمَتُّعًا وَنَعِيمًا

(٢) ضَرَّتْهُ وَحَفَضَهُ (٣) فِي نَعْمَى كَالثُوبِ الصَّاقِ دَى الْوَشَى أَى الْفَتَى .

(٤) أَنَامَهُ عَا دِلَمَ يَشِ مَا

(٥) قَالَ ابْنُ بَسَامٍ : وَهُوَ مَعَى مَشْهُورٌ وَهُوَ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

أَرُودُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْمَعُ لِي وَأُنْبَى وَيَبَاسُ الصَّبْحِ يَنْزِي فِي

عَلَى أَنْ أَبَا الطَّيِّبِ أَحَادٌ وَكَرَّرَهُ فِي مَوَاصِعَ مِنْ شَعْرِهِ كَقَوْلِهِ :

لَا تَلْقُ إِلَّا لَيْلٍ مِنْ تَوَاصُلِهِ فَالْشَّمْسُ نَمَاءٌ وَاللَّيْلُ قَوَادِ

وَكُلٌّ مِنْ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ ، فُحْوَالِ اللَّيْلِ دَارٌ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : « اللَّيْلُ أَحَى لِلَّيْلِ »

قَوْلٌ : وَلَمْ تَرِ فِي هَذِهِ الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ بَسَامٍ أَدَقُّ وَأَطْرَفُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ زَيْدَوَيْ :

« سِرَانٍ فِي خَاطِرِ الظَّالِمَاءِ » الْح

أَمَّا هَوَاكَ فَلَمْ نَعْدِلْ بِمَنْهَلِهِ شُرْبًا وَإِنْ كَانَ يُزْوِينَا فَيُظْمِنَا<sup>(١)</sup>  
لَمْ نَجْفُ أَفْقُ جَمَالِ أَنْتِ كَوْكَبُهُ سَالِينَ عَنْهُ وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِنَا  
وَلَا اخْتِيَارًا تَجَبُّنَاهُ عَنْ كَبِ لَكِنْ عَدَّتْنَا عَلَى كُرْمِ عَوَادِنَا<sup>(٢)</sup>  
نَأْمَى عَلَيْكَ إِذَا حُثَّتْ مُشْعَشَةٌ<sup>(٣)</sup> فِينَا الشَّمُولُ وَغَنَانَا مُغْنِينَا  
لَا كَوْسُ الرِّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا سِيمَا أَرْتِيحَ وَلَا الْأَوْتَارُ تُلْهِينَا  
دُوبَى عَلَى الْعَهْدِ - مَا دُمْنَا - مُحَافِظَةً فَالْحُرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا<sup>(٤)</sup>  
فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِسُنَا وَلَا اسْتَفَدْنَا حَبِيبًا عَنْكَ يُغْنِينَا  
وَلَوْ صَبَا<sup>(٥)</sup> نَحْوَنَا مِنْ غُلُومِ مَطْلَعِهِ بَذَرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ حَاشَاكَ يُضَيِّبُنَا  
أَبْيَكِي وَفَاءَ - وَإِنْ لَمْ تَبْدُلْ صِلَةَ - فَالطَّيْفُ يُغْنِنَا وَالَّذِ كُرْمُ يَكْفِينَا  
وَوِ الْجَوَابِ مَتَاعُ إِنْ شَفَعْتَ بِهِ بِيضَ الْأَبَادِي الَّتِي مَازَتْ تُؤْلِينَا  
عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكَ تُخْفِيهَا<sup>(٦)</sup> فَتُخْفِينَا

(١) قال ابن سبام : « وهذا معنى متداول من أشهره قول القائل :

ريق إذا ما ارددت من شره ربا ثناك الريب طمأنا

كالحر - أروى ما يكون القى من شرها - أعطش ما كاما

ولان الروى فيما يباسه من عس الوحوه :

« يارب ريق بات بدر الدحي يمحسه بين ثناياك

يروى ولا ينهك عن شره والماء يرويك وينهك »

(٢) لم تنحه عن كث أى قرب اختياراً ، واسكن صرفنا على كرمه ما شواغلنا .

(٣) مزوجة : أى عزز لعيالك عن مجلسا إذا حثت الشمول للمزوجة (٤) دوى محافضة على

المهد مادما محافظين فالحر المصعب يحزى كما حورى

(٥) مال (٦) أحبيت الشيء أحبيه سترته ، وحبيته أحبيه نأى بمعنى سترته ، وتعنى أطهرته ،

وعلى ذلك فقوله « مخفيا » أى سترها « فتحفيا » بفتح أوله أى تطهرنا ، وشاهد حماه يحميه بمعنى

أطهره . قوله :

فان تكتنوا السر لا نخفه وإن تعشوا الحرب لا تقعد

وقوله تعالى فى قراءه « أكاد أخفيها » بالفتح أى أطهرها . .

## في مدح ابن جهور<sup>(١)</sup>

مَا لِمُذَامٍ تُدِيرُهَا عَيْنَاكَ      فَيَمِيلُ فِي سُكْرِ الصَّبَا عِطْفَاكَ  
هَلَّا مَزَجْتَ لِمَاشِقِيكَ سُلَافَهَا      يَبْرُودُ ظِلْمِكَ أَوْ يَعْذِبُ لَمَّاكَ<sup>(٢)</sup>  
بَلْ مَا عَلَيْكَ وَقَدْ مَحَضْتُ<sup>(٣)</sup> لَكَ الْهُوَى      فِي أَنْ أَفُوزَ بِمُحْظَوَةِ الْمِسْوَاكِ<sup>(٤)</sup>  
نَاهِيكَ ظَالِمًا أَنْ أَضُرَّيَ الصَّدَى<sup>(٥)</sup>      بَرَحًا<sup>(٦)</sup> وَنَالَ الْبُرَى عَوْدُ أَرَاكَ

\* \*

وَاهَا لِعِطْفِكَ وَالزَّمَانُ كَأَنَّمَا      صُبِغَتْ غَضَارَتُهُ<sup>(٧)</sup> يَبْرُدُ صَبَاكَ  
وَاللَّيْلُ مَهْمًا طَالَ قَصَرَ طُولُهُ      هَاتِي وَقَدْ غَفَلَ الرَّقِيبُ وَهَاكَ  
وَإِطَامًا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ فَخِلْتُهُ      شَكُوَايَ رَقَتْ فَاقْتَضَتْ شَكْوَاكَ  
إِنْ تَأَلَّفِي سِنَةَ النَّوْومِ خَلِيَّةً      فَلَطَامًا نَافَرْتِ فِي كِرَاكِ<sup>(٨)</sup>  
أَوْ تَحْتَسِي بِالْهَجْرِ فِي نَادَى الْقَلَى      فَلَكُمْ حَلَلْتُ إِلَى الْوِصَالِ حُبَاكَ<sup>(٩)</sup>

\* \*

أَمَّا مَنَى نَفْسِي فَأَنْتِ جَمِيعُهَا      يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ بَعْضَ مَنَّاكَ  
يَذْنُو بِوَصْلِكَ حِينَ شَطَطَ مَرَارُهُ      وَهَمُّ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلُ فَالِكَ

(١) تصدّى كثير من الشعراء المعاصرين لممارسة هذه القصيدة وقد ذكرنا مراراً من ذلك في غير هذا المكان من الكتاب فليرجع إليه من شاء .

(٢) الظلم : ماء الأسان أو بريقها ، واللمى : سمرة في الشفة (٣) أحلصت

(٤) يقول : ماضرك - بعد أن أحلصت لك الهوى ، ومحضتك الحب أن أفوز منك بمحظوة المسواك .

(٥) العطش الشديد (٦) مشقة وشدة (٧) بهجته . يقول الشاعر : ما أحسن عطفك

فيما معنى والزمان كأنما صبغت بهجته بما كسبت أنت به من رد الشباب (٨) يقول أن تمنادي اليوم

الآن خالية غير مالية بي ، فكثيراً ما أسهدك الهوى ، وعاديت و نوام (٩) احتجى بالتوب اشتغل

والهجي كهدي جمع حبة مثلك الماء ، فكأن الشاعر يقول : إن نخلى في نادى البغض (القلبي) محتببة

أو مشحمة بحبة الهجر ، فكثيراً ما مزعت إلى الوصال ، وحلت لأحلح حاك .

وَأَنْ تَجَنَّبَ الرَّشَادَ بِغَدْرَةٍ لَمْ يَهْوِبْ فِي النَّيِّ غَيْرُ هَوَاكَ <sup>(١)</sup>

✱ ✱

لِلْجَهْوَرِيِّ أَبِي الْوَلِيدِ خَلَاتِقُ كَالرَّوَضِ أَضْحَكُهُ الْغَمَامُ الْبَاكِ  
مَلِكُ يَسُوسُ الدَّهْرَ مِنْهُ مُهَذَّبُ تَذْيِيرُهُ لِلْمَلِكِ خَيْرُ مِلَاكِ <sup>(٢)</sup>  
جَارِي أَبَاهُ بَعْدَ مَا فَاتَ الْمَدَى فَتَلَاهُ بَيْنَ الْفَوْتِ وَالْإِذْرَاكِ  
شَمْسُ النَّهَارِ وَبَذَرُهُ وَنُجُومُهُ أَبْنَاؤُهُ مِنْ فَرْقَدٍ وَسِمَاكِ <sup>(٣)</sup>  
يَسْتَوْضِعُ السَّارُونَ زُهْرَ كَوَاكِبِ مِنْهُمْ تُبِيرُ غِيَابَ الْأَخْلَاكِ <sup>(٤)</sup>  
بُشْرَاكِ بَا دُنْيَا وَبُشْرَانَا مَعًا هَذَا الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ فَكَ <sup>(٥)</sup>

✱ ✱

تُلْفِي السِّيَادَةَ ثُمَّ إِنْ أَضْلَلْتَهَا <sup>(٦)</sup> وَتَنَى فَمَدَّتِ السَّرَوَ <sup>(٧)</sup> فَهَوَ هُنَاكِ  
وَإِذَا سَمِعْتَ بِوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ فَرَّقُ الْمَحَاسِنِ فِي الْأَنَامِ مَذَاكِ  
صَمَصَامُ بَادِرَةٍ وَطَوْدُ سَكِينَةٍ وَجَوَادُ غَابَاتٍ وَجِذْلُ حَكَاكِ <sup>(٨)</sup>

(١) المعنى انت وقعت في المعنى بسبب غدرك في فاني أما لم يهوي في المعنى غير هواك .

(٢) ملك الأمر : مكر المم ، أي قواه الذي يملكه .

(٣) الفرد والملك من الحوم البيرة (٤) هم المسترشدين رأيهم إذا دحت الحوادث أمثال

الحوم الزهر للسايرين في طلمات الليل الهم (٥) وحاء بعد هذا اليب عجز بيت ما نص حكدا : -

(وصفت حمامك واستلذت حناك)

(٦) دعت علك ودت ، وأخطأ اللديا في قوله « بشراك ياديا » .

(٧) الروء والشرف والوصف على فعل يقال سرو سرو وهو سري (٨) اللادرة الحدة ، والجدل

أصل شجرة قطع رأسها أو عود ينصب في العطن لتحك به الابل الحربي يقال هو جدل حكاك ، وم جدال حكاك ، ومنه قول الحارث بن المذرر الأصمري يوم سقبة بني ساعدة « انا حديبها المحكك ، وعديها المرحب » أي إنه يشتقي برأيه وعلمه وتجاربه في الأمور كما تشتق لابل الحربي بهذا الجدل ، ومعنى البيت أنه مصمم كالسيف في العصب ثابت كالطود في الحلم ساق إلى العليات محرب يشتقي برأيه من لابلين مكسره .

طَلَّقُ يُفَنِّدُ فِي السَّمَاحِ ، وَجَاهِلٌ مَنْ يَسْتَشْفُ النَّارَ بِالْمُخْرَكِ (١)

\* \*

صَنَعَ (٢) الضَّمِيرُ إِذَا أَجَالَ يَمْهَرِقُ (٣) يُمْنَاهُ فِي مَهَلٍ وَفِي إِشْكَ (٤)

نَظَمَ الْبَلَاغَةَ فِي خِلَالِ سَطُورِهِ نَظَمَ اللَّائِي الثُّومِ فِي الْأَسْلَاكِ

نَادَى بِمَسَاعِيَةِ الزَّمَانِ مُنَافِسًا أَحْرَزَتْ كُلَّ فُضِيلَةٍ فَكَفَاكَ

مَا الْوَرْدُ فِي مَجْنَاهُ سَامَرَةُ النَّدَى مُتَحَلِّيًا إِلَّا بِبَعْضِ حُلَاكِ

كَلَّا وَلَا الْمِسْكُ النَّمُومُ (٥) أَرْيَحُهُ مُتَعَطِّرًا إِلَّا بِوَسْمِ (٦) ثَنَّاكَ

اللَّهُوُ ذِكْرُكَ لَا غِنَاءَ مُرَجِّعٍ يَفْتَنُ فِي الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْسَاكِ (٧)

طَارَتْ إِلَيْكَ بِأَوَّلِيَّاتِكَ هِزَّةٌ تَهْفُو لَهَا أَسْفًا قُلُوبُ عِدَاكَ (٨)

\* \*

يَأْتِيهَا الْقَمَرُ الَّذِي لِسَنَانِهِ (٩) وَسَنَاهُ تَعْمُو السَّبْعُ فِي الْأَفْلَاكِ

فَرَحَ الرِّيَاسَةِ إِذْ مَلَكَتْ عِنَانَهَا فَرَحَ الْعُرُوسِ بِصَحَّةِ الْإِمْلَاكِ (١٠)

(١) الخشبة التي تحركها النار ، والمعنى أنه ناش الوحه سمع وأن الكرم طبيعة يسه وليس يزيده

تعيد الحاهلين إلا تماديا وكرمه كاللار يزيدها المحرك اشتغالا

(٢) يقال لسان صم ، وشاعر صم ، وبيع صم ، إذا كان حادها ماهراً ، والمعنى أنه كاتب رائع البيان

سيان رويته وإسراعه (٣) محمية (٤) إسراع

(٥) صبة مبالغة من نم اللسك سطح ، والأرجح توهج ربح المسك

(٦) الوسم : العلامة والثناء والملاح - يحاط على لسان الرمان في هذا البيت والذي فله مسامي المدحوح

متبناً أن الورد في مجاه ليس متحلياً إلا ببعض حلاها ، وأن المسك في سطوع أريحه لم يكن متعطراً إلا بـ

السامها بالنشاء (٧) ما اللهو إلا ذكر تلك المسامي لاغناء صرحح يطلق في السماء صوته ويمسكه .

(٨) طارت : أسرعت ، والحطاب المسامي ، والهزّة عرك في نشاط وارتياح ، والمعنى أسرعت إليك أيتها

المسامي مواكب بالأولياء ، وقد حققت لها حزناً بأول الأعداء

(٩) الساء بالدة الرمة وبالقصر البوء (١٠) عقد الكاح

مَنْ قَالَ إِنَّكَ لَسَنْتَ أَوْ حَدَفِي النُّهَى وَالصَّالِحَاتِ فِدَانٌ <sup>(١)</sup> بِالْإِشْرَاكِ  
قَلَدَنِي الرَّأْيَ الْجَمِيلَ فَإِنَّهُ حَسْبِي لِيَوْمِي زِينَةٌ وَعِرَاكِ  
وَإِذَا تَحَدَّثْتَ الْحَوَادِثُ بِالرَّنَا شَرَّارًا إِلَى فَقْلٍ لَهَا إِيَّاكَ <sup>(٢)</sup>  
هُوَ فِي ضَمَانِ الْعَزْمِ يَعْبَسُ وَجْهَهُ لِلخَطْبِ وَالْخُلُقِ النَّدَى الضَّحَّاكَ <sup>(٣)</sup>

\* \*

وَأَحْمَ دَارِيَّ تَضَاعَفَ عِزُّهُ لَمَّا أَهْيَنَ بِمَسْحَقٍ وَمَدَاكِ  
وَالْدَجْنُ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ حَاجِبُ وَالْجَفْنُ مَثْوَى الصَّارِمِ الْفَتَاكِ  
هَنَاتُكَ صَحَّتْكَ أَتَى لَوْ أَنَّهَا سَخَصُ أَحَاوِرُهُ لَقُلْتُ هَذَاكَ  
دَامَتْ حَيَاتُكَ مَا اسْتَدُمْتُ فَلَمْ تَرَلْ تَحْيَا بِكَ الْأَخْطَارُ بَعْدَ هَلَاكِ

### ذكرى ولادة <sup>(٤)</sup>

وَدَّعَ الصَّبْرُ مُحِبٌّ وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ  
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطَا إِذْ سَمِعَكَ  
بَا أَخَا الْبَذْرِ سَنَاءً وَسَنَا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَمَكَ  
إِنْ يَطْلُبُ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَتُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

(١) أى فداك الذى هل لك لست أوجد فيهما فداى بالشرك  
(٢) إذا الحوادث تحدثت بالطر إلى مؤخر عينها ، فقل لها حداد (٣) هو أى ذلك الذى تهم  
الحوادث أن تنظر إليه شرراً فى ضمان عزم المدوح العابس فى وحه الحوادث وفى ضمان حلقة البدى أى  
السخى الساحك عن ثمر الأمان .  
(٤) حاء فى فلانة العقيان :

ولما رحل عنه من كان يهواه ، وفاحأه به ونواه ، فسايره قليلا وماشاه . وهو يتوهم ألم الفراق حتى  
فشاه ، فاستعجل الوداع ، وفى كده ما فيها من الاصداق ، فأمام يومه بحلة المجموع ، وبات ليلته نافر  
المجموع ، يردد المكر ، ويحدد الذكر . فقال :  
وقد عزا صاحب معج الطيب هذه الأبيات الأربعة إلى ولادة .

## بعد الفرار من السجن<sup>(١)</sup>

« بعد أن فرّ ابن زيدون من السجن أرسل يخاطب ولادة  
ويستنهض الأديب أما بكر للشفاة ويستنزل أما الحزم ابن جهور  
وكان ابن زيدون مخفياً بقرطبة . فقال : « . . . . . وبلغنى  
أهلك أحد اللاتمين لى ، ومن أمثالهم : « ويل للشحى من  
الخلّى ، وهان على الأملس<sup>(٢)</sup> ما لاقى الدبر<sup>(٣)</sup> وعلمت أن  
العاجز من لا يستقد<sup>(٤)</sup> ، فالمرء يهجر لا محالة ، ولم أستحز  
أن أكون ثالث الأذلين - العير والود<sup>(٥)</sup> .

وتذكرت أن الفرار من العلم ، والهرب مما لا يطاق من  
سنن المرسلين ، وقد دل تعالى على لسان موسى : « فمررت  
مكم لما خفتكم »

فطرت فى مفارقة الوطن ، فقديمًا صاع الفاضل فى  
وطنه ، وكسد العلق فى معدنه ، كما قال :

أصبح فى معشرى وكم بلد يكون عودا لكاء<sup>(٦)</sup> من حطه  
فاستخرت الله فى إفاذ العرم ، وأنا الآن حيث أمت بعض الأمن  
لأن النى لم يرتفع ، ومادة النى لم تقطع :

شَحَطْنَا وَمَا بِالْأَرَارِ نَأَى وَلَا سَحَطُ وَشَطَّ بَيْنَ نَهْوَى الْمَزَارِ وَمَا شَطُوا<sup>(٧)</sup>

(١) حاء فى فلأند العقيان :

وله عند فراره ، وحروجه من مراره ، وقد أقام بقرطبة متوليا يخاطب ولادة ويستنهض الأديب أما بكر  
للشفاة ويستنزل أما الحزم بن جهور

(٢) الصبح الطهر . (٣) الذى نظره قرحه ، أى أن السليم الطهر لا يحسّ ألم أحبيه  
المفروح الظهر . (٤) يشير إلى النتب المشهورين :

« ليت هسداً أخزتنا ماتمد وشمت أسسا مما تحد  
واستندت مرّة واحدة لعنا العاجز من لا يستقد »

(٥) يشير إلى قول القائل :

ولا يقوم على صيم يراد به إلا الأدلان غير الحى والود  
هذا على الحسف مربوط برمته ودا يشح فلا يرثى له أحد

وابن زيدون يعنى أنه حدير ألا يقيم على الدل ، وأن يتخلص من الصيم بكل ما فى وسعه ، ولله در الشفري  
لأذ يقول : « ولكن تساهرة لا تقيم على الصيم إلا ربنا أتحوّل »

(٦) عود البخور أو ضرب منه (٧) شحطت الدار : تشحط بفتح العين شحطاً وشحوطاً وشطت  
تشط بالضم بعدت . يقول : قوبت دار من أهوى ، ودنا مزارها . لإلأنه قرب فى غاية البعد لاستحالة اللقاء .

أَحْبَابَنَا أَلَوْتَ بِمَحَادِثِ عَهْدِنَا      حَوَادِثُ لَاعَقْدُهُ عَلَيْهَا وَلَا شَرَطُ<sup>(١)</sup>  
لَعَمْرُكُمْ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي قَضَى      بِشَتْ جَمِيعِ الشَّمْلِ مِنَّا لُمُشْتَطُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَمَّا الْكَرَى مُذْ لَمْ أَزْرُكُمْ فَهَاجِرٌ      زِيَارَتُهُ غِيبٌ وَالْمَلَمَةُ فَرَطُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا شَوْقُ مَقْتُولِ الْجَوَانِحِ بِالصَّدَى      إِلَى نُطْفَةٍ زَرْقَاءَ أَضْمَرَهَا وَقَطُ<sup>(٤)</sup>  
بِأَبْرَحَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَدُونَمَا      أُدِيرُ الْمُنَى عَنْهُ الْقَتَادَةُ وَالْخَرْطُ<sup>(٥)</sup>  
وَفِي الرَّبِّزِ الْإِنْسِي أَحْوَى كِنَاسُهُ      نَوَاحِي ضَمِيرِي لَا الْكَثِيبُ وَلَا السَّقَطُ<sup>(٦)</sup>

قال هذه القصيدة عند فراقه من السجن واحتناؤه بقرطبة ، يحافظ بها ولادة عن كثب وهو لا يملكه أن يدنو من دارها ، أو يحف لزارها ، مشفقاً أن يقع فريسة في يد من يعدو عليه أو يسطو ، ملازماً محلاً لا يتحرك ولا يخطو ، حالاً الأديب « أنا بكر » عوضاً من أبيه والقرى ، مستظلاً من أن الحزم ابن جهور العتي ، شاكياً إليه فرط إصمائه ، إلى عصاة الدو ، من أعدائه ، راجياً أن يخرجه من شيمته ، على سابق عاديه ، وأن يحتضنه بالشعاع ، بعد طول اللث والصراعه ، وأن يسد معه بطلته ، وتدهس كبريته قد أنى أن يبعس عن نفسه ذلك الصمط ، فأمره إلى من يدهم القس والسط .

(١) أَلَوْتُ : دهمت ، والعقد أوكد المهود ، والمعنى دهمت بمحيد عهداً حوادث تحرى صروفها على غير ما هوى ونريد ليس ينسا وبمها عهد يؤكده ، ولا شرط محده (٢) الشَّ : التفرق ، والجميع : المجتمع ، والشمل : الاجتماع . يقال جمع الله شملك أى ماتشت من أمرك ، وفرق الله شمله أى ما احتجم من أمره ، ومشتط : أى حائر فيما حكمه به ونهى (٣) الكرى : اليوم ، وزيارته عت : أى يروى يوماً بعد انقطاعه تماماً ، ومنه « ررعاً ، تردد حناً » والالمام مصدر ألم به راره عا ، والفرط :

منتج فسكون الحين . يقال آتبه في المرط ، أى في الحين بعد الحين  
(٤) الحوايح : حايا الصلوع المطلقة على القلب ، والطمة : الماء الصافي وتجمع على نطف ، والوقط : حمر في الصخر يجتمع فيها ماء السماء .

(٥) مأرج بأشد رحا وشدة وعدا من شوقي ، أدبر إلى عنه : أى ما أطاب إلى بتركه والانصراف عنه من قولهم ، أدار فلاناً عن الأمر إذا طلب منه تركه . قال الشاعر :

يديروني عن سالم وأدبرم      وحلدة بين العين والأف سالم

والقتادة شجرة قصيرة ذات قسبان محتمة كل قصيب منها ملآن ما بين أعلاه وأسفله شوكاً كالابر ، وخرط القتادة احتداد شوكها من أعلى إلى أسفل بامرار اليد مقوسة على أغصانها ، وفي المثل « من دون ذلك خرط القتاد » (٦) الرب : السرب من الظباء أو القطيع من بقر الوحش ، والاسى : مقابل الوحشى أحوى في شفتيه حمرة صاربة إلى السواد ، والكناس : مستتر من الشجر للظباء كالبيت للآسان والفرستكن فيه من الحر ، والكثيب الرمل المهدود ، والسقط : مثلث الماء الرقيق من الرمل حيث انقطع معطه



غَرِيبُ فُؤُونِ الْحُسْنِ يَرْتَاحُ دِرْعُهُ      مَتَى صَاقَ ذَرْعًا بِاللَّيِّ حَازَهُ الْمِرْطُ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ فُؤَادِي يَوْمَ أَهْوَى مُوَدَّعًا      هَوَى خَافِقًا مِنْهُ بِحَيْثُ هَوَى الْقُرْطُ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا مَا كِتَابُ الْوَجْدِ أَشْكَلَ سَطْرُهُ      فَمِنْ زَفَرْتِي شَكْلٌ وَمِنْ عَبَرْتِي نَقْطُ<sup>(٣)</sup>  
أَلَا هَلْ أَتَى الْفَتَيَانُ أَنَّ فَتَاهُمْ      فَرِيَسَةً مَنْ يَعْدُو وَهَزَّةً مَنْ يَسْطُو<sup>(٤)</sup>  
وَأَنَّ الْجَوَادَ الْفَائِتَ الشَّوْرَ صَافِينَ      تَخَوَّنَهُ شَكْلٌ وَأَزْرَى بِهِ رَبْطُ<sup>(٥)</sup>  
وَأَنَّ الْحَسَامَ الْمَضْبَ نَارٍ بِجَفْنِهِ      وَمَا ذَمَّ مِنْ غَزِيَّةٍ قَدْ وَلَا قَطُ<sup>(٦)</sup>

\*  
\* \*

عَلَيْكَ (أَبَا بَكْرٍ) بَكَرْتُ بِهِمَّةً      لَهَا الْخَطَرُ الْعَالِي وَإِنْ نَالَهَا حَطُ<sup>(٧)</sup>  
أَبَى بَعْدَ مَا هِيلَ الثَّرَابُ عَلَى أَبِي      وَرَهْطِي فَذَا حِينٌ لَمْ يَبْقَ لِي رَهْطُ<sup>(٨)</sup>  
لَكَ النِّعْمَةُ الْخَضْرَاءُ تَنْدَى ظِلَالُهَا      عَلَى وَلَا جَعْدٌ لَدَيَّ وَلَا قَهْطُ<sup>(٩)</sup>

(١) الدرع : القمص ، والمرط : كساء من خزٍّ وعجوه يؤتز به ، والقميص يحور التهدين والحصر ، والمرط : يحور الردف ، والردف ثقل ، والحصر نخيل (٢) أهوى مال إليه حايا ظهره في حال توديعه ، وهوى الفرط ، وهو مالمق في شجة الأذن ، سقط متديلا مهوى يؤاده معه حافيا (٣) أسكل سطره من أشكل عليه الأمر اختلط ولم يبين ، والشكل والنقط تعييد الكتات محركات الأعراب ، وإعجابه ليظهر معناه . يقول إذا أشكل على من أهوى كتاب الوحد أوضحته له بما أصعبه من رمفات ، واستدحه من عبرات (٤) الفتيان يريد بهم فتیان قرطه ، والهمزة : الصبيد المعروض لمن سطو عليه ويقتنعه (٥) الشأو : العابه ، والصابس : الذي يقوم على ثلاث ويثنى سديك يده الرابع تخونه وتخوته : تنقصه ، ومنه قوله تعالى : « أو يأخذهم على تخوف » ، وشاهد تخونه معني تنقصه قول لبيد : عدافرة تمص بالرداق تخونها نزول وارتمال أي نقص لهم وشعبها وشكل الدابة : شدقوا نملها بجمل ، وأزرى به : أهانه وحقره (٦) الحسام المصص : السيف القاطع ، وثاو مقيم : يرطأه كالصبيد المجد في حصه ، وما عيب من غريبه : أي حده تد ، وهو القاطع طولاً ولاقط ، وهو القاطع عرضاً . (٧) بدأ يحاطب الأديب (أبا بكر) ويستنصحه ، ويذكر يده عنده . يقول : إن لي همة طالية لها خطرهما بكرت بها عليك وتفت بك قديما ، وإن نالها إلآن انحطاط بعد علو . (٨) أت أي بعد فقد أبي وأنت وحدك رهطلي حين لم يبق لي رهط . (٩) غمط النعمة عطفاً لم شكها أء . لك عدى النعمة الخضراء التي تظلي ، والتي مارأت أشكرها ولا أكبرها وأكبرها ولا أحقرها

وَلَوْلَاكَ لَمْ تَتَّقَبْ زِنَادُ قَرِيحَتِي      فَيَقْتَمِبَ الظُّلَمَاءُ مِنْ نَارِهَا سِقْطُ<sup>(١)</sup>  
وَلَا أَلْفَتْ أَيْدِي الرَّيِّعِ بَدَائِعِي      فَمِنْ خَاطِرِي نَظَمٌ وَمِنْ زَهْرِهِ لَقَطُ<sup>(٢)</sup>  
هَرِمْتُ وَمَا لِلشَّيْبِ وَخَطُ بِمَفْرِقِي      وَكَأَنَّ لِشَيْبِ الهَمِّ فِي كَبِدِي وَخَطُ<sup>(٣)</sup>  
وَطَاوَلَ سُوءَ الْحَالِ نَفْسِي فَأَذْكَرْتُ      مِنَ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ طَاوَلَهَا الْقَحْطُ<sup>(٤)</sup>  
مِثُونَ مِنْ الْأَيَّامِ خَمْسٌ قَطَعْتُمَا      أَسِيرًا وَإِنْ لَمْ يَبْدُ شَدُّ وَلَا قَطُ<sup>(٥)</sup>  
أَتَتْ نِي كَمَا مَيَّصَ الْإِنَاءُ مِنَ الْأَذَى      وَأَذْهَبَ مَا بِالثَوْبِ مِنْ دَرَنِ مَسْطُ<sup>(٦)</sup>  
أَتَذْنُو قُطُوفُ الْجَنَّتَيْنِ لِمَعْشَرٍ      وَغَايَتِي السَّدْرُ الْقَلِيلُ أَوْ الْخَمْطُ<sup>(٧)</sup>

(١) لم تتق: أى لولاك لم تظهر بار ، فربحى الشبهة بالمراد فى الايراد ، ويتب العلماء يأتى عليها ويلاشبها ، والسقط : مثل الماء ساكن العين ما سقط من الارباع الرديين . يقول : لولاك لم تدك فربحى فيظهر عند اقتداحها ما تتهب العلماء . (٢) نظم : نظم الحب والساك ، والمقط : القامه - أى ولولاك (أبا بكر) ما ألفت بدائعى مدد الربيع ، وهو يلقط من غراس الزهر ما أظله فى سلك الحاطر . (٣) الوحط : نشو الشيب ، واختلاط بياضه بسواد الرأس ، والمرق : وسط الرأس ، وهو موضع فرق الشعر من الحين إلى الدائرة ، والمعنى لم أشب شيب الكبرة ، ولما شئت شيب اله . (٤) يقول أن مطاوله سوء الحال بقده ذكرته بحال الروضة الغناء طال عليها أمد القحط . (٥) القمط : ما قط الأسير ، وهو أن يجمع بين يديه ورجليه محمل أو غوه ، والمعنى أنه قطع حمله يوم قرطه أسيراً ، ولكن لا قيد ولا غل لأنه كان محتوما متواريا عن الأنظار . (٦) اللوس : العسل ، وميص الثوب : غسل بالأصابع ، ومسقط الثوب : مله ثم تحريكه لاستخراج ما به والدرن : الوسع ، والمعنى حانت نى أيام الخوف والاعتقال عند نهايتها معسول الدب كما غسل الامام من الأذى ، والثوب من الدرن . (٧) السدر : البق ، والخط : كل بنت أحد من الرارة طعما فلم يمكن أكله - يشير بهذا إلى قصة الحنتين فى قوله تعالى - فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بحنثين حتى ذواتى أكل حط وأئل وشئ من سدر قليل - ووصف السدر بالقله لكونه أحسن شئ فيما بدلوا ، والعرم بفتح فكسر ، والسكر : بكسر فسكون ، والمساة : بهم ففتح فنشديد اللون كلها - كما يؤخذ من اللسان والكشاف - أسماء للسدر يدعى لحبس ماء العيون والأمطار ويترك فيه فتحات توضع عليها أبواب لاطلاق الماء على حسب ما يحتاجون إليه فى سقيهم ، وقد ورد ذكر المساء فى بعض قصائد الديوان . يمثل فى هذا البيت حاله بحال ساء إذ أعرضوا عن الشكر ، غرّب الله حنثين بسيل العرم وأبدلها عنهما الخط ، والأئل والقليل من السدر ، ومعنى البيت : أيموز قيرى بالعمى ولا أكاد أطر ما نافه الحق .

وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَغُرَّنِي الْمُنَى      وَلِلْغُرِّ فِي الْعُشْوَاءِ مِنْ ظَنِّهِ خَبْطٌ<sup>(١)</sup>  
أَمَّا وَأَرْتَنِي النِّجْمَ مُوْطِئٌ أَخْصِي      لَقَدْ أَوْطَأَتْ خَدَيَّ لِأَخْصٍ مِنْ يَحْطُو<sup>(٢)</sup>  
وَمُسْتَبْطِلُ الْعُتْبَى إِذَا قُلْتَ قَدْ أَنَى      رِضَاهُ تَمَادَى الْعُتْبُ وَأَتَصَلَ السُّخْطُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا زَالَ يُذْنِنِي وَيُذِي قَبُولَهُ      هَوَى سَرَفٍ مِنْهُ وَصَاحِيَهُ فَرَطُ<sup>(٤)</sup>  
وَنَظْمُهُ ثَمَاءٌ فِي ظِلَامٍ وَلَايَةٍ      تَحَلَّتْ بِهِ الدُّنْيَا لِأَلَايَةِ وَسَطُ<sup>(٥)</sup>  
عَلَى خَضِرِهَا مِنْهُ وَشَاحٌ مُفْصَلُ      وَفِي رَسَمِهَا تَاجٌ وَفِي جِيدِهَا سِمَطُ<sup>(٦)</sup>  
عَدَا سَمْعُهُ عَنِّي وَأَصْنَعِي إِلَى عَدَى      لَهُمْ فِي أَدْبَى كَلَمًا أَسْتَمَكُنُوا عَطُ<sup>(٧)</sup>  
بَلَقْتُ الْمَدَى إِذْ قَصَرُوا - فَعَلُّوهُمْ      مَكَايِنُ أَصْغَانِ أَسَاوِدُهَا رُقُطُ<sup>(٨)</sup>

(١) البراءة الذي لم يشرع الأمور ، وفي التثنية : « هو يحط خط عسواء » يضرب للذي يرك رأسه ، ولا يهتم بامانة امره ، كالباه العشواء التي يحط بيدها كل ما مرت به لهوء نصرها ، والعشواء : هياطمة المال لا لالباه ، يريد أن طبعه حمله على الاعتراف بالمالي ، خط لمرارته في عشواء من طبعه أى في طاعة وليس . (٢) أما حرف للاستعجاح معنى ألا ، ولتحقيق الكلام الذي يتلوه معنى حقا ، والأخمس طعن اعدم الذي لا يلدق لأرض عند الوطء . يقول : حقا لقد أوطأت خدي لسكنى واطئى في حال أها أرتى مما مضى اللحم موطئاً أخصى (٣) العتبى : الرضا ، والعب : السخط ، وفي رواية : « قد أنى » (٤) صاعده الرجل من يلم به ويمشى مجلسه من أهله وحاشيته ، وفرط يريد ههنا أنهم يعرطون عليه في القول أى يسرفون ، والمعنى وما زال يقربى منه هوى متجاوز حد الاعتدال وبعد قبوله حاسية مسرفة في الدول . وقد جرى في هذا البيت على أسلوب اللف والسير المرتب ، وهو يرى أن ممدوحه مسرف في هواه فهو يذنبه لذلك وان حاشديه مسرفون في الوشاة به فهو يثبته عنه لما يسمعه من وشايتهم المتكررة (٥) أى وما زال يقربى منه نظم ثناء أحبهه في نظام ولاية كأنه المقد الممس محلت به الدنيا كل أولوة منه حذيرة أن تكون واسطة المقد لمعاستها .

(٦) أى على حصر الولاية من طبعه وشاح معصل ، وفي رأسها تاج مرصع ، وفي جيدها سمط من لؤلؤ (٧) الأديم : الجلد ، والبط : شق الثوب طولا أو عرضا من غير إمامة ، والمعنى صرف ابن جهور سماعه عى وأصمى إلى أعداء كلما تمكنوا من عرضي قدوه كما يتد الأدم وشقوه كما يشق الثوب .

(٨) المدى : الباه ، والأدسان : الأحقاد ، والأساود ، الحيات ، والرقط : جمع رقطاء ، وهى التي في ألونها سواد وبياض ، والمعنى بلغت العاية التي قصروا عنها ممكن في قلوبهم من الأحقاد ما شبه الحيات الرقط التي تمت السموم القفلة

يُؤْلُونِي عُرْضَ الْكَرَاهَةِ وَالْقَلَى      وَمَا دَهَرُهُمْ إِلَّا النَّفَاسَةُ وَالْعَمَطُ<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ وَسَمُونِي بِأَتِي لَسْتُ أَهْلَهَا      وَلَمْ يُنِنَ أُمَّتَالِي بِأُمَّتَالِهَا قَطُ<sup>(٢)</sup>  
فَرَزْتُ فَإِنْ قَالُوا الْفِرَارُ إِرَابَةٌ      فَقَدْ فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبِطُ<sup>(٣)</sup>  
وَإِنِّي لَرَاجٍ أَنْ تَعُودَ كَبَدُهَا      لِي الشِّيمَةُ الزَّهْرَاءُ وَالْخُلُقُ السَّبْتُ<sup>(٤)</sup>  
وَحِلْمُ أَمْرِي تَعْفُو الذُّنُوبُ لِعَفْوِهِ      وَتُنْحَى الْخَطَا بَابًا مِثْلَ مَا يُحْيِي الْخَطُ<sup>(٥)</sup>  
فَمَا لَكَ لَا تَخْتَضُّنِي بِشَفَاعَةِ      يُلُوحُ عَلَى دَهْرِي لِمِسْمَاهَا عَمَطُ<sup>(٦)</sup>  
يَنِي بِنَسِيمِ الْعُتْبَرِ الْوَرْدِ نَفْحَهَا      إِذَا شَعَشَعَ الْمِسْكُ الْأَحْمَ بِهِ خَلَطُ<sup>(٧)</sup>  
فَإِنْ يُسْعِفِ الْمَوْلَى فَنُعْمَى هَنِيئَةً      تَنْفَسُ عَنْ نَفْسِ الظِّبْيِ ضَعْفُ<sup>(٨)</sup>  
وَأِنْ يَأْبَ إِلَّا بَضَ مَسْطُوطَ فَضْلِهِ      فَنِي يَدِ مَوْلَى فَوْقَهُ الْقَبْضُ وَالنَّسْطُ

(١) وفي رواية: العمط والمعنى يعملونني استعمل منهم ناحية الكراهة والدهس ، وليس منهم أحد الدهر (إلا العاصية) من بس عليه فاشتهى بساً به وكره أن يسلم إليه ، و (العمط) . من عبط الرجل يسطه غطا من باب ضرب حسده ، ومن معابيه أيضاً تنبى الوصول إلى نعمة عبرك من غير أن تروى عنه .  
(٢) أي جعلوني معروفا بالنسبة والنسبة المعينة التي لست متأهلاً لها ، والتي ما مني أي أبلي بها أمتالي وما مضى .  
(٣) إرابة . سب في الريبة والشك والاثهام ، والمعنى فمرت من السجن ، فان دلوا إن في الفرار ما يحل علي متهماً ، وقد مرّ من بس من القبط حين أسروا به وهما يقتله بشير إلى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « فدررت منك لما حمتك »

(٤) السط : السهل . (٥) اللبيم : المسكواة بوسمها المعبر ، والعلط : الوسم عرساً في العرق يقول : لماذا لا ترضى عني وتمحى شعاعك لأنفك بها على دهرى وأذله وأدمه في فمها دفعة بيدة الأثر ببط أو خطين أو خطوط . (٦) المعبر : الطيب المعروف ولوه أسود ، وطلق المعبر اسماً على الرعمران ، وهو المراد هنا ، والورد حمرة تضرب إلى حمرة حسنة ، وشعشع : مزج ، والأحم : الأسود من كل شيء ، أي ببى مزج هذه الشعاع براحة الرعمران الورد إذا مزج بالمسك الأسود .

(٧) تنفس : تترج ، وألط بها - وفي رواية : أظ بها - لارمها . قال أبو العلاء :

ألطوا ناطقبع وتاسوه ولو أمروا به لحنوه

أي لارم الناس القبيح عباداً منهم حين نهام الله عنه ولو أمرهم به لدعهم عنادهم إلى تكبيته، صعد : أي صبق

## في مدينة بطليوس <sup>(١)</sup>

يَا دَمْعُ صُبْ مَا شِئْتَ أَنْ تَصُوبَا <sup>(٢)</sup>  
وَبَافُؤَادَى أَنْ تَذُوبَا

إِذِ الرَّزَايَا أَصْبَحَتْ صُرُوبَا <sup>(٣)</sup>

لَمْ أَرِ لِي - فِي أَهْلِهَا - ضَرْبَا <sup>(٤)</sup>

قَدْ مَلَأَ الشَّوْقُ الْحَشَا نُدُوبَا <sup>(٥)</sup>

فِي الْعَرَبِ إِذْ رُحْتُ بِهِ غَرِيْبَا

عَلِيلَ دَهْرٍ سَأَنِي تَعْذِيْبَا <sup>(٦)</sup>

أَذَنْ <sup>(٧)</sup> النَّصْنِي إِذْ أَبْعَدَ الطَّيْبَا <sup>(٨)</sup>

||

لَيْتَ الْقَبُولَ <sup>(٩)</sup> أَحَدَنْتَ هُبُوبَا

رِيحُ يَرْوُحُ عَهْدُهَا قَرِيْبَا <sup>(١٠)</sup>

بِالْأَفْقِ الْمُهْدَى إِلَيْنَا طِيْبَا <sup>(١١)</sup>

(١) مدينة كنية من مدن الأندلس تقع على قِطْنة. وهذه الأرحورة تذكرنا بالأرحورة المشهورة : « دُع المطايا تسم الحمويا » الخ (٢) اسك يا دمع ما شئت أن تنسك ، والأصل في الصوت رول المطر ، والفعل صاب يصوب والأمر صب . قالوا : وكلّ نازل من علوّ إلى أسفل فقد صاب ، ومنه قوله « كأنهم صابت عليهم سحابة » . (٣) أسفا . وفي رواية : إن الرزايا (٤) طير أو مثيلا . يقول : اسك يا دمع فقد صبت عليك ألوان من المصائب والآلام لم تصب على أحد من المرثيين . (٥) آثار الحروح إذا لم ترتفع عن الخلد ، ومنه قول الفرزدق : ومكمل ترك الحديد ساقه ندما . من الرسفان في الأححال

(٦) أعرص دهر قد حشمي دلّ الاعترا بوسامي سوء العذاب . (٧) وفي رواية : أعي الصبي (٨) قرب الدهر من السقام في وقت أهد فيه عي الطبيب . (٩) ما يستقلك بين يدك من الريح إذا وقتت في القلة . (١٠) أي يكون رواحها تحمله الريح من المطر قريبا ، والعهد هنا معناه المطر الأول الذي يليه الوسمي . (١١) أي متصلا بالأفق الذي طالما أهدى إلينا من ناحية الحبيب طيبا .

تَعَطَّرْتُ مِنْهُ الصَّبَا جُيُوبًا  
يُبْرِدُ حَرَّ الْكَبِدِ الْمَشْبُوبَا<sup>(١)</sup>

\* \*

يَا مُتَّبِعَا إِسَادَهُ<sup>(٢)</sup> التَّأْوِيَا  
مُشْرِقَا قَدَّ سَلَمَ الْمَغْرِبَا  
أَمَّا سَمِعْتَ الْمَثَلَ الْمَضْرُوبَا  
أَرْسَلَ حَكِيمَا<sup>(٣)</sup> وَاسْتَشِيرَ لَيْبَا

\* \*

إِذَا أَتَيْتَ الْوُطْنَ الْحَبِيبَا  
وَالْجَانِبَ الْمُسْتَوْصَحَ<sup>(٤)</sup> الْعَجِيبَا  
وَالْحَاضِرَ<sup>(٥)</sup> الْمُنْفَسِحَ الرَّحِيبَا  
فَحَيَّ<sup>(٦)</sup> مِنْهُ مَا أَرَى الْخُنُوبَا

(١) بطل ذلك الغائب الذي تعطرت به حبوب الصبا كذا مذو به فيها إيراق الشوق. وفي الأصل «المشوبا»

(٢) الأساد سير الليل كله لا تهرس فيه ، والتأوي : سير النهار كله لا تهرس فيه .

(٣) وفي روايه : أرسل حلما .

(٤) الماحوث عه أو الذي يستوصحه الزاكن أى يستشرمه ويستكمه ، أن يضع كفه على عيبه في الشمس لينظر هل يراه . (٥) الحاضر : صدّ البادى . (٦) مرتط بالآيات قبله . يقول : أيها المواصل سير الليل كله سير النهار كله مشرقا قد ملّ السير إلى الحباب الذي أنى مرسلك في حاجة ، ومتنع المثل المشهور :

إذا كنت في حاجة مرسلًا فارسل حكيمًا ولا توسه

. وإن باب أمر عليك التوى فتاور لبنا ولا تعصه

ذلك أنك إذا أتيت فرك الوطن المحبوب ، والحاب للأهول والحاضرة العسيحة غنى مما قد ترى الخنوب حيث يقيم الحبيب ، وقوله : ما رأى حملة معتزلة وحدث هكذا وحرر .

مَصَانِعُ <sup>(١)</sup> تَجْتَذِبُ <sup>(٢)</sup> الْقُلُوبَا  
 حَيْثُ أَلْفَتْ الرَّشَا الرَّيْبَا <sup>(٣)</sup>  
 مُخَالِفًا <sup>(٤)</sup> فِي وَصْلِهِ الرَّيْبَا  
 كَمْ بَاتَ يَنْدَرِي <sup>(٥)</sup> لَيْلُهُ الْغَرِيْبَا  
 لَمَّا أُنْذِنِي فِي سُكْرِهِ قَضِيْبَا  
 تَشْدُو <sup>(٦)</sup> حَمَامٌ حَلِيْهِ تَطْرِيبَا  
 أَرْسُفُ مِنْهُ الْمُبْسِمُ الشَّدِيْبَا <sup>(٧)</sup>  
 حَتَّى إِذَا مَا أُعْتِنِي لِي مُرِيْبَا <sup>(٨)</sup>  
 سَبَابُ أَفْقِي هَمٌّ أَنْ يَشِيْبَا  
 بَادَرْتُ سَعِيَا ، هَلْ رَأَيْتَ الدُّيْبَا ؟ <sup>(٩)</sup>

(١) ديار وأسية وقصور . قال ليد .

ولينا وما تلى السحوم الطوالع وتبقى الديار بعدما والمصانع

(٢) تجذب . (٣) الرشا : التي إذا قوى وتحرك وشى مع أمه ، والربب : المرئي من قولهم

صبي مرب ورب . وفي رواية : اللدا

(٤) من المخالفة بمعنى عدم الموافقة أو من قولهم جاء فلان خلاف صاحبه ومخالفته إذا أتى بعده مخالفاً له .

(٥) يندري يحتال من قولهم دريت إلى أي احتلت له وحملت حتى أصيده ، والغريب : الشديد السواد

ومعنى الأبيات تلك دور ومصانع تجذب القلوب إليها ألف فيها الرشا المتربي في حجر البعثة محالفاً أي آتياً في غفلة الرقيب ، ويكثر ما بات يحتال ليله الشديد السواد ليصيب منه عرّة ويغتاس منه غفلة .

(٦) نعي ، استعار شدو الحمام لوسوسة الحلي (٧) أُرشف : كاشعر وأضرع مصارع رشف

الماء والريق ونحوهما رشفاً ، وهو المسمّى والنقبيل وشر الماء ثقبلاً قليلاً ، والمسم ، المقبل ، والشيب : صفته مأخوذ من الشب وهو رد وعدوة في الأسنان . قال ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لعمى وفي اللثا وفي أنيابها شب

(٨) اعتنى : اعترض ، ومريبا : دارب . (٩) يقول في هذا البيت والأبيات قبله : بت ناعما

ليلتي بالعناق والنقبيل حتى إذا اعترضني مارابي من سواد أفق وشك أن يصفحه سوء الصبح بادرني الطريق أسمى ، هل رأيت الذئب ، يزيد : هل رأيت الذئب في خفته وسرعة عدوه وفزازه ويحيى : أنه قد در فرار الذئب .

هَصْرَتُهُ <sup>(١)</sup> حُلُو الْجَنَى رَطِييَا

\* \*

أَهَا جَرِي أُمُّ مُوسَى تَأْنِيْبَا  
مَنْ لَمْ أُسِغْ مِنْ بَعْدِهِ مَشْرُوبَا <sup>(٢)</sup>  
مَا ضَرَّهُ لَوْ قَالَ لَا تَثْرِيَا <sup>(٣)</sup>  
وَلَا مَلَامَ يَلْحَقُ الْقُلُوبَا  
فَدَ طَالَ مَا تَجَرَّمِ الذُّنُوبَا <sup>(٤)</sup>  
وَلَمْ يَدْعُ فِي الْمُدْرِ لِي نَصِيْبَا

\* \*

إِنْ قَرَّتِ الْعَيْنُ بَانَ أَعْوَا <sup>(٥)</sup>  
لَمْ آلْ أَنْ أُسْتَرْضَى الْغَضُوبَا  
حَسْبِي أَنْ أُحَرَّمَ الْمَغِيْبَا  
فَدَ يَنْفَعُ الْمَذْنِبَ أَنْ يَتُوبَا

يوم بوصل ساعة

بِاللَّهِ خُدْ مِنْ حَيَاتِي بَوْمَا وَصَلْنِي سَاعَةً  
كَثِيْرًا أَنَالَ بِقَرَضٍ مَا لَمْ أَتَلْ بِشِفَاعَةٍ

(١) أملتة إلى وعظمتة على وهو جواب لما .

(٢) هل هذا الحبيب الذي عصمت به ، ولم أحد بعده ، ساعا للشراب إلى حلقى هاجرى أو موسى

لوما وتثريا . (٣) أى صرر عليه إذا هو قل العذر وى اللام والعتاب .

(٤) كثيرا ما ادعى على دنوبا لم أعلما (٥) يقوله فى هذا البيت والذى بعده : إِنْ قَرَّتِ الْعَيْنُ

بالروح إلى الوطن بذلت جهدى فى استرجائه ، وكهناى أن أحرّم على منى ترك هذا الوطن وأتوب  
فقد تنفع توبة اللدب .



## في عيد الأضحى<sup>(١)</sup>

« لما حلّ ابن زيدون من المعتصد بالمكان الذي حلّ ، وانتكت  
عقد شدائده واحلّ ، تسلت نفسه من شجوها ، وحت إلى صفا  
« ولادة » وحجوها ، وتذكرها وما تناسها ، وعادته لوعتها  
وأساها ، وحن إليها حين من حيل بيه وبين ما يشتهي ، وقنع  
باهداء تحية تلح إليها وتنتهي . فقال يتعزل فيها ويمدح المعتصد<sup>(٢)</sup> : »

أَمَّا فِي نَسِيمِ الرِّيحِ عَرَفْتُ مُعَرَّفُ      لَنَا هَلْ لِدَاتِ الْوَقْفِ بِالْجَزْعِ مَوْقِفُ<sup>(٣)</sup>  
فَنَقَضِي أَوْ طَارَ الْمُنَى مِنْ زِبَارَةٍ      لَنَا كَلَفُ مِنْهَا عَمَّا تَسْكَفُ<sup>(٤)</sup>  
ضَمَانُ عَلَيْنَا أَنْ تَرَارَ وَدُونَهَا      رِقَاقُ الظُّبَا وَالسَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفُ<sup>(٥)</sup>  
وَقَوْمٌ عِدَى يُبْذُونَ عَنْ صَفَحَاتِهِمْ      وَأَزْهَرُهَا مِنْ ظُلْمَةِ الْحِفْدِ أَكْلَفُ<sup>(٦)</sup>  
غَيَارَى يَعْثُدُونَ الْغَرَامَ جَرِيرَةً      بَهَا وَالْهُوَى ظُلْمًا يَغِيظُ وَيُؤْسِفُ<sup>(٧)</sup>

(١) هو أضحى سنة ٤٤٥ هـ . وهذه القصيدة من ضمن قصائده التي يمدح بها المعتصد ، وقد ذكر طرفاً منها ابن ساس في الدخلة ، ونقد بعض أبياتها ، وذكر طائفة منها كذلك صاحب تلأذ القيان في ضمن ما ذكره من طرف ابن زيدون وأحاربه ، وفقره وأشعاره . (٢) تلأذ القيان .  
(٣) أما استهزاء به بمعنى التبي ، والعرف : الريح الطبا ، والجزع : منقط الوادي ، والوقف : السوار - من العاج وغيره - قال حران المود الحميري :

كوقف العاج من دكي مسك تحيء له من اليمن الدجار

أو هو الخلل من الفتنة وغيرها . والمعنى : لب لنا في هبوب نسيم طيب رائحة يعرفنا هل المحوبة وائمة يمكن وقوفها من معطف الوادي نقض الخ . وفي رواية : يعرف .

(٤) المعنى : هل لها وقفة بالبحر فيقضي حادث النفس من رياراة لا ولع عما تجشمه من مشقة التعرض لها .  
(٥) الطبا : جمع طبة ، وهي حد السيف ، والسهمري : الريح ، والمثقف : المسوى بالثقاف ، وهي حشه فيها حرق توضع فيه الرماح لتسوية ما اعوج منها ، أي نحن صامبون على أنفسنا أن تزار ، ودون ريارتها طبا السيوف الرقيقة ، وأسنة الرماح الصلبة ، وفي بعض النسخ عزير علينا أن تزار .

(٦) أي ودون الوصول إليها أصلاً قوم معادون يظهر ما يحفونه من العداوة والشر على وجوههم ، والمشرق المضيء من تلك الوجوه أكلف أي به كلف وسواد من طلبة الحقد .

(٧) غيارى وغيارى - بهج العين وصهما - كسكارى وسكارى جمع غياران من عار الرجل على امرأته يعار غيرة ، والجريرة : الدب والحياة يحياها الرجل على نفسه أو يحرقها على غيره ، ويؤسف : كيفص وزناً ومعنى ، ومنه قوله تعالى « فلما تأسفونا انتقمنا منهم »

يَوْدُونَ لَوْ يَدْنِي الْوَعِيدُ زَمَاعَنَا وَهَيْهَاتَ رِيحِ الشَّوْقِ مِنْ ذَاكَ أَغْصَفُ<sup>(١)</sup>  
يَسِيرُهُ لَدَى الْمُشْتَاكِ فِي جَانِبِ الْهَوَى نَوَى غُرْبَةٍ أَوْ مَجْهَلٍ مُتَعَسِّفُ<sup>(٢)</sup>  
هَلِ الرُّوعُ إِلَّا غَمْرَةٌ تَنْجَلِي أَمِ الْهَوَى إِلَّا غَمَّةٌ شُمُ تُكْشَفُ<sup>(٣)</sup>  
وَفِي السَّيْرَاءِ الرَّقْمِ وَسَطَ قِبَاهِهِمْ بَعِيدُ مَنَاطٍ الْقُرْطِ أَحْوَرُ أَوْطَفُ<sup>(٤)</sup>  
تَبَايَنَ خَلْقَاهُ ، فَعَبَلُ مُنْعَمٌ تَأَوَّدَ فِي أَغْلَاهُ لَدُنْ مُهْفَفُ<sup>(٥)</sup>  
فَلَمَّا نَكَحَ الْمُزْتَجَّ مَا حَازَ مِزْرُ وَلِلْفُضْنِ الْمُهْتَزِّ مَا ضَمَّ مِطْرَفُ<sup>(٦)</sup>  
حَبِيبُ إِلَيْهِ أَنْ نُسْرَ بَوْضَلِهِ إِذَا مَحْنُ زُرْنَاهُ وَهَيْهَاتَ وَنُسْعَفُ  
وَلَيْلَةٌ وَافِيْنَا الْكَنْيَبَ لِمَرْعَدِ سُرَى الْإِنِّ لَمْ يَعْلَمْ لِسْرَاهُ مَرْحَفُ<sup>(٧)</sup>

(١) الوعيد : التهديد والتخويف ، والرمال : ما فتح النوى في أمر الرياسة والعزم عليه ، وأغصفت : تفضيل من عصفت الزح تعصف بالسكر وهي غاصت أى شددت تعصبي ما سرت ساحة من تراب ونحوه ، أى يودون لو يصرفوا تهديدهم عما أهداه من أمر زيارت تلك الحساء التي حارون عليها ، وهيهات أن يصرفوا عن ذلك صارف ، وان ربح الشوق أشد مصيبا بنا إلى ما نحبهم من هديدهم ووعيدهم .

(٢) يقول يسير عليها في حب الهوى الاعترا بواغتناف الاحمال

(٣) الروع . الخوف ، والعمره : الشدة .

(٤) السيرة . كسر مفتوح نوع من الرود يحاطه حرير كالسور ، ويقال ثوب رقم إذا رقم أى كتب عليه ثمة ، أو اسم التاجر ، وماط القرط معلقة ، وأحور : وصف من حور العين . وهو شدة سواد المقلة في شدة بياضها ، وأوطف : طويل شعر أهداب العين ، وفي الأصل أوطف ، والمعنى أن حبيبه التي تلتس تلك الحلة السيرة الثمينة تقيم وسط باب الأعداء وهي بعيدة . هوى القرط أى ضوطة الدق ، في عديها حور ، وفي أهدابها وطف . (٥) عل : أى ردق صحن تام ، ومعهم . من السعة والراحة ، وعدم الاتهام في عمل البيت ليوهم الحدم ، ويلزم ذلك المبالاة والامتلاء ، وتأود : نفي ، ولدن أى عص لى ، ومهيهات أى حصر دقيق نازل ، يقول : تبايت حقة أسفله وأغلاه ، فردف تذل وحصر تحيل .

(٦) العانك : من الرمال ما تقعد وارتفع ، وفي الأصل : المانك . والمثمر : معروف وهو ما يشد على الوسط ، والمطرف - وهي مثلة المم - من ثياب الخز ما جعل في طرفيه علما ، ونجم على مطارف ، أى ملك كتيب الرتج ما حواه المثمر ، ولانص المهر ما صبه للمطرف . (٧) وافينا الكنيب : أى توافينا

على موعد في الكنيب : والسرى : السير بالليل ، والأين : الأعياء والتعب ، والمزحف العاة وهو من الرحف وهو الشئ قليلا قليلا ، أو المراد به هنا أثر الشئ ومنه نهجف الحية ، وهو أثر اسياها في الرمل قال الشاعر :  
مكان مزاحف الحيات فيه "قبل الصبح آثار السط"

تَهَادَى أَنَاةَ الْخَطْوِ مُرْتَاعَةَ الْحَشَا      كَمَا رِيحَ يَعْفُورُ الْفَلَا الْمُتَشَوِّفُ<sup>(١)</sup>  
فَمَا الشَّمْسُ رَقَّ الْغَيْمُ دُونَ إِبَاتِهَا      سِوَى مَا أَرَى ذَلِكَ الْجَبِينَ الْمُتَنَصِّفُ<sup>(٢)</sup>  
فَدَيْتُكَ أَنَّى زُرْتِ تُورِكِ وَاصِحُ      وَعِطْرُكَ نَمَامٌ وَحَلِيكَ مُرَجِفُ<sup>(٣)</sup>  
هَبِيكَ أَعْتَرَزْتَ الْحَىِّ وَاشِيكَ هَاجِعُ      وَفَرْعُكَ غَرِيبٌ وَلَيْسَ لَكَ أَغْضَفُ<sup>(٤)</sup>  
فَأَنَّى أَعْتَسَفْتَ الْهُوَلَ خَطْرُكَ مُدْمَجُ      وَرِدْفُكَ رَجْرَاجٌ وَخَصْرُكَ مُخْطَفُ<sup>(٥)</sup>  
لِحَاجٍ، تَهَادَى الْحُبُّ فِي الْمَعْشَرِ الْعِدَا      وَأُمُّ الْهُوَى الْأَفْقُ الَّذِي فِيهِ نُشْنَفُ<sup>(٦)</sup>  
وَأَنْ تَلْقَى السَّخْطَ - عَانِيَنِ بِالرَّضَى      لِعَيْرَانٍ أَجْنَى مَا يَرَى حِينَ يَلْطَفُ<sup>(٧)</sup>  
كَفَاءً مِنَ الْوَصْلِ النَّجِيَّةِ خُلْسَةً      فَيَوْمِي طَرْفُ أَوْ بَنَانٍ مُطَرَّفُ<sup>(٨)</sup>

(١) تهادى أصله تهادى أى تسمى في تمايل وسكون ، وأناة الخطو . منتدة الخطو وصعها بالمصدر ، وهو الأناة بمعنى اللؤدة للعامة ، ومرتاعة الحشا : معرعة القلب ، وريح : فرع وأجيب ، واليعفور : الغاي والمتشوف : المتطلع . وفي بعض النسخ المشرف ، وهو الذى يرفع رأسه . وعند بصره لينظر إلى الشيء .  
(٢) إياة الشمس - بالكسر والفتح - حسنها وصورها ، وإياة هى الشمس أيضا ، قال أبو العلاء :

وبعض العالم من بعده لولا إياة لم يكن سحت

أى لولا الشمس لما كان القمر ، والمتنصف . الذى عليه السيف وهو الحجاز ، أى لست الشمس يستر اليم الرقيق حسنها وصورها إلا ما أراه ذلك الحين من حسن يبدو من حل السيف .

(٣) وفي بعض الروايات : قعيدك وهو مصدر منصوب لبيانه عن العمل والقدير سألت الله حمدك من قوله تعالى « عن النبي وعن الشمال قعيد » أى حفيظ ، والمتعمل قعيدك الله . مثل عمرك الله ، وهو مصدر منصوب أيضا باب عن الفعل تقديره عمرك الله بالشديد ، ومعناه هنا : ملازمك ، ومرحب : من أرحب إذا تحرك واضطرب ، ويصح أن يكون من أرحب بالنساء المحلول فهو مرحب ، وفي بعض النسخ بدل قعيدك قديتك . (٤) هيك : قال هك فعلت ، وهيك فعلت كذا ، ولا يقال هك أك فعلت ، ولا هى أك فعلت ، والمعنى احسبى وأعددى ، واعتزرت الحى : حبته وحزنت به على غير علم ، ومرعك عريب : شعرك شديد السواد ، وأعصف حالك السواد ، يقال ليل أعصف إذا ألبس ظلامه .

(٥) مدمج : داخل بعضه في بعض ، ومخطف : صاصر يقال فرس مخطف الحشا : أى صامره .

(٦) نشنف : نفيس ، والمعنى أمرى لحاج فقد تهادى في حب من أهواه إلى المعشر العدا ، وقصد الهوى : المكان الذى فيه أمقت وأنفست . (٧) المعنى والحاج أيضا أن تتحمل السخط ، وقد عابا ردا صاحب غيرة يشتد حفاؤه وتغلظته ، حين يطل لطفه ورقته . (٨) النان : المطرف الذى طرف بالحاء .

خَلِيلِيْ مَهْلًا لَا تَلُوْمَا فَإِنِّيْ  
فَاعْنَفْ مَا يَلْتَقِي الْمَحِبُّ لَجَاجَةً  
وَإِنِّي لَيْسَتْهُوَ بَيْنِي الْبَرْقُ صَبْوَةً  
وَمَا وَلَعِي بِالرَّاحِ إِلَّا تَوْهُمْ  
وَتَذَكِّرُنِي الْعِقْدَ الْمُرْنَ مَجَانَهُ  
فَمَاقِلَ مَنْ أَهْوَى طَوَى الْبَذَرِ هَوْدَجْ  
وَلَا قَبْلَ «عَبَّادٍ» حَوَى الْبَحْرِ مَجْلِسْ  
فَوَادِي أَيْفُ الْبَثِّ وَالْجِسْمُ مُذْنَفْ  
عَلَى نَفْسِهِ فِي الْحُبِّ حِينَ يُعْنَفْ  
إِلَى بَرْقٍ ثَغْرِ إِنْ بَدَا كَادَ يَخْطَفْ  
لِظَلْمٍ بِهِ كَالرَّاحِ لَوْ يُتَرَشَّفْ<sup>(١)</sup>  
مُرْنَاتُ وَرَقِي فِي ذُرَا الْأَيْكِ تَهْتَفْ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا صَانَ رَيْمُ الْقَفْرِ خِذْرٌ مُسَجَّفْ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا تَحْمِلُ الطَّوْدَ الْمُعْظَمَ رَفْرَفْ<sup>(٤)</sup>

(١) لظلم به : أي ما شعر في البت قلبه . فان في اللسان ، والظلم . إنشاء الذي يحرق وظهر على الاسنان من صماء اللون لامن الريق كالنمرود حتى يتحول لك فيه سواد من شدة البرق والصفاء . قال كعب بن رهير :

تخلو عواردي ظلم إذا انشمت كأنه مهمل بالراح معلول

لو يترشف : لو هال لامي ، وفي معن الدشح إذ يترشف ، والترشف : من الماء قليلا قليلا . قال ابن سنام :  
« أراه بت أي الطبيب وما شرق باله إلا تذكر الماء به أهل الحب نزول

(٢) المرن : اسم فاعل من الأرناب ، وهو الصوت الحزين ، والحمان : حب تنجد من صغار النواو ، أو من العفة أمثال النواو ، ولورق : جمع ورقاء وهي الخامة التي لوها بين السواد والعبرة وهي ما تسمى في عرف أهل مصر : ليامة ، وفي مثل هذا يقول الشعر المحسن حسان العود النجدي .

ثم هاجي حمام ورق بالمدية هـ

والأيك : جمع أيبكة ، وهي شجر الكثير اللب ، وتهتف : توح . (٣) الهودج : ما ترك فيه المرأة يكون مقصا وغير مقب ، وفي معن الدشح بدل صان صم ، والريم : التي الخالص الياس ، والخدر المسح : ما على كل مدخل أو نافذة من بوابه سحفاً أي ستران بينهما يتوق كالمصراعين .

(٤) ( ولا قبل عباد ) هو المعصود لله أبو عمر عاص الطاهر المؤيد بالله أني انقسام محمد بن إسماعيل قاضي اشبيلية يدهى سنة إلى النعمان بن المنذر آخر ملوك الحامية ، وهو صاحب قرطبة وأشبيلية وما والاها من جزيرة الأندلس ، ولي الملك بعد وفاته أنه الطاهر محمد بن إسماعيل القاسي سنة ٤٣٣ هـ وكان هو وابنه المعتمد أوسع ملوك الطوائف ملكا ، وأشدهم بأسا ، وأكثرهم عددا وعددا ، وكان المعتمد دما ذكره ابن سنام صاحب الدحية قط رحى العنة ، ومنتهى غاية الحجة في بلاد الأندلس ، وإلى سياسته يعزى السب في تلك الحروب الطاحنة التي نشبت بين ملوك الطوائف واستعان بعضهم على بعض فيها بالعدو الذي انتهز فرصة ضعفهم ، وتفرق كلتهم فعمل على إزالة ملكهم ، وإحراج المسلمين من بلادهم - والردف - الفرش والديبط ، وكل ما أعد للخلوس ، وفي العريل العربي « متكئين على رفوف حضر » وهو جمع رفوفه ورفارف جمع الجمع . قال ابن سنام : وهذا البيت للفسطي . بمحلته حيث يقول في ابن أبي عامر :

وكيف أسوى ماله والبحر مجلس وقام بمه الواسسيات سرير

هُوَ الْمَلِكُ الْجَمْعُ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ      تَكْفُ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ وَتُصَرَّفُ<sup>(١)</sup>  
 مُهَامٌ يَزِينُ الدَّهْرَ مِنْهُ وَأَهْلُهُ      مَلِكٌ قَفِيهِ كَاتِبٌ مُتَفَلِّسٌ  
 يَتَّبِعُهُ بِمِرْقَاهُ سَرِيرٌ وَمِنْبَرٌ      وَيَمْحَدُ مَسْعَاهُ حُسَامٌ وَمُصْحَفٌ  
 رَوِيَّتُهُ فِي الْحَادِثِ الْإِذْ لِحَظَةٌ      وَتَوْفِيقُهُ الْجَالِي دُجَى الْخَطْبِ أَخْرَفُ<sup>(٢)</sup>  
 يَنْدِلُ لَهُ الْجَبَّارُ خِيفَةً بِأَسِيسِهِ      وَيَعْنُو إِلَيْهِ الْأَبْلَجُ الْمُتَغَطِّفُ<sup>(٣)</sup>  
 حِذَارَكَ - إِذْ تَبَغَّى عَلَيْهِ - مِنْ الرَّدَى      وَذُونَكَ فَاسْتَوِفِ الْمَتَى حِينَ تُنْصِفُ  
 سَتَعْتَامُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالتَّوَى      كِتَابٌ تُرْجَى أَوْسَفَانُ تُجَدِّفُ<sup>(٤)</sup>  
 أَعْرُ مَتَى نَدْرُسُ دَوَاوِينَ مُجَدِّهِ      يَرْفُنَا غَرِيبٌ مُجْمَلٌ أَوْ مُصَنَّفُ<sup>(٥)</sup>  
 إِذَا نَحْنُ قَرَضْنَاهُ قَصَرَ مُطْنِبُ      وَلَمْ يَتَجَاوِزْ غَايَةَ الْقَصْدِ مُسْرِفُ<sup>(٦)</sup>

(١) الحمد . قال في اللسان « والحمد إذا ذهب به مذهب المدح له معيان مسبحان ، أحدهما : أن يكون معصوب الخوارج ، شديد الأسر والخلق غير مستريح ولا مضطرب ، والثاني : أن يكون شعره جعدا غير مسطح ، لأن سوطه الشعر هي العالة على شعور العجم من الروم والفرس ، وعوده الشعر هي العالة على شعور العرب ، فإذا مدح الرجل الحمد لم يخرج عن هذين الميعين » الخ مقال في الحمد على كلا الاعتبارين المدح أو الذم فانه ، والمعنى هو الملك المحتجم الخلق الذي ليس رهلا مسترحي الأعضاء ، أو الحمد الشعر ، أو الكريم الذي في طله وكشفه تكف غير الحوادث وصوره الدهر وتردها عن أن تقصد المستظليين طله بالسوء .

(٢) الاد العظيم ، والتوقيع . ما يكتبه الملك في الكتاب من حل قصيرة ، وأحرف يسيرة ، لانهاد أو امره ، وإمضاء شؤون دولته ، والمعنى تكثيره في الحادث العظيم العظيم الداعي سريع لاحتياج إلى تريت ، وعدم تعجل ، وتوقيعه السكاشف طلبة الخطوط كتابات قليلة جامعة لمصوم ما يريد إيماده .

(٣) الأبلج : الأبيس ، والمتغطف : السيد السرى المختال في مشيته .

(٤) ستحاتهم : ستحاتهم ، والنوى : الهلاك ، وترسى : تساق وتسير ، وتحذف تدفع بالحاديب .

(٥) أعز كريم الأعمال وصاحبها ، وندرس : أى متى نرس أنفسنا على قراءة ماسطر في دفاتر محده ، يرقنا : أى يصحسنا الخ ، وفي الأصل : « متى ندرس » ، والغريب : العامس البعيد عن الفهم ، والمحمل : المحتاج إلى التفسير والبيان ، والمصب : المبرز مصه من نعبس ، والمبين حقاؤه وإجماله .

(٦) قرظناه : من التقرظ وهو المدح والثناء ، وأصله من تفرظ الخلد أى دبته بالقرط ، والمطلب : المسبب منه ، والعمل ، والقصد : بالتوسط والاحتدال .

وَأَزْوَعُ لَا الْبَاغِي أَخَاهُ مُبْلَغُ<sup>(١)</sup>      مُنَاهُ وَلَا الرَّاجِي نَدَاهُ مُسَوَّفُ<sup>(٢)</sup>  
 مُمِرُّ الْقَوَى لَا يَمْلَأُ الْخَطُّ صَدْرَهُ      وَلَيْسَ لِأَمْرِ قَانِتٍ يَتَلَهَّفُ<sup>(٣)</sup>  
 لَهُ ظِلُّ نُعْمَى يَذْكُرُ الْهَمُّ عِنْدَهُ      ظِلَالُ الصَّبَا بَلْ ذَاكَ أُنْدَى وَأَوْزَفُ<sup>(٤)</sup>  
 جَحِيمُ لِعَاصِيهِ يُسَبُّ وَقُودُهُ      وَحَنَّةُ عَذَنِ الْمُطِيعِينَ تَرْلَفُ<sup>(٥)</sup>  
 تَحَاسِنُ ، غَرَبُ الدَّمِّ عَنْهَا مُفْلَأُ      كَهَامُ ، وَشَمْلُ الْمَجْدِ فِيهَا مُوَلَّفُ<sup>(٦)</sup>  
 تَنَاهَتْ فَعَقِدُ الْمَجْدِ مِنْهَا مُفَصَّلُ      سَنَاءُ وَرُزْدُ الْهَجْرِ مِنْهَا مُفَوَّفُ<sup>(٧)</sup>  
 طَلَافَةُ وَخْهِ فِي مَضَاءٍ كَثَلُ مَا      يَرُوقُ فِرْنَدُ السَّيْفِ وَالْحَدُّ مُرْهَفُ<sup>(٨)</sup>  
 عَلَى السَّيْفِ مِنْ تِلْكَ الشَّهَامَةِ مَيْسَمُ      وَفِي الرَّوْضِ مِنْ تِلْكَ الطَّلَافَةِ زُخْرُفُ<sup>(٩)</sup>  
 سَجَايَا لَيْلٍ وَالْأَهْ كَالْأَرَى نُجْتَى      تَعُودُ لَيْلٌ عَادَاهُ كَالشَّرَى يُنْقَفُ<sup>(١٠)</sup>  
 يُرَاقِبُ مِنْهُ اللَّهُ « مُعْتَصِدٌ » بِهِ      يَدُ الدَّهْرِ يَقْسُو فِي رِصَاةٍ وَيَرَأْفُ<sup>(١١)</sup>

- (١) الأروع : لدى يروك حده ، ومعك مرآه ، ومعنى سائر الـ ب ليس لدي معنى له مثلاً : بالغ مناه ، وليس الذي يروح يده مؤخر عطفه . (٢) الممر : الحبل الذي أحده منه ، والقوى : طاقاته . يد أنه مستحكم القوى وليس رجوا ضعفاً يملأ أهول صدره فرجا ، وأبى على ما طاه نلهاً وبحسرا . (٣) الهم : الشج : الكبر العز ، يعنى أن الشجع الهم يذكر عند استلاله ظل معاه الوارف أنه في ظل الشاب الذي المندمل إن ظل معاه أكثر دوة وودوا وامدداً . (٤) راب : تقرب ، وفي البريل العرر « وأرهف الحبة المعقن » أى قرب . (٥) العرب : أحد ، معقل : فيه كسور ، وكهام : كليل ناب عن الصرية لا يقطع . (٦) النساء : الرمة ، ورد معوف : رقيق من سج النسي . (٧) فرند السيف : جوهره وماؤه الذي يجرى فيه وطرائفه ، والمعنى : يعلو وجهه ماء كمرند السيف المتفرق ، مع مصا عرم كحده المرهب في الصمير والقطع ، وفي رواية « طلائع محد » (٨) ميسم أنز وعلاء . وفي الأصل : « من تلك الطلائع مطاف » (٩) الأرى : العسل ، والشرى : الحنظل ، وسقف : أى يشق لأحد ما في داخله قال امرؤ القيس :  
 كاني عداة اليب يوم تحملوا      لدى سمرات الحى نافط حنظل  
 (١٠) يد الدهر : مدى الدهر ، قال أبو العلاء :

فيا ليتنا عشا حياة بلا ردى      — يد الدهر — أو نأتمت بلا نثر  
 ومعنى البيت أنه يرأف ويمس دائماً في سبيل مرصاة الله وحده ، ويقال أيضاً يد الحياة ، قال أبو العلاء :  
 لو كنت لى أمر بطاوع لم يشن      طهر الطريق — يد الحياة — مجم

فَقُلْ الْمُلُوكُ الْحَاسِدِيهِ مَتَى أَدْعَى      سِبَاقِ الْعَتِيقِ الْفَائِتِ الشَّأْوِ مُقْرِفِ<sup>(١)</sup>  
 أَلَيْسَ « بَنُو عَبَّادٍ » الْقِبْلَةَ الَّتِي      عَلَيْنَهَا لِأَمَالِ الْبَرِيَّةِ مَعَكْفُ<sup>(٢)</sup>  
 مُلُوكُهُ يَرَى أَحْيَاؤَهُمْ فَخَرَّ ذَهْرَهُمْ      وَيَخْلُفُ مَوَاتَهُمْ ثَنَاءً مُخْلَفُ<sup>(٣)</sup>  
 بِهِمْ بَاهَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءُ فَأَوَّجُهُ<sup>(٤)</sup>      سُمُوسُ وَأَيْدِي مَن حَيَا الْمُنْزَاوِ كَفُ<sup>(٥)</sup>

\* \*

أَسَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّسٌ      وَتُجْزِلُ حَظَّ الْحَمْدِ وَهُوَ مُسَقِّفُ<sup>(٥)</sup>  
 لَعَمْرُ الْإِدَا الْمُسْتَدْرِجِيكَ بَرِغْمِهِمْ      إِلَى غِرِّهِ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ تُكْشَفُ<sup>(٦)</sup>  
 لَكَالُوكِ صَاعِ الْعَدْرِ لَوْثُ سَجَبَةٍ      وَكَيْلَ لَهُمْ صَاعُ الْجَزَاءِ الْمُطَقَّفُ<sup>(٧)</sup>  
 لَقَدْ حَاوَلُوا الْعُظْمَى الَّتِي لَا شَوَى لَهَا      فَأَعْجَبَهُمْ عَقْدُ مَن أَلْهَمَ مُحْصَفُ<sup>(٨)</sup>

(١) العتق : الحبيب الكريم من الخيل ، والشأو : النايه ، والمقرف : المحبب وهو الذى أمه ردونة وأبوه ردى أو العكس . (٢) معكف مصدر ميعى بمعنى المعكوف أى إقامة وملازمة .

(٣) أى بنو عبادة ملوك رى الناس أحياءهم مفجرة الزمان ، ومخلف من بعد مواتهم ذكر حسن وثناء موروث يتحدث به الناس ، وثناؤه الخلف عن السلف .

(٤) الحيا : المطر ، والمرن : السحاب ، وأوكف : أهطل وأغرر والمعنى : فاحرتهم الأرض السماء فوحوهم أنهى طلعة من البريات ، وآثار نعمهم ، وصرن أيديهم أغرر وأهطل من السحب الهاطلات .

(٥) معممس : ملبس بملوعس جهته مظلم لا يدرى من أين يؤتى له ، وممصف : مارل من أسف الظائر إذا دنا من الأرض ، والمعنى : يا من بعالك المحبده أبنت معى المحد في حل كونه عامصا ملتصقا ، وأحزلت بآسمارك الحبيدة حط الحمد على حين حط عيرك منه حقير ، وحواب الداء فى الأبوات بعده .

(٦) لعمر العدى : يقسم بخيانهم متهمكاً للإشارة إلى إحقاقهم فيما حاولوا ، المستدريجك : أى الذين حاولوا فى رعمهم أن يتدرجوا بك قليلا قليلا على عرة ، ويأحدوك على عملة إلى ما تكاد له الشمس تكسف لحرأئهم ، وهول ما أقدموها عليه . (٧) لكالوك : أى لقد كالوك من لؤم سحبتهم صاع العدر ، وكلتهم صاع الجزاء والعسوقه على غدرهم ، والمطقف : فى الأصل المقوص المحسوس من طيف الكيل بقصه وبجسه ، وقد يستعمل بمعنى الواقى وهو المراد هنا .

(٨) لعد حاولوا العظمى : أى الفتكة العظمى ، التى لا شوى لها : أى التى لا تصيب الأطراف ولكن تصيب المقاتل ، وأعجلهم عقد : أى رأى وتبين من همك وعزمك ، محصف : محكم سديد لاحتلال فيه .



وَلَمَّا رَأَيْتَ الْغَدَرَ هَبَّ نَسِيمُهُ      تَلَقَّاهُ إِعْصَارُ لِبَطْشِكَ حَرْجَفُ<sup>(١)</sup>  
أَظُنُّ الْأَعَادِيَ أَنَّ حَزْمَكَ نَأْتِمُ      لَقَدْ تَعَدَّى الْفَسَلُ الظُّنُونُ فَتُخْلِفُ<sup>(٢)</sup>  
دَوَاعِي نِفَاقٍ أَنْذَرْتُكَ بِأَنَّهُ      سَيَاشِرِي وَيَذْوِي الْعُضُوءُ مِنْ حَيْثُ يُشَافُ<sup>(٣)</sup>  
تَحَمَّلْتَ عِبَاءَ الدَّهْرِ عَنْهُمْ وَكُلَّهُمُ      بِنِعْمَاكَ مَوْصُولُ التَّنْعَمِ مُتَرَفُ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ يَكْفُرُوا النِّعْمَى فَلَنَكْ دَنَارُهُمْ      بِسَيْفِكَ قَاعُ صَفْصَفِ الرَّسَمِ تُنْسَفُ  
وَطَى الثَّرَى مَثْوًى يَكُونُ قُضَارُهُمْ      وَإِنْ طَالَ مِنْهُمْ فِي الْأَدَاهِمِ مَرَسَفُ<sup>(٥)</sup>  
وَبُشْرَاكَ عَيْدُ بِالْمُشْرُورِ مُخْلَلُ      وَبِالْحَظِّ فِي نَيْلِ الْمُنَى مُتَكَنَّفُ<sup>(٦)</sup>

(١) اللسيم : الريح تهب هبوبا هيبا ، والأعصار . الريح الشديدة التي تهب من الأرض ، وشبه العاصف يرتفع كالعمود إلى نحو السماء ، وهي التي تسمى بالروعة ، وفي المثل « إن كنت ربحاً فقد لافيت إعصاراً » يصر للرحل يلقي نده في السالة والقوة ، والخرجف . البارد وصف بها الأعصار . وفي الأصل « خرجب » (٢) الفسل : الرذل الدناء الأحمق ، والنمى لم يتحقق طع الأعادى أن تدبرك ناء عن كيدهم وعددهم وكثيراً ما تعد الضنون الحق الأردان فتحلهم .

(٣) يشرى العصور . أى يظهر عليه ورم وقروح جراح إلى الكى ، ويدوى . يدل ويدسر ، ويشاف أى تكوى شأفته أى قرحته لندف بالكى ، والنت تمثيل لخل طائفه سم فيها العاق والشر مكاب بالعمو الرئيس له الداء فلم يكن بد من معالجته الكى لاستئصال شأفته ، وفي رواية « يدوى العصور » (٤) أى كفيهم مؤووه السعى ، وجمعت عنهم العبد ، مكاهه في ظل حماك دائم النعم والتوف .

(٥) قضارهم . يقال نصرك وقضارك وقضارك أن تفعل كذا أى عاينك ، والأداهم . القيود أحوادها جمع أداهم وتسمى بالأساود أيضاً ، والمرسف . مصدر يمس من الرسفان وهو مسى القيد ، أى أن هؤلاء الأعداء سيكون ما لهم أن يتوتوا في الحبس ، بعد أن تطول عليهم مدته .

(٦) انتقل إلى ذكر مطهر من مظاهر الدولة عند خروج الملك اصطلاح العيد ، وترتب المملكة في ذلك على ما يؤخذ من مسح الأعشى أن يبادى في طامة اللد ، وأهل الأسواق ليلة العيد فيخرج أهل كل ساعاة بظاهر اللد ، ويسحق أهل كل سوق حاجية ، متحلبين بأحسن الثياب ، وكل منهم متبك موساً أو مقلد سيناً ، ومع أهل كل سوق علم يختص به ، عليه ريك أهل تلك الساعاة بما يناسبهم ، ويكر الملك بالركوب فيرك ومن يميحه ويساره فارسان ، وممسك تركايه رحلان مقلدان سبيحيين ، ويرك المسكر معه ميمنة وميسرة ، ويصطف الناس صفواً يشقون قدامه ، والمالوح حلفه ملتفون به ، والأعلام مشورة وراءه ، والطبول حمله حتى يصل إلى العيد ، ثم يعود فيصرف طامة الشعب ويمد السباط فيحضر طعانه حواصه وأعيان مملكته ، ومعنى البيت أنه يمشى به بالعيد : يذله السرور ، ويكنفه الحظ بلوغ المنى .



بَشِيرٌ بِأَعْيَادِ ثَوَافِيكَ بَعْدَهُ      كَمَا يَنْسُقُ النَّظْمَ الْمَوَالِي وَيَرْصُفُ<sup>(١)</sup>  
تَجَرَّدَ فِيهِ سَيْفُ دَوْلَتِكَ الَّذِي      دِمَاءُ الْعِدَى دَأْبًا بِغَرَبِيهِ تُطْلَفُ<sup>(٢)</sup>  
هُوَ الصَّارِمُ الْمُغْضِبُ الَّذِي الْعَزْمُ حَدُّهُ      وَحَلِيَّتُهُ بَذْلُ النَّدَى وَالْتِمَافُ<sup>(٣)</sup>  
هُمَامٌ سَمًا لِلْمَلِكِ إِذْ هُوَ يَافِعُ      وَتَمَّتْ لَهُ آيَاتُهُ وَهُوَ مُخْلَفُ<sup>(٤)</sup>  
كَرِيمٌ يَمُدُّ الْحَمْدَ أَنْفَسَ قِنِيَّةٍ      فَيُولَعُ بِالْفِعْلِ الْجَبِيلِ وَيُشْغَفُ<sup>(٥)</sup>  
غَدَا بِجَمِيسٍ يُقْسِمُ الْغَيْمُ إِنَّهُ      لِأَحْقَلٍ مِنْهَا مُكْفَهَرًا وَأَكْمَفُ<sup>(٦)</sup>  
هُوَ الْغَيْمُ مِنْ زُرْقِ الْأَسِنَّةِ بَرَقَهُ      وَلِلطَّبْلِ رَعْدٌ فِي نَوَاحِيهِ يَقْصِفُ

\* \* \*

فَلَمَّا قَضَيْنَا مَا عَنَّا أَدَاؤُهُ      وَكُلُّنَا بِمَا يُرْضِيكَ دَاعٍ قُلْحِفُ<sup>(١)</sup>  
قَرْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ حَمْدَكَ إِنَّهُ      لَأَوْكَدُ مَا يُحْظَى لَدَيْهِ وَيُرْلَفُ<sup>(٢)</sup>

(١) نسق النظم : أى يتابع بعبه ويجعله على طريقة نظام واحد ، ويرصف : أى يظم ويصعد ، والمعنى هذا العيد شير بأعياد تأتى بعده على نسقه وترتيبه .

(٢) اربيه : محبته ، وتطلف : تهنئ من قولهم ذهب دمه طلماً أى هدرأ .

(٣) الملام الباع الذى سارف الاحتلام ، واحلف : الذى احتلب نظر الناس فيه فمعظمهم يقول قد احتلم وأدرك ، ومعنى يقول غير مدرك ، والمعنى سماهته إلى الملك وهو دون الاحتلام ، وتمت له علاماته ورسومه وميراته ، وهو مشكوك فى احتلامه .

(٤) الجيش : الجيش الحرار النام الفرق من المقدمة والميمنة والميسرة والعلب والساق وأراد به العسكر السائرين فى موكب الملك عند حروجه لصلاة العيد ، واليم : السحاب ، وأحفل : أى أكثر منها احتشاداً واحتكاماً فى حال كونه ( مكتهراً ) أى مظلماً أسود لما على الجبد من الدروع والسلاح ، وأكثف : أى أكثر كثائهم وتراكمهم من السحاب لشدة الرحام وكثرة العدد وأعاد الصير فى قوله ( منها ) على الهم مؤشاً مراعاة للمعنى . (٥) أى فلما أدبنا ما أمها أداؤه من صلاة العيد : وكل الناس داعٍ فملح فى الدعاء بما يرضيك ، وحوالما يأتى بعد .

(٦) يحظى : أى يوجب المحظوة والتعجيل ، ورلب : يقرب ، والمعنى : ولما اتبهنا من صلاة العيد جمعاً بين حمد الله والثناء عليك لأنه أبلغ فى بلوغ المحظوة لديه ، والرقى إليه

وَعُدْنَا إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي هُوَ كَعْنَةٌ      يُعَادِيهِ مِنَّا نَاطِرٌ أَوْ مُطَرَفٌ <sup>(١)</sup>  
فَإِذْ نَحْنُ طَالِعُنَاهُ وَالْأَفْقُ لَابَسٌ      عَجَاجَتُهُ وَالْأَرْضُ بِالْخَيْلِ تَرْجُفُ <sup>(٢)</sup>  
رَأَيْنَاكَ فِي أَعْلَى الْمَصَلَى كَأَنَّمَا      تَطْلُعُ مِنْ مِخْرَابِ دَاوُدَ يُوسُفُ <sup>(٣)</sup>  
وَلَمَّا حَصَرْنَا الْإِذْنَ وَالْمَذْهَرُ حَادِمٌ      تُشِيرُ فَمَنْضِي وَالْقَضَاءُ مُصَرَفُ <sup>(٤)</sup>  
وَصَلْنَا فَتَقَبَّلْنَا النَّدَى مِنْكَ فِي يَدٍ      بِهَا يُتَافُ الْمَالُ الْحَبِيمُ وَيُخْلَفُ

\* \*

لَقَدْ جَدْتُ حَتَّى مَا بِنَفْسٍ خَصَاصَةً      وَأُمْتُ حَتَّى مَا قَلْبٌ تَخَوُّفُ

(١) يعاديه أى ، اكبره ويعدوه عنه فى أول النهار ، والمطرف الذى يدمى الطرف فى القصر من حب وإعجاب ، وهو فى الأصل الذى أصاب طرفه أى عنه عود هود نأمت ظفره فى الشيء ، ولا يعجب صرعه أو هو اسم فعل من طرف الشيء احذره ، فى الشاعر

أطرف أنكرا كأن وجههما وجهه عذارى حدرت أن تقدا

(٢) طالعاه : أى القصر ، والمجاعة ، منتشرة سراك الليل من النار ، وترحب اضطرب .

(٣) المصلى : الميكال بعد صلاة العيد ، وتقدم طلع وأشرف عليهم من محراب ، ودوى عن الزحاح قوله تعالى « وهل أناك » الخضر إذ تسروا المحراب إذ دخلوا على داود » قال المحراب أربع بيت فى الدار ، وأربع مكان فى المسجد ، والمعنى : رأيتك حين عودتنا إلى القصر ومطالعنا به مشرفاً بأعلى المصلى من عرفة قصرك كأنما أشرق من محراب داود فى يوم نسكه وعادته وجه يوسف رائئاً فى حسنه وحاله .

(٤) قال ابن سناء

وقوله ولم حصرنا الأدن البيت مع الذى عدده أرى أنا الوليد احتدى فيه حدو الوليد فى أبيات أنشدتها لحسنها وهى من أحسن ما بيل فى الخفية

ولما حصرنا سدت الأدن أشرت      رحلت عن الباب الذى أنا داخله  
وأصبحت من قرب إلى ي . هاه      أقال بدر الم حين أقالنه  
كما انتصب الرمح الردى شفت      أما يسه واهر للطن عامله  
وكالدرد وامتته لم سعووده      وتم ماه واستهل مناره  
وسلحت فاعتامت حبان هسه      تنارعى القول الذى أنا فاقله  
فلما تأملنا الضلالة واننى      إلى نشر آسىتى بحايه  
دنوت فقلت الذى من يداسرى      كرم بحايه سسلط أمامه  
صفت مثل ما يصعو المدام حلاله      ورقت كما رق الدسيم شباله

وقول ابن ريدون وصلنا فقبلنا الذى من يد اسرى معى مليح ولعط صحيح ، إلا أنه كما تراه لبط بيتا البحرى ويقول نفس أدبائنا إن ابن ريدون يخترى زماننا وصعدنا لأنه حدا حدو الوليد فى بسن قصائده .

وَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمُحْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ      وَلَا ذَلَّ مُقْتَادٌ وَلَا لَانَ مَنَظِفٌ  
لَكَ الْخَيْرُ، أَنِّي لِي بِشُكْرِكَ نَهْضَةٌ؟      وَكَيْفَ أَوْدَى قَرْضَ مَا أَنْتَ مُسْلِفٌ؟<sup>(١)</sup>  
أَفَدَنْتَ بِهِمَ الْحَالِ مِنِّي غُرَّةً      يُقَابِلُهَا طَرْفُ الْجَمُوحِ فَيُطْرِفُ<sup>(٢)</sup>  
وَبَوَّأْتَهُ دُنْيَاكَ دَارَ مُقَامَةٍ      بِحَيْثُ دَنَا ظِلٌّ وَذَلَّلَ مَقْطِفٌ<sup>(٣)</sup>

✱ ✱

وَكَمْ نِعْمَةٍ أَلْبَسَتْهَا سُنْدُسِيَّهَ      أُسْرِبُهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَالْحَفْ  
مَوَاهِبُ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّمَا      مِنَ الْمَزْنِ تُتْرَى أَوْ مِنَ الْبَحْرِ تُعْرِفُ  
فَإِنْ أَكُ عَبْدًا قَدْ تَمَلَّكَتْ رِقَّةُ      فَارْفَعِ أَحْوَالِي وَأَسْنَى وَأَشْرَفُ<sup>(٤)</sup>

(١) نهضة : أى طامة وقدرة أى كيف يكون لى قدرة على القيام بشكرك ، ومسلم : اسم فاعل من أسلفه أى أقر ، وفى رواية : « قرض ما أنت مسلم »

(٢) المعنى اكسدت سواد الحال من عرة بفساد بواجهها طارف الطلوح الذى يند صره إلى الشئ يطرف أى يشت فيها نظره من قولهم هلال مطروف العين هلال إذا كان لا يطر إلا إليه .

(٣) أى أزلنى وأحلبنى من دنيائك الشبيهة بدار المعاملة حمة دنا طلها ودلت قتلوها .

(٤) فإن أك : أى أوليتى من نعم عبدك وهما لك وفى أعدائى إليك بالعودة والرق اسبى أحوالى وأرفعها وأشرفها ، قال أبو الطيب المتننى « ومن وحد الاحسان بيذا تعيدا » .

ولذكر - بمناسبة هذه القصيدة الفسدة التى قالها ابن ربدون تحترى العرب فى المتضدات بمناسبة عيد الأضحى - قصيدة تحترى الشرق التى قالها فى الموكل بمناسبة عيد الفطر - يرى القارئ صورتين قارب بينهما اتحاد العرص والشاعرية وان احتلت القافية والبحر :

الله مكنى للحليمة جمعهم ملكا يحسمه الخليفة جعفر  
نعمى من الله اصطفاها فصلها والله رزى من يشاء ويقدر  
فاصل أمير المؤمنين ، ولا تزل تعطى الريادة - والقضاء - وتكثر  
عن فواصلك السرية ، وابقى فيها المقل على المعى والمكثر

✱

بالرصم - وأنت أصل سائم - ويسه الله الرصية تعطر

فانعم بيوم الفطر عينا ، إنه يوم أعر - من الرمان - مشهر  
أظهرت عز الملاك فيه بحفل لم ، يحاط الدين فيه ويصر

## في طروشة (١)

غَرِيبٌ بِأَقْصَى الشَّرْقِ يَشْكُرُ لِلصَّبَا (٢)  
تَحْمَلُهَا مِنْهُ السَّلَامُ إِلَى الْغَرْبِ  
وَمَا ضَرَّ أَنْفَاسَ الصَّبَا فِي أَحْتِإِهَا  
سَلَامٌ هَوَى يُهْدِيهِ جِسْمٌ إِلَى قَلْبِ (٣)

حلما الحال تسير فيه ، وقد عدت  
فالحيل تصهل ، والموارس تدعى ،  
والأرض حاتمة تبتدئ ثقلها ،  
والشمس مائة توند بالصبحى  
حتى طلعت صوره وحكم ، فحكك  
وافق فيك الدطرون ، فاصبح  
يمجدون رؤيك التي درواها  
ذكروا ظلمك التي هلالوا  
حتى انتهت إلى المصلى لأ ساً  
ومشيت مشية شافع مواضع  
وإن مشه تكب فوق ما

عدداً يسيرها العديد الأكثر  
والدم تلغ ، والأسنة رهر  
والحوّ معتكر الحواب أعبر  
صورا ، ونظفها المعاح الأكر  
تلك الدعى ، وانحاج دك العثير  
يوى لأك بها ، وعين تطار  
من أمم الله التي لا تكمر  
لما طلعت من الصوف وكبروا  
بور غدى يسوء عليك ويظهر  
لله لا يري ، ولا يتكبر  
في وسوء لسمي لأك الممر

أيدت من فصل الخطا محكمة  
ووقف في رد المي مدكرا  
وبواعط شمت الصدور من الذى  
حتى لقد علم الجهول وأخلصت  
صلوا وراءك آحدين عصمة  
فاسلم بعمرة الانه فلم يرك  
الله أعطاك المحب في الورى  
ولأت أملاً لعيون لعيه

نبي عن الحق المسين وتحمر  
بالله تسدر تارة وتنمر  
يعتادها وشفاؤها معدر  
من المروى واهتدى المنجبر  
من دهم ودمه لا تمر  
يهب الدوب لمن يشاء ويعمر  
وحناك بالفصل الذى لا ينكر  
وأجل قدراً في الصدور وأكر

(١) هي مدينة بأقصى الشرق من الأندلس على البحر الأبيض المتوسط ، وهي من أعمال بلنسية . قالوا :  
وكانت متقنة العمارة ، وهي من العرص البحرية التي يبتاعها التجار ويساوون منها إلى سائر الأمصار ، وقد  
استولى عليها الأفرنج وعلى جميع حصونها في سنة ٥٤٣ هـ (٢) ربح الصا ، وهي التي تب في الشرق ، وهما بلها الدبور (٣) ليت الصا تحتل أنفاسها سلاما من جسم في الشرق إلى فؤاده الباني  
هنا في العرب ، وقريب من هذا المعنى قول عبد الرحمن الداخل « صقر قریش » :

إن حسمى كما علمت بأرض  
فسدر الله بالفراق عليه  
ومضى أحقادها سوف ينقض

## إلى الوزير أبي عبد الله<sup>(١)</sup>

« لم تل الأيام تدنى « ابن ريدون » وتعهده ، وتسوءه وتسعده ،  
وتقذفه إلى كل نارح ، وتطوف أمله عين اللاعب المارح ، حتى  
أحله « بلسية » وهلال ذكائه كما أمر ، وعصن ساهته باع قد أثمر ،  
وبوعد العرير غرر ملكها ، ودرر سلكها ، يفيضون بحور الندی ،  
ويومضون في كل مسدى ، حل مهم محلّ الحيا في الكؤوس ،  
ووقع مهم موقع الدشائر في الدعوس ، وأقام دين مرة تواصاه ، ومسرة  
تعارله ، ومكارمة تقاديه ، ومحاملة كرائح القطر وعاديه ، فلما انفصل ،  
وحصل ما حصل ، تذكر بعد برهة ذلك العيش وبور عمره قد  
صوح ، وعصن سه قد دوح ، فلم يجد إلا له طيبا ، ولم يهصر عبر  
فيه عصا رطيا ، فكسب إلى ابن عبد العرير<sup>(٢)</sup> : »

رَاحَتْ فَصَحَّ<sup>(٣)</sup> بِهَا السَّقِيمُ رِيحٌ مُعْطَرَّةُ النَّسِيمِ  
مَقْبُولَةٌ هَبَّتْ قَبُو<sup>(٤)</sup> لَا<sup>(٥)</sup> فَهِيَ تَعْبُقُ فِي الشَّمِيمِ<sup>(٥)</sup>  
أَفْضِيضُ مِسْكِ أَمْ بَلَدٌ سَيِّئَةٌ لِرِيَّاهَا<sup>(٦)</sup> نَعِيمٌ<sup>(٧)</sup>  
بَلَدٌ حَبِيبٌ أَفْقُهُ لِفَتَى يَحُلُّ بِهِ كَرِيمٌ

(١) هو الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز . (٢) فلان المدعيان .

(٣) وفي رواية « فراح لها السقيم » راحت أى ردت وطابت ، وراح لها السقيم من قولهم : « راح للأمر يراح » إذا أحدثه أريجيه وحة ونشاط ، أى فارتاح لطيبها السقيم .

(٤) القول : ريح الصبا لأنها تقابل الدبور أو لأن النفس تنبأها .

(٥) أى أن ريح الصبا تحمل معها عطرا تنعم منه طيب الشدى ،

(٦) لريحها الطيبة : (٧) يقول لعل سيم بلذيقية الشدى الذى تستروح النفس إليه مد هـ عليا .

\* \* \*

أَيْنَا أَبَا عَبْدٍ الْإِلَهِ دُعَاءُ مَغْلُوبِ الْعَرِيمِ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّ عَيْلَ صَبْرِي مِنْ فِرَا قِكَ فَالْعَذَابُ بِهِ أَلِيمٌ<sup>(٢)</sup>  
 أَوْ أَتُبَعْتُكَ حَذِينَهَا نَفْسِي فَأَنْتَ لَهَا قَسِيمٌ<sup>(٣)</sup>  
 ذِكْرِي لِمَهْدِكَ كَالسَّهْمِ دِ سَرَى فَبَرَّحَ بِالسَّلِيمِ<sup>(٤)</sup>  
 مَهْمَا ذَمَّمْتُ فَمَا زَمَا نِي فِي ذِمَامِكَ بِالذَّمِيمِ<sup>(٥)</sup>  
 زَمَنْ كَمَا لَوْ الرِّضَا عِشْوَكَ ذِكْرَاهُ الْفَطِيمِ<sup>(٦)</sup>  
 أَيَّامٍ أَغْقَدُ نَاطِرِي بِذَلِكَ الْمَرَأَى الْوَسِيمِ<sup>(٧)</sup>  
 فَأَرَى الْفُتُوَّةَ غَضَّةً فِي نَوْبِ أَوَاهٍ حَلِيمِ<sup>(٨)</sup>  
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُبَّكَ مِنْ فَوَادِي الصَّيِّمِ<sup>(٩)</sup>  
 وَلَنْ تَحْمَنَ عَنْكَ لِي جِسْمٌ فَقَنْ قَلْبٌ مُقِيمٌ<sup>(١٠)</sup>

(١) أيها : بكسر الهزة بمعنى ردى من الحديث ، وفتحها بمعنى اكعب واسكت ، أو للتعديد بمعنى هيئات ، أى بعد دعاء مغلوب العريم ، والعريم : الأمر الداهى العظيم ، والمعنى هيئات يحدى دعائى وأنا من فلتته الحوادث على أمره . وفى الأصل : « مغلوب العريم »

(٢) لى الصدر إذا صحت ورافقك وعيل صبرى فقد اشتدت لى الألم لعداك .

(٣) القسيم : شطر الشيء المقسوم ، أى أت شطر نفسى الثانى فلا عى لى عك .

(٤) وفى الأصل : « كالسهم »

(٥) الدمام : الحق والحكمة ، والمعنى مهما دمت : من عهد الرمان العادر فلن أدم ذلك العهد الجميد الذى قد تته بهك وهمت فيه قريك ووطايك .

(٦) وقد كان فى ذلك العهد المحبوب ممت ذكريات سارة أحس إليها كما يحس الطفل المفقود لى عهد

الرضاع القريب . وفى الأصل « زمن كالأول الرضاع » (٧) أيام ينعم ناطرى برؤية محياك البهى .

(٨) الأواه : الكبير التأوه إشعاعاً ورفقاً ، قالوا : « وهو الكبير التضرع والدعاء أو الحزن والبكاء أو هو الرحيم الرقيق » والمعنى : فأرى الفتوة - فى عموانها - مقترنة بالخشية والصرع والحلم ، وفى الكتاب الكريم : « إن لإبراهيم لحليم أواه ميب » (٩) الصميم : المحس أو الخالص .

(١٠) وإذا رحل علك جسمى فان قلبى لم يرحل منك ولم يحل من حبك فهو ثابت مقيم عندك .

قُلْ لِي بِأَيِّ خِلَالٍ سَرَ وَكَ<sup>(١)</sup> قَبْلُ أَفْتَنُ أَوْ أَهِيْمُ<sup>(٢)</sup>  
 أَيْجِدُكَ الْعَمَمَ<sup>(٣)</sup> الَّذِي نَسَقَ الْحَدِيثَ مَعَ الْقَدِيمِ<sup>(٤)</sup>  
 أَمْ ظَرْفِكَ الْخُلُوِ الْجَنَى أَمْ عِرْضِكَ الصَّافِي الْأَدِيمُ  
 أَمْ يَرْكَ الْمَذْبُ الْجَمَا مَ، وَبِشْرِكَ الْغَضُّ الْجَمِيمُ<sup>(٥)</sup>  
 أَمْ بِالْبِدَائِعِ كَاللَّاءِ لِي مِنْ تَشِيرٍ أَوْ نَظِيمٍ  
 وَبَلَاغَةٍ إِنْ عُدَّ أَهْلُهَا فَأَنْتَ لَهُمْ زَعِيمُ  
 فَقَرَّ تَسْوَعُ بِهَا الْمُدَا مُ إِذَا تَكَرَّرَهَا النَّدِيمُ<sup>(٦)</sup>  
 إِنْ أَشْمَسَتْ تِلْكَ الطَّلَا قَةُ قَالَنَدَى مِنْهَا مُقِيمُ

\* \*

إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْخُطُو ظَ حَبَاكَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ  
 لَا أَسْتَرِيدُ اللَّهَ نَعْمِي فِيكَ ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمُ  
 فَلَقَدْ أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنَّكَ غُرَّةُ الزَّمَنِ الْبَهِيمِ  
 حَسْبِي الثَّنَاءُ لِحُسْنِ بَرِّكَ مَا بَدَأَ بَرَقَ قَشِيمُ<sup>(٧)</sup>  
 ثُمَّ الدُّعَاءُ بِأَنْ تَهْنَأَ طُولَ عَيْشِكَ فِي نَعِيمِ  
 ثُمَّ السَّلَامُ تُبْلَغُنُهُ فَغَيْبُ، مُهْدِيهِ سَلِيمِ<sup>(٨)</sup>

- (١) السرو : الفصل والسجاء في الرواة . (٢) لاني لا أدري أى خلال يصلك جدير بالاشارة والتنويه ، وأى زياك حدير بأن يهيم به عارفك ويمتق (٣) الشامل .  
 (٤) انتظم المجد الحديث ، والمجد القديم . (٥) الحمام - جمع جة بتشديد الميم - الماء الكثير المجتمع ، يقال : جت البئر جوما ، إذا اجتمع ماؤها وارتفع بمد نرح ما فيها ، قال زهير :  
 « ولما وردن الماء زرقا جامه وصعن عصى الحاضر التنعيم »  
 والجليم : الثبت الكثير . (٦) كلمات تمذب بها الحمر إذا ردها القديم .  
 (٧) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين يطر ، وفي الأصل : « لحسن بركك » .  
 (٨) وفي رواية : « ثم السلام تبلفنه بقلب مهديه السليم »

## جَوَابُ كِتَابِ

« كتب إليه الوزير أبو بكر بن الطيبي :

أبا الوليد وما سطت بنا الدار

وقلّ منا ومك اليوم زوّار

و يسا كل ما تدريه من ذم

وللصا ورق خصر ونوّار

وكل عتب وإعاب حرى دله

مواقع حلوة عسدى وآثار

فادكر أحاك نحر - كلما لعت

به الليالى - فإن الدهر دوّار »

بجوابه بديها فى طهر رقعة : «

لَوْ أَنَّنِي لَأَكَّ فِي الْأَهْوَاءِ مُخْتَارُ      لَمَّا جَرَّتْ بِاللَّيِّ تَشْكُوهُ أَقْدَارُ

لَكِنَّهَا فِتْنٌ فِي مِثْلِ غَيْبِهَا      تَعْمَى الْبَصَائِرُ إِنْ لَمْ تَعْمِ أَبْصَارُ<sup>(١)</sup>

فَأَحْسِنِ الظَّنَّ لَا تَرْتَبْ بِعَهْدِ فَتَى      تَعْفُو الْعُهُودُ وَتَبْقَى مِنْهُ آثَارُ

لَوْ كَانَ يُعْطَى الْمُنَى فِي الْأَمْرِ يُمَكِّنُهُ      لَمَّا أَغْبَكَ - يَوْمًا - مِنْهُ زَوَّارُ<sup>(٢)</sup>

فَلَا يَرِيْبُنْكَ فِي ذِكْرِ الصَّدِيقِ بِهِ      مَنْ لَيْسَ يَجْهَلُ أَنَّ الدَّهْرَ دَوَّارُ

(١) لو كان لى الخيار فيما تهواه وتجه لما حرى القدر بما يسودك ويعنك على الشكوى ، ولكنه قدر

لا سبيل إلى رده ، وفنه تفضل فى غيابه العقول وتعمى الأبصار

(٢) لو كان الأمر يمدى لما تعلمت عن ريارتك يوماً واحداً



## في الغزل

وَضَحَ الْحَقُّ الْمُبِينُ      وَنَفَى الشَّكَّ الْيَقِينُ  
وَرَأَى الْأَعْدَاءَ مَا غَرَّ      تَهْمُ مِنْهُ الظُّنُونُ  
أَمَلُوا مَا لَيْسَ يُمْنَى      وَرَجَوْا مَا لَا يَكُونُ  
وَتَمَنَّوْا أَنْ يَخُونُ      الْمَهْدَ مَوْلَى لَا يَخُونُ<sup>(١)</sup>  
فَإِذَا الْغَيْبُ سَلِيمٌ      وَإِذَا الْوُدُّ مَصُونُ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

قُلْ لِمَنْ دَانَ بِهِجْرِي      وَهَوَاهُ لِي دِينُ  
يَا جَوَادًا بِي إِنِّي      بِكَ وَاللَّهِ ضَنِينُ  
أَرْخَصَ الْحُبُّ قُوَادِي      لَكَ وَالْعَلَقُ<sup>(٣)</sup> تَمِينُ

\* \* \*

يَا هِلَالًا تَتَرَا      نَاهُ نُفُوسٍ لَا عِيُونُ  
عَجَبًا لِلْقَلْبِ يَقْسُو      مِنْكَ وَالْقَدُّ يَلِينُ<sup>(٤)</sup>  
مَا الَّذِي ضَرَّكَ لَوْ سُرَّ      بِمِرَاكِ الْحَزِينُ  
وَتَلَطَّفْتَ لِصَبِّ      حَيْنُهُ<sup>(٥)</sup> فَيْكَ يَحِينُ  
فَوُجُوهُ اللَّفْظِ شَتَّى      وَالْمَعَاذِيرُ فُنُونُ<sup>(٦)</sup>

(١) وفي رواية: وتمنوا أن يخون ال عبد مولى لا يخون

(٢) خطاب ظن الأعداء وظهر أنني لم أكن لمولاي عهداً، وأن إخلاصي ووفائي لها سليمان وودي له لا يتغير

(٣) النفيس، وفي رواية: «والعلق التمين» .

(٤) وفي رواية «والمطف يلى» . (٥) هلكه . (٦) شق .

## في مدح ابن جهور

قل بمدح الوزير الأجل محمد بن جهور بن محمد بن جهور :

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّفِيعَ شَبَابُ      فَيَقْضُرُ عَنْ لَوْمِ الْمُحِبِّ عِتَابُ <sup>(١)</sup>  
 عَلَامَ الصَّبَا غَضُّ يَرِفُ رَوَاؤُهُ      إِذَا عَنَّ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ ذَهَابُ <sup>(٢)</sup>  
 وَفِيمَ الْهَوَى مَحْضُ يَشِفُ صَفَاؤُهُ      إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عَنْهُ تَوَابُ <sup>(٣)</sup>  
 وَمُسْعِفَةٍ بِالْوَصْلِ إِذْ مَرَّ بِعُ الْحِمَى      هَلَّا كُلَّمَا قَطْنَا الْخَنَابَ خَنَابُ <sup>(٤)</sup>  
 تَطُنُّ الذُّوَى تَعْدُو وَالْهَوَى عَنْ مَرَارِهَا      وَدَاعِي الْهَوَى نَحْوُ الْبَعِيدِ مُجَابُ <sup>(٥)</sup>

- (١) ألم تعلم أن حبيب شافع المحب إذا حى دما هو غصارة شابه ، وأن الشاب لحسه في الأعين ولما فيه من التره والخفة يعتبر سفيحا في تحميم العقوبة وتنزيلها من لوم عيب إلى عتاب حفيف يلطف مدخله على القلب ، وإذا كان الشاب حبيب شافع للحسان فما أحدهن "بالاقصار عن اللوم ، وما أبدع قول علقمة :
- فان تسألوني بالنساء ، فاني حبيب بأدواء النساء طيب  
 إذا شاب رأس المرء أو نزل ماله فليس له في ودهن نصيب  
 يردن ثراء المال حيث وحده وشرح الشباب عندهن عجيب
- (٢) غص : طرى ناعم ، يرف رواؤه : يترقق فيه ماء الحسن ، والرواء الحسن ، ومعنى البيت : وما قيمة الشاب وغصارة الصبا إذا احمقا في ترفيع الحسان وعجرا عن اكتساب ودهن .
- (٣) محض : حاص لا شائبة فيه ، ويشب من شعوف الماء أى يبدى ما وراءه أى ويوم حبا حاص لا يشوب صفاه كدر إذا لم يكن من الحسان بثوبة عنه وحزاء عليه .
- (٤) للربح : الموضع الذى يتزلون فيه زمن الربيع ، والحمى : موضع فيه كلاً يحببه أهله من أن يراه غيرهم ، وقطا : من القبط وهو صميم الصيب يقال قطا بمكان كذا أى أقبا فيه زمن الصيب والقبط والمصيب بمعنى واحد ، والجناب الأول ما قرب من محلة القوم أى قطنا في السكان القريب من الحمى واتخذناه مصيفاً لنا ، والجناب الثانى الناحية ، أى رب حساء تسمعى بوصولها كلما اتخذنا حاب الحمى مصيفاً لنا وكانت لها ناحية الحمى سكناً في رمن الربيع ، وفي هذا البيت جناس متكاف كما ترى .
- (٥) تطن مسافة الأهدى وبينها تصرف معنى عن زيارتها والحال إن داعى الهوى الذى يادى من ناحيتها مجاب الدعوة .

وَقُلْ لَهَا نِضْوٌ بَرَى تَحْضُهُ الشَّرَى      وَبِهِمْ أَهْ غُفْلٌ الصَّخَصَحَانِ تَجَابُ (١)  
 إِذَا مَا أَحَبَّ الرَّكْبُ وَجْهَهَا مَضُوءَ آلِهَ      فَهَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَحُبَّ رِكَابُ (٢)  
 عَرُوبُ الْأَحْتِ مِنْ أَعَارِبِ حِلَّةِ      تَجَاوَبُ فِيهَا بِالصَّهِيلِ عَرَابُ (٣)  
 غَيَارَى، مِنَ الطَّيْفِ الْمَعَاوِدِ فِي الْكَرَى      مُشِيحُونَ مِنْ رَجْمِ الظُّنُونِ غَضَابُ (٤)  
 وَمَاذَا عَلِمَهَا أَنْ يُسْنَى وَصَلَهَا      طِمَآنُ - فَإِنْ لَمْ يُغْنِنَا - فَضْرَابُ (٥)  
 أَلَمْ تَذَرِ أَنَا لَا نَرَا حُ لِرِبَّةِ      إِذَا لَمْ يُلَمَّعْ بِالنَّجْعِ خِضَابُ (٦)  
 وَلَا نَنْشُقُ الْعِطْرَ النَّوْمُ أَرِيحُهُ      إِذَا لَمْ يُشْعَشَعْ بِالْمَجَاجِ مَلَابُ (٧)

(١) النضو : المهزول والمراد به البعير الذى أضاءه السفر أى أمزله ، ورى محضه البرى : أى أذهب ليله السير بالليل ، والهيام : الغلاة لا يهتدى فيها ، وغفل : أى لا علامة لها ولا أثر يعرف ، والصخصحان : المستوية الحرداء ، أى وتل لهذه المحبوبة الباتية بعير أضاءه السر ودلة محبولة لا أثر لها للمعارة والطرق تحاب وتنطع سيرا لأحلبها . (٢) فى معنى هذا البيت قول الشاعر :

وكت إذا ما جئت ليلى أرورها      أرى اليد تطوى لى وبدون يعيدها

(٣) العروب : المطيعة لروحها المتحبة إليه ، والأحت : ظهرت أولوحت نظرف شىء من مكان بعيد والأعارب : الأعراب ، والحلة : مجتمع البيوت ، والعراب : الحيل العربية ، والمعنى : روعة من طاعة روحها والتحب إليه بحيث لا تلتفت إلى غيره . قد لوحت بطرف منديل أو نحوه من ناحية الحلة التى ينزل بها أولئك الأعراب البيورون حيث ارتطوا خيولهم وركزوا رماحهم .

(٤) غيارى : جمع غيران من العيرة وهى الحية والألقه . يقال رحل غيور على أهله وكذلك غيران والأثنى غيرى ، والمشيخ : الحدر المجد المذرع إليك لمداغة الموت أو الدفاع عن الحرم ، ومنه قوله .

أنت لى همى وأنى بلانى      وأحدى الحمد بالتمس الریح

وأقدامى على المكروه نسى      وضرى هامة البطل المشیح

(٥) يسى : أى يسهل ويسر ، ومنه نسى له كذا أى تسهل وتيسر ، وقال الشاعر :

وأعلم علما ليس نالطن انه      إذا الله سى عقد شىء تيسرا

والمعنى : وأى نعمة ولوم عليها فى أن يسهل الطريق لى وصلها مطاعة بالرماح فان لم تن فصاربة بالسيوف (٦) نراح : كسحاب من قوهم فالن رراح المعروف إذا أحدثه له أريحية وحقة ، ويلمع أى يلون بلون النجيع أى الدم ، يقول عن لا ستريح لوصول الغايات إذا لم تدفع عنه من دم الأعداء .

(٧) النوم : مبالغة فى التمسكى به عن سطوع الرائحة ، والأريج : ما يفوح من العطر ، ويشمشع : يختلط ، والمجاج : السار ، والملااب : كسحاب المطر ، أى لا ستريح لى اشتاق عطرهن الساطع الأريج إلا بعد امتشاق الحسام ، واختلاط ما تثيره سنايك الخيل من التراب ، بما يروح من رائحة الملااب ، والمعنى أنه لا يجب أن يطير بثلث اللذائذ إلا إذا اعتصبها اعتصاها بحد السيب . فهو لا يسأل الریة إلا بالدم ولا ينشق العطر إلا مشوبا بنهار الهيجاء .

وَكَمْ رَاسَلَ الْغَيْرَانُ يَهْدِي وَعِيدَهُ      فَسَارَاعَهُ إِلَّا الطَّرُوقَ جَوَابُ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يَتَذَنَّا أَنَّ الرِّبَابَ عَقِيلَةٌ      تَسَانَدُ سَعْدُهُ دُونَهَا وَرِبَابُ  
وَأَنْ رُكِّزَتْ حَوْلَ الْخُدُورِ أَسِنَّةُ      وَخَفَّتْ بِقُبِّ السَّابِحَاتِ قِيَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ نَذَرَ الْحَيَّانِ غِبَّ الشَّرَى بِنَا      لَكَرَّتْ غُطَّالِي أَوْ لَمَادَ كَلَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَيْلَةٌ وَافَتْنَا تَهَادَى فَنَمْتَرَى      أَيْسُمُو حَبَابُ أَوْ يَسِيبُ حُبَابُ<sup>(٤)</sup>  
يُعَذِّبُهَا عَصُ السَّوَارِ بِمِعْصَمٍ      أَبَانَ لَهَا أَنَّ النِّعِمَ عَذَابُ  
لَا بَرَحْتُ مِنْ شَيْحَانٍ حُطَّ لِنَامُهُ      إِلَى خَفِيرٍ مَا حُطَّ عَنْهُ نِقَابُ<sup>(٥)</sup>  
تَوَى مِنْهُمَا مِثْنَى النِّجَادِ مُشِيعٌ      نَجِيدُهُ وَمِيلَاةُ الْوُشَاحِ كَعَابُ<sup>(٦)</sup>

(١) الغيران : وصف من العيرة ، والطروق : طروق الحى بالليل ، وفي التمتع الوصول رغم العيور يقول ابن الرومي .

ألا رعا سؤت العيور وساءنى      وبات كلانا من أحييه على وحر  
وقلت أبواها عداً كأنها      يباسع حر حصت لؤلؤ الحر  
(٢) ألف : جمع قاء وأف والأف الصاصر من الحبل ، ومعنى هذا البيت والذي قبله لم يصرما عن ريادة هذه المحبوبة التي كفى عنها ناريت أن تصاد هاما القيلتان وتماوتا دون لوصول إليها .

(٣) نذر به كفرح علمه فخره وعطالي وكلاهم أوهما يومان من أيام العرب ، أى لو علم بمرانا إليها هذان الحيان لكان لنا معهما يومان كيوى عطالي وكلاهم في الشهرة والمول .

(٤) يسمو : أي يرتفع للناظر إليه من بعيد فيستقيه وحاد - بالفتح - توح الماء وطرائقه التي كأنها الوشى أو النسيج وبالصم الحية ، ويسمو إليها حباب بالفتح وهو الماء في تداعيه وتوجهه وإحداثه طرائق كطرائق النسيج وهو تمثيل لاختلاس الخطا في المشى ، والمعنى : وادكر ليلة وافنا محتمية فمشك أيقل نحونا حبيب أو نذات البنا حية . يقول : لقد كسلا ندرى أن تكون ليلتنا ليلة أس واغتباط بقرب الحبية ، أم ليلة حرب وضراب بغزو أعدائنا إيانا ، وسمو الحباب : فيه إشارة إلى قول امرئ القيس :

سموت إليها - بعد ما نام أهلها - سمو حباب الماء ، حالا على حال

(٥) لأبرحت : لقد أفرطت في الحذر وتوقع موانع العدو ومشايخه ، والشجان : العيور الحذر على الحرم ، والخفر : الحياء ، والنام : للرجل ، والقاب : المرأة ، يقول : لقد وضعت اللثام عن وجهي وتمتعت بحبيب لم يرمع عنه وجهه نقاب لمرط حياته . ولقد كنت - إلى ذلك - دائم الحذر والتوقع لموانع العدو .

(٦) توى : أمام ، وثى السجاد : بكسر أولهما أى طلى البرش والوسائد ، والمشيع : كظم الشجاع ، والتجيد : الأسد - وهو يعنى بذلك نفسه - وميلاء الوشاح : يريد أن وشاحها به ميل وانحدار لتهود ثديها وضمور كتفها ، والكعاب : كسحاب التي كعب ثديها - وهو يعنى بها حبيته - وفي معنى هذا البيت يقول الطمراني :

وبنا على رغم الغيور يسمنا      جميعاً حواشي بردها وردائنا  
وكانت لمساءات الليالي كثيرة      فما برحت حتى شكرنا " ١١

يُعَلِّلُ مِنْ إِغْرِيزٍ تَغْرِ يَعْلُهُ غَرِيضٌ كَمَا الْمَزْنِ وَهُوَ مُصَابٌ<sup>(١)</sup>  
إِلَى أَنْ بَدَتْ فِي دُفْهَةٍ الْأَفْقِ غُرَّةٌ وَنَفَرَ مِنْ جُنْحِ الظَّلَامِ غُرَابٌ<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ كَادَتْ الْجُوزَاءُ تَهْوِي فَخِلَتْهَا ثَنَاهَا مِنَ الشَّعْرَى الْعَبُورِ جَنَابٌ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ الثَّرْيَا رَايَةً مُشْرِعٌ لَهَا جَبَانٌ يُرِيدُ الطَّغْنِ ثُمَّ يَهَابُ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ سَهِيلًا فِي رِبَاوَةِ أَفْقِهِ مُسِيمٌ نُجُومٍ حَانَ مِنْهُ إِيَابٌ<sup>(٥)</sup>  
كَأَنَّ السَّمَاءَ قَانِي الْحُشَاشَةِ شَفَهُ صَنَى فَخَفَاتُ مَرَّةً وَمَتَابُ<sup>(٦)</sup>  
كَأَنَّ الصَّبَّاحَ اسْتَقْبَسَ الشَّمْسُ نَارَهَا فَجَاءَ لَهُ مِنْ مُشْتَرِيهِ شَهَابٌ  
كَأَنَّ آيَةَ الشَّمْسِ بِشْرَانِ «جَهْوَرٍ» إِذَا بَذَلَ الْأَمْوَالِ وَهِيَ رِغَابٌ<sup>(٧)</sup>  
هُوَ الْبَشْرُ شِمْنَا مِنْهُ بَرَقَ غَمَامَةٌ لَهَا بِاللَّهْمَا فِي الْمُعْتَقِينَ مَصَابٌ<sup>(٨)</sup>

(١) يعلل : أى يكرر من التعليل وهو حى الثرة مرة بعد مرة ، ومه قول امرئ القيس :

فقلت لها سيري وأرحى رمانه ولا تعدي من حناك المثل

والأغريس : الطلع جعل ما ماله مكررا من نقلها بمنزلة إغريس أبيض حلو تكرر جناه ، ويملأ أى يسقيه مكررا ، والغريس : ماء الأسنان ، والرباب : الرق المرشوف ، قالوا : وهو الرق ما دام فى الدم .

(٢) الدفمة : سواد الليل ، والرفة : بياض الصبح ، شبه الصبح فى استمجاله الدجى بمن يطير غرابا ، ويطير هذا قول ابن المعتز :

كأنا وصوء الصبح يستعمل الدجى يطير غرابا ذا قوادم جوت

(٣) الجوزاء : نجم يعترض فى حور السماء أى وسطه ، والشعرى : شعريان « إحداهما » الشعرى العور وهى كوكب يطلع بعد الحوراء وسميت العور لأنها - كما يقال - عبرت السماء عرضاً ولم يعبر السماء عرضاً غيرها وهى التى عبدها طائفة من العرب فى الماهلية ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « وأنه هو رب الشعرى » أى التى تعبدونها « وثانية » النيصاء تقول العرب فى أحاديثها لأنها تمصت من بكاها على العور ، وثانها : عطفها ، والحاب : الناحية والفناء .

(٤) سهيل نجم ، ورباوة أفعه ما ارتفع منه ، ومسيم : اسم فاعل من أسام الابل أى أوطاها ، شبه سهيلا بانداده آخر الليل وراء النجوم راع حان منه رجوع ورواح .

(٥) إياة الشمس : بكسر الهمزة وفتحها ضوءها وحسبها .

(٦) اللهأ : بالضم المطايا ، والعتى : كالعافى طالب العسل الجود ، والمصاب : بالفتح تزول

المطر مصدر ميمى من صاب المطر يصب إذا تر

جَوَادُ مَتَى اسْتَعَجَلْتَ أُولَى هِبَابِهِ  
غَنَى عَنِ الْإِنْسَانِ دَرْ نَوَالِهِ  
إِذَا حَسَبَ التَّيْلَ الزَّهِيدَ مُنِيلُهُ  
عَطَايَا يُصِيبُ الْحَاسِدُونَ بِحَمْدِهِ  
مُوطِئًا أَكْنَافَ السَّمَاحِ دَنَتْ بِهِ  
فَرْزُهُ تَرَزُّ أَكْنَافَ غَنَاءِ طَلَّةِ  
زَعِيمِ الْمَسَاعِي أَنْ تَدِينَ شَدَائِدُهُ  
مَهِيبٌ يُفَضُّ الطَّرْفُ مِنْهُ لِأَذِنِ  
لِأَبْلَجِ مَوْفُورِ الْجَلَالِ إِذَا أَحْتَبَى  
وَذِي ثَدْرٍ يَعْدُو الْعِدَا عَنْ قِرَاعِهِ  
إِذَا هُوَ أَمْضَى الْعَزَمِ لَمْ يَكْ هَفْوَةٌ

كَفَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْخُضَمَّ عُبَابُ  
إِذَا اسْتَنْزَلَ الدَّرَّ الْبَكِيَّ عِصَابُ<sup>(١)</sup>  
فَمَا لِعَطَايَاهُ الْحِسَابِ حِسَابُ<sup>(٢)</sup>  
عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُحِبُّوا بِهَا فَيُحَابُوا  
خَلَائِقُ زَهْرُهُ إِذْ أَنَا فَنِصَابُ<sup>(٣)</sup>  
أَرَبَّتْ بِهَا لِلْمَكْرُمَاتِ رَبَابُ<sup>(٤)</sup>  
يُمَارِسُهَا أَوْ أَنْ تَلِينَ صِعَابُ  
مَهَابَتُهُ دُونَ الْحِجَابِ حِجَابُ<sup>(٥)</sup>  
عَلَّا نَظَرُ مِنْهُ وَعَزَّ خِطَابُ  
غِلَابُ فَهَمَّا عَزَّهُ فَنِغْلَابُ<sup>(٦)</sup>  
يُؤَثِّرُ عَنْهَا فِي الْأَنَامِلِ نَابُ<sup>(٧)</sup>

(١) اللانة البسوس : هي التي لا تدرك إلا على الأساس بأن يقال لها « بس بس » تنكساً لها ، والدرا اللين ، والكي اللانة التي قل لها ، والمصاب : بالكسر شد غدى اللانة لندر . يقول : إن نواله قريب ميسور لا يهلك مشقة ولا يحوجك إلى إلحاف . (٢) حسب : عد ، والحساب : بالكسر بمعنى الكثيرة الكافية صفة لعطاياه ، ومنه قوله تعالى « عطاء حساباً » أى كافي ، والمعنى : إذا عد العطاء القليل ميله ومعطيه ليحصى بها لعطاياه الكثيرة الكافية عد ولا إحصاء .

(٣) يقال رجل موطئ الأكشاف : كعظم أى سهل دمت الأخلاق سمح كريم ، والمصاب : كالصمب الأصل ، والمعنى : أنه سهل حوالب السباح يقره ملك ويدنو به إليك دماثة أخلاقه وإن علامصبه وسما أصله (٤) الماء : الكثيرة الشعر ، والطة : الروضة بلها الظل ، وأربت : من أرب بالمكان إذا لزمه والرباب السحاب . (٥) يقول إن ابن جهور مهيب يعفى من مهابته ومع هذا فهو يعس طرفه حياء ، وهذا قريب من قول الفرزدق :

« يعفى حياء ، ويعفى من مهابته فلا يكلم إلا حسين بينهم »

(٦) دو تدرأ : بضم أوله أى صاحب عدة وقوة على دفع أعدائه عن نفسه ، وغلاب : أى مغالبة ، وهزه : غلبه ، وحلاب : من حلبه إذا خدعه ، وفي المثل « إذا لم تلب فاخلب »

(٧) يقول إذا أمضى العزم لم يك مضاًؤه هفوة يعس عليها أنامله ندماً وقبلاً

عَزَائِمُ يَنْصَاعُ الْعِدَا عَنْ مُمَرَّهَا      كَمَا رَهَبَتْ يَوْمَ النَّضَالِ رَهَابُ<sup>(١)</sup>  
صَوَائِبُ، رِيَشُ النَّصْرِ فِي جَنَبَاتِهَا      لَوَائِمُ، وَرِيَشُ الطَّائِشَاتِ لُغَابُ<sup>(٢)</sup>  
حَلِيمُ تَلَا فِي الْجَاهِلِينَ أَنَاثُهُ      إِذَا حَلِمُ عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ عِقَابُ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا غَرَّ الْجَانِي عَفَا عَفْوُ حَافِظِ      بُعْمَى لَهَا فِي الْمُذْنِبِينَ ذِنَابُ<sup>(٤)</sup>  
شَهَامَةُ نَفْسٍ فِي سَلَامَةِ مَذْهَبِ      كَمَا الْمَاءُ لِلرَّاحِ الشَّمُولِ قَطَابُ<sup>(٥)</sup>  
« بَنِي جَهْوَرٍ » مِنْهَا فَخَرْتُمْ بِأَوَّلِ      فَسِرُّ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ لُبَابُ  
حَطَطْتُمْ بِحَيْثُ أَسْدَنْطَحَتْ سَاحَةُ الْعَلَا      وَأَوْفَتْ لِأَخْطَارِ السَّنَاءِ هِصَابُ  
بِكُمْ بَاهَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ فَأَوَّجُهُ      شُمُوسُ وَأَيْدٍ فِي الْمُحُولِ سَحَابُ

\* \*

أَشَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّسُ      وَعَارِ مَعْنَى الْحَمْدِ وَهُوَ خَرَابُ<sup>(٦)</sup>  
مُحْيَاكَ بَدْرُ وَالْبُدُورُ أَهْلَةٌ      وَيُمْنَاكَ بَحْرُ وَالْبُحُورُ ثِعَابُ<sup>(٧)</sup>  
رَأَيْتُكَ جَارَاكَ الْوَرَى فَعَلَبْتَهُمْ      لِذَلِكَ « جَرَى الْمَذْ كِيَا تِ غَلَابُ »<sup>(٨)</sup>

(١) الانصياع الرجوع أى يرجع الأعداء مما أسره من العزائم خوفا ورهبة كما رعت يوم الصال وهاب أى صال رقيقة جمع ره كحل . (٢) صوائب : صفة العزائم والبيت قلبه يريد أنها عزائم صائبة كالسهم ، واللغاب : ريش السهم إذا لم يعتدل فاذا اعتدل فهو أوام . (٣) وهذا قريب من قول المتنبي : « ترفق أيها الولي عليهم فان الرق بالحاني هتاف »  
(٤) الدباب : نالسكر حيط يشده ذب السمير لئلا يخطر به أى يحركه يمينا وشمالا فيملأ راحته ، أى أنه بما يسديه إلى الحياة من معنى ينهم من الوقوع في الدف كما يجمع الدباب ديب البعير عن تلويث راحته بخطرانه  
(٥) قطاب : نالسكر مزاج . (٦) معمس : حتى مشقه ، والمعى : المنزل .  
(٧) ثعاب : نالسكر جمع ثعب وهو البدير . أو هو مسيل الوادى ، وجمعه ثعاب ، قال ابن دريد : « والباس خصصا ثعاب وأضى » ويجمع أيضا على ثعبان ، قال الحريري : وأحياه التى ذكرها فى مقاماته : « أيجور الوضوء من ماء الثعالب » فقيل : « وهل أحسن منه للعبان »  
(٨) والمدكيات : والمدكيات بالنصبيع — الجبل التى بلغت تمام السن ونهاية الشباب وفى اللئل : « حرى المدكيات غلاب » أى أن تغالب الجرى غلابا

فَقَرَّتْ بِهَا مِنْ أَوْلِيَاكَ أَعْيُنُ      وَذَلَّتْ لَهَا مِنْ حَاسِدِيكَ رِقَابُ

\* \*

فَتَحَّتَ الْمُنَى مِنْ بَعْدِ إِهْلَامِنَا بِهَا      وَقَدْ صَاعَ إِفْلِيدُ وَأَبْنُهُمْ بَابُ <sup>(١)</sup>  
مَدَدَتْ ظِلَالُ الْأَمْنِ تَحْضُرُ تَحْنُهَا      مِنَ الْعَيْشِ فِي أَعْدَى الْبِقَاعِ شِعَابُ <sup>(٢)</sup>  
حَمَى سَاَلَتْ فِيهِ الْبُقَاعَ جَوَارِحُ      وَكَفَّتْ عَنِ الْبَهْمِ الرِّتَاعَ ذِئَابُ <sup>(٣)</sup>  
فَلَا زِلْتُ تَسْعَى سَعَى مَنْ حَظَّ سَعْيِهِ      نَجَاحُ وَحَظُّ الشَّائِنِيهِ تَبَابُ  
فَإِنَّكَ لِلدِّينِ الشَّعِيبِ لِمَلَامُ      وَإِنَّكَ لِلْمُلْكِ الثُّنَى لِرِئَابُ <sup>(٤)</sup>  
إِذَا مَعَشَرَ الْهَاهُمْ جُلَسَاؤُهُمْ      فَلَهُوْكَ ذِكْرُ وَالْجَلِيسِ كِتَابُ <sup>(٥)</sup>  
نُعْزِيكَ عَنْ شَهْرِ الصِّيَامِ الَّذِي أَنْقَضَى      فَإِنَّكَ مَفْجُوعٌ بِهِ فَمَصَابُ  
هُوَ الزُّورُ لَوْ تُعْطَى الْمُنَى وَضَعُ الْعَصَا      لِيَزْدَادَ مِنْ حُسْنِ الدَّوَابِ مُكَابُ  
شَهِدْتُ لَأَدَى مِنْكَ وَاجِبَ فَرْضِهِ      عَلِيمُ بِمَا يُرْضَى الْإِلَهِ تِقَابُ <sup>(٦)</sup>  
وَجَاوَزْتَ بَيْنَ اللَّهِ أَنْسَاءَ مَعَشَرَ      خَشُوهُ فَخَرُّوا رُكْعًا وَأَنَابُوا  
لَقَدْ جَدَّ إِخْبَاتُ وَحَقُّ تَبْتُلُ      وَبَالَغَ إِخْلَاصُ وَصَحَّ مَتَابُ <sup>(٧)</sup>

(١) إيهام : الباب لإعلاقه ، وباب : مهم أى مغلقة ، وإفليد : المفتاح .

(٢) أعدي : أفضل تفصيل من عدت الأرض يقال أرس عداة وهى الطيبة التربة الخامة من الرزع البعيدة من ماء الأنهار والحداول ، والشعاب : جمع شعب بالكسر وهو الطريق والحبل ومسيل الماء ، يقول أنه مد طلال الأمن على البلاد النائية ، وحمل الخصب يمتد إلى الجهات البعيدة من مياه الأنهار .

(٣) البقاع : صواب الطير ، البهم : واحدتها بهمة بالفتح وهى أولاد الصائ والمز والبتر . وهذا البه من أبعد ما قرأناه فى وصف استنباب الأمن . (٤) الشعيب : المنقرق ، والثنى : العاسد من ثأى ثأى فهو ثأى كسر إذا عسد ، ورتاب : جمع رؤبه وهى القطعة من الخشب يشعب بها الاناء ويسد بها ثلمة الجفة (٥) يشير إلى قول المتنبي : « وخير جليس فى الرمان كتاب »

(٦) التلقاب : بالكسر التام بالأمور .

(٧) الاخبات : مگذر اخبت إلى ربه اطمأن إليه وتخشع وتواضع ، والتبتل : الانقطاع إلى الله تعالى



سَيَخْلُدُ فِي الدُّنْيَا بِهِ لَكَ مَفْخَرُهُ  
وَبُشْرَاكَ أَعْيَادُ سَيَنْمِي أُطْرَاذُهَا  
تَرَى مِنْكَ سَرَّوَالِ الْمَلِكِ فِي قَشْفِ الثَّقَى  
فَأَبْلَى وَأَخْلَفَ إِمَّا أَنْتَ لَا بَسْ  
فَقَدْ يَتَكَّمُ أَلْقَى الْفَوَاغِرَ مِنْ عِدَا  
عَفَا عَنْهُمْ قَدْرَى الرَّفِيعِ فَأَهْجَرُوا  
وَقَدْ تَسْمَعُ الْإِيْتِ الْحَاشِ نَهَيْهَا  
إِذَا رَاقَ حُسْنُ الرُّوضِ أَوْ فَاحَ طَيْمُهُ  
فَلَا بَرَحَتْ تِلْكَ الضَّعَائِنُ إِنَّمَا  
يَقُولُونَ شَرِّقْ أَوْ فَعَرِّبْ صَرِيمةً  
فَأَنْتَ الْحَسَامُ الْعَضْبُ أَصْدَى مَتْنُهُ  
وَمَا السَّيْفُ مِمَّا يُسْتَبَانَ مَضَاوُهُ  
وَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ كَدَّرَ صَفْوُهُ  
وَقَدْ أَخْلَفَتْ مِمَّا ظَنَنْتُ تَحَايِلُ  
فَنَ لِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ عَلَيْهِمْ  
لِيُخْرِجَهُمْ إِنْ لَمْ تَرِذْنِي نَبْوةً

وَيَحْسُنُ فِي دَارِ الْخُلُودِ مَأْبُ  
كَمَا أُطْرَدَتْ فِي السَّمْهَرِيِّ كِمَابُ  
فَيَبْزُقُهَا مَرَأَى هُنَاكَ مُجَابُ  
لِهَذِي اللَّيَالِي الْغُرِّ وَهِيَ ثِيَابُ  
قِرَاهِمُ - لِنِيرَانِ الْفَسَادِ - ثِقَابُ <sup>(١)</sup>  
وَبَايَنَهُمْ خُلُقِي الْجَمِيلُ فَعَابُوا  
وَتُعَلِّي إِلَى الْبَذْرِ التَّبَاحِ كِلَابُ  
فَمَا ضَرُّهُ أَنْ طَفَّ فِيهِ ذُبَابُ  
أَفَاعٍ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ لِسَابُ <sup>(٢)</sup>  
إِلَى حَبْنِ أَمَلِ الثُّفُوسِ نَهَابُ <sup>(٣)</sup>  
وَعُطَّلَ مِنْهُ مَضْرَبُ وَذُبَابُ <sup>(٤)</sup>  
إِذَا حَارَ جَفْنُ حَدَّةٍ وَقِرَابُ  
فَأُضْحَى الرِّضَا بِالسَّخَطِ مِنْهُ يُشَابُ  
وَقَدْ صَفَرْتُ مِمَّا رَجَوْتُ وَطَابُ  
إِذَا لَجَّ بِالْخَضَمِ الْأَلَدُ شِغَابُ  
يُسَاوِ الْفَتَى مِنْ مِثْلِهَا وَيَرَابُ

(١) الفواغر : جمع فاغره من فغراه إذا فتحه أراد بها المحاور ، والثقاب : ما أثبت به النار واشعلتها به من صغار الميدان . يقول : نفسى «داؤك» ، كم ألقى الكوارث من أعداء خبثاء دوى مكر خفى في تدبير الفتن ، ودعاء في نصب الفراك . (٢) لصاب : بالكسر من لعب الجلد باللعلم لرق به من شدة الهزال يريد ان ما يحملونه من ضمن له لقع في صدورهم كذع الأفاعى سبب لهم الهزال .  
(٣) الصرمة : الزعقة وقطع الأمر ، والنهاب : بالكسر الغنائم جمع نهب .  
(٤) مضرب السيف : بالفتح والكسر ، وذبابه : بالضم حده .

فَقَدْ تَتَمَشَّى صَفْحَةَ الْمَاءِ كُذْرَةً      وَيَنْطَوُّ عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابٌ <sup>(١)</sup>  
سُرُورُ الْغِنَى مَا لَمْ يَكُنْ مِنْكَ حَسْرَةٌ      وَأَرَأَيْتُ الْغِنَى مَا لَمْ تُنَلِّ بِكَ صَابٌ <sup>(٢)</sup>  
وَإِنْ يَكُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ مُؤَمِّلٌ      فَأَنْتَ الشَّرَابُ الْعَذْبُ وَهُوَ مَرَابٌ  
أَيُّغُورٌ مِنْ جَارِ السَّمَاءِ كَيْنِ جَانِبُ      وَيُعْمِرُ فِي ظِلِّ الرَّيِّعِ جَنَابٌ <sup>(٣)</sup>  
فَأَيْنَ ثَنَاءُ يَهْرُمُ الدَّهْرُ كِرَةً      وَحَلِيتُهُ فِي الْغَابِرِينَ شَنْبَابُ  
سَأْبِكِي عَلَى حَظِّي لَدَيْكَ كَمَا بَكَى      رِبْعَةٌ لَمَّا ضَلَّ عَنْهُ دُؤَابُ  
وَأَشْكُو بُؤُوجَ الْجَنْبِ عَنْ كُلِّ مُضْجِعٍ      كَمَا يَتَجَفَّى بِالْأَسِيرِ ظُرَابٌ <sup>(٤)</sup>  
فَتَقِ بِهَزْزِ الشَّعْرِ وَأَصْفَحْ عَنِ الْوَرَى      فَإِنَّهُمْ - إِلَّا الْأَقْلَ - ذُبَابُ  
وَلَا تَعْدِلِ الْمُتَنِينَ بِي فَأَنَا الَّذِي      إِذَا حَضَرَ الْعُقْمُ الشَّوَارِدُ غَابُوا  
يَتُوبُ عَنِ الْمَدَاحِ مِنِّي وَاحِدٌ      جَمِيعُ الْخِصَالِ أَيْسَ عَنْهُ مَنَابُ  
وَرَدْتُ مَعِينَ الطَّمْعِ إِذْ زِيدَ دُونَهُ      أَنَسُ لَهُمْ فِي حَجَرِيهِ لُؤَابُ <sup>(٥)</sup>  
وَنَحَدْنِي عِلْمُ تَوَالَتِ فُتُونُهُ      كَمَا يَتَوَالَى فِي النِّظَامِ سِخَابُ <sup>(٦)</sup>  
فَعُدْ يَدِي بِيضَاءٍ يَصْدَعُ صِدْقُهَا      فَإِنَّ أَرَاخِيْفَ الْعُدَاهِ كِذَابُ  
وَحَاشَاكَ مِنْ أَنْ تُسْتَمَرَّ مَرِيرَةٌ      لِمَهْدِكَ أَوْ يَخْنِي عَلَيْكَ صَوَابُ <sup>(٧)</sup>

(١) غطا بطور : ستر والصواب سجات رقيق يشبه الدخان .

(٢) الأرى : العسل ، والصواب : شعر مر واحدته صاه .

(٣) يعور : من أعور المكان إذا مدت منه عورة ، ويعمز : أى صاب ومنه المعزاء للأرض الصلبة .

(٤) الطرب : ككتف ما ساء من الحجارة وحد طرفة والجمع طراب بالكسر .

(٥) ديد : نالسا للمجهول مع ، والحجرة : منع فسكون الناجية ، ولواب : نالضم عطش ، والمعنى : أنه طمع

على الشعر وورد معين الطمع في حين أن غيره من الشعراء حسن عن وروده فله في حابيه لواب أى عطش

(٦) اللجج : كمعلم الذى جرب الأمور وفاسها بقله وعلته التحارب وثلثه اللجج بالذال المعجمة ،

والسخاب : بالكسر القعد . (٧) المرير : والمريرة الحل ، والاستمرار إحكام فله ، يقول حاشاك

أن أدهوك إلى إصلاح عادات من عهدك ، أو يخنى عليك وجه الصو

## بعد خمسمائة يوم في السجن

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة في مدح ابن جهور واستعطافه ، وقد وردت في آخر رسالته الجديدة التي بعث بها إلى ابن جهور <sup>(١)</sup> بعد أن مهد لتلك القصيدة بقوله مخاطبا ابن جهور :

وإنك إن سنيت عقد أمرى تيسر <sup>(٢)</sup> ، ومتى أَعذرت <sup>(٣)</sup> في فك أسرى لم يتعذر ، وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة ، وفضل الجاه تعود به صدقة <sup>(٤)</sup>

وإذا امرؤ أهدى إليك صنعة من جاهه ، فكأنها من ماله لعلى ألقى العصا بذراك <sup>(٥)</sup> ، وتستقرى النوى في ظلك ، وأستأنف التأدب بأدبك ، والاحتمال على مدهك ، فلا أوجد للحاسد مجال لحظه <sup>(٦)</sup> ، ولا أدع لقادح مساغ لفظه ، والله ميسرك من إطلابي <sup>(٧)</sup> بهذه الطلبة ، واشكائي من هذه الشكوى بصنعة تصيب منها مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مستودع ، حسبما أنت خليق له ، وأنا منك حري به ، وذلك بيده ، وهين عليه .

ولما تواتر غرر هذا الثر واتسقت <sup>(٨)</sup> درره ، وفوز عطف غلوائه ، وجر ذيل خيلائه <sup>(٩)</sup> ، عارضه الطم ماهيا ، بل كايده مداها ، حين أشفق من أن يعطفك استعطافه ، وتميل بنفسك الطافه ، فاستحسن العائدة مه ، واعتد بالفائدة له ، وما زال

(١) وقد أثبتنا هذه الرسالة في مكان آخر من المكنات فليرجع إليها القارئ إذا شاء .

(٢) ان يمرت ما تعقد من أمرى تيسر وسهل . (٣) قبل العذر .

(٤) قال الشاعر :

قد تصمت العقول أن الشفقة على الصديق والعدو صدقة  
وأحصل العالم عند الله من ساعد الناس بفضل الجاه  
ومن أمات البائس الملهوفا أغاثه الله إذا أخيا

(٥) في كنفك . (٦) فلا يجد الحاسد سبيلا إلى الشهامة في وتحمته بالظلم إلى وأنا منكوب

(٧) أسماي وأنا لني ما أبغيه . (٨) انتظم . (٩) كبره وزموره .

يستكد الدهن الليل ، والمخاطر الكليل حتى زف إليك عروسا  
مجلوة في أنوابها ، منصوصه <sup>(١)</sup> بجليها وملابها <sup>(٢)</sup> وهامى القصيدة

أَهْوَى فِي طُلُوعِ نِتْكَ النُّجُومِ وَالْمَتَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسِيمِ  
مَرَرْنَا عَيْشُنَا الرَّقِيقُ الْحَوَائِي لَوْ يَدُومُ السَّرُورُ لِمُسْتَدِيمِ  
وَطَرَمْ مَا أَنْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى زَمَنٌ مَا دِمَامُهُ <sup>(٣)</sup> بِالذَّمِيمِ <sup>(٤)</sup>  
إِذْ خِتَامُ الرِّصَا الْمُسَوِّجِ رِزَاجُ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ  
وَعَرِيضُ الدَّلَالِ <sup>(٥)</sup> غَضُ <sup>(٦)</sup> جَنَى الصَّبَا <sup>(٧)</sup> نَشْوَانُ مِنْ سُلَافِ <sup>(٨)</sup> النَّعِيمِ  
طَالَمَا نَافَرَ الْهَوَى مِنْهُ غِرٌ <sup>(٩)</sup> لَمْ يَطُلْ عَهْدُ جِيدِهِ بِالتَّمِيمِ <sup>(١٠)</sup>



أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بِظُلْمِ اللَّيْلِ لَيْسَ يَوْمِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ <sup>(١١)</sup>  
قَمَرُ الْأَفْقِ - إِنْ تَأَمَّلْتَ - وَالشَّمْسُ هُمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ

(١) مرموعة .

(٢) اللاب : الرعان . قال الشاعر : « كالحقة الصمراء صاك عسيرةا علاها »

(٣) دمامه : عهد . (٤) لم يقض لنا وطر من السرور تلك الحياة الدائمة والعيش الرغد

حتى تولى ذلك الرمن غير مدموم العهد . (٥) وذلك الدلال الطيف الحسن .

(٦) الغض : الطرى ، الناعم : الناضر . (٧) الهوى . (٨) حمر .

(٩) نافر الهوى : حاله . (١٠) لم يحرج الأمور .

(١١) التميم : جمع تيمية ، وهو الموذ : جمع عودة . أى الحزرات ونحوها مما يعلق على الصبي ليس

به العين ، وقد أسكر الاسلام ذلك ، وفي هذا يقول القائل :

وإذا للبتة اشتد أظفارها لعبت كل تيمية لا تفع

ومعنى ذلك البيت : أن حبيبه قد طاعى الهوى وحافاه لأنه فرح حدث لا يزال قريب العهد بالتأم ، فهو

لا ينفك كالنزال النافر لفرارته وحادثة عهده .

(١٢) أيها الخبيث بما تدخره لى اللبال من كيد ، رويدك لا تخفى بذلك فلست بمحاق يوما على دهرى

لأبى الفت مه الظلم دائما

وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوَ الْعَظِيمِ<sup>(١)</sup>

\* \*

بَوَّأَ اللَّهُ «جَهْوَرًا» شَرَفَ السُّو  
وَأَجِدُ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْدُ  
دَدٍ فِي السَّرْوِ<sup>(٢)</sup> وَالْبَابِ الصِّمِ<sup>(٣)</sup>  
رَ، فَكَانَ الْخُصُوصُ<sup>(٤)</sup> وَفَقَ الْعُمُومُ<sup>(٥)</sup>  
قَلَّدَ الْعُمُرُ<sup>(٦)</sup> ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ  
وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْعَلِيمِ<sup>(٧)</sup>  
خَطَرُهُ يَقْتَضِي الْكَمَالَ يَنْوَعِي  
خُلُقِي بَارِعٍ وَخُلُقِي وَسِيمِ<sup>(٨)</sup>

\* \*

أَيْهَا ذَا الْوَزِيرُ هَا أَنَا أَشْكُو وَالْعَصَا بَدءَ قَرَعِهَا لِلْحَلِيمِ<sup>(٩)</sup>

(١) أكثر الشعراء من ذكر هذا المعنى في صور مختلفة ، وكادوا يذكرونه ببعض هذه الألفاظ ، وقد ذكره أبو تمام بأسلوب آخر فقال :  
لا تنكري عطل الكريم من العي فالسيل حرب المكاث العالي  
ومنه قول أبي العلاء :

والخط يبتاح الحليل وكم شكا نأ على ، ما شكاه قنبر  
(٢) المروءة . (٣) المحسن : الخالص . (٤) الخصوص : الخاصة ، قال الشاعر :  
البلغ حليلي عند هدد فلا زلت قريباً من سواد الخصوص  
(٥) انتق الخاصة والعامة على تسليمه مقاليد الأمور (٦) العمر : بالضم والفتح ، الذي لم يجر الأمور  
(٧) سلم الجميع مقاليد أمورهم إليه ، واتفق عامتهم وحاصتهم على الاعتراف له بالفضل فأولوا العلم عرّوا  
بالعلم فصله ، ثم قلدهم في ذلك الماهلون ، واكتفى العمر الجاهل بعلم الخبير المحرب ، قالوا : وابن زيدون  
ينظر من طرف حتى إلى قول الجحترى :

ودوو الفضل يجمعون على قص ملك من بين سيد ومسود  
عرف الماهلون فضلك بالعلم وقال الجاهل بالتقليد  
(٨) خطر : شرف وارتفاع قدر ، وعلو منزلة ، يقتضي الكمال : يستلزم الكمال وبلوغ العاية  
لما أحرزه من جلال السجايا ، ووسامة الحلقة .

(٩) والعصا بدء قرعها للحليم : تصمين للمثل العربي المشهور : « إن العصا قرعت لذى الحلم » وهم  
يضربون هنا المثل للذكي الذي إذا نهته انه

مَا عَنَّا أَنْ يَأْتَفَ السَّابِقُ الْمَرْ  
بَطَ فِي الْعَتَقِ مِنْهُ وَالْتَّطْهِيمِ<sup>(١)</sup>  
وَبَقَاهُ الْحُسَامُ فِي الْجَفْنِ يَبْنِي  
مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالْتَّضْمِيمِ  
أَفْصَبَتْهُ مِثْنَيْنِ خَمْسًا مِنَ الْأَيَّامِ  
مَ ، نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ  
وَمَعْنَى مِنَ الضَّيِّقِ بَهَائَاتِ  
نَكَاتٍ بِالْكُلُومِ قَرَحِ الْكُلُومِ<sup>(٢)</sup>  
سَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ وَفَى الْعَا  
يُدِ أَنْسُ يَنْبِي بِبُرْءِ السَّقِيمِ<sup>(٣)</sup>  
نَارُ بَنِي سَرَى إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ لَظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ<sup>(٤)</sup>

\* \*

بَابِي أَنْتَ - إِنْ تَشَأْ - تَكُ بَرْدًا وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ<sup>(٥)</sup>

(١) السابق : العرس ، المرط : اسم مكان - مكر العين وفتحها - والعق في الحبل : السكرم ، والتطهيم : تمام الحسن فيها يشه به - وهو على هذه الحال من الاعتقال - فالصا الذي سُم مكاه الذي رط فيه - لعنقه وكرمه ، وقد وحد هذا البيت في ديوانه على هذه الصورة :

..... يَأْتَفَ الْمَرْ بَطَ فِي الْعَتَقِ مَهْ وَالْتَّطْهِيمِ

فأكملها مما ورد في الروايات الأخرى .

(٢) المعنى : المحسوس من النعمية وهي الحبس الطويل ، والصبي : المرص الملام ، والظلمات : جمع همة وهي الشدائد أو كشي بها من الأشياء ، ونكات : أي فشرت المرح قل أن يراً فأدته ، والكلام : المراحات والمعنى : ومحسوس من المرص الملام بسبب أسياء أذنب قرح حراحاته بمراحات أخرى ، برد أن عناه السجن أصيب إليه عاه المرض فهو في عذسين ، يعانى ألم شديتين .

(٣) أي مرص لا يعودني به - وأنا في السجن - فأندوي عبادة من يروري ما يبغي وبني شغائى لو أمكن ذلك (٤) أي نار ببي وطلم استعر لظاهها في حنة الدعة والراحة والأمن فأصبحت كالصرم : أي كالليل في السواد بعد الاحتراق ، وفيه تلميح إلى قصة أصحاب الحمة المذكورة في قوله تعالى في سورة القلم «إِذَا بُلِغُوا الْحِمَةَ أَصْحَابُ الْحِمَةِ إِذِ انْقَضَى عَمَلُهُمْ شُكِرُوا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» فكان يأخذ منها قوت سدته ويتصدق بالباقي ، فلما مات رأى بوه أن يستأثروا بما فيها لأنفسهم وعباهم لحفلوا بصيرتها مصبيين ، أي ليقطع ثمارها مبكرين في الصبح حمية عن أهين المساكين « فظاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصرم » أي احترقت فصارت في السواد كحفمة الليل .

(٥) أفديك أنت أيها المدوح بأبي ، إن تشأ تكن تلك النار التي مرت إلى حنة الأمن برداً وسلاماً فلا تحترق كنار إبراهيم إذ قذف فيها بأمر نمرود فكانت برداً وسلاماً عليه فلم يحترق ، وفيه تلميح إلى قوله تعالى « فإنا يأنار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » .

لِلشَّفِيعِ النَّاءِ ، وَالْحَمْدُ فِي صَوْنِ الْحَيَا لِلرَّيَّاحِ ، لَا لِلْغُيُومِ (١)  
 وَزَعِيمٌ بَانَ يُدَلِّلَ لِي الصَّنْعَ مَثَابِي إِلَى الْهُمَامِ الزَّعِيمِ (٢)  
 وَوِدَادٌ يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مَا شَاءَ ، وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ  
 وَثَنَاهُ أَرْسَلَتْهُ سَلْوَةُ الظَّا عَيْنِ عَنْ شَوْقِهِ وَهُوَ الْمَقِيمِ (٣)  
 فَهُوَ رِيحَانَةُ الْجَلِيسِ - وَلَا فَخْرَ - وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ  
 لَمْ يَزَلْ مُغْضِيًا عَلَى هَفْوَةِ الْجَا نِي مُصِيخًا إِلَى أَعْتِدَارِ الْكَرِيمِ  
 وَمَتَى يَبْدَأِ الصَّنِيعَةَ يُؤَلِّفُكَ تَمَامَ الْخِصَالِ بِالتَّعْمِيمِ (٤)

(١) أى للشفيع الناء والحمد لا للشعور إليه ، كما ان الحمد في نزول المطر للرياح التي تؤلف من اليوم فينزل المطر بسببها لالفس الغيوم ، وهو كقول العتري :

حار حدى وللرياح الواقي تحلب البيت مثل حمد الغيوم

(٢) كقول تدليل ما استصعب تدليله رجوعى إلى الهمام الرئيس . وقد ورد في بعض النسخ البيت التالى بعد هذا البيت :

أمل يرغم الحفاء إليه وهو ثبت التمام ماضى العزيم

(٣) أى مدح أرسلته مسار على أسنة الناس مسير المثل إذا تلاه الطاعن تسلى به عن شوقه إلى وطنه وحنينه إلى أهله ، وإذا تلاه المقيم كان فيه لهوه وأنه .

(٤) أى متى يبتدئك الحليل تفركك حصاله التامة ، وتعملك أخلاقه الكاملة على المطالبة بقتيم ما ابتدأك به من معروف ، وتكميل ما شرع فيه من صنيع يريد - بصارة أوصح - أن ماله عليه من نعمة مبتدأة ، ويد سابقة يبعث في نفسه أملا قويا في إتمام تلك النعمة باعجاز ما وعد به ، وى هذا المعنى يقول أبو تمام :

هذا سحاب أنت سقت غمامه فعليك - بعد الله - فيض غمامه

إن ابتداء العرف مجد ناسق والمجد - كل المجد - فى استتمامه

وقرب منه قول المتنبي :

ولم أر فى ميوب الناس شيأ كدعس الفادرين على التمام

وقول الفاتل :

إذا ما سديت مكرمة فأتهم فأت البدر بسطع بالتمام

## من قصيدة صنعها يَطْلِيوس<sup>(١)</sup>

« قال هذه القصيدة عند فراره من الدجس والتجائه إلى بى عاد بإشبيلية سنة ٤٤١ هجرية ، وكان نداءه الفطر فالأضخى وهو على حاله من الذكرى والشوق إلى معاهد بقرطبة ، كان يخرج إليها في العيد ، ويتعرج عتارهما ، ويلهو بمحاسنها مع من يهوى ، وقد أذكى تذكراها في فؤاده لآعج الشوق ، وبه كاس الوحسد ، فأحسد يذكراها ممهداً ممهداً ، ويصف ما حلقته في نفسه من الأثر ، ويبين ما أثارته دواعي الذكرى في قلبه من العصابة والأسى والشوق ، ويتول صاحب قلائد العقيان في هذه الأماكس التي يذكراها به : - « هذه معاهد لبي أمية نعمت بها ليالي وآياما ، وطلت فيها الحوادث عنهم بياما ، فهاموا ( شروق العقاب ) وشاموا به رقا يدو من نقاب ، ودموا ( بحوى الرصافة ) ، وطعموا عيشا تولى الدهر حلامه ورفاهه ، وأعدوا بصح الناصح ، وحمدوا أمس ( مجلس ناصح ) ، وعموا ( نارهماء ) ، وصموا عن بيا صاحب ( الرواء ) حق رحلهم الموت عنها وقوضهم ، وعوضهم منها ما عوضهم » إلى آخر ما قال . »

خَلَيْتَ لَا فِطْرُ يَمُرُّ وَلَا أَضْحَى      فَمَا حَالُ مَنْ أَمْسَى مَشُوقًا كَمَا أَضْحَى  
لَنْ شَاقِنِي (شَرَقُ الْعُقَابِ) فَلَمْ أَزَلْ      أَخْصُ بِمَحْضِ الْهُوَى ذَلِكَ السَّقْفَا<sup>(٢)</sup>  
وَمَا أَنْفَكُ جَوْفِي (الرُّصَافَةَ) مُشْعِرِي      دَوَاعِي ذِكْرِي تُعْقِبُ الْأَسْفَ الْبَرْحَا<sup>(٣)</sup>

(١) نطليوس : بهتتين وسكون اللام ، وباء مصمومة ، وسين مهملة مدية كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر « آنه » غربي قرطبة كما في معجم البلدان . (٢) العقاب : نالهم العلم الصخيم والصحرة العظيمة في عرس الحبل اسم موضع بقرطبة ، ومحض الهوى : حاله .

(٣) (حوى الرصافة) : الجوى بضم الجيم الواسع الحوف . قال في اللسان وشئ حوى أى واسع الجوف ، ودلاء حوف : أى واسعه ، و (الرصافة) : ضم فتح اسم لعدة مواضع منها بالأندلس موضعان أحدهما بليدة صيرة عد بلفسية ينسب إليها الرفاء الأندلسى الرصافى الشاعر المشهور والأخرى وهي التي ذكرها هنا عند قرطبة أنشأها عد الرحمن الداخل أول ملوك الأندلس من بى أمية وسماها رصافة جده هشام بن عبد الملك بن مروان التي كانت بالشام كما يؤخذ من ابن خلكان نقلًا عن كتاب لياقوت الجوى اسمه « المشترك وصما تختلف صما » ، والبرح : بفتح فسكون العذاب والشدة وصف به الأسف مبالة والمراد أنها تعقب أسماً مبرحاً شاقاً شديداً



وَيَهْتاجُ (قَصْرُ الْفَارِسِيِّ) صَبَابَةً      لِقَلْبِي لَا تَأْثُلُو زِنَادَ الْأَمْنَى قَدْخًا<sup>(١)</sup>  
وَلَيْسَ ذَمِيمًا عَهْدُ (مَجْلِسِ نَاصِحٍ)      فَأَقْبَلَ فِي فَرْطِ الْوُلُوعِ بِهِ نُصْحًا  
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَى (عَيْنِ شَهْدَةٍ)      نَزَالَ عِتَابٍ كَانَ آخِرُهُ الْفَتْخَا<sup>(٢)</sup>  
وَقَائِمٌ جَانِبَهَا التَّجَبُّنِي فَإِنْ مَشَى      سَفِيرُ خُضُوعٍ يَنْتَنَأُ كَذَّ الصُّلْحَا<sup>(٣)</sup>  
وَأَيَّامُ وَصِلِ (بِالْعَقِيقِ) اقْتَضَيْتُهُ      فَلَا يَكُنْ مِيعَادُهُ الْعِيدَ فَالْفِصْحَا<sup>(٤)</sup>  
وَأَصَالُ لَهْوٍ فِي مُسَنَّةٍ مَالِكٍ      مُعَاطَاةً نَذَمَانٍ إِذَا شِئْتُ أَوْ سَبْحَا<sup>(٥)</sup>  
لَدَى رَاكِدٍ يُضْبِيكَ مِنْ صَفْحَاتِهِ      قَوَارِيرُ خُضْرٍ خِلْتَهَا مُرَدَّتْ صَرْحَا<sup>(٦)</sup>

(١) يقول : تنير دكرى قصر الفارسي لقلبي صابة لانعتر عن قبح رباد الحزن ، والرناد : ما يفتح به النار

(٢) يعنى أنه عما لهو به في هذا المكان جيش عتاب أحرز به نصرًا عليها وفتحاً .

(٣) التجبى اداؤها عليه دبا لم يفعله ، والسفير الصلح بين القوم ، والملى أن هناك وفائع حاشا اداؤها الذنوب عليه كان حصوه فيها رسول سلام لتوكيد الصلح بينهما . (٤) يقال اقمعت الدين أى قبضته وأحدثه ، والصحح بالكسر عيب الصارى ، والملى أن أياً ما معلومة من السنة كنت أحصل فيها (بالعقيق) على الوصل واقضيه في ميعاده كما يقتضى أى يقص العريم دينه ، فال لم يكن ذلك الاقتضاء موعده العيد فالصحح .

(٥) الأصال : جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب ، والمسناة : سدّ يبنى في وسط الوادى لاحتجاز الماء ورد ما لا يلبث منه ومنعه عن الخرى في طريقه المتداد ، له أبواب تفتح لإطلاق الماء بحسب الحاجة ، ومع العرم . قال في الصحاح ، « والمسناة العرم لا واحد له من لفظه » ، والملى أنه يذكر تلك الأيام التى كان يلهو بها مع الأصيل في تلك المساة الملكية مرة بمعاطاة الراح إذا شاء ، وأخرى بالسبح والعمود والماء ، وهذا مما يثبت أنهم كانوا يبنون (الخزانات) لاحتساب الأرض وإمداد البرك بالماء بعد تملته . (٦) قال بعض المعسرین في قوله تعالى ( قيل لها ادخلى الصرح ) . الصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير . ومن معانى الصرح الساحة أيضاً ، فكأنه أراد تشبيه ماء المساة الراكدة في حضرتها واستوائه بزجاج أحضر مرد (بالقشديد) أى ملس صرحاً أى ساحة مستوية من زجاج

مَعَاهِدُ لَدَاتٍ وَأَوْطَانُ صَبْوَةٍ أَجَلْتُ الْمُعَلَّى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْحًا<sup>(١)</sup>  
 الْأَهْلَ إِلَى (الزَّهْرَاءِ) أَوْبَةً نَازِحٍ تَقْضَى تَنَائِيهَا مَدَامِعُهُ تَرْحًا<sup>(٢)</sup>  
 مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَابَتُهَا فَخَلْنَا الْمِشَاءَ الْجَوْنَ أَثْنَاءَهَا صُبْحًا<sup>(٣)</sup>  
 يُمَثِّلُ قُرْطَيْنَا لِي الْوَهْمُ جَهْرَةً فَقُبَّتْهَا فَالْكَوْكَبُ الرَّحْبُ فَالْسَطْحَا<sup>(٤)</sup>  
 حَلُّ أَرْتِيَاحٍ يُذَكِّرُ الْخُلْدَ طَبِيبُهُ إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى<sup>(٥)</sup>

(١) القدح : كسر مكون واحد السهام التي كانوا يستقيمون بها الحزور في الميسر ، وكانت قداح الميسر عشرة ثلاثة منها عمل ، وسبعة من دوات الانساء ، وكان للملعي أوفرها عطا له سمة أجزاء من الحزور ، فإذا أحال مخرج القداح يده في الخريطة ، وأحرج الملعي باسم أحد المتقامرين كان هو العاثر بأكبر الأقسام وأوفر المخطوط . يقول : هذه معاهد لَدَاتٍ قصبت فيها من اللدات ، وبلت فيها من الأمانى ما حمل قديمي فيها الملعي . (٢) الزهراء من غنائ أمية الدنيا أنشأها أبو المظفر عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي الملقب بالناصر أحد ملوك بني أمية بالأندلس بالقرب من قرطبة في سنة ٣٢٥ هـ والمسافة بينها وبين قرطبة ستة أميال تقريباً ، وطول الزهراء من المشرق إلى المغرب ٢٧٠٠ ذراع ، وعرضها ١٥٠٠ ذراع ، وعدد الدواري التي فيها ٤٣٠٠ سارية ، وأبوابها نحو ١٥ باباً ، وكان الناصر يقيم على عمارتها ثلث حياة ملاد الأندلس التي كانت تلمع في ذلك الوقت نحو ستة ملايين من الدنانير ، وهي من أحسن مآثر الدنيا وأبدعها ، وقد أكثر أهل قرطبة في وصفيها وما قاله الشعراء فيها ، ولهم في ذلك تصانيف ، والأوبى : الرجوع ، والنازح : البعد ، وتقضى أحد وتناول حقه من غريمه ، وهي المدامع هنا ، والترح : من ترح الثمر ، وهو استنراف ملئها ، ورأيت في بعض النسخ ( تقضى مبايها مدامعها - صفحا ) (٣) المقصورة : ناحية من البناء على حيالها تقصر على الملك ، أو على صاحب الدار ، أو هي الدار الواسعة المحصنة ، وتجمع على مقاصر ومقاصير ، والجَنَات : جمع حنك كسجدة وسجدة ، وفي اللسان ما يفيد اختلاف اللعوبين في إسكان النون وتفتحها في الفرد ، ويقل عن ابن حنك قوله : وقد غرى الناس بقولهم ، أما في ذراك وحنبك بفتح النون قال والصواب إسكان النون ، واستشهد على ذلك بقول أبي صفقره البولاني :

فما نظمة من حنك مزن تقادفت بها حنك الجودي والليل دامس

بأطيب من فيها وما دقت طمها ولكي فيما ترى العين فارس

والجور هنا الأسود ، والمعنى أن تلك المقاصير أصبحت نواحيها بالمصابيح والسرج ، لحسننا المشاء في داخلها صبحا (٤) يمثل له الوم هذه الموضع من الزهراء كأنه براها جهرة (٥) في بعض النسخ عن بدل عن وفي بعضها ينفذ بدل يصدى ، ولعلها مصححة عن يهرى ، والأشبه بالصواب ما هنا ، ومعنى البيت أن

هُنَاكَ الْجِمَامُ الزُّرْقُ تَنْدَى حِفَافَهَا      ظِلَالٌ عَهْدَتْ الدَّهْرَ فِيهَا فَتَى سَمَحَا<sup>(١)</sup>  
تَعَوَّضْتُ مِنْ شَذْوِ الْفَيَّانِ خِلَافَهَا      صَدَى فَلَوَاتٍ قَدْ أَطَارَ الْكَرَى صَبَحَا<sup>(٢)</sup>  
وَمِنْ حَمَلِ الْكَأْسِ الْمَفْدَى مُدِيرُهَا      تَقَحُّمُ أَهْوَالٍ حَمَلْتُ لَهَا الرُّنْحَا  
أَجَلٌ إِنْ لَيْلِي فَوْقَ شَاطِئِ نَيْطَةٍ      لَأَقْصُرُ مِنْ لَيْلِي بِأَنَّهُ قَالِبَطَا<sup>(٣)</sup>

### في الغزل

عَلَامَ صَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ وَصُولِ      قَدَيْتِكَ وَأَعْتَزَّتْ عَلَى ذَلِيلِ<sup>(٤)</sup>  
وَفِيمَ أَفْتَتْ مِنْ تَعْلِيلِ صَبٍّ      صَبِيحِ الْوَدِّ ذِي جِسْمٍ عَلِيلِ  
فَهَلَّا عُدَّتْنِي إِذْ لَمْ تَعُودْ      بِشَخْصِكَ بِالْكِتَابِ أَوْ الرَّسُولِ<sup>(٥)</sup>  
لَقَدْ أَغْيَا تَلَوْنُكَ أُخْتِيَالِي      وَهَلْ يُغْنِي أُخْتِيَالٌ فِي مَلُولِ<sup>(٦)</sup>

الزهراء محل ترناح المس إليه يذكر طيه جبة الخلد حيث يمتنع أن يصدى اللق أى يعطش أو يصحى أى يبرز للشمس ، وبه الإشارة إلى قوله تعالى « إِنَّ لَكَ أَلَا نَعُودَ فِيهَا وَلَا نَعْرِى وَأَنْتَ لَا تَطْمَأُ فِيهَا وَلَا نَصْحِي » ولا شك أن الجوع ، والعري ، والظمأ ، وعدم السكن أركان الشقاء في هذه الحياة وبدونها يكون العيم والراحة والسعادة ، وأن الشخص في الحياة الدنيا معنى بطلب هذه الأشياء بمحله في دار العيم والخلد ، وقد توفرت له في الزهراء أسباب الراحة والعيم فادكره ذلك جبة الخلد .

(١) الحمام : جمع حمة ، وهي مكان اجتماع الماء ، والزرق : صعة للجمام بمعنى المياه المجمعة ، وحفافها : جوابها وما يطيب بها من حولها ، والمعنى هناك في الزهراء البرك ذات الأمواه الرق تطلنا حفافها وحولها ظلال بليلة ندية (٢) أي أبدلت من سماع صوت المسيات خلال تلك النوادي الآهلة بأنواع الطرب سماع صدى هذه العلوات المحفة يتردد فيها ضحج العاديات من الخيل يطير النوم من العين (٣) نيطه وأنه : نهران (٤) يقول : لماذا قطعت حبل محب دائم الوصال لك ولماذا تكبرت على عدك الخاضع الذليل .

(٥) هلاعدتي بالكتاب أو الرسول إذ لم يكن من عادتك أن تعودني بشخصك .

(٦) من أجل ما قرأناه في هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

لو كنت طابتة لسكن لوعتي      ألهي رضاك وزرت غير معاتب  
لكن مللت ليس لي من حيلة      صدّ لللول خلاف صدّ العاتب

وفريب منه قول ابن الرومي :

ولكنكم كنتم تريدون علة      فهاجكم أدنى عتاب إلى الصد  
أردت صلاح القلب بالبعد فأنبرى      لنا ظلمكم فاستفسد القلب بالبعد

## بين صديقين

« كتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر معاتنا :

تواعدنا على قرب الجوار  
 كأنا صدنا شحط المزار  
 تطلع لى هلال الهجر بدرا  
 وصار هلال وصلك فى سرار  
 وشاع شديع وصلك لى رهجى  
 مهلا كان ذلك فى استنار  
 أبجمل أن ترى عى صورا  
 وأصح مولها دون اصطار  
 ولما أن هجرت وطال غمى  
 عقرت هموم هسى بالعقار  
 وكستأر يدسمعك من عتابى  
 ولكن عافى قرب الخمار  
 فراع مودتى واحفظ جوارى  
 فان الله أوصى بالجوار  
 ووررنى معما من غير أمر  
 وآس موحشا من عقردار  
 لجاونه ابن ريدون : »

هَوَاىَ - وَإِنْ تَنَاءَتْ عَنْكَ دَارِى -  
 مَقِيمٌ لَا تَغْيِيرُهُ عَوَادِ  
 كَمَثَلِ هَوَاىَ فِي حَالِ الْجَوَارِ  
 تَبَاعِدُ بَيْنَ أَخْيَابِ الْمَزَارِ  
 رَأَيْتُكَ قُلْتَ : إِنَّ الْوَصْلَ بَدْرٌ  
 مَتَى خَلَّتِ الْبُدُورُ مِنَ السَّرَارِ (١)  
 وَرَأَيْتُكَ أَنَّى جَلْدُ صَبُورٍ  
 وَكَمْ صَبْرٍ يَكُونُ عَنِ اصْطِبَارِ (٢)

(١) متى أفترت أن الوصل بدر فأنت حقيق أن نعلم أن للدر - لآب شقى هو إذا اكتمل نموه فى وسط الشهر لحقه الهاق فى آخره .  
 (٢) لأن صبرى لى طبيعا ولكنى انكمه اضطرارا اليه لأنى لا أجد مندوحة عنه .

وَلَمْ أَهْجُزْ لِعَتَبٍ غَيْرِ أَنِّي أَصْرَتُ بِي مُعَاوَرَةُ الْمُقَارِ  
وَأَنَّ الْخَمَرَ لَيْسَ لَهَا خِمَارٌ<sup>(١)</sup> مُبَرِّحٌ بِي ، فَكَيْفَ مَعَ الْخِمَارِ<sup>(٢)</sup>

\* \*

وَهَلْ أَنَسَى لَدَيْكَ نَعِيمَ عَيْشٍ كَوَيْثِي الْخَدَّ طُرَّرَ بِالْعِذَارِ  
وَسَاعَاتٍ يَحُولُ اللَّهُوْ فِيهَا بَحَالِ الطَّلَّ فِي حَدَقِ الْبَهَارِ<sup>(٣)</sup>  
وَأِنْ يَكُ قَرَّ عَنْكَ الْيَوْمَ جِسْمِي - فُؤِدَتِ - فَا أَقْلَبِي مِنْ قَرَارِ<sup>(٤)</sup>  
وَكُنْتُ عَلَى الْبِعَادِ أَجَلٌ عَلِقِ<sup>(٥)</sup> لَدَيَّ ، فَكَيْفَ إِذَا أَصْبَحْتَ جَارِي<sup>(٦)</sup>؟

## دعوة

« كتبها إلى ذى الوزارتين أبى عامر يدعوهُ إلى زيارته »

طَابَتْ لَنَا لَيْلَتُنَا الْخَالِيَّةُ فَلْتُنْسِنَاهَا هَذِهِ التَّالِيَّةُ<sup>(٧)</sup>  
أَبَا الْمَعَالِي نَحْنُ فِي رَاحَةٍ فَأَنْقُلْ إِلَيْنَا الْقَدَمَ الْعَالِيَّةُ  
لَيْلَتُنَا عَاطِلَةٌ إِنْ تَغِيبَ عَنَّا ، فَوَزْنَا كَيْ تَرَى حَالِيَّةُ  
أَنْتَ الَّذِي لَوْ تُشْتَرَى سَاعَةٌ مِنْهُ بِدَهْرٍ لَمْ تَكُنْ خَالِيَّةُ

(١) سورة . (٢) إذا كانت الحر التي لا سكر فيها تبرح بى فإياك بها إذا أسكرت .

(٣) البهار : بيت طيب الريح . (٤) إذا كان جسمى قد قرَّ قراره بعيداً عنك فإن قلبي لا يزال

بهمو إليك . (٥) العلق : النفيس ، قال الشاعر :

« أبيت الأمن أن سكا بعلق نفيس لا يعار ولا يباع »

(٦) إنك - مع البعاد الذى يمسى الآلاف - كنت أجل مخلوق لى ، فكيف أساك وقد زادنى الجوارح جافك

(٧) لقد طابت ليلة أمس بقربك ما فلتكررها ، وليدنا ما يغمرنا من السرور فى ليلتنا التالية ما معما

## قال في الوزير الشيخ أبي الحزم

«بَنِي جَهْوَرٍ» أَحْرَقْتُمْ بِجَفَائِكُمْ جَنَانِي وَلَكِنَّ الْمَدَامِحَ تَعْبَقُ<sup>(١)</sup>  
تَعْدُونَنِي كَالْمَنْبَرِ الْوَرْدِ<sup>(٢)</sup> إِنَّمَا تَطْيِبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ<sup>(٣)</sup> حِينَ يُحْرَقُ

\*  
\*\*

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بِمَدْحِهِ زَمَنًا فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ تَوَابِي  
لَا تَخْشَى فِي حَقِّي عَمَّا أَمْضَيْتُهُ مِنْ ذَلِكَ فِي وَلَا تَوَقَّ عِتَابِي<sup>(٤)</sup>  
لَمْ تُنْخَطِ<sup>(٥)</sup> فِي أَمْرِي الصَّوَابَ مُوَفَّقًا هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

## وصال

وَشَادِنِ أَسْأَلُهُ قَهْوَةً<sup>(٦)</sup> فَجَادَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ<sup>(٧)</sup>  
فَبِتُ أَسْقَى الرَّاحَ مِنْ رِيْقِهِ وَأَجْتَنِي الْوَرْدَ مِنْ أَخْذِ

(١) هبى : الطيب يعبق من باب فرح بقيت رائحته زمانا ، يقول بالرغم من أذكم أحرقتم فؤادى بار  
الجهلاء ، وقابلتم شكواى بعدم الاصفاء ، فان مدبجى باق فيكم ملازم احكم ملازمة الطيب صاحبه .  
(٢) الرغفران لمرته . (٣) ما يبعث عنه عند الاحراق من الروائح الطيبة ، والمعنى : تحملوننى  
في عداد ما يحرق من الطيب الذى ليس لكم من إحراقه إلا طيب أنفاسه . قال ابن بسام عند إيراد  
هذين البيتين ، وأراه توارد مع أبى على بن رشيقي القيرواني حيث يقول :  
أراك اتهمت أحاك النقة وعندك مقت وعندي مقه  
وأنى عليك وقد سؤنى كما طيب العود من أحرقة  
وأخذه معا من قول أبى تمام :

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

(٤) لا تخش فى حقى لوما بما أهدته فى من حكم السجن ولا تتوق عتابى فانى أنا الحقيق بالوم والعتاب  
(٥) أبدل الهزة من الياء وحذفها للحارم كما يحذفها من المعتل وأصله لم تخطى ، يقول : لم تعد فى  
أمرى الصواب وقد وقت فى حكمك على بالسجن بعد أن انقطعت زمانا لمحك ، وهذا جزاء من يكذب  
فى شعره ويمدح من لا يستحق المدح ، وقريب من هذا الجفاء قول ابن الرومى :

إن كنت من جهل حق غير مختذر وكنت من رد مدحى غير منتب  
فأعطني عن العارضى الذى كتبت فيه الفصيدة أو كفارة الكذب

(٦) جرأ : يعنى حر ريقه . (٧) أى ورد وجنته .

## وقال معاتباً من قصيدة أولها

بَنَيْتَ فَلَا تَهْدِمِ وَرِشْتَ<sup>(١)</sup> فَلَا تَبْرِي وَأَمْرَنْتَ حُسَادِي وَحَاشَكَ أَنْ تُبْرِي<sup>(٢)</sup>  
أَرَى نَبْوَةً لَمْ أَذِرْ مِرًّا اعْتَرَضَهَا وَقَدْ كَانَ يَحْمِلُو عَارِضَ الْهَمِّ أَنْ أَذِرِي<sup>(٣)</sup>  
جَفَاءَ هُوَ اللَّيْلُ ادْهَمَّ ظَلَامُهُ فَلَا كَوَكْبَ لِلْعُذْرِ فِي أَفْقِهِ يَسْرِي<sup>(٤)</sup>  
هَبِ الْعَزْلَ أَضْحَى لِلْوِلَايَةِ غَايَةً فَمَا غَايَةَ الْمُوفَى مِنَ الظِّلِّ أَنْ يُكْرِي<sup>(٥)</sup>  
فَقِيمَ أَرَى رَدَّ السَّلَامِ إِشَارَةً نُسَوِّغُ بِي إِزْرَاءَ مَنْ شَاءَ أَنْ يُزْرِي<sup>(٦)</sup>  
أُنَاسٌ هُمْ أَخْشَى لِلذَّعَةِ مِقْوَلِي إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا فَعَلَتْ لَهُمْ مُضِرٌ<sup>(٧)</sup>  
فَإِنْ عَاقَتِ الْأَفْدَارُ فَالْنَفْسُ حُرَّةٌ وَإِنْ تَكُنِ الْمُتَّبِي فَأَخْرِجْهَا أُخْرِي

### موقف وداع

وَلَمَّا التَقَيْنَا لِلْوَدَاعِ غُدِيَّةً وَقَدْ خَفَقَتْ فِي سَاحَةِ الْقَصْرِ رَايَاتُ  
وَقُرْنَتِ الْجُرْدُ الْعِتَاقُ<sup>(٨)</sup> وَصَفَّقَتْ<sup>(٩)</sup> طُبُولٌ وَلَا حَتَّ لِلْفِرَاقِ عِلَامَاتُ  
بَكَيْنَا دَمًا حَتَّى كَانَ عِيُونُنَا لَجَرَى الدُّمُوعِ الْحَمْرِ فِيهَا جِرَاحَاتُ  
وَكُنَّا رُجَى الْأَوْبَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ فَكَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ عَلَيْهَا زِيَادَاتُ

(١) من راس صدقيه كساه وأصلح حاله . (٢) من البرء : وهو الشفاء من المرض .  
(٣) أرى حنوة لم أدر سرَّ اعتراضها أى منعها الود من أن يسير في طريقه الأول ، وقد يكشف ما عرض  
لى من الهم والحزن بسبب ذلك أن أعرف سرَّ تلك البوّة والخفوة .  
(٤) جفاء كالليل اشتدَّ ظلامه فلم يسر في أفقه كوكب عذر واضح . وفى الأصل :  
« حياء هو الليل ادْهَمَّ ظلامه »

(٥) أكرى : الطل يكرى نفس ، والمعنى : هب العزل أضْحَى حاتمة ما وليته من عمل فلا ينبغي أن تكون  
غاية ما أوفى على من ظلك ورمائك أن يكرى أى ينقص . (٦) معنى البيت : فى أى ذنب أراك تشير  
بالسلام إشارة تسبغ وتحوز لمن شاء أن يزرى بى الازراء بى والتعقير لثانى .  
(٧) اضراء : بالعيد ونحوه أغراه به فهو مضر أى مفر ، يقول : أولئك الزارون على المحفرون لثانى  
أناس هم أخوف الناس من لسانى لو لم تكن مما فعلته ممي قد اضريتهم بى وأغريتهم بالزراية على  
(٨) الجياد الكريمة (٩) دقت الطبول عيذاناً بالأسب

## وقال أيضا يمدح أبا الوليد بن جهور

هَلْ عَهْدَنَا الشَّمْسُ تَعْتَادُ الْكِلَانَ <sup>(١)</sup> أَمْ عَهْدَنَا الْبَدْرُ يَحْتَابُ <sup>(٢)</sup> الْحُلَانَ  
أَمْ قَضِيبُ الْبَابِ يَعْنِيهِ الْهَوَى أَمْ غَزَالُ الْفَقْرِ يُضْيِيهِ الْغَزْلُ <sup>(٣)</sup>  
خَرَقَ الْعَادَاتِ مُبْدَى صُورَةٍ حَشَدَ <sup>(٤)</sup> الْحُسْنِ عَلَيْهَا فَاجْتَفَلَ <sup>(٥)</sup>  
مُشْرَبُ الصَّفْحَةِ مِنْ مَاءِ الصَّمَا مُشْعُ الْوَجْهِ مِنْ صَبْغِ الْخَجَلِ  
مَنْ عَذِيرِي <sup>(٦)</sup> مِنْهُ إِنْ أَغْبَتْهُ <sup>(٧)</sup> لَمَيَ الْعَهْدَ وَإِنْ عَاوَدْتُ مَلَّ

(١) جمع كله بالكسر ، ومع ستر رقيق يحاط كالبيت يتوق فيه من العوس ونحوه ، وتقدم هذا المعنى عند قوله في القصيدة البونية :

كانت له الشمس طئرا في أكلته بل ما تحلى لها إلا أحيائنا

(٢) يحتاب يلبس من قولهم : احتاب القميص إذا لبسه ، وشاهده قول لبيد :

فذلك إذا رقص اللوامع بالصحى واحتاب أردية السراب اكلامها

أى لمست الاكام أردية السراب ، والحال بالصم جمع حلة أمنت أن من يهواه شمس وأنه بدر على الحقيقة ، وتعب من احتجاب الشمس في الكلال ، واحتياى أى لبس الصدر الحلال ، وأكرر أن يكون ذلك معهودا في العادة . (٣) يمسبه : يهيمه ، ويصده : يشوقه ويدعوه إلى الصا والحين إلى من يحب ، والغزل : مفارقة النساء ومخادنتهن ، أى ولم يعهد أيضا أن الهوى يهيم قديب البان ، وأن المفارقة تدعو غزال القمر إلى الصا فيحن إلى من يهوى . (٤) اجتمع .

(٥) احتشد واجتمع : أى أتى بالاعجازات ذلك الذى طلع عليها بصورته العائسة الجامعة لأمور الحسن ، الحافلة بأنواع الجمال .

(٦) يقال من عذيري من فلان أى من نصيري ، ويقال : عذري فلان بالصا أى هات عذرا له ، ومنه قول ذى الاصص العدواني :

عذيري الحى من عدواني كانوا حبة الأرض

نقى بعض على بعض فلم يرعوا على بعض

أى هات عذرا فيما فعل بعضهم ببعض من البغى ، والقتل ، والتناعد ، والتنافس ، ولم يرع بعضهم على بعض بمس ما كانوا حبة الأرض التى يمحزها كل أحد ، ويقال عذيري من فلان أى من يمددنى ، ومسه قول الآخر :

عذيري من الايمان لأن حموته صفارى ولأن كدت طوع يديه

ولانى لمشتاق الى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

(٧) من العب في الزيارة ، أى جئته زائرا يوما وتركتته يوما أو أكثر يقال : « زرغباً تزدد حباباً » وفى اللسان : « انب في الزيارة قال الحسن في كل أسبوع »



قَاتِلْ لِي بِالتَّجَبُّنِي ، مَا لَهُ لَيْتَ شِعْرِي أَحْلَلْتُ مَا أُسْتَحَلُّ ؟

\* \* \*

أَيُّهَا الْمُخْتَالُ <sup>(١)</sup> فِي زِينَتِهِ أَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْخَالِ <sup>(٢)</sup> فَخَلَّ <sup>(٣)</sup>  
لَكَ إِنْ أَذَلَّتْ <sup>(٤)</sup> عِذْرُ وَاضِحٍ كُلُّ مَنْ سَاعَفَهُ <sup>(٥)</sup> الْحُسْنُ أَذَلَّ  
سَبَبُ الشَّقَمِ الَّذِي بَرَّحَ بِي صِحَّةٌ كَالشَّقَمِ فِي تِلْكَ الْمَقَلِّ <sup>(٦)</sup>  
إِنَّ مَنْ أَضْحَى أَبَاهُ « جَهْوَرٌ » قَالَتْ الْآمَالُ عَنْهُ فَفَعَلَ <sup>(٧)</sup>  
مَلِكٌ لَدَّ جَنَنِي الْعَيْشِ بِهِ حَيْثُ وَرَدُ الْأَمْنُ لِلصَّادِي عَدَلٍ <sup>(٨)</sup>

(١) ذو الحياء المعجب بنفسه المتناهي رينته وحاله .

(٢) الخال له معان كثيرة منها الحياء ، وهو المراد هنا ، وقد أورد صاحب اللسان عن ابن برى أحياناً في معاني الخال ، والماسب منها لما نحن فيه قوله :

وَإِذَا أَنَا حَدَثُ لِعَوَى أَحَى الصَّا وَلِلزَلِ الْمَرْجِ ذِي اللَّهُو وَالْحَالِ

أَيُّ الْحِيَاءِ . (٣) أَى كُنْ دَا حِيَاءَ وَرَهُو وَتَكَرَّرَ ، مِنْ حَالٍ بِخَالٍ بِمَعْنَى اخْتَالٍ ، وَمَعْنَى بَيْتِ الْحِمَاةِ :

فَانْ كُنْتُ سِيدِنَا سِدْتَا وَإِنْ كُنْتُ لِلْحَالِ فَاذْهَبْ نَقْلُ

معناه : إِنْ هَمَلْتُ مَا يُوحِيكَ السِّيَادَةُ عَلَيَا سِدْتَا ، وَإِنْ حَاوَلْتُ أَنْ تُسَوِّدُنَا لِحُجْرَةِ الْكِبَرِ وَالْاِخْتِيَالِ فَاذْهَبْ فَاحْتَلَّ مَا شِئْتُ أَنْ تُحْتَالَ ، فَابْكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تُسَوِّدُنَا حَيْثُ دُ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ : أَيُّهَا الْمُخْتَالُ الْمَزْهُو صُلَا وَكِرَا زِينَتُهُ وَحَالُهُ كُنْ دَا حِيَاءَ وَتَكَرَّرَ وَاعْبَاهُ فَأَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ لِمَرْطِ حَمَاكَ .

(٤) يُقَالُ أَذَلَّ عَلَيْهِ وَتَدَلَّ : ابْسِطْ وَاحْتَرَأْ وَتَحَيَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ تَحْنُ .

(٥) سَاعَدَهُ وَوَاتَاهُ وَأَسَمَعَهُ بِاحْتِمَاٍ أَسَانَهُ لَدَيْهِ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ أَفْرَطْتُ فِي الدَّالَةِ عَلَى ثِقَةٍ بِمَعْنَى

لَا ، وَاعْتِدَادَا بِمَسَاعِفَةِ الْحُسْنِ وَمَوَاتَاتِهِ ذَلِكَ فِي الْإِدْلَالِ عِذْرُ وَاضِحٍ .

(٦) يَقُولُ : أَنْ سَبَبَ الصِّي وَالسَّقَمِ الَّذِي اشْتَدَّ بِي تَبْرِيمُهُ وَأَذَاهُ فَتَوَرَّ لِحُطِّ تِلْكَ الْعِيُونِ الصَّحِيحَةِ

الْمَرِيضَةِ ، وَهَذَا مَعْنَى مَطْرُوقٍ لِلشَّرَاءِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ مَا جَاءَ فِي مَرَضِ الْعِيُونِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

عَلِيمٌ يَمَاحَتُ الصَّدُورُ مِنَ الْهَوَى سَرِيعٌ بِكَرِّ الْهَضْبِ وَالْقَلْبِ حَاذِعٌ

وَبِجَرَحٍ أَحْشَانِي بَعِينٌ مَرِيضَةٌ كَمَا لَانْ مَتْنُ السَّيْفِ وَالسَّيْفِ قَاطِعٌ

(٧) يَعْنِي أَنَّ « ابْنَ جَهْوَرٍ » : إِذَا قَالَتْ الْآمَالُ عَنْهُ قَوْلًا صَدَقَ قَوْلُهَا فَعَلَهُ .

(٨) شَرِّبَ لَعْدَ شَرِّبَ .

أَحْسَنَ الْمُحْسِنِ مِنَّا فَجَزَى      مِثْلُ مَا لَجَّ مُسِيءٌ فَأَخْتَمَ <sup>(١)</sup>  
 سَعْيُهُ فِي كُلِّ بَرٍّ مِثْلُ <sup>(٢)</sup>      إِذْ مَسَاعِي مِنْ يُنَاوِيهِ <sup>(٣)</sup> مِثْلُ <sup>(٤)</sup>  
 لَا يَزَلْ مِنْ حَاسِدِيهِ مُكْبَرٌ      أَوْ مُقِلٌّ ، سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ <sup>(٥)</sup>

\*\*\*

« يَا بَنِي جَهْوَرٍ » الدُّنْيَا بِكُمْ      حَلَيْتِ أَيَّامَهَا بَعْدَ الْعَطَلِ <sup>(٦)</sup>  
 إِنَّمَا دَوَّلْتُكُمْ وَاسِطَةً <sup>(٧)</sup>      أَهَدَتِ الْحُسْنَ إِلَى عِقْدِ الدُّوَلِ  
 نَحْنُ مِنْ نَعْمَائِكُمْ فِي زَهْرَةٍ      جَدَّدَتْ عَهْدَ الرَّيِّعِ الْمُتَقَبِّلِ <sup>(٨)</sup>  
 طَابَ كَانُونُ <sup>(٩)</sup> لَنَا أَتْنَاءَهَا      فَكَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ بِالْحَمَلِ <sup>(١٠)</sup>  
 زَهَرَتْ أَخْلَاقُكُمْ فَأَبْتَسَمَتْ      كَابِتِسَامِ الْوَرْدِ عَنْ لَوْ لَوْ طَلَّ

(١) أحسن المحسن ما جُزَاهُ وكافاه على إحسانه ، كما تكررت إساءة للمسيء فاختتمها عفواً منه وكرماً .

(٢) أى كائنات السائر يشيع في الناس ذكره ، ويحمد أثره .

(٣) يفاخره ويغاديه . (٤) جمع مثال ، أى أئمة وصور يقول أن مساعي المدح في صلة الناس

بأنواع البر والاحسان أصبحت مضرب الأمثال ، في حين أن مساعي أعدائه النابذين له صور حادثة أملاكه - كما ترى -

لم يشع لها ذكر ولم يعرف عنها أثر . (٥) يدعو باستمرار حاسديه على الاكثار أو الافلال

من لومه على ما يصبه على رءوسهم من ويلات ، وينزله بهم من عقوبات ويقول « سبق السيوف العدل »

أى فلامع اليوم أكثر الأعداء منه أم أفلوا ، وهو مثل مشهور يضرب للأمر الذي فات ولم يمكن تداركه .

(٦) مصدر عطلت المرأة كعرج لم يكن عليها حلى ، وهو ضد « حليت » .

(٧) هى الذرة التى فى وسط العقد وتعد أقدس حويزة به .

(٨) يقول : نحن قد حللنا من نعمائكم في بهجة من الرمان ، ونضرة من الحياة ، حددت لنا عهد الربيع

عند استقبال أيامه ، وتجدد أوانه ، والربيع عند العرب ربيعان . الربيع الذى فيه أنور والسكران ، والربيع

الذى تدرك فيه الثمار . (٩) شهر ، وهو اثنان : كانون الأول ، وكانون الثانى .

(١٠) الحمل : بروج من بروج السماء

\* \*

أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي مَهْمَا تَفَضَّنْ بِالْتَدَى <sup>(١)</sup> يُمْنَاهُ فَالْبَحْرُ وَشَلْ <sup>(٢)</sup>  
مَنْ لَنَا فِيكَ بَعِيْبٍ وَاحِدٍ تُحَذِّرُ الْعَيْنُ إِذَا الْفَضْلُ كَمَلْ <sup>(٣)</sup>  
شَرَفُ تَغْنَى عَنِ الْمَذْحِ بِهِ مِثْلُ مَا يَغْنَى عَنِ الْكُخْلِ الْكَحَلْ <sup>(٤)</sup>

\* \*

أَنَا غَرَسْتُ فِي ثَرَى الْعَلِيَاءِ لَوْ أَبْطَأْتُ سُقْيَاكَ عَنْهُ لَدَبُلْ  
لِي ذِكْرُكَ بِاللَّذِي أَسْدَيْتَهُ نَابَهُ وَدَّ حَسُودُ لَوْ خَمَلْ <sup>(٥)</sup>  
فَلَيْمِئْتُ بِالْأَدَاءِ مِنْ حَالٍ فَتَى أَدَّبْتُهُ سَيْرِ النَّاسِ الْأَوَّلْ  
فَوَعَى الْحِكْمَةَ عَنْ قَائِلِهِمْ : « الزَّمِ الصَّحَّةَ يَلْزَمُكَ الْعَمَلُ »

\* \*

أَقْبَلْتُ نِعْمَاكَ تُهْدِي نَفْسَهَا لَمْ أُرِغْ <sup>(٦)</sup> حَطَى مِنْهَا بِالْحِيلِ  
فَقَبِلْتُ الْيَدَ <sup>(٧)</sup> مِنْ بَطْنِ يَدٍ ظَهَرُهَا - الدَّهْرُ - مَحَلٌّ لِلْقَبْلِ  
كَلْنَا بُلُغَ مَا أَمَلَهُ قَابَلُغُ الْغَايَةِ مِنْ كُلِّ أَمَلْ  
وَإِذَا مَا رَامَكَ الدَّهْرُ فَفُتْ وَإِذَا رُمْتَ الْأَمَانِي فَنَلْ

(١) الكرم . (٢) ماء قليل يتحلل من حل أو صخرة .

(٣) يقول من لما عن يعد فيك عينا واحدا فانا نحن نحذر عليك وقد كلت فصائلك عيون الحاسدين ، وهو نظير قول الآخر :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العيبين

(٤) الكحل : محرّكة أن تسود مواضع الكحل من العين خلفة ، أي شرف تستمى بسببه عن المرح كما تستمى العين المسكولة خلفة عن التكحل بالكحل صناعة . (٥) أسديته : أعطيته ، والذكر النابه : الشريف المشتهر ، وهو خلاف الحامل . (٦) لم أطلب وفي الأصل : « لم أدع » .  
(٧) الجبل .

## مداعبة

« كتبها إلى أبي عبد الله بن القلاس البطليوس

يداعبه بها »

أَصْخَ لِمَقَالَتِي وَأَسْمَعْ      وَخُذْ - فِيمَا تَرَى - أَوْ دَعْ  
وَأَقْصِرْ - بَعْدَهَا - أَوْ زِدْ      وَطِرْ - فِي إِثْرِهَا - أَوْ قَعْ

\* \*

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يُعْطِي بَعْدَ مَا يَمْنَعُ  
وَأَنَّ السَّعْيَ قَدْ يُكْذِبُ<sup>(١)</sup>      وَأَنَّ الظَّنَّ قَدْ يَخْدَعُ  
وَكَمْ ضَرَّ أَمْرًا أَمْرٌ      تَوَهَّاهُمْ أَنَّهُ يَنْفَعُ

\* \*

فَإِنْ يُجْدِبُ مِنَ الدُّنْيَا      جَنَابُ طَالَمَا أُمِرْ  
فَمَا إِنْ غَاضَ لِي صَبْرٌ      وَمَا إِنْ فَاضَ لِي مَذْمَعٌ  
وَكَأَنَّ رَامَتِ الْأَيَّامُ      مُ تَرْوِيحِي فَلَمْ أَرْتَعْ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا ضَاقَتْني الْجُلَى      تَجَلَّتْ عَنْ فَتَى أَرْوَعِ<sup>(٣)</sup>  
عَلَى مَا فَاتَ لَا يَأْسُنِي      وَمِمَّا نَابَ لَا يَجْزِعُ  
تَدِبُ إِلَى مَا تَأْلُو      عَقَارِبُ مَا تَبَى تَلْسَعُ

(١) يخفق ، وقد كرر هذا المعنى في سبئته فقال :

« ولكم إحدى قعود ولكم اكدي التماس »

(٢) حاولت الأيام أن تهيم علي فلم أخف .

(٣) أي أن المصائب لا تنال منه منالا ، صارت من صافه الهم لا نزل له ، والجلي : الأمر العظيم والحادث المروع ، والأروع : الدكي الحديد الفؤاد الحمى النفس ، والمعنى : إذا نزلت بي حلى الحوادث تكشفت عن فتي حاضر العقل حديد المؤاد ، وفي الأصل « صابني » من صاب السهم القوطاس بمعنى أصاب وهي لغة قليلة لا نطن أن ابن زيدون يلجأ إلى استعمالها مع غزارة مادته

كَأَنَّا لَمْ يُؤْخَفْنَا زَمَانُ لَيْنُ الْأَخْدَعِ <sup>(١)</sup>  
 إِذِ الدُّنْيَا - مَتَى تَقْتَدِ أَيْ سُرُورَهَا - يَنْبَغِ <sup>(٢)</sup>  
 وَإِذْ لِلْحَظِّ إِفْبَالٌ وَإِذْ فِي الْعَيْشِ مُسْتَمْتَعٌ  
 وَإِذْ أَوْتَارُنَا تَهْفُو وَإِذْ قَفَّضْنَا تَنْرَعُ <sup>(٣)</sup>  
 وَأَوْطَارُ الْمُنَى تُقْضَى وَأَسْبَابُ الْهَوَى تَشْفَعُ  
 فَبِنِ أَدْمَانَةٍ <sup>(٤)</sup> تَعْطُو <sup>(٥)</sup> وَمِنْ قُمْرِيَّةٍ تَسْجَعُ  
 أَعْدُ نَظْرًا فَإِنَّ الْبَعْدَ حَىِّ مِمَّا لَمْ يَزَلْ يَصْرَعُ  
 وَلَا تُطْعِمُ أَلَّتِي تُغْوِيكَ، فَهِيَ لِبَغِيهِمْ أَطْوَعُ <sup>(٦)</sup>  
 تَقَبَّلْ - إِنْ أَتَى - خَطْبًا وَأَنْفُ الْفَحْلِ لَا يَفْرَعُ <sup>(٧)</sup>

- (١) يقول : إنك مولع الآن بالكيد والاساءة إلى مناسيا تلك الأيام التي ألفت فيها بسما الزمن المواتي ، حين كنا أحوين متآلفين ، وفي الأصل : « كأنا لم يولينا » .
- (٢) وفي الأصل : « إاد الدنيا مي » . (٣) تملأ .
- (٤) الأدمان - بالفتح - شجر الحمة ، وهي أكبر من البقول وأصغر من الشجر ، الأدمانه : بضم مسكون فالوا لأنه جمع إدماء كحمراء وهي الطيبة الخالصة للباس ، قال ذو الرمة :
- من المؤلمات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى في منها يتوحد
- وصبح بعض اللعويين أن أدمانة مفرد تكمصانة وإذن وهي مرادة لأدماء ، وتمطوا : تتناول إلى الشجر لتناول منه . (٥) تميل .
- (٦) دغ غواية هذه الماكرة فاهيا أطوع لغواية أعدائك ومناسيك ولن تستطيع أن تتغلب على كبدهم وغوايتهم ، وفي الأصل : « وهي لبغيتهم أطوع » .
- (٧) قرع الأمت رمز للهوان ، قالوا : وحس الألف بالضرر لأنه محل الألفة والكبر والشتم .
- والعرب تقول في امثالها : « أنف الفحل لا يفرع » وهي تقوله : لاختاط الكعب .
- والأصل لحل الأبل إذا ضرب وجهه عن الباقية التي يريدون تناحها منه .
- قالوا : وتمثل به أبو سفيان بن حرب حين دامه زواج النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ابنته أم حبة فقال :
- « ذاك الفحل لا يفرع أفضه » .
- وفي الأصل : « وأنف النمل لا يفرع » يقول : إن العظيم لا يهن عزمه أمام الحطوب والكوارث ، وليكن لك في هذا عاء ولتلقا . أى خطب إن أناك بصدر رحب ، غير واحد على تلك المرأة الفادرة التي لا قيمة لها ولا خط

وَلَا تَكُ مِنْكَ تِلْكَ الدَّارُ بِالْمَرَأَى وَلَا الْمَسْمَعُ  
فَإِنْ قُصَّارَكَ الدَّهْلِيْنَ، حِينَ سَوَّكَ فِي الْمَضْجَعِ<sup>(١)</sup>

### جَرَّبَ النَّاسَ وَأُمْتَحِنَ

خُتَّ عَهْدِي وَلَمْ أُخُنْ بَعْتَ وَدَى بِلَا تَمْنُ  
قَائِلًا : « هَلْ مُزَايِدٌ رَاجِحًا ؟ أُنْثَمُّ مِنْ يَزْنِ »<sup>(٢)</sup>  
عُدَّتِي كُنْتُ لِإِزْمَا نِ ، فَقَدْ خُلْتُ وَالزَّوْنِ<sup>(٣)</sup>  
أَرْخِصَ الْبَيْعَ كَيْفَ شِئْتُ وَذَرْنِي ، لَتَنْدَمَنَّ<sup>(٤)</sup>  
سَوْفَ ثُبُلِي بِغَيْرِنَا ، جَرَّبَ النَّاسَ وَأُمْتَحِنَ

(١) وتأس تلك الدار التي كانت دكراتها معك وآلامك وأحراكك ، فليس لك أمل في اكتساب ودعاء وقصارى ما تصل إليه أن تكون في الدهليز حين يتم غيرك بالمصحح .

(٢) بنت عهدي رحيماً مع صدق ودادي لك ، وأحدث تدل عليه في السوق راحداً به ناحقاً ممن يشتره بأعس الأعمان . (٣) كنت عدتي التي أحارب بها الرمن فأصحت حرماً على أم والرمن . وقريب من هذا المعنى وأدق منه وأدوع قول ابن الرومي :

« تَحْدَثُكُمْ دُرُومًا مُبِيعًا لَتَمُوتُوا سَهْمَ الْعَدَا عَلَى مَكْتَمِ فَصَالِهَا

وَتَدَكُنْتُ أَرْحَمَكُمْ حَيْرَ نَاصِرٍ عَلَى حِينِ حِدَالِ الْيَمِينِ شِمَالِهَا »

إلى أن يقول :

« يَقُوتُوا وَفُتَةُ الْمُدُورِ عَلَى سَحْوَةٍ - وَحَلُّوا نَالِي لَعْدَا وَنَدَالِهَا »

وقول القائل :

« وَاخْتَوَاتُ حَبِيبَتِي دُرُومًا فَكَابُوهَا ، وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي

وَحَبِيبَتِي سَهَامًا صَائِلَاتٍ فَكَابُوهَا ، وَلَكِنْ فِي مِوَادِي

وَقَالُوا : « قَدْ صَعَتِ مَا قُلُوبٌ لِقَدْ صَدَقُوا ، وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي »

(٤) ازهد في ودي كما شئت فوالله لتندمن على رهادتك في ، وما أجل قول ابن الرومي

« وَأَرَامًا يُوَدِّي أَنْ يَذَالَ فَانِي فِي غَيْرِ ذَاكَ مِنَ الْأُمُورِ أَرْخِصَ

إِيَّاكَ لَا تَسْتَمِلْ مَا أَرْخَصْتَهُ سَطْرًا ، فَأَقْلَى مِنْهُ مَا لَا أَرْخِصُ

شَتْرِي - مَنِ اسْتَفْتَنِي وَطَلَبَنِي - أَتَى سَأَزْهَبُ هَذَاكَ وَتَعْرِصُ »

## في مدح ابن جهور

« قالها في مدح أبي الخزم بن جهور  
أحد ملوك الطوائف »

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى مُرَاكِ رَقِيْبَا      فَصَلِّي بِفَرَعِكَ لَيْلَكَ الْغَرِيْبَا <sup>(١)</sup>  
وَلَدَيْكَ - أَمْنَالِ النُّجُومِ - قَلَانِدُ      أَلِفَتْ سَمَاءَكَ لَبَّةً وَتَرِيْبَا <sup>(٢)</sup>  
لِيَنْبُ عَنِ الْجُوزَاءِ قُرْطُكَ كُلَّمَا      جَنَحَتْ تَحْتُ جَنَاحَهَا تَغْرِيْبَا <sup>(٣)</sup>  
وَإِذَا الْوِشَاحُ تَعَرَّصَتْ أَثْنَاوُهُ      طَلَمَتْ مُرِّيَا لَمْ تَكُنْ لِنَغِيْبَا <sup>(٤)</sup>

(١) سراك : سيرك ليلا ، العربي : الشديد السواد يقول كاد الصباح يصعدك فصلى سواد الليل بسواد شعرك ، أليس شعرك كالليل ، فان ابن سام :  
قوله : « فصلى بهر عك ليلك العربية » من قوله أبي الطيب :  
« كمنّت ثلاث روائ من شعرها في ليلة فأرت ليالي أرنها »  
ويطر إلى قول المعري :  
« يودّ أنّ طلام الليل دام له ويريد فيه سواد القلب والبصر »  
وللتأهي :

« وتودّ لو حملت سواد قلوبها وسواد أعينها سواد عذار »

وقال محمد بن هاني :

قد أطلّوا بالدهم منها فجرهم      فتكورت شمس النهار تعصا  
واستأنّوا بشتاتها محرا ، فلو      عقدوا نواصيها أعادوا العيصا

(٢) الله بورن الحب المحر - والترب : واحد تراث الصدر ، وهي موضع القلادة منه - والمعنى لديك قلاند شبيهة بالبحوم تسكن سماء البحر والصدر ملك كما تسكن الدحوم السماء - وأمثال البحوم بالصب حال من قلاند السكره ، متقدم عليه ، وهو الذي سوع بجىء صاحب الحال بكره ، قال ابن مالك :  
« ولم يكر عالما ذو الحال إن \* لم يتأخر » ومن شواهد قوله : « وما لام يعنى مثلها لى لاسم »  
فثلها بالصب حال من لائم السكره ، وخور أن يكون أمثال منتدأ حمره لديك وقلاند بدلا منه .  
(٣) الحوراء : نجم يعترس في حور السماء أى وسطه ، شبه قرطها بالحوراء وحجبت أى مالت معرفة كانها طائر يثح حماه . يقول أبيبى عن الجوزاء قرطك إذا مالت مغربة لتعيب في الأوقى .

(٤) الوشاح : أديم يسبح عريضا ويرصع بالخواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها وتشبه الثريا إذا تعرضت أى سارت معوجة بالوشاح المعوجة أثناؤه - وأثناء الوشاح ما أثنى منه ، قال امرؤ القيس :  
إذا ما أثريا في السماء تعرضت      تعرض أثناء الوشاح المفضل  
أى أعوجت ولم تستقم في سيرها اعوجاج ما أثنى من الوشاح على جارية اتشحت به .

وَلَطَمًا أَبَدَيْتِ إِذْ حَيَيْنَا كَفَاهِ الْكَفَّ الْخَضِيبُ خَضِيْبًا

\*  
\* \*

أُظْلِمَتِ ، دَعَوَى الْبَرَاءَةَ شَأْنَهَا أَنْتِ الْعَدُوُّ فَلَمْ دُعِيتَ حَبِيبًا<sup>(١)</sup>  
مَا بَالُ خَدِّكَ لَا يَزَالُ مُضَرَّبًا يَدَمٍ وَلَحْظُكَ لَا يَزَالُ مُرِيًّا<sup>(٢)</sup>  
لَوْ شِئْتُ مَا عَذَّبْتَ مُهْجَةَ عَاشِقٍ مُسْتَعْذِبٍ فِي حُبِّكَ التَّعْذِيْبَا  
وَلَزَزْتِهِ - بَلَّ عَذْبَتِهِ - إِنَّ الْهَوَى مَرَضٌ يَكُونُ لَهُ الْوِصَالُ طِيْبَا  
مَا الْهَجْرُ إِلَّا الْبَيْنُ لَوْلَا أَنَّهُ لَمْ يَشْخُ فَاهُ بِهِ الْغُرَابُ نَعِيْبَا<sup>(٣)</sup>

(١) يا مَهْمَةُ بَقْلِ الْعَاشِقِينَ يَا مَحْصُوبَةَ الْكُفِّ بَدَمَاهُمُ أَنْتِ الْعَدُوُّ فَكَيْفَ دَعَوْتَ مَسْكَ حَبِيبًا .  
(٢) مثله قول الحمصى :

« عيناك قد اعتره بدمى وعلى حديثك نوره »

(٣) شَعَا فَاهُ يَشْجُوهُ . وَتَحَهُ ، وَالْعَيْبُ وَالْعَابُ : صَوْتُ الْغُرَابِ ، وَنَعْبَى مَا الْمَجْرُ إِلَّا إِلَيْنِ إِلَّا أَنْ  
الْغُرَابُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ - لَمْ يَنْتَهِ فَاهُ لِيَسْتَوْفَا بِذَلِكَ الْمَجْرُ الْمَعِيَّةَ ، وَالْعَيْبُ بِدِيرِ الْفِرَاقِ عَدُّ الْعَرَبِ ، وَيَسْمُونُ  
الْعَرَابَ الْأَبْقَعَ عَرَابَ إِلَيْنِ ، هَلْ عَشْتَرَةُ :

« طَعْنُ الدِّينِ فِرَاقَهُمْ أَتَوْقِعُ وَحَرَى بَيْنَهُمُ الْغُرَابُ الْأَقْمَعُ »

وَقَالَ الْمَابُغَةُ الدِّبْيَانِي :

« رَعِمَ الْأُحَدَةُ أَنْ رَحَلْتَهُمْ غَدَا وَبِذَاكَ تَنْعَابُ الْعَرَابِ الْأَسْوَدِ  
لَا مَرْحَا بَدَمٍ ، وَلَا أَهْلًا لَهُ إِنْ كَانَ تَمْرِيقُ الْأُحَدَةِ فِي عَدِّ »

وَقَالَ قَبَسُ بْنُ دَرِيحٍ :

« أَلَا يَعْرَابُ الدِّبْنِ ، قَدْ ضُرَّتْ بِالْدَى أَحَادِرُ مَن لَبَّى يَهْلُ أَنْتِ وَاقِعُ  
وَأَمَّا لَوْ أَبْلَغْتَا : قَبْلِي أَسْلَمِي بَكَتْ حُدُرًا وَأَرْمَسَ مِمَّا الْمَدَامَعُ »

وَقَالَ الْمَعْرَى : « نَبِيٌّ مِنَ الْعَرَابِ لَيْسَ عَلَى شَرِّهِ يَجُورُنَا أَنْ الشُّعُوبَ إِلَى صَدْرِ  
أَصْدَعَهُ فِي مَرْيَةٍ ، وَقَدْ أَمَرَتْ صَحَابَةُ مُوسَى بِعَدِّ آيَاتِهِ التَّلْعُ »

وَقَالَ فِي رِثَاءِ الشَّرِيفِ الْمَرْتَضَى :

« مَنْ شَاخَرُ لَا إِلَيْنِ قَالَ تَقْصِيدَةً رَثَى الشَّرِيفَ عَلَى رَوَى الْغَافِ »

إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي لِاحْتِجَةِ بِهَا إِلَى تَقْصِيمِهَا .

وَقَدْ شَدَّ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ فَأَنْجَى بِالثَّلَاثَةِ عَلَى مَنْ يَهْذُبُ هَذَا الْمَذْهَبَ الْخَطَاطِيَّ فِي دَمِ الْغُرَابِ ، وَبَرَأَهُ مِنْ تَهْمَةِ  
التَّمْرِيقِ ، فَقَالَ :

وَالدَّاسُ يَلْحُونُ غُرَابَ إِلَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

وَهَلْ غُرَابُ إِلَيْنِ إِلَّا ثَانَةٌ أَوْ جَمَلٌ

وَمَا عَلَى طَهْرِ غُرَابِ إِلَيْنِ تَطْلُوِي الرِّحْلُ



وَأَقْدَقَ قَضَىٰ فِيكَ التَّجَلُّدُ نَحْبَهُ      فَتَوَىٰ وَأَعْقَبَ زُفْرَةً وَنَحْيَا  
وَأَرَىٰ دُمُوعَ الْعَيْنِ لَيْسَ لِي فِيهَا      غَيْضٌ إِذَا مَا الْقَلْبُ كَانَ قَلِيًّا

\* \* \*

مَالِي وَلِلْأَيَّامِ لَجَّ مَعَ الصَّبَا      عُدْوَانُهَا فَكَسَا الْعِدَارَ مَشِيبَا  
حَقَّتْ هِلَالُ السَّنِّ قَبْلَ تَمَامِهِ      وَذَوَىٰ بِهَا غُصْنُ الشَّبَابِ رَطِيبَا  
لَأَمْ بِي مَا لَوْ أَلَمْ بِشَاهِقٍ      لَأَنْهَالَ جَانِبَهُ فَصَارَ كَثِيبًا<sup>(١)</sup>  
فَلَنْ تَسْمَعَنِي الْحَادِثَاتُ فَقَدْ أَرَىٰ      لِلْجَفْنِ فِي الْمَضْبِ «الطَّرِيرِ نُدُوبًا»<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْ عَجِبْتُ لِأَنْ أَضَامَ «وَجْهَوْرُ»      نِعَمَ النَّصِيرِ لَقَدْ رَأَيْتُ عُجِييَا  
مَنْ لَا تُعَدِّي النَّائِبَاتُ لِجَارِهِ      زَحْفًا وَلَا تَمْشِي الضَّرَاءُ دَيْبًا<sup>(٣)</sup>  
مَلِكٌ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهُ مُوَفَّقٌ      مَا زَالَ أَوَابَا إِلَيْهِ مُنِيبَا  
يَأْتِي رِضَاهُ مُعَادِيَا وَمُؤَالِيَا      وَيَكُونُ فِيهِ مُعَاقِبَا وَمُثِيبَا  
مُسْتَرَسٌّ بِالذَّهْرِ يَقْعُدُ صَرْفُهُ      إِنْ قَامَ فِي نَادَى الْخُطُوبِ خَطِييَا

- (١) المعنى : لقد نزل بي مالو رل بجمل شاعق لسقط جابه مصار كنيها مهيلأ أى رملا قد هيل وانتثر - وهو مأخوذ من قوله تعالى « يوم ترحب الأرض والجمال وكانت الحبال كنيها مهيلأ »  
(٢) تسمى : أى تمشى مكروها من قولهم سامه حسما إذا أولاه إياه وأراده عليه - والجن : القعد - والمصب : السيف - والطرير : القاطع - والدوب : جمع ندب بفتحين وهو فى الأصل أثر الجرح فى الجسم إذا لم يرتفع عن الجلد - وأراد به هنا أثر الصدا الذى يملو فرند السيف لطول مكته فى العمد - والمعنى فلننى يعمرنى طول المكث فى السجن فان السيف يصدأ بطول المكث فى السجن .  
(٣) تعدى : بالتصغير تحضر وترفع فى العدو - وزحفا من زحف الجيش - والضراء : من قولهم فلان يمشى الضراء إذا مشى مستغفيا فيما يوارى من الشجر - والديب : مصدر دب القمل والشبح متى على هينته والمعنى : نعم النصير جهور من لا يسرع النائبات إلى جاره زحفا ولا تدب إليه مستغفيا

لَا يُوسَمُ الرَّأْيُ الْفَطِيرُ بِهِ وَلَا يَمْتَادُ إِزْسَالُ الْكَلَامِ قَضِيْبًا <sup>(١)</sup>  
تَأْنِي ضَرَائِيْهُ الضُّرُوبَ نَفَاسَةً مِنْ أَنْ تَقِيْسَ بِهِ النُّفُوسَ ضَرِيْبًا <sup>(٢)</sup>  
بَسَامُ ثَغْرِ الْبِشْرِ إِنْ عَقَدَ الْحُبَا فَرَأَيْتَ وَضَاحًا هُنَاكَ مَهِيْبًا <sup>(٣)</sup>  
مَلَأَ النَّوَاطِرَ صَامِتًا وَلَرُبَّمَا مَلَأَ الْمَسَامِعَ سَامِعًا وَنَحِيْبًا <sup>(٤)</sup>  
عَقْدُهُ تَأَلَّفَ فِي نِظَامٍ رِيَاسَةٍ نَسَقَ اللَّالِيْ مَنْجِبًا وَنَحِيْبًا  
يَعْنِي التَّجَارِبَ كَهْلَهُمْ مُسْتَفْنِيَا بِقَرِيْحَةٍ هِيَ حَسْبُهُ تَجْرِيْبَا  
وَإِذَا دَعَوْتَ وَلِيْدَهُمْ لِعَظِيْمَةٍ لَبَّاكَ رَقْرَاقَ السَّمَاحِ أَدِيْبًا <sup>(٥)</sup>

(١) الرأى العطير : ما فيه نحة وأصله من اختار العجين قل أن يحتمر - وقصب : المقتصب من قولهم اقتصب الخطمة والكلام أى أرسلها من غير إعداد وتهيشة - والمعنى : أنه لا ينتم سمة المحلة فى الرأى ولا يرسل الكلام مقتصا مرتحلا من غير إعداد له ورباصة عليه .

(٢) ضرائبه : سجاياه - والصروب : جمع صرب وهو النمل والشبيه كالصرب ، أى تمتع سجاياه أن يكون له أمثال وأشياء نفاسة تلك الخلال الكريمة أى صامها وأء من أن تقبس به النفوس ضريبا وشديها  
(٣) الحوة : كهرمة وسدرة تجمع على حاكمرف وسدر ، والاحتفاء أن يضم الحالس رحليه إلى طئه ويضمهما مع طئه بثوب وقد يمتحي بيديه ، وهو يوم مقام إسماد الطهر إلى حائط أو نحوه ، يعنى أنه كثير الانشام فى طلامة ويشتر أن جلس محتنيا مطرت منه وناح الحين مشرق الطلعة مهيبا .

(٤) المعنى : أنه ملأ الواطر - روعة وهبة فى حال صمته والمسامع حكمة وديانا سامعا من الناس ونحيبا قال ابن سام :

قوله : « ملأ الواطر صامتا » من قول ابن زيدون أيضا :

اسألها واحمل بكاك حواجا تخدم الشوق سائلا ونحيا

ويطر أيضا إلى لفظ هذا البيت دون معناه قول أنى الطيب :

فدراك حاسدك الرئيس وامسكوا ودراك حالفك الرئيس الأكربا

حلقت صفاتك فى البيوت كلامه كالخط يلا مسمى من أبصرا

ويلج أيضا هذا البيت قول أنى نواس - على ما مره نفس الناس -

« ألا فاستقى حمرا وقل لى : هى الجر » وهذا التعبير فيه أضغف الوحوه ، وبنت بن شرف أشبه من هذه

كلها بيت ابن زيدون ، وهو قوله يمدح صاحب القديوان :

سل عنه وانطق به وانظر إليه تحد ملء المسامع والافواه والفيل

(٥) لباك : أحابك - ورقراق السباح : يريد أن يسبحه بترفرق أى يجرى كلاما حريا مهلا - وأديبا :

لها أديبا بالراء المهمة أى طافا

هَمُّ ثَنَائِهَا النُّجُومُ وَقَدْ تَلَا فِي سُودٍ مِنْهَا الْعَقِيبُ عَقِيبًا  
وَحَاسِنٌ تَنْدَى رَفَاتُ ذِكْرِهَا فَكَادُ تُوْهِمُكَ الْمَدِيحُ نَسِيبًا<sup>(١)</sup>  
كَالْأَسِ أَخْضَرَ نَضْرَةً، وَالْوَرْدِ أَخْمَرَ بِهِجَةً، وَالْمِسْكِ أَذْفَرَ<sup>(٢)</sup> طِيبًا  
وَإِذَا تَفَنَّنَ فِي اللِّسَانِ ثَنَاؤُهُ فَافْتَنَّ لَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ غَرِيبًا<sup>(٣)</sup>  
غَالِيًا بِمَا فِيهِ فَعَيَّرَ مُوَاقِعَ مَرَفًا وَلَا مَتَوَقَّعَ تَكْذِيبًا<sup>(٤)</sup>

\* \*

كَانَ الْوُشَاةُ وَقَدْ مُنِيتُ بِإِفْكِهِمْ - أَسْبَاطَ يَعْقُوبٍ وَكُنْتُ الذِّبَا<sup>(٥)</sup>  
وَإِذَا الْمُنَى بِقَبُولِكَ الْغَضَّ الْجَنَى هَزَّتْ ذَوَائِبُهَا فَلَا تَشْرِيبًا  
أَنَاسِيْفِكَ الصَّدَى الَّذِي - مَهْمَا تَشَأْ تُعِدِ الصَّقَالَ إِلَيْهِ وَالتَّذْرِيْبَا<sup>(٦)</sup>  
كَمْ صَاقِي مِنْ مَذْهَبٍ فِي مَطْلَبٍ فَثَنَيْتُهُ فُسُحَ الْمَحَالِ رَحِيْبَا  
«وَرَهَا» حَنَابُ الشُّكْرِ - حِينَ مَطَرَتْهُ - بِسَحَابِ النُّعْمَى - فَرَدَّ خَصِيْبَا<sup>(٧)</sup>

(١) قال ابن سمام :

قوله : « فَكَادُ تُوْهِمُكَ الْمَدِيحُ نَسِيبًا » من قول أبي تمام :

(٢) أذفر : دَكَّى طيب الريح .

طاب بك المديح والد حق فاق وصف الديار والتشييبا

(٣) إذا تفنن : أى أطرده مدحيه في اللسان - فافتن : أى أحده في مود وضروب من المدح لم يكن

مراد المادح عربيا لأنه يستعمل من صغاته فيقول .

(٤) مواقع : مدان ، والتوقع : المتطرق - والمعنى : بالغ مادحه بما فيه من الصفات فلم يكن مدانيا

إفراطاً ولا متغورا تكديبا .

(٥) منيت بليت - والافك الكذب والتحديث بالباطل ، يريد انه يرى مما ابتلى به من إفكهم براءة

الذم من دم ابن يعقوب .

(٦) التدريب : التعديد .

(٧) وجد هذا البيت في الأصل وفي غيره من المطاوع " ناقصا ، والزيادة يعطيا السياق .

\*  
\* \*

فَتَهَنَّا الْأَعْيَادَ عَادَةً لِأَبْسِ      يُبْلِي الدَّرِيسَ فَيَسْتَجِدُّ قَشِيباً<sup>(١)</sup>  
وَمَتَّى سَعَيْتَ لِنَازِحٍ مُتَعَذِّرٍ      فَوَجَدْتَهُ سَهْلَ الْمَرَامِ قَرِيباً<sup>(٢)</sup>  
وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدَرُ الَّذِي      لَا تَسْتَطِيعُ لِحُكْمِهِ تَقْيِياً

### عتاب

أَحِينَ عَلِمْتَ حَظَّكَ مِنْ وِدَادِي      وَلَمْ تَجْهَلْ حَمْلَكَ مِنْ فُؤَادِي  
وَقَادَنِي الْهَوَى فَاثْقَدْتُ طَوْعاً      وَمَا مَكَّنْتُ غَيْرَكَ مِنْ قِيَادِي  
رَضِيتَ لِي السَّقَامَ لِأَبَسَ جِسْمٍ      كَحَلَّتْ الطَّرْفَ مِنْهُ بِالسُّهَادِ<sup>(٣)</sup>

\*  
\* \*

أَجَلْ عَيْنِكَ فِي أَسْطَارِ كُنْبِي      تَجِدْ دَمْعِي مِزَاحًا لِلْهِدَادِ<sup>(٤)</sup>  
قَدَيْتُكَ إِنَّنِّي قَدْ ذَابَ قَلْبِي      مِنْ الشُّكُوى إِلَى قَلْبِ جَمَادٍ

(١) يقال تهناً الطعام ونهأ به كما يقال ثعاق الشيء وثعاق به — أى نهأ بالأعياد غير محال فحدثك فيها من إهلاك الثوب الدريس أى الخلق ، ولس القشيب أى الحديد ، وهذا طير قوله في آياته .

فأبل وأحلف إنما أقت لاس لهدى اليالى الفر وهى تياب

(٢) ومتى سعيت لعل الأصل ولكم سعيت الدت — والذى يظهر ان هذه الأبيات التى ختمت بها هذه القصيدة وقع فيها شيء من التعريب فليحذر .

(٣) يقول : « أحبب أيقنت انى لا أحل أحداً يحلك من لبي وعلمت أنى أسير هواك حزيتنى على ذلك الاخلاص والحب سقاماً وتسهيذاً . وما أحل قول المجهول :

وأدبى حتى إذا ما فتننى بقول يحل العصم سهل الأباطح

تناهت عسى حين لالى حيلة وعادرت ما عادرت بين الجوامح

(٤) تأمل فى سطور الكتب التى أبعت بها إليك تجد دمعى محتفظاً بمداحه

## رثاء فتاة

« قال يرثى ابنة المعتضد المتوفاة قبل وفاته بثلاث »

- سَرَّكَ الدَّهْرُ وَسَاءَ فَاقِنْ شُكْرًا وَعِزًّا (١)  
 كَمْ أَفَادَ الصَّبْرُ أَجْرًا وَاقْتَضَى الشُّكْرُ نَمَاءً (٢)  
 أَنْتَ إِنْ تَأْسَى عَلَى الْمَفْقُودِ الْفَاءَ وَاجْتِبَاءً (٣)  
 فَاسْأَلْ عَنْهُ غَيْرَةَ وَأَخْشَلِ الرُّزْمَ إِبَاءً  
 أَيُّهَا « الْمُعْتَضِدُ » الْمَنْصُورُ مَلَيْتَ الْبَقَاءَ (٤)  
 وَتَرِيدَتِ مَعَ الْأَيَّامِ عِزًّا وَعِلَاءً (٥)  
 إِنَّمَا يُكْسِبُنَا الْحُزْنَ نُ عَنَاءَ لَا غِنَاءَ (٦)  
 أَنْتَ طَبَّ أَنْ دَاءَ الْمَوْتِ قَدْ أَغْيَا الدَّوَاءَ (٧)  
 فَتَأْسَى (٨) إِنْ ذَاكَ الْخَطْبُ غَالِ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَسَيَفْنَى الْمَلَأُ الْأَعْلَى إِذَا مَا أَلَّهُ شَاءَ

\*\*\*

حَبْدًا هَدَى عُرُوسٍ دَفْنَهَا كَانَ الْهِدَاءُ  
 عَمَّرَتْ حِينًا وَمَاءَ الْمُزْنِ شَكْلَيْنِ سَوَاءُ

(١) افن : الرم من دولهم قيب حياتى أى لرمته ، قال عترة :

فأحتها لب البية منهل لايد أن أسقى بذاك المهل

فاقى حياها لا أبالك واعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

والمى : مرك الدهر وساءك فاشكره على أن مرك وتمز بذلك عما ساءك .

(٢) زيادة . (٣) الاجتناء : الاصطباء .

(٤) ملية البقاء : تمتك الله بالبقاء . (٥) اللاء : الرعة .

(٦) إنما يكسبها الحزن ألما لا فائدة فيه ولا جدوى مه .

(٧) أنت عالم خبير بأن داء الموت لا جدوى له . (٨) اصبر .

نُمُّ وَلَّتْ فَوَجَدْنَا أَرْجَ (١) الْمِسْكِ ثَنَاءَ  
جَمَعَتْ تَقْوَى وَإِخْبَا تَا (٢) وَفَضْلًا وَذَكَاءَ  
سُتُوْفٍ مِّنْ جَامِ الْكَوْثَرِ الْعَذْبِ رَوَاءَ (٣)  
حَيْثُ تَلْقَى الْأَتْقِيَاءُ الشُّعَدَاءَ الشُّهَدَاءَ

\*\*\*

هَانَ مَا لَاقَتْ عَلَيْهَا أَنْ غَدَتْ مِنْكَ فِدَاءَ (٤)  
غُيْمٌ أَحْبَابِكَ أَنْ تَبْقَى وَإِنْ غُمُّوا فَنَاءَ (٥)  
قَالَ بَسِ الصَّنْعَ مُلَاءَ وَأُسْحَبِ السَّعْدَ رِدَاءَ (٦)  
وَرِثِ الْأَعْدَاءَ أُنْمَا رَهْمُ وَالْأَوْلِيَاءَ (٧)

### في الغزل

مَا صَرَّ لَوْ أَنَّكَ لِي رَاحِمٌ وَعَلَيَّ أَنْتَ بِهَا عَالِمٌ  
يَهْنِيكَ نَاسُؤُلِي وَبَا بُغَيْتِي أَنْتَ مِمَّا اسْتَكِي سَالِمٌ (٨)  
تَضَحَّكَ فِي الْحُبِّ وَأَبْكِي أَنَا اللَّهُ - فِيمَا يَنْتَنَا - حَاكِمٌ  
أَقُولُ لِمَا طَارَ عَنِّي الْكَرَى قَوْلَ مَعْنَى قَلْبُهُ هَاسِمٌ  
« يَا نَاعْمًا أَيْقَظَنِي حُبُّهُ هَبْ لِي رُقَادًا أَيُّهَا النَّاسِمُ (٩) »

(١) طيب . (٢) الاحبات : الحشوع . (٣) ستروى من ماء الكوثر .

(٤) هون عليها حطب الموت أنها افتدتك معها من الردى .

(٥) إن أحبابك ليرون في بقائك أكبر دور لهم ولو افتدوك بأنفسهم .

(٦) اللام والملاءة : الربطة ذات لفتين ، والمعنى : ارسل في حلل المعروف والسعادة .

(٧) وهبك الله أعمار أعدائك وأصميتك .

(٨) من أبدع ما قرأناه في هذا المعنى قول الشريف الرضى :

« أهون عليك - إذا امتلأت من الكرى - ، أنى أبيت بليلة اللسوع »

(٩) يقول : « ليس من العدا له أن تمام وأسهر ، فانهم على بالكرى بعد أن أيقظى مجرك » .

## تهنئة

« وقال يهنئ المعتضد وقد شرب دواء »

أَتَحَذَتْ عَاقِبَةَ الدَّوَاءِ      وَنِلْتَ عَاقِبَةَ الشِّفَاءِ  
وَأَخْرَجْتَ مِنْهُ مِثْلَمَا      خَرَجَ الْحُسَامُ مِنَ الْجِلَاءِ  
وَبَقِيتَ لِلدُّنْيَا      فَأَنْتَ دَوَاؤُهَا مِنْ كُلِّ دَاءِ  
وَوَرِثْتَ أَعْمَارَ الْعَدَى      وَقَسَمْتَهَا فِي الْأَوْلِيَاءِ <sup>(١)</sup>  
يَا خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْجِيَاءِ      دَسَارَ فِي ظِلِّ اللِّوَاءِ  
وَأَجْتَالَ يَوْمَ الْحَرْبِ قُدَّ      مَا وَأَحْتَبِّي يَوْمَ الْحِبَاءِ <sup>(٢)</sup>  
بُشْرَاكَ عُقْبَى صِحَّةٍ      تَجْرِي إِلَى غَيْرِ انْتِهَاءِ  
فِي دَوْلَةٍ تَبْقَى بَقَا      الدَّهْرِ آمِنَةً الْفَنَاءِ  
وَمَسْرُوعَةٍ يُفْضِي بِهَا      زَمَنٌ كَحَاشِيَةِ الرَّدَاءِ  
وَأَشْرَبَ فَقَدْ لَدَّ النَّسِيمُ      وَرَقَّ سِرْبَالُ الْهَوَاءِ  
لِنَرَى بِكَ الْبَهْوَ الْمُطِلَّ عَيْسُ      فِي حُلَلِ الْبَهَاءِ  
وَبَقِيتَ مَقْدِيًّا بِنَا      إِنْ نَحْنُ جُزْنًا فِي الْفِدَاءِ <sup>(٣)</sup>

(١) قوله : « وقسمتها في الأولياء » يذكرنا قول العباس الأحمف :

لو كانت هذا الحب يد      فقدمه حكيم أو قصاص  
لظلمته لجمعته      من كل أرض أو سماء  
فقسمته بيني وبينه      من حبيب نفسي بالسواء  
حسب إذا متنا حميد      بما ، والأمر إلى انتهاء  
مات الهوى - من بعدنا -      أو طاش في أهل الوفاء

(٢) أحوال : من إحالة القداح في اليسر وبأسه قدحا أي فار بالظفر والصر على الأعداد ، واحتال في الحرب وحال بمعنى واحد وبأسها قدما بصمتين - والتحفيف بالاسكان في مثله حائر - ومعناه جال في الحرب يمضي قدما أي إلى الامام ، والحاء : بالكسر العطاء .  
(٣) مدتك أعمازنا إن كاث يقبل ما هذا الفداء . .

## تهنئة بفصد

« وقال يهنيه بفصد »

لِيَهْنِكَ أَنْ أَمَحَدْتَ عَاقِبَةَ الْفَصْدِ      فَلِلَّهِ مِنَّا أَجْمَلُ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ  
وَيَا عَجَبًا مِنْ أَنْ مَبْضَعٌ قَاصِدٍ      تَلَقَّيْتَهُ لَمْ يَنْصَرِفْ نَابِي الْحَدِّ  
وَمِنْ مُتَوَلَّى فَصْدٍ يُمَنَّاكَ كَيْفَ لَمْ      يَهْلُهُ عُبابُ الْبَحْرِ فِي مُعْظَمِ الْمَدِّ  
وَلَمْ تَغْشُهُ الشَّمْسُ الْمُنِيرُ شُعَاعُهَا      فَيُخْطِئَ فِيهَا رَامُهُ سَنَنَ الْقَصْدِ

✱ ✱

مَرَى دَمُكَ الْمُهْرَاقُ فِي الْأَرْضِ فَكَتَسَتْ      أَفَانِينَ رَوْضٍ مِثْلَ حَاسِنِيَةِ الْبُرْدِ  
فِصَادٌ أَطَابَ الدَّهْرَ فَالْفَطْرُ فِي الثَّرَى      كَمَا طَابَ مَاءُ الْوَرْدِ فِي الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ  
لَقَدْ أَوْفَتْ الدُّنْيَا بِعَهْدِكَ نُصْرَةً      كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَهَا كَرَمَ الْعَهْدِ (١)  
لَدَى زَمَنِ غَضٍّ أُنَيْقٍ فَرِنْدُهُ (٢)      كِمَثَلِ فَرِنْدِ الْوَرْدِ فِي خَجَلَةِ الْخَدِّ  
تُسَوِّغُ مِنْهُ الْعَايِشُ فِي ظِلِّ دَوَالِهِ      مُقَابَلَةً الْأَرْجَاءِ بِالْكَوْكَبِ السَّعْدِ

✱ ✱

فَهَبْ إِلَى اللَّذَاتِ مُؤَثِّرَ رَاحَةٍ      تُجْمِ هِيَ (٣) النَّفْسَ الْفَيْسَةَ لِلْكَدِّ (٤)  
وَوَالِهَا فِي لَوْلُوٍ مِنْ حَنَابِهَا (٥)      كَحَجِيدِ الْفَتَاةِ الرُّودِ فِي لَوْلُوٍ الْعَقْدِ  
وَإِنْ تَدْعُنَا لِلْأَنْسِ - عَنْ أَرْحِيَةِ -      وَفَدَّ يَا نَسُّ الْمَوْلَى إِذَا ارْتَاحَ بِالْعَبْدِ

(١) يقال وفي العهد أو في العهد وكلاهما معنى واحد قال تعالى « وأوفو بعهد الله » ومعنى أوفيت لقد أاهدتك الدنيا على الصرة ووفت بالعهد ولم تنقصه فكأنك قد علمتها الوفاء وكرم العهد .

(٢) أُنَيْقٍ الوشي . (٣) ترتاح بها .

(٤) تخم : يقال حمت وأحمها هو أي تركها تستجمع ما فقدته ، والمعنى : انشط إلى اللذات مفضلا الراحة قليلا ، وارتك نفسك تستجمع ما فقدته من قوتها لتستأنف الكد والعمل لمهام الدولة .

(٥) الجناب : الباحية وما قرب من محلة القوم .



## في مدح ابن جهور

- مَا طُولُ عَذْلِكَ لِلْمُحِبِّ بِنَافِعٍ      ذَهَبَ الْفَوَادُ فَلَيْسَ فِيهِ بَرَّاجِعٌ <sup>(١)</sup>  
 فَتَدَّتْ حِينَ طَمِعَتْ فِي سُلوَانِهِ      هَيْهَاتَ لَا ظَفَرُ هُنَاكَ لِطَامِعٍ <sup>(٢)</sup>  
 فَدَعِيهِ حَيْثُ يَطُولُ مَيْدَانُ الصَّبَا      كَيْمَا يَجُرُّ بِهِ عِنَانُ الْخَالِعِ <sup>(٣)</sup>  
 مَاذَا يَرِيكَ مِنْ فِتْيَ عَزِّ الْهُوَى      فَعَنَّا لِنُخَوِّتِهِ بِذِلَّةٍ خَاصِعٍ <sup>(٤)</sup>  
 هَلْ غَيْرَ أَنْ تَحْضِيَ الْوَفَاءَ لِنَادِرٍ      أَوْ غَيْرَ أَنْ صَدَقَ الْوِصَالَ لِقَاطِعٍ <sup>(٥)</sup>  
 لَمْ يَهْوَ مَنْ لَمْ يُنْسِ قُرَّةَ عَيْنِهِ      سَهَرُ الصَّبَابَةِ فِي خَلِيِّ هَاجِعٍ <sup>(٦)</sup>  
 وَاهَا لِأَيَّامٍ خَلَّتْ مَا عَهْدُهَا      - فِي حِينِ ضَيَّعْتَ الْمُهْودَ - بَضَائِعِ <sup>(٧)</sup>  
 زَمَنْ كَمَا رَاقَ السَّقِيطُ مِنَ النَّدَى      يَسْتَنُّ فِي صَفَحَاتٍ وَرْدٍ يَانِعٍ <sup>(٨)</sup>  
 أَيَّامٍ إِنْ عَتَبَ الْحَبِيبُ - لِهَفْوَةٍ -      شَفَعَ الشَّبَابُ فَكَانَ أَكْرَمَ شَافِعٍ <sup>(٩)</sup>

- (١) العدل : اللوم ، والمعنى : لا تمديه فليس العدل بائع محاذيه مع من يهواه فليس يرجعه كثرة اللوم والتعيب . (٢) مدت : أى سببت إلى السكذب ودفع الرأى حين تطمعين في سلو محب يعد كل المد أن يطمر طامع في سلوانه بظائل .  
 (٣) الخالع : من حلق العرس عذاره ألفاه عن نفسه فعدا بشر ، وهو مثل يضرب لمن أطلق من قيده ، يقول : اتركه وشأنه في الهوى حيث يتبع له مجال الصبا ، ومراح الشاب ، كي يطلق لنفسه العنان في اللهو والراح . (٤) ماذا يريك : ماذا تكرهينه ويسوءك من فتى ، أو أى شئ يحملك منه في ربه وشك ، وعما : حصص وأطاع ، والنخوة : العطمة والكبر ، وهذا البيت يذكرنا ، قول الشريف الرضى :  
 « لو حيث يستمع السرار وقتما لعجبنا من عزه وحسوبي »  
 (٥) مصاه : هل يعرف غير محض الوفاء لمن عذر ، وحسن الصلة لمن هجر .  
 (٦) لم يذق طعم الهوى من لم يكن سهر الصباة في خلى نائم حيا إلى نفسه ، وقرة عينه .  
 (٧) واه : كلمة يتعجب بها من طيب الشئ ، وحسنه ، والمعنى : ما عهد تلك الأيام التي تروق بهجتها بصالح عندى في حين ضيعت أنت كل المهود .  
 (٨) راق : أعجب ، والسقيط : ماسقط من الذدى على الزهر ، ويستن : ينصب كالدمع في صفحة الورد  
 (٩) قريب من هذا المعنى قوله في مطلع بانيته :

أما علمت أنت الشفيع شباب  
 علام الصبا غص يرف رواؤه  
 فيقصر عن لوم المحب عتاب  
 إذا عن من وصل الحسان ذهاب

مَالِي وَلِلدُّنْيَا غُرُزْتُ مِنَ الْمُنَى      فِيهَا بِيَارِقَةِ السَّرَابِ انْخَادِعِ  
مَا إِنِّ أَزَالُ أَرْوُمُ شُهْدَةَ عَالَمٍ      أَنْحَى مُجَاجَتَهَا بِإِزْرَةٍ لَاسِعِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْبِلَادَ إِذَا نَبَتْ      أَنْ لَسْتُ لِلنَّفْسِ الْأَلُوفِ بِيَاخِعِ<sup>(٢)</sup>  
أَمَّا الْهَوَانُ فَصُنْتُ عَنْهُ صَفْحَةً      أَغْشَى بِهَا حَدَّ الزَّمَانِ الشَّارِعِ<sup>(٣)</sup>  
فَلَيْزَنْعِمِ الْخَطَّ الْمَوْلَى أَنَّهُ      وَلَّى فَلَمْ أَتْبِعْهُ خُطْوَةً<sup>(٤)</sup> تَابِعِ  
إِنَّ الْغَنَى لَهُوَ الْقَنَاعَةُ لَا الَّذِي      يَشْتَفِ نُظْفَةً مَاءٍ وَجْهَ الْقَانِعِ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

اللهُ جَارُ « الْجَهْوَرِيِّ » فَطَامَا      مُنِيتُ<sup>(٦)</sup> صَفَاءُ<sup>(٧)</sup> الدَّهْرِ مِنْهُ بِقَارِعِ

(١) شهدة : ناصم والفتح واحدة الشهد وهو العسل مادام لم يعصر من شمعته ، والغاسل : الذي يشتر العسل أى يأخذه من الخلية ، والمحاجة : ما يبعه البخل من العسل ، وبين « غاسل » و « لاسع » حاس القلب ، والمعنى : مارات أطلت من الدنيا أملا يحنى بحاجة طائل حتمها لمرّة لاسع .

(٢) نبت : لم يوافق المقام بها قال : « وإذا بابك منزل فتحول » ، واجع : مزهق نفسى وقائلها نحا والمعنى : من يبلغ عى ساكى تلك اللاد التي رحلت عنها مع شدة تعلقي بها أنى لسب تقابل نفسى أسفا ونحما على مفارقتها إذا نبت فى ولم توافقي الاقامة فيها ، وفى معنى التحول عن منزل الصيم بقول شار : إذا أسكرتى ملدة أو بكرتها حرحت مع البارى على سواد

أى على بقية من سواد الليل .

(٣) الشارح : من شرع نحوه حد السيف أو الرمح وأشهره سدده له وهو نظير مول الآخر :

درس للطعان إذا القيا - وحوها لا تعرض للساب

(٤) ناصم ما بين التقديم وتجمع على خطا وخطوات .

(٥) العطفة الماء : القليل ، ويشتمها : يشربها عن آخرها ، يقال اشتب فى شره إذا أتى على آخر ما فى الاناء فلم يستر ، والمراد هنا انه يريقها كلها عند السؤال ، والتنازع : السائل ، وفى الكتاب العزيز « وأطعموا الفقاع والمغتر » وهو من قع - بالفتح - قنوطا إذا سأل ، لاس قع - بالكسر - قناعة إذا رضى ولم يرق ماء وجهه بذل السؤال ، يقول أن الغنى عى النفس بالقناعة لا غنى المال الذى يستنزف فيه السائل ماء وجهه ، ويشتب آخر قطرة من حياته .

(٦) ابتليت .

(٧) المحر العريس الأملس ويجمع على صفا .

مَلِكٌ ذَرَى أَنْ الْمَسَاعَى مُنْمَعَةٌ      فَسَمَى فَطَابَ حَدِيثُهُ لِلْسَّامِعِ  
 شِيمٌ هِيَ الزَّهْرُ الْجَنِيُّ تَبَسَّمَتْ      عَنْهُ الْكَمَامُ فِي الضَّحَاءِ <sup>(١)</sup> الْمَاتِعِ <sup>(٢)</sup>  
 أَغْرَى مُنَافِسُهُ لِيُذْرِكَ شَأُوهُ      فَشَاءَهُ بِالْبَاجِ الطَّوِيلِ الْوَاسِعِ <sup>(٣)</sup>  
 تَبَتُّ السَّكِينَةُ فِي النَّدَى كَأَنَّمَا      تِلْكَ الْحُبَا لِيَتَّ بِهَضْبٍ مَتَالِعِ <sup>(٤)</sup>  
 عَذَبُ الْجَنِيِّ لِلْأَوْلِيَاءِ فَإِنْ يَسِجْ      فَالَسَّمُ يَا بُنَى أَنْ يَسُوغَ لِحَارِجِ

\* \*

يَأْتِيهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَاطَ الْهُدَى      لَوْلَاكَ كَانَ حَمَى قَلِيلَ الْمَاتِعِ  
 أَنْسَ الْأَنَامُ إِلَيْكَ فِيهِ ، فَهُمْ بِهِ      مِنْ قَاسِمٍ أَوْ سَاجِدٍ أَوْ رَاجِعِ  
 مُتَبَوِّثُونَ جَنَابَ عَيْنِ مُونِقٍ      مُتَقَيِّمُونَ ظِلَالَ أَمْنٍ شَائِعِ  
 فَلَتَضُرِبَنَّ مَعَهُمْ بِأَوْقَرِ شِرْكَةٍ      فِي أَجْرِهِمْ مِنْ مُوتِرٍ أَوْ شَافِعِ  
 خَيْرُ الشُّهُورِ اخْتَرْتُ عِنْدَ طُلُوعِهِ      خَيْرَ الْبِقَاعِ لَهُ بِأَسْعَدِ طَالِعِ <sup>(٥)</sup>

(١) النهار قبل انتصافه بقليل وزمنه بعد زمن الضحى .

(٢) المرتفع .

(٣) الشَّأْوُ : الطلق والشرط والعاية ، وشَاءَ : سبقه .

(٤) الندى : المجلس ، والحا : بالضم والكسر جمع حواء وهو أن يجمع الجالس سابقه إلى بطنه يديه أو يجمع ظهره وساقيه بثوب ، والاحتباء من طادة العرب وهو يمنع الجالس من السقوط ويعنيه عن الجدار الذي يسند إليه ظهره ، وليت : لفت وطويت حوله كما تطوى الصمامة ، والمعنى : أنه وقور في مجلسه رابط الجأش كأنما شددت تلك الحبا منه على طود من الصخر تتعذر عنه مسايل الماء .

(٥) يقول إن شهر الصيام وهو خير الشهور قد اخترت له خير البقاع عند طلوعه بأهمعد طالع

## شكر

« وقال أيضا وقد أتاح له المعتضد التنزه مع  
حرمه في إحدى جلاته . »

فَمَرَّتْنِي لَكَ الْأَيَادِي <sup>(١)</sup> الْبَيْضُ      نَشَبُ <sup>(٢)</sup> وَافِرٌ وَجَاهُ عَرِيضُ  
كُلُّ يَوْمٍ يَجِدُ مِنْكَ اهْتِبَالَ <sup>(٣)</sup> ،      عَهْدُ سُكْرِي عَلَيْهِ غَضُّ غَرِيضُ <sup>(٤)</sup>  
بَوَّأْتَنِي <sup>(٥)</sup> نِعْمَاكَ جَنَّةَ عَذْنٍ      جَالٍ فِي وَصْفِهَا فَضْلَ الْقَرِيضُ  
مُجْتَنِي مُدْنٍ ، وَظِلُّ بَرُودٍ ،      وَلَنَسِيمٍ - يَشْفِي النُّفُوسَ - مَرِيضُ <sup>(٦)</sup>  
وَمِيَاهُ قَدْ أَخْجَلَ الْوَرْدَ أَنْ حَا      رَضَ تَذْهِيبُهُ لَهَا تَقْضِيضُ  
كُلَّمَا غَنَّتِ الْحَمَامُ قُلْنَا :      « مَعْبَدٌ إِذْ شَدَّ - أَجَابَ الْغَرِيضُ <sup>(٧)</sup> »

(١) العلم . (٢) النشَب : المال والعقار . (٣) غم .

(٤) الغريس : ماء الطر ، وكل أنس طرى ، والمعنى : إني أطعمك كل يوم نعم جديد أقابله منك

شكر حديد . (٥) أحتلتى أو أرلتى أو أسكنتى .

(٦) يصح الحجة التي أحله بها ممدوحه بأن قطوعها دابة وطلها طليل ويسمى عليل يشى العوس .



## (٧) معد والعريس

علمان من أعلام الموسيقى العربية وتدكا متعاصرين ، وقد ذاع صيتهما حتى أصبحا مضرب الأمثال في  
إحادة النساء والافتتان به ، وقد كان معبد يتدرع العريس ويشد به ، كما تدل على ذلك قصة تعارفهما  
التي نترك لمعد روايتها بأسلوبه المتع ، قل :

« خرجت إلى مكة في طلب لقاء العريس ، وقد دلى حسن غنائى في لمحى :

وما أنس ملأ شياء لا أنس شادنا      بكه مكحولا أسبلا مدامه

وقد كان لماضى أول لحن صغره ، وأن الحن نهته أن يعنيه لأنه فتن طائفة منهم فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه  
وفي هذا التهديد ما يبدل على أمورهم واعتقادهم في ذلك العصر ، فقد سحرتهم ألحان العريس فذسوا إليها  
المعجزات وأنشأوا حولها الأماطير

قال معبد :

فلما قدمت مكة سألت عنه فدللت على منزله فأثبتته ، ففرعت الباب ، فما كلى أحد ، وسألت بعض المجران فقلت : هل في الدار أحد ؟ فقال لي : نعم فيها الغريس ، فقلت : لاني قد أكثرت دق الباب فما أحابني أحد قالوا : إن العريس هناك ، فرحمت ودققت الباب ، فلم يحس أحد ، فقلت : إن نفعي غنائى يوما بمعنى اليوم فاندفعت وميت لحى في شعر جميل ، فوالله ما سمعت حركة الباب ، فقلت : بطل سحرى ، وصاع سحرى وحثت أطلب ما هو صير على واحتقرت نسي ، وقلت : لم يتوهمني لصعب غنائى عنده ، فما شعرت إلا صائح يصبح يا معبد المعنى ، اقم وتلق عى ، شعر جميل الذى تمى فيه ياشقى البخت ، وغى :

« وما أس مل أشياء لا أس قولها . . . »

( قال ) فلقد سمعت شيئاً لم اسمع أحسن منه وقصر إلى نسي وعلمت فصليته على بما أحسن من نفسه ، وقلت : انه لحى بالاستتار من الناس تنزهها لدمه وتعطيها لغيره وان مثله لا يستحق الاتدال ، ولا ان تتداوله الرحال ، فاردت الانصراف إلى المدينة واجما ، فلما كنت غير بعيد إذا بصائح يصبح بى :

يا معبد انظر أ تلك فرحمت ، فقال : إن الغريس يدعوك ، وأمرعت فرحاً ودنوت من الباب . فقال لي : أتحب الدخول ، فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ، ففرع الباب وفتح ، فقال لي : ادخل ولا تطل الخلوس فدخلت فاذا شمس طالعة في بيت ، فسلمت فرد السلام ثم قال : احلس فجاست ، فاذا أبل الناس وأحسنهم وجهاً وخلقا وحلقاً ، فقال : يا معبد كيف طرأت إلى مكة ، فقلت : حملت مدامك وكيف عرونى ؟ فقال : بصوتك فقلت : وكيف وأت لم تسمعه قط ؟ قال : لما غنيت عروتك به وقلت : إن كان معبد في الدنيا فهذا ، فقلت : حملت مدامك فكيف أجتى بقولك : « وما أس مل أشياء لا أس قولها » ، فقال :

قد علمت أنك تريد أن أسمعك صوتي :

« وما أس مل أشياء لا أس شاذنا بمكة مكحولاً أسبلاً مدامه »

ولم يكن إلى ذلك سبيل لأنه صوت قد نهيت أن أغنيه فميتك هذا الصوت حوياً لما سألت وغيت فقلت : والله ما عدوت ما أردت فهل لك حاجة ، فقال لي : يا أبا عبد لولا ملامة الحديث وتغل إطالة الجلوس لا ستكثر منك فاعذر ، فخرحت من عنده وإنه لأحلّ الناس عدوى ورجعت إلى المدينة ، فتحدثت بمحدثه وبحثت من فطنته وقيافته ، فما رأيت انساناً إلا وهو أحلّ منه في هيى .

\*\*\*

ومما نختاره من أحبار معبد الطريفة ما حدث له في السفينة ، فقد رووا عنه أنه كان قد علم الغناء جارية من جوارى الحجاز تدعى طيبة وهى بتخريجها ، فاشتراها رجل من أهل المراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهب به كل مذهب وغلت عليه ، ثم ماتت - بعد أن أقامت مهنده برهة من الزمان - وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحبته

إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ويظهر التعصب له والميل إليه والتقديم لعنائه على سائر أعاني أهل عصره إلى أن عرف ذلك منه وبلغ معبداً خبره فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلما وردوها صادف الرجل وقد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة ، وحاء معبد يلتبس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرف أحد منهما صاحبه ، فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا ، فلما صاروا في فم نهر الأبله تغدوا وشربوا وأمر جواريه ففطن ومعبد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه فروة وحفان غليظان وري جاف من زى أهل الحجاز إلى أن غت إحدى الحوارى :

بات سعاد وأمسى حبلى انصرما واحتلت الدور فالأجراع من إضما  
( والعناء لمعد ) فلم تجد أداءه فصاح بها معبد : يا حارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم ( قال ) فقال له مولاه - وقد غصب - أنت ما يدريك الغناء ؟ ما هو إلا أن تمسك وتلزم شألك فأمسك ، ثم غت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غت « يا بة الأزدي قلني كتيب . . . » ( والعناء لمعد ) فأخلت بعضه ، فقال لها معبد : يا حارية لقد أخلكت بهذا الصوت إحلالاً شديداً . فغضب الرجل وقال له : وبك ما أنت والعناء ، ألا تكفّ عن هذا الفصول . فأمسك ، وغى الحوارى ملياً ثم غت إحداهن :

حليلى عوحا منكما ساعة مى على الربيع نفقى حاجة ونودّع

( والعناء لمعد ) فلم تصنع فيه شيئاً ، فقال لها معبد : يا هذه أما تقوين على أداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع هذا الفصول بوجه ولا حيلة ، وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجك من السفينة فأمسك معبد حتى إذا سكنت الحوارى سكنت اندفع يعنى الصوت الأول حتى فرغ منه ، فصاح الجوارى : أحسب يا رجل فأعده ، فقال : لا والله ولا كرامة ، ثم اندفع يعنى الثانى ، فقلن لسيدهن : ويحك هذا والله أحسن الناس غناء فله أن يميده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذنه عنه فانه إن فاتنا لم نأخذ مثله أبداً فقال : قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا حائف مثله منه وقد أسلفنا الاساءة فاصبرن حتى نذاريه ، ثم غفى الثالث فزلزل عليهم الأرض ، فوثب الرجل فخرج إليه وقل رأسه ، وقال : يا سيدي احطأنا عليك ولم نعرف موضعك ، فقال له : بهك لم تعرف موسى قد كان ينهى لك أن تتبث ولا تسرع إلى بسوء العشرة وجعاء القول . فقال له : قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى وأسألك أن تنزل إلى وتختلط بى ، فقال : أما الآن فلا . فلم يزل يرهق به حتى نزل إليه ، فقال له الرجل : ممن أخذت هذا الغناء . قال : من بعض أهل الحجاز ، فن أين أخذته حواريك ، فقال : أخذته عن حارية كانت لى ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة ، وكان قد أخذت عن أبى عباد معبد وعنى بتخريبها فكانت تحلّ مى محل الروح من الجسد ، ثم استأثر الله عز وجل بها وبقي هؤلاء الحوارى وهن من تعليمها فأنا إلى الآن انصعب لمعد وأفضله على المنين جميعا وأفضل صنفته على كل صنفة . فقال له معبد : أو لك لأنت هو افتعرفنى ؟ قال : لا ( قال ) ففك معبد بيده صلته ، ثم قال : فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأفصذك بالأهواز ووالله لاتصرت في حواريك هؤلاء ولأجعلنّ لك فى كل واحدة منهم خلفاً من الماضية ، فأكب

الرجل والجوارى على يديه ورحليه يقبلونها ويقولون : كئمتنا بسك طول هذا حتى جفوناك في المحاطبة وأسأنا عسرتك وأنت سيدنا ومن تنمي على الله أن تلقاه . ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع وأعطاه في وقته ثمانية دينار وعليا وهدايا بثلها وانحدر معه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضى حذق حواريه وما أخذنه ، ثم ودعه وانصرف إلى الحجاز .

\*  
\* \*

وقد روى أبو الفرج قصة قدوم معد إلى مكة وسماعه من المعين وغناؤه لهم فقال :

قال معبد : غيب فأعجى غنائى وأعجب الناس وذهب لى به صيت وذكر ، فقلت : لآتيت مكة فلا سمعن من المعين بها ولأعزهم ولأعرفن إليهم ، فابتعت حمارا فخرحت عليه إلى مكة ، فلما قدمت بم حمارى وسأل عن الدين أن يجتمعون ، فقل : بقميعة في بيت دنان لجئت إلى منزله بالملس فقرع الباب ، فقال من هذا ، فقل : انظر طافاك الله ، فدنا وهو يسبح ويستعيد كأنه يخاف - ففتح ، فقال : من أنت طافاك ، الله ؟ قل : رجل من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قل : أنا رجل أشتى الغناء وأرهم أنى أعرف مه شيئا وقد بلسى أن القوم يجتمعون عندك وقد أحب أن تنزلى في جانب منزلك وتخلطى بهم فانه لا مؤونة عليك ولا عليهم مى ، بلوى شيئا ثم قال : انزل على ركة الله ( مال ) فقلت تمنى دنزل في جانب حجرته ثم حاء القوم حين أصبحوا واحدا بعد واحد حتى اجتمعوا فأذكرونى وقالوا : من هذا الرجل . قال : رجل من أهل المدينة حمى يشتى الغناء ويطرب عليه ليس عليكم مه عناء ولا مكروه . فرحوا فى وكلتهم ثم اندسوا وشربوا وغنوا ، فجلت أعبى بمنائهم وأطهر ذلك لهم وبمعينهم مى حتى أقنا أياما وأخذت من غنائهم وهم لا يدرون أصواتا وأصواتا وأصواتا ، ثم قلت لان سرج : فديتك امسك على صوتك :

قل لهد وترها قبل شحط النوى غدا

قال : أو تحسن شيئا ، قلت : تنظر وعسى أن أصنع شيئا . واندفعت فيه وبنيت فصاح وصاحوا وقالوا : أحسن فانلك الله . قال : فأمسك على صوت كذا فامسكوه على فعبته فازدادوا عجباً وصيحا . فما تركت أحدا منهم إلا غيبته من غنائهم أصواتا قد تغيرتها ( قال ) فصاحوا حتى علت أصواتهم وهرقوا بى ، وقالوا : لأت أحسن بأداء غنائنا عما منا ، قلت : فامسكوا على ولا تصحكوا بى حتى تسمعوا من غنائى ، فامسكوا على فعبت صوتا من غنائهم فصاحوا بى ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا إلى وقالوا : نغلب بالله إن لك لعبينا واما وذكراً وإن لك فيما هاهنا لسهماً عظيماً فن أن ؟ قلت أنا معد فتبلاو رأسى وقالوا : ابعث علينا وكنا نهابون بك ولا نعدك شيئا وأنت أنت . فأقت عندهم شهرا أخذ منهم وأخذون مى ثم انصرفوا إلى المدينة .

\*  
\* \*

ومن الطرف النادرة ما حدث لمعبد والأسود .

قال معبد : بعث إلى بعض أسراء الحجاز وقد كان جمع له الحرمان إن اشغنى إلى مكة فشخصت ، قال : فتقدمت غلامى فى بعض تلك الأيام واشتدت على الممر والمطش فالتفت إلى خباء فيه أسود ، وإذا باب

جَاوَرَتْ حَمَّةٌ <sup>(١)</sup> مُشَيِّدَةَ الْمَبْنَى لِبَرَقِ الرَّخَامِ فِيهِ وَمِيضُ  
رَمَرٍ أَوْقَدَ الْفِرْنْدَ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ سَمْسَلٌ بَحْرُهُ الزُّلَالُ يَفِيضُ  
وَسَطَهَا دُمِيَّةٌ يَرُوقُ اجْتِلَاءُ الْكُلِّ مِنْهَا وَيَفْتِنُ التَّبَعِيضُ <sup>(٣)</sup>

ماء قد بردت قلت إليه فقلت : يا هذا اسقي من هذا الماء ، فقال لا ، فقلت : فأذن لي في الكن ساعة قال : لا ، فأعنت فأتيت ولأت إلى طلمها فاستترت به ، وقلت : لو احدثت لهذا الأمير شيئاً من الماء أقدم به عليه ولعلني إن حررت لاسى ان بل حاتي رنقي يجعل عى بمس ما أحده من العطش . فترنمت بصوتي : « القصر فالجل فالحماء بينهما » فلما سمعني الأسود ما شعرت به إلا وقد احتملى حتى ادخلني خياه ثم قال اى بأبى أنت وأمى ، حل لك فى سوقى السلت بهذا الماء اللارد ، فقلت : قد منعتى أقل من ذلك وشربة ماء تخزئى ( قال ) فسفاني حتى رويت وحاء العلام فأقت عنده إلى وقت الرواح ، فلما أردت الرحلة قال : اى مآبى أنت وأمى الحر شديد ولا آمن عليك مثل الذى أصالك فأذن لي أن أجل معك قربة من ماء على عنقي وأسمى بها معك فكلما عطشت سقتك وغيتنى صوتاً ( قال ) نك : ذلك لك ، فوالله ما فارقتنى يستقي وأعنيه حتى طلعت المنزل .

وأحبار معدد والعريس طويلة منفردة فى كتاب الأثاني وليرجع إليها من شاء .  
(١) الحمة - نافصح - العين الحارة الماء يستشقى بها الأعلام ومنه الحديث : « مثل العالم كمثل الحمة يأتيها النداء ويتركها الفراء » فيها هى كذلك إذ عار ماؤها وقد استع بها قوم ونقى أنوام يتمكنون أى يندمون والحمة مدينة ذات بانيع معدنية حارة واردة بالقرب من مدينة « لوشة » وقد زارها « ابن بطوطة » ودخل مسجدتها ووصف ما فيها من صيد البر والبحر ، والحمة - أيضاً - اسم لمدين أخرى ذات بانيع معدنية حارة فى إقليم « غرناطة » وإقليم مرسية وغير ذلك ، وحة غرناطة ، وتسمى مدينة الحمة عند أهل غرناطة .

(٢) الفرند : السيف ووشيه وجوهره ، وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب غل ، والفرند : الورد الأحمر أيضاً .

(٣) أحد هذا المعنى من قول ابن الرومى فى وحيد المعية :

وغيري بمحبتها قال : « صمها » قلت : « أمرا ، عين وشديد .

يسهل القول : إنها أحسن الأشياء طراً ويصعب التحديد »

وفى هذه القصيدة يقول :

عادة رائها - من البس - قد ومن العلى مقتلان وحيد

ورهاها من فرعها ومن الحدبن ذاك السواد والتوريد

هى برد - بحدتها - وسلام وهي لماشتين جهد جهيد

ما لما صعلية - من وحنيتها - غير ترشاف ريتها تبريد

مثل ذاك الرضاب أطفأ ذاك الوجود ، لولا الاباء والتصيد

وبها يقول : تتحلى للناظرين إليها فتشقى بمحسنها وسعيد

مطلبه - تسكن القلوب وترها - معاً - وقرية لها توريد



بَشَرٌ نَاصِعٌ وَخَذْتُ أَسِيلٌ وَحَيًّا طَلَّقْتُ وَطَرَفْتُ غَضِيضٌ  
وَقَوَامٌ كَمَا اسْتَقَامَ قَضِيبُ الْبَانِ إِذْ عَلَّهٗ <sup>(١)</sup> ثَرَاهُ الْأَرِيضُ <sup>(٢)</sup>  
وَأَبْنَسَامٌ لَوْ أَنَّهَا اسْتَعْرَبَتْ فِيهِ أَرَاكَ أُنْسَافَهُ الْإِغْرِيزُ <sup>(٣)</sup>  
وَالْتِفَاتٌ كَأَنَّمَا هُوَ بِالْإِيحَاءِ - مِنْ فَرَطٍ لُطْفِهِ - تَغْرِيزُ

\*  
\* \*

لَمَعُ طَلَّةٌ مِنَ الْعَيْشِ مَا إِنْ لِلْهَوَى عَنْ عَمَلِهَا تَغْوِيضُ  
سَوَّغَتْنِي نَعِيمَهَا نَفَحَاتُ الْمُنَى - مِنْ سَحَابِهَا - تَرْوِيضُ  
تَابَعْتَهَا يَدُ الْهُلَامِ أَبِي عَمْرِو فَا غَمَرُهَا لَدَيْ مَغِيضُ <sup>(٤)</sup>

تتعبى كأنها لا تعبى - من سكون الأوصال - ومي تحيد  
لا تراها هناك تحط عـين - لك منها - ولا يدور ويد  
من هدو ولاس فيه انقطاع ، وسـحو وما به تبليد  
مد في شأو صوتها نفس كا ف - كأناس عاشقها - مديد  
وأرق الدلال واللمح منه وراه الشجا ، فكاد يبيد  
فـتراه يـدوت طوراً ويحيا مسئلة بسيطه والنشيد  
فيه ونى وبه حلى من النـفـم مصوع يحتمل فيه القصيد  
طاب دوما وما ترجع فيه كل شيء لها بذاك شهيد  
ثعب يقع الصدى ، وعاء عده يوجد السرور الفعيد  
فلها - الدهر - لاثم مستزيد ولها - الدهر - سامع مستعيد  
في هوى مثلاً يحف حلـيم - راحح حلمه - ويعوى رشيد  
ما تادى القلوب إلا أصابت بهـواها منهـن حيث تريد

إلى آخر هذه القصيدة للعدة التي نَحْزِي منها بهذا القدر اليسير . فليرجع إليها من شاء في ديوانه ليقارن بين هذه القصيدة وقصيدة ابن زيدون .

(١) علـه : سقاه ، والأريـس : الركي التربة الخليق للبيت . (٢) المعجب

(٣) استعربت : بالعت في الصلح ، والامريس : الظلم وكل أبيض طرى .

(٤) اليد : اللعبة ، والغمر : للماء الكثير ، ومغيص : اسم مفعول من مغيص الماء فهو مغيص إذا غار

وصب ، أي تابعت تلك اللعبة من رغد العيش يد مضافة إلى « أبي عمرو » لا تزال تـمـرنا بمـعـينها الذي

الذي لا يغيص مأوه فليس معيها الزير الماء ناضياً عندي .

مَلِكٌ ذَادَ عَنْ حِمَى الدِّينِ مِنْهُ مَنْ إِلَيْهِ فِي نَصْرِهِ التَّفْوِيزُ  
وَسَمَا نَاطِرُهُ مِنَ الْمَجْدِ فِي دُنْيَاهُ قَدْ كَانَ كَفَهُ التَّغْمِيزُ<sup>(١)</sup>  
إِنْ أَسَاءَ الزَّمَانُ أَحْسَنَ دَأْبَا مِثْلَمَا بَايَنَ النِّقِيزِ النِّقِيزُ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

يَا مُعِزُّ الْهُدَى الَّذِي مَا لِمَسْمَا هُ إِلَى غَيْرِ سَمْتِهِ تَغْرِيزُ  
يَا مُحِلِّي يَفَاعَ حَالِ ، مَكَانُ النَّجْمِ - مَهْمَا يَفْسُ إِلَيْهِ - حَضِيزُ<sup>(٣)</sup>  
إِنْ أَتَلَّنَ أَيْسَرَ الرِّغَابِ فِيهِ يَرْضَ فَوْزَ الْقِدَاحِ مِنِّي مُفِيزُ<sup>(٤)</sup>  
لَوْ يَفَاعُ الْمَجْرَةَ أَعْتَضَتْ مِنْهُ رَاحَ يَدْعُو ثُبُورَهُ الْمُسْتَعِيزُ  
حَظُّ سِنِّ أُمْرِي نَأَى مِنْكَ قَرَعُ وَقُصَارَى بَنَانِهِ تَعَضِيزُ

\* \* \*

حَسْبِيَ النُّصْحُ وَالْوِدَادُ وَشُكْرُ عَطَرِ الدَّهْرِ مِنْهُ مِسْكُ فَضِيزُ  
دُمُ مَوْفَى وَلِيكَ - الدَّهْرَ - حَبِيزُ رُ مَسَاعِيكَ ، وَالْعَدُوُّ مَبِيزُ  
فَاعْتِرَافُ الْمُلُوكِ أَنَّكَ مَوْلَا هُمْ حَدِيثُ مَا يَبْنِيهِمْ مُسْتَقِيزُ

(١) وتطلع إليك ناطر المجد بعد أن كف ناطره كثرة التعميس . يريد أنه بعد أن ذاد عن حوزة الدين

سما بنظره في شؤون دينا كان قد صرعه عنها كثرة التعميس والاعراس .

(٢) وقريب من هذا قول الشاعر :

ضدَّان لما استجمعا حسا والصدَّ يظهر حسه الضدَّ .

(٣) الباع : ما ارتفع من الأرض . يقول : يامن أحلطني حالا رفيا ، إذا قيس إليه النجم - على رفعتة -

عد حضيضا . (٤) المبيض : من أفاض الرجل بفعل الميسر إذا ضرب به لوفوقمت ميثقة متفرقة .

## شفاعة

قال هذه القصيدة يمدح أبا الحزم بن جهور ويتعزم بمجانبه ويطلب شفاعته ، قال ابن بسام :

« كان أبو الوليد ممن أنشأته دولة الجهاورة واصطفاه اصطفاه الفرس  
للأساورة ، وقد اختص بأبي الوليد اختصاص الفرع بالوروار تبطهم  
ارتباط الافاضة بالفرد ، وأبو الحزم بن جهور - إذ ذاك - رأس الجماعة  
وأصل تلك الأسرة المطاعة من رجل أدهى من عمان وأجراً من ليث  
خفاف وأدهى من عمرو بن الحفالف . وكان ابن زبدون متصلاً بابيه  
أبي الوليد أطول حقه اتصال أبي زيد بالوليد بن عتبة وبينهما  
تألف أحرماً بكعبته وطافا وسقيا من تصاديهما نطافا وابن زيدون  
يعتمد ذلك حساماً مسلولاً ويرى أنه يرد به صعب الخطوب دلولا ، إلى  
أن طلب عد أبيه أبي الحزم وتوسل فاستدفع به تلك الأسرة والأسل  
فأثني إليه عنان عطفه ولا كف عنه سنان صرفه مع استعطافه له  
بكل مقال يحمل سقائم الاحقاد واستلطافه إياه بما يرد الصعب  
سلس القياد ، فمن بديع ذلك وأحسه قوله :

أيه أبا الحزم اهتبل غرة ألسة الشكر عليها نصاح

أَمَّا وَالْحَاطِئِ مِرَاضٍ صِحَاحٌ      تُصْبِي وَأَعْطَافٍ نَشَاوَى صَوَاحٍ  
لِبَائِنٍ بِالْحُسْنِ فِي خَدِّهِ      وَرُذٌّ وَأَثْنَاءُ ثَنَائِيهِ رَاحٍ  
لَمْ أُنْسَ إِذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْلَةً      وَشَاحَهُ اللَّاصِقَ دُونَ الْوِشَاحِ<sup>(١)</sup>  
أَلَمْتُ بِالْأَلْطَفِ مِنْهُ وَلَمْ      أَجْنَحْ إِلَى مَا فِيهِ بَعْضُ الْجُنَاحِ  
لَأُصْفِيَنَّ الْمُصْطَفَى<sup>(٢)</sup> « جَهْوَرًا »      عَهْدًا لِرَوْضِ الْحَزَنِ عَنْهُ أُنْتِضَاحِ

(١) قال ابن بسام : قوله : « وشاحه اللاصق دون الوشاح » معنى متداول ، ومن أنزله عصرًا

قول الفعل من أهل وقفا :

« إن العزيز على حقوقك انه بالردف حمل منك مالا يحمل

تخدى له جسمي مكان وشاحه إن الليل بشكله يتعملل »

وقريب من هذا المعنى قول العباس بن الأدهم :

« ياليت عباس سربال على جسدي أو ليتي كنت سربالا لعباس »

(٢) وفي رواية ابن بسام : « لأصفيين المرتضى جهورا »

جَزَاءَ مَارَفَةٍ شُرِبَ الْمُنَى      وَأَذَنَ السَّعْيُ بَوْشَكَ النَّجَاحِ <sup>(١)</sup>  
يَسْرَتْ أَمَالِي بِتَأْمِيلِهِ      فَمَا عَدَانِي مِنْهُ فَوْزُ الْقِدَاحِ <sup>(٢)</sup>  
لَمْ أَشْمِ الْبَرْقَ جَهَامًا وَلَمْ      أَقْتَدِحِ الصَّمَّ بِيضِ الصَّفَاحِ <sup>(٣)</sup>  
مَنْ مِثْلُهُ - لَا مِثْلَ يُلْنِي لَهُ -      إِنْ فَسَدَتْ حَالٌ فَعَزَّ الصَّلَاحُ  
يَا مُرْشِدِي جَهْلًا إِلَى غَيْرِهِ      أَغْنَى عَنِ الْمِصْبَاحِ صَوْنُهُ الصَّبَاحُ  
رَكِيْنٌ مَا تُثْنِي عَلَيْهِ الْحُبَا      يَهْفُو بِهِ نَحْوُ الثَّنَاءِ أَرْتِيَاخُ <sup>(٤)</sup>  
ذُو بَاطِنٍ أَفْبَسَ نُورَ الثَّقَى      وَظَاهِرٍ أَشْرَبَ مَاءَ السَّمَاخِ  
أَنْظُرْ تَرَى الْبَدْرَ سَنًا وَأَخْتَبِرْ      تَجِدُهُ كَالْمِسْكِ إِذَا مِثَّ فَاحُ <sup>(٥)</sup>

\*\*\*

إِيَّاهُ « أَبَا الْحَزْمِ » اهْتَبَلِ غِرَّةً      أَلْسِنَةُ الشُّكْرِ عَلَيْهَا فِصَاحُ <sup>(٦)</sup>  
لَا طَارَ بِي حَظٌّ إِلَى غَايَةٍ      إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكَ مَرِيْشَ الْجَنَاحِ

- (١) ربه : من ورود الامل رمها ، وهي أن ترد الماء في كل يوم متى شامت .  
(٢) يسرت يجوز أن يكون بالتشديد بمعنى مهلت وبالحفيف من يسر يسر إذا ضرب بقداح الليسر -  
والملعى على الثاني صرمت بقداح آمالي ياسراً فلم يعدنى أن فوزت فأومر القداح - ملوطاً ، وفي رواية ابن بسام :  
« صرمت آمالي بتأمله »  
(٣) أى لم اطر البرق ليس به مطر ، ولم اقتدح صليدا لم يور ناراً .  
(٤) ركين من الركاة أى الرزاة - والملعى : أنه وقور الحوة وزينها يهوى به ويمرکه نحو المدح أريحية  
فيتهز بعد سكون في مجلسه ووقار .  
(٥) مات الثقى . ييمته إذا مرسه بيده في الماء فداب من مسك ونحوه - يقول اطر تراه كاليدرسا وسابها .  
وأختبره تحده كالملك فاح شداه وقد ميت أى مرس ناليد ، والملك - إذا سحق - فاح شداه ، وقد قال  
للحرى في هذا الملعى وأجاد ما شاء أن يحيد .  
« حل البلي سيعيد المرء فائدة فالمسك يزاد من طيب إذا سحقا »  
(٦) اهتبل : اغتم يقال اهتبلت غفلته - والمرة : بالكسر العملة ، وفي المثل « القرعة تجلب البره »  
أى العملة تجلب الرزق - والملعى : أستكثر أباً الحزم في علة أهدائك من المعانم والأموال تنطلق الألسنة  
مفعصة بشكرك ، وفي رواية ابن بسام : « ألسنة الدهر عليها نصاح »

عُتْبَاكَ - بَعْدَ الْعَتَبِ - أُمْنِيَّةٌ  
لَمْ يَفْنِي عَنِّي أَمَلٌ مَا جَرَى  
فَأَشْخَذَ بِحُسْنِ الرَّأْيِ - عَزَمِي يُرْعِ  
وَأَشْفَعَ فَلِلشَّافِعِ نَعْمَى بِمَا  
إِنَّ سَحَابَ الْأَفْقِ مِنْهَا الْحَيَا  
وَقَاكَ مَا تَحْشَى مِنَ الدَّهْرِ مَنْ  
مَالِي عَلَى الدَّهْرِ سَوَاهَا أَقْبَرَا<sup>(١)</sup>  
قَدْ يُرْقِعُ الْخَرَقُ وَتُوَسَّى الْجِرَاخُ  
مِنِّي الْعِدَاءُ، أَلَيْسَ شَاكِي السَّلَاحِ؟<sup>(٢)</sup>  
سَنَاهُ مِنْ عَقْدٍ وَثِيقِ النَّوَاحِ<sup>(٣)</sup>  
وَالْحَمْدُ فِي تَأْلِيفِهَا لِلرِّيَاحِ<sup>(٤)</sup>  
تَعَبْتُ فِي تَأْمِينِهِ وَأَسْتَرَاخُ

## هدية تفاح

« وقال في تفاح أهدها إلى المعتصد بالله »

أنى عمرو عباد بن محمد بن عباد »

يَا مَنْ تَزَيَّنْتَ الرِّيَا سَهَةً حِينَ أُلْبَسَ ثَوْبَهَا  
وَلَهُ يَدٌ يَدَسُ الْغَمَا مُمْ مِنْ أَنْ يُعَارِضَ صَوْبَهَا<sup>(٥)</sup>  
جَاءَ تِلْكَ جَامِدَةُ الْمَدَا مَ فَخَذَ عَلَيْهَا ذَوْبَهَا<sup>(٦)</sup>

- (١) العتي : الرجوع إلى ما يرضى العاتب أى رجوعك بعد العتاب إلى ما يرضى أمنيته لا اقترح على الدهر سواها . (٢) قو بحسن الرأي عزمى يحف مى العدا ، أليس عزمى شاكي السلاح ؟ (٣) سناه : سهله ويسره - من فقد : أى من حل عقد - وثيق الدواح : أى عسر الحل من أى نواحيه أمنيته ، وقرأت شاهدا على هذا فى أمالى أبى القاسم الرجعى ، إن مفاوية بن أبى سفيان صرف روح ابن زناع عن صله لحياة بلغته عه ، وأمره بالقدوم عليه فعل ، فأمر ضربه فلما أخذته السياط قال : « لشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهدم مى ركنا أنت بنيت ، أو تصع مى حديدة أنت رفعتها » الخ ما قال ، وقال مفاوية . « إذا الله سى حل عقد تسر ، خلياها » - ومعنى البيت أنه يطلب شفاعة ، ويبين أن للشافع على المشفوع له يد وصمة بسبب ما سهله ويسره من حل عقد تسر بعد أن تقعدت أواخيه وتوقفت نواحيه . (٤) الحيا : المطر - يريد أن الحمد للشافع لا الذى قبل مه الشفاعة ، كما أن الحمد ليس للسحب التى منها المطر بل للرياح التى ترحيها ثم تؤلف بينها فتطر ، وقد كررها المدى فى بعض قصائده فقال : للشقيع النساء - والحمدى صوب الحيا للرياح لا لنعيم  
انظر ( ص ) من هذا الديوان . وقد سبقه الحترى إلى هذا المعنى فقال وأبدع :  
« حازمدي ، وللرياح - الاوائى تجلب النيث - مثل حمد النجوم »  
(٥) نزول المطر . (٦) جعل للدمام وهى الحر نوعين جامدة وهى التفاح ودائبة وهى الراح وطلب إلى المدوح أن يشرى عليها ذوبها وهى الراح الحقيقية .

## لا يهنا الشامت

« قال يمدح أبا الحزم بن جمهور وقد كتبها  
إليه من السجن . »

مَا جَالَ بِعَذْكَ لَحْظِي فِي سَنَا الْقَمَرِ      إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ <sup>(١)</sup>  
وَلَا اسْتَطَلْتُ ذُمَاءَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفِ      إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَتْ مَعَ الْقَصْرِ <sup>(٢)</sup>  
نَاهِيكَ مِنْ سَهَرٍ بَرَحَ تَأَلَّفَهُ      شَوْقٌ إِلَى مَا أَقْضَى مِنْ ذَلِكَ السَّحَرِ  
فَلَيْتَ ذَلِكَ السَّوَادَ الْجَوْنَ مُتَّصِلٌ      لَوْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ <sup>(٣)</sup>

\*\*\*

أَمَّا الصَّبْرُ فَجَبَّتْهُ لَحْظَةٌ عَنْ      كَأَنَّمَا وَالرَّدَى جَاءَ عَلَى قَدَرِ <sup>(٤)</sup>  
فَهَمَّتْ مَعْنَى الْهَوَى مِنْ وَحْيِ طَرَفِكَ لِي      إِنَّ الْخَوَارَ لَمَفْهُومٌ مِنَ الْخَوَرِ  
وَالصَّدْرُ مُذْ وَرَدَتْ رِفْهًا نَوَاحِيَهُ      تَوْمُ الْقَلَائِدِ لَمْ تَجْنَحْ إِلَى صَدْرِ <sup>(٥)</sup>

(١) أى لم أحل لحظى فى نور القمر مدغبتك على إلا ذكرت لك كما يذكر لرائى عين الشيء وداته بما يراه من آثاره . (٢) الدماء : ما فتح البقية الباقية من الليل - أى ما عدت أن يطول ما بقى من عمر الليل إلا أسما على ليلة اشتمل على ما يسر مع قصرها والشراء كثيرا ما يمتنون إلى الواصل بالقصر ، ومن أدع ماقرأناه فى ذلك قول الشريف الرضى .

« أشكو الليالى عسير معتة إما من الطول أو من القصر

تطول فى حزمهم وتقصى الوصل . ل ، فلا يلتقى على القدر

يا ليلة كاد من تقاصرها يعثر فيها العشاء بالسحر »

(٣) يمتنى أن يصل طلام الليل بما يستعيره من سواد القلب والبصر ، ولو لمسى أى وليته استعمار ، ولا حفاء أن سواد القلب وسواد العين من أغس الأشياء وأعزها ، ولكنه يندلجها طارئة فى سبيل اسدامة الليل وطوله ، وحاء لابن سمام فى الدجيرة فى نقد هذا البيت . قوله : « لو استعمار سواد القلب والبصر » لعل المعنى حيث يقول :

يود أن طلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر

(٤) العين : بفتح العين من عن الشيء إذا طهر أمانك واعتصم .

(٥) ردها : هو أن ترد الليل الماء كل يوم - توم القلائد : جمع تومه بالضم وهى الأثرؤة ، استعمار ورود الليل ردها لازمة الحلى صدرها من غير أن تحنج بعد الورد إلى الصدر .

حُسْنُ أَفَانِينَ لَمْ تَسْتَوِفْ أَعْيُنَنَا      قَائَاتِهِ بِأَفَانِينَ مِنَ النَّظَرِ  
وَاهَا لِثَغْرِكَ ثَغْرًا بَاتَ يَكْلُوهُ      غَيْرَانُ تَسْرَى عَوَالِيهِ إِلَى الثُّغْرِ (١)  
يَقْظَانُ لَمْ يَكْتَحِلْ غَمَضًا مُرَاقَبَةً      لِزَابِطِ الْجَأَشِ مِقْدَامٍ عَلَى الْغِرَرِ (٢)  
لَا لَهُوَ أَيَّامِهِ الْخَالِي عِزُّ تَجَمُّعِ      وَلَا نَعِيمُ لَيْالِيهِ مِمَّنْظَرِ  
إِذْ لَا التَّحِيَّةَ إِيمَاءَ مُحَاسَنَةٍ      وَلَا الزِّيَارَةَ إِيْمَامٍ عَلَى خَطَرِ  
مُنَى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهَا      إِنَّ الْفَرَامَ لَمُعْتَادُ مَعَ الدَّكْرِ

\* \*

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدَهَا      مَحْضُ الْمَيَانِ الَّذِي يُبْغِي عَنْ الْخَبَرِ  
لَمْ تَطْوِ بُرْدَ شَبَابِي كِبَرَةً وَارَى      بَرَقَ الْمَشِيبِ أَعْتَلَى فِي عَارِضِ الشَّعْرِ (٣)  
قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كُنْتُ      وَلِلْمَشِيبَةِ غَضَنُ غَيْرُ مُهْتَصِرِ

(١) يكلؤه : يحطه ويطار عليه - وغيره : وصف من الغيرة - والعوالى صدور الرماح - الشعر : جمع ثغره بالضم وهى الطرق والمنافذ المسلوكة أو أراد بها جمع الثغرة وهى البقرة فى النحر .  
(٢) المرر : جمع عرة بالكسر وهى العملة ، والمعنى : أنه يشتهر عرات الرقيب الساهر طول ليله غيرة وحفاظا ومراقبة ، يقدم رابط الجأش بالرمع من يقظته ونهبه ومراقبته إياه ، ولا يحجم عما اعتزمه من موافاة حبيبه .  
(٣) الكبرة : بمنع مسكون كبر السن - والعارض : الحد يقال أحد الشعر من عارضيه - والمعنى : أن يياض المشيب وخط عارضيه قل أن يخالع برد الشاب وقل أن يعد من سبه ثلاثين ربيعا ، وأبدع أبو نواس فى هذا المعنى أيما إبداع إذ يقول فى سينته :

« وإذا عددت سىء كمى ولم أحد      للشيب عددا فى النزول براسى  
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدي      عن أن تسير إلى فى بالسكاس »  
وقال ابن الرومى : « قد يشيب الفسق وليس عجبا      أن يرى النور فى التصيب الرطيب »  
وقال الآخر : « يا صر هل لك فى شيخ فنى أبدا      وقد يكون شباب غير فتان »  
وقال أبو العلاء : ارحم إلى السن فانظر ما تقادها      فاحكم عليه ولا تحكم على الشعر  
فكم ثلاثين حولا شيبته ومصت      ستون ، والشيب فيها غير مستمر  
وليس ذلك إلا صبغة جمعت      طبعا ، وإن قيل : شاب الرأس للدمر .

هَآ إِنَّمَا لَوْعَةٌ فِي الصَّدْرِ قَادِحَةٌ نَارَ الْأَمْنَى وَمَشْيِي طَائِرُ الشَّرِّ (١)

\*  
\* \*

لَا يَهْنِي الشَّامِتَ الْمُرْتَاحَ خَاطِرُهُ أَنَّى مُعْنَى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ (٢)  
هَلِ الرِّيَّاحُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ؟ أَمْ الْكُسُوفُ لَغَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ (٣)  
إِنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إِبْدَاعِي، فَلَا عَجَبٌ قَدْ يُودَعُ الْجَفْنُ حَدُّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ  
وَإِنْ يُبْطَأُ - «أَبَا الْحَزَمِ» الرِّضَى - قَدَرُهُ عَنْ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَتَبٌ عَلَى الْقَدَرِ

\*  
\* \*

مَا لِلذُّنُوبِ - الَّتِي جَانِي كَبَائِرِهَا غَيْرِي - يُحْمَلُنِي أَوْزَارَهَا وَزَرِي (٤)

(١) أى أنها لوعة قدح نار الأمل والحزن فى صدره ، ومشيئ رأسه ما تطاير من شر تلك النار الموقدة فيه ، وحده فى الذخيرة لاس ساء قبل هذا الدت توله .

يا للرايا لقد شابهت مهلهما غمرا فما اشرب المسكروه - اعمر

والعمر الفتح الصغير ، فهو يعنى أنه لا يشرب من المصائب بالمدح الصغير .

وحده بعده فى سبغى الديوان المخطوطين هذا الدت فانضا هكذا :

حوادث استعصفتى ما قدرت لها عراره . . . . .

ونحن شتبهما ها كجا وجدناهما .

(٢) لا يهين : يقال هباه الأمر أى نهأ به - معنى الأمانى : اسم مفعول من الهاء وهو الهب - والخطر

الشرف والمنزلة - والمضى : لا يتهأ الشامت المثلوح البؤاد يكونى فى هاء وهب سب الأمانى ويكونى صائغ القدر والمنزلة .

(٣) أراد نحم الأرض ما نحم على وجهها من الدات ولم نحم على ساق ومه قوله تعالى « والجم والشجر يسجدان » وهذا البيت دليل للذ قله أى لا تفرح أنها الشامت فارجح لا تعصب إلا بما له ساق من الشجر ، والكسوف : لا يكون لغير الشمس والقمر - وهو معنى طرفة الشعراء كثيرا ، ومه قول أبى تمام

يا الرياح إذا ما أعصفت قصفت عبيدان محدد ولم يسانل نارتم

سات ومش ومش لا كسوف لها والشمس والدمدمتها الدهرى رقم

وقرب منه قوله أيمأ :

لا تنكرى عطل الكريم من الاذى فالسبل حرب للكلت للعالي

(٤) الوزر : بالكسر الدب والوزر مفتحين المعين والملاحا - والمعنى : لأى سبب يحملنى ملحنى ومعتصمى

تسعة ما حاه غبرى من كثار الذنوب ، وهو بطير قول المعرى :

’ وحررم حره سهباء قوم وحل فيه جارمه المقاب



مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأْيِيهِ عَلَى ثِقَةٍ  
ذُو الشَّيْمَةِ الرَّسُلِ - إِنْ هِجَّتْ حَفِيطَتُهُ -  
مَنْ فِيهِ لِمَجْتَلَى وَالْمُبْتَلَى نَسَقًا  
مُذَلَّلٌ لِلْمَسَاعِي حُكْمَهَا شَطَطًا  
وَزِيرٌ سَلِمَ كَفَاهُ يُنْزِلُ طَائِرَهُ  
أَغْنَتْ قَرِيحَتُهُ مَغْنَى تَجَارِيهِ  
كَمْ أَشْتَرَى - بِكَرَى عَيْنِيهِ - مِنْ سَهَرٍ ،  
فِي حَضْرَةِ غَابِ صَرْفُ الدَّهْرِ - خَشْيَتُهُ -  
مُتَمِّعٌ بِالرَّيْبِ - الطَّلَقِ نَازِلُهَا  
مَا إِنْ يَزَالُ يَبْثُ النَّبْتَ فِي جَلْدِهِ

(١) وَلَمْ أَبْتَ مِنْ تَجَنُّهِ عَلَى حَدَرٍ  
(٢) وَالْجَانِبِ السَّهْلِ وَالْمُسْتَعْتَبِ الْيَسْرِ  
(٣) جَمَالَ تَرَاى عَلَيْهِ سَرُو مُخْتَبَرٍ  
(٤) عَلَيْهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ النَّفْسِ وَالنَّفَرِ  
(٥) شَوْمُ الْحُرُوبِ وَرَأَى مُخَصِّدُ الْمَرِّ  
(٦) وَنَابَتْ اللَّيْمَةُ الْعَجَلَى عَنِ الْفِكْرِ  
هُدُوهُ عَيْنِ الْهُدَى فِي ذَلِكَ السَّهَرِ  
عَنْهَا ، وَنَامَ الْقَطَا فِيهَا فَلَمْ يَثُرْ  
يُلْهِمِهِ عَنْ طَيْبِ آصَالٍ نَدَى بُكْرٍ  
- مُذْ سَامَهَا - وَيُقْفِضُ الْمَاءُ مِنْ حَجَرٍ

\* \*

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي وَالنَّجْمَ فِي قَرْنٍ      فَعِيمٌ أَصْبَحْتُ مُنْهَضًا إِلَى الْعَفْرِ (٨)

- (١) التَّائِي : التَّهْل ، والتَّيْجى : ادعاء ذنب لم يعمله - أى أما على ثقة من الحصول على أميقي ، وإن تَأْيى ، ولا أحد أن يدب إلى دسالم أفعاله .
- (٢) الشَّيْمَةُ الرَّسُل : الحلق السهل السمح - والمحبوبة : الغضب - والمستعْتَب : مصدر ميمي بمعنى الاستعْتَاب أى الاسترصاء يقال استعْتَبَهُ أى استرأه فأعْتَبَهُ أى أرضاه - وَالْيَسَر : الميسر .
- (٣) الْمُجْتَلَى : الباطر ، والمُتَلَى : المحتر ، والسَرُو : الشرف أى مختبر سرى شريف .
- (٤) الْمَسَاعِي الْمَآثِرُ أى مدلل لمسانعته أن تشبذ عليه في الحكم وهو العزيز النفس المبيع الحاب .
- (٥) مُخَصِّدُ الْمَرِّ : مقتول القوى .
- (٦) يَقُولُ أَنَّهُ لَأَلْعِيْتَهُ لَإِيْتَانِجَ إِلَى نَحَارٍ وَأَن بَدَاغَتِهِ تَفْنَى عَن رَوْبِهِ وَنَطْرَتِهِ الْمَرِيْعَةُ تَبْنَى عَن إِطَالَةِ الْفِكْرِ وَقِدْعًا قَالُوا :

الألمى الذى يطحن بك الطمس - كأن قد رأى وقد سمعا

(٧) الحِلْد : الأرض الصلدة ، أى أنه مدسّاس المملكة وهو دائب على بثّ البات والزرع فى أرض لانتبت لصلابتها وإفاضة الماء إليها من عيون تنفجر من الصخر .

(٨) يَقُولُ : مَا نَالَكِ أَحْلَنَتْ أَمَالِي وَبَدَلَتْ مَكَاتِي الْعَالِيَةَ عِنْدَكَ الَّتِي كُنْتَ تَحْلِيهَا فَوْقَ ذُرُوءِ النِّعَمِ فَأَنْزَلَنِي إِلَى حَصْبِ الْمَوَاتِ

أَحِينَ رَفَّ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ أَدَبِي غَرَسَ لَهُ مِنْ جَنَاهُ يَانِعُ الثَّمَرِ <sup>(١)</sup>  
وَسَبِيلَةَ سَبَبًا - إِلَّا تَكُنْ نَسَبًا - فَهَوَ الْوِدَادُ صَفَا مِنْ غَيْرِ مَا كَدَّرِ

\* \*

وَبَانٍ مِنْ ثَنَاءِ حُسْنُهُ مَثَلٌ وَشَى الْمَحَاسِنِ مِنْهُ مُعَلِّمُ الطَّرَرِ  
يُسْتَوْدَعُ الصَّحْفَ لَا تَخْفَى نَوَافِحُهُ إِلَّا خَفَاءَ نَسِيمِ الْمِسْكِ فِي الصَّرَرِ <sup>(٢)</sup>  
مِنْ كُلِّ مُخْتَلَفَةٍ بِالْجَبْرِ رَافِلَةٌ فِيهِ اخْتِيَالُ الْكَمَابِ الرُّودِ بِالْجَبْرِ <sup>(٣)</sup>  
تُجْنَى لَهَا الرُّوضَةُ الْغَنَاءُ أَضْحَكُهَا بَجَالُ دَمْعِ النَّدَى فِي أَعْيُنِ الزَّهَرِ <sup>(٤)</sup>

(١) رف السات اهتز - يقول : هل حين انتشرت آدابي ومدامحي في الآفاق فاحنت يانع الثمر ، ولم يذكر جواب الاستفهام في البيت بعده لأنه مفهوم من السياق ، وهي عادة مألومة كما قال الشاعر :

«الآن لما كنت أكل من مشي وافتقر نابلك عن شاة الفارح  
وتكاملت بك المروءة والنقي وأعنت ذلك بالفعال الصالح»

وقول المائل :

« أنت لي همي وأنى بلائي وأحدى الحمد دأبى الريح  
ولحشامى على السكره نسي وضرى هامة البطل المشيع  
وقولى - كلما حشأت وحاشت - مكابك تهمدى أو تستريحى »

وربما ذكر الحواب كما ترى في قول ابن الرومى :

«الآن حين رأرت واستمع الورى رأرى وأندر كلب شر ديسه  
الآن حين سقت كل مساقى فتركت اسرع حريه تقريسه  
يتكاف المتكافون رياتى ليطلل بذلك معجب تعجيبه »

(٢) أى يستودع ذلك الثناء - المضروب بحسبه المثل - طاون الصحف ولا يمكن أن يخفى ما يهوح من

أريجه إلا إذا حى ربح المسك في الصرر .

(٣) أى من كل صحيفة تختال بما فيها من المداد الذى سطرت به آيات بيانه وسحر بلاعته اختيال الحاربه  
التي كبت ثدياها بما تلتسه من وشى منفر وبرد محبر .

(٤) أى أنه يصططب المحبرة التى يكتب بمدادها آيات بلاعته ويحمو لأجلها الروضة الماء أضحكها الحيا ،  
وجالت في أعين أرهاقه لدروع الندى .

يَا بَهْجَةَ الدَّهْرِ حَيًّا وَهَوًّا - إِنْ فَنَيْتَ  
لِي فِي أُعْيَادِكَ - بِالتَّأْمِيلِ - سَابِقَةً  
فَقِيمَ غَضَّتْ هُمُومِي مِنْ غَلَا هَمِّي  
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ فَنَاءَ الْعُتْبِ لِي أَسْنُ  
نَذَرْتُ شُكْرَكَ لَا أَنْسَى الْوَفَاءَ بِهِ  
حَيَاتُهُ - زِينَةُ الْآثَارِ وَالسَّيْرِ (١)  
وَهَجْرَةٌ - فِي الْهُوَى - أَوْلَى مِنَ الْهَجَرِ  
وَحَاصٌّ يَ مَطْلَبِي عَنْ وَجْهَةِ الظَّفَرِ؟ (٢)  
إِلَى الْمُدُوبَةِ مِنْ عُتْبِكَ وَالْخَصْرِ؟ (٣)  
إِنْ أَسْفَرْتَ لِي عَنْهَا أَوْجُهُ الْبَشْرِ (٤)

\* \*

لَا تَلَّهُ عَنِّي فَلَمْ أَسْأَلْكَ مُعْتَسِفًا  
وَأَسْتَوْفِرِ الْخَطَّ مِنْ نُصْحٍ وَصَاحِيَةٍ  
هَبْنِي جَهَلْتُ فَكَانَ الْعِلْقُ سَيِّئَةً  
إِنَّ السِّيَادَةَ بِالْإِعْضَاءِ لَا بِسَةِ  
رَدَّ الصَّبَا بَعْدَ إِيفَاءٍ عَلَى الْكِبَرِ (٥)  
كِلَاهُمَا الْعِلْقُ لَمْ يُوهَبْ وَلَمْ يُعَرِّ (٦)  
لَا عُذْرَ مِنْهَا سِوَى أَنِّي مِنَ الْبَشْرِ  
بِهَاءَهَا وَبِهَاءِ الْحُسْنِ فِي الْخَفْرِ

(١) هي في هذا البيت ممدوحه وهو لا يزال حيا يرق ، وقد أخذ هذا المعنى - ولم يحسن الأخذ - من قول أبي العلاء :

« جمال دى الأرض كانوا في الحياة وهم بعد المات حمال الكنت والسير . »

(٢) حاص : حاد ومال .

(٣) العتب : السخط وإظهار الوحدة لمخالفة ارتكبت ، والعتي : الرضا والروح إلى الممرّة بعد السخط ، والخصر : البرودة ، والمعنى : هل من سبيل بعد العتب الشبيه بالماء الآس أى التغير الذى لا يستسيغه ساربه إلى العتي الشبيه بالماء العذب البارد السائع شرابه - وقد أحسن أبو العلاء في حمل برد الماء الذى يصير به أطيب لشاربه سنا في هجره لا فراطه في الخصر والبرودة وذلك حيث يقول :

« لو اختصرتم من الاحسان ررتكم والمعد يهجر للافراط في الخصر . »

(٤) التميمي في « عنها » عائد إلى العتي ، والنشر : جمع نثرى .

(٥) أى لم أعنتس في السؤال ولم أطلب مستجيلا .

(٦) استوفى : استكثر ، وصاعية : الانسان حاصته الذين يميلون إليه ويعشون مجلسه ويطلبون ما عنده والعاقي : الشيء الفيس الذى يصيبه لعاسته فلا يوهب ولا يمار ، وقد ورد في ديوان الحماسة قول الشاعر :

« أبيت اللعن إن سكاب عاق نفيس لا يمار ولا يباع

مفسدة مكرمة علينا يجاع لها العيال ولا نخاع

سليلا سابقين . تاجلاها إذا نسا يصمها الكراع . »

لَكَ الشَّفَاعَةُ لَا تُذْنِبْ أَعْيَبَهَا      دُونَ الْقَبُولِ بِمَقْبُولٍ مِنَ الْعِذْرِ <sup>(١)</sup>  
وَالْبَسَ مِنَ النُّعْمَةِ الْخَضِرَاءَ أَيْكَلَهَا      ظِلًّا حَرَامًا عَلَى « الْآفَاتِ وَالْعَبْرِ » <sup>(٢)</sup>  
نَعِيمَ حَتَّةٍ دُنْيَا - إِنَّ هِيَ أَنْصَرَمَتْ -      نَعِمْتَ بِالْخُلْدِ فِي الْخَنَاتِ وَالنَّهْرِ

### أترع الكأس

أَدْرِهَا فَقَدْ حَسَنَ الْمَجْلِسُ      وَقَدْ آتَى أَنْ تُرْعَ الْأَكْوُسُ  
وَلَا بَأْسَ إِنْ كَانَ وَلَّى الرَّبِيعُ      إِذَا لَمْ تَجِدْ فَقَدَهُ الْأَنْفُسُ <sup>(٣)</sup>  
فَإِنَّ خِلَالَ أُنَى عَامِرٍ      بِهَا يَخْضُرُ الْوَرْدُ وَالرَّجِسُ <sup>(٤)</sup>

### لا حيلة في الحب

يَا مُخْجِلَ الْغُصْنِ الْفَيْنَانِ إِنْ خَطَرَا      وَقَاصِحِ الرَّيَّا الْوُسْنَانِ إِنْ نَظَرَا <sup>(٥)</sup>  
يَفْدِيكَ مِنِّي مُحِبُّ شَأْنِهِ عَجَبٌ      مَا جِئْتَ بِالذَّنْبِ إِلَّا جَاءَ مُعْتَذِرَا <sup>(٦)</sup>  
لَمْ يُنْجِنِي مِنْكَ مَا اسْتَشْعَرْتُ مِنْ حَذَرٍ      هَيْهَاتَ كِبْدِ الْهَوَى بَسْتَهْلِكُ الْحَذَرَا  
مَا كَانَ حُبُّكَ إِلَّا فِتْنَةً قُدِرْتُ      هَلْ يَسْتَطِيعُ الْفَتَى أَنْ يَذْفَعَ الْقُدْرَا <sup>(٧)</sup>

(١) العذر : جمع عذره كعذره مصدر كالعذر . (٢) وحدث هذا البيت في الأصل ما نسباً هكذا :  
والبس من النعمة الخضراء أيكلتها      طلاحاً ما على الآفات . . .

وحدث في هامش بعض النسخ كلمة لهذا البيت كـ ( والعبير ) وهذه السكامة باسمها الآفات لا الآفات  
لخصت كلمة البيت بكلمتين كما ترى إحداهما من هامش بعض الأصول ، والأخرى يعطها السياق .

(٣) أدر الكأس فقد صعد المجلس واعماه حسنه من حسن الرسع فلم يعد نحس للربيع فقدا .

(٤) فان حلال أنى عامر تذكرنا بالورد والرحس ودينا طيبها أعهما .

(٥) يقول : « إنك ترى بالعص المورق إن مشيت وتررى بالعلى الغرير الطرف إن نظرت .

(٦) يقدم لك العدا مع أسره عجب ، ذلك كما أثبت دساً أنى إلا أن ينفس لك الأعداء ومخلفها لك حلفاً

(٧) كنت أقدر أنك تهجرنى بعد الوصال وكنت اتلافى كل سب يؤدى إلى ذلك وأحادر جهدى ألا يقع  
ما حفته ولكن القدر لابد أن يعد حكمه وليس يدعه حذر . وما أجل قول الشاعر الناعم محمود أنى الوفا :

« يالائى فى الهوى دعى وما حلف      روى له ، ليس أمرى فى الهوى بيدى »

وقول العباس بن الأحنف :

« لقد ولدت حواء منك بليسة .      على أماسيها ، وغلمان الخل . »

## فى مدح ابن جهور

مَرَّادُهُمْ حَيْثُ السَّلَاحُ حَمَائِلُ وَمَوْرِدُهُمْ حَيْثُ الدَّمَاءُ مَنَاهِلُ (١)  
 وَدُونَ الْمُنَى فِيهِمْ جِيَادٌ صَوَافِنُ وَمَأْتُورَةٌ بِيضٌ وَتُمْرٌ عَوَامِلُ (٢)  
 لِكُلِّ بَجِيدٍ فِى الْمَجَادِ كَأَنَّمَا تُنَاطُ بِمَتْنِ الرُّمَحِ مِنْهُ الْحَمَائِلُ (٣)  
 طَوِيلٌ عَلَيْنَا لَيْلُهُ مِنْ حَفِيفَةٍ كَانَ صَبَابَاتِ النُّفُوسِ طَوَائِلُ (٤)  
 كِنَاسٌ دَنَا مِنْهُ الشَّرَى فِى مَحَلَّةٍ بِهَا اللَّيْثُ يَعْدُو وَالْغَزَالُ يُغَازِلُ (٥)

(١) المراد : اسم مكان من راد يرود أى ارتاد طلبا للحمعة والسكلا ، والحمال . جمع حملة وهى الشجر الكثير المحتجع اللتب الذى يستمر ما فى داخله ، وللماهل - جمع مهل - وهو موضع البهل وهو الشرب أولا يقال شرب عللا بعد مهل يريد أنهم يسهلون من دم واردهم ، والمعنى : الذى يرود حتى أولئك العرب الاتحاد حيث تسكن الحمسة يرود هناك حائل يكثر فيها السلاح وتشتجر الرماح ، ومن يردم تحمهم يشد مباحل تهل فيها الدماء وتعرض واردها لاسباب الفناء .

(٢) الصوافن : من الخيل جمع صافى وهو الذى يقوم على ثلاث ويثى سببك الراعة ، ومأطورة صمة السيوف ، يقال سيف مأثور أى فى منه أثر بفتح فسكون وهو درند السيف وجوهره وديباجة ، والسمر الرماح ، والعوامل : صدورها جمع عامل ، يقول دون ما سماه حتى مبيع الصادقات الحيات حتى ببيع السيوف وسمر الرماح .

(٣) نخيد : شجاع ذو وحدة وبأس ، والنجاد : حمائل السيوف ، وتناط : تعلق ، بتن الرمح : أى بقامة كالرمح فى الطول ، والعرب تمدح بالطول وتدم الدمامة والفصر ، فال رجل من دى :

«ولما التقى الصفان واختلف الفسا نهالا وأسباب المنايا نهالها

تبين لى أب القمامة ذلة وأن أعزاء الرجال طولها

دعوا يا السعد واشتباها لطفي أسود الشرى إقدامها وبرالها .

وقد أحاد أبو العلاء فى مدح القصر ، فقال :

«عجب الأنام لطول همه ماخذ أوفى به قصر على أضرابه

سهم الفتى أنهى مدى من سيمه والرمح ، يوم طمانه وضرابه .»

(٤) الحفيظة : العصب ، والصبابات : جمع صبابه وهى العشق ، والطوائل : جمع طائلة وهى الترة . والثائر

يقول يطول على كل طويل الجاد ليله من حفيظة وغصب علينا ، وكان العشق وصنات العفوس أوجست له ههنا طوائل وتراى فهو كمن يطلبنا ليشأر منا .

(٥) السكاس : مأوى الأطباء والبقر الذى تستكن فيه من الحر ، والشرى : موضع يحسب إليه الأسود .

أَمَمَرُ الْقِيَابِ الْحُمُرِ وَسَطَ عَرِيْنِهِمْ      لَقَدْ قُصِرَتْ فِيهَا السَّرُوبُ الْعَقَائِلُ<sup>(١)</sup>  
 أَمْحُجُوبَةٌ لَيْتَنِي وَلَمْ تُخْضَبِ الْقَنَا      وَلَا حَجَبَتْ شَمْسُ الضَّحَاءِ الْقَسَاطِلُ<sup>(٢)</sup>  
 أَنَاةٌ عَلَيْنَهَا مِنْ سَنَا الْبَذْرِ مِبْسَمٌ      وَفِيهَا مِنَ الْغُضَنِ الذَّخِيرِ شَمَائِلُ<sup>(٣)</sup>  
 يَجُولُ وَشَاخَهَا عَلَى خَيْرَ رَانَةٍ      وَتُشْرِقُ فِي «مَوْسِيَّتَيْنِ» الْخَلَائِلُ<sup>(٤)</sup>  
 وَلَيْلَةٌ وَافَتَنَا الْكُتَيْبَ لَمَوْعِدٍ      كَمَا رُبِعَ وَسَنَانُ الْعَشِيَّاتِ خَاذِلُ<sup>(٥)</sup>  
 تَهَادَى - أَنْسِيَابَ الْأَيْمِ - يَعْقُو إِيَّارَهَا      مِنْ الْوَشْيِ مَرْقُومُ الْعِطَافَيْنِ ذَائِلُ<sup>(٦)</sup>

(١) العرين : مأوى الأسد ، وفصرت : حست قال تعالى « حور مقصورات في الخيام » أى محبوسات في الخيام محذرات على أرواحهن في الحيات ، والسروب جمع سرب بالكسر وهو القطيع من الظباء والنساء والطيور ، ونصوص في كتب الله أنه يجمع على أسراب وسراب ، وقد جمعه هنا على سروب ، والقياس لا يأتيه كما في حمل وحمل وضرس وضروس ، والعقائل : جمع غفلة وهي من النساء الكريمة المحذرة ، والمعنى أقسم بحياة القناب الحمر وسط عرين حماها والدائين عنها من أولئك الأسود لند حست فيها أسراب العقائل ومعب من السروب إليها والخروج للافاقنا .

(٢) الضحاء : ارتفاع النهار ووقته عقب الصبح مثل انتصاف النهار ، والقساطل : جمع قسطل وهو العنار الساطع (٣) الامانة : المرأة التي فيها فتور عن القيام وتأن ، قال الشاعر :

أَنَاة تَرِينِ الْبَتِّ إِذَا تَلَسَّتْ      وَإِنْ قَعَدَتْ هَلَا فَأَحْسِنُهَا هَلَا

أى تَرِينِ البت لاسنة قلبها ومتعصدة ثوب واحد ، والسنا : الصوء ، والمبسم : ما عليها من أثر الوسامة والخس ، والشمايل : الطابع .

(٤) وفي الأصل « وتشرق في بردتين احلال » وهذه الرواية يحتل ورن البت ، وقد أبدلها بلفظة « مَوْسِيَّتَيْنِ » الموصوعة بين قوسين لأنها تعنى بردتين مقوشتين ولأنها قريبة منها في رسم الحروف ، إلى أن يظهر خلاف ما أفتناه عما .

(٥) ربع : مر - لأمر ممحى ، والوسنان : الفاتر الظرف شبه المرأة الوسي من النوم ، والعشييات : جمع عشية وهي آخر البهار ، والخالل : من حدثت الطلية وهي حائل تحملت عن صواحبه وامرعت ، يقول ما أس لى لىلة وادما في الكتيب لومت حددناه موعدا للقاء مكات كما ربع طلى فاتر لاحظ انفراد عن سائر سرب الظاء . وقد مر الشطر الأول من هذا البيت في تصديده الفائية ص (٢٤) من هذا الكتاب إذ مال :

وليلة وافتنا الكتيب لموعد      سرى الأين لم يعلم لمسراه مزحف

تهادى أناة الخطو مرتاعة الحشا      كما ربع يعمور العالا المتشرف

(٦) تهادى : أصله تهادى ، وهو معنى في تناقل وتمايل وسكون ، والأيم : والأين الحية ، ويعمو : يحمو والاثار : جمع أثر جمعه على فعال بالكسر جمعا قياسيا كما في جبل وحبال وحمل ، قال ابن مالك : « وفصل أيضا له فعال ما لم يكن في لاه اعلال . »

قَمِيدِكَ ، أَنَّى زُرْتِ ضَوْءَكَ سَاطِعٌ      وَطَيْبُكَ نَفَاحٌ وَحَلِيكَ هَادِلٌ <sup>(١)</sup>  
هَيْبِكَ أَغْتَرَزْتَ الْحَى وَأَشِيكَ هَاجِعٌ      وَفَرُّعُكَ غَزِيْبٌ وَلَيْلُكَ لَائِلٌ <sup>(٢)</sup>  
فَأَنَّى اعْتَسَفْتَ الْهُوْلَ خَطْلُوكِ مَدْمِجٌ      وَرَدْفُكَ رَجْرَاجٌ وَعِطْفُكَ مَائِلٌ  
خَلِيلِي مَالِي كُلَّمَا رُمْتُ سَلْوَةً      تَعَرَّضَ شَوْقٌ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ  
أَرَاخُ إِذَا رَاحَ النَّسِيمُ شَامِيَا      كَأَنَّ شَمُولًا مَا تُدِيرُ الشَّمَائِلُ <sup>(٣)</sup>  
ضَلَالًا تَمَادَى الْحُبُّ فِي الْمَعْشَرِ الْعِدَا      وَابَّجَ الْهُوَى فِي حَيْثُ تُخْشَى الْغَوَائِلُ <sup>(٤)</sup>

ولم نثر مما راحناه من كتب الامة على هذا الجمع ، والمطاف . ما لكسر والمعطف كل ثوب كالرداء والطيلسان تعطف أى تردت به ، وسمى عطافا لوبوعه على عطى اللابس وهما ناحيتا عنقه ، والرقوم : ذو الوشى والنش أو المكسوت عليه رهم التاجر ، والدائل ذو الديل ، وهو أيضا من الدالال وهو مشى مقارب الخطو فيه . دعب وعلة شبيهة الدب أو الثقل من حمل ، أو هو مشى سريع خفيف في ميس وسرعة . وبسمى الدب . وإالة ، والمعنى الأول هو المقصود هنا ، يقول وانتما للوعدي تلك الليلة تنهادي في مشيتها كاسباب الحية في الرمل نحو ماتركه من آثار المشى ، ديل ثوبها المودى ، وهو قريب من قول امرئ القيس : « خرجت بها أشى محر وراءها على أثريا ديل مرط مرحل . »

(١) قَمِيدِكَ : مصدر مصوب ليايته عن الفعل والتقدير سألت الله حطك ، وهادل : مرسل مسترح إلى أسفل (٢ و ٣) مكرران مع قوله فيما تقدم في الغاية :

« هَيْبِكَ اغْتَرَزْتَ الْحَى وَأَشِيكَ هَاجِعٌ وَرَدْفُكَ عَرِيبٌ وَلَيْلُكَ لَائِلٌ »

فَأَنَّى اعْتَسَفْتَ الْهُوْلَ خَطْلُوكِ مَدْمِجٌ وَرَدْفُكَ رَجْرَاجٌ وَعِطْفُكَ مَائِلٌ »

ولكن بتعبير الغافية كما ترى ، واعتبرت : بالعين المعجمة أنت منهم مرة وعلة فزرتنا ، وقد صممه معنى خدعت فعداه إلى المفعول بعينه ، وتقدم تعبيره بالعين المهملة بمعنى حبس الحى وطف به سائلة على غير علم من أهله ، إلا أن هذا يستعمل غالبا في المعترأى طالب المعروف . قال حاتم الطائي : « أوقد فان الليل ليل قرّ والريح يا علام ريح صرّ لعلّ أن يصورها المعترأى إن حلب صيفاً فأنت حر . »

(٣) أَرَاخُ : كأخاف من الارتجاج ، وراح : من الرواح ، والشمول : من أسماء الجر ، والشمائيل : جمع الشمال بالفتح وهى ريح تم من قبل الشام عن يسار القلة ، وفي الشمال والشمول يقول الشاعر :

« أَلَمْتُ سَلِيمِي وَالنَّسِيمُ عَلِيلٌ نَفِيلٌ لِي أَنَّ الشَّمَالَ شَمُولٌ »

كأن الحزامى صنعت منه فرقا فلكسر أعان المطى تطول .

(٤) معنى مكرر بلفظه ولكن بتغيير الغافية مع قوله في الغاية المتقدمة :

« لَحاحَ تَمَادَى الْحُبُّ فِي الْمَعْشَرِ الْعِدَا وَطَمَ الْهُوَى الْأَفْقَ الِدى فِيهِ شَنْفٌ . »

كَأَنَّ لَيْسَ فِي مُعْنَى اِهْمَامٍ «مُحَمَّدٍ»  
 أَغْرَ إِذَا شِمْنَا سَحَابَ جُودِهِ  
 يَبْشُرُنَا بِالنَّائِلِ الْغَمْرِ «جُودُهُ»  
 لَدَيْهِ رِيَاضٌ لِلْسَّجَابَا أُنَيْقَةٌ  
 أَتَى فَمَا تِلْكَ السَّمَاحَةُ نُهْرَةٌ  
 زَعِيمُ اَلدَّهَاءِ أَنْ تُصِيبَ مِنَ الْعَدَا  
 فَمَا سَيْفُ ذَلِكَ الْعَزَمِ فِيهِمْ عِمْعَضِدِ  
 بَنِي «جَبَّوْرٍ» عَشْتُمْ بِأَوْفَرِ غِطَّةٍ  
 تَفَاصَلَ فِي السَّرْوِ الْمُلُوكُ، فَحَلَّيْنَهُمْ  
 مُسَلٍّ وَفِي مَتْنِ أَيْادِيهِ شَاغِلٌ<sup>(١)</sup>  
 تَهَلَّلَ وَجْهَهُ وَأُسْتَهْلَتْ أَنْاءِلُ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَبْلَ الْحَيَا مَا تَسْتَطِيرُ الْمَخَايِلُ<sup>(٣)</sup>  
 تَعْلُفُلُ فِيهَا لِلْعَطَا جَدَاوِلُ  
 وَفِي فَمَا تِلْكَ الْجِبَالُ حَبَائِلُ<sup>(٤)</sup>  
 مَكَايِدُهُ مَا لَا تُصِيبُ الْجَحَافِلُ  
 وَلَا سَهْمُ ذَلِكَ الرَّأْيِ أَفُوقُ نَاصِلُ<sup>(٥)</sup>  
 فَأَوْلَاكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ طَائِلُ  
 أَنَايِبَ رُمَحٍ أَنْتُمْ فِيهِ حَامِلُ

- (١) مسل أي صارف عن اهوى لدى تحدث عنه فيما سبق من أبيات القصيدة ، ومتنى الأيدى : إعادة المعروف مرتب فأكثر ، والأصاء من حرور اليسر يشربها الخواص ميطعها الأبرام ، فان الالفة : « يملك ذو - رصم عى وصلهم وليس جعل أمر مثل من علما أنى اتهم أيسارى وأهجمه - متنى الأيدى وأكوا لجمعه الأدماء »  
 واليت من احس أبيات التخلص من السيب إلى المدح .  
 (٢) تهلل : أشرق وظهرت عليه أمارات النور ، واستهلت من استهلال المطر وهو انصافه بشدة حتى يسمع له صوت ، شه أنامله في الخود لسحاب المنهل .  
 (٣) الحيا : مطر ، ما تستطير . مارائدة أو مصدريه ، وتستطير . تنسر وتمع الأنى ، والمحابل : جمع بحلة وهى أن ترحو وتخل أن السماء حلقة المطر ، وفي الأصل « يشربنا بالنائل العمر » ونعده ماض وقد أكدنا الشط بلطف « جوده » الموضوعه بين هلالين أحدا من السياق ، ومعنى البيت يشربنا بالمطاء الكثير حوده وقبل استهلال المطر تنشر بحله وعلاماته في السماء .  
 (٤) الأنى : اللامدة الذى يتأنى للأمر ، ونهزة : يريد أنه لا يبدل السباحة ابتهاراً وقترافاً إذا منحت له الفرصة بل يتأنى لها وينصى عليها في كل وقت غير متحين لها العرس ، والحل : العهد والدة والتواصل وعدم التقاطع ، والمحائل : جمع حالة وهى الصيدة وفي الحديث « النساء حائل الشيطان » أى مضايده .  
 (٥) المصعد والمصعد : سيف ممتن على شكل المجل يتحده القضاون لقطع العظام ، والرعاة لقطع فروخ الشجر ليعملوا بما يسقط من ورقها غصمهم وإلهم ، وأنوق : مكسور الموق بالضم وهو حرف السهم وإذا كان في إحدى رمقى السهم أى حرفه انكسار فذلك السهم أفوق ، والاصل : السانط النصل وهو حديثة السهم ، والمعنى : أنه ماضى المزيمة صائف الرأى ، وفي الأصل : « أفوق ناصل » .



لَنْ قَلَّ فِي أَهْلِ الزَّمانِ عَدِيدُكُمْ  
فَإِنَّ دَرَارِيَّ النُّجومِ قَلَّائِلُ<sup>(١)</sup>  
فِداؤُكُمْ مَنْ إِنْ تَعَدَّهُ ظُنُونُهُ  
لَحَاقَكُمْ فِي الْمَجْدِ فَالْدَهْرُ مَاطِلُ  
مَنَّاكِدُ<sup>(٢)</sup> فِعْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ تَكْلُفُ  
إِذِ الشَّرُّ طَنَعَ مَا لَهُمْ عَنْهُ نَاقِلُ  
فَإِنْ سُرِّتْ أَخْلَافُهُمْ يَتَخَلَّقُ  
فَكُلُّ خَضِيبٍ لَا مَحَالَةَ نَاصِلُ<sup>(٣)</sup>  
لَكَ الْخَيْرُ، إِنِّي قَائِلٌ غَيْرُ مُقْصِرٍ  
فَنَ لِي بِأَسْتِيفَاءِ مَا أَنْتَ فَاعِلُ ؟  
لَعَمْرُكَ سَرَّافِ الْغَمْرِ وَافَاكَ وَفَدُهُمْ  
لَمَّا دَمَ مِنْهُمْ ذَلِكَ النَّزْلُ نَازِلُ  
لَا عَذْرَتَ لَمَّا لَمْ يُمَلِّكْ مُكْتَنُهُمْ  
إِذَا عَذَرَ الْمُسْتَنْقِلَ الْمُتَشَاوِلُ<sup>(٤)</sup>  
نَضَدَتْ رِيَّاحِينَ الطَّلَاقَةِ غَضَّةً  
وَرَقَرَّتْ مَاءَ الْبَرِّ وَهُوَ سَلَاسِلُ  
فَمِنْهُمْ إِلَّا سَدِيدُ نِزَاعِهِ  
إِلَيْكَ مُقِيمُ الْقَلْبِ وَالْجِسْمِ رَاحِلُ  
ضَمَانُ عَلَيْهِمْ أَنْ سَيُؤْتَرُ عَنْهُمْ  
عَلَيْكَ ثَنَاءٌ فِي الْمَحَافِلِ حَافِلُ<sup>(٥)</sup>

(١) ألم كثير من الشعراء بهذا المعنى في صور مختلفة نختار منها قول السموأل في لاميته المشهورة :

« تعبر يا أنا قليل عديدنا فقلت لها : إن الكرام قليل

وما قل من كاب نقاياه مثلاً شباب تسامى للعلا وكهول. »

وقول العباس بن مرداس :

« ناث الطائر أكثرها فراحاً وأم الصقر مفلاة نزور . »

(٢) جمع مكود من بكد الرجل بالباء المجهول وهو مكود إذا كثر سؤاله وقلَّ حيره .

(٣) حصص : محصور ، وواصل : وصف من يصل الشعر يصل بالضم رال عنه الحصاص ، وهو معنى

كثير الورد في كلام الشعراء ، قال رهير .

« ومهما تكن عند امرئ من حقيقة وإن حالها تحي على الناس تعلم . »

وقال الآخر : « ومن يتحد حيا سوى خيم معه يدعه ويفله على البس خيمها . »

وقال ذو الأصم العدواني .

« كل امرئ صائر يوماً لشيمته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين . »

(٤) لأعذرت : لقد بدا عذرک واتضح ، والمستنقل : المستطى لمكثهم أكثر مما تستلزمه موجبات

العيابه ، والمتنازل : المتناطى إلى أقل على مصيفه فأله وأصمره ، يقول أنثت عدرا لنفسك واضحا حين

لم تمل ولم تسأم طول مكث سراة النفر الواعدين عليك في وقت يعرف فيه المتناقل عذر مضيقه إذا مل مكثه

وعده نفيلاً .

(٥) ضمان على هؤلاء الواعدين أنه سيؤثر ويروى عنهم ثناء عليك في المحافل حافل بأنواع المهادم والمدائح .

مَسَاجٍ هِيَ الْعِقْدُ انْتِظَامَ تَحَاسِينِ  
تُنِيرُ بِهَا الْأَمَالُ وَاللَّيْلُ وَاقِبُ<sup>(١)</sup>  
تَحَلَّى بِهَا جِيدُهُ مِنَ الدَّهْرِ عَاطِلُ  
وَتُخَصِّبُ مِنْهَا الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ مَاحِلُ

هَنِيئًا لَكَ الْعَمِيدُ الَّذِي بِكَ أَصْبَحْتَ  
تَلَقَّاكَ بِالْبُشْرَى وَحَيَّاكَ بِالْمُنَى  
لَنْ يَنْصَرِمَ شَهْرُ الصَّيَامِ لِبَعْدِهِ  
رَأَيْتَ أَدَاءَ الْفَرَضِ ضَرْبَةً لَا زِمَ  
سَدَنَتْ<sup>(٢)</sup> بَيْتَ اللَّهِ حُبُّ جَوَارِهِ ،  
هَجَرَتْ لَهُ الدَّارَ الَّتِي أَنْتَ آفٍ  
فَإِنْ تَنَفَّأكَ الدَّارُ فَطَالَمَا  
أَلَا كُلُّ - رَجَوَى فِي سِوَاكَ - عَلَالَةٌ  
فَمَا لِعِمَادِ الدِّينِ - حَاشَاكَ - رَافِعُ

لَأَمْنَتْنِي الْخُطْبَ الَّذِي أَنَا خَافِي  
أَرَى خَاطِرِي كَالصَّارِمِ الْعُضْبِ لَمْ يَزَلْ  
وَمَا الشُّعْرُ مِمَّا أَدَّعِيهِ فَضِيلَةٌ  
بَقِيَتْ كَمَا تَبَقِيَ مَعَالِيكَ إِنِّهَا  
فَا نَسْتَزِيدُ اللَّهَ بَعْدَ نِهَايَةٍ  
وَبَلَّغْتَنِي الْحِطَّ الَّذِي أَنَا آمِلُ<sup>(٣)</sup>  
لَهُ شَاحِدٌ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ صَاقِلُ  
تَزِينُ ، وَلَكِنْ أَنْطَقْتَنِي الْفَوَاضِلُ  
خَوَالِدُ حِينَ الْعَيْشِ كَالظِّلِّ زَائِلُ  
لِنَفْسِكَ غَيْرَ الْخُلْدِ إِذْ أَنْتَ كَامِلُ<sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل «رائد» (٢) وفي الأصل «سدك» (٣) وقد ورد بعد هذا البيت قوله :

« . . . . . أَلْهَمْ مَنِي مَهَا أَنَا لَا غِلَّ وَلَا أُنْتُ عَاطِلُ . »

وقد أثبتناه ناقصا كما ورد بالأصل .

(٤) قريب من هذا المعنى قوله من قصيدة سابقة :

« لَا أَسْتَزِيدُ اللَّهَ بَعْدَ مَعَايِكَ ، لَا بَلَّ أَسْتَدِيمُ »



صَفَوْتُ فَأَذَلَّتْ<sup>(١)</sup> فِي عَرَضِهَا وَمَنْ يَصْنَفُ مِنْهُ الْهُوَى فَلْيَدِلْ  
قَبُولُكُمَا نِعْمَةٌ غَضَّةٌ وَفَضْلٌ - بِمَا قَبْلَهُ - مُتَّصِلٌ  
وَلَوْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ نَفْسِي اخْتَصَرَ تَعَلَّى أَنَّهَا غَايَةُ الْمُخْتَفِلِ<sup>(٢)</sup>  
مجلس أبي على

« لما ورد ابن زيدون إشبيلية نزل في دار  
ذي الوزارتين الكاتب أنى على بن جلة وهو  
بنى فيها مجلسا ، فصنع أبياتا فكتبت فيه : »

عُمَرَ مَنْ يَعْمُرُ ذَا الْمَجْلِسَا أَطْوَلَ عُمرٍ يُنْهَجُ الْأَنْفُسَا  
وَبَعْدَ ذَا غَوْضَ عَنْ دَارِهِ عَدْنَا وَمَنْ دِيَارِهِ السُّنْدُسَا  
وَوُفَى الْفَوْزَ بِهَا وَالرَّضَى وَوُفَى الْأَسْوَاءَ وَالْأَبْوَسَا<sup>(٣)</sup>  
وَدَامَ عِبَادُ لِعَهْدِ الْهُدَى يَحْرُسُ حَتَّى يُفْنِيَ الْأَحْرُسَا<sup>(٤)</sup>

\* \*

مُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ إِحْسَانُهُ جَمَّ إِذَا مَا الدَّهْرُ يَوْمًا أَسَا  
الْمَلِكُ الْغَمَزُ النَّدَى الْمُقْتَنَى مِنْ كُلِّ حَمْدٍ عِلْقَهُ الْأَنْفَسَا<sup>(٥)</sup>  
إِنْ رَامَ يَوْمًا وَصَفَ عَلَيْهِمْ مِقْوَةٌ مُقْتَدِرٌ أَخْرَسَا<sup>(٦)</sup>  
لَا زَالَ بَذْرًا طَالِمًا نِيرًا يَكْشِفُ مِنْ أَمَانَا الْخُنْدِسَا<sup>(٧)</sup>

(١) الادلال البدل والانساط والمرأة على من تحب باظهار الدالة عليه ، أى وقت بما بنينا من الصفاء  
والود فأمرط في الدالة عليك نعرض هذا التناح الذى يتهدى مثله الأسماء المخصوصون ، ومن يصف في  
الهُوى فليظهر الدلال على من يحبه .

(٢) المحمل المبالغ في الاهداء ، والمعنى : لو كنت حين أردت الاهداء ، أهديت نفسى لاختصرت ، على  
أنها عانة ما أحتمل وأألم في تقديمه إليك هدية . (٣) الأسواء : جمع سوء والأبوس جمع نؤس .

(٤) الأخرس : الدهور ، جمع حرس بفتح مسكون وهو الدهر .

(٥) الملك العظيم الاحسان الذى طهر من الشاء بما لم يظفر به غيره من آيات الحمد .

(٦) إذا رام اللسن المبين أن يصف مجده أعياء الخرس لأنه يحاول بذلك أن يظفر بالمستحيل .

(٧) الطلام .

## جواب

« كتب الوزير الفقيه صاحب الأحكام والأجاس  
« أنو طال بن مكي » يتين وهما :  
« يا بعيد الدار موصو

لا بقلبي ولساني  
رما ماعدك الده  
رفأدتك الأمانى . «  
فكتت إليه الآيات التالية : «

لَا أَفْتِنَانْ كَافْتِنَانِي فِي حُلَى الظَّرْفِ الحِسَانِ<sup>(١)</sup>  
خَصَّصَنِي بِالْأَدَبِ اللَّهُ فَأَعْلَى فِيهِ شَبَانِي  
خَاطِرِي أَنْفَدُ - مَهْمَا قِيسَ - مِنْ حَدِّ السَّنَانِ

\* \*

أَيْهَا الْمُرْسِلُ أَطْيَا رَ الْمُعَمَّى لِامْتِحَانِي  
هَآكَ كَى تَرْدَادَ فِي الْآدَابِ عِلْمًا بِمَكَانِي  
قَدْ أَتَنَّا الطَّيْرُ تَشْدُو بَعْضَ أَيْآتِ الْأَغَانِي  
بِرِطَانَاتٍ قَضَنَّا مَا اقْتَضَتْنَا مِنْ بَيَانِ

\* \*

إِنْ تَغَنَّى الْبُلْبُلُ أَهْتَا جَ غِنَاءَ الْوَرَشَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) قال في اللسان : الطرف البراعة ودكاء الفل يوصف به الفتيان الأروال والفتيات الرولات ولا يوصف به الشبح ولا السيد، وقد وصف الحسان بالطرف مالملة، ويجوز أن يكون مالمضم جمع طريف، فإنه يجمع على طرف بصمتين، والاسكان في مثله جائز، والمعنى : ليس يحيد أحد - كما أريد - الا فتنان في صوغ تلك الحلى الحسان التي يملها الطرف والبقاة .

(٢) الورشان : طائر لجه - فيما يقولون - أحف من الحمام، والمعنى : أن غناء البلبل يهتاج غناء الورشان .  
يشير بذلك إلى أن شعر صديقه الوزير اهتم به فحرك فيه بواحت الشعر كما اهتم غناء البلبل غناء الورشان .

فَتَأْدَى مِنْهُ يَتَنَا غَزَلٍ مُنْفَرِدَانِ  
لِحُبِّ فِي حَبِيبٍ عَنْهُ نَاءٌ مِنْهُ دَابِ :  
« يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو لَا بِقَلْبِي وَلِسَانِي  
رُبَّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْرُ فَأَذْنَتِكَ الْأَمَانِي »

### كن كيف شئت

بَاغَزَالًا أَصَارَنِي مُوثِقًا فِي يَدِ الْمِحْنِ  
إِنِّي - مُذْ هَجَرْتَنِي - لَمْ أَذُقْ لَذَّةَ الْوَسَنِ  
لَيْتَ حَظِّي إِشَارَةٌ مِنْكَ، أَوْ لِحَظَةٌ عَنْ<sup>(١)</sup>  
شَافِعِي يَا مُعَذِّبِي - فِي الْهَوَى - وَجْهَكَ الْحَسَنِ  
كُنْتُ خِلْوًا مِنَ الْهَوَى فَآنَا الْيَوْمَ مُرْتَمِنٌ<sup>(٢)</sup>  
كَانَ سِرِّي مُكْتَمًا وَهُوَ الْآنَ قَدْ عَلَنَ<sup>(٣)</sup>  
لَيْسَ لِي عَنْكَ مَذْهَبٌ فَكَمَا شِئْتُ لِي فَكُنْ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول : إني أقنع . بك بالشيء الغليل النافه وأكتفى بأن يكون حظي من حرك إشارة أو همة سريعة ، وقد دار الشعراء حول هذا المعنى ، واملأ أبدع ما قيل فيه قول جميل شينة .

« وإني لأرعى من شينة بالذي لو أصره لوأني اقرت بلابه  
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالذي ، وبالأمل المرحو قد حاب آمله  
وبالطرفة المحلى ، وبالحول تنقصي أواحره - لالتيق - وأواثله . »

(٢) الخلو : الخالي . يقول « كنت طليقاً حالياً من إيسار الهوى فصرت اليوم أسيراً مرتهبا . »

(٣) يقول : « كان سري حافياً لا يعلمه أحد فأصبح معلماً ، وما أجل قول مرؤد في شبه هذا المعنى :

« وقد كُتِبَ الغطاء فما نبأني أصرحاً بدكرك أم كنيهاً »

سائل عن ثناعات مجزوى وبات الرمل يعلم من عينا

ولرأنا نادى « يا سلمي » لقالوا : ما عذبت سوى لبيني »

(٤) يقول : « لا فكك لي من إيسار حرك فاصنع بي ما أنت صانع . »

### حنين

هَلْ رَاكِبٌ ذَاهِبٌ عَنْهُمْ يُخَيِّنِي      إِذْ لَا كِتَابَ يُؤَافِنِي فَيُخَيِّنِي <sup>(١)</sup>  
 قَدْ مِتُّ إِلَّا ذِمَاءٌ فِي يَمْسِكُهُ      أَنَّ الْفَوَادَ بَلْقِيَاهُمْ يُرَجِّبِي <sup>(٢)</sup>  
 مَا سَرَّحَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنِي وَأَطْلَقَهُ      إِلَّا أَعْتِيَا ذَائِبِي فِي الْقَلْبِ مَسْجُونِ <sup>(٣)</sup>  
 صَبْرًا لَعَلَّ الَّذِي بِالْبُعْدِ أَمْرَضَنِي ،      بِالْقُرْبِ يَوْمًا يُدَاوِينِي فَيَشْفِينِي  
 كَيْفَ أَصْطَلِبَارِي وَفِي كَأْتُونِ <sup>(٤)</sup> فَارَقَنِي      قَلْبِي وَهَانَحْنُ فِي أَعْقَابِ تَشْرِينِ <sup>(٥)</sup>  
 شَخْصٌ يُدَكِّرُنِي قَاهُ وَغُرَّتُهُ      شَمْسُ النَّهَارِ وَأَنْفَاسُ الرِّيَّاحِينَ  
 لَنْ عَطِشْتُ إِلَى ذَاكَ الرُّضَابِ لَكُمْ      قَدْ بَاتَ مِنْهُ يُسْقِينِي فَيُرْوِينِي  
 وَإِنْ أَفَاضَ دُمُوعِي نَوْحُ بَاكِئَةٍ      فَكَمْ أَرَاهُ يُغْنِيَنِي فَيُشْجِينِي <sup>(٦)</sup>  
 وَإِنْ بَعُدْتُ وَأَصْنَعْتَنِي الْهَمُومُ لَقَدْ      عَهْدُهُ وَهُوَ يُدْنِينِي فَيَسْلِينِي  
 أَوْ حَلَّ عَقْدَ عَزَائِي نَأْيُهُ فَلَسْكُمْ      حَلَّتْ عَنْ خَصْرِهِ عَقْدَ الثَّمَانِينَ <sup>(٧)</sup>

(١) هل يوايبى رسول من قل من أحبه ويحمل إلى تخيبتهم بعد أن حرمت كتبهم التي كانت تعيد إلى الحياة.

(٢) لقد كدت أحسب في عداد المهلكين لولا بقية قليلة من الروح يسعها في الرضاء والامل في انقائهم .  
 قال ابن الرومي في رثاء اسه :

« ولقد تعرى القلب سلوته أنى بأن أفاك مرتس . »

(٣) لم يمض دمي إلا ذكريات مؤلمة مسعونة في قلبي تعنادني حيناً بعد حين وتطفئ سمي فتطلق الدمع وتسرجه . (٤) شهر من شهور الشتاء وهو ديسمبر ، قال أبو العلاء :

مضى كانون ما استعملت فيه      حجم الماء ، فاقدم يا سباط  
 تنساه أهس الحشرات سقى      يكوب لمن بالصيف ارتباط

(٥) شهر من شهور السنة الرومية وهو يوافق ١٤ أكتوبر ، وهما تشرينان أحدهما في ١٤ أكتوبر والثاني في ١٤ نوفمبر ، ولعل المراد تشرين الثاني . (٦) في الأصل : فيروبي .

(٧) عقد عزائي : المقعد صد الحلق ، والعزاء : الصبر ، والبأى : البعد وعقد الثمانين : أحد عقد الأصابع التي يعدهم بها عدد الثمانين والاشارة إلى عقد الثمانين تكون بسط الابهام والسماكة مما متلاصفتين بلا فرجة ظاهرة بينهما ، واللحي : لئن حل بأى الحبيب وبعده عقد عزائي وسلاواني عنه ، فكثيراً ما حلت عن خصره عطفاً يشبه في العقيق عمد الثمانين ، وهذا الحصر الذي وصفه ابن زيدون يصدق في الوم ، ويلطف في الحيات والحسن إلى حصد أنا لا نعتز له على شبيهه ومثيل حتى ولا في خصور الاحلات الرشيقا



## تَحْسُنْ إِشْرَاقَ سَاعَاتِ الدُّنُو بَدَتْ كَوَاكِبًا فِي أَبَالِي بُعْدِهِ الْجُونِ (١)

من بات أوربا وإريس في العصر الحاضر عصر اليمن في الرشافة ، ودفة احضور ، والافراط في تصديق عقد الطاق .

### عقد الأصابع

لما كانت كلمة « عقد الثمانين » الواردة في بيت « اس ريديون » هذا لا يبين فيها وجه التعقيد والمعاطة التي عمد إليها اس ريديون أحيانا ، إلا بعد بيان ما تبدل عليه عدد الأصابع من الأعداد العربية للحساب ، وهو اصطلاح جديد استعمله العرب ، وحدث في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم عقد ثلاثة وخمسين في التهنيد ، أي نفس اخضر والضرر ولوسطى على هيئة حصة تدل على العدد المذكور ، محض استطراد لتلخيص مذهب مدسوط في نفس كتب التامة والمعو . معقفا لهذا الموضع يقول :

حصلوا للدلالة على الآحاد من اصابع اليد اليمنى اخضر والضرر ولوسطى ، والعشرات إلى التسعين الوسطى والسائة .

فالعقد الدال على الواحد يكون الصاق الحصر بباطن الكف مع تسطير سائر الأصابع ، وعلى الاثنين بالصاق الضرر معها كذلك ، وعلى الثلاثة هم الوسطى اليهما كذلك ، وعلى الأربعة بالصاق الضرر والوسطى وحدهما كذلك ، وعلى الخمسة بالصاق لوسطى وحدهما كذلك ، وعلى الستة بالصاق الضرر وحدهما كذلك ، وعلى السبعة بالصاق الضرر وحدهما ممدودة إلى أسفل الكف على شكل يشكل يغالب شكل الواحد . وعلى العشرة يوضع ضمير السائة في وسط ناض ألة إهم بحيث يوصل شكل حلقة ، ولكن مع نشور رأس الإهم بقدر نصف الأثلة ، وعلى العشرين تحمل المفصل الأول من السائة على ظهر الإهم بحيث تكون السائة على شكل الدال ، وعلى الثلاثين هم رأس حن السائة إلى طر رأس الإهم على هيئة لاقط الابرة ، وعلى الأربعين يوضع ما بين ألة الإهم على ظاهر ناض السائة مما يلي الكف ، وعلى الخمسين يوضع الطرف الأيمن للإهم على محز النقطة السفلى للسائة بحيث تكون قنم ، والحجاب الأعلى للإهم معنيا عليها ، وعلى الستين يوضع ناض أعلى ألة الإهم على ناض أعلى ألة السائة ، بحيث تكون السائة على شكل قوس وتره الإهم ، وعلى السبعين يوضع حرف ظهر الإهم على العقدة الوسطى لباطن السائة على هيئة رمي الحصان بالحدف « وهو رمي صغار الحصا بعد أحدها بين طرفي السائة والإهم » ، وعلى الثمانين يسطروا معا لاصقتين بلافرجة بينهما كما أسلفناه في شرح البيت الذي نحن بصدده ، وعلى التسعين بطي السائة إلى أصلها ووضع الإهم على ظهر العقدة الوسطى للسائة كما تتجوى الحية .

وحملوا للدلالة على المئات من اصابع اليد اليسرى السائة والإهم طرقت ما في اليد اليمنى . فالمائة في اليسرى كالعشرة في اليمنى ، والمئتان كالعشرين ، وهكذا إلى التسعمائة ، والألف في اليسرى كلواحد في اليمنى ، والألفان كالثلاثين ، وهكذا إلى تسعة آلاف ، والعشرة آلاف هم ثمانين السائة والإهم بطأ لبطن ، وتستعمل عقد اصابع اليدين معاً للدلالة على الأعداد المركبة من الآحاد والعشرات والمئات والآلاف بنفس الهيئات المذكورة .

(١) أي أن ليالي الوصال تبدو مصيحات لامعات في ليالي البعاد السود .



وَاللّٰهُ مَا فَارَقُونِيْ بِاخْتِيَارِهِمْ - وَإِنَّمَا الْدَّهْرُ بِالْمَكْرُوهِ يَرْمِينِي  
وَمَا تَبَدَّلْتُ حُبًّا غَيْرَ حُبِّهِمْ - إِذَا تَبَدَّلْتُ دِينَ الْكُفْرِ مِنْ دِينِي<sup>(١)</sup>  
أَفْدَى الْحَيِّبِ الَّذِي لَوْ كَانَ مُقْتَدِرًا لَكَانَ بِالنَّفْسِ وَالْأَهْلِينَ يَفْدِينِي  
يَا رَبِّ قَرِّبْ - عَلَى خَيْرٍ - تَلَاَفِينَا بِالطَّالِعِ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمَيَّامِينَ .

### في الغزل

أَيُّوحِشُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ أَنْسَى وَيُظْلِمُ لِي النَّهَارُ وَأَنْتَ شَمْسِي  
وَأَغْرِسُ فِي مَحَبَّتِكَ الْأَمَانِي فَأَخْنِي الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِ غَرَمِي<sup>(٢)</sup>  
لَقَدْ جَاوَزْتَ غَدْرًا عَنِّي وَفَأْتِي وَبِعْتَ مَوَدَّتِي ظُلُمًا يَبْخَسُ  
وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ أَطَاعَ حُكْمِي فَدَيْتُكَ - مِنْ مَكَارِهِهِ - بِنَفْسِي<sup>(٣)</sup>

### في بعض مجالس الأُنس

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ بِكُلِّ السَّنَةِ جَلَالُكَ  
انْظُرْ إِلَى مُحْتَلَّنَا<sup>(٤)</sup> قَدْ زَانَ سَاحَتَهُ اخْتِلَالُكَ  
نَهْرُهُ وَرَوْضُهُ نَحْنُ يَتَمَهَّمَا تَفْيِئَتَنَا ظِلَالُكَ<sup>(٥)</sup>  
قَدْ فَاضَ فِي هَذَا نَدَا لَكَ وَنَعَمْتَ هَذَا خِلَالُكَ .

- 
- (١) إن إيماني بجمهم كإيماني بديي سواء وليس في مقدور أحد أن يبدلي بمن أحب إلا إذا استطاع أن يقبلي من ديبى إلى الكفر .  
(٢) يقول : « هل من العدل أن أكثر من الآمال والأمانى فلا أحيى من ذلك كله إلا الاحقاق :  
(٣) ليت الزمان يقتل حكمي ، ادن لهديتك بعمى ، وإن كسب لا تحاربني بجي إلا بالقدرة .  
(٤) المكان الذي حلقا به .  
(٥) وفي الأصل : « تؤلما طلالاك . » والطلال : ما أطلك من سحب ونحوه ، وطلال البحر : أمواجه ،  
والمقصود هنا التيمم والراحة ، ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة وكان الظل عدوهم من أعظم أسباب  
الراحة حملوه كناية عن الراحة .

## شكوى وألم !

« قال في مدح ابن جهور »

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَنْكِى النِّعَامُ عَلَى مِثْلِي      وَيَطْلُبَ ثَأْرِي الْبَرْقُ مُنْصَلِتَ النَّصْلِ<sup>(١)</sup>  
 وَهَلَّا أَقَامَتْ أُجْمُ الْلَيْلِ مَا تَمَّا      لَتَنْدُبَ فِي الْآفَاقِ مَضَاعَ مِنْ تَنْبَلِي<sup>(٢)</sup>  
 وَلَوْ أَنْصَفْتَنِي - وَهِيَ أَشْكَالُ هَمَّتِي -      لَأَلْقَتْ بِأَيْدِي الذَّلَّ لَمَّا رَأَتْ ذُلِّي  
 وَلَأَفْتَرَقَتْ سَبْعُ الثَّرَيَّا وَغَاضَهَا<sup>(٣)</sup>      بِمِطْلَعَهَا مَا فَرَّقَ الدَّهْرُ مِنْ شَمْلِي

\* \* \*

لَعَمْرُ اللَّيَالِي إِنْ يَكُنْ طَالَ تَرْعُهَا      لَقَدْ قَرَّطَسَتْ بِالنَّبْلِ فِي مَوْصِعِ النَّبْلِ<sup>(٤)</sup>  
 تَحَلَّتْ بِأَدَابِي وَإِنَّ مَا رَبِّي      لَسَانِحَةٌ فِي عَرَضِ أُمْنِيَّةٍ عُطِّلِ  
 أُخْصُ لِفَهْمِي بِالْقَلَى وَكَأَنَّمَا      يَبِيتُ لِدَى الْفَهْمِ الزَّمَانُ عَلَى ذَحْلِ<sup>(٥)</sup>  
 وَأُجْنَى عَلَى نَظْمِي لِكُلِّ قِلَادَةٍ      مُفْصَلَةٍ السَّمَطَيْنِ بِالْمَنْطِقِ الْفَصْلِ  
 وَلَوْ أَنَّي أَسْتَطِيعُ كَيْ أَرْضَى الْعِدَا      شَرِيتُ بِبَعْضِ الْحِلْمِ حِطًّا مِنَ الْجَهْلِ<sup>(٦)</sup>

(١) الذى فى الأصل المقول « ألم يأن أن تنكى النعماء على مثلى » والذى أشتبه بها هو ما نقلناه عن الدجيرة لأن سهام وهو أنسب مما ذكر فى الأصل لأنه يريد من الطبيعة أن تنكى لبكائه ، وتتأرمس أعدائه .

(٢) نبلى : أى ما انتقلته واستخرجته فى حياثى من حاه ومصب ومال .

(٣) غاضها : فوضها أى أحماها .

(٤) رعىها : حدها وتر القوس مصوغة بحوى سهام المصائب ، وقرطس : أى أصاب اقترطاس ، وهو فرض من أديم يتخذ للتمثال وتسديد الرماية .

(٥) القلى - بالكسر - البعس ، والذل الثأر ، يريد أن غيره من أهل المهمل نالوا الخطوة والقرى ، وهو لهم . خص بالقلى والبعد وكأنه قد حى على الرمان مات يطالبه بثأره .

(٦) الحلم : العقل ، والحط : النصيب . يقول : لو أستطيع لإرضاء العدا وشفاء ما فى نفوسهم من الحقد لاستندت بشيء يسير من الجهل ، حطاً عظيماً من العقل .

\* \*

أَمَقْتُوَلَةَ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَالْهَامَا  
أَلَمِ تَرِكِ الْأَيَّامِ نَجْمًا هَوَى قَبْلِي <sup>(١)</sup>  
أَقْلَى بُكَاءٍ لَسْتُ أَوَّلَ حُورَةٍ  
طَوْتُ بِالْأَسَى كَشَحًا عَلَى مَضَضِ الشُّكْلِ <sup>(٢)</sup>  
وَفِي « أُمِّ مُوسَى » عِبْرَةٌ أَنْ رَمَتْ بِهِ  
إِلَى الْيَمِّ فِي التَّابُوتِ فَأَعْتَبِرِي وَأَسْلِي <sup>(٣)</sup>  
لَعَلَّ الْمَلِيكَ الْمُجْمِلَ الصَّنْعِ - قَادِرَا  
أَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ سَوْفَ يُجْمِلُ صُنْعًا لِي <sup>(٤)</sup>  
وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا  
بِهِ - عِنْدَ جَوْرِ الدَّهْرِ - مِنْ حَكَمٍ عَدْلٍ <sup>(٥)</sup>

\* \*

هُمَامٌ غَرِيقٌ فِي الْكَرَامِ ، وَقَلَمًا  
تَرَى الْفَرْعَ إِلَّا مُسْتَمَدًّا مِنَ الْأَصْلِ  
نَهْوُضُ بِأَعْبَاءِ الْمُرُوءَةِ وَالْثَقَى  
سَحُوبٌ لِأَذْنَالِ السِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ  
إِذَا أَسْكَلَ الْخَطْبُ الْمِلْمَ فَإِنَّهُ  
وَأَرَاءُهُ كَأَنَّهُ يُوَضِّعُ بِالشُّكْلِ

\* \*

وَذُو تَذَرٍّ لِلْعَزْمِ - نَحْنُ أَنَا بِهِ -  
كُمُونُ الرَّدَى فِي قَتَرَةِ الْأَعْيُنِ النُّجْلِ <sup>(٦)</sup>

(١) أمقوتة الجمال ، المروءة هي للداء أي من أفعاله يتور وتكسر ، ولوله : الشديدة الحزن على ودوله ، ناشئها في شدة حزنها على محبة الهاوي في عيانة السجن للمرأة الثكلى التي لا تفتأ أحفامها العاترة المفرحة عن الكا لفقد الحبيب .

(٢) السكج . الحاصرة ، وطوى كسجه على كذا استمر عليه ، والمصم : ألم المصيبة ، والشكل - نالهم - مدان الولد والحبيب : أي لا تكي استمرار قلب أول حرة لارمها وحج مصيبة الشكل .

(٣) نذير مهدي إلى قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فأفنيه في اليم ولا تخفي ولا تحزني إنا رادوه إليك » أي احسري بهذه القصة واصبري .

(٤) لعل لذلك المعاد صبح الجبل - قادرا لعنمة قدره - سوف يعمل على خلاصي بعد يأس .

(٥) بلى هذا الباب بب ود في الأصل نالصا هكذا :

..... آل جهور لمستحكم الأسباب مستحصد الجبل

(٦) ذو تذر - نالهم - أي - وعدة وقوة على مدافعة أعدائه إذا وجه عزيمته لعل أمركن الردى تح تأييه كونه تح تتور الأعين الجبل أي الواسعة جمع نخلاء ، واستعمل القتره بمعنى انكسار حقون العين وصعدها ايقتد بنها وبين الأناة مساجبة وموافقة .

- يَرِفَ عَلَى - التَّامِيلِ - لَأَلَا بِشِرِّهِ (١)  
 مَحَاسِنُ مَا لِلْحُسْنِ فِي الْبَذْرِ عِلَّةٌ  
 سِوَى أَنَّمَا بَاتَتْ تُعْمَلُ فَيَسْتَمِلِ (٢)  
 ثَمِصُ ثَنَائِي مِثْلًا غَصَّ جَاهِدًا  
 سِوَارُ الْفَتَاةِ الرَّادِ بِالْمَعْصَمِ الْخُذَلِ (٣)  
 وَتَغْنَى عَنِ الْمَدْحِ - اكِتِفَاءً بِمَرْوِهَاتِهِ -  
 غِنَى الْمُقَلَّةِ السَّكَنَاءِ عَنْ زِينَةِ السَّكْنِ

\*\*\*

- «أَبَا الْحَزَمِ» إِنِّي فِي عِتَابِكَ - مَا نِ  
 عَلَى حَانِبٍ - تَأْوِي إِلَيْهِ الْعُلَا - سَهْلٍ  
 سَمَاتُ شَكْوَى صَبَحَتِكَ هَوَادِلًا  
 تُنَادِيكَ مِنْ أَفْئَانِ آذَانِ الْهُذَلِ (٤)  
 جَوَادُ إِذَا أَسْنَنَ الْحَيَادُ إِلَى مَدَى  
 تَمَطَّرَ فَاسْتَوَلَى عَلَى أَمَدِ الْخَصْلِ (٥)  
 ثَوَى صَافِنًا فِي مَرَبَطِ الْهُونِ يَشْتَكِي  
 بِتَضَمُّنِهِ مَا أَلَهُ مِنْ أَذَى الشَّكْلِ (٦)

(١) يرف - بالكسر - يرق ويتلأأ ، أى يلوح لألاء الله مع التأمل كما يبدو ريق السبب ولعمارة حين تصفه وتحلوه .

(٢) تمل مصارع أمل : يقال أملاه المولى وأمله أملاه عليه ليكتبه ، ومنه قوله تعالى : « وقلوا أساطير الأولين اكتبناها فهي تمل عليه » وقوله تعالى : « فليدال ولله بالعدل » واستجابته الكتاب طلب أن عليه عل ، أى هذه محاسن المدوح النبوة بالدر لا عيب فيها - سوى أنها ماتت على الشاعر وهو يكتب ، ويستكنها فتعلمه .

(٣) ثمن ثنائي : أى تحمله بعض كما بعض الشارب بالماء ولا يمكنه أن يستوى هذه المحاسن كلها أو يسيعها ، وكما بعض سوارا لثاة الراد أى التي ترود بيوت حاراتها بالمعصم الخذل - بالدال المهملة - أى المتلى ولا يتحرك (٤) الهوادل : جمع هادلة ، والهديل : صوت الحجام ، والهدل : جمع أهمل ، وهو صفة الأديان ، يقال : تهدل أعصان الشجرة أى تدل - يمل شكوى رفعا إليه بالحمام الهوادل تناديه هديلها من أعلى - شجرة الأدب وتد تدل أمانها ، وتهمدت أغصانها .

(٥) استنت الحياذ : مصب على وجهها في الساق ، والمدى : العاية تمطر : جاء إلى البابة مسرعا ، فاستولى على الحصل : علم على الزمان - يصعب الشاعر نفسه بالسبق على غيره .

(٦) ثوى : أقام ، والصائ : من الحياذ الذى قام على ثلاثة قوائم وقل حار الرائحة ، والشكل - بمنع صكون - شد قوائم الدابة بالشكل - يصف حاله في محبسه وما يشه من الشكوى بحال الحواد القيم على الهون يشكو بتضامنه ، أى شكله ، قال ابن سبأ في الدجيرة : « وقوله ثوى صامدا » كقول المتنبي :

« لو إن تكن محكمات الشكل تسمى طهور جري على فيهن تضاملا »



أَفِي الْعَدْلِ أَنْ وَافْتَنَكَ تَتْرَى رَسَائِلِي      فَلَمْ تَتْرَكْنِ وَضَعًا لَهَا فِي يَدَيَّ عَدْلٍ  
أُعِدُّكَ لِلْجُلَى وَأَمْلُ أَنْ أُرَى      بِنِعْمِكَ مَوْسُومًا وَمَا أَنَا بِالْغُفْلِ  
وَمَا ذَاكَ وَعْدُ النَّفْسِ لِي مِنْكَ بِالْمُنَى      كَأَنِّي بِهِ قَدْ شِئْتُ بَارِقَةَ الْمَحَلِّ (١)



أَنْ زَعَمَ الْوَأَشُونَ مَا لَيْسَ مِنْ عَمَّا      تُعْذِرُ فِي نَصْرِي وَتُعْذِرُ فِي خَذْلِي  
وَأَصْدَى إِلَى إِسْعَاكَ السَّائِفِ الْجَنَى      وَأُضْحِي إِلَى إِنْصَافِكَ السَّابِغِ الظِّلِّ (٢)  
وَلَوْ أَنِّي وَافَعْتُ عَمْدًا خَطِئَةً      لَمَا كَانَ بِدَعَامِنِ سَجَايَاكَ أَنْ تُمْلِي (٣)  
فَلَمْ أَسْتَبِرْ حَرْبَ « الْفِجَارِ » وَلَمْ أُطِيعْ      « مُسَيْلِمَةَ » إِذْ قَالَ: إِنِّي مِنَ الرُّسُلِ (٤)

(١) في معنى هذه الأبيات يقول ابن الرومي معناها :

« إذا أب أَرَمَ الصبيحة مرة فلا تفتقر ماء الصبيحة بالمطل  
ولا تحلط الحصى بسوء فانه يحشما أن خلط الشكر بالعدل  
أترضى بأن تكى سهل وأن ترى وما مطلق الحادث عندك بالسهل  
أنت لعشاق المسكارم أن ترى مواعيدهم مثل الوارق في المحل . »

(٢) أصدى : مصارع صدى - بالكسر - أى أعطش ، وأضحى : صارح كل من ضحا وضحي - بالفتح  
والكسر - أى أفرر للشمس ، ومنه قوله تعالى : « وأنت لا تعلم فيها ولا تحصى » واستعمله هنا  
في البرور إلى إضافه السابغ الظل ، لا في البرور إلى الشمس ، وبعد هذا البيت وحد في الأصل بعض بيت  
على هذه الصورة :

وحاشاك رام العبد إبلاخ سمعه . . . . .

(٣) وافقت دائيت ، وعلى تمهل ولا تتعجل المعوبة ، أى لو أنى دايت معمدا لوموع في الخطئة لم يكن  
من سجاياك غير العفو والامهال .

(٤) يقول : إن هعوتى صبيحة لا يسي أن تحسم إلى حد أن أكون كثير حرب الفجار أو كقطع مسيلة  
في دعواه الرسالة ، والفجار : بالكسر بمعنى المفاجرة كالقتال والقتال ، وسبب حرب الفجار لأن العرب  
جفروا فيها إذا فاتلوا في الأشهر الحرم ، وكاب للعرب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أربع مجازات  
آخرها حرب الفجار التي ذكرت في كتب السير ، وكاب بين قريش ومن معها من كمانية ، وبين قبس عيلان  
وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامها وسدس عشرون سنة ولم يقاتل ولكنة كان يسئل على  
أعماله أى يرد عليهم نيل هدوهم إذا دعوهم ، وأما « مسيلة » فكان من حيرة أن وسد مع قومه

وَمِنْ لِيْ قَدْ تَهْفُو بِهِ نَشْوَةُ الصَّبَا  
وَمِنْ لِيْ لَتَنْتَهَانِيْ نَهَائِيْ عَنِ الْآسِي  
وَمِنْ لَكْ قَدْ يَمْفُو، وَمَا لَكَ مِنْ مِثْلِ  
أَسَادَ بِهَا الْوَانِي وَيَعْقِلُنِي عَقْلِي<sup>(١)</sup>

\* \*

أَأَنْكَتُ فِيكَ الْمَدْحَ - مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ -  
ذَمُّتُ إِذَا عَهْدَ الْحَبَةِ وَلَا يَزَلُ  
وَمَا كُنْتُ بِالْمُهْدَى إِلَى السُّودِّ الْخَلَا  
وَمَا لِي لَا أُنْسِي بِالْآءِ مُنْعَمٍ  
هِيَ الْعُرُ رَأَتْ نِي، فَمَا أَنْتَ مُكْذِبٌ  
وَهَلْ لَكَ فِي أَنْ تَشْفَعَ الطُّوَلُ شَافِعٍ  
وَلَا أَقْتَدِي إِلَّا بِنَاقِضَةِ الْفَزْلِ !<sup>(٢)</sup>  
مُجْرًا عَلَى الْأَنَامِ طَمَعُهُمَا أَلْمَحَلِي<sup>(٣)</sup>  
وَلَا بِالْمُسِيءِ الْقَوْلُ فِي الْحَسَنِ الْفِعْلُ  
إِذَا الرُّوضُ أَنْبَى بِالْمُسِيمِ عَلَى الطَّلِّ  
لِقِيلِ الْأَعَادِي إِنَّهَا زَلَّةٌ أُنْخَسِلُ<sup>(٤)</sup>  
فَمُنْجِحَ • مُؤُونِ التَّقْيِيهِ أَرَى تَنْتَلِي<sup>(٥)</sup>

« بى حبيب » - من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما رجع من معه من يومه إلى « المدينة » ادعى الله ، وأنه أشرك مع محمد بالأسر ، واحتج به : « مؤجبه » وكانوا أرمين ألف بيت ، وفي عهد الخليفة « أن بكر » رضى الله عنه أرسل إلى أبيه « حاد » من لوليد ، على رأس شش ، ومرت حرب بين الفريقين اسم - قال « - ليلة » وتمرر أصحابه

(١) هاهنا أى عتني واسمعه له د ، فاد في النساء . « والذهب العمل بكر - واحدا وحما ، وفي التحمل العسر » - إن في ذلك لآيات لأول عهى « اء » ودن عليه - بيت اعتبره عدا وأناه إلى الله أن يخرجه العمل من علامة الذب لا أن يكون قد أذجع بهيه ، وأن عقله لم يوه ثانه بهيه - مددة ، عن القى : أى تهمه لى ، أشاد بها أأنا وبدد بها . وعمل محدى ويمعى .

(٢) ناقضة العمل ، من الكشف بعد قوله تعالى . « ولا تكونوا كالى مصب عر لها من بعد قوة أنكنا » قبل هي ، ربطه ذات سعد من تيم - وت حرقا - اتحدت معرلا مدر دراع . وصارة مثل أسع ، وط كة عجيبة على قدرها ، فكانت تعمل هي وحدها من الداء إلى الطهر ، ثم تارهن فيفقد ما عزل .

(٣) مجرا من أسم الطغام صيره مرا ، والمجلى اسم . معول من حلت العاش أحلاه أى استحلته .

(٤) الخسة والماءة ، والحبل - اسكر - ولد السب ، ويكى السب : « أما الحسل » .

(٥) تنفع : من قولهم شفع الوتر من العدد شعفا صيره روحا ، والطول : القدرة بالعسل ، وتلى : تنفع مصارع أنليه إياه أنسه ، والهى هل لك أن تضم إلى طولك وإحسانك شامعا منك يشفع لى في الخلاص من السجن فتسمى مادراك حاقق في حال كورك ميمون القية أو تتلى أى تنفع الاحسان والشعاعة بأمتالها : هذا مبلغ ما بهم من البيت ، ويد وحد في الأصل « تلى » بالاء الموحدة ، وقد فهمنا من السياق أنها تتلى لاني لباس قوله « تنفع » أى تضم .

أَجْرُ أَغْدٍ أَمِنْ أَحْسَنِ أَبْدَأُ عِدَا كَفِ حُطِّ تَحَفَّ أَبْسُطِ اسْتَأْلِفْ صُنْ أَحِبِّ اسْتَطِيعْ أَعْلِ<sup>(١)</sup>  
مُتَّى - لَوْ تَسَتَّى عَقْدُهَا يَبْدُ الرِّضَا - تَبَسَّرَ مِنْهَا كُلُّ مُسْتَضْعَبِ الْحَلِّ<sup>(٢)</sup>

أَلَا إِنْ ظَنَى - بَيْنَ فِعْلَيْكَ - وَافِقُ<sup>١١٤</sup> وَقُوفِ الْهُوَى بَيْنَ الْقَطِيعَةِ وَالْوَصْلِ  
فَإِنْ تُنَمِّنْ لِي مِنْكَ الْأَمَانِي فَشِيمَةُ<sup>(٣)</sup> لِدَاكِ الْفَعَالِ الْفَضْدِ وَالْخُلُقِ الرَّسْلِ  
وَالْأَجْنَيْتُ الْآنَسُ مِنْ وَحْشَةِ النَّوَى وَهَوْلِ الشَّرَى بَيْنَ الْمُطِيعَةِ وَالرَّحْلِ<sup>(٤)</sup>

سَيَعْنَى عَمَّا ضِمَعَتْ مِنِّي حَافِظُ<sup>(٥)</sup> وَيُثْلِقِي لِمَا أُرْخَصْتَ مِنْ خَطَرِي مُغْلِي  
وَأَيْنَ جَرَابُ عَنَّاكَ تَرْضَى بِهِ الْعُلَا إِذَا سَلَتْنِي بَعْدُ أَلْسِنَةُ الْحَمَلِ<sup>(٥)</sup>

(١) في هذا البيت كما يرى الدارمي في نسخة قول المتنبي ، وقد سئل : بدأ يتصنصن أكثر ما يتكلم ، من الحروف ، فقال :

« عش ، اتى ، امر ، سعد ، جد ، قد ، صر ، انه ، أسر ، وه ، تد ، ل  
عط ، ارم ، حب ، احم ، أسر ، اسب ، ريع ، دل ، اتى ، بل  
وهـــــــــــــــــا دعاء لى ســـــــــــــــــكـــــــــــــــــر كده لانى سأل انى وـــــــــــــــــك ، وقد سئل . »  
وحجرت من هذه العادة مؤلف ابن الرومي .

« أبلى ، وره ، وأحل ، مؤتى ، وأمر على إردار يرى وواط  
لشئى حسدوك - ومي سايمة - من الدم - ما فيها اعتلال لعائب . »  
(٢) لو تسى : أى تدل وتراحمك ، أى تلك المنة المدح لسهل منه ما استعصم به  
(٣) تنى : تعب من ماله الله يتيه به . ومنه قول الشاعر :

« لا بأس الدهر في حل - في حرم - من الماء توافى كل إساف  
واسلاك طريفك فما - غير محتمل - حتى تلاقى ما مئى لك الماني ١٠ »

أى يقدر لك العادر ، والعمال - ما مع اسم جامع لكل عمل حسن ، والفسد الأوسط بين طرق الامرات  
والتعطيل ، والرسل - ما كسر - الرقى والؤدة يقال افعل كذا على رسلك أى على هيئتك وليس مراد  
هنا بل المراد الرسل - بالفتح - أى الدليل على سبيل رسل أى سهل .

(٤) وإلم يهدر الله حصول تلك الأمان على يدك ولم تحر على عاتقك وحاملك في إمدادى بمحاجتى فأخلق  
سراخى لأضرب في القيان وأحى من وحشة الروى وهول الشرى أسا .

(٥) وأن - حوابك أى بماذا يكون حوائى عليك إذا سئلت عما أسديت من معروف ، وقد قدمت من  
معونة . قال ابن بسام في باب الوارده والقد : « وأن حوابك ترضى به العلاء » مأخوذ من  
قول الآخر :

« فاختر لنفسك ما أقول ما يلى لابد أجبرهم وإن لم أسألهم »

## جواب

« كتب اليه الورع الكاتب أنوكر من القصيرة  
في يوم أحديه دواء .

مولاي عسى إلى مطالعة الـ

حسنى تعقلى الدواء مطالعه

دكف داك الحس الدكى وقد

ماشر تلك المداقة الشعه

وددب لو أنى حصصت عما اسـ

تدشعت مه وحرب مستعه

أعتك اذ من فطاعته

أسوع صمغ فى مثله صمعه

مسحة تصحب الزمان وتـ

له وصى حديدة نصعه

غاب روح الغلاء اسأه الـ

له وسمل الوفاء لا صاعه

ما به اس ويدور ،

قَدْ أَحْسَنَ أَنْتَ فِي الذِّى صَنَعَهُ عَارِضَ كَرْبٍ بِلُطْفِهِ رَفَعَهُ

تَبَارَكَ اللَّهُ إِنَّ عَادَةَ حُسْنِهِ - مَعَ الشُّكْرِ - غَيْرُهُ يَنْزَعُهُ

بِاسْبَدَى الْمُسْتَجِدُّ<sup>(١)</sup> مِنْ مِغْنَى<sup>(٢)</sup> بِخُطَّةٍ قَاتِمِ الْحِسَابِ سَعَةً

وَأَقَانِي الْعِزْدَ - زَيْنَ نَاطِمَةٍ - وَالْوَشْيُ لَأَرَاعَ حَادِثُ صَنَعَةٍ<sup>(٣)</sup>

بَثَّتَ فِيهِ الْبَدِيعُ مُنْتَقِيًا كَلَرَّ وَضِإِذْ بَثَّ فِي الرُّبَا - تَطْلَعَةٍ



أَزَاحَ كَرْبَ الدَّوَاءِ مَطْلَعُهُ      لَمَّا بَدَا طَالِعُ السُّرُورِ مَعَهُ <sup>(١)</sup>  
 كَمْ دَعْوَةٍ - قَدْ حَوَاهُ - صَالِحَةٍ ،      مِنْ أَمَلِي أَنْ تَكُونَ مُسْتَمَعَةً <sup>(٢)</sup>  
 مُجَلَّةٌ مَا نَفْسُكَ السَّرِيَّةُ مِنْ حَا      لِي إِلَى عِلْمٍ كُنْهٍ طُلَعَهُ  
 أَنْ الدَّوَاءَ التَّدَّتْ عَوَاقِبُهُ      مِنِّي نَفْسٌ تَبَشَّعَتْ جُرْعَةً <sup>(٣)</sup>  
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ - لَا شَرِيكَ لَهُ -      إِنْ بَدَأَ الطَّوْلُ مِنْعِمًا شَفَعَهُ

### حبيب

وَرَامِشَةٍ <sup>(٤)</sup> يَشْفِي الْعَلِيلَ نَسِيمَهَا      مُضْمَخَةٌ <sup>(٥)</sup> الْأَنْفَاسِ طَيِّبَةُ النَّشْرِ <sup>(٦)</sup>  
 أَشَارَ بِهَا نَحْوِي بَنَانٌ مُنْعَمٌ      لِأَعْيَدَ مَكْحُولِ الْمَذَامِعِ بِالسَّحْرِ <sup>(٧)</sup>  
 سَرَتْ نَضْرَةً مِنْ عَهْدِهَا - فِي غُصُونِهَا      وَعُلَّتْ عِمْسُكَ مِنْ شَمَائِلِهِ الزُّهْرِ  
 إِذَا هُوَ أَهْدَى الْيَاسْمِينَ بِكَمِّهِ      أَخَذَتْ النُّجُومُ الزُّهْرَ مِنْ رَاحَةِ الْبَذْرِ  
 لَهُ خُلُقٌ عَذْبٌ وَخُلُقٌ مُحَسَّنٌ <sup>(٨)</sup>      وَظَرَفٌ كَعَرَفِ الطَّيِّبِ أَوْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ <sup>(٩)</sup>  
 يُعَلِّلُ نَفْسِي مِنْ حَدِيثٍ تَلَدُهُ      كَثُلَ الْمُنَى وَالْوَصْلِ فِي عَقْبِ الْهَجْرِ <sup>(١٠)</sup>

- (١) لما بدا شرك الجبل ومعه طالع السرور أسانى حرارة الدواء .  
 (٢) كم دعوة حواها سحرك ادعوا الله أن تكون مستجابة .  
 (٣) كانت طاقة الدواء حميدة وإن حزعت نفسى من شربه .  
 (٤) فى الباموس الرمش : الطاعة من الرياح وبخوه . وفى شماء الليل ، رامشه : قال الصولى فى ورقة آس لها رأسان . قال أبو نواس :

« لها روامش ينتحب لها      تطل آذاها مطاياها . »

- (٥) معطرة . (٦) طيبة : الرائحة .  
 (٧) رب طاقة من الزهر معطرة الشدى طيبة الأنفاس قدما إلى من أهواه .  
 (٨) حافظة حسنة . (٩) يعنى أن سحر عيبيه يفعل فى النفس ما يفعله الطيب أو الحجر .  
 (١٠) العقب : ضمنين ، والعقب بهم يسكون العاقبة مثل عسر وعسر . قال تعالى : « هو خير ثوابا وحير عفا . »

## في مدح ابن جهور

« قال يمدح ابن جهور ويدكر حوارا لم يره ، وأملا  
ضيقه ، وتتمى إخماحه في طلبه ، وإسماعوه بأهله ».

« جَنَاحِي » فِي جَوَارِكُمُ أَذْيَالُ      وَحَذَى فِي رَأْيِكُمُ الْكَلِيلُ <sup>(١)</sup>  
نَصِيبُ مَنْ وَلَا يَتِيَكُمُ كَثِيرُ      وَحَظٌّ مِنْ عَنَائِنِكُمْ قَلِيلُ  
لِمُخْتَلِفَاتٍ مِنْ حَالٍ مَهْمَا      أَجَانُ الْفِكْرِ بَيْنَهُمَا مُجِبِلُ <sup>(٢)</sup>  
أَتَحْيَا أَنْفُسُ الْأَمَالِ فِيكُمْ      وَيُؤْنَسُ هَاهُنَا أَمَلٌ فَنِيلُ <sup>(٣)</sup>  
وَأَعْجَبُ حَادِثٍ تَطَارَى لَدَيْكُمْ      إِلَى غَدَلِ النِّجَاحِ وَبَيْنَ غَلَمِلُ <sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ حَيَّ فِي وَدَادِكُمْ مَعْتَلِي      وَتَوَاعَى فِي أَعْيَادِكُمْ طَوِيلُ <sup>(٥)</sup>  
وَكَاثُنٌ لِي نَسَاءُ رَاحَ يَدِي      إِلَيْهِ الدُّلْفُ بِذِكْرِكُمُ الْأَيْلُ <sup>(٦)</sup>

(١) وحده هذا الد في سحقي لدو على هذه الصيغة

..... في حوارك الدليل وحذى في رأيكم الكليل

والنكمة من عمدنا كما مطبها السباق .

(٢) قول من حال لمختلف عدوامة لبر ، مسي من ولائكم وصرتك وحس لكم كثير ، وحظي  
من عانتكم وتفتدك دليل .

(٣) ينكر عليهم أن تكون آمال الاس حية لديهم وأنه بينها كافييل بين الأحياء .

(٤) الدليل الصعيب الذي يجري في أصول الشجر يبروها قيل أن تصعب ، والدليل : العطش  
أي وأعجب ما حدث لي أن أنزل إلى ميل ما من ناحيتكم به شاي وتناش أمالي ، وفي طأ شديد ويحال  
يبني ويب ما يرد على وشي علي .

(٥) المعنى من قداح المبرر العشرة ، والقدح : بالسكر اسم للهم ، وكان قداح المبرر عدده معروفة  
بعلامات حاشه ، يصورها في خريطة على يدي عدل يحولها ويخرج باسم كل واحد من أيامه بدحا ، فان  
كان غولا أي لا يصيب له عزم صاحبه ، وإن كان من دوات الاصبا ، أحد يصيبه محسه ، والذي يجرح له  
المدح المعنى يمدأ أكبر فائر بأوفر يصيب لأن له سبعة أصباء ، وثابوا يتناشرون على حزور يفتسمونها  
والذي يخرج لهم من الاصباء ، يوزعوه على الفقراء .

(٦) وكمن نساء وودح راح يدي إليه مجدكم المتأصل عطمه .

تُثَافِسُهُ الرِّيَاضُ مُنَوَّرَاتٍ تَنْفَسُ عَنْ نَوَافِحِهَا الْأَصِيلُ <sup>(١)</sup>

« أَبَا الْحَزَمِ » الزَّمَانُ - بِأَنْ تُتَدَّى <sup>\*\*\*</sup> إِذَا عُدَّتْ فَوَاضِلُكُمْ - بِجَحِيلٍ <sup>(٢)</sup>

عَلَوْتَ النَّجْمَ إِذْ مَلَّ الْمَسَاحِي وَحُزْتُ الْخَصْلَ إِذْ كَلَّ الرَّسِيلُ <sup>(٣)</sup>

رَأَيْتُ النَّاسَ - مَا أَصْبَحْتَ فِيهِمْ - بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ جَمِيلُ

وَمَاءُ الْعَيْشِ يَنْهَمُ فَضِيضٌ وَظِلُّ الْأَمْنِ فَوْقَهُمْ ظَمِيلُ <sup>(٤)</sup>

وَلَوْ فَتَدَوَكَ - لَا فَتَدَوَا - حَوَاهُمْ مَرَادٌ مِنْ زَمَانِهِمْ وَبِيلُ <sup>(٥)</sup>

وَشَاقُ نُفُوسِهِمْ رَسْمٌ مُحِيلُ - مِنْ الدُّنْيَا - وَعَهْدٌ مُسْتَحِيلُ <sup>(٦)</sup>

فَخَاصِرُ دَوْلَةٍ تَفْنَى لِلَّيَالَى وَلَمْ يُيَمِّمْ بِسَاحَتِهَا مُدِيلُ <sup>(٧)</sup>

وَلَا زَالَتْ نِبَالُ الدَّهْرِ تُصْمِي عُدَاتَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّبِيلُ

أَأَيْتُسُ مِنْ مُسَاعَفَةِ اللَّيَالَى وَأَنْتَ - إِلَى نِهَايَتِهَا - سَبِيلُ؟

(١) الواج . جمع بلغة . وأرادها أنفاس الرياض التي خملها دهب الأصيل فدورح منها نفعات طيبة ، يقول إن ذلك الثناء الطب تماضيه الرأس وهي مودرات قد تنفس الأصيل عن بواقي أي مأهوج من طيب روائحها ، ويحور أن يكون عن بواقيها جمع بلغة الملك . (٢) ثناء يثنيه حمل له ثانيا ، أي

يا أبا الحرم الزمان بجحيل بأ ، بعد لك ثانيا في الفصل إذا عدت فواصلكم .

(٣) حرت الخصل : أي أحررت الملة في الرهان أو أدرك العاهة في السقي ، والرسييل المواصل ، أو المساق ، وقد جاء في الأصل « المساعي » فـ « ما في مكها » « الماي » كما يرشد إليه المعنى .

(٤) الفيس : الماء العذب الكثير المتدفق ، أو ماء السحاب العرر المفرق ، وطل طليل : أي دائم

لا ينسجه السج . (٥) مراد - ما نتج - اسم مكان من رادت الأبل تروء ، أي احتلب دهائها

ومجبتها في المربي ، والوصل الوحيم الذي لا يبرأ ، والمعنى : لو قد دوك - لا فسر الله - ولم يستظلوا بظل

دولتك لادواهم من رماهم ، مربي وبيل فلم يهنا لهم عيش ولم يبع لهم مال .

(٦) الرسم ما بقي من آثار الدار بعد ارتحال ساكنها ، والمحيل : المقادم العهد الذي مرت عليه أحوال ،

والمستحيل : المتغير ، أي لو قد دوك لاس - وحووا العاقبة ، ولدارعهم نفوسهم - إذا اس - تروءوا فقدك ولم

يقوموا بهزتك - إلى دياتحتوات - دمتها إلى بلى ، وستسبها إلى هرم ، وتبر عهدها من سعادة وهناء

إلى محنة وشقاء . (٧) المحاصره أحد الرجل بيد صاحبه إذا ماشاه ، ومنه قوله :

ثم حاصرتها إلى القفة الخضر راء تمشى في مرمر مسون

معناه ماشيتها إلى القفة المحصرة ، تمشى على مرمر مسلس ، والمديل الثغاب الذي تنتقل إليه الدولة ، يدعو

للدورح ببقاء الدولة له من غير تحول ولا انتقال

## إلى المظفر

« كتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر محمد بن

عبد الله بن محمد بن مسلم صاحب طليوس . »

لَبِيضِ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّمَمِ      بِعَفْلَى - مُذْنٍ عَنَى - لَمَمٌ <sup>(١)</sup>  
فَنِي نَاطِرِي - عَن رَشَادٍ - عَمَى      وَفِي أَذُنِي - عَن مَلَامٍ - صَمَمٌ <sup>(٢)</sup>  
فَضَّتْ بِشِمَاسِي عَلَى الْعَادِلِينَ      شُمُوسٌ مُكَلَّمَةٌ بِالظَّلَمِ <sup>(٣)</sup>  
فَاسْقَمَتْ لَحَظَاتُ الْعَيُوثِ      نِ إِلَّا لِتَغْرِيَنِي بِالسَّقَمِ  
يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أَجَنَّ      وَقَدَمَزَجَ الشَّوْقُ دَمْعِي بِدَمٍ <sup>(٤)</sup>  
وَمَا ذُو التَّذَكُّرِ يَمْنُ يَلَامُ      وَلَا كَرُمُ الْعَهْدِ مِمَّا يُذَمُّ <sup>(٥)</sup>  
وَإِنِّي أَرَاكَ إِذَا مَا الْجَنُودُ <sup>١٢٢</sup>      بَرَّاحَتٍ بَرَّاحًا جَنُوبِ الْعَلَمِ <sup>(٦)</sup>

(١) العلة . هم الفاء في حق والمفعول على مثل عماء وتقي ، واللمم : كسر اللام جمع له - الشعر المجاور شعمة الأذن - له معج اللام - الحون .

(٢) في هذا البيت والذي تليه يقول الشاعر أنه عَمِيَ عن الرشاد وصحبه اللام وصار في حل - وول مد نالا وبعدة الحسان بين الأعناق سود اللمم .

(٣) سمس اللبس شمساً وشماساً مع طهره - العرب - تقول روية مكلمة ، يعنى مغموفة - اور ، فقول الشاعر : شمس مكلمة - أى محلة نال الشعر الأسود - وهذا البيت نشأه التكلمة لوصف حالته في اليميم الساقين مكلمة يقول وكما عمت عن الرشاد وصنعت عن الملاحة كذلك فقد عمت على هذا الجمال أن أشعر على العادلين . (٤) الخلي : كعمى الفارع ، وفي المثل العربي القديم « ول لا شحى من الخلي » .

(٥) اشغل الشاعر أمير بحونه في عرمة وفي دموعه التي مزلت بالدم فأزمر لولته بالحلة وقذف في وحوهم بالرهان الذي ليس وراءه رهان ، فقال : إن يكأني وحبوتي ولو حتى كل أوئك لالوم فيب ولأناس منه في سبيل الذكرى والحل ط المهد فليس كرم المهد مما يدم ، وفي القرآن الكريم : « وأولو المهد إن المهد كان مستولاً »

(٦) أراح - استريح - ربح الحوب في المقابلة لربح الفصال - « راح » - من الزواج ، وهو ضد الفدوى يقول : إنني لكثرة تذكري الأحبة ولكثرة حماطى بهودهم أستريح إذا ربح الحوب طادت إلى برائحة أمكنهم المذهب المحبوه .

وَأَصْبُو لِعِرْفَانٍ عَرَفَ الصَّبَا      وَاهْدَى السَّلَامَ إِلَى «ذِي سَلَمٍ»<sup>(١)</sup>  
 وَمِنْ طَرَبٍ عَادَ نَحْوُ «الْبُرُو»      قِ «أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ أَبْتَسَمَ»<sup>(٢)</sup>  
 أَمَّا وَزَمَانٍ - مَضَى عَهْدُهُ      حَمِيداً - لَقَدْ جَارَ لَمَّا حَكَمَ  
 قَضَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ انْقَضَى      وَمَا اتَّصَلَ الْأَنْسُ حَتَّى أَنْصَرَمَ<sup>(٣)</sup>  
 لِيَالِي نَامَتِ عَيُونُ الْوُشَا      عِنَّا، وَعَيْنُ الرِّضَى لَمْ تَنَمْ<sup>(٤)</sup>  
 وَمَالَتْ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهُوَى      فَأَجْنَتْ ثَمَارَ الْمُنَى مِنْ أُمِّ<sup>(٥)</sup>  
 وَأَبَاؤُنَا مُذْهَبَاتُ الْبُرُودِ      رِقَاقُ الْخَوَاشِي صَوَافِي الْأَدَمِ<sup>(٦)</sup>

(١) أصبو - أميل - وعرفان - معرفة ، والعرف هو الشدى . يقول : أنى أيضا أبيل صوة وحيا إذا هت الصبا - ربح الشحال - لأنها ممطرة شدى من يحهم ويهوهم فيهدى السلام إلى ذى سلم الموضع الذى حلت منه الصبا لك الهمدى المحبوب .

(٢) أجھشت : ارتفع صوتى ناكيا ، يقول : كما أنى أستريح للحبوب إذا عادت رياريا ربح العلم وأصبو إلى شدى الصبا كذلك أكنى من طرب يعاودنى إذا ابتسم البرق ولمع ، والمعنى فى هذه الأبيات أنه يستريح لكل فادم من جهات تحته لأن فى ذلك نوما من الذكرى . ولا تظن شاعرا لم ذلك لانتسام العروق ولم ينتش من رياريا الصبا والحبوب .

(٣) انصرم : هو انقطع ، والمعنى أن الرمان الذى معنى حميدا حاد عن العدل حين حكم وهل أقل من وسم هذا الرمن ، امة العدل ، وهو الذى ما كاد يقضى لنا بالصيانة والاستمتاع حتى اضى وسيكا ، وما كادت تنصل أوفات الأس حق صرمة عما وحال بسا وبسه .

(٤) الوشاة . فى الأصل هم الذين يشون بالشر والسعاية فيدبون الأسرار ، والارادهم هنا المحبوم على الاطلاق والمراد بعيون الرضى حالة السعادة التى يعم بها المحبوب فى ساعات الوصال ، وكأنك بالشاعر فى هذا الباب شرع يفصل الصباة التى امتعت والانس الذى انصرم ، فقال : ليالى نامت عيون الوشاة إلى آخر هذا الوصف الذى يتحاشى به إلى المديح فى أنى بكر .

(٥) أحنث ثمار للمنى . أى أعطت ، والأمم هو القرب ، تقول : رأيت من أمم ، أى من قرب ، يقول أيضا فى تفصيل الأس الذى انصرم : ومالت علينا غصون الهوى أى وليالى طلائنا هذه البصود - فخبيا منها ما ذلت -

(٦) مذهبات البرود : أى موهة البرود - جمع برد - بالذهب ، وقوله « رفاق الخواشى » كناية عن رقة وحضرة العيش فى تلك الأيام ورغده ، وكذلك قوله صوايفي الأدم ، والأدم هو الحلد . قال المتننى :  
 « فدأبما قدم سُمِعت إلى . الملا أدم الهلال لأحصىك حذاء . »

كَأَنَّ «أَبَا بَكْرٍ» الْأَسْلَمِيَّ أَجْرَى عَلَيْنَا فِرْنْدَ الْكَرَمِ (١)  
 وَوَشَّحَ زَهْرَةً ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَا حَازَ مِنْ زُهْرٍ تِلْكَ الشَّيْءِ (٢)  
 هُوَ الْحَاجِبُ الْمُغْتَنِي لِلْعَمَلِ شَمَائِلَ كَرٍّ مِنْ بَيْتٍ أَشْمِ (٣)  
 مَلِكُ إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ حَوَى الْخِصْلَ أَوْ سَاهَمَتْهُمْ (٤)  
 فَأَطَوْهُمْ - بِالْأَنَادِي - يَدَا ، وَأَبْدَهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمَ (٥)  
 وَأَرْوَعَ لَا مَعْنَى رِفْدِهِ يَنْجِبُ وَلَا جَارُهُ يَهْتَضِمُ (٦)

(١) كأن أبا بكر الأسلمي أجرى محاسن حوده ودباحة كرمه على تلك الليل والأدم التي قامت عنها هيون الوساة وظلله عصبون اعوى فيها ، وهذا مما يدل على كثرة الثراء كذا في النسخة من البيت والى المدح وهو ما يسميه علماء الحديث . حسن الجمل .

(٢) وكان أبا بكر مما أحرر من شمائل بين كرها زهر الزهر - روح - ثم ثلث ثم تشبهها من ضرة وحسن .

(٣) شمالي : جمع شرح أو مروح - أعالي الحان - كل بيت أشم : أي كل على مرتفع . هو ، فإن أبا بكر هذا لا يثبت في الملاحة حديث فهو في سادتها قد تفسد ذراكن ميب ، وعلا فوق كل طاء .

(٤) حوى الخصل : أحرر الكلى المعلوم الذي تراهوا عليه في البيت - أي ، يعني أحرر قصه ، الحق ، وسأهمه : أي قارعه الملوك وبأله منهم أي عليهم ، والمعنى أن هذا الملك ساهمه الملوك في المحر فأحرر دونه من بيت البيت ، وزعمه في مصباح النصارى فزعهم وعظمهم .

(٥) بالأيدي : معهم ، وبدا . يريد عا ، وهذا البيت توصف أو تأكيد له أو نحو بيان العزات التي بها يمل هذا الملك أقدار الملوك من مثله وسقيم .

(٦) الأروع : من يمدح نفسه وجهاره منزه أو شانه بالرفع ، ولوان الأروع : لانه الرجل الكريم الخي الأس الدكي الخليل لدى بروك حسنه ، ومدح إذا رأته ، والمعنى كما في كل من جاء يطلب رعداً وعطاء ومصلاً ، فالأعشى .

« تطوف السماء بأبوابه طواف النصارى ببيت لوث . »

وقال مسلم بن الوليد .

« ترى السماء عكوماً حول حجره يرحون أروع رحب الملك ساما . »

وقال أبو تمام :

« كم أسط راحته من نش سلامة المعتيين في عطيه . »

والرعد : العطاء - وقوله لا معنى - في الماموس اعتمد الادل الياس واستمع أحدثه بلساما فوق التراب مستصينة له ، والرعد هو العطاء ولا حاره يهضم همهم الحار وتصبه معنى طله ويقول إن هذا الملك اجتمع له حسن الخلق هو يحب الناطر إليه بحسه وجمال هيد . كما اجتمع له حسن الخلق ، لأنه لا يحجب طالع رعد ولا يظلم جاره .

ذَلُولُ الدَّمَانَةِ صَعْبُ الْإِبَاءِ      ثَقِيفُ الْعَزِيمِ إِذَا مَا اعْتَزَمَ<sup>(١)</sup>  
 سَمَا الْمَجَرَّةَ فِي أَفْقِهَا      فَجَرَّ عَلَيْهَا ذُيُولَ الْهِمَمِ<sup>(٢)</sup>  
 وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ النُّجُومِ      وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدِّيمِ<sup>(٣)</sup>  
 نَهَيْكَ إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَجَاجِ      سَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَذْرَتِمِ<sup>(٤)</sup>

(١) الدمانه سهولة الخلق - وقوله ثقيف العزيم - ثقب إذا صار حاداً حصيفاً طمأ، وثقيف إذا عظمت فيه هذه الصفات ، والعزيم والعزيمة والعزم واحد ، يعنى أن المدحوخ مع ما تقدم من صفات رحوله وسمو درسته وطوله . ليس تمكبر ولا متعجرف ، وإنما هو سهل الخلق دمث الطبع . ولكن في إباء ، كما أنه كثير الحدق والعليلة متثقف العزيم إذا ما اعتمر الأمور أو طلب الفدائس والرعاب .

(٢) المحرة : إحدى كواكب السماء فهذا المدحوخ قد سما للمجرة أى علا إليها وراد عليها نالوا الهمم التي فصلها وقوله في الأبيات السابقة لامي في ردهه يحجب ولا حاره يهتضم وأنه إذا سبق الملوك عنهم ، وأنه أطولهم يدا ، وأثنتهم دما ، وليس المحرة من الماشترى في الناس ما يعادل ما أثرهم هذا المدحوخ .

(٣) ناصب مساعي - زهر النجوم : أى أن مساعيه ارتفعت حتى ساوت النجوم الزاهرة كالمحرة والنثرة والأكليل ، وقوله وطف الديم ، وطف : جمع وطأه ، وحى السحابة المستترجة من المطر ، والديم : جمع ديم ، وحى مطر يدوم في سكون بلا رعد ، يتول : إن عطاياه تبارى السحب المطررة الدائمة بلا حلبة ولا صوصا . فكان هذا الب مرهان لسابقه ، وكأنه يقول : لم لاتفصل على المحرة من هذه صفات مساعيه وسحب مراته وعطاياه .

(٤) الهيك : الشجلى القوى المانع في الشجاعة لأنه ينهك عدوه فيبلغ منه ما يريد ، من ليل العجاج : كل ما ستر عك بعد من عك ، والعجاج : العار المثار واحده عجاجه ، وحج الليل - بكسر الحيم وبضم - الطائفة من الليل ، وبدرتم : هو القمر إذا أبدى في ليلة تمامه أربع عشرة ، يقول : حسبك من هذا المدحوخ أنه إذا من ليل الحرب سرى منه وحه مشرق أو سيف لامع يشه البدر في ليلة التمام يكشف ظلام هذا العجاج ، وبين عن حمة النصر والفور ، فهو بعد أن فرغ من إثبات كرم ممدوحه ، وحسن حلفه بما يملو به على مكانة النجوم وزهو بقدرة فوق هام الكواكب شرع يثبت له أنه فارس خيل ، وكاشف دنا ، أنه لا يسقط بدركها ثارت عجاذه لطعاه ، واهلقت الحرب اله حاه .

فَشَامَ السُّيُوفَ بِهَامِ الْكُفَاةِ وَرَوَّى الْقَنَا فِي نُحُورِ الْبُهَمِ<sup>(١)</sup>  
 جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافُ الْعُقَاةِ وَبُعْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ<sup>(٢)</sup>  
 يَهِيْجُ النَّزَالُ بِهِ وَالسُّوَا لِيَشَاهُ صُورًا وَبَحْرًا خَضَمَ<sup>(٣)</sup>  
 شَهْدَنَا، لِأَوْتِي فَصَلَ الْخُطَابِ وَخُصَّ بِفَضْلِ الْهُنَى وَالْحِكَمِ<sup>(٤)</sup>  
 وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ مِنْ الْمَكْرُمَاتِ جَرَى السَّيْفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمُ<sup>(٥)</sup>

(١) شام السيف : معناه أحمدها أو سلها فهو من الاحداد ، ولكن تعين هنا أن يكون معناه أحمدها في هام الكفاة ، يقال شام الشيء في الشيء : أدخله فيه أي حمل من رؤوس الكفاة أعمادا للسيف — هام : جمع هامة ، وهي الرأس ، والكفاة : جمع كفى ، وهو الفارس المدحج في السلاح والقنا : جمع قناه ، وهي الرمح ، والهيم : جمع همة هم الباء وسكون الهاء الشجاع الذي لا يهتدى من أين يؤتى — أو هو الحيش ، فهو يقول : لإدخال ليل المعاج وسرى من ذلك المدحج في تلك الفاحية — مدرتم — هالك رأيت كيف «مد السيف في رؤوس العرسان المدحجين في السلاح ، ورأيت كيف تنقى الرماح من دم محور الشجعان الذين لا تعرف ما تتيهم في الحروب .

(٢) يقول : ان ممدوحه حواد وإن في داره مطافا ومثابه لعمامة من صلاب الردف والمطاء وإن يده اليمنى كأنها لكثرة ما تقتل من شهابه المرفودين أصبحت كالبحر الأسود المستلم الذي يقلبه حجاج بيت الله الحرام .

(٣) الحصم : السيد المحول المعطاء قال في القاموس : هو حاص بالرحل ومن دعا به البحر أيضا — النزال : بالسكر أن يهرل الفريقان المحاربان عن إلهلها إلى حيلهما فيسارنوا ، ويقال : رال : كقطام ، أي ارل — لاواحد والجمع والمؤنث ، والليت من أسماء الأسد ، والمصور — كلمهصار — والمهصير — أمما للأسد أيضا ، وقوله « ومحرأ حصم » ، وكذلك قوله في ياف سقى في هدة التقصيدة نفسها : « مأطولهم بالأيدى يدا وأنتمهم في المعال قدم »

أجرى فيه المنصوب المود في الوقف مجرى المروع والمجروح ، وقب عليه بالسكون ولم يمت عليه بالألف . وذكر الصحاح أن الامة الفاشية من لسان العرب قلب التوين ألما في المنصوب المود عند الوقف نحو رأي زيدا ، ومحرأ حصما ، وريمة يجيزون لإحراءه في لوقف مجرى المروع والمجروح ، قال الشاعر :

« ألا حسدا عم وحسن حديثها بعد ترك المي بها هانما دم . »

« وابن ريدون » على فحوائضه ما كان يسمى له أن يضطر إلى استعمال هذه الامة القليلة في شعره . ومعنى البيت أن دعوة الحرب تهيج من هذا المدحج لثا حضورا كما أن سؤل ريمده وعطانه يهيج مه سيدا حولها لما يكلف معطاء لما يسأل كالبحر .

(٤) في هذا البيت الحاس بين فصل الخطاب وفصل الهوى ، ومعنى البيت أن المدحج حكيم لا في غبا وبكم ودرب اللسان والمنطق ولكن لا في طيش وحمية ، وهذا فلما يتاح إلالم إلى هيامهم الله لصره الحق والدفاع من حوزة الدين ، وحدير بمن يؤتى فصل الخطاب وفصل الهوى أن يشهد له ريمه ويعترف له بالزامة . والرياسة والفعل . (٥) تؤكد ما قاله في البيت السابق ، فيقول : هل ترك المدحج أو فات شيئا من المكرمات يمكن السيف والفلم لإسرازه من غير أن يحجزه ؟



\* \*

وَمُسْتَعْمَدٍ بِكَرِيمِ الْفَعَا      لِـ عَفْوًا إِذَا مَا اللَّيْمُ أُسْتَدَمَ<sup>(١)</sup>  
شَمَائِلُ تُهَجَّرُ عَنْهَا الشَّمُولُ      وَتُحْفَى لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ<sup>(٢)</sup>  
عَلَى الرَّوْضِ مِنْهَا رُؤَا يُرْوَقُ      وَفِي الْمِسْكِ طِيبٌ أَرِيحُ يُشَمُّ<sup>(٣)</sup>

\* \*

أَبُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ      وَلَا يَمَّ شَعْبَ الْهُدَى فَالْتَأَمَ<sup>(٤)</sup>  
وَلَاذَ بِهِ الدِّينُ مُسْتَعَصِمًا      بِذِمَّةِ أَبْلَجٍ وَافِي الدِّمَمِ<sup>(٥)</sup>  
وَجَاهَدَ - فِي اللَّهِ - حَقَّ الْجِهَامِ      دِمْنَانٍ - مِنْ دُونِهِ - بِالصَّمِّ<sup>(٦)</sup>

(١) مستعمد : أى ميسوب إلى الحمد ، ويقال فعل الشيء . عموأ أى من غير تعمل ولا طلب ، واستندم : فعل ما يدم عليه ، والمعنى فى هذا البيت أنه من طبيعته الاستعداد — عفوأ — لأنه كريم الفعال الذى من شأنها أن تعود على صاحبها بالحمد ، وذلك فى الوقت الذى يصدر فيه أوم الأؤماء عموأ أيضاً . يقول إن ممدوحه فى الوقت الذى يدو فيه أوم الأؤماء رغم أؤهم وريائهم يظفر كرمه القطرى وميوله الحفية التى ترغمه أيسا على إحرار المحامد .

(٢) الشمول : من أسماء الحر — نحى : تهرج ، والمعنى أن شمائل ممدوحه تمى عن الحر والعاء الشحى لأنها يدهى بها فتطرب ويحدث عنها فتسكر .

(٣) الرواء الحسن — الأريج : الرائحة الطيبة ، يقول : إن هذه الشمائل تلى فى رواء الحسن الذى يروق الطائر فى الروص ، وكذلك تلى فيما يلذ العاطس فى الأريج الطيب المشوم من المسك .

(٤) فلَّ عرب الضلال : أى تلم حده الذى يشبه حدَّ السيف فى المصاء ، وقوله — ولام شعب الهدى فالْتَأَمَ معناه أصلح شعب الهدى فاصلح ، والمعنى أن أناه رأب صدع الهدى ووبرق حزب الضلال وحصد شوكرته .

(٥) الأبلج : هو كل واسع ، ويقال : أبلغ الصبح وصح يقول بانى الممدوح احتضى الدين منه واعتصم بواصح المسكنه وإى الذمم .

(٦) يقول : وإن أباهذا الممدوح أبلى البلاء الحسن فى الجهاد لله وفى الجهادة من دان من دون الله بالصم ، يعنى أنه عاش لله ولياً لأوليائه عدوً لدوداً لأعدائه

فَلَا سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّ      وَلَا شَامِخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ<sup>(١)</sup>  
تَقِيلَ فِي الْعِزِّ - مِنْ حَمِيرٍ -      مَقَاوِلَ عَزُّوا جَمِيعَ الْأَمَمِ<sup>(٢)</sup>  
هُمْ نَعَشُوا الْمَلِكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ      وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ  
نُجُومُ هُدًى - وَالْمَعَالِي بُرُوجٌ -      وَأَسْدُ وَعَنَى وَالْعَوَالِي أَجَمٌ<sup>(٣)</sup>

\* \*

« أَنَا بَكْرٍ » أَسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ      وَلَا زِلْتُ مِنْ رَبِّهَا فِي حَرَمٍ<sup>(٤)</sup>  
أَنَادِيكَ - عَنْ مِقَّةٍ - عَهْدُهَا      كَمَا وَشَتِ الرُّوضُ أَيْدِي الرَّهْمِ<sup>(٥)</sup>  
وَإِنْ يَعْدُنِي عَنْكَ شَحَطُ النَّوَى      فَذُنِّي أَخْسَ وَنَفْسِي ظَلَمٌ<sup>(٦)</sup>

(١) رعم : زعم يول . منه لم يترك من أعدائه ، سامي الطرف لا أدله ، ولا أشم الأنف إلا أرغمه ، ويقال رعم أنه يعي أدله عن كرهه عنى أرغمه .

(٢) تقيل أنه أشبهه - مَقَاوِلَ ومَقَاوِلَةٌ وأَقْوَالٌ جمع مقول كمر أو جمع تيل - المالك من ملوك حمير - وأهو مادون الملك الأعلى ، - حتى - يلا لأنه يقول ماشاء فيبعد ، وحيد فيسمى الذات أنه في عزه ومجده ومناخته أشبهه أعداءه وأحاده من ملوك وأقبال حمير الذين سادوا وعلوا جميع الأمم .

(٣) بروح السماء معروفة - النوى : عار الحرب أو الحرب - العوالى صدور الرياح - والأحمر : صومعيتين والتحرير جمع أحمر - محرر - الشجر الكثير اللتب ، والمعنى أن المقابلة لا قبل آاء هذا المدح كانوا في المعالي يشبهون الجحوم في روحها في السماء كما كانوا في الحروب يشبهون الأسود تغلظهم رماح كأنها أحم الأسد .

(٤) مدعوه له أن يدل في مأمن من أحداث الدهر وخصائمه ، وأن يطل في موضع لا تهكك الحادثات ولا تصل إليه ربهها .

(٥) المقة : الحقة ، والرهْم : كعب جمع رهمه تكسر الراء وسكون الهاء وهي المطر الصيب الدائم ويقال روضة مرهومة ، يقول الشاعر : أناديك نداء صادراً عن مقة ومحنة عهدها في الحدة والشباب كما نقشت أيدي السحاب المطر ، أديم الروض الباضر ، بألوان الربيع الزهر .

(٦) عداه عن الأمر صرفه وشله ، ويعدن عنك : يصرمي ويشلمى عنك ، والشحط : البعد ، والنوى : الاغتراب . يقول : إذا كان الاغتراب يشعل ويصرمى عنك فانه لم يرحم إلا حظي ولم يظلم إلا نفسي ضرر هذا البعد واقع في وعدى وليس يقع منه شيء عليك

- وَإِنِّي لِأَصْفِيكَ مَخْضَ الْهُوَى      وَأَخْفِي لِبُعْدِكَ بَرْحَ الْأَلَمِ <sup>(١)</sup>  
وَعَزِيمَتِكَ أَخْفَرَ عَهْدَ الذَّمَامِ      إِذَا حُسْنُ ظَنِّي عَلَيْهِ أَذَمَ <sup>(٢)</sup>
- \*\*\*
- وَمُسْتَشْفِعِ بِي بَشَرَتَهُ      - عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْآتَمِ <sup>(٣)</sup>  
وَقَدَمًا أَقْلَتَ الْمُسَىءَ الْمِثَارَ      وَأَحْسَنْتَ بِالصَّفْحِ عَمَّا اجْتَرَمَ <sup>(٤)</sup>  
وَعِنْدِي - لِشُكْرِكَ - نَظْمُ الْعُقُودِ      تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي التَّوَمُ <sup>(٥)</sup>  
تُجِدُّ لِفَحْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ      إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ <sup>(٦)</sup>  
فَعِشْ مَعْصَمًا بِيَقَاعِ السُّعُودِ      وَدُمُ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ <sup>(٧)</sup>  
وَلَا يَزَلِ الدَّهْرُ أَيَّامَهُ      لَكُمْ حَشَمٌ وَالْيَالِي خَدَمَ <sup>(٨)</sup>

(١) محض الهوى : حاله - والبرح : الشدة يدغم بهذا الـت معى سابقه فنقول لى لأصفيك وأمحضك الهوى حالصا لاسانة فيه وإنى فى سمدك لأسمر فى نفسى بالألم المبرح والالوعة المرة ولكى أحق ذلك فى حايا الصلوع وفى موح الأسرار من العلوب .

(٢) أحر به : نقص عهده وعدوه - الدمام : الحرمة ويجمع على أدمة ويقال - أذم له عليه أى أخذ له دمة أى حرمة أو احارة . يقول : إن عيرك بأنا نكر هو الذى يحمر عهد الدمام وبصيعه ويمدر به إذا حصل حسن طلى وطيب قلبى له حرمة عدى أو أدما لى عليه ذمة .

(٣) يقول : ما نسرت المستشع فى لىديك بالمحاح إلا تم له مطلله وقيل له ثق بحاحك فقد تشفعت بالذى لا ترد شفاعة عند أنى نكر ولا يحجب له رجاء لده .

(٤) قدما أى ديميا وأقلت وألانا من كدا يعى أعينته منه واحترم أى أتى الذنب أو الحرمة والصفتح هو المعو يقول واسا بعرك تقيل العائر من عثرته وتعو عن الداعى فى حريمته .

(٥) التناسق هو الشام حات العقود ولآئها واللاى التوم أى اللتشاكة وتسمى الاوؤة التوامية وتوأم الدحوم والؤلؤ ما تشاك منها يعمد الشاعر فى تشويق الممدوح لافتناء مداغمه وشعره الذى يشبه العقود المنظومة المتناسقة سوام اللآئى .

(٦) أحد الثوب صيره جديدا يعى أن نظم هذه العقود المتسقة يحد ويعيد اراد الشباب من المعربها جديدة فى الوقت الذى يلبس فيه الرمن ثوب الهرم ، أو أن ثمر الممدوح نفسه هو الذى يظل بلك المدايح جديدا .

(٧) يعاق : كسحاب التل والمقصود به هما المرتفع يدعو للمدح أن يعيش معتمعا بمرتفعات السمود وان يدوم مظللا بالعم الطليلة لوارفة .

(٨) حشم الرجل وحشمته الذين يعصبون له من أهله وعبيده وجيرانه ، والحشم للواحد والجمع والخدم جمع خادم . يقول : لارال الدهر خادما لك

## في نكبة بنى ذكوان

«قال عبد نكبة بنى ذكوان وابن حذام  
في سنة ٤٤٠ هـ أر بعين وأر بعمانية.»

- هَلِ الدَّاءُ - الَّذِي أَعْلَنْتُ - مُسْتَمِعٌ      أَمْ فِي الْمِثَاتِ الَّتِي قَدَّمْتُ مُنْتَفِعٌ<sup>(١)</sup>  
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حَظِّ يُسُوفُ بِي      كَأَلْيَاسٍ مِنْ نَيْلِهِ أَنْ يَجْذِبَ الطَّمْعُ<sup>(٢)</sup>  
تَأْتِي الشُّكُونُ إِلَى تَعْلِيلِ دَهْرِي لِي      نَفْسٌ - إِذَا خُودِعَتْ - لَمْ تُرْضِهَا الْخُدْعُ<sup>(٣)</sup>  
لَيْسَ الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا دَلِيلَ حَجًّا      فَإِنَّهَا ذُولُ أَيَّامِهَا مُتَعٌ<sup>(٤)</sup>  
تَأْتِي الرِّزَايَا نِظَامًا مِنْ حَوَادِثِهَا      إِذِ الْفَوَائِدُ فِي أَثْنَانِهَا لُمَعٌ<sup>(٥)</sup>  
أَهْلُ النِّبَاةِ أُمْنَالِي لِدهْرِهِمْ      يَقْضِرُهُمْ دُونَ غَابَاتِ الْمُنَى وَلَعٌ<sup>(٦)</sup>

(١) يقول : هل وصل إلى سمعكم ذلك الداء الذي أعْلَنْتُ فيه شكواي ، أم هل لما قدمته من مِثَاتِ الفصائد والرسائل غناء وسع ، وهو بهذا الاستعهام يكرر أن تكون شكواه قد سمعت ، وأن تكون قصائده قد سمعت .

(٢) الطمع : ضدُّ اليأس ، واللمى : إلى لأعجب من حظ امتدَّ في في مله تسوِيب المدح ومطله ، حتى لقد أصبح شديداً باليأس منه طمع يحدُّني إليه يريد أن الطمع فيه أخو اليأس منه .

(٣) يقول : إن دهرى يطلى نبيل تلك الأمانى العبيدة ، ولكن ، بسى لا تسكن إلى هذا التعليل لأنها لا تنخدع إذا حودعت .

(٤) المحبا : العقل والعطية ، معناه أن الركون إلى الدنيا ليس فيه دليل على ذكاء وفطنة من يركن إليها لأنها رائلة متحولة ، والمتمتع بها مرور معتون .

(٥) يقول : إن الرزايَا في هذه الدنيا تأتي على سق متتابع من الحوادث التي يحال سوادها «صيص» من لمع الفوائد .

(٦) القصر : الحبس والمبع ، والواع : مصدر ولع فلان بكذا إذا لَجَّ فيه وحرص عليه ، بمعنى أن الدهر مولع بالخيولة بين ألتابه الشريف وبين بلوع أمانيه .

- لَوْلَا بَنُو «جَهْوَرٍ» مَا أَشْرَقَتْ هِمَمِي      كَمِثْلِ بَيْضِ اللَّيَالِي دُونَهَا الدَّرْعُ<sup>(١)</sup>  
 هُمْ الْمُلُوكُ مُلُوكُ الْأَرْضِ دُونَهُمْ      غَيْدُ السَّوَالِفِ فِي أَجْيَادِهَا تَلَعُ<sup>(٢)</sup>  
 مِنْ الْوَرَى إِنْ يَفُوقُوهُمْ فَلَا عَجَبُ      لِنِذَلِكَ الشَّهْرُ مِنْ أَيَّامِهِ الْجُمُعُ<sup>(٣)</sup>  
 قَوْمٌ مَتَى تَحْتَفِلُ فِي وَصْفِ سَوْدَدِهِمْ      لَا يَأْخُذُ الْوَصْفُ بِالْبَعْضِ مَا يَدْعُ<sup>(٤)</sup>  
 تَجْهَمُ الدَّهْرُ فَأَنْصَاتِ لَهُمْ غُرُرُ      مَاءِ الطَّلَاقَةِ فِي أَسْرَارِهَا دُفْعُ<sup>(٥)</sup>  
 بَاهَتْ وَجُوهُهُمُ الْأَعْرَاضَ مِنْ كَرَمٍ      فَكُلَّمَا رَاقَ مَرَأَى طَابَ مُسْتَمِعُ  
 سَرَوْ تَرَاخُمُ فِي وَصْفِ الْمَدِيحِ لَهُ      مُحَاسِنُ الشَّعْرِ حَتَّى يَنْهَافُرْعُ<sup>(٦)</sup>

(١) الدرع : الليالي التي اسودت أوائلها وایمن سائرها ، والليالي البيض هي التي يطلع فيها القمر من أولها إلى آخرها ، أي لولا الجواهر ما أشرقت همي لإشراق كاشراق الليالي البيض دونها في اليأس الدرع أي الليالي التي أظلمت أوائلها .

(٢) عيد جمع أعيد : أي مائل ، والسوالف : جمع سالفة ، وهي صفة العنق مما يلي الأذن ، والتلع : طول العنق وامتداده ، يقول : ذو جهور هم ملوك الأرض لا يدايهم في المنزلة أولئك الملوك الذي أملوا سؤلهم ، وهدوا أصابعهم حيلاء وكبرا .

(٣) أي هم من الوری وليس عجبا أن يفوقهم ، كما أن الجمع من أيام الشهر ولكنها تفوق سائر .  
 (٤) تحتفل : تنال يريد أنك مهما نال في وصف سوددهم ولا يمكنك أن تثبت من صفاتهم في السيادة والمجد إلا جزءا صغيرا مما تدعه لكثرة ، وعرك عن الاحاطة به .

(٥) تجهم : عس وتكرت أيامه ، وانصات : اشتهرت ، والأسرار : جمع سر ، ويجمع أيضا على أسرار ، وهي خطوط في العرة والجبن ، والدفع : جمع دفعة ، وهي الدفقة من المطر ونحوه ، والمعنى حبس وجه الزمان واسودت جوانب العيش فاشتهرت لهم في أثناء تجهمه غرر بيس يحرق في قصونها ماء الطلاقة والبشر متقرقا متسلسلا .

(٦) جمع قرمه ، وهي السمرة ، أي حتى يساهم ويقرع بين جيد الأشعار أيها أدق وأحسن وأجدر بى الجواهر



« أَبُو الْوَلِيدِ » قَدْ أَسْتَوَى مَنَاقِبَهُمْ فَلِلْمَقَارِقِ مِنْهَا فِيهِ مُجْتَمِعٌ <sup>(١)</sup>  
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي سَنَّ الْكَرَامَ لَهُ زُهْرَ الْمَسَاعِي فَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعُ  
مِنْ عَتَرَةٍ أَوْ هَمَّتْهُ فِي تَعَاقِبِهَا أَنَّ الْمَكَارِمَ إِيصَاءٌ بِهَا شَرَعُ <sup>(٢)</sup>  
مُهَذَّبٌ أَخْلَصَ لِيَهْ أَوْلِيَّتُهُ كَالسَّيْفِ بَالِغٌ فِي إِخْلَاصِهِ الصَّنْعُ <sup>(٣)</sup>

(١) بمعنى أن (أبا الوليد) استوفى مناقب الملوك حتى احتتم فيه ما نعتوا في غيره منها وعمر بالتفريق للإشارة إلى قولهم في المثل السائر « هو خير من تماريق العصا » ، يريد أن مناقبه كالعصا حمت كثيرا من المانع ، وأن مناقب غيره من الملوك كتماريق العصا احتصت كل واحدة منها سائدة وممعة ، وجاء في كتاب العصا من البيان والتبيين للحافظ ماسحته : « ومن حل القول في العصا » وما يجوز فيها من المانع والمرائق ، تفسير شعر « عية » الأعرابية في شأن أنها ، وذلك أنها كان لها أس شديد العرامة كثير التلف إلى اللباس مع صعب أمر ، ودقة عظم ، فوائ مرة وحتى من الأعراب ، فقطع القى أمه وأحدث « عية » دية أمه ، فحمت حلتها بمدق ، ثم واث آخر فقطع شفته ، فلما رأت ما قد صار عندها من الابل والمم والمنازع والكسب شوارح اسها ، حس رأياها فيه فذكرته في أرجورة لها تقول فيها :

« أحلف بالمرورة يوما والعصا إنك خير من تماريق العصا . »

فمثل ابن الاعرابي ، ما تماريق العصا ؟ قال : العصا تقطع ساحورا وتقطع عصا الساحور فتصير أوتادا ، ويهرق الوتد فتصير كل قطعة شطاطا ، فان كان رأس الشطاط كالفلسكة صار للحق مهارة ، وهو العود الذي يدخل في أمم الحق ، وإذا فرق المهار جاءت منه النوادي ، والسواخير تكون للكلاب والأسراء من اللاس . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، « يؤتى ناس من هاهنا يقادون إلى حظوظهم بالسواخير » . وإذا كانت قياة فكل شقة منها قوس بندق ، فال فان فرق الشقة صارت سهاما ، فان فرق السهام صارت حطاء ، وهي سهام صغار ، والواحدة حطوة وسروه ، فان فرق الحطاء صارت معازل ، فان فرق المعزل شبع به الشعاب أفداحه المصدوعة المشقوقة على أنه لا يحد لها أصلح منها . وقال الشاعر :

« نواد أطراف الفنا قد شككته كشكك بالشعب الاماء المنلا . »

فاذا كانت العصا صحيحة سالمة ففيها من المانع السكار ، والمرائق الأوساط والعصار ، مالا يحصيه أحد ، فاذا فرقت فيها مثل الذي ذكرنا وأكثر إلى آخر ما أوردته الحافظ في هذا الباب .

(٢) جمع شرعة بكسر أوله أي شرائع ونهاج يجرى فيها على سنة الملوك من آثانه . يريد أن آثانه من الملوك لتعاقبهم على سن المكارم فينبئ يخلعهم من أبنائهم أو هموه لكثرة ما أوصوا بها أنها شرائع منزلة .

(٣) الحاذق في صنعه .

إِنَّ السُّيُوفَ إِذَا مَا طَابَ جَوْهَرُهَا      فِي أَوَّلِ الطَّبَعِ لَمْ يَمْلَقْ بِهَا طَبَعُ<sup>(١)</sup>  
 جَذْلَانُ يَسْتَضْحِكُ الْأَيَّامَ عَنْ شِيمٍ      كَالرَّوْضِ تَضْحَكُ مِنْهُ فِي الرُّبَا قِطْعُ  
 كَالْبَارِدِ الْمَذْبِ لَدَّتْ مِنْ مَوَارِدِهِ      - لِشَارِبِ غَيْبٍ تَزِيحِ الصَّدَى - جُرْعُ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِي تَأْمِيْلُهُ وَزَرِي      إِنَّ ضَاقَ مُضْطَرَبٍ أَوْ هَالٍ مُطْلَعُ<sup>(٣)</sup>  
 أَصِيخٌ لِهَمْسٍ عَتَابٍ تَحْتَهُ مَقَّةُ      وَكَلَّفِ النَّفْسَ مِنْهَا فَوْقَ مَا تَسْعُ<sup>(٤)</sup>  
 مَا لِلْعَتَابِ - الَّذِي أَحْصَفَتْ عَقْدَتُهُ -      قَدْ خَامَرَ الْقُلُوبَ مِنْ تَضْيِيعِهِ جَزْعُ<sup>(٥)</sup>  
 لِي فِي الْمَوَالَاةِ أَتْبَاعٌ يَسْرُهُمْ      أَنَّى لَهُمْ فِي الَّذِي يُجْزَى بِهِ تَبِعُ<sup>(٦)</sup>  
 أَلَسْتُ أَهْلَ اخْتِصَاصٍ مِنْكَ يُلْمِسُنِي      جَمَالَ سَيِّمَاهُ ؟ أَمْ مَا فِي مُقْطَعٍ ؟<sup>(٧)</sup>

(١) الطبع : الصدأ ، يقول : إن السيوف في مدأ طبعها إذا طاب جوهرها لم يعلق بها شئ الصدأ ، يعني أن المدحوح طالت أوليته فخلص جوهره ولم يشه عيب .

(٢) فيه تشبيه المدحوح بورد الماء البارد العذب لد لشاره منه جرْع أظلمات علة صدره بعد طمأ مرج شديد .

(٣) وررى : ملحنى ومعتصمى ، ويضطرب اسم مكان من الصرب وهو الدير في الأرض ، ويطلع : مكان الاطلاع من مشرف حال ، أو مكان الصمود من أسئل إلى أعلى ، وفي حديث عمر رضى الله عنه أنه قال عند موته ، « لو أن لي ما في الأرض جميعا لافتديت به من هول المظلم » وهو بالشديد مكان الاطلاع أراد به ما مشرف عليه من أمر الآخرة ويطلع عليه عيب الموت .

(٤) أقل رفيق عتاب كالحمس في الأدن ، يطوى على مقَّة ومحبة وكلم بكسك من تحقيق أميني فوق طاقتها .

(٥) أحصيت : أحكمت ، والمقدمة : المراد بها الرأي والتقدير ، والمعنى : قد كان من العقل وحصانة الرأي أن أأدر إلى التوبة وهأذا تائب مما نسب إلى ، فما لتوبتي مد صعب ولم تقبل مما حمل قلبي بإخطائه المذنب وعدم الصبر ، ويمارجه اليأس والحزن .

(٦) يقول : أنا أول الناس في الولاء لكم وغيري تبع ، وأنعمي في الموالاة يبرهم أن أكون في الخواء نعا وتاليا لهم ، بهم دائما يسعون لاستنطاق منزلي وإحاطة مساعي .

(٧) يقول : أنتكر اختصاصي منك بما يحلني متعليا بحمال هذا الاختصاص ، فلا يتقدم على من هم تبع لي في الولاء والاخلاص ؟ أم هل تكره أني قل غيري أهل لرب الصنعة وإسداء الخجل ؟

لَمْ أَوْتِ فِي الْحَالِ مِنْ سَمِي لَدَيْكَ وَتَى  
لَا نَسْتَجِزْ وَضَعْ قَدْرِي بَعْدَ رَفْعِكَ  
تَقَدَّمْتُ لَكَ نَعْمَى رَادَهَا أَمَلِي  
مَا زَالَ يُونِقُ شُكْرِي فِي مَوَاقِعَهَا  
شُكْرُ يَرُوقُ وَيَرْضَى طِيبُ طُعْمَتِهِ  
طَنَّ الْعِدَا - إِذْ أَعْبَتْ - أَنَّهَا انْقَطَعَتْ،  
لَا بَأْسَ بِالْأَمْرِ - إِنْ سَاءَتْ مَبَادِئُهُ  
بَلْ بِالْجُدُودِ تَطِيرُ الْحَالُ أَوْ تَقَعُ<sup>(١)</sup>  
فَاللَّهُ لَا يَرْفَعُ الْقَدَرَ الَّذِي تَضَعُ  
فِي جَانِبٍ هُوَ لِلْإِنْسَانِ مُتَجَبُّ<sup>(٢)</sup>  
كَالْمُزْنِ تُونِقُ فِي آثَارِهِ التَّرْعُ<sup>(٣)</sup>  
فِي طِيَّهِ نَفَحَاتٌ يَبْنِيهَا خِلْعٌ<sup>(٤)</sup>  
هَيْهَاتَ لَيْسَ لِمَدِّ الْبَحْرِ مُنْقَطِعُ<sup>(٥)</sup>  
نَفْسَ الشَّقِيقِ - إِذَا مَا سَرَّتِ الرَّجْعُ

\* \* \*

إِنَّ الْأَلَى كُنْتُ مِنْ قَبْلِ اقْتِصَاحِهِمْ -  
مِثْلَ الشَّجِي فِي لَهَا هُمْ لَيْسَ يُنْتَرَعُ<sup>(٦)</sup>

(١) ونى : أى فترة وتوان فى السعى ، والجدود : جمع حد بالفتح وهو الخط والحث والمعنى : لم أوت ولم يذهب سعيك عمدا فتور ولا تقصير فى المطالبة والسعى ، ولكن الذى بعد نى عن درك أميى عندك لما هو حطى الذى به يملو الحال ويرتفع ، كما يطير الطائر أو يقع .

(٢) رادها : أى تقدهى أهل أرسله فى طلب النعمة ، وارتداد النعمة ، فصادف حابيا مرعا ، ومراداً لعمالك ومتجعما .

(٣) الترغ : جمع ترعة ، وهى الروصة على المكان المرتفع من الأرض ، يقول : ما زال روس شكرى موقفا معهما عن سماء نعماك ، كالمرن أى السحاب يمحك على أثر نزول المطر منه اليراس والرى قد أترعت بألوان الزهر ، وأيسمت بأنواع الثمر .

(٤) طيب طعمته : أى مكسه الطيب الخلال ، والخلع : جمع حلقة بالسكسر ، وهى ما تحملها من الثياب وتطرده على آخر ، أى شكر يروق السامع حسه . ويرضى الشاكر ما يشره من طيبات المكاسب ، فى طيه مثل نفحات الروس يبدوا فى أنماها تخلع عليها حلج ثمينة ، وحلل فاحرة .

(٥) طن العدا أن هذه الهطايا والعماس مد أعنت وتأخرت أياما أنها انقطعت عني ، هيهات أن ينقطع عطاء يشبه البحر الذى ليس لمده انقطاع .

(٦) يقول فى هذا البيت والذى بعده : -

أَنْ الدِّينَ كُنْتُ - مِنْ قُلِّ اقْتِصَاحِ أَنْرِهِمْ وَطُهْورِ صَرِيحِ الْمَدَاوَةِ مِنْهُمْ كَالشَّجَا مَمْتَرِصَا فِي حُلُوقِهِمْ لَا يَمَكُنُ انْتِزَاعَهُ ، لَمْ أَحْطِ مِنْهُمْ وَهُمْ أَغْدَاءُ مَا فُوقَ ، إِلَّا بِمَا كُنْتُ أَحْطَى بِهِ مِنْهُمْ وَهُمْ شَيْعَةُ مَسَالُونٍ ، يَرِيدُ أَنْ يَصِيبَهُ مِنْهُمْ فِي الْحَالِ لَمْ يَكُنْ سِوَى الْعَرِّ وَالْأَدَى وَالْوَقِيعَةِ .



لَمْ أَخْظَ - إِذْ هُمْ عَدَا بَادٍ نِفَاقُهُمْ -  
مَا غَظَّاهُمْ غَيْرُ مَا سَيَّرْتُ مِنْ مِدَحٍ  
كَمْ غُرَّةٌ لِي تَلَقَّتْهَا قُلُوبُهُمْ  
إِذَا تَأَمَّلْتَ حُسْبِي غِيبَ غَشَّهِمْ  
تِلْكَ الْعَرَائِينُ لَمْ يَصْلُحْ لَهَا شَمُّهُ  
أَوْدَعْتَ نَعْمَاكَ مِنْهُمْ شَرَّ مُعْتَرِسٍ  
لَقَدْ جَزَّيْتَهُمْ جَوَازِي الدَّهْرِ عَنْ مَنِيٍّ  
لَا زَالَ جَدُّكَ بِالْأَعْدَاءِ يَصْرَعُهُمْ  
إِلَّا كَمَا كُنْتُ أَحْظَى إِذْ هُمْ شَيْعُ  
فِي صَانِكَ الْمِسْكِ مِنْ أَنْفَاسِهَا فَتَعُ<sup>(١)</sup>  
كَمَا تَلَقَّى شِهَابَ الْمُوقِدِ الشَّمْعُ<sup>(٢)</sup>  
لَمْ يَخْفَ مِنْ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ مُنْصَدِعُ<sup>(٣)</sup>  
فَكَانَ أَهْوَنَ مَا نِيلَتْ بِهِ الْجَدْعُ<sup>(٤)</sup>  
لَنْ يَكْرُمَ الْغَرْسُ حَتَّى تَكْرُمَ الْبُقْعُ<sup>(٥)</sup>  
عَفَتْ فَلَمْ يَنْفِهِمْ عَنْ تَمْطِطِهَا وَرَعُ<sup>(٦)</sup>  
إِنْ كَانَ بَيْنَ جُدُودِ النَّاسِ مُصْطَرَعُ

(١) صائك : اسم فاعل من صاك به المسك يصيك أى لصق به ، قال الأئضى :

« ومثلك ممحبة بالشسا ب صاك العير بأعلادها . »  
وسيانى لصاحب الديوان قوله فى « ص ١٣٩ » :

« ثناء عتمل كأن ثناءه مسك بأردان المحافل صاكا . »

والصع : معة المسك ، ومسك دوسع ذكى الرائحة طيب الأعاس . قال الشاعر :

ودروع ساع أطراها علقها ربح مسك ذى فنع

وحاء بالأصل « صايك » بالياء ، و « كع » بالكاف ولا معنى لها .

(٢) كم غرّة لى واضحة ميرة تطلع عليهم وتنقاه قلوبهم وفى متأجبة مستعرة ، كما يناقى الشمع عند  
الانارة حر الشهاب من موقعه ومثله .

(٣) يقول حبي واضح كغاق الصبح ، وحهم مفضوش كاذب .

(٤) العرايين : جمع عربى ، وهو أعلى الألف عند ملقى الحاحين ، أو هو ما صلب من عظم الأنف ،  
قال ذو الرمة :

« نقى النقا على عربى أرسه ثناء مارنها بالمسك مرثوم . »

والشم : ارتفاع قصبه الألف وحسنها مع استواء أعلاها وإشراف الأربسة ، وإذا وصف الرجل بالشم  
فانما يعنون أنه سيد شريف النفس ذو أمة وشذوح وحيه ، ويقال هم شم العرايين كناية عن ذلك ، قال  
كعب بن زهير :

« شم العرايين أطلال لبوسهم سن سح داودى الهيجا سرايل . »

والجدع : القطع البائى فى الألف والأذن ونحوهما وهو مصدر جدد كمرح فهو أجدع .

(٥) يقول : لقد استنبت سمائك بقعة خيثة من نفوس عرفت بسمط العمة وكبران الجميل .

(٦) يقول : لأن الدهر جازاهم عن من أسديتوها إليهم ، منوا على آثارها ولم يتورعوا فى غمطها  
والامتناع عن شكرها .

## تهنئة بقران

« وقال يمدح المعتصم بالله المصور بفضل الله  
أما عمرو عبد الله ويهيه بالساء على السيدة  
بت الموفق مجاهد رجهما الله . »

أَخْطَبَ فَلْنُكَّ يَفْقِدُ الْإِمْلَاكَ      وَأَطْلَبَ فَسَعْدُكَ يَضْمَنُ الْإِذْرَاكَ<sup>(١)</sup>  
وَصِلَ النُّجُومَ بِحِطٍّ مَنْ لَوْ رَامَهَا      هَجَرَتْ إِلَيْهِ زُهْرُهَا الْأَفْلَاكَ<sup>(٢)</sup>  
وَأَسْتَهْدَ مِنْ أُنْحَى مَرَاتِعِهَا الْمَهَا      فَالْصَّعْبُ يَسْمَحُ فِي عِنَانِ هَوَاكَ<sup>(٣)</sup>  
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي تَذْبِيرُهُ      أَضْحَى لِمَمْلَكَةِ الزَّمَانِ مِلَاكَ<sup>(٤)</sup>  
هَذِي اللَّيَالِي بِالْأَمَانِي سَمَحَةً      فَتَى تَقُلْ: «هَاتِي» تَقُلْ لَكَ: «هَاكَ»  
فَاعْقِلْ شَوَارِدَهَا إِزَاءَ عَقِيلَةٍ      وَافَتْ مُبَشَّرَةً بِنَيْلِ مُنَاكَ  
أَهْدَى الزَّمَانُ إِلَيْكَ مِنْهَا ثُخْفَةً      لَمْ تَعُدْ أَنْ قَرَّتْ بِهَا عَيْنَاكَ  
شَمْسٌ تَوَارَتْ - فِي ظَلَامٍ مَضِيعَةٍ -      ثُمَّ اسْتَطَارَ لَهَا السَّنَا بِسَنَاكَ<sup>(٥)</sup>

(١) الاملاك : فقد الروح ، يقول : احط فملكك يومورها الصهر والد ، واطل وسعدك  
يصمن لإدراك ما تطلب .

(٢) وصل النجوم بحط ملك لو رام زهر النجوم هجرت إليه أفلاكها ، يريد أنه لو رام مصاهرة من ارتفع  
نسبهم من الملوك إلى مستوى زهر الكواكب في أفلاكها ، لسانوا إليه . من زهر عرائسها ما يرومه ،  
وتسمو إليه همه ، ويختاره سنا وصهرا .

(٣) استهد : أطل الهداء من هدى المروس يهديها إليه هداء رها إليه ، وفي الأصل ( استهو ) وهو  
من استهواء الشياطين ، ولا معنى له ها ، أي اطل من أمتع أعياء العرب وأشدها حماية وحفيظة أن  
يهدوا إليك من بناتهم الشبهات بالها أي بقر الوحش في البياض وسواد العيون من تريد وتهوى فان الصعب  
يسلس ويقاد في صانه مرادك وهو الك .

(٤) أي أضحي تديره قوام المملكة وطامها الذي يعتمد عليه في أمورها .

(٥) مضيع : يقال هو بدار مضيعه كمشقة أي بدار ترك واطراح وإصاعة ، واستطار : انتشر ،  
والسنا : بالنصر السباء ، أي كانت قبل هذا الاملاك شمسا محتجة وراء حجب الالهال والترك ، فاستطار  
إليها شعاع من سنا وجهك ، فأعرت وأنارت .

قُرِنتَ بِبَذْرِ السِّمِّ كَافِلَةً لَهُ أَنْ سَوْفَ تَتَّبِعُ فَرَقْدَيْنِ سِمَاكَ (١)  
هِيَ وَالْفَقِيدَةُ كَالْأَدِيمِ اخْتَرَتْهُ فَقَدَدْتَ إِذْ خَلَقَ الشِّرَاكَ شِرَاكَ (٢)  
فَاصْفَحْ عَنِ الرِّزْقِ الْمَعَاوِدِ ذِكْرُهُ وَأُسْتَأْنِفِ النِّعْمَى فَنِكَكَ بِذَاكَ (٣)

\*\*\*

لَمْ يَبْقَ عُذْرُهُ فِي تَقْسِمِ خَاطِرٍ إِلَّا الصَّبَابَةُ مِنْ دِمَاوِ عِدَاكَ  
كَفَارًا أَنْعَمِكَ الْأَلَى حَلَّتْهُمْ أَطْوَأَقَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ طَبَاكَ (٤)  
أَعْرِضْ عَنِ الْخَطَرَاتِ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ تَكُنِ النُّجُومُ أَسِنَّةً لِقَنَاكَ (٥)  
هُصِرَ النَّعِيمُ بِعُطْفِ دَهْرِكَ فَأَنْتَنِي وَجَرَى الْفَرِيدُ بِصَفْحَتَيْ دُنْيَاكَ (٦)  
وَبَدَا زَمَانُكَ لَا بَسًا دِيَابَجَةً تَجَلُّو لِعَيْنِ الْمُجْتَلِي سِيمَاكَ  
دُنْيَا لَزَهْرَتِهَا شُعَاعُ مُذْهَبٍ لَوْ كَانَ وَصْفًا كَانَ بَعْضَ حُلَاكَ

(١) يقول : قرب هذه العقيلة بدر التم ضاممة له أن ستنتع فرقدين نحما يريد أنها ستنتحب أمثال الكواكب البيرة من الدكور .

(٢) الأديم : الحلة ، وخلق : بلى ، والفراخ : أحد سبور النمل التي على طهرها ، يقول : هذه العقيلة وروحك الفقيدة كالأديم قطعت منه بدل الشراك الذي بلى شراكا حديدا ، أى اخترت بدل الفقيدة ، زوحا أخرى جديدة ، وقد ألب العرب أن يشهوا المرأء بالنمل ، وحارهم ابن ريدون في ذلك ، وقد قال الحريري في مقامه من حوار طويل : « فان لمس طهر نعله ، فقد انتقص وضوءه بعله » أى إن لمس امرأته .  
(٣) أى ملك النعمى بالهديدة ، عوس من ذلك الرزء بالعقيدة ، فاضرب صمعا عما يعاودك من ذكريات تؤلم نفسك وتعتك على الحزن .

(٤) جمع طة بالضم ، وهى حد السيف ، يقول : إن الدين طوتهم بأمنك فجعدها بها ، ستجعل لهم خدا من سيوفك في أعناقهم أطواقا يطوقونها .

(٥) أعرس عن كل حطرة تحط بقلبك ، وتقع في بالك من حجة تدبير الملائكة ، فالك منصور على أعدائك ، ولو شئت لتناولت نجوم السماء لجعلها أسنة لرماحك .

(٦) حمل للنعم عطا كعطف الحساء تهره أى تميله إليك فينى كما تهره العين وتميله نحوك لفظه عماره ، وجعل لدنيا للمدوح التي احتوت النعم فرندا يحمرى في صفحتها ماؤه وتترقق دباحته ، فأهطاك صورة ساحرة فاته لما يتصل بالمدوح من دنيا يحمها الهميم .

فَتَمَلَّ في فُرُشِ الْكَرَامَةِ نَاعِمًا      وَأَعْقِدْ بِمَرْتَبَةِ السُّرُورِ حُبًّا كَا<sup>(١)</sup>  
 وَأَطْلُ - إِلَى شَدْوِ الْقِيَانِ - إِصَاحَةً      وَتَلَقَّ مَتْرَعَةَ الْكُؤُوسِ دِرَاكًا  
 تَحْتَهَا مَثْنَى مَنَانِي غَادَةٍ      شَفَعَتْ بِحَثِّ غِنَاهَا الْإِمْسَاكَا<sup>(٢)</sup>  
 مَا الْمَيْشُ إِلَّا فِي الصَّبُوحِ بِسُحْرَةٍ      قَدْ جَاسَدَتْ أَنْوَارَهَا الْأَخْلَاكَا<sup>(٣)</sup>  
 لَكَ أَرْيَحِيَّةٌ مَاجِدٍ - إِنْ تَعَتَّرِضَ<sup>✱</sup>      فِي لَهْوِ رَاحِكَ - تَسْتَهْلِ لَهَا كَا<sup>(٤)</sup>  
 مَنْ كَانَ يَمْلِكُ فِي خِلَالِ نِدَامِهِ      ذَمٌّ يَبْعُضُ خِلَالِهِ فَخْلَا كَا<sup>(٥)</sup>  
 أُسْبُوعُ أَنْسٍ تُحْدِثُ لِي وَحْشَةً      عِلْمًا بِأَنِّي فِيهِ لَسْتُ أَرَا كَا<sup>(٦)</sup>  
 فَأَنَا الْمُدَبُّ غَيْرَ أُنَى مُشْعَرٍ      ثِقَةً بِأَنَّكَ نَاعِمٌ فَهَنَا كَا  
 إِنِّي أَقُومُ بِشُكْرِ طَوْلِكَ بَعْدَ مَا      مَلَأْتَ مِنَ الدُّنْيَا يَدَيَّ يَدَا كَا  
 بَرَدَتْ ظِلَالُ ذَرَاكَ ، وَأَخْلَوَى جَنَى      نُعْمَاكَ لِي ، وَصَفَتْ جِمَامُ نَدَا كَا  
 وَأَمِنْتُ عَادِيَةَ الْعِدَا الْأَقْتَالِ مُذْ      أَغْصَمْتُ فِي أَعْلَى يَفَاعٍ حِمَا كَا<sup>(٧)</sup>

(١) تمل : تمتع ، يقال ملاك الله حبيبك أى تمتك وأطاشتك معه طويلا ، والجا : جمع حوة وهو أن يجمع الحالس طهره وساقه بنوب أو نحوه .

(٢) تحتها : أى الكؤوس أصوات تعاد منى من رنات مناني عود في يد غادة سمع إلى حث الفناء لمسالك الصوت بعد إطلانه .

(٣) جاسدت : حاطت بياض أنوارها سواد ظلماتها .

(٤) لهو راحك : أى في إبان لهوك ضرب أراح : وتستهل تخطر والها : جمع لهوة بالصم ، وهى المطايا الجزلة الكثيرة .

(٥) من كان في أثناء المادامة على الشراب يعلق ببعض حلاله وحصاله ما يصاب ويدم عليه ، فخلاك ذم وخطاك عيب .

(٦) هو الأسبوع الذى بأس فيه بروسه ، ولا يخرج إلى حاضته الدرا : بالفتح كل ما استدرت به ، يقال أنا في درا فلان أى في كسبه ، والجمام : جمع حمة بالضم وهى معطم الماء ، والسدى : البطاء أى صفا صطاوك الشبيه بالماء في الصفاء فلم يكدر بمن .

(٧) الأتال : الأقران المساوون له في الشجاعة من أهدانه ، وأغصمت : مثل اغصمت أى استمسكت وامتنعت ولجأت ، واليفاع : المكان المرتفع .

جَهْدَ الْمَقِيلِ نَصِيحَةً تَمْحُوضَةً أَفْرَدَتْ مُهْدِيَهَا فَلَا إِشْرَاكَ<sup>(١)</sup>  
وَتَنَاءَ مُخْتَفِلٍ كَانَ تَنَاءَهُ مِسْكٌ بِأَرْذَابِ الْمَحَافِلِ صَاكَ  
وَلْتَدْعُنِي وَعَدُّوكَ الشَّانِي ، فَإِنْ يَرْمِ الْقِرَاعَ يَحْذِ سِلَاحِي شَاكَ<sup>(٢)</sup>

لَا تَعْدَمَنْ<sup>✱</sup> الْحِظَّ غَرْسًا مُطْلِعًا تَمَرَّ الْفَوَائِدِ دَانِيَا لِحَنَاكَ  
وَالنَّصْرَ جَارًا لَا يُجَاوِلُ ثِقَلَةً وَالصَّنْعَ رَهْنًا لَا يُرِيدُ فِكَكَ  
وَإِذَا غَمَامُ السَّعْدِ أَصْبَحَ صَوْبُهُ دَرَكُ الْمَطَالِبِ فَلْيَصِلْ سُقْيَاكَ  
فَالَّذَهُرُ مُعْتَرِفٌ بِأَنَا لَمْ نَكُنْ لِنُسْرِ مِنْهُ - بِسَاءَةِ - لَوْلَاكَ

### عهد

كَمَا تَشَاءُ فَقُلْ لِي لَسْتُ مُتَقِلًا لَا تَحْشَ مِنِّي نِسْيَانًا وَلَا بَدَلًا<sup>(٣)</sup>  
وَكَيْفَ يَنْسَاكَ مَنْ لَمْ يَذَرِ بَعْدَكَ مَا طَعُمُ الْحَيَاةِ وَلَا بِالْبُعْدِ عَنْكَ سَلَا  
أَتَلَفْتَنِي كَلَفًا ، أَبْلَيْتَنِي أَسَفًا قَطَعْتَنِي شَغَفًا ، أَوْرَثْتَنِي عِلَلًا

✱ ✱

إِنْ كُنْتُ خُنْتُ وَأَضْمَرْتُ السُّلُوفَ فَلَا بَلَغْتُ يَا أَمَلِي مِنْ قُرْبِكَ الْأَمَلَا<sup>(٤)</sup>  
وَاللَّهِ لَا عَلِقْتُ نَفْسِي بِغَيْرِكُمْ وَلَا اتَّخَذْتُ سِوَاكُمْ مِنْكُمْ بَدَلًا

(١) أهدى إليك نهاية ما يستطيع إهداءه مقل مثلي ، نصيحة حالصة أوردت مهديها واحتصنتها بما لم تفرك

معه فيه غيره .

(٢) الشاني : المعص ، والقراع المارقة باليوف ، وشاك : السلاح يشاك شوكا طهرت شوكنه وحدهه ،

أى أدعى لمارلة ومجالة عدوك الشاني المعص فانه متى يرم ذلك يحدى شاكى السلاح مستعدا لمقارعة .

(٣) يقول : إني احمل منك كل شيء وليس ذلك بحولى عن حك ولا هو بدامى إلى نسيانك أو

الانتقال عن حبك إلى حب سواك .

(٤) يقول : « فاقب ، الله يأمى منك وجرمى عطفك هو وداك إن كنت فكرت لحظه في السلو عنك .

## مدح ورثاء<sup>(١)</sup>

« قال يمدح المعتمد ، ويرثي المعتضد بالله . »

هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ      فَمِنْ شَيْمِ الْأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهَا - الصَّبْرُ  
سَتَصْبِرُ صَبْرَ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرَ حَسْبَةِ<sup>(٢)</sup>      فَلَا تُؤْثِرُ الْوَجْهَ الَّذِي مَعَهُ الْوِزْرُ<sup>(٣)</sup>  
حِذَارَكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرِّزْقَ فِتْنَةً      يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ إِيمَانِكَ - الْعُدْرُ  
إِذَا أَسِفَ الشُّكْلُ اللَّيْبُ فَشَفَّهَ<sup>(٤)</sup>      رَأَى أَفْذَحَ الشُّكْلَيْنِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ<sup>(٥)</sup>  
مُصَابُ الَّذِي يَأْسَى بِمَيِّتِ ثَوَابِهِ      هُوَ الْبَرْحُ لَا الْمَيِّتُ الَّذِي أَحْرَرَ الْقَبْرُ<sup>(٦)</sup>

✱ ✱

حَيَاةُ الْوَرَى تَنْهَجُ إِلَى الْمَوْتِ مَتَّعٍ<sup>(٦)</sup>      لَهُمْ فِيهِ إِضَاعٌ<sup>(٧)</sup> كَمَا يَوْضِعُ السَّفَرُ<sup>(٨)</sup>

(١) ح. ا. في ص ٤٧٩ من مع الطيب ما منه :

« ولما مات والد المعتمد واستقل بذلك ، ودنوا لوراثته ابن ريدون يرثي المعتضد بقصيدة طويلة أولها :

« هو الدهر ، فاصبر للذي أحدث الدهر من شيم الأحرار في مثلها الصبر . »

وقد ذكر صاحب مع الطيب أكثر أمانات هذه القصيدة وإن اخافت في قليل من الألفاظ في بعض أبيات القصيدة من رواية الديوان .

وسرى انقارء تشابهها كثيرا بين هذه القصيدة وبين القصيدة الرائية التي قالها ابن ريدون في رثاء الورى أبي الحزم .

(٢) حسنة : احتساب الأحر ، وفي رواية نفع الطيب : « أو صبر وحشة »

(٣) وفي رواية نفع الطيب : « فلا تؤثر الوجه الذي معه العدر »

(٤) وفي روايه مع الطيب : « أن يذهب الأجر »

(٥) وفي روايه مع الطيب : « يأس بموت ثوابه » (٦) طريق .

(٧) الإيصاع : السير السريع . قال أبو العلاء :

« لا وضع للرجل إلا بعد إصاع فكيف شاهدت إصاعتي وإرماي . »

(٨) السمر : السامرون .

فَيَاهَادَى الْمِنْهَاجِ جُزْتَ ، فَإِنَّمَا  
 إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ <sup>(١)</sup> كُلُّ مُعَمَّرٍ  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ ضِيمٌ ذِمَارُهُ  
 بِحَيْثُ أُسْتَقْلِلَ الْمُلْكُ ثَانِي عِطْفِهِ  
 هُوَ الضِّيمُ لَوْ غَيْرَ الْقَضَاءِ يَرُومُهُ  
 إِذَا عَثَرَتْ جُرْدُ الْمَنَاجِيحِ <sup>(٢)</sup> فِي الْقَنَاءِ  
 هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصِّرَاطَ أَوْ الْبَجْرُ <sup>(٣)</sup>  
 فَإِنْ سَوَاءٌ طَالَ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ  
 فَلَمْ يُغْنِ أَنْصَارُهُ عَدِيدُهُمْ دَثْرُ <sup>(٤)</sup>  
 وَجَرَّرَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْعَسْكَرُ الْمَجْرُ  
 ثَنَاهُ الْمَرَامُ الصَّعْبُ وَالْمَسْلَكُ الْوَعْرُ  
 بَدِيلٌ مَحْجَاجٌ لَيْسَ يَصْدَعُهُ فَجْرُ

\* \*

أَنْفَسَ نَفْسٍ فِي الْوَرَى - أَقْصَدَ الرَّدَى  
 أَعْبَادُ يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ ، لَقَدْ عَدَا  
 فَهَلَّا عَدَاهُ أَنْ عَلَيْكَ حَلِيمُهُ .  
 وَأَخْطَرَ عِلْقٍ - لِلْهُدَى - أَفْقَدَ الدُّهْرُ  
 عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيَّتِهِ الْغَدْرُ  
 وَذَكَرَكَ - فِي أَرْدَانِ أَيَّامِهِ - عِطْرُ

\* \*

غُشِبَتْ فَلَمْ تَعُشَ الطَّرَادَ سَوَاحِجُ ، وَلَا جُرْدَتَ بِيضٍ ، وَلَا أَشْرَعَتْ مُنْمَرُ <sup>(٥)</sup>

(١) البحر بالفتح والضم : المكروه والأمر العظيم ، وقد روى للمبرد صاحب الكامل أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه حين حصرته الوفاة . قال في آخر كلمة له : ياهادى الطريق حرت ، وإنما هو والله العجر أو البحر وبوله « إنما هو والله العجر أو البحر » يقول : « إن انتظرت حتى يضيء لك العجر الطريق أضررت نفسك وإن حطت الظلماء وركت العشواء هجما بك على المكروه » وضرب ذلك مثالا لعمرات الدنيا وتغييرها أهلها (الكامل : ١ ص ٥ و ٦ و ٧)

وجاء في اللسان قوله : وفي حديث أن بكر رضى الله عنه : إنما هو العجر أو البحر » قال : البحر - بالفتح والضم - الداهية والأمر العظيم . أى أن انتظرت حتى يضيء الفجر أبصرت الطريق ، وإن حطت الظلماء أضرت بك إلى المكروه . قال : ويروى البحر بالحاء يريد عمرات الدنيا شبهها بالبحر لتحير أهلها فيها .

(٢) قصر : قصارى أو غاية . (٣) دثر : كثير .

(٤) المناجيج : حياض الخيل والأبل . (٥) ليس وسمر : سيوف ورماح .

وَلَا تَنْتَ الْمَحْذُورَ عَنْكَ جَلَالَةً وَلَا غُرْرَ مَبْتًى وَلَا نَائِلَ غَمٍّ <sup>(١)</sup>  
لَنْ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ هُمِّيْ أَنْسُهُ <sup>\*\*\*</sup> بِأَنَّكَ ثَاوِيهِ لَقَدْ أَوْحَشَ الظَّهْرُ  
لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى لَقَدْ أَدْرِجَتْ أَنْشَاءَهَا النَّعْمُ الْخُضْرُ  
عَلَيْكَ - مِنْ اللَّهِ - السَّلَامُ مَحِيَّةً يُسْمِعُ الْغُفْرَانَ رِيحَانَهَا النَّضْرُ  
وَعَاهِدَ ذَاكَ اللَّحْدَ عَهْدُ سَحَابٍ إِذَا اسْتَعْبَرْتَ فِي تَرْبِهِ - ابْتَسَمَ الزَّهْرُ <sup>(٢)</sup>  
فَقِيهِ عِلَالَهُ لَا يُسَامَى يَفَاعُهُ <sup>(٣)</sup> وَقَدَّرُ شَبَابَ لَيْسَ يَعْدِلُهُ قَدَّرُ  
وَأَيْنِضَ فِي طَى الصَّفِيحِ كَأَنَّهُ <sup>\*\*\*</sup> صَفِيحَهُ مَأْمُورٍ طَلَاقُهُ الْأَثَرُ <sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ لَمْ تَسِرْ مُحَرُّ الْمَنَايَا تُظِلُّهَا إِلَى مُهَجِ الْأَقْيَالِ <sup>(٥)</sup> رَأَاثُهُ الْحُمُرُ  
وَلَمْ يَحْمِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَى الْهُدَى فَلَمْ يُرْضِهِ إِلَّا أَنْ أُرْتَجَعَ الْغُرُ  
وَلَمْ يَنْتَجِعْهُ الْمُعْتَفُونَ <sup>(٦)</sup> ، فَأَقْبَلْتُ عَطَابًا كَمَا وَالَى شَأْيِيهِ <sup>(٧)</sup> الْقَطْرُ

(١) النائل العمر : العطاء الخزيل الكثير .

(٢) يدعو الله أن يمطر حذته سحابت تدرف ماءها على الأرض فتروى أزهارها فتضرها .

(٣) البعاع : المرتفع من الأرض .

(٤) الأثر : فرد السيف ، وردقة ، وهو واحد ليس بجمع ، قال الشاعر :

« حلاها الصيقلون فأخلصوها . حفاها ، كلها يتقى بأثر . »

أي كلها يسنة لك بمرنده . ويتقى بحمص من يتقى .

وقال إعرابية :

« فادا رقدت فأنت منبهه وإذا انتبهت فعزمك الأثر . »

وقالوا : سيب مأثور ، أي في مثله أثر . وأحد من الأثر كأن وشبه أثر فيه ، أو مثله حديد أثبت

وشفرته حديد ذكر ، وقد رعموا أنه السيف الذي يعمله الحن .

(٥) الأقبال - جمع قبل - وهو الشجاع .

(٦) ينتجعه المعتفون : يطلب معروفه طالبو الاحسان والندى .

(٧) شأيب : صمغ شؤبوب ، وهو الدفعة من البطر . .



وَلَمْ تَكْتَفِ آرَاءَهُ الْمَعِيَّةَ كَأَنَّ نَجَى الْغَيْبِ فِي رَأْيِهَا - جَهْرٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يَتَشَذَّرْ لِلْأُمُورِ<sup>(٢)</sup> مُجَلِّيًا إِلَيْهَا كَمَا جَلَّى مِنَ الْمَرْقَبِ الصَّقَرُ

\* \*

كِلَا لَقَبَى سُلْطَانَهُ صَحَّ قَالُهُ فَبَا كَرَهُ عَضْدُورًا وَحَهُ نَصْرُ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى أَنْ دَعَاهُ يَوْمُهُ فَلَجَابَهُ وَقَدْ قَدَّمَ الْمَعْرُوفَ وَأَسْتَمَجَدَ الذُّخْرُ  
فَأَمْسَى ثَبِيرُهُ قَدْ تَصَدَّى لِحِمْلِهِ سَرِيرُهُ قَلَمٌ يَنْهَضُهُ<sup>(٤)</sup> مِنْ هَضْبِهِ إِصْرُ

\* \*

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتَى الْوَصُولُ عِيْدُهُ لَقَدْ رَابَنَا أَنْ يَتَلَوَّ الصَّلَاةَ الْهَجْرُ  
نُعَادِيكَ - دَاعِينَا السَّلَامَ - كَعَهْدِنَا فَمَا يُسْمَعُ الدَّاعَى وَلَا يُرْفَعُ السِّرُّ  
أَعْتَبْ عَلَيْنَا ذَادَ عَنْ ذَلِكَ الرِّضَى فَنُتَعَبَ أَمْ بِالْمَسْمَعِ الْمُعْتَلَى وَقُرُ<sup>(٥)</sup>  
أَمَا إِنَّهُ سُنْفَلٌ فَرَاغَكَ بَعْدَهُ سَيَنْصَاتُ إِلَّا أَنْ مَوْعِدُهُ الْحَشْرُ<sup>(٦)</sup>  
أَأَنْسَاكَ - لَمَّا يَنْأَ عَهْدُ - وَلَوْ نَأَى سَحِيسَ اللَّيَالِي لَمْ يَرَمْ نَفْسِي الذِّكْرُ<sup>(٧)</sup>  
وَكَيْفَ بِنَسِيَانٍ وَقَدْ مَلَأَتْ يَدِي جِسَامُ أَيْدِي مِنْكَ أَيْسَرَهَا الْوَفْرُ

(١) كأن لم تتكشف فطنته وألمعيته مستور الغيب الذى يتبدى لها رغم حماته واضحا حليا .

(٢) تشذر الأمور : شط إليها وتسرع ، وتشذر الرجل تهيأ للقتال والحملة .

(٣) يشير إلى تلافيه بالمضعد والمصور . (٤) يهسهه : يهظه ، أى يتقل عليه حله .

(٥) فى رواية نفع الطيب :

« أَعْتَبْ عَلَيْنَا ذَاوَسَ ذَلِكَ الرِّضَى فَنُتَعَبَ أَمْ الْح . . . »

(٦) يقول : إنك فى شغل لن يتفنى إلا إذا جاء يوم الحشر .

(٧) رام يريم : فارق يفارق ، يقول : كيف أنساك ولم يطل عهدي بك ولو طال أبد الدهر لم أنساك

ولم تفارق نفسى ذكراك

\* \* \*

لَنْ كُنْتَ لَمْ أَشْكُرْ لَكَ الْمِنَّةَ الَّتِي تَمَلِّتَهَا تَتَرَى لَا وَبَقَيْتَنِي <sup>(١)</sup> الْكَفْرُ  
فَهَلْ عَلِمَ الشَّلُو الْمُقَدَّسُ أَنَّنِي مُسَوِّغٌ حَالِ ضَلٍّ فِي كُنْهَهَا الْفِكْرُ <sup>(٢)</sup>  
وَأَنَّ مَتَانِي لَمْ يُضِغْهُ « مُحَمَّدٌ » خَلِيفَتُكَ الْمَدْلُ الرِّضَى وَأَبْنُكَ الْبَرُّ  
هُوَ الظَّافِرُ الْأَعْلَى الْمُؤَيَّدُ بِالَّذِي لَهُ فِي الذِّى وَلَاءُهُ مِنْ صُنْعِهِ سِرُّ  
رَأَى فِي اخْتِصَاصِي مَا رَأَيْتَ وَزَادَنِي مَرِيَّةٌ زُلْفَى <sup>(٣)</sup> مِنْ تَتَائُجِهَا الْفَخْرُ  
وَأَزْغَمَ فِي بَرِّي أَنْوَفَ عَصَابَةٍ لِقَاؤُهُمْ جَهْمٌ وَخَلْطُهُمْ شَرْرُ  
إِذَا مَا أَسْتَوَى فِي الدَّسْتِ عَاقِدَ حَبْوَةٍ وَقَامَ سِمَاطًا حَفْلِهِ فَلَئِ الصَّدْرُ <sup>(٤)</sup>

(١) لأهلكتي (٢) الشلو : المصو جمه أشلاء . يقول . هل علم الحسد الميت الطاهر أبى أحاول أن أستنجع ما لا سبيل إلى استساغته أى أنه يحاول أن يرغم نفسه على الرضى عما حدث فلا يجد إلى ذلك سبيلا . (٣) ترى .

(٤) استوى : جلس ، والدست : معرب دشت ومعناها بالمارسية اليد — كما يؤخذ من شفاء العليل وترك هذه المادة في اللسان ، وفي التماوس : « الدست الدشت ومن الثياب والوون وصدر البيت معربات . » واستعملها المولودون لمعان منها المجلس كما في البيت الذى نحن صدده ، قال أبو العلاء المعرى : « من آلة الدست ماعد الورير سوى تحريك لحينته في حال إيماء »

هو الورير ولا أدر يشهد به . مثل العروس له بحر بلا ماء .

وورد في المقامة الحادية عشرة من مقامات الحريري عند قوله :

« نصر ودع اليوم وقل لي هل ترى اليوم

مضى لا يقمر القوم إذا مادسته ثم . »

وهو هنا بمعنى الحيلة والخداع ، والمعنى تب حيلته ، ويقال فلان تم عليه الدست في القبار أى لم يعز وورد في آخر المقامة الثامنة عشرة عند قوله :

« فنادرنا بعد أن وحدت عذسه ، ورايلنا أنسه ، كدس عاب صدره ، أو ليل أفل بدره . »

وهو هنا بمعنى المجلس وورد في أوله المقامة الثالثة والعشرين عند قوله :

« فركمت في إثر النظاره ، حتى وافيها باب الاماره ، وهناك صاحب الملوثة مترها في دسسته ،

ومروعا بسمته . »

وَفِي نَفْسِهِ الْعَلِيَاءَ لِي مُتَبَوِّئًا يُنَافِسُنِي فِيهِ السَّمَاءُ كَانَ وَالنَّسْرُ  
يُطِيلُ الْعِدَا فِي التَّنَاجِي خُفْيَةً يَقُولُونَ: «لَا تَسْتَفْتِ، قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ»  
مَضَى نَفْسُهُمْ - فِي عَقْدَةِ السَّعْيِ - ضَلَّةً فَقَادَ عَلَيْهِمْ غُمَّةَ ذَلِكَ السَّحَرِ  
يَسِبُّ مَكَانِي عَنْ تَوَقُّي مَكَانِهِمْ كَمَا شَبَّ قَبْلَ الْيَوْمِ - عَنْ طَوْقِهِ عَمْرُو<sup>(١)</sup>

وهو هنا بمعنى المجلس أيضا وورد في آخر هذه اللقطة عند قوله :

« فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه ، واجلجلى ثمنه ، أخذ يصف أبا زيد وفضله ، ويذم الدهر له ، ثم قال : شدة الله - ألس الذي أطاره الدست ؟ قلت : لا والذي أحلك في هذا الدست ، ما أنا بصاحب هذا الدست ، بل أنت الذي تم عليه الدست . فالدست الأول هو الثوب ، والثاني المجلس ، والثالث هو الثوب أيضا ، والرابع الحيلة .

والجوبة : نعم وكسر أوله وتجمع على جباى أن يجمع الحائس طوره وساقه ثوب أو يديه ، ويقال حل ملا حوته ، وهذا الأمر مما تحمل له الحبا ، والجوبة - نالغج - الصدر ، والسماط : اللص من الناس ، يقال قام الثوم حوله سباطين أي صعين ، ومضى بين السباطين أي بين الصفين ، يقول إنه يسبح لى الجلوس فى الصدر إذا استوى فى مجلسه ومثل حوله صفان من حمله .

(١) أصل المثل : « شب عمرو عن الطوق » وفى رواية أساس السلافة : « حل عمرو عن الطوق » ، وفى رواية يجمع الأمثال العبدانى « كبر عمرو عن الطوق » ومعنى البيت :  
« لقد جل مكانى عن أن أحاذرهم ، كما حل عمرو عن الطوق . »

قال ابن قتيبة فى كتاب المعارف : وعمرو هذا هو عمرو بن هندى بن نصر ، ابن أخت جذيمة الأبرش ، وهو الذى كان يقول - إذ أحى الكفاة بين يدى حاله وهو صى - :

« هذا حناى ، وخياره فيه - إذ كل حان يده إلى يبه . »

وقد زعموا أن الجن استهوته حيناً ، ثم ظهر فوحده مالك وعقيل ، قالوا : « فانتسب لهما . فأتيا به جذيمة فصر به سرورا شديدا وحكهما مسأله مصادمته . »

وقد ضربت الأمثال ندمانى حديمة ، فقال متمم النورى حين رآه أياه :

« وكنا كندماتى حديمة حقبة من الدهر حق قيل لى تنصدما

وعشا بخير - فى الحياة - وقبلنا أصاب المايا رهط كبرى وتبا

فلما تمرقنا مكانى ومالكا - لطول افتراق - لم يبت ليلهما . »

وقال أبو حراش الهنلى :

« ألم تلمنى أن قد تفرق - قبلما - حليلا صماء مالك وعقيل . »

وقد أشار أبو العلاء الممرى إلى ندمانى حديمة إشارة ناعمة فى رسالة الغفران ( ١٠ ص ١٣٢ ) فليرجع إليها من شاء ، قالوا : وأصل هذا المثل أن أم عمرو نظمته وألبسته ثياب الملوك وطوقته بطوق فى عنقه وأمرته بزيارة خاله ، قالوا : فلما رأى خاله لحيته والطوق فى عنقه ، قال : « شب عمرو عن الطوق » فذهبت مثلا . قالوا : « وكانت الزباء قتل خاله فأدرك عمرو وقصير ثأره فقتلها . »

\*  
\* \*

لَكَ الْخَيْرُ ، إِنَّ الرُّزْءَ كَانَ غِيَابَةً      طَلَعْتَ لَنَا فِيهَا كَمَا طَلَعَ الْبَدْرُ  
فَقَرَّتْ عِيُونُ كَانَ أَسْخَنَهَا الْبُكَاءُ      وَفَرَّتْ قُلُوبُ كَانَ زَلَزَلَهَا الدُّعْرُ  
وَلَوْلَاكَ أَعْيَا رَأَيْنَا ذَلِكَ الثَّأْيُ <sup>(١)</sup>      وَعَزَّ فَلَمَّا يَنْتَعِشُ ذَلِكَ الْعَرُّ  
وَلَمَّا قَدَمْتَ الْجَيْشَ بِالْأَمْسِ أَشْرَقَتْ      إِلَيْكَ - مِنَ الْأَمَالِ - آفَاقُهَا الْغُبُرُ <sup>(٢)</sup>  
فَقَضَيْتَ مِنْ فَرَضِ الصَّلَاةِ لِبَانَةً      مُشِيْعَهَا نُسُكُ وَفَارِطُهَا طُهُرُ <sup>(٣)</sup>  
وَمِنْ قَبْلُ مَا قَدَمْتَ مَثْنَى نَوَافِلِ      يَلَاقِي بِهَا مَنْ صَامَ مِنْ عَيْدِهِ فِطْرُ  
وَرُحْتَ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي غَضَّ طَرْفَهُ      بُعِيدَ التَّسَامِي أَنْ غَدَا غَيْرُهُ الْقَصْرُ <sup>(٤)</sup>  
فَدَاثَمَا مَعًا فِي خَيْرِ دَهْرٍ ، صُرُوفُهُ      حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ يَطُورُهَا هَجْرُ <sup>(٥)</sup>  
وَأَجْمِلْ - عَنِ النَّاوِي - الْعَرَاءَ فَإِنْ نَوَى      فَإِنَّكَ لَا الْوَانِي ، وَلَا الضَّرْعُ الْغُمُرُ <sup>(٦)</sup>

(١) الثأْي : السواد ورايه إصلاحه ، قال الشاعر :

« يَرَأَبُ الصَّدْعُ وَالثَّأْيُ رَصِيحٌ      مِنْ سَحَابٍ آرَأَنَّهُ وَيَعِيرُ . »

(٢) قدمت : يقال قدم فلان فلانا يقدمه من باب نصر إذا تقدمه ، قال تعالى : « يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ » والمعنى : ولما قدمت الجيش صبيحة يوم العطر أشرفت إليك شمس الآمال من آفاقها الغبر يريد أن الآمال ابتسمت له مشرفة ، وقد اغبرت الآفاق حزنا على فقد والده .

(٣) إلبانة : الحاجة يقال قصي فلان لبنته أى حاجته ، والعارط : المتقدم أى قصيت حاجة فى نفسك من صلاة الرمس التى شيعها وتلاها نك العيد وسبقها وتقدمها الطهر السنون والطيب ، وفى رواية فزع الطيب : فشيحها نك وفارنها طهر .

(٤) أى بعد أن عدت من مصلى العيد - د رحت إلى القصر الذى غضى طرفه حياء - بعد أن سما يبصره إليك - لأنك تبدلت به قصرا غيره . (٥) لا يطورها : لا يغيرها والصير طائد على القصرين .

(٦) الوانى : الضعيف ، والضرع : الخاضع الدليل ، والعر : الذى لم يجرب الأمور ، يقول : تدرب بالصبر وأجل عزاء عن الراحل الناوى فى قبره ، فانك لت - إذ ألم بك خطب - بالضعيف ولا الفرجاجهل الذى لم يجرب الأمور ولم يعتبر بصروف الدهر ، وفى الأصل « فانك لا الفانى » وقد أئنتنا هنا رواية نفع الطيب ، قال الشاعر :

أَنَّهُ وَحَلَمَا وَانْتَظَرَا بِهِمْ غَدَا      فَا أَنَا بِالْوَانِي وَلَا الضَّرْعُ الْغُمُرُ

وَمَا أَعْطَتِ السَّبْعُونَ قَبْلَ - أَوَّلِي الْحِجَا مِنْ الْإِزْبِ مَا أَعْطَتْكَ عِشْرُونَكَ وَالْعَشْرُونَ<sup>(١)</sup>

\* \*

أَلَسْتَ الَّذِي إِنْ ضَاقَ ذَرْعُ بِحَادِثٍ تَبَلَّجَ مِنْهُ الْوَجْهَ وَاتَّسَعَ الصَّدْرُ<sup>(٢)</sup>  
فَلَا تَهْضِ الدُّنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهُ فَنَكَ - لِمَنْ هَاضَتْ نَوَائِبُهَا - جَبْرُ  
وَلَا زِلَتْ مَوْفُورَ الْعَمِيدِ بِقِرَّةٍ لِعَيْنَيْكَ مَشْدُودًا بِهِمْ ذَلِكَ الْأَزْرُ  
فَإِنَّكَ شَمْسٌ - فِي سَمَاءِ رِيَاسَةٍ - تَطْلَعُ مِنْهُمْ حَوْلَهَا أَنْجُمُ زُهْرُ

\* \*

شَكَّكْنَا فَلَمْ تُثَبِّتْ<sup>(٣)</sup> أَلْيَامُ دَهْرِنَا بِهَا وَسَنَ أَمْ هَزَّ أَعْطَافَهَا سُكْرُ؟  
وَمَا إِنْ تَغَشَّتْهَا مُغَاوَزَةُ الْكَرَى وَمَا إِنْ تَمَشَّتْ - فِي مَفَاصِلِهَا<sup>(٤)</sup> - حَجَرُ  
سِوَى نَشَوَاتٍ - مِنْ مَجَابِيَا مُمْلَكٍ - يُصَدِّقُ فِي عَلَيَانِهَا الْخَبَرَ الْخَبْرُ

\* \*

أَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَأَنْتَ يَمِينُهُ وَإِنْ تَضَحَكَ الدُّنْيَا فَأَنْتَ لَهَا تَغَرُّ  
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْغَيْبِ عَنْكَ - أَجَبْتُهُ هُنَاكَ الْأَيَادِي الشَّفَعُ وَالسُّودْدُ الْوَلْوُ<sup>(٥)</sup>  
هُنَاكَ الثَّقَى وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنُّهَى وَبَذَلُ اللَّهِ وَالْبَأْسُ وَالنَّظْمُ وَالنُّثْرُ

(١) أولي الحجا : أرباب العقول ، والارب : العقل والدعاء والبصر بالأمر ، يقال أرب ككرم أرابه هو أرب أى طافل وحاء فى فتح الطيب «الب» بدل «الارب» ، وعشرونك : بالاضافة ، وعشرون إذا أصيف سقطت منه الون لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، يقال : « هذه عشرونك وعشرون » بتشديد الياء كسلى ، أى أن ثلاثين حجة أفادتكم من الحجا والعقل مالم تعطه غيرك السبعون .  
(٢) ألسن الذى إن ضاق الناس ذرعا بمحادث تهمل له وجهك بشرا ، واتسع له صدرك احتمالا وصبرا ، ثقة منك بأبك ستكشف الباردة ، وتدفع السكارنة .

(٣) وفى فتح الطيب : « فلم ندرك » (٤) وفى فتح الطيب : « معاطفها » .

(٥) أى : هناك الايادى أى النعم المزدوجة للتكرار والمجد الفذ .

مُحَامٍ - إِذَا لَاقَى الْمُتَاجِرَ رَدَّهُ - وَإِقْبَالُهُ خَطُومٌ ، وَإِذْ بَارُهُ حُضْرُ<sup>(١)</sup>  
 حَاسِنٌ ، مَا لِلرَّوْضِ - غَامَرُهُ النَّدَى - رُؤَاهُ إِذَا نُصِتَ حُلَاهَا وَلَا نَشْرُ<sup>(٢)</sup>  
 مَتَى انْتَشِقَتْ لَمْ تُظَرِ دَارَيْنِ مِسْكَمَا حَيَاءٌ ، وَلَمْ يَفْخَرْ بِعَنْبَرِهِ الشَّجَرُ<sup>(٣)</sup>  
 عَطَاهُ وَلَا مَنٌ ، وَحُكْمُهُ وَلَا هَوًى وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ  
 قَدِ اسْتَوْفَتِ النِّعْمَاءُ فِيكَ تَمَامَهَا عَلَيْنَا ، فَنَذَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

## إلى ابن ذكوان

« كتب إلى الوزير أنى العباس بن حاتم بن ذكوان »

لَسْتَ مِنْ بَابَةِ الْمُلُوكِ<sup>(٤)</sup> أَبَا الْعَبَّاسِ ، دَعَهُمْ فَشَأْنُهُمْ غَيْرُ شَأْنِكَ  
 مَا جَزَاهُ الْوَزِيرُ مِنْكَ - إِذَا اخْتَصَّكَ - أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي إِذْمَانِكَ  
 أَتْرَاهُ لَا يَسْتَرِيبُ لِإِمْسَا كَيْكَ سَرْدُ الْعِرَاقِ تَحْتَ لِسَانِكَ<sup>(٥)</sup>  
 مَذْنَهَانَا - عَنِ الْمَدَامِ - أَتَهَيَّنَا مَعَ أَنَا نَعُدُّ مِنْ صِيَانِكَ .

(١) المتاجر : من المتاجرة وهى المبارزة والقتال والمقاتلة ، قال عبيد :

كألهدواى الهند - هزه القرن الماحز

والحضر : إحصار العرس وعدوه ، يقول هو ملك همام إذا لاق عدوه للماحز فى الحرب والقتال رده منهزما فى حال كون إقباله بطيئا وإدباره سريعا .

(٢) نصت : وضعت على النصفة تكسر للهم وهو سرير العروس الذى تنص وتعلى عليه ليلة الزفاف ، والنشر : الرائحة الطيبة ، وفى الأصل « ولا نشر » والذى أثبتناه هنا رواية مع الطيب .

(٣) لم تظر : لم تدمج ، ودارين : ثمر على الخليج الفارسى يجلب إليه الطيب من بلاد الهند ، والذى فى مع الطيب « لم تدر » والشجر : ساحل البحر - بين « عمان » و « عدن » - أو هو صقع على ساحل الخليج الفارسى وإلى هذا الصقع ينسب العبر الشجرى ، وهما عدة مدن بهذا الاسم كما يؤخذ من « حجم البلدان » والمعنى : « فى فاح عبر تلك الخامس لم تن دارين على مسكها ولم يعثر الشجر بعنبره .

(٤) من بابة الملوك : من الشروط والوجوه التى تصلح لهم ، ويقال : « هذا شئ من بابك » أى يصلح لك . يقول : « لست من بيتهم .

(٥) العراق : بالكسر الحلة المخروزة على دم السقاء والزق ونحوها تشبه بحرزه الأسنان فى السرد ، والاستواء : وجاء فى الأصل « سعد العراق » يقول : أترى الوزير لا يقع فى الرية لوضعك مسرودة العراق تحت لسانك ، يريد أنه يحسب البحر من فم زق معروف أى على فم هراق .

## إلى المعتمد

« كتب ابن زيدون إلى المعتمد يشوقه إلى تعاطي

الحيا في قصوره البديعة التي منها المارك والثريا (١). »

فُزْ بِالنَّجَاحِ وَأُخْرِزِ الْإِقْبَالَ      وَخُزِ الْمُنَى وَتَنْجِزِ الْأَمَالَ  
وَلِيَهْنِكَ التَّائِيدُ وَالظَّفَرُ الَّذَا      صَدَقَاكَ فِي السَّيِّئَةِ الْعَلِيَّةِ - فَلَا  
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ      تَجِدِ الْعُقُولُ النَّاشِدَاتُ كَمَا لَا

\* \*

أَمَّا « الثُّرَيَّا » (٢) فَالْثُّرَيَّا نَصْبَةً      وَإِفَادَةً وَإِنَافَةً وَجَمَالًا  
قَدْ شَاقَهَا الْإِغْيَابُ حَتَّى أَتَتْهَا      لَوْ تَسْتَطِيعُ سَرَتْ إِلَيْكَ خَيَالًا  
رَفَّهُ (٣) وَرُودُكَهَا لَتَغْنَمَ رَاحَةً      وَأُطِّلَ مَزَارُكَهَا لَتَنْعَمَ بَالًا

\* \*

وَتَمَثِّلُ الْقَصْرَ « الْمُبَارَكَ » وَجَنَّةً      قَدْ وَسَّطْتَ فِيهَا « الثُّرَيَّا » خَالًا  
وَأَدِرْ هُنَاكَ مِنَ الْمُدَامِ أَتَمَّتْهَا      أَرْجَا زَكَا وَأَشْفَهَا جِرْيَالًا (٤)  
قَصْرٌ يَقْرَأُ الْعَيْنُ مِنْهُ مَصْنَعٌ      بِهِجُ الْجَوَابِ، لَوْ مَشَى لَأَخْتَلَا  
لَا زِلْتُ تَقْتَرِشُ السُّرُورُ وَحْدًا ثَقَا      فِيهِ، وَتَلْتَحِفُ النَّعِيمَ ظِلَالًا .

(١) وردت هذه القصيدة في الديوان ولم يكتب لها عنوان ، وقد نقلنا هذه السكامة من نسخ الطيب

(٢) يعنى قصره المسمى « الثريا » .

(٣) أى اجعل ورودك اياها رافها أى كل يوم ، يقال وردت الابل دفاها إذا كانت ترد الماء كلما

شئت الورد . (٤) الجريال: الحمر ، أم حمرتها وسبأى تفسيرها من « ١٥٥ »

## مدح ورثاء وتهنئة<sup>(١)</sup>

« وقال أيضا بمدحه ويرثي الوزير الكاتب الأعلى

أبا الحزم أباه رجما الله . »

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ صَمَمَ الْقَبْرُ  
وَأَنَّ الْحَيَا<sup>(٢)</sup> - إِنْ كَانَ أَقْلَعَ صَوْبُهُ -  
إِسَاءَةُ دَهْرٍ أَحْسَنَ الْفِعْلَ بَعْدَهَا ،  
فَلَا يَتَهَنَّى الْكَاشِحُونَ فَمَا دَجَا  
وَإِنْ يَكْ وَلَّى « جَهْوَر » ، « فَمَحَمَّد »  
وَأَنْ قَدْ كَفَانَا - فَقَدْ نَا الْقَمَرَ - الْبَدْرُ  
فَقَدْ فَاضَ لِلْأَمَالِ فِي إِثْرِهِ الْبَحْرُ  
وَذَنْبُ زَمَانٍ جَاءَ يَتْبَعُهُ الْعُذْرُ  
لَنَا اللَّيْلُ إِلَّا رَيْثَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ  
خَلِيفَتُهُ الْعَدْلُ الرِّضَى وَأَبْنَاهُ الْبَرُّ

\* \*

لَعَمْرِي لَنِعَمَ الْعِلْقُ<sup>(٣)</sup> أَتْلَفَهُ الرَّدَى  
هَزْزَنَا بِهِ الصَّمَمُ<sup>(٤)</sup> - فَالْعَزْمُ حَدَهُ  
فَتَى يَجْمَعُ الْمَجْدَ الْمُفَرَّقَ هَمَّةُ  
أَهَابَتْ إِلَيْهِ بِالْقُلُوبِ مَحَبَّةُ  
سَرَتْ - حَيْثُ لَا تَسْرَى مِنَ الْأَنْفُسِ الْمَنَى -  
وَدَبَّتْ دَيْبًا لَيْسَ يُحْسِنُهُ الْخَمْرُ  
لَسْنَا لَدَيْهِ الْأَمْنُ تَنْدَى ظِلَالُهُ  
وَعَادَتْ لَنَا عَادَاتُ دُنْيَا كَانَتْهَا  
بِهَا وَسَنُ أَوْ هَزَّ أَعْطَفَهَا سُكْرُ

\* \*

مَلِكُ لَهُ مِنَّا النَّصِيحَةُ وَالْهَوَى  
وَمِنْهُ الْأَيْدِي الْبَيْضُ وَالنَّعْمُ الْخَضْرُ

(١) - ارجع إلى ص ١٤٠ و ص ١٧٤ من هذا الديوان .

(٢) للطر . (٣) الميس . (٤) الحسام .



نُسِرُ وَفَاءَ - حِينَ نُعْلِنُ طَاعَةً - فَمَا خَانَهُ سِرٌّ وَلَا رَابَهُ جَهْرٌ  
فَقُلْ لِلْحَيَارَى: « قَدْ بَدَأَ عِلْمُ الْهُدَى » وَلِلطَّامِعِ الْمَغْرُورِ: « قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ »<sup>(١)</sup>

\* \*

« أَبَا الْحَزَمِ » قَدْ ذَابَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى - قُلُوبٌ مُنَاهَا الصَّبْرُ، لَوْ سَاعَدَ الصَّبْرُ  
دَعِ الْأَذْهَرَ يَفْجَعُ بِالذَّخَائِرِ أَهْلَهُ - فَمَا لِنَفْسٍ - مُذْ طَوَّكَ الرَّدَى - قَدْرُ  
تِهُونِ الرِّزَايَا بَعْدُ - وَهِيَ جَلِيلَةٌ - وَيُعْرِفُ مُذْفَارَقَتَنَا - الْحَادِثُ الشُّكْرُ  
فَقَدْ نَاكَ فَقْدَانُ السَّحَابَةِ لَمْ يَزَلْ - لَهَا أَثَرٌ يُعْنِي بِهِ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ  
مَسَاعِيكَ حَلَى لَلْيَالِي مُرْصَعٌ - وَذِكْرُكَ - فِي أَرْذَانِ أَيَّامِهَا - عِطْرُ  
فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمَنِيَّةَ غَايَةٌ - إِلَيْهَا التَّنَاهَى طَالَ أَوْ قَصَرَ الْعُمْرُ

\* \*

عَزَاءَ - قَدْ تَكَ النَّفْسُ عَنْهُ - فَإِنْ تَوَى - فَإِنَّكَ لَا الْوَإِي وَلَا الضَّرْعُ النُّعْمُ  
وَمَا الرُّزْءُ فِي أَنْ يُودَعَ الثَّرْبُ هَالِكٌ - بَلِ الرُّزْءُ كُلُّ الرُّزْءِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ  
أَمَامَكَ - مِنْ حِفْظِ الْإِلَهِ - طَلِيعَةٌ - وَحَوْلَكَ - مِنْ آلَائِهِ - عَسْكَرٌ مَجْرُ  
وَمَا بِكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَى نَصْرِ نَاصِرٍ - كَفْتِكَ مِنَ اللَّهِ الْكَلَاءَةُ<sup>(٢)</sup> وَالنَّصْرُ

\* \*

لَكَ الْخَيْرُ، إِنِّي وَاثِقٌ بِكَ شَاكِرٌ - لَيْسَتْ أَيْدِيكَ الَّتِي كُفِّرْهَا الْكُفْرُ  
تَحْتَى الْعِدَا - لَمَّا أَعْتَلَقْتِكَ - جَانِبِي - وَقَالَ الْمُتَاوِي: شَبَّ عَنْ طَوْفِهِ عَمْرُو<sup>(٣)</sup>

(١) قريب من هذا قول ابن هاني الأندلسي :

تقول بنو العباس : « هل فتحت مصر ؟ » فقل لبني العباس : « قد قضى الأمر »

(٢) الرماية والحفظ (٣) ارجع إلى تفسير هذا المثل في ( ص ١٤٥ ) من هذا الكتاب

يَلِينُ كَلَامُ كَانَ يَخْشَنُ مِنْهُمْ وَيَفْتَرُ نَحْوِي ذَلِكَ النَّظْرُ الشَّرُّ

\* \* \*

فَصَدَّقْ ظُنُونًا لِي وَفِي ، فَإِنِّي لَأَهْلُ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ مِنْكَ وَلَا فَخْرُ  
وَمَنْ يَكُ - لِلدُّنْيَا وَالْوَفْرِ - سَعْيُهُ فَتَقَرِّبُكَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَكَ الْوَفْرُ (١)

### هدية عنب

« وأهدى إلى الورير الفقيه صاحب الأحكام أبي بكر  
محمد بن محمد بن إبراهيم جدّه لأمته عنا عدارى  
وكتب معه . »

أَتَاكَ مُحِيًّا عَنِّي أَعْدَارًا عَدَارِي دُونَهُ رِيْقُ الْعَدَارِي (٢)  
تَخَالُ الشَّهْدَ مِنْهُ مَسْتَمَدًّا وَنَفَحَ الْمِسْكَ مِنْهُ مُسْتَعَارًا  
يُرُوقُ الْعَيْنَ مِنْهُ جِسْمُ مَاءٍ غَدَا ثَوْبُ الْهَوَاءِ لَهُ شِعَارًا  
وَلَوْلَا أَنَّنِي قَدْ نَلْتُ مِنْهُ - وَلَمْ أَسْكُرْ - خَلَلْتُ بِهِ عُقَارًا  
بَعَثْتُ بِهِ وَلَوْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، لَسَكَانَ مِنْ بَرِّي أَفْصَارًا  
فَأَنْعِمَ بِالْقَبُولِ قَرُبٌ أُنْعَمِي أَعَدْتُ بِهَا دُجَى لَيْلِي نَهَارًا

(١) يقول : إن من كانت عايته من الدنيا أن تقبل عليه وأن ينال القى فإنه يطهر بهما جميعا حين تدنيه منك وتقبل عليه .

(٢) العدارى : صنف من العنب يشبه بأصابع العدارى لطوله ، يقول : أُنَاك يحمل تحيى متندراً إليك « عنب عدارى » • يملو دونه في الحلاوة ريق العدارى .

## رثاء ابن ذكوان

« قال يرثي القاضى أبا بكر بن ذكوان . »

انجَبَ لِحَالِ السَّرْوِ كَيْفَ تُمَحَالُ وَلِدَوْلَةِ الْعَلِيَاءِ كَيْفَ تُدَالُ<sup>(١)</sup>  
لَا تَفْسَحَنَّ لِلنَّفْسِ فِي شَأْوِ الْمُنَى إِنَّ اغْتِرَارَكَ - بِالْمُنَى - لَضَلَالُ  
مَا أُمْتَعَ الْأَمَالَ لَوْلَا أَنَّهَا تَمْتَقُ - دُونَ مُبْلُغِهَا - الْأَجَالَ<sup>(٢)</sup>  
مَنْ سُرَّ - لَمَّا عَاشَ - قَلَّ مَتَاعُهُ فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالسَّرُورُ خِيَالُ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

فِي كُلِّ يَوْمٍ تُنْتَحَى بِرِزْيَةٍ لِلْأَرْضِ - مِنْ بُرَحَاهَا - زَلْزَالُ<sup>(٤)</sup>  
إِنْ يَنْكَدِرَ بِالْأَمْسِ - نَجْمٌ مُنَاقِبٌ فَالْيَوْمُ أَقْلَعُ عَارِضٌ هَطَالُ<sup>(٥)</sup>  
إِنَّ النَّعْيَ « جِهْوَر » وَ « مُحَمَّدٍ » أُنْكَى الْعَمَامَ ، فَدَمَعُهُ مُنْتَالُ<sup>(٦)</sup>  
شَكْلَانِ - إِنْ حُمَّ الْحِمَامُ - تَجَادَبَا لَا غَرَوَّ أَنْ تَتَجَادَبَ الْأَشْكَالُ<sup>(٧)</sup>

(١) السرو : الشرف والسيادة ، يقول : أعجب لهذا المجد كيف حال من عهدته وتحول ، واجب لدولة  
العلياء كيف دالت وتبدلت . (٢) يقول : إن أحسن شيء تتمتع به النفس الآمال ، لولا أن  
الآجال ، تموت دون بلوغ الآمال .

(٣) من سره العيش في هذه الحياة الدنيا فليعلم أن متاعها قليل ، وأن الناس فيها نيام لا انتباه لهم  
ولا يقظة إلا بعد الموت إذن وسرورها خيال ، وغرورها باطل .

(٤) ينتحى : يقصد ، يقال انتحاه إذا قصد ناحيته ، والبرحاء : الشدة .

(٥) ينكدر : ينقص ويسقط ، قال تعالى « وإذا النجوم انكدرت » أى تأثرت ، والعارض : السحاب ،  
يقول : إن موت أبى بكر القاضى جاء عقب موت اثنين من آل جهور سيذكرهما في البيت التالى  
لهذا البيت .

(٦) النعى : كنى الناعي ، من نعى الميت ينعاه إذا أخبر بموته ، ومنثال : من ثل الدمع وغيره استفرجه .

(٧) حم : قدر ، والحمم : الموت ، يقول : « جهور » و « محمد » شكلان متجاسران حم الموت على  
أحدهما فانتخب إليه شكله ، وكذلك الأشكال تتجادب .

\* \*

وَلَيْ «أَبُو بَكْرٍ» فَرَّاعَ لَهُ الْوَرَى هَوَلٌ تَقَاصَرُ - دُونَهُ - الْأَهْوَالُ  
قَرْمُ هَوَى فِي التُّرْبِ - تُحْنِي 'فَوْقَهُ' - لِلَّهِ مَا حَارَ الثَّرَى الْمُنْهَالُ <sup>(١)</sup>  
قَدْ قُلْتُ - إِذْ قِيلَ السَّرِيرُ يُقِلُّهُ - هَلْ لِلْسَّرِيرِ بِقَدْرِهِ أَسْتِقْلَالُ؟  
الآنَ بَيَّنَّ لِلْمَقُولِ زَوَالُهُ أَنَّ الْجِبَالَ قُصَارُهُنَّ زَوَالُ  
مَا أَفْنِجَ الدُّنْيَا ! خِلَافَ مُودَعٍ غَنِيَتْ بِهِ فِي حُسْنِهَا تَحْتَالُ <sup>(٢)</sup>

\* \*

يَا قَبْرَهُ الْعَطِرَ الثَّرَى لَا يَبْعَدُنْ حُلُوٌّ مِنَ الْفَتَيَانِ فِيكَ حَلَالُ <sup>(٣)</sup>  
مَا أَنْتَ إِلَّا الْجَفْنُ أَصْبَحَ طِيَهُ نَصُلٌ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَابِ - صِقَالُ <sup>(٤)</sup>  
فَهْنَاكَ نَفَاحُ الشَّمَائِلِ مِثْلَ مَا طَرَقَتْ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ شِمَالُ <sup>(٥)</sup>

(١) تحنى : تهال بوقه ، والنرى : التراب الذى .

(٢) خلاف مودع : أى صدمه ، يقال جاء فلان خلاف فلان أى صدمه ، قال تعالى « وإذنى لأبلىتون خلافاً لإلاذلاً » أى خللك كما فى القراءة الثانية ، والمعنى : ما أفنج الدنيا بعد هذا الراحل المودع الذى كانت الدنيا به تحتال كالعروس المستخفية بحمالها عن الرية ثم أصحمت صدمه قبيحة دامية .

(٣) الحلو الحلال : من الفتيان هو الفتى الذى لاربية فيه الموثوق به ، قال الشاعر :  
« ألا ذهب الحلو الحلال الحلال ومن قوله حكم وعدل ونائل » .

وقال الآخر :

« رأيت رماطاً حين تم شبابه وولى شبانى ليس فى بره عتب  
إذا كان أولاد الرجل حزارة فأت الحلال الحلو والوارد العذب . »

والمعنى : يا قبره الشدى العطر ثراه لا يبعدن بك من الفتيان ذلك الفتى الحلو الحلال أى الذى لاشك ولاربية فى رجولته وفنوته .

(٤) ما أنت أيها القبر إلا حمن طوى فيه فتى كمنصل السيف مقل بصقال الشباب .

(٥) هناك أى فى ذلك القبر وورى فتى شمائله وطباعه تنفع بأنواع المطر مثل ما هبت بأنفاس الرياض

دَانٍ مِنَ الْخَلْقِ الْمُرَيْنِ ، نَارِحٌ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْهِ مَقَالٌ <sup>(١)</sup>  
شِيمٌ يُنَافِسُ حُسْنَهَا إِحْسَانَهَا كَالرَّاحِ نَافَسَ طَعْمَهَا الْجِرِيَالُ <sup>(٢)</sup>

\* \*

يَا مَنْ شَأَى الْأَمْثَالِ ، مِنْهُ وَاحِدٌ ضُرِبَتْ بِهِ فِي السُّودَدِ الْأَمْثَالُ <sup>(٣)</sup>  
نَقَصَتْ حَيَاتُكَ حِينَ فَضْلُكَ كَامِلٌ هَلَا أَسْتُضِيفَ إِلَى الْكَمَالِ - كَمَالٌ <sup>(٤)</sup>  
وُدِّعْتَ عَنْ نُحْمَرٍ عُمَرَتْ قَصِيرَهُ بِمَكَارِمِ أَعْمَارُهُنَّ طَوَالُ  
مَنْ لِلنَّدَى إِذَا تَنَازَعَ أَهْلُهُ فَاسْتَجْهَلَتْ حُلَمَاءُهُ الْجُهَالُ <sup>(٥)</sup>  
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهُمْ لَقُلْتُ مِرَاوَهُمْ لِأَغَرَّ فِيهِ - مَعَ الْفَتَاءِ - جَلَالُ <sup>(٦)</sup>

(١) دان : قريب من كل حلق حميد يريه ، نارح : يعيد من كل دل فيه عليه لوموه واحدة وعيب ، ولعله كلفظ قول الشاعر :

« إِذَا أَتَى لَمْ تَعْمِ الْمَوَى فَادْكِ الْهَوَى إِلَى نَعْمِ مَا يَبْسُهُ عَلَيْكَ مَقَالٌ . »

(٢) جريال الجر : حرمتها الشديدة ، قال الأعشى :

« وَسِدْقَةٌ مِمَّا تَعْقِي نَابِلَ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلْتَهَا جَرِيَالَهَا . »

ومعنى سلتها جريالها - أى لونها وحرمتها - أن لونها طهر على وجهه حين شربها ولكنها حين خرجت منه عند البول حرج بصاء ، وطلق الجريال والجريالة على الجر بمسا ، قال ذو الرمة :

« كَأَنِّي أَحَدُ جَرِيَالَةِ مَالِيَةِ كَيْتٍ تَمُشُّ فِي الْعَطَامِ شَمُولَهَا . »

وقالوا في السلاف - وهو أول ما يجري من ماء الصبي من غير عهر ولونه أصفر - إنه أحود من الجريال . قال المتنبي :

« وَلَقَدْ خَنَاتُ مِنَ الْكَلَامِ سَلَاةٍ وَسَقِيتُ مِنْ نَادَمَتِ مِنْ جَرِيَالِهِ . »

ومعنى البيت الذي نحن بصددده : ناس إحسان شيعك وخلاك حينها كما ناس لون الراح طعمها ، حين جمعت إلى لذة الطعم حسن اللون .

(٣) وفي الأصل : « يامس شاء . »

(٤) طاحتك المية في الوقت الذي كل فيه فضلك ، فهلا دى في معرك حتى تستضيف كمالا إلى كمالك .

(٥) الندى : المجلس ، واستجهل نسبتهم إلى الجهل ، والحلما : أصحاب الأحلام أى القول .

(٦) لو كنت حاضر مجلسهم لافقتهم فلم عاروك ويمجدلوك لإذعانا لأفـر فيه مع فتاء أشن وقار وهيبة .

\* \*

مَنْ لِلْمَعْلُومِ؟ فَقَدْ هَوَى الْعَلَمَ الَّذِي وَمِثَمَتْ بِهِ أَنْوَاعُهَا الْأَغْفَالُ (١)  
مَنْ لِلْقَضَاءِ يَعْزُ (٢) - فِي أَثْنَانِهِ -  
مَنْ لِلْيَتِيمِ تَتَابَعَتْ أَرْزَاؤُهُ؟ هَلَكَ الْأَبُ الْحَانِي وَصَاعَ الْمَالُ !  
أَعَزَّ بِأَنْ يَنْمَاطَكَ نَعَى شِمَاتِهِ لِلْأَوْلِيَاءِ الْمَعَشَرُ الْأَقْتَالُ (٣)  
لُجِمَتْ رَحَى الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِقُطْبِهَا لَيْتَ الْحَسُودَ فِدَاكَ فَهَوَى ثِفَالُ (٤)

\* \*

زُرْنَاكَ لَمْ تَأْذَنْ كَأَنَّكَ غَافِلٌ مَا كَانَ مِنْكَ لِوَاجِبٍ إِغْفَالُ  
أَيْنَ الْحَفَاوَةُ رَوْضُهَا غَضُّ الْجَنَى أَيْنَ الطَّلَاقَةُ بِشْرُهَا سَلَسَالُ  
أَيَّامٍ مَنْ يَعْزُضُ عَلَيْكَ وَدَادَهُ يَكُنِ الْقَبُولُ بِشِيرُهُ الْإِقْبَالُ  
مَهْمَا تُعْبِكَ لَا تُرَبِّكَ وَإِنْ تَزُرُ رِفْعًا فَمَا لِزِيَارَةِ إِمْلَالُ (٥)  
هَيْهَاتَ لَا عَهْدَ - كَعَهْدِكَ - عَائِدُ إِذْ أَنْتَ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ جَمَالُ

(١) العلوم المتروكة لصعوبة الخوص فيها لا على أمثاله من الباحثين .

(٢) يقل ويمتنع فلا يوجد لاشكها حل .

(٣) أعزز : أعظم على معنى منماتك نعى شيماته أى يمز على ويشقّ على نفسى أن ينماتك الأقتال أى الأعداء نعى شيماته لأوليائك وأصفيائك .

(٤) قطب الرضى : الحديدة القائمة فى وسط الرضى السفلى ، وهو الذى يدور عليه طبق الرضى العليا ، جعل للإسلام رضى هو قطبها الذى تدور عليه ، يعنى أن عليه نظام الإسلام ، ومدار الأحكام ، والثقال ما يوضع تحت الرضى من حلد ونحوه ليقى ما يسقط عند الطحن من التراب ، وهذا لا يكون إلا فى رضى اليد ، فال زهير . « فتعركم عرك الرضى بثقالها » ، والمعنى لجمع الإسلام قطب العلماء ورؤسهم ، وليت الحسود كان مداء لك فمرك الموت عرك الرضى فوق ثقالها أى ليت رضى الموت دارت على حاسدك وشانك .

(٥) نبيك : الاغياب أن تروره يوما وتقبه أى تقطع عنه يوما أو أياما ، ورفها : هو من ورود الأبل ورفها وهو أن ترد الماء كما شامت الوردود ، والمعنى : مهما انقطعا عن زيارتك لم ترتب فى ودنا ، وإن زرنالك رفها وفى كل وقت لم نسأم ولم تمل الزيارة .

فَازْهَبْ ذَهَابَ الْبُرِّ أَغْبَهُ الضَّنَى      وَالْأَنْبَى وَاقَتْ بَعْدَهُ الْآجَالَ <sup>(١)</sup>  
لَكَ صَالِحُ الْأَعْمَالِ إِذْ شِيعَتَهَا      بِالْبُرِّ سَاعَةً تُفْرَضُ الْأَعْمَالُ

حَيًّا حَيًّا مَثْوَاكَ، وَأَمْتَدَّتْ عَلَى      صَاحِي ثَرَاكَ - مِنَ النَّعِيمِ - ظِلَالُ <sup>(٢)</sup>  
وَإِذَا النَّسِيمُ أَعْتَلَّ فَأَعْتَامَتْ بِهِ      سَاعَاتِكَ الْغَدَوَاتُ وَالْآصَالُ <sup>(٣)</sup>  
وَلَنْ أَذَالَكَ - بَعْدَ طُولِ صِيَانَةٍ -      قَدَرٌ، فَكُلُّ مَصْنُونِهِ سِيْدَالُ <sup>(٤)</sup>

سَيَحُوطُ مَنْ خَلَقْتَهُ مُسْتَبْصِرٌ      فِي حِفْظِ مَا اسْتَحْفَظْتَهُ لَا يَأْلُو  
كَفَلَ الْوَزِيرُ «أَبُو الْوَلِيدِ» بِجَبْرِهٍ      ابْنُ الْوَزِيرِ - لِثُلْثِهَا - فَعَالَ  
مَلِكٌ سَجِيَّتُهُ الْوَفَاةُ فَالَهُ      بِالْعَهْدِ - فِي ذِي خُلَّةٍ - إِخْلَالُ  
حَتَمٌ عَلَيْهِ لَمَّا <sup>(٥)</sup> لِعَثْرَةِ حَالِهِمْ      قَدْ تَعَثَّرُ الْحَالَاتُ ثُمَّ تُثْقَلُ

إِيَّاهَا: بَنِي ذَكْوَانَ - إِنْ غَلَبَ الْأَسَى -      فَلَكُمْ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ مَالُ  
إِنْ كَانَ غَابَ الْبَدْرُ عَنْ سَاهُورِهِ      مِنْكُمْ وَفَارَقَ غَابَهُ الرَّبُّبَالُ <sup>(٦)</sup>

(١) اذهب على رغم منا ذهاب المافية جاء عقبها المرض ، والأمن وافى بعده الأجل .

(٢) الحيا : اللطف ، والمتوى ، القبر ، وضاحي ثراك : أى ثراك الصاحي أى البارز للشمس .

(٣) اعتامت : احتارت ، ومنه قول طرفة :

« أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المنتسد . »

والسمي : اعتامت أى اختارت العدوات والأصال ساحات القبر وآثرتها بمرور السيم العليل .  
(٤) أذاك : أهالك ، أى لئن انتهك القدر بعد طول صيانته ، فكل مصون لم تمتد إليه يد القدر

سيذال ويهان يوما من الأيام .

(٥) دعاء للعائر أن يقيمه الله من عثرته ، وإذا قيل « لالما للعائر » فعناه لا أقاله الله من عثرته .

قال ابن دريد :

« فان عثرت بعدما - إن وألت نفسى من هاتا - فقولا : « لالما »

وإن تكن مدتها موصولة بالحنف ، سلطت الأسى على الأسى . »

وقال الأخطل :

« فلا هدى الله قيسا - من ضلالتهم - ولا لما لبني ذكوان إذ عثروا . »

(٦) الساهور : دارة القبر ، والرببال : الأسد .

## في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله  
أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

أَعْرِفُكَ رَاحَ فِي عُرْفِ الرِّيَّاحِ ؟ فَهَزَّ مِنَ الْهُوَى عِطْفَ أَرْتِيَا حِي <sup>(١)</sup>  
وَذِكْرُكَ مَا تَعَرَّضَ أَمَّ عَذَابُ ؟ غَصِصْتُ عَلَيْهِ بِالْعَذْبِ الْقَرَّاحِ <sup>(٢)</sup>  
وَهَلْ أَنَا مِنْكَ فِي نَشْوَاتِ شَوْقٍ - هَفَّتْ بِالْعَقْلِ - أَوْ نَشْوَاتِ رَاحِ <sup>(٣)</sup>  
لَعَمْرُ هَوَاكِ مَا وَرَيْتَ زِنَادُ لَوْضِلٍ مِنْكَ طَالَ لَهَا أَقْتِدَا حِي <sup>(٤)</sup>  
وَكَمْ أَسَقَمْتُ - مِنْ قَلْبٍ صَحِيحٍ - بِسُقْمِ جُفُونِكَ الْمَرْضَى الصَّحَّاحِ

\* \* \*

مَتَى أَخِيفُ الْفَرَامَ يَصِفُهُ جِسْمِي بِالْسِنَةِ الضَّنَى الْخُرْسِ الْفِصَّاحِ <sup>(٥)</sup>  
فَلَوْ أَنَّ الثِّيَابَ فُحِصْنَ عَنِّي خَفَيْتُ خَفَاءَ خَصْرِكَ فِي الْوِشَاحِ

(١) العرف : بالفتح الرائحة الطيبة ، والعرف : بالضم واحد أعراف الرياح وهي أوائها وأطالها ،  
والعطف : الجاء وما تشبهه إذا عطف على شيء حنوا وإشماما ، وتحركه إذا هزتك أريحية ، والمعى :  
أمرتك وطبك سرى إلى أوائل الرياح التي هت مائحة من ناحيتك ، فنتى نحوك بمضاغة الهوى والارتياح .  
(٢) غصصت : كثرقت الماء وزنا ومعنى ، أو وثق في حلقة فلم يسسه ، والقروح : الماء الذي لم يحاطه  
غيره ، يقول : وهل ما تعرض ذكرك أم هذاب شرقت لأحله الماء المدب الذي لم تشبه شاة فلم أسعه ، وفي  
الأصل « وذكرك ما تعرض أم عداد »

(٣) نشوات : واحدها نشوة ، والنشوة تكون من الريح ومن السكر وهي من السكر أوائله ومقدماته ،  
وهفت بالعقل : ذهبت به ، يقال : هت الريح بالشيء فهو أي ذهبت به ، والمعى : هل أنا من أحل هواك ،  
وبسبب ذكرك ، في نشوات من ريح الشوق أو نشوات من سكر الراح أطارت عقلى وأذهبت لى .

(٤) أنعم بهواك إن حاول اقتداحي زناد الوصل لم يورناراً .

(٥) في الوقت الذي أخفى فيه عراى من العادلين بهم على تحول جسمي بالسنة للرض الخرساء المفصحة .



لَلْقَيْنَا مِنَ الْوَاشِينَ حَتَّى رَضِينَا الرُّسُلَ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ (١)  
وَرُبَّ ظَلَامٍ لَيْلٍ جَنِّ فَوْقِي فَنُبْتُ عَنِ الصَّبَاحِ إِلَى الصَّبَاحِ (٢)  
فَهَلْ عَدَّتِ الْعَقَافَ هُنَاكَ نَفْسِي - فَدَيْتُكَ - أَوْجَنَحْتُ إِلَى الْجُنَاحِ (٣)

\* \* \*

وَكَيْفَ أَلْجُ لَا يَنْبِي عِنَانِي رَشَادُ الْعَزَمِ عَنْ غَيِّ الْجِمَاحِ (٤)  
وَمِنْ سِرِّ ابْنِ « عَبَّادٍ » ذَلِيلٌ بِهِ بَانَ الْفَسَادُ مِنَ الصَّلَاحِ  
هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي بَرَّتْ فَسَرَّتْ خِلَالُ مِنْهُ طَاهِرَةُ النَّوَاحِي  
مُهَامُ خَطٍّ - بِالْهَمَمِ السَّوَامِي - مِنْ الْعَلِيَاءِ فِي الْخِطَطِ الْفِسَاحِ (٥)  
أَغْرُ إِذَا تَجَمَّهَمَ وَجْهُ دَهْرٍ تَبَلَّجَ فِيهِ كَالْقَمَرِ اللَّيَّاحِ (٦)

(١) لقد تعلمنا من الواشين حيلهم في الوقوف على مكتوم أسرارنا ، حتى أصبحنا نفع بأن تكون أنفاس الرياح يريداً يحمل عنا رسائل الحب والغرام ، وقد أبدع ابن الرومي حيث يقول :

« أحسبكم لي نحوكم من تحية أهلها هات كل حوب  
فلا تتركوا رد السلام إذا حرت شمال على نائي المحل غريب . »

(٢) كثيراً ما أرخى الليل علينا سدوله ، فبت في ظلامه عن الصباح إلى أن أسفر الصباح وقرب من هذا قول أبي تمام :

« رحن والليل قد أقام رواقاً فأقن الصباح به صموداً . »

(٣) لم تعد نفسي في تلك الليلة التي نعمت فيها بالحبيب حدود العفاف ، ولم تمل إلى ارتكاب ما يخالف طبيعة الحب البريء مما فيه إثم علينا وحاح ، وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز :

« كم قد خلوت بها وثالثنا التقى يحسب على العطشان برد المورد . »

(٤) في هذا البيت والذي بعده تخلص من اللذيق إلى المدح حيث يقول : كيف أُلج في الهوى ، وأتمادي في الهوى ، ولا يثنى عان جامي اعتزاي الرشيد ، في حال أن لي من سر « ابن عباد » وقوة نفسه دليل عرفت به الرشيد من الهوى ، والصلاح من الفساد .

(٥) خط : اختط الأرض وهو أن يسلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها لبيها ، والخطط : جمع خطه بكسر أولهما ، وهي الأرض التي يختطها لنفسه لبيها عليها .

(٦) اللياح : بكسر وفتح أوله الأبيض اللؤلؤ

سَمِيعُ النَّصْرِ لِاسْتِعْدَاءِ جَارٍ  
صَرَائِبُ جَهْمَةٍ - فِي الْقَتَبِ - تُتْلَى  
إِذَا أَرَجَ الشَّاهُ الرُّوْعُ مِنْهَا  
هُوَ الْمُبْقَى مُلُوكَ الْأَرْضِ تَذْنَى  
رَأَاهُ اللَّهُ أَجْوَدَ بِالْعَطَايَا  
وَأَفْرَسَ لِلْمَنَابِرِ وَالْمَذَاكِي  
وَأَمْتَعَهُمْ حِمَى عَرَضٍ مَصُونٍ  
فَرَّاضَ لَهُ الْوَرَى حَتَّى تَأْدَّتْ  
« لِمُعْتَصِدٍ » بِهِ أَرْضَاهُ سَفِيًّا  
فَنَ قَاسَ الْمُلُوكَ إِلَيْهِ جَهْلًا  
أَصَمُّ الْجُودِ عَنْ تَقْنِيدِ لَاحٍ<sup>(١)</sup>  
بِأَخْلَاقٍ لَدَى الْعُتْبَى مِلَاحٍ<sup>(٢)</sup>  
فَكَمَنَّ لِلْمِسْكِ عَنْهُ مِنْ أَفْتِضَاحٍ  
قُلُوبُهُمْ كَأَفْوَاهِ الْجِرَاحِ  
وَأَطْمَنَّ بِالْمَكَايِدِ وَالرَّوْمَاحِ  
وَأَبْنَى فِي الْبُرُودِ وَفِي السَّلَاحِ<sup>(٣)</sup>  
وَأَوْسَعَهُمْ ذُرًّا مَالٍ مُبَاحٍ  
إِلَيْهِ إِتَاوُهُ الْحَيَّ الْقَافَاحِ<sup>(٤)</sup>  
فَأَقْبَلَ وَجْهَهُ وَجْهَ الْفَلَاحِ<sup>(٥)</sup>  
كَمَنَّ قَاسَ النُّجُومَ إِلَى بَرَّاحٍ<sup>(٦)</sup>

(١) الاستعداد : الاستعانة وطلب المساعدة ، والتنفيد : اللوم وتصفيف الرأي ، ولاح : اسم فاعل من لحاه يلحاه إذا لامه وعده .

(٢) صرائب : سحايا وطرائع جمع ضريبة ، وجهمة : عابسة من جهمة إذا استقله بوجهه كريحه ، والعتى : الرجوع إلى ما يرضى العاتب . وفي التل « لك العتبي ولا أعود » أى لك منى أن أعتبك أى أركبك ولا أعود إلى ما يسطك .

(٣) أفرس : أفعل تفصيل من المراسية بالفتح والعروسة والعروسية وهى الحدق يركوب الخيل ، وفى التل : أفرس من ملاعب الأسرة ، وأفرس من طائر ، وأفرس من بظام ، والمذاكي : الخيل التى أتى عليها بعد تمام السن أى - بلوغها النجاة فى الشاب - سنة أو سنتان ، والمعنى أنه أحذق الملوك باعتلاء المناير وركوب الخيل وأبهرهم لسانا ولبوسا فى السلم والحرب .

(٤) الإتاوة : الحراج وكل ما أخذ مكره أو فرض من أموال الجباية ، والحى القافح : فى اللسان قوم لقاح وحى لقاح لم يديبوا للولوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجاهلية ساء أنشد ابن الأعرابي :

« لعمر أليك والأبناء تسمى لنعم الحى فى الحسلى رباح

أبوا دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا .»

(٥) أقبل وجهه : من قولهم أقبلته الشيء أى جعلته على قبائله وجهته والمعنى أن سكان الحواضر والبادى دانوا بالطاعة « لمعتصد » بالله أرضت مولاه مساعيه فأقبل الله وجهه وجه الفلاح أى جعل وجهه يستقبل جهة الفلاح : (٦) إلى أرض ظاهرة

## وَمُعْتَقِدُ الرِّيَاسَةِ فِي سِوَاهُ كَمُعْتَقِدِ النُّبُوَّةِ فِي سَجَّاحٍ (١)

(١) هي «سجّاح» بنت الحرث بن سويد بن عقيل التميمية، وكانت تسكن الجزيرة في أخوالها من بني تملب، فادعت الثورة وخرجات غزو المدينة في عهد «أبي بكر» رضي الله عنه، وحررت بينها وبين مسلمي قوماً - من بني تميم - حروب انتهت فحزها مما اعتزمت من الذهاب إلى المدينة لنزوها، فاقبلت إلى الحيماء وتقابلت مع مسيلة، ثم رجعت إلى موطنها من بلاد الحزيرة وبقيت في أخوالها - من بني تملب - إلى أن قتلهم «معاوية» عام الحجابة : وحادث معهم فاسلموا وأسلمت وحسن إسلامهم .

### حروب الردة وقصة سجّاح ومسيلة

وقد كتب المؤرخ «دوري» كلمة متممة عن «سجّاح» ر «مسيلة» وعن حروب الردة في كتابه القيم : «تاريخ الاسلام» وقد نشرنا بعض فصوله في كتاب «مختارات كامل كيلاني» ، ونحن نخترى منه بما يلي : كان الوقت تصيباً ، وكان الظروف غاية في الحرج ، فقد كان موت النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي كانت تترقبه العرب منذ زمن طويل فارغ الصبر - مؤدباً بالثورة في كل مكان ، ولقد كنت ترى الثائرين - في حثما ذهبت - راغبين تلم الثورة والتمرد ، وقد رحلت كعقمت أيماء رحبان حتى لقد طردوا ولاتهم من بلادهم ، ولم يجد هؤلاء أمهاتهم ملجأ إلا المدينة ، فتقاطروا عليها من كل فج يحتمون فيها من أذاهم . وكان لا يمر يوم حتى يفد على المدينة بعض الولاة والعمال المطرودين ، وأعدت القمائل الخائرة للمدينة عتبا لحصارها .

فكيف يقاومهم «أبو بكر» وليس لديه جيش محاربهم به بعد أن أرسل جيشه إلى سوريا لفتحها تنعيذاً لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - رعم هبة المسلمين الذين رأوا خطورة الحال ، فقد أخوا عليه أن يعدل عن تعيد فكرة العتج حيثئذ ، فقال لهم : «إن أخالف ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولو أصحبت المدينة معها هباً للثائرين والمتردين ولابد لي من تحقيق مشيئته !»

ومن ثم ترى الخطر العظيم دايماً على أنه - على الحقيقة - خطر أقل مما تدل عليه ظواهره ، فإن قوة الحضم الحقيقية لا تنفاس مما لديه من عتة ورجال بل مما عتده من قوة معنوية ، وبما يصبو إلى تحقيقه من غاية سامية يتطلع إليها ويحوص عمار الحرب من أهلها بأذلا في سبيلها النفس والعيس .

فأما ما يلقى يسمى إليها الثائرون ؟ وأى حار يدعهم إلى إضرام هذه الحرب ؟ أهو إيمان وثيق متوشح في أعماق المويهم كما عساهم الذي كانوا عليه قل العنة ؟ لو كان ذلك لما كان ثمة شك في انتصارهم الحاسم !

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فأنهم لا يحاربون الآن لينصروا دينهم القديم ويؤيدوه ، بل هم يشودون على دينهم الجديد لأنهم لا يطيعون احتمالاً .

وليس هذا بالنسب القوي الذي يلهب حماسهم ويغفرهم إلى الاتيان بمجالات الأعمال ، ولا هو بالنسب الذي يخلق البطولة والأقبال ، فقد كان رؤساء القبائل المتردة أنفسهم شاعرين كل الشعور بصعف قوتهم المعنوية ، ملجأ بعضهم إلى فكرة سحيفة حسوا أنها تعيد إليهم تلك القوة ، فادعوا النبوة ! وخيل إليهم أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم ينصح إلا بهذه الفكرة فأرادوا تقليده .

ولكنهم نسوا أمراً واحداً - هو سر نجاحه في بث دعوته - ذلك أنه كان مؤمناً بما يدع إليه إيماناً للمستيقن الجازم . وهذا هو الذي يوزمهم ويبره لايتهم نجاح .

## أُبْجَزَ الْجُودِ - فِي يَوْمِ الْمُطَايَا - وَلَيْتَ النَّاسِ فِي يَوْمِ الْكَفَاكِحِ

وكانت تلك الثورة الهائلة وتلك الحرب الشمواء - على ما أريق فيها من دماء غزيرة إذا قورنت بما أناه المسلمون في غزواتهم التي عز بها الاسلام - ظاهرة سحيمة ممسكة ، يتمثل فيها الانسان - غير قصد - كيف قلبوا تمثيل هذه الرواية الجدية - التي مثلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه - مهرة وعينا ؟ ألا ترى إلى مسيلة لدى مثل دور النبي صلى الله عليه وسلم في البيامة ؟ ألا ترى إلى ذلك الدخال السوقي النعس ، ذلك المشعوذ السمح الذي لا يصلح لمير التدجيل وإدخال بيصة في زجاجة ضيقة العوكة ؟ ألا ترى إليه ينشئ ، قرأما سحيفا يقلد به عمداً - صلى الله عليه وسلم - ثم يرخس لأتباعه في شرب الخمر أنى شاءوا ، ولا يكاد يبشر دعوته حتى يصادفه سوء الحظ فتحاصره « سجاح » وتنازعه الدوة ؟

أما « سجاح » هذه وقد كاث مسيحية نشأت في « بلاد النهرين » وجاءت تبث الدعوة لعمها - على رأس جيش عظيم فنادا بصبح مسيلة ؟ ليس أمامه إلا أن يلجأ إلى طريق المسالة - وقد فعل - فأرسل إليها هدايا فاخرة ودعاها إلى زواجه ، وطال بينهما الحوار .

ولما عادت « سجاح » إلى قومها سألوها عن رأيها في « مسيلة » فقال لهم - :  
« لقد رأيته نبيا حقا فتزوجت منه ! »  
سألها التيبون - : « هل أهدى إلينا شيئا من مهر الرواح ؟ » فقالت : « لا » فقالوا لها - :  
« طار علينا أن نزوج بنتنا بلامهر ! ولن تقبل ذلك بحال ما ! »  
فأرسلت إليه بذلك - وكان « مسيلة » حائما متحصنا - فلما حاه الرسول لم يأذن له حتى عرف العرض الذي حاه من أحله فاضمأ إليه وول له :  
« عد إلى قومك فأخبرهم أن « مسيلة بن حبيب » رسول الله قد رفع عن التيبين - من الصلوات الحسن - صلاة الصبح والعشاء »  
ولقد فرح التيبون بذلك وظلوا يدعونه حتى بعد أن عادوا إلى الاسلام من حديد .

ومن ثم ترى أن هؤلاء الثائرين ليس لهم عتيدة جدية يدافعون عنها ، فلاغرو إذا قهرهم رجل كأبي بكر وثيق الأعداء قوى الإرادة صلب العزيمة لا يعرف هزيمة في إرغام أنومهم ولا رحمة ! ولو شاء أبو بكر أن يبادم لنارهم لم من قبيل من مطالبه فكسب بذلك مساعدة كثير من القبائل - أو ممن حياهم على الأقل - فقد وعدوه بالواطبة على إمامة الصلاة المفروضة عليهم على شريعة أن يصعبهم من إيتاء الزكاة ، وبندح أعيان المسلمين أن يقبل ذلك منهم فرفض رأيهم بأباه شديد ، وقال لهم :  
« إن الاسلام قانون واحد لا يتجزأ ، وليس لأحد أن يأخذ ببعضه ويرفض البعض الآخر . »  
وتدكان هذا الاصرار الحارم وذلك الحق الشديد - على أهل الردة - سببا في منحه قوة أكثر مما تصور .

ولم يكذب ينهي من إخصاص القبائل المجاورة له حتى بدأ يهاجمه « طليحة » الذي كان بطلا من قبل وقد جاءه من بني كلاب فدخل المعركة فظل يرقب الحرب - وهو بعيد عن الميدان - مدثرا في عباءته

لَقَدْ سَفَرْتَ بِمِلَّتِكَ اللَّيَالِي لَنَا عَنْ وَجْهِ حَادِثَةٍ وَقَاحٍ<sup>(١)</sup>

كأنما يؤمل أن ينزل وحى من السماء أو يتحدث معصرة خارقة ، وقد لبث زمناً طويلاً ثم وقعت المعجزة - إذ بدأت تنهرم قبيلته أشنع انهزام - وحينئذ صاح في جنده « اخذوا حذوى إن استطعتم . » ثم امتطى جواده وأطلق له العنان وأمن في فراره .

وكانت تلك المعركة التي اصطلاها المسلمون معركة مروعة هائلة ، وفي الحق أن الدماء التي أريقت في هذه الحرب كانت أكثر مما أريق في تلك الحروب العاتقة التي نشبت - فيما بعد - بين المسلمين والفرس ، ثم بين المسلمين والامبراطورية الرومانية ، وقد اقترب العرب من القطائع في هذه الحرب « حرب الردة » شتغاً لم يعرفها الاسلام قط . دكأوا إذا انهزم العدو تعقبوه ونكأوا به . لأن الردة حراؤها القتل ، لاهوادة في ذلك ولا رحمة ، وقد بمت أبو بكر إلى خالد يأمره بقوله : « عليك ببادة الكفر بالحديد والبار ، ولا تأخذك رحمة بهم قط »

ولقد انهزم أصحاب « مسيلة » - وكان عددهم زهاء عشرة آلاف مقاتل - ومرتفعهم المسلمون شرّ مرتق ، وغرقت بلاد العرب كلها في الدماء ١

ولكن الاسلام قد خرج من تلك المأرك - الناصبة في كل مكان - مؤبداً منصوراً ، ودان به العرب بعد ذلك . - طوعاً أو كرهاً - فقد انقهرهم حذلاهم بوجوب الاعتراف بالدين الاسلامي ، إن لم يكن اعتراف المستيقن المؤمن باعتراف الحائب الذي يعرف قوة هذا الدين العظيمة التي لا تحدى معها أية مقاومة .

### بعد النصر

ولم يكد يتم انتصار أبي بكر حتى وحه هؤلاء البدو الناصبين إلى الدماء ، إلى مهاجمة فارس والامبراطورية الرومانية ، وهذا العمل - عند من ينظر إلى ظواهر الأمور وحدها - حراً وتهوراً ، ولكنه - على الحقيقة - درانة وتغلل .

ولأنما سار أبو بكر في هذا على خطة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يتبعها ، وهي أن يشل العرب عن التكبير في خصومهم ولا يدع لهم وقتاً كافياً لذلك ، وقد رأى أن خير ما يربطهم بالاسلام لا يكون إلا عن طريق الفتح والانتصارات الحربية وما يجره ذلك من النائم .

وهكذا انتهت حروب الردة ولم تقم المرتدين بعدها قائمة ، وقد كان عقاب الردة اقل ، ومن هنا تظاهر الناس بالاسلام ووقفوا عند هذا الحد .

ومحن - إذا استثنينا صفوة المسلمين ونوابهم المؤلفة من المهاجرين والأنصار وبعض من يمتحن إليهم بسبب - لم نجد بعد ذلك من يعرف القرآن تعاليمه إلا عدداً غاية في القلة . أما العرب الذين استوطنوا أفريقيا فقد ظلوا - حتى بعد مضي قرن من الهجرة - لا يعرفون من الاسلام أكثر من أنه دين أنى بتحريم الخمر . أما أولئك الذين استوطنوا مصر فأنهم ما تحدثوا عن الاسلام أو شملوا به أنفسهم قط . وكانوا لا يدكرون إلا أيام الوثنية وعبودها العظيمة بالشاء والحنين .

(١) وقاح : صلبة الوجه لحياء فيها ، يقال رجل وقيح الوجه ووقاح الوجه صلبه لحياء فيه ، والأني وقاح بنير هاه

الَسْتُ مُصِحَّهَا مِنْ كُلِّ دَاةٍ ؟ وَمُبْدِي حُسْنِ أَوْجُهِهَا الصَّبَاحُ  
وَلَوْ كَشَفْتَ - عَنِ الصَّفَحَاتِ - شَامَتِ بُرُوقَ الْمَوْتِ مِنْ بِيضِ الصَّفَاحِ (١)

\* \*

وَقَاكَ اللَّهُ مَا تَخْتَنِي وَوَالِي عَلَيْكَ بِصُنْعِهِ الْمُغْدَى الْمَرَّاحِ (٢)  
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ سَوَّغَتْهَا تَجَارَتَهَا الْمِلَّةُ بِالرَّيَاحِ  
تَجَافَيْنَا عَيْدَكَ عَنْ نَفُوسِ - عَلَيْكَ مِنَ الضَّنَى - حَرَى شِحَاحِ (٣)  
يَهْنَأُ فِيكَ بِالْبُرْءِ الْمَوْقِ وَتُبْهِجُ مِنْكَ بِالْأَلَمِ الْمَزَاحِ

\* \*

فَدَيْتَكَ كَمْ لِعَيْنِي مِنْ سُمُورٍ - لَدَيْكَ - وَكَمْ لِنَفْسِي مِنْ طَمَاحِ  
أَلَا هَلْ جَاءَ مَنْ فَارَقْتُ أَنِّي بِسَاحَاتِ الْمُنَى رَفُلُ الْمَرَّاحِ (٤)  
وَأَنَّى - مِنْ ظِلَالِكَ - فِي زَمَانٍ نَدَى الْأَصَالِ رَفْرَاقِ الضَّوَاحِ  
تُحْيِيَنِي بِرِيحَانِ التَّحْنِ وَتُصْبِحُنِي مُعْتَقَةُ السَّمَاحِ (٥)  
فَهَا أَنَا قَدْ تَمَلْتُ مِنَ الْأَيَادِي إِذِ اتَّصَلَ اغْتِبَاقِي فِي أَصْطِلَاحِي

(١) لو كسفت هذه الليالي ، وأبدت عن صمعة الشر والعداء لسانت سيوف بأس المدوح  
تلعب ببروق موت وهلاك تلك الليالي التي فاحتنا عمره ، بعد أن أحبها من كل داء وحلج عليها  
من الرواء والحسن أبهى رداء .

(٢) وقاك الله ما تخنني من عارس المرض وعصك من كل محدود ومخوف ، وتمهدك بحبل صنعه الممدى  
للمراح أي الذي يجعله يسدو عليك في أول النهار ، ويروح في آخره ، فلا يصك صنيعه ، ولا يتخلف  
عك إحسانه .

(٣) الصى : السقم ، وحرى : عطشى ، وشحاح : جمع شحيحة من الشح وهو البهل .

(٤) الرذل : جر الدبل وركضه بالرجل ، يقول : ألا هل أنى من فارت من تبيان « قرطبة » أنى  
أجر ذيل مريح وأرذل في ثياب النعمة ، غضادة العث

(٥) التحو : الحماوة ، وال

فَإِنْ أَعْجَزَ فَإِنَّ النُّصْحَ تَقَفَ وَإِنْ أَشْكُرَ فَإِنَّ الشُّكْرَ صَاحَ  
لِمَا كَسَبْتَ قَدَرِي مِنْ سَعَاءٍ وَمَا لَقِيتَ سَعْيِي مِنْ نَجَاحٍ

\* \*

لَقَدْ أَنْفَذْتَ - فِي الْأَمَالِ - حُكْمِي وَاجْرَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى اقْتِرَاحِي  
وَهَلْ أَخْشَى وَفُوعًا - دُونَ حَظِّي - إِذَا مَا أَثَّ رِيْشُكَ مِنْ جَنَاحِي  
فَمَا أَسْتَسْقِيتُ مِنْ غَيْمٍ جَهَامٍ وَلَا أَسْتَرْوِيْتُ مِنْ زَنْدٍ شِحَاحٍ  
وَوَاصَ - لَمَنِي جَمِيلُكَ - فِي مَعْيِي - وَطَالَعَنِي نَدَاكَ مَعَ انْتِرَاحِي  
وَلَمْ أَنْفَكْ - إِذْ عَدَّتِ الْعَوَادِي - إِلَيْكَ رَهَّيْنَ شَوْقٍ وَالتِّيَاحِ  
فَحَسْبِي أَنْتَ - مِنْ مُسَدِّدٍ لِنُعْمَى - وَحَسْبُكَ بِي بِشُكْرٍ وَأَمْتِدَاحِ

## هدية تفاح

« وأهدى إليه تفاحا وأراد أن يكتب معه قطعة ،

فدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها . »

دُونَكَ الرَّاحَ جَامِدَةً وَفَدَّتْ خَيْرَ وَافِدَةٍ  
وَجَدْتَ سُوقَ ذَوْبِهَا - عِنْدَ تَقْوَاكَ - كَاسِدَةٍ  
فَاسْتَحَالَتْ إِلَى الْجُمُودِ دِ وَجَاءَتْ مُكَايِدَةٍ

والقطعة التي بعثت هي هذه

جَاءَتْكَ وَافِدَةُ الشُّمُولِ فِي الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ  
لَمْ تَحْظَ ذَائِبَةً لَدَيْكَ وَلَمْ تَنْلِ حَظَّ الْقُبُولِ

فَتَجَامَدَتْ مُحْتَالَةً وَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا الْحَوِيلَ<sup>(١)</sup>  
لَوْ لَا انْقِلَابُ الْعَيْنِ سُدَّتْ دُونَ بُعَيْتِهَا السَّبِيلَ<sup>(٢)</sup>  
لَهَجَرَتْهَا صَفَرَاءُ فِي بَيْضَاءَ هَاجِرُهَا قَلِيلُ  
الْكَأْسُ مِنْ رَأْدِ الضُّحَى وَالرَّاحُ مِنْ طَفْلِ الْأَصِيلِ  
آثَرَتْ عَائِدَةَ الثُّقَى وَرَغِبَتْ فِي الْأَجْرِ الْجَزِيلِ  
يَأْتِيهَا الْمَلِكُ الَّذِي<sup>✱</sup> مَا فِي الْمُلُوكِ لَهُ عَدِيلُ  
يَا مَاءَ مَزْنٍ ، يَا شَهْمَا بَ دُجْنَةٍ<sup>(٣)</sup> ، يَا لَيْتَ غَيْلِ  
يَا مَنْ عَجِبْنَا أَنْ يَجُوءَ دَ بِمِثْلِهِ الرِّمْنُ الْبَخِيلِ  
بُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٌ فِي ظِلِّ إِقْبَالِ ظَلِيلِ  
رَقَّتْ كَمَا سَالَ الْعِذَا رُ بِجَانِبِ الْخَدِّ الْأَسِيلِ  
وَتَأَوَّدَتْ كَالْغُضَنِ قَا بَلْ عِطْفُهُ نَفْسُ الْقَبُولِ<sup>(٤)</sup>  
يُضِي مَقْبَلُهَا الشَّهْيُ وَلَحْظُهَا السَّاجِي الْعَلِيلِ  
فَتَمَلَّهَا<sup>(٥)</sup> فِي الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ وَالْعُمُرِ الطَّوِيلِ

(١) الحويل : الحيلة ، يقال : احتال احتيالا وحولا وحيلة وحويلا ومحالة ، قال دؤاد يعانف زوجة :

« حاولت - حين صرمتي - والمراء - بعد - حر لا الحاله  
والدمر يلبث نال - حتى - والدمر أروع من ثماله  
والمراء يكسب ماله بالشح ، يورثه الكلاله . »

في المثل المشهور : « المراء يعجز لا المحالة » أو « لا محالة » في رواية أخرى ، أي لا تنصق محارج الأمور  
إلا على الماهر الذي لا يعرف وحوه الحيل . ويقال : احتال وتحيل وتحول ، قال أبو العلاء :  
« لا يعجبك خبايب - فام في ملا مخطبة - ذات معناها وطولها  
فا المظلات - وإن راع - سوى حيل من ذي مقال على ناس تحولها . »

(٢) يقول : لولا انقلاب عينها من ذائبة إلى حامدة لست دون ما تبيه من إهداء نفسها إليك السبيل  
لأنك لا تبيع لها أن تزور مجلسك وهي دائبة . (٣) يقال يوم دحنة ، والدحنة : الطلعة والقيم المطبق  
الريان المظلم لا يظهر فيه . يقول : إنك نور تبدد الدياحي والطلعات .

(٤) القول : ربح العسا ، قالوا وذلك لأنها تقابل الدبور . (٥) إنعم بها .



## شكر على زيارة

« قال يشكر المعتمد على الله أبا القاسم محمد  
ابن المعتض بالله عباد بن محمد بن عباد ، وقد  
شرفه بالعبادة في بعض علاله . »

لَسْتُ بِالْجَاحِدِ آلاءَ الْعِلَلِ كَمْ لَهَا مِنْ أَلَمٍ يُدْنِي الْأَمَلِ  
أَجْتَلِي - مِنْ أَجْلِهَا - بَذَرَ الْعَلَا مُشْرِقًا فِي مَنَزِلِي حِينَ كَمَلِ  
حُلَّةِ الْبَسِّ عَيْنِي فَخَرَهَا فَأَعْتَدْتُ تَرْفُلُ فِي أَبْهَى الْحُلَلِ  
رَفَّ بِشَرِّ الْأَفْقِ فِي عَيْنِي لَهَا لَا لِأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ فِي الْحَمَلِ (١)  
مَا أَتَالِي مِنْ زَمَانٍ بَعْدَهَا - إِذْ أَصَحَّ النَّفْسَ - إِنْ جَسَنِي أَعْلَ (٢)

أَيُّهَا الْمَوْلَى لَقَدْ مُحَلْتُ مَا لَمْ يَدْعُ فِي وَسْعِ عَبْدٍ مُحْتَمَلِ  
وَضَحَّ الطُّوقُ الَّذِي حَلَّيْتَنِي قَرَاءَتُهُ نَفُوسٌ لَا مَقْلَ (٣)  
أَنَا لَوْ طُوِّقْتُ مِنْهُ بَدَلًا أَنْجَمَ الْجُوزَاءُ لَمْ أَرْضَ الْبَدَلِ  
كَمْ مَرَادِي - مِنْ نَعْمَائِكُمْ - وَارِفِ الظِّلِّ وَكَمْ وَرِدِ عِلَلِ (٤)  
لَا تَزَلْ دَوْلَتُكُمْ مَبْسُوطَةً بَسْطَةً فِي طَيْهَا قَبْضُ الدُّوَلِ  
وَرَأَى الْمُتَضَيِّدُ الْمَنْصُورُ مَا أَنْبَأَتْهُ فِيكَ لَيْتَ أَوْ لَعَلَّ  
فَسَتَلْقَاهُ اللَّيَالِي طَلْقَةً بِتَفَارِيقِ أَمَانِيهِ جَمَلِ (٥)

(١) الحمل : برج في السماء من البروج الربيعية ، يقول إن الأفق أشرق بنوره وازدان بيهاته لايهاه الشمس التي حلت في برج الحمل .

(٢) يقول : لا أتالي بعد أن صحت بمسى بزيارته وتشريفه منزلي إن أرض الدهر حسمي .

(٣) يقول : إن إحسانك الذي طوِّقت به عني قد وصح للنفوس لا للعيون . وفي الأصل : تمامته من مأى في الشيء يمأى مأيا بالغ وتماهى الخلد إذا مددته ، وقد سبق له هذا المأى في قوله :

« يا هلالا تترادا • نفوس لاعيين . » انظر صفحة ٣٩ .

(٤) العلل : الشرب الثاني ويقال علل بعد نهل أى شرب ثان بعد شرب أول أى أنه يورث حياض كرمه مرة بعد أخرى . (٥) أى سينبئ الدهر جملة أمانيه المنفرقة فلا يدع منها شيئا إلا حققه له .

## تهنئة

« وقال يهيه أيده الله بقدم وإبلال » .

أَقْدَمَ كَمَا قَدِمَ الرَّيِّسُ الْبَاكِرُ      وَأَطْلَعَ كَمَا طَلَعَ الصَّبَاحُ الزَّاهِرُ  
قَسَمًا لَقَدْ وَفَى الْمُنَى وَتَقَى الْأَسَى      مَنْ أَقْدَمَ الْبَشْرَى بِأَنْكَ صَادِرُ  
لَيْسَرَ مُكْتَنَبٌ وَيُنْفَى سَاهِرُ      وَيَرَّاحُ مُرْتَقِبٌ وَيُوفَى نَاذِرُ  
قَفْلٌ وَإِبْلَالٌ - عَقِيبٌ مُطِيفَةٌ -      غَشِيَتْ كَمَا غَشَى السَّبِيلَ الْعَابِرُ<sup>(١)</sup>  
إِنْ أَعْنَتِ الْجَنَمُ الْمَكْرَمَ وَغَكَمَهَا      فَلَرُبَّمَا وَعِكَ الْهَزَبُ الْخَادِرُ<sup>(٢)</sup>  
مَا كَانَ إِلَّا كَانْجِلَاءَ غِيَابَةٍ      لَيْسَ الْفِرَندَبَا الْحُسَامُ الْبَاتِرُ<sup>(٣)</sup>  
فَلْتَعُدُّ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ وَذَابُهَا      شُكْرٌ يُجَاذِبُهُ الْخَطِيبُ الشَّاعِرُ  
إِنْ كَانَ أَسْعَدَ مِنْ وَصُولِكَ طَالِعُ      فَكَذَلِكَ أَيْمَنَ مِنْ قُفُولِكَ<sup>(٤)</sup> طَائِرُ  
أَضْحَى الزَّمَانُ نَهَارُهُ كَافُورَةٌ      وَاللَّيْلُ سِكَ - مِنْ خِلَالِكَ - عَاطِرُ  
قَدْ كَانَ هَجَرِي الشَّعْرَ قَبْلُ صَرِيعةً<sup>(٥)</sup>      حَذَرِي لِذَلِكَ النَّقْدِ فِيهَا عَازِرُ  
حَتَّى إِذَا آنَسْتُ أَوْبَكَ بَارِتًا      صَفَتِ الْقَرِيحَةُ وَأُسْتَنَارَ الْخَاطِرُ<sup>(٦)</sup>  
عَى قَلْبَتِ إِلَى الْبَلَاغَةِ عِيَّةُ      لَوْلَا ثِقَاكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ سَاحِرُ<sup>(٧)</sup>  
لَفَتَحْتَ ذَهْنِي ، فَأَجْنُ غَضَّ عِمَارِهِ      فَالْحَلُّ يُحْزِرُ مُجَنَّنَاهُ الْآبِرُ<sup>(٨)</sup>

(١) يقول : قدوم من السر ، وإبلال من المرض عقيب علة أطاف بك وعشيتك عشياك طار سابل .  
(٢) الويك : الحمى أو ألمها والموعوك الخموم ، والخادر : العائر الكلال ، والأسد الخادر : القيم في خدره أي الذي لم يربنه . (٣) يقول : لم يكن المرض إلا فترة عاد بعدها الحسام إلى حلاله وروقه .  
(٤) رحوك . (٥) الصرعية : المزعة ، يقال : « هو رحل ذو صرعية وصرام » أي ذو عزيمة ، يقول : إنني محرت قبل قدومك الشعر هجرا صارما فاطما ، وعدري في ذلك واضح وهو ما كنت أحدره من ذلك البعد الذي يتعرض له شعري ، أما الآن فقد صعدت القرية لأوبك بارنا . (٦) يقول كست اعترمت هجرا بشعر حتى إذ آس حاطري بإبائك من سمرك صعت قريحتي وشعد فكري ففتحت أمانى طرق الشعر .  
(٧) يقول لك ألهمت العبي بالبيان فعاد بليما ولولا أمك تقي لانهمتك بالسحر في ذلك . وفي الأصل : « عي رددت إلى اللافة هيه . »  
(٨) يقال لفح النخلة وألفحها وألفح الفحل الباقة أحبلها ، وألقت الرخ الشجر والسحاب أحملتها ، والواقع من الرياح : التي تحمل الندى ثم تمجبه في السحاب فإذا اجتمع في السحاب صار مطرا ، يقول لك : لفت ذهني - كما يلفح الزارع النخلة - فأتى بأحسن الثمر وأشبه ، فأنت أبقى باجتهاء الفرل أنك فارسه ومتعهده .

(٨) يقال لفح النخلة وألفحها وألفح الفحل الباقة أحبلها ، وألقت الرخ الشجر والسحاب أحملتها ، والواقع من الرياح : التي تحمل الندى ثم تمجبه في السحاب فإذا اجتمع في السحاب صار مطرا ، يقول لك : لفت ذهني - كما يلفح الزارع النخلة - فأتى بأحسن الثمر وأشبه ، فأنت أبقى باجتهاء الفرل أنك فارسه ومتعهده .

كَمْ قَدْ شَكَرْتُكَ غِيبَ ذِكْرِكَ - فَأَنْتَشِي مُتَذَكِّرٌ مِثِّي وَغَرَدَ شَاكِرٌ <sup>(١)</sup>  
 بِأَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي عَلَيَاؤُهُ \* \* \* مِثْلُهُ - تَنَاقَلُهُ اللَّيَالِي - سَاطِرٌ  
 يَا مَنْ لَبِزَ الْبَشَرَ مِنْهُ تَهْلُلُ مَا سِيمَ إِلَّا أَنْهَلَ جُودُ هَامِرٌ  
 أَنْتَ ابْنُ مَنْ بَعَدَ الْمُلُوكَ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْمَجْدِ عَيْنٌ فَهُوَ مِنْهَا نَاطِرٌ  
 مَلِكٌ أَغْرَأَ أَرْذَانَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَأَعَزَّ دِينَ اللَّهِ مِنْهُ نَاصِرٌ  
 أَبْنَاكَ فِي ثَبَجِ الْمَجْرَةِ قُبَّةٌ فَهَنَّاكَ أَنْكَ لِلنَّجُومِ مُخَاصِرٌ <sup>(٢)</sup>  
 وَتَلَقَّ - مِنْ سِتْمَتِكَ - صِدْقَ تَقَاوُلِي فَهَمَّا « الْمُوَيْدُ » بِالْإِلَهِ « الظَّافِرُ » <sup>(٣)</sup>

### ابتداء قصيد

« وقال ابتداء قصيد اعتقد إنفاذه إليه وقد طالت  
 غيبته في بعض أسفاره ولم يكلمه . »

سَأَهْدِي النَّفْسَ فِي نَفْسِ الشَّمَالِ فَقَدْ لَقِحَ التَّشْوِيقُ عَنْ خِيَالِ  
 إِلَى الشَّيْنِ الْعَرَّائِمِ - إِنْ أَثِيرَتْ حَفِيزَتُهُ - إِلَى اللَّذَنِ الْخِلَالِ <sup>(٤)</sup>  
 إِلَى الْوَضَّاحِ آثَارَ الْمَسَاعِي إِلَى التَّفَّاحِ أَخْبَارَ الْمَعَالِي  
 إِلَى مَلِكٍ هُوَ الْمَعْنَى الْمُجَلَّى بِهِ الْإِشْكَالُ مِنْ لَفْظِ الْكَمَالِ  
 إِلَى مَنْ لَا مِثْلَ لَهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي السَّرْجِ أَوْ فَوْقَ الْمِثَالِ  
 هَدِيَّةٌ مِنْ - لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ سَنَى مَنَاهُ - هَدَى إِلَيْكَ سُرَى الْخِيَالِ  
 فَكَمْ بَوَّأْتَنِي سَاعَاتٍ نَعْمَى عَذَابِ الْوَرْدِ وَارِفَةِ الظَّلَالِ

(١) يقول ما شكرتك عقب ذكراك لإلا تملك من نشوة المرح وغرود بالثناء عليك . وفي الأصل :  
 « وعربد شاكر . » (٢) تيج المجرة وسطها أو أعلام مكان فيها ، وتخاصر : أي تمشي إلى جنبها ،  
 يقول : « لقد بي لك أبوك قبة فذروة المحرة فهبتنا لك هذا المقام الربيع الذي تحاصر فيه الجوم وعليناها . »  
 (٣) يقول : فني بتقاوولي بك مسيحق الله صدق لفيك وهما المؤيد والمنصور فيؤيدك وينصرك على أعدائك .  
 (٤) إلى ذي المزية القوية إن هاجه مثير والخلال الرصية السحبة إذا لاينه سالم ، وقريب من هذا  
 قول ابن دريد :

« سهل إذا لويت لفت معطى ألقى - إذا خوشلت - مرهوب الشدا . »

## إلى أبي القاسم

« كتب إلى أبي القاسم بن رفق »

عِذْرِي<sup>(١)</sup> - إِنْ عَذَلْتُ فِي خَلْعِ عُدْرِي<sup>(٢)</sup> - غُصْنُ أُمُتْرَتْ ذُرَاهُ بِيَدْرِ<sup>(٣)</sup>  
هَزَّ مِنْهُ الصَّبَا فَقَوَّمَ شَطْرًا وَتَجَافَى - عَنِ الْوِشَاحِ - بِشَطْرِ  
رَشَاءٍ أَقْصَدَ<sup>(٤)</sup> الْجَوَانِحَ قَصْدًا عَنْ جُفُونِ كُحْلَنْ - عَمْدًا - بِسَحْرِ  
كُسَى الْحُسْنِ فَهَوَّ يَفْتَنُ فِيهِ سَاحِبًا ذَيْلَ بُزْدِهِ الْمُسْبِكِ<sup>(٥)</sup>  
تَحْتَ ظِلِّ - مِنَ الْفَرَاةِ - فِينَا نَ وَوَرَقِ<sup>(٦)</sup> مِنَ الشَّيْبَةِ نُضْرٍ  
أَبْرَزَ الْجِيدَ فِي غَلَائِلَ بِيضٍ وَجَلَا الْخَدَّ فِي تَجَاسِدِ حُمْرِ<sup>(٧)</sup>  
وَتَشَنَّتْ بِعِطْفِهِ - إِذْ تَهَادَى - خَطَرَةٌ تَمْزِجُ الدَّلَالَ بِكِبَرِ  
زَارِنِي - بَعْدَ هَجْعَةٍ - وَالثَّرْيَا رَاحَةً تَقْدِرُ<sup>(٨)</sup> الظَّلَامَ بِشِيرِ  
وَالدُّجَا - مِنْ نُجُومِهِ - فِي عُقُودِ يَتَلَاوَنَ مِنْ سِمَاكِ وَنَسْرِ  
تَحْسَبُ الْأَفَقَ يَبْنَاهَا لَا زَوْدًا تُبْرَتْ - فَوْقَهُ - دَنَانِيرُ تَبْرِ  
فَرَشَفْتُ الرُّضَابَ أَعْدَبَ رَشْفٍ وَهَضَرْتُ الْقَضِيبَ الْطَفَّ هَضْرٍ

(١) عذر - جمع عذرة بالكسر - أى معاذير . (٢) عذر : ضم أوله وثانيه جمع عذار وهو

الحياء ، وخلص العذار أى ترك الحياء .

(٣) يقول لى إذا حلت عذارى فى الهوى فإن معاذيرى واضحة فقد فنى قوامه المياد الذى يشبه الفصن

ووجهه المضى كالدر . (٤) يقال أقصد فلانا : طعمه لم يخطئه .

(٥) للمسبكر : السترسل ، والمسبكر كل شئ امتد وطال .

(٦) الورق الحائم الذى يضرب لونها إلى خضرة ، قال جرير العود :

« وكان فؤادى قد سحاء ثم هاجنى حاتم ورق بالمدينة هنف . »

(٧) المجاسد - جمع مجسد - وهو القميص الذى يلى البدن ، قال ابن الأعرابى : « ولا تخرجن إلى

المساجد بالمجاسد »

(٨) تقيس . . .

وَنَعْمَنَا بِلَفِّ جِسْمٍ بِجِسْمٍ - لِلتَّصَافِي - وَقَرَّجْ ثَغْرَ بَشَرٍ  
يَا لَهَا ! لَيْسَ لَهَا تَجَلَّى دُجَاهَا - مِنْ سَنَا وَجَنَّتِيهِ - عَنْ ضَوْءِ جَفْرِ  
قَصَرَ الْوَصْلُ غُمْرَهَا ، وَبَوْدَى أَنْ يَطُولَ الْقَصِيرُ مِنْهَا بِعُمُرِي

\* \*

مَنْ عَذِيرِي مِنْ رَيْبِ دَهْرٍ خُونٍ - كُلَّ يَوْمٍ - أَرَاغُ مِنْهُ بِغَدْرِ  
كُلَّمَا قُلْتُ : « حَاكَ فِيهِ مَلَامِي » نَهَسْتَنِي مِنْهُ عَقَارِبُ تَسْرِي (١)  
وَتَرْتَنِي خُطُوبُهُ فِي صَفِيٍّ فَاضِلٍ نَابِهٍ - مِنَ الدَّهْرِ - وَتَرِ (٢)  
بَانَ عَنِّي - وَكَانَ رَوْضَةً عَيْنِي - فَقَدَا الْيَوْمَ وَهُوَ رَوْضَةٌ فِكْرِي (٣)  
فَكَهْ يُنْهَجُ الْخَلِيلَ بِوَحْدِهِ تَرِدُ الْعَيْنُ مِنْهُ يَتَّبِعُ بَشَرٍ  
لَوْ دَعَى - إِنْ يَبْلُغُهُ الْخُبْرُ يَوْمًا - أَخْجَلَ الْوَرْدَ عَنْ خَلَائِقِ زُهْرِ  
وَإِذَا غَارَلَتْهُ مُقَالَةٌ طَرَفٍ كَادَ مِنْ رِقَّةٍ يَذُوبُ - فَيَجْرِي (٤)

\* \*

تَا « أَبَا الْقَاسِمِ » الَّذِي كَانَ رِدْثِي وَظَهْرِي - عَلَى الزَّمَانِ - وَذَخْرِي

(١) حاك : رشح أو أثر فيه ، ونهستني : عصتني ، يقول : « كما قلت إن زمانى قد اراعوى وأثر فيه هتأبى طهرلى خطي في طي وعصتني عقارب لوم تدب إلى وتسرى في الظلام من عقارب دهرى » ولله در أبو القلاء إذ يقول في الرمن :

« وغيظ بنوه مه ، وغيظ منهم فعذب ساكنيه وهـ دبهـ

وما يخشى الوعيد فيوعده ولا يرى العتاب فيعتبهـ

أساءه - بحمله - أدبا عليهم فهل من حيلة فيؤدبوه . »

(٢) وتر : فذ . (٣) كنت أراه أملئ فتتعم به عيناى واليوم لا أراه - بعد نأيه - فأصبح

ينعم خاطري بذكره .

(٤) يقول إنه كاد من رفته يسيل . وقرب من هذا المعنى قول ابن الرومي :

« أبيضيني خث الثمائل - لو نفضا عنه غلاته - حساه الحاسى .

يَا أَحَقَّ الْوَرَى بِمَحْضٍ إِخْلَا صَي وَأَوْلَاهُمْ بِنَايَةِ شُكْرِي  
طَرَقَ الدَّهْرُ سَاحَتِي - مِنْ تَنَائِيكَ - يَجْهَمُ مِنَ الْحَوَاثِ نُكْرِي

\* \*

لَيْتَ شِعْرِي وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ بِمُجْدٍ عَلَى الْفَتَى: «لَيْتَ شِعْرِي»<sup>(١)</sup>  
هَلْ لِحَالِي زَمَانًا مِنْ رُجُوعٍ؟ أَمْ لِمَاضِي زَمَانًا مِنْ مَكْرٍ؟

\* \*

أَيْنَ أَيَّامُنَا وَأَيْنَ لَيَالٍ كَرِيَاضٍ لَبَسْنَ أَفْوَافَ زَهْرٍ  
وَزَمَانٌ كَأَنَّمَا دَبَّ فِيهِ وَسَنٌ أَوْ هَفَا بِهِ فَرَطُ سُكْرِ  
حِينَ تَعْدُو إِلَى جَدَاوِلِ زُرْقٍ يَتَغَلَّغَلْنَ فِي حَادِثِ خُضْرِ  
فِي هِضَابٍ - مَجْلَوَّةِ الْحُسْنِ - مُخْرِ  
تَعَاطَى الشَّمُولِ - مُذْهَبَةِ السَّرِّ  
بَالٍ - وَالْجَوِّ فِي مَطَارِفِ<sup>(٢)</sup> غُبْرِ  
فِي قُتُورٍ<sup>(٣)</sup> تَوَشَّحُوا بِالْمَعَالِي وَتَرَدَّدُوا بِكُلِّ مُجْدٍ وَفَخْرِ  
وُضِّحَ تَنْجَبِي الْغِيَاهِبِ مِنْهُمْ عَنْ وُجُوهٍ - مِثْلَ الْمَصَائِيحِ - غُرٍّ  
كُلُّ خَرَقٍ يَكَادُ يَنْهَلُ طَرَفًا زَانَ مَرَأَى بِهِ بِأَكْرَمِ خُبْرِ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول «ليت شعري، وإن كنت أعلم أنها غير مجدية، قال ابن الرومي :  
« يا ليت شعري وليت غير مجدية إلا استراحة قلب وهو اسواو . »

وقال الشاعر :

« ليت وهل يمع شيئا « ليت » ليت شبابا بيع فالشريب . »

(٢) مطارف - جمع مطرف بضم الميم وكسرهما - مع فتح الراء في كليهما - : رداء مربع من خز  
ذو أعلام . (٣) فتو - جمع فتى وهو يجمع على فيان وفتو وفتى بتشديد الواو والياء .

(٤) الحرق : من الغيتان الطريف في ساحة ونجدة ، وينهل : يريد يكاد يسيل رقة وظرفا ، وقد جاء  
بمد هذا البيت قوله :

« ..... محس حالي نفع السلك عرفها طيب لشر . »

وقد أثبتناه كما ورد ناقصاً بالأصل .

وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ كُثُوسٌ  
أَوْ رِيَاضٌ قَدْ جَادَهَا صَوْبُ قَطْرِ  
يَتَلَقَّى الْقَبُولَ مِنِّي قُبُولٌ  
كُلَّمَا رَاحَ نَفْحُهَا أُرْتَاخَ صَدْرِي  
فَهُوَ يَسْرِي مُحْمَلًا - مِنْ سَجَايَا  
كَ - نَسِيمًا يُزْهِى بِأَفْوَحِ عِطْرِ

\* \*

يَا خَلِيلِي وَوَاحِدِي وَالْمَلَى  
مِنْ قِدَاحِي <sup>(١)</sup> وَالْمُسْتَبَدِّ بِرِّي  
لَا يَضَعُ وَدِّي الصَّرِيحُ الَّذِي أَرُ  
صَانَكَ مِنْهُ أَسْتَوَاهُ سِرِّي وَجَهْرِي  
وَتَوَالِي أَدِمَّةٍ نَظَمْتَنَا  
نَظَمَ عَقْدَ الْجَمَانِ فِي نَحْرِ بَكْرِ  
لَا يَكُنْ قَصْرُكَ الْجَفَاءَ ، فَإِنَّ الْوُدَّ  
إِنْ سَاعَدَتْ حَيَاتِي - قَصْرِي <sup>(٢)</sup>  
وَأَعِدْ - بِالْجَوَابِ - دَوْلَةَ أَنَسٍ  
قَدْ تَقَضَّتْ إِلَّا غُلَّالَةَ ذِكْرِ <sup>(٣)</sup>  
وَأَكْسُ مَتْنِ الْقِرَطَاسِ دِيْبَاجَ لَفْظٍ  
يَبْهَرُ الْفِكَرَ مِنْ نَظْمٍ وَثَرٍ  
غُرُرٌ مِنْ بَدَائِعٍ لَا يَشُكُّ  
الْدَّهْرُ فِي أَتْنَاهَا فَلَا تُدْ دُرٌّ  
تَتَوَالَى عَلَى النُّفُوسِ دِرَاكًا  
عَنْ فَتَى مُوسَى - مِنَ الطَّبَعِ - مُثَرِّ  
شَدَّ فِي حَلَبَةِ الْبَلَاغَةِ حَتَّى  
بَانَ فِيهَا عَنْ شَاوٍ سَهْلٍ وَتَعْمُرُو  
وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْجَلْ جَوَابِي  
كَانَ هَذَا الْكِتَابُ بَيْضَةً عَقْرِ <sup>(٤)</sup>  
فَاقْبِ - فِي ذِمَّةِ السَّلَامَةِ - مَا أَنْجَا  
بَ عَنِ الْأَفْقِ عَارِضٌ مُتَسَرِّ  
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا غَنَّتِ الْوُزُ  
قُ وَمَالَتْ بِهَا ذَوَائِبُ سِدْرِ <sup>(٥)</sup>

(١) أى الفدح الملقى . (٢) يقول : لا يكن قصارك الجفاء فان قصارى الوداد أى لا تكن غايته قطعى فان غايته وصلك .

(٣) يقول : أعد عهد الأنس الذى مضى ولم يترك لنا إلا ذكريات تمل بها .

(٤) إذا لم تعجل بإرسال الرد على كتابي كان هذا آخر كتاب أبعت به إليك .

(٥) السدر : شجر البق يقول : « تمنحني إليك كلما غنت الحمام ومالت بها أفصان الشجر » .

## مدح ابن جهور ورثاء أمه

« كَرَّرَ ابْنُ زَيْدُونَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَكْثَرَ  
الآيَاتِ السَّاهَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي ص « ١٤٠ »  
مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ . »

|  |  |
|--|--|
| هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ | فَنَ شَيْمَ الْأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهَا - الصَّبْرُ     |
| سَتَصْبِرُ صَبْرَ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةٍ     | فَلَا تَرْضَ بِالصَّبْرِ الَّذِي مَعَهُ وَزُرُ           |
| حِذَارُكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرِّزْقُ فِتْنَةً      | يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ أَخْلَاقِكَ - الْعُذْرُ      |
| إِذَا أَمِيفَ الشُّكْلِ اللَّيْبُ فَشَفَهَ           | رَأَى أَبْرَحَ الشُّكْلَيْنِ أَنْ يَجْبَطَ الْأَجْرُ     |
| مُصَابُ الَّذِي يَأْسَى بِمَيِّتِ ثَوَابِهِ          | هُوَ الْبَرْحُ لَا الْمَيِّتُ الَّذِي أَحْرَزَ الْقَبْرُ |

\*  
\* \*

|  |  |
|--|--|
| حَيَاةُ الْوَرَى تَهْجُ إِلَى الْمَوْتِ مَهْجٌ | لَهُمْ فِيهِ إِضَاعٌ كَمَا يُوضَعُ السَّفَرُ       |
| فَيَاهَادَى الْمِنَاجِ جُزْتَ فَإِنَّمَا       | هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصِّرَاطُ أَوْ الْبَجْرُ |
| لَنَا - فِي سَوَانَا - عِبْرَةٌ غَيْرَ أَنَّا  | نُعَرِّ بِأَطْمَاعِ الْأُمَانِي فَنَفْعَرُ         |
| إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ كُلُّ مُعَمَّرٍ | فَإِنَّ سَوَاءَ طَالَ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ        |

\*  
\* \*

|  |  |
|--|--|
| أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ رِيحَ ذِمَارِهِ       | فَلَمْ يُغْنِ أَنْصَارُ عَدِيدُهُ وَلَا وَقَرُهُ   |
| بِحَيْثُ اسْتَقَلَّ الْمُلْكُ ثَانِي عِطْفِهِ    | وَجَرَّرَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْعَسْكَرُ الْمَجْرُ   |
| هُوَ الضَّمِيمُ لَوْ غَيْرَ الْقَضَاءِ يَرُومُهُ | شَاءَ الْمَرَامُ الصَّعْبُ وَالْمَسْلَكُ الْوَعْرُ |



إِذَا عَثَرْتَ جُرْدُ السَّوَاخِ فِي الْقَنَا      بَدِيلُ عَجَاجٍ لَيْسَ يَصْدَعُهُ فَجْرُ  
لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي عَلَيْنَا بِدَعْوَةٍ      عَوَانٍ أَمْصَنَّا لَهَا لَوْعَةً بِكْرُ

\* \*

أَنْفَسُ نَفْسٍ فِي الْوَرَى - أَقْصَدَ الرَّدَى ؟      وَأَخْطَرُ عَلَيَّ - لِأَهْدَى - أَهْلَكَ الدَّهْرُ ؟  
هَيْنًا لِبَطْنِ الْأَرْضِ أَنْسُ مُجَدِّدُ      بِثَاوِيَةٍ حَلَّتْهُ فَاسْتَوْحَشَ الظَّهْرُ  
بِطَاهِرَةِ الْأَنْوَابِ ، قَاتَةِ الضُّحَى      مُسَبِّحَةِ الْآنَاءِ ، حَزَابِهَا الْخِذْرُ  
فَإِنْ أُثْبِتَ فَالْنَفْسُ أَنْأَى نَفِيسَةٍ      إِذِ الْجِسْمُ لَا يَسْمُولُ تَذَكِيرِهِ ذِكْرُ  
حَضَانُ - إِنْ الْقَوَى اسْتَبَدَّتْ بِسِرِّهَا -      فَمِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يُسْتَوْضَعُ الْجَهْرُ  
يُطَاطَأُ سِتْرُ الصَّوْنِ دُونَ حِجَابِهَا      فَيَرْفَعُ - عَنْ مَتْنَى نَوَافِلِهَا - السِّرُّ

\* \*

لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى      لَقَدْ أَذْرَجَتْ - أَثْنَاءَهَا - النَّعْمُ الْخُضْرُ  
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ تَتَرَى تَحِيَّةَ      يُنَسِّمُهَا الْغُفْرَانُ رِيحَانِهَا النَّضْرُ  
وَعَاهِدَ تِلْكَ الْأَرْضَ عَهْدُ غَمَامَةٍ      إِذَا اسْتَعْبَرَتْ فِي ثُرْبِهَا أَبْتَسَمَ الزَّهْرُ

\* \*

فَدَيْنَاكَ ، إِنَّ الرُّزْءَ كَانَ غَمَامَةً      طَلَعَتْ لَنَا فِيهَا كَمَا يَطْلُعُ الْبَدْرُ  
أَلَسْتُ الَّذِي - إِنْ ضَاقَ ذَرْعُ بِحَادِثٍ -      تَبَلَّجَ مِنْهُ الْوَجْهَ وَالْتَسَعَ الصَّدْرُ  
تَمَرَّ بِحَوَاءٍ - أَلَيْ الْخَلْقُ نَسْلَهَا -      فَمِنْ دُونِهَا فِي الْعَصْرِ يَتَّبَعُهُ الْعَصْرُ  
نَسَاهُ النَّبِيُّ الْمُسْطَفَى أُمَامَتَنَا      تَوَيْنَ فَمَغْنَاهُنَّ - مُذْ حُتِبَ - قَفْرُ  
وَجَارَتْهَا الْحُسْنَى ، فَأَمُّ شَفِيقَةٍ      تَحْتَى بِهَا ابْنُ كُلِّ مَأْفَالٍ بِرُّ

تَمَنَّتْ وَفَاةً - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا  
كَانَ الرَّدَى نَذْرًا عَلَيْهَا مُوَكَّدًا  
تَوَلَّتْ فَأَبَقَتْ - مِنْ مُجَابِ دُعَائِهَا -  
تَتِمُّ بِهِ النُّعْمَى ، وَتَتَسِقُ الْمُنَى ،  
فَلَا تَهْضِ الْأُنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهَا  
وَلَا زِلْتَ مَوْفُورَ الْعَدِيدِ بِقَرَّةٍ

\* \*

بَنَى « جَهْوَرٍ » أَنْتُمْ سَمَاءَ رِيَاسَةٍ  
تَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَنَكُمُ يَمِينُهُ  
لَكُمْ كُلُّ رَقْرَاقِ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ  
سَحَابٌ نُعْمَى أَبْرَقَتْ وَتَدَفَّقَتْ  
إِذَا مَا ذُكِرْتُمْ ، وَاسْتَشِفَّتْ خِلَالَكُمْ  
طَرِيقَتُكُمْ مُثْلَى ، وَهَدَيْكُمْ رِضَى  
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْغَيْبِ عَنْكُمْ - أَجَبْتُهُ  
عَطَاءً وَلَا مَنٍّ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى  
قَدْ اسْتَوْفَتْ النِّعْمَاءُ فِيكُمْ تَمَاتَهَا

لِعَافِيكُمْ - فِي أَفْقِهَا - أَنْجُمُ زُهْرٍ  
وَإِنْ تَضَحَكَ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ لَهَا تَعْرُ  
حُسَامٌ عَلَيْهِ - مِنْ طَلَاقِهِ - أَمْرُ  
فَصِيئَهَا الْجَدْوَى ، وَبَارِقُهَا الْبُشْرُ  
تَصَوَّعَتْ الْأَخْبَارُ ، وَاسْتَمَجَدَ الْخُبْرُ  
وَنَائِلُكُمْ نَحْرٌ ، وَمَذْهَبُكُمْ قَصْرُ  
هُنَاكَ الْأَيْدِي الشَّفْعُ وَالسُّودْدُ الْوِثْرُ  
وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ  
عَلَيْنَا ، فِنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

## في مدح ابن جهور

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور . »

أَجَلْ ، إِنَّ لَيْلَى حَيْثُ أَخْيَاوْهَا الْأَسْدُ      مَهَاً حَمْتَهَا - فِي مَرَاتِمَهَا - أُسْدُ<sup>(١)</sup>  
يَمَانِيَّةٌ تَذْنُو وَيَنْأَى مَزَارُهَا      فَسَيَّانٍ مِنْهَا فِي الْهَوَى الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهَا تَمَرَّدَ « مَارِدُ »      وَعَزَّ - فَلَمْ تَنْظَرْ بِهِ - « الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ »<sup>(٣)</sup>  
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ اعْتِيَادِهَا      وَخَيْلٌ تَطْلَى نَحْوَ قَايَاتِهَا جُرْدُ  
لَحَى لِقَاحٍ تَأْنِفُ الضِّيمَ مِنْهُمْ      جَحَاجِحَةٌ شَيْبٌ وَصِيَابَةٌ مُرْدُ<sup>(٤)</sup>  
أَبٌ دُوْ اعْتِرَازٍ ، أَوْ أَخٌ دُو تَسْرِعِ      فَشَيْخَانُ مَاضِي الْهَمِّ ، أَوْ فَاتِكٌ جَلْدُ  
فَمَا شِيمَ مِنْ ذِي الْهَبَةِ الصَّارِمِ الشَّبَا      وَلَا حُطَّ عَنْ ذِي الْمِيعَةِ السَّابِحِ اللَّبْدُ

\* \*

وَفِي السَّكِلَةِ الْحَمَرَاءِ وَسَطَ قِبَابِهِمْ      فَتَاةٌ كَمَثَلِ الْبَذْرِ قَابِلُهُ السَّعْدُ

(١) الأسد : لغة في الأرد ، والأسد : الأسود ، يقول : نعم إن ليلى من قبيلة الأرد وهي طيبة تحمى الأسود وتذود عنها .

(٢) يقول إن قربها وبعدها سيان لأن وصلها - على القرب ، والعد - بعيد المال ، وما أجمل قول المعري :

« فيادارها بالحيف ، إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال . »

(٣) الأبلق الفرد : حصن السموءل بن طاديا ساه أبوه . قالوا بل باه سليمان - عليه السلام - بأرض تباه ، ونصده الرباء فمحزته عنه وعن مارد ، فقالوا : « تمرّد مارد ، وعز الأباقي . » وفي هذا المعنى يقول السموءل - من لاميته الرائعة المشهورة :

« لما جل يحتله من نجيره مبيع ، يرد الطرف وهو كليل »

هو الأباقي الفرد الذي شاع ذكره - يمز - على من رماه - ويطول .

(٤) الحى القحاح : هم الذين لا يديون للملوك ولا يؤدون لهم الاتاة ، والجحاحية : جمع - جحج ، وهو السيد السمح أو هو الكريم وهو وصف خاص بالرجال ، قال الشاعر : « يمس قطارفة قلب جحاحية . » ويجمع ألباً على جحاح ، قال ابن الربري :

« ماذا يسدر فالعقل من مرازية جاح . »

صياغة القوم وصوابهم : لبابهم .

عَقِيلَةٌ مِرْبٍ لَا الْأَرَاكَ مَرَادُهُ وَلَا قِنْ مِنْهُ الْبَرِيرُ وَلَا الْمَرْدُ<sup>(١)</sup>  
تَهَادَى فَيُضْنِيهَا الْوِشَاحُ غَرِيرَةٌ تَأَوُّهُ مَهْمَا نَاسٌ<sup>(٢)</sup> فِي جِيدِهَا الْعَقْدُ  
إِذَا اسْتُخْفِضَتْ سِرَّ الشَّرَى جُنَحَ لَيْلِهَا تَنَامِي التَّمُومَانِ : الْأَلُوءَةُ ، وَالْدُّ<sup>(٣)</sup>  
لَهَا عِدَّةٌ بِالْوَصْلِ ، يُوعِدُ غَيْبَهَا مَصَالِيْتُ، يُنْسَى - فِي وَعِيدِهِمْ - الْوَعْدُ  
عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعُودَ خِيَالُهَا فَيُسَمِّعُ مِنْهَا نَائِلٌ فِي الْكَرَى تَعْدُ<sup>(٤)</sup>  
كَفَى لَوَعَةٍ أَنْ الْوِصَالِ نَسْبَتُهُ يُطِيلُ عَنَاءَ الْمُقْتَضَى وَالْهَوَى تَقْدُ<sup>(٥)</sup>  
مَسْبُلِنُهَا عَنَا الشَّمَالِ تَحِيَّةٌ نَوَافِحُ أَنْفَاسِ الْجَنُوبِ لَهَا رَدُّ<sup>(٦)</sup>  
فَمَا نُسِيَ الْإِلْفُ الَّذِي كَانَ يَبْنَتَانَا - لَطُولِ تَنَائِبِنَا - وَلَا ضَيْعُ الْعَهْدِ

\*  
\* \*

لَنْ قِيلَ : « فِي الْجِدِّ النَّجَاحُ إِطَالِبُ » لَقَلَّ غَنَاؤُ الْجِدِّ مَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ<sup>(٧)</sup>

(١) المرء : المعن من ثمر الأراك أو صيحه . (٢) ناس : القى . يوس نوساً ونوساً تحرك وتذبذب واضطرب متديلاً ، وسمى دوساً وناساً - وهو من ملوك - الجن بذلك لدواين كانوا نوسان على ظهره .  
(٣) الألوة : عود هندی ينجر به ، وقال أعرابي حين مر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يذفن :  
« ألاحلم رسول الله في سفت من الألوة أحوى ملداً دها . »

والند : ضرب من الطيب .  
(٤) تعد : قليل ، يقول وهم يستكثرون علينا أن يروونا خيالها فيسمعا بلوصال في فترات الكرى المنقطعة القليلة . (٥) يقول : كفانما ألما أنبالا تمن علينا بالوصال لإلاعوداً مؤحله بعيننا اقتضاؤها وأداؤها في ، وإعدها مع أسا صفيها الهوى طاحلا غير متمحلين ولا مؤحلين .  
(٦) الشمال : ريح الشمال ، والجنوب : ريح الجنوب ، وفي الأصل نوافع ، والنواجع : السبب الكثيرة المطر ، ويقال نفج الشدى القيمس شى رقهه ونبجت الريح أى جاءت بقوة ، والنواجع - جمع نالجة وهى النسيم .  
(٧) يقول ابن دريد في هذا المعنى :

« لا ينفع الحد بلا جد ولا يحرك الملل إذا الحديعلا . »

ويقول الناصر : « عش بمجد ولا يضرك نوك »

وقد أكثر الشعراء من الكلام في الحدود ، ومن أبدع ماقرأناه في ذلك قول ابن الرومى :

« إن للحط كجياها إذا ما مس كلباً أحله إنساناً . »

يَنَالُ الْأَمَانِي بِالْخَطِيرةِ وَادِعٌ كَمَا أَنَّهُ يُكْدِي الدِّي شَأْنُهُ الْكَدُ<sup>(١)</sup>

\* \*

هُوَ الدَّهْرُ مَهْمَا أَحْسَنَ الْفِعْلَ مَرَّةً فَمَنْ خَطَا ، لَكِنْ إِسَاءَتُهُ عَمْدُ  
حِذَارِكَ أَنْ تَمْتَرَّ مِنْهُ بِجَانِبٍ فَنِي كُلِّ وَادٍ مِنْ نَوَائِيهِ « سَعْدُ »<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْلَا السَّرَّاءُ الصَّيْدُ مِنْ آلِ « جَهْوَرٍ » لَأَعْوَزَ مَنْ يُعْدِي عَلَيْهِ مَتَى يَعْدُو  
مُلُوكُ لِبَسْنَا الدَّهْرَ فِي جَنَبَاتِهِمْ رَفِيقَ الْحَوَاشِي مِثْلَ مَا قُوفَ الْبُرْدُ  
بِحَيْثُ مَقِيلُ الْأَمْنِ صَافٍ ظِلَالُهُ وَفِي مَنَهْلِ الْعَيْشِ الْعُدُوبَةُ وَالْبُرْدُ  
هُمْ النَّفَرُ الْبَيْضُ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ تَرُوقُ فَتَسْنَشْنِي بِهَا الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ  
كَرَامٌ يَمُدُّ الرَّاعِيُونَ أَكْفَهُمْ إِلَى أَبْحَرٍ مِنْهُمْ لَهَا بِاللَّهْمَا<sup>(٣)</sup> مَدُّ

وقول المتنبي :

« هو الحد حتى تفضل العين أحتها وحتى يصير اليوم لليوم سيذا . »

وقول المعري :

« والحد يدرك أقواما فيرفعهم وقد ينال الى أن يعبد الحجر »

وشروت ذات أنواط قبائلها ولم تاتين على علاها الشجرا .

وقد ذكرنا طرفا من أقوال الشعراء في هذا المعنى في رسالة الفهران « ح ٢ ص ٩٨ » فيرجع إليهما من شاء .

(١) الخطيرة : عى بها هذا الأموال المخطورة يقال : احتظر الرجل وطار أعده خطيرة حبس فيها أمواله من تصنيق ، وينال للرجل الذليل الحير « إنه لكسد الخطيرة » وسدبت أمواله خطيرة لأنه حظرها ومنعها عنده ، والوداع : الذى ينال حظه من العيش من غير كلفة ولا مشقة ، يقول : « كثيرا ما ينال الوداع الذى هو فى خمس ودعة من العيش أمانيه بأمواله المخطورة عسده كما أنه كثيرا ما يحرق دو السى والكسد فلا يحصل من ثمنه وكده على طائل » ، ولعل أبرع ما قرأناه فى هذا المعنى قول ابن الرومى :

« إذا كان يجرى كوكب سمت هالة هلاها وإلا اعتاس ذلك مطلا . »

وقول الآخر :

« سبحانه ربي يعطى ذا ويمرر ذا هذا يصيد ، وهذا يأكل السمكة . »

(٢) يقال « بكل واد سعد » أو « بكل واد بنو سعد » يريدون بذلك أن فى كل جهة كفاه ما من الشر والأذى . قالوا وأصل اللئى أن الأضيض بن قريش بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة - وأى من أهل وقومه أمورا كرها ففانهم متبلا فى اللبائل فرأى من غيرهم مثل مارأى منهم فقال : « فى كل أبرير سعد بن زيد . »

(٣) الأعطيات والهبات .

فَلَا يُنْعِ مِنْهُمْ هَالِكٌ فَهَوَ خَالِدٌ      يَا نَارِهِ ، إِنَّ النَّاءَ هُوَ الْخَالِدُ  
« أَقِلُّوا عَلَيْنَا مِنْ لَأَبَا لَأَيْكُمُ      مِنَ اللُّومِ ، أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا »<sup>(١)</sup>  
أَوَّلِكَ إِنْ نَعْنَا سَرَى فِي صَلَاحِنَا      سَجَّاحٌ عَلَيْنَا كُحْلُ أَجْفَانِهِمْ سُهْدُ

✱ ✱

أَلَيْسَ « أَبُو الْحَزَمِ » الَّذِي غِبَّ سَعْيِهِ      تَبَصَّرَ غَاوِينَا فَبَانَ لَهُ الرُّشْدُ  
أَغْرَى تَمَهَّدَنَا بِهِ الْخَفْضُ<sup>(٢)</sup> بَعْدَ مَا      أَقْضَى عَلَيْنَا مَضْجَعُ وَبَا مَهْدُ<sup>(٣)</sup>  
لَشَمَرَ حَتَّى أُنْجَابَ عَارِضُ فِتْنَةٍ      تَأَلَّقَ مِنْهَا الْبَرْقُ وَأَصْطَخَبَ الرَّعْدُ  
فَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ الْحَرْبُ عَادَةً      وَوَافَقَ مَنْ لَاشَكَ فِي أَنَّهُ ضِدُّ<sup>(٤)</sup>  
هُوَ الْأَثَرُ الْمَحْمُودُ إِنْ عَادَ ذِكْرُهُ      تَطَلَّعَتِ الْعَلَيَاءُ وَأَسْتَشْرَفَ الْمَجْدُ  
تَوَلَّى فَلَوْلَا أَنْ تَلَاهُ « مُحَمَّدٌ »      لَأَوْطَأَ خَدَّ الْحُرِّ أَنْخَصَهُ الْعَبْدُ<sup>(٥)</sup>

✱ ✱

مَلِيكَ يَسُوسُ الْمُلْكَ مِنْهُ مُقْلَدٌ      رَوَى عَنْ أَبِيهِ فِيهِ مَا سَنَهُ الْجَدُّ  
سَجِيَّتُهُ الْحُسْنَى ، وَشَرِيعَتُهُ الرِّضَى ،      وَسِيرَتُهُ الْمُثَلَى ، وَمَذْهَبُهُ الْقَصْدُ

(١) ورد هذا البيت في الأصل :

« ..... عليهم ، لا أبا لأبيكم من اللوم ، أوسدوا المكان الذي سدوا . »

وليس هذا البيت لابن زيدون بل هو اقتباس ، وأصل البيت كما أنهتاه ، وهو من القصيدة المشهورة التي يقول فيها الشاعر :

« وقعدلى أناء سعد عليهم وماقلت إلا بالني علت سعد . »

(٢) الخفس : القعة . (٣) يقول إنه بدلا من خوف أننا ومن سهاد رفادا .

(٤) يقول : وتند ساله أشد الأعداء ولو عا بالحرب ووافته من لاشك في حصونه ولده بعد ما رأوا

من شدة بأسه وقوته .

(٥) يقول : لولا أن محمدا قد حلف أبا الحزم لساءت العاقبة ولسادت دولة المبيد على دولة الأحرار

مألولهم أدللا وداسو حدودهم بأرجل

هُمْ إِذَا زَانَ النَّدَى بِحَبْوَةٍ تَرْجِعَ فِي أَثْنَاهَا الْحَسْبُ الْعَدُو  
زَعِيمٌ لِأَنْبَاءِ السَّيَادَةِ بَارِعٌ عَلَيْهِمْ بِهِ تُتْنَى الْخَنَاصِرُ إِنْ عُدُوا  
بَعِيدُ مَتَالِ الْحَالِ ، دَانِي جَنَى النَّدَى إِذَا ذُكِرَتْ أَخْلَاقُهُ خَجَلَ الْوَرْدُ  
تَهَلَّلَ فَأَنْهَلَتْ سَمَاءُ يَمِينِهِ عَطَايَا تَرَى الْأَمَالَ مِنْ صَوْنِهَا - جَعْدُ (١)  
مُحَرَّرٌ لِمَنْ عَادَاهُ إِذْ أَوْلِيَاؤُهُ يَلْذُ لَهُمْ كَأَلْمَاءِ شَيْبَ بِهِ الشَّهْدُ  
إِذَا أُعْتَرِفَ الْجَانِي عَفَا عَفْوٌ قَادِرٌ عَلَا قَدْرُهُ عَنْ أَنْ يَلِجَ بِهِ حَقْدُ (٢)  
وَمُسْتَعْدٌ لَوْ زَا حَمَّ الطَّوْدَ حِلْمُهُ لَحَاجَزُهُ رُكْنٌ مِنَ الطَّوْدِ مُنْهَدٌ  
لَهُ عَزْمَةٌ مَطْوِيَّةٌ فِي سَكِينَةٍ كَمَا لَانَ مَتْنُ السَّيْفِ وَأَخْشَوْشَنَ الْحَدُ (٣)  
يُوكَلُّ بِالنَّدَى بِخَيْرِ خَاطِرٍ فِكْرَةٌ إِنْ اقْتَدَحَتْ فِي خَاطِرٍ أَثْقَبَ الرَّنْدُ (٤)  
ذِرَاعٌ - لَمَّا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ - وَاسِعٌ وَنَاعٌ - إِلَى مَا يُحْرِزُ الْفَجْرَ - مُتَمَدُّ  
إِذَا أَنْهَبَ الْمُتَنَوُّونَ فِيهِ شَأْنُهُمْ (٥) مَرَاتِبُ عَلِيَا كُلِّ عَنْ عَفْوِهَا الْجَهْدُ  
هُوَ الْمَلِكُ الْمَشْفُوعُ بِالنَّسَكِ مُلْكُهُ قِيَا فَضْلَ مَا يَخْفَى وَتَاسَرَوْ مَا يَبْذُو (٦)  
إِلَى اللَّهِ أَوَّابٌ ، وَلِلَّهِ خَائِفٌ وَبِاللَّهِ مُعْتَدٌ ، وَفِي اللَّهِ مُشْتَدُّ

(١) حمد : ندى .

(٢) قريب من هذا قول عنتره :

« لَا يَحْمِلُ الْهَقْدَ مَنْ تَمَلَّوْهُ الرِّبْ وَلَا يَنَالُ الْعِلَامُ مِنْ طَعْمِهِ الْعَصَبُ . »

(٣) في هذا المعنى يقول الشاعر :

« وَكَالْصِّفِّ - إِنْ لَابَنَتْهُ - لَانَ حَمْدُهُ وَجَدَاهُ - إِنْ خَاشَتْهُ - حَشَانُ . »

(٤) أثقب الرند : أورى . (٥) شأنتهم : فاتتهم ونصروا فيها عن الداية .

(٦) يقول هو الملك الذى يجمع إلى سطوة الملك نسيك الورعين فإأفضل ما يبره في نفسه وما أنبل وأشرف ما يمله ، يعنى أن سره وإعلانه غاية في النبل والفصل

\* \*

لَقَدْ أَوْسَعَ الْإِسْلَامَ بِالْأَمْسِ حِسْبَةً  
أَنَاحَ حِمَى الْخَمْرِ الْحَيْثَةِ ، حَانِطًا  
فَطَوَّقَ بِأَسْنَدِنَصَالِهَا الْمِصْرَ مِنْهُ  
هِيَ الرَّجْسُ إِنْ يُذْهِبُهُ عَنْهُ فَحُسْنُ  
مَظْنَنَةٍ أَنَامِ ، وَأُمُّ كَبَائِرِ  
رَأَى تَقْصَ مَا يُجْبِيهِ مِنْهَا زِيَادَةً  
نَحْتُ غَرَضَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ فَلَمْ تَعُدْ  
حِمَى الدِّينِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ لَهُ حَدٌّ  
يَكَادُ يُودَى شُكْرَهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ  
شَهِيرُ الْأَيْدِي مَا لِأَلَانِهِ جَعْدُ  
يُقْصَرُ عَنْ أَذْنَى مَعَايِبِهَا الْعَدُّ  
إِذِ الْعَوْضُ الْمَرْضِيُّ إِلَّا يَرْخُ يَعْدُو

\* \*

غَنِيٌّ ، فَحَسُنِ الظَّنُّ بِاللَّهِ مَالُهُ  
لَنِعَمَ حَدِيثُ الْبَرِّ تُودِعُهُ الصَّبَا  
تَعْلَمَلْ فِي سَمْعِ الرَّبَابِ وَطَالَعَتْ  
مَسَاعٍ أَجَدَّتْ زِينَةَ الْأَرْضِ ، فَالْحَصَى  
لَدَى زَهْرَاتِ الرُّوضِ - عَنْهَا - بِشَارَةٌ  
عَزِيزٌ ، فَصْنَعُ اللَّهِ مِنْ حَوَالِهِ جُنْدُ  
تَبْتُ نَتَاءَ حَيْثُ لَا تَوْضَعُ الْبُرْدُ (١)  
لَهُ صُورَةٌ لَمْ يَعَمْ - عَنْ حُسْنِهَا - الْخُلْدُ  
لَا لِي ثَرٌ ، وَالتَّرَى عَنْبَرٌ وَرْدُ  
وَفِي نَفَحَاتِ الْمِسْكِ - مِنْ طِيْبِهَا - وَفْدُ

\* \*

فَدَيْتُكَ ، إِنِّي قَائِلٌ فَمَرْضُ  
مُنَى كَالشَّجَا دُونَ اللَّهَاءِ (٢) تَعَرَّضْتُ  
بِأَوْطَارِ نَفْسِي مِنْكَ لَمْ تَقْضِهَا بَعْدُ  
فَلَمْ يَكُ الْمَصْدُورِ - مِنْ نَفْسِهَا - بُدُّ

(١) يقول : اعم حديث البر أردعته ربح الصالحين وبنت خبره في الجهات النائية حيث لا توضع البرد  
أى حيث لا يلدو خيل البريد إليها ولا تصلها الأخبار لبعدها ، وفي الأصل : « توضع »  
(٢) اللهاء : اللعة المشرفة على الحلق ، أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم ،  
وجمها لهوات ولهيات ولهى . قال ابن دويد :

« والناس كالبيت ، فنه رائق فخص ضير هوده من الجنى  
ومنه ما تفتح العين ، فان سفت جافة لا يساغ عذبا في اللهى . »



أَمِنِّيْ غُفْلٌ خَامِلٌ الذِّكْرُ ضَائِعٌ      ضَيَّاعَ الحُسَامِ الْمَضْبِ أَصْدَأُهُ الْعِمْدُ  
أَبَى ذَاكَ أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ ذَلَّ صَعْبُهُ      فَسُنِّي مِنْهُ - بِالَّذِي نَشْتَهِي - الْعَقْدُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

أَنَا السَّيْفُ لَا يَذْبُو مَعَ الْهَرِّ غَرَبُهُ      إِذَا مَا نَبَا السَّيْفُ الَّذِي تَطْبَعُ الْهِندُ  
بَدَأَتْ بِنُعْمَى غَضَّةٍ ابْنُ ثَوَالِهَا      فَحُسْنُ الْأَلَى<sup>(٢)</sup> فِي أَنْ يُوَالِيَهَا سَرْدُ  
لَعْمُكَ مَا الْمَالِ أَسْنَى فَإِنَّمَا      يَرَى الْمَالَ أَسْنَى حَظَّهُ الطَّبِيعُ الْوَعْدُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَكِنْ لِحَالٍ - إِنْ لَبِسْتُ جَمَاهَا -      كَسَوْتُكَ ثَوْبَ النُّصْحِ أَعْلَامُهُ الْحَمْدُ

\* \* \*

أَتَنَكَ الْقَوَافِي شَاهِدَاتٍ بِمَا صَفَا      مِنَ الْغَيْبِ فَأَقْبَلَهَا فَاغْرَكَ الشَّهْدُ  
لِيَحْظِي وَلِيَّ - سِرُّهُ وَفَقُّ جَهْرِهِ -      فَظَاهِرُهُ شُكْرُهُ ، وَبَاطِنُهُ وَدُّ  
يُمَيِّزُهُ - بِمَنْ سِوَاهُ - وَفَاوُهُ      وَإِخْلَاصُهُ ، إِذْ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ<sup>(٤)</sup>

(١) سنى منه العقد ، أى تيسر الصعب وسهل . قال الشاعر :

« وأعلم علما ليس بالظن أنه إذا الله سنى عقد أمر تيسرا . »

(٢) الألى : النعمة جمعها آلاء .

(٣) الطبع : يقال رجل طبع طبع ( بكسر ثانيهما ) متدنس العرض ذو خاقي دنى لا يستحي من

سوءه ، والوعد : الحفيف الأحق الضيف العقل والبدن الدنى الخسيس النذل .

(٤) كل غانية هند : مثل يضرب عند مساوى القوم في فساد الباطن

## رثاء أم المعتضد

« قال يرثي السيدة الكبرى والدته . »

أَلَا هَلْ دَرَى الدَّاعِي المُنُوبُ - إِذْ دَعَا  
وَأَنَّ الثَّقَى قَدْ آذَنْتَنَا بِفُرْقَةٍ  
لِرُزْنِكَ تَنْهَلُ الدُّمُوعُ ، فَفُضِّلُهُ  
لَقَدْ أَجْهَشَ الإِخْلَاصُ بِالْأَمْسِ بَاكِيًا  
بِنَعْيِكَ - أَنَّ الدِّينَ مِنْ بَعْضِ مَا نَعَى ؟  
وَأَنَّ الهُدَى قَدْ بَانَ مِنْكَ فَوَدَّعَا ؟  
- إِذَا حَلَّ - وَدَّ القَلْبُ لَوْ كَانَ مَدْمَمًا  
عَلَيْكَ ، كَمَا حَنَّ اليَقِينُ فَرَجَمَا

\* \*

وَدُنْيَا وَجَدْنَا العَيْشَ فِي غَمَلَاتِهَا  
نُعَلُّ فِيهَا بِالنِّى فَتَعْرُنَا  
طَرِيقًا - إِلَى وَرْدِ المَنِيَّةِ - مَهِيَمًا <sup>(١)</sup>  
بَوَارِقُ لَيْسَ الآلُ مِنْهَا بِأَخْدَمًا <sup>(٢)</sup>

\* \*

أَصَبْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ هَضْبَ مَتَالِيعِ  
مَنَارٍ - مِنَ الإِيمَانِ - لَمْ يَعْدُ أَنْ هَوَى ،  
وَحَبْلٌ - مِنَ النُّقْوَى - وَهَى فَتَقَطَّعَا  
وَكَانَ لَهَا المِحْرَابُ فِي الخِذْرِ مَطْلَعًا <sup>(٣)</sup>  
أَصِيبَ بِهِ لَأَنهَدَّ أَوْ لَتَضَعُضَعَا

\* \*

لَنْ أَتُبِعَتْ مِنَّا غَمَامَةٌ رَحْمَةً  
لَقَدْ ظَلَلَتْ ذَاكَ السَّرِيرَ المُرْفَعَا

(١) للمهج : الطريق الواسع الواضح اليه .

(٢) الآل : السراب ، يقول إن الأمانى تمرنا وتخدعنا كما يجمع السراب . والله درّ مهبّار إذ يقول :

« شد مامى غرورا معه تاجر الآمال فى أن يربحا . »

وقوله : « ربما يقر بالظن الكدوب . » ، وفي هذا المعنى يقول ابن نباته السعدي :

« وأنتم ما الدنيا بدار إقانة ولاهى إلا مثل بعض المنازل

نسير إلى الآجال حول رجائها ونطوى بها الأيام طي المراحل . »

(٣) يقول : أنها شمس أشرقت فى خدرها ثم غربت فى قبرها

مَرِيرٌ بِأَمْلَاكِ وَزُهْرٍ مَلَاكِ  
لِتَبِكَ الْأَيَّامُ وَالْيَتَامَى فَقِيْدَةٌ  
أَصْلَهُمْ فَقْدَانُهَا ، فَكَأَنَّمَا  
مُسَبَّحَةُ الْآثَاءِ ، قَانَتُهُ الضُّحَى  
تَبَيْتُ مَعَ الْإِخْبَاتِ <sup>(١)</sup> مُسْعَرَةَ الْحَشَا  
إِذَا مَا هِيَ اسْتَوْفَتْ مِنَ الْبِرِّ غَايَةً  
كَأَنَّ قَضَاءَ الْوَاجِبَاتِ مَخْرَجٌ  
أَصْرَفَ الرَّدَى ! لَوْ أَنَّ لِلسَّيْفِ مَضْرِبًا  
فَلَوْ كُنْتُ - إِذْ سَا تَرْتُ - رَامٌ مُجَاهِرٌ  
إِذَا لَشَنَاهُ الْجَيْشُ مِنْ كُلِّ أَلْسٍ <sup>(٢)</sup>  
« وَمَعْتَصِدُهُ بِاللَّهِ » يَحْمِي ذِمَارَهُ  
وَلَكِنْ عَزَزْتَ الْمَلَكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَى -

- إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ - رَاحَ مُشِيمًا  
هِيَ الْمُزْنَ أَحْيَا صَوْبُهُ ثُمَّ أَقْشَمًا  
أَصْلَتْ سَوَامِ الْوَحْشِ فِي الْجَذْبِ مَرْتَعًا  
ثَوَتْ فَتَوَى مَعْنَى التَّأْوُّهِ بَلَقَمًا  
تَقِيَّةً مَنْ يَحْشَى إِلَى اللَّهِ مَرْجِعًا  
تَأْتَتْ لِأُخْرَى لَا تَرَى تِلْكَ مَقْدَمًا  
تَقْبَلُهُ إِلَّا بِأَنْ تَتَطَوَّعًا <sup>(٣)</sup>

لَمَّا رُعْتَنَا ، أَوْ أَنَّ فِي الْقَوْسِ مَرْزَقًا  
ذِمَارَ الْهُدَى كَانَ الْمُحَوِّطَ الْمُنْعَمًا  
يُشَايِعُ قَلْبًا فِي الْحِفَاطِ مُشِيمًا  
فَلَا سِرْبٌ يُلْفِي - فِي حِمَاهُ - مُرَوَّعًا  
فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِلْحَادِثِ الْحَنَمِ مَدْفَعًا <sup>(٤)</sup>

(١) الاحات : القوى والحشوع ، القنوت ، يقول : هي القبة الباقية من البناء الصالحات تبت من خشية الله مصلية داعية مسعرة الحشا خوفاً من لقاء الله ، ودرقا من هول يوم المرحع والمآب .

(٢) يقول : أنها لحرصها على التطرّع وضم الدوافع إلى الفرائض كأنها تمتدق أن في أداء الفرائض وحدها غير مشفوعة بالملوع حرجاً وإنما لا يعمل عاداتها متقلة وعملها مثاباً عليه إلا بأن تتطوّع ، وهي لذلك تبت ليلها قائمة متحدة .

(٣) الأليس : الشجاع الذي لا يبالى الحرب ولا يروعه القتال والجمع ليس ، قال الشاعر :

« تحال نديمهم مرضى حياء وتلقاهم غداة الروع ليسا . »

(٤) حررت : وطئت وزلت ، على غير هدى وعلم وبلا تمييز ، وهو من قول الله عزّ وجلّ : « ولولا رجال مؤمنون لفساد مؤمنات لم تعلموه أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم . » ، وقال عمر رضي الله عنه : « اللهم إني أعوذ بك من معرفة الجيش » تبرأ رضي الله عنه من وطأة جيش المسلمين من مروا به بلا تمييز بين مسلم ومعاهد وكافر وإصابتهم لإيهم في حريمهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه من قبل الشرع . يقول : لو كان صرف الدهر شخصاً يواحه مجاهرة لمحر عن غرضه ولشأن المعتصد الشجاع وحيشه الباسل ولكن صرف الدهر يأتي على غرة فلا يستطيع أحده أن يواحه ويدفع غائلته ، والله در القائل :

يَغِيْظُ الْعِثَاقَ الْجُرْدَ أَلَّا تَرَى لَهَا      تَجَالَا ، فَتَعْمُو فِي الْمَرَابِطِ خُشْعَا  
وَتَأْسُفُ يَبِضُ الْهِنْدِ أَنْ لَيْسَ تُنْتَضَى ،      وَتُسْرُ الْقَنَا أَلَّا تُهْزَ وَتُشْرَعَا

\* \*

لَنْ سَاءَ كَ أَنْدَهْرُ الْمَسِيءِ فَلَمْ يَكُنْ      بِأَوَّلِ عَهْدٍ وَاجِبِ الْخِفْظِ ضَيْعَا  
شَهْدَنَا : لَقَدْ طَرَزَتْ بُرْدَ جَمَالِهِ      وَقَلَدَتْهُ عِقْدَ الْبَهَاءِ مُرْصَعَا  
وَمَا فَخْرُهُ إِلَّا بِأَنْ كَانَ مُضْغِيًا      لِأَمْرِكَ ، إِنْ نَادَيْتَ لَبِّي فَاسْرَعَا  
أَتَى الْعَثْرَةَ الْمُظْمَى ، فَهَلْ أَنْتَ قَائِلٌ      لَهُ حِينَ أَشْنَى مِنْ كَأَبْتِهِ : «لَمَّا؟» (١)  
وَهَاهُوَ مُنْقَادٌ لِحُكْمِكَ ، فَأَحْكِمْ      لَتَبْلُغَ مَا تَهْوَى ، وَمُرُهُ لِيَصْدَقَا  
لَعَمْرُؤِ الْيَوْمِ وَدَعْتَ أَمْسٍ - مُفَارِقَا -      لَقَدْ وَرَدَتْ حَوْضَ السَّعَادَةِ مَشْرَعَا (٢)  
تَمَنَّتْ وَفَاهَ - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا      حَشَدَتْ لَهَا الْآمَالَ : مَرَأَى ، وَسَمِعَا  
فَوَفَّيْنَاهَا مَا لَمْ يَدْعُ لِضَمِيرِهَا      إِلَى غَايَةِ مِنْ بَعْدِهِ مُتَطَلَعَا  
خَفَضَتْ جَنَاحَ الذَّلِّ فِي الْعِزِّ رَحْمَةً      لَهَا ، وَعَزَّيْزٌ أَنْ تَذِلَّ وَتَحْضَمَا (٣)  
تَرَوْحُ أَمِيرًا فِي الْبِلَادِ مُحْكَمًا      وَتَعْدُو شَقِيْعًا فِي الذُّؤُوبِ مُشَقَّعَا  
عَزَاهُ فَدَتِكَ النَّفْسُ ، عَزَمَ مُسْلِمٌ      لِمَرْفَعِ أَمْرِ لَمْ يَزَلْ مُتَوَقَّعَا

« اليوم يبى لدويد بيته يارب وحه حس رأيته

ومصم - ذى برة - لويته لو كان لادهر بلى أبليته

أو كان قرنى واحدا كعبته . »

(١) أشنى : من تولم أشس على الهلاك وأشنى على الموت إذا أشرف عليه ، والكأبة : الحزن ، ولما : كلمة تقال للعائر وهي في اللغات دماء له ، وإذا قيل : لا لاما للعائر ، فمساء لا أقال الله عثرته ، يقول : لقد أساء إليك الدهر في هذا الخلد فهل أنت صامع عنه ومقبله من عثرته .

(٢) للفرع : كالفرعة والفرعة المكان الذى ينحدر منه الناس والدواب إلى الماء لوروده .

(٣) يشج إلى قوله تعالى فى بر الوالدين :

« واخمس لهما جناح الدلم من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »

مَتَى ظَنَنْتِ الْيَوْمَ أَنَّكَ جَزِعَ  
فَمَا أَرْبَدَ وَجْهُ الْخَطْبِ إِلَّا لَقِيَّتَهُ  
وَمَا كُنْتَ أَهْلًا أَنْ يُصِيبَكَ حَدِثٌ  
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمَحْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبُ  
فَأَنْتَ الَّذِي لَمْ يَنْقِمِ غِبَّ قُدْرَةٍ  
مَتَى تُسَدِّ نَعْمَى - قِيلَ أَنْعَمَ مِثْلُهَا -  
وَإِنْ يَسَلِ الْعَافُونَ جَدْوَالَكِ يُعْطِيهِمْ  
وَيُغْفِرِي بِتَوَكُّدِ الْإِسَاءَةِ مُذْنِبٌ  
خَلَائِقُ مُمَهَّاةُ الْفَرْنَنْدِ كَأَنَّهَا  
تُتَفَحِّحُهَا مِنْهَا أَحَادِيثُ سُودِدِ  
تَغْلَغُلُ فِي الْآفَاقِ أُسْرَى مِنَ الصَّبَا  
فَلَوْ صَرَفَتْ صَرْفَ الْمَنُونِ جَلَالَةً  
فَلَا زِلْتَ بِمَنْبُوعِ الْحِمَى مُسْتَعْفَ الْمُنَى  
وَدُمْتَ مُلْتَقَى أَنْجُمِ السَّعْدِ بَاقِيَا  
أَوْ اسْتَشْعَرْتَ فِي قَلِّ صَبْرِكَ مَطْمَنَا  
بِصَفْحَةٍ طَلَّقِ الْوَجْهَ أَبْلَجَ أَرْوَا  
فَتُصْبِحَ عَنْهُ مُقْصَدَ الْقَلْبِ مُوجِعَا  
وَلَا أَهْتَرِ أَعْطَافَا ، وَلَا لَانَ أَخْذَمَا  
وَلَمْ يُؤْثِرِ الْمَعْرُوفِ إِلَّا لِيَشْفَعَا  
يُقَلِّ جَلَلٌ حَتَّى إِذَا قِيلَ أَبَدَا (١)  
جَوَادُ إِذَا لَمْ يَسْأَلُوهُ تَبَرَّعَا  
فَيَلْفَكَ بِالْإِحْسَانِ أَغْرَى وَأَوَامَا (٢)  
حَدَائِقُ رَوْضِ الْحَزَنِ جِيدَ فَايْنَعَا  
تَحَالُ قَتِيَتِ الْمِسْكِ عَنْهَا تَضَوَّعَا  
وَأَشْهَرَمِينَ شَمْسِ النَّهَارِ وَأَسْرَعَا  
لَكُنْتَ مُحْيَا مِنْ تَوَدُّ مُمْتَعَا  
إِذَا كَانَ شَايِكَ الْمُصَابِ الْمُفْجَعَا (٣)  
لِدَيْنٍ وَدُنْيَا أَنْتَ فَخْرُهُمَا مَعَا

(١) يقول كلما أسديت جيلا فال الناس : كم لهذا الجيل من أشباه ونظائر دعو - على نظره - ناله عندهم لكثرة ما ألوه من صائلتك ، ولو أبدعت لم يستقر أظواهرهم إبداسك لطول ما أفوا من روايتك وديانتك .  
(٢) يقول : ان السبي يطعمه غفوك عن زلته فهو إذا أوقع بتوكيد إساءته وجداك أشد ولو ما توكيد إحسانك وغفوك عنه . (٣) يقول : لا راله الزمن يمر من حكاك ويسمفك بأمايك على حين يصيب عدوك ويفجعه فيما يحب

## قل للبغاة

« وقال ذو الوزارتين رحمه الله »

الْدَّهْرُ - إِنْ أَمَلَى - فَصِيحٌ أَعْجَمُ      يُعْطَى أَعْتَابِي مَا جَهِلْتُ فَأَعْلَمُ <sup>(١)</sup>  
 إِنَّ الَّذِي قَدَّرَ الْحَوَادِثَ قَدَّرَهَا      سَاوَى لَدَيْهِ الشَّهْدَ مِنْهَا الْعَلَمُ <sup>(٢)</sup>  
 وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَلَا أَغْتَرَابُ يَقْتَضِي      كَدَّرَ الْمَالَ وَلَا تَوَقَّيْ يَعْصِمُ  
 كَمْ قَاعِدٍ يَحْطِي فَتَعْجَبُ حَالُهُ      مِنْ جَاهِدٍ يَصِلُ الدُّوبَ فَيَحْرُمُ  
 وَأَرَى الْمَسَاعِيَ كَالسُّيُوفِ تَبَادَرَتْ      شَأَوُ الْمَضَاءِ فُتْنَنٍ وَمُصَمِّمُ  
 وَلَكُمْ نَسَائِي بِالرَّفِيعِ نِصَابُهُ      خَطَرُهُ فَنَاصِبُهُ الْوَضِيعُ الْأَلَامُ <sup>(٣)</sup>  
 وَأَشَدُّ قَاحِمَةً أَدْوَاهِي مُحْسِنٌ      يَسْمَى لِيُعْلِقَهُ الْجَرِيْمَةُ مُجْرِمُ <sup>(٤)</sup>  
 تَلَقَّى الْحُسُودَ أَصَمَّ عَنْ جَرَسِ الْوَقَا      وَلَقَدْ يُصِيحُّ - إِلَى الرِّقَاةِ - الْأَرْقَمُ <sup>(٥)</sup>

\* \*

قُلْ لِلْبَغَاةِ الْمُتَبَضِّينَ قِسِيَهُمْ      سَتَرُونَ مَنْ تُصْمِيهِ تِلْكَ الْأَسْهُمُ  
 أَسْرَزْتُمْ فَرَأَى نَجِيَّ غُيُوبِكُمْ      شَيْحَانُ مَذْلُولٌ عَلَيْهَا مُلْهُمُ

(١) يقول إن الدهر إن أملى لسان الحوادث الصريح الأعجم يكسب اعتباري وقباصي الحوادث والعرضها  
 ببعض علم ما جهلت . (٢) إن الذي فاس الحوادث بمقياس صحيح استوى لديه حلو الحياة ومرها .  
 (٣) وكثيرا ما ينسأى والذي ارتفع منصفه خطره وشرفه دياصه العداة وبيع لثيم حسدا منه وديا .  
 (٤) وأشد ما يزعج الإنسان من الدواهي محس يسمى محرم ليلصق به إساءة وحرمة .  
 (٥) يصيح مضارع أصاخ له استمع ، والرقاة جمع راق من الرقية وهي ما ينفث فيه من العوذ ، والأرقم  
 ذكر الحيات وهو أحسنها وأصلها للناس ، أو هو ما به بياض وسواد ، يقول : إن الحسود أصم عن سماع  
 صوت الوطء في حين أن الأرقم وهو أخبث الحيات وأشدّها عداوة للناس يصيح بسمعه للراق الذي يلو  
 وينفث في العوذ ، وفي الأصل « ولقد يصيح إلى الرقاة الأرقم »

وَعَبَّائُهُمُ لِلْفِسْقِ ظُفَرٌ سِمَايَةٌ لَمْ يَعْدُكُمْ أَنْ رُدَّ وَهُوَ مُقَلَّمٌ  
وَنَبَذْتُمْ التَّقْوَى وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ فَقَدْ بَغَيْضَكُمْ التَّقِي الْأَكْرَمُ  
مَا كَانَ حِلْمٌ « مُحَمَّدٍ » لِيُحِيلَهُ عَنْ عَهْدِهِ دَغِلُ الضَّمِيرِ <sup>(١)</sup> مُدَمَّمٌ  
مَلِكٌ تَطَلَّعَ لِلنَّوَاطِرِ غُرَّةَ زَهْرَاءَ يُنْدِيهَا الزَّمَانُ الْأَذْهَمُ  
يَغْتَشِي النَّوَاطِرَ مِنْ جِهَرٍ رَوَائِهِ خَلَقَ - يُرَى مِلَّ الصَّدُورِ - مُطَهَّمٌ <sup>(٢)</sup>  
وَسَنَا جَبِينِ يَسْتَظِيرُ شُمَاعُهُ يُغْنِي - عَنِ الْقَمَرَيْنِ - مَنْ يَتَوَسَّمُ <sup>(٣)</sup>  
صَبَلَتْ تَوَدُّ الشَّمْسُ لَوْ صِيغَتْ لَهُ تَاجًا تُرْصَعُ جَانِبَيْهِ الْأَجْمُ <sup>(٤)</sup>  
فَضَحَتْ مَحَاسِنُهُ الرِّيَاضَ بَكِي الْحَيَا - وَهَنَا عَلَيْهَا - فَأَغْتَدَتْ تَبَسَّمُ  
بِالْقَدَرِ يَبْعُدُ وَالتَّوَاضُّعَ يَدْنِ وَالشَّرَّ يَشْمُسُ وَالنَّدَى يَتَغَيَّمُ <sup>(٥)</sup>  
جَذْلَانُ - فِي يَوْمِ الْوَغَى - مُتَطَلَّقٌ وَجَهَا إِلَيْهَا وَالرَّدَى مُتَجَهَّمٌ <sup>(٦)</sup>  
بَأْسُ - كَمَا صَالَ الْهَزَبُ - إِزَاءَهُ جُودُ كَمَا جَاشَ الْخِصْمُ الْخِضْرُ <sup>(٧)</sup>

(١) سميحه حقد مكتم . (٢) الرواء : الحس ، وحلق مطهم : تام بارع الجمال .

(٣) يستظير : ينشر ، من القمرين : الشمس والقمر ، والذى أجاز النبية مع اختلاف لفظ للمرد  
التعليب كما هو معروف في كتب الجو ، ويتوسم : يطر إلى وسامة ذلك الحين المعنى وحسه .

(٤) الصلت : صعة الجبين ومعناه الواضح البارز المستوى ، أى تود الشمس لو أنها صيغت تاجاً مرصعاً  
بلائيء الجيوم ، ووصعت فوق حجب الممدوح : (٥) في الأصل :

« بالمدى يبعد والتواضع يدنى والبشر شمس والندى يتغم . »

والذى أنبتناه هنا هو ما يعطيه المعنى .

(٦) يقول : أنه يرى يوم الحرب جذلان فرحا طلق الوجهه باشاً إلى الحرب والردى متجههم عابس

الوجه كربه المظر ، وفي الأصل : « والروا متجههم »

(٧) البحر العظمم العظيم .

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي  
سُدَّتِ الْجَمِيعَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ  
لَا غَرْوٌ أَمْ الْمَجْدُ - فِي بَكْرِ الْحِجَابِ  
فَاحْشِمِ دَوَاعِيَ كُلِّ شَرٍّ دُونَهُ  
كَمْ سَقَطُ زَنْدٍ قَدْ نَمَّا حَتَّى غَدَا  
وَكَذَلِكَ السَّيْلُ الْجُحَافُ فَإِنَّمَا  
وَالْمَالُ يُخْرِجُ أَهْلَهُ عَنِ حَدِّهِمْ  
وَأَذْكُرُ صَنِيعَ أَيْكَ أَوَّلَ أَمْرِهِ  
لَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّعَ شَرَّهُ  
فَعَلَّامٌ تَنْكُلُ عَنْ صَنِيعٍ مِثْلِهِ  
وَجَنَابُكَ الَّتِي لَكَ لَا يَنْتَنِي  
وَالْحَالُ أَوْسَعُ وَالْعَوَالِي جَمَّةٌ  
لَا تَتْرُكُنَ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبْهَةٍ  
قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كِنْدَةٍ فِيمَا مَضَى

كُلُّ الْمُلُوكِ لَهُ الْعَلَاءُ نُسَلَّمَ  
أَنْ صِرْتَ فَذَهُمُ الَّذِي لَا يُنَامُ<sup>(١)</sup>  
مِنْ أَنْ يُضَافَ إِلَيْكَ صِنُوءٌ - أُعْقِمَ<sup>(٢)</sup>  
فَالدَّاءُ يَسْرِي إِنْ عَدَا لَا يُحْسَمُ  
بُرْكَانَ نَارٍ كُلِّ شَيْءٍ تَحْطِمُ  
أُولَاهُ طَلٌّ ثُمَّ وَبَلٌ يَشْجُمُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَفْهَمُ فَإِنَّكَ بِالْبَوَاطِينِ أَفْهَمُ  
فِي كُلِّ مُتَّهَمٍ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ  
فَصَفَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَلَدَّ الْمَطْعَمُ  
وَلَأَنْتَ أَمْضَى فِي الْخُطُوبِ وَأَشْهَمُ  
وَحُسَامُكَ الْمَضْبُ الَّذِي لَا يَكْهَمُ  
وَالْمَجْدُ أَشْمَخُ وَالصَّرِيْمَةُ أَصْرَمُ<sup>(٤)</sup>

وَأَحْزَمُ ، فَمَثَلُكَ فِي الْعِظَائِمِ أَحْزَمُ  
يَتَنَا عَلَى مَرٍّ اللَّيَالِي يُعْلَمُ

(١) الذي لا يكون له نوم وطير من الملوك .

(٢) لا غرو فان أم المجد عقيم في بكرها المرسوم بالحجا والعقل قد بثت من أن تصيب إليه صنوا .

(٣) الجحاف : كعراب الذي يذهب بكل شيء .

(٤) الصريمة : العريضة وأصرم أى أفزع ، وفي الأصل : « والصريمة ضيف . »



« لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ »<sup>(١)</sup>

\* \*

فِرْقُ عَوْتٍ ، فَرَأَتْ زَارَةً زَاجِرٍ رَاعَ الْكُئِيبَ بِهَا السَّبْتَى الضَّيْفَمُ<sup>(٢)</sup>  
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُ سَفِيهِمُ أَمْ قَدْ حَمَاهُ النَّبْجُ ذَاكَ الْمَكْمَمُ ؟  
لِي مِنْكَ فَلْيَذُبِ الْحَسُودُ تَلْظِيًا لُطْفُ الْمَكَانَةِ وَالْمَحَلُّ الْأَكْرَمُ  
وَشَفُوفُ حَظٍّ لَيْسَ يَفْتَأُ يُجْتَلَى غَضَّ الشَّبَابِ وَكُلُّ حَظٍّ يَهْرَمُ  
لَمْ تُلَفْ صَاعِيَتِي<sup>(٣)</sup> لَدَيْكَ مُضَاعَةً كَلَّا وَلَا خَفِيَ أَصْطِنَاعِي الْأَقْدَمُ  
بَلْ أَوْسَعْتَ حِفْظًا وَصَدَقَ رِعَايَةً ذِمَّتْ مُوَثَّقَةُ الْعُرَا لَا تُفْصَمُ  
فَلْيَخْرِقَنَّ الْأَرْضَ شُكْرُ مُنْجِدٍ مَنَى تَنَاقُلُهُ الْمَحَافِلُ مُتَمِّمٌ  
عَطِرٌ - هُوَ الْمِسْكُ السَّطُوعُ - يَطِيبُ فِي شَمِّ الْعُقُولِ أَرِيحُهُ الْمُتَنَسِّمُ  
وَإِذَا غُصُونُ الْمَكْرُمَاتِ تَهَدَّدَتْ كَانَ الشَّمَاءُ هَدِيلَهَا الْمُتَرَبِّمُ  
الْفَخْرُ تَعْرُ - عَنْ حِفَاطِكَ - بِاسْمِ وَالْمَجْدُ بُرْذُ - مِنْ وَفَائِكَ - مُعْلَمُ  
فَأَسْلَمَ مَدَى الدُّنْيَا فَأَنْتَ جَمَالُهَا وَتَسْوَعُ النُّعْمَى فَإِنَّكَ مُنْعِمُ

(١) هذا البيت ! انتهى وقد انتبهه ابن زيدون في هذه القصيدة .

(٢) السبتي والضيفم من أسماء الأسد .

(٣) صاعية الرمل خاصة : الذين يفشون مجلدة

## ذكرى قرطبة

سَقَى اللهُ أَطْلَالَ الْأَجْبَةِ بِالْحَمَى  
وَحَاكَ عَلَيْهَا ثَوْبَ وَشِي مُنَمَّمَا  
وَأَطْلَعَ فِيهَا لِلْأَزَاهِيرِ أَجْمَا  
فَكَمْ رَفَلَتْ فِيهَا الْخِرَانِدُ كَالدُّمَى<sup>(١)</sup> إِذِ الْعَيْشُ غَضَّ وَالزَّمَانُ غُلَامُ

\* \*

أَهْمُ بِجَبَّارٍ يَعِزُّ وَأَخْضَعُ<sup>(٢)</sup>  
شَدَا الْمِسْكِ - مِنْ أَرْدَانِهِ - يَتَضَوَّعُ  
إِذَا جِئْتُ - أَشْكُوهُ الْجَوَى - لَيْسَ يَسْمَعُ  
فَأَنَا - فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَصْلِ - أَطْمَعُ وَلَا أَنْ يَزُورَ الْمُقْلَتَيْنِ مَنَامُ

\* \*

فَقَصَبٌ - مِنَ الرِّيحَانِ - أُمَرَّ بِالْبَذْرِ  
لَوَاحِظٌ عَيْنِيهِ مُلَيْنٌ مِنَ السَّخْرِ  
وَدِيْبَاجٌ خَدْيُهُ حَكَى رَوْنَقَ الْخَمْرِ  
وَأَلْفَاظُهُ - فِي النُّطْقِ - كَاللُّؤْلُؤِ الثَّمْرِ وَرِيقَتُهُ - فِي الْإِرْشَافِ - مُدَامُ

(١) رذل : حر ذليل وتحت ، قال الشاعر : « يرملن في سرق الحرير وقره » الخرائد - جمع حريدة - وهي المرأة الحية ، وهي أيضاً الأؤلوة التي لم تنجب ، فالوا : وكل عذراء حريدة ، والدمى - جمع دمية - وهي الصورة المنقشة المريبة فيها حمرة كالدم ، وقيل : هي من الرحام ، وقيل : هي من الطاج ، وهي تضرب مثلاً في الحس ، يقال « أحسن من النمية »

(٢) قال الصريف :

« لا لو حيث يستمع السرار وقتها لعجبنا من عرته وخموى . »

سَقَى جَنَابِ الْقَصْرِ صَوْبُ النَّمَامِ  
وَعَفَى عَلَى الْأَغْصَانِ وَرَقُ الْحَمَامِ  
« بِقُرْطَبَةَ » الْفَرَاءِ دَارِ الْأَكَارِمِ  
بِلَادُهَا شَقَى الشَّبَابُ تَمَامِي <sup>(١)</sup> وَأُنْجَبَنِي قَوْمٌ - هُنَاكَ - كِرَامُ

فَكَمَّ لِي فِيهَا مِنْ مَسَاءٍ وَإِصْبَاحِ  
بِكُلِّ غَزَالٍ مُشْرِقِ الْوَجْهِ وَصَنَاحِ  
يُقَدِّمُ <sup>(٢)</sup> أَفْوَاهَ الْكُؤُسِ بِنُقَاحِ  
إِذَا طَلَمْتُ فِي رَاحِهِ أَنْجُمُ الرَّاحِ - فَإِنَّا - لِأَعْظَامِ الْمُدَامِ - قِيَامُ

وَيَوْمٍ لَدَى « النَّبِيِّ » فِي شَاطِئِ النَّهْرِ  
تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي فِتْيَةِ زُهِرٍ <sup>(٣)</sup>  
وَلَيْسَ لَنَا فَرْشٌ سِوَى يَانِعِ الزَّهْرِ  
يَدُورُ بِهَا عَذْبُ اللَّمَّا أَهْيَفُ الْخَضِرِ - فِيهِ - مِنَ الزَّعْرِ الشَّدِيدِ - نِظَامُ <sup>(٤)</sup>

(١) التمام - جمع تميمية - وهي هودجة تعلق على الأطفال بحافة العيين ، ومنه قول الفاعل : « من على تميمية ملائمتهم الله له » وقول الشاعر :

« وإذا المنيبة أنشبت أطفارها ألبعت كل تميمية لا تنفع . »

(٢) قدم دم الآنية وأدمها جعل عليها القدم أي المطاء .

(٣) زهر : مشرق الوجه ، وقرب من هذا - في باب الجرديات - قول أبي نواس :

« ودار ندامي عطلوها وأدلوها بها أثر منهم حتى ودارس

مساح من حر الرقاق على الترى وأصمعت ويحان حتى ويأس

حيست بها صهي فجذوت بهدم واني على أمثال تلك لحابس

ولم أدر منهم غير ما شهدت به - بشرق ساباط - الديار الباس

أقفا بها يوما ويوما وثالثنا ويوما له يوم الترحل خامس

تدار علينا الراح في عسجدية حثنا بأنواع النصاير فارس

قرارتها كبرى وفي حنابتها مها تدرىها بالقصى الفوارس

فلاخمر ما ررت عليه حيوبها وللماء ما دارت عليه القلائس » .

(٤) الشنيب - من الشنب - وهو رقة أو هو عذوبة في الأسنان ، وقيل تقط ييش بها .

وَيَوْمَ « بِجُوفِي الرُّصَافَةِ » مُنْهَجٍ  
مَرَرْنَا بِرَوْضِ الْأَفْحْوَانِ الْمَدْبُجِ  
وَقَابَلْنَا فِيهِ نَسِيمُ الْبَنْفَسَجِ  
وَلَا حَ لَنَا وَرَدٌ<sup>(١)</sup> كَعَدِّ مُضَرَّجٍ نَرَاهُ أَمَامَ النَّوْرِ وَهُوَ إِمَامُ

وَأَكْرَمُ أَيَّامِ « الْعُقَابِ » السَّوَالِفِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَهُوَ أَثَرُ نَاهِ بِتِلْكَ الْمَعَاطِفِ  
بِسُودِ أُثَيْثِ الشَّعْرِ بِيضِ السَّوَالِفِ  
إِذَا رَفَلُوا فِي وَشْيِ تِلْكَ الْمَطَارِفِ<sup>(٣)</sup> فَلَيْسَ - عَلَى خَلْعِ الْعِدَارِ - مَلَامُ

وَكَمْ مَشْهَدٍ عِنْدَ « الْعَمِيقِ » وَجْهِهِ  
قَعَدْنَا عَلَى حُمْرِ النَّبَاتِ وَصُفْرِهِ  
وَضَبِي يُسْقِنَا سُلَافَةَ حُمْرِهِ  
حَكِي جَسَدِي فِي السَّقَمِ - رِقَّةَ خَضْرَاهِ - لَوَاحِظُهُ - عِنْدَ الرُّنُوءِ - سِهَامُ

فَقُلْ لِرَمَائِمٍ قَدْ تَوَلَّى نَعِيمُهُ  
وَرَثْتُ - عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي - رُسُومُهُ  
وَكَمْ رَقٍّ فِيهِ - بِالْعَشِيِّ - نَسِيمُهُ  
وَلَا حَتَّ لِسَارِي اللَّيْلِ فِيهِ مُجُومُهُ : « عَلَيْكَ مِنَ الصَّبِّ الْمَشُوقِ سَلَامٌ »

(١) في الأصل : « مجد »

(٢) السوالب - جمع سالمة - وهي صيغة المثنى ، وقيل : ناحية مقدمها من لدن معلق القمطر إلى الترتوة . وقد تقدم في ص ( ٥٤ ) وما يليها شرح أمكنة ومعاهد بقرطبة منها ( جوف الرصافة ) و ( العقاب ) فارجع إليها إن شئت . (٣) المطارف - جمع مطرف - وهو رداء من خر مريم ذو أعلام .



وَمَا سَاءَ ظَنِّي فِي أَنْ يُسَىءَ  
عَلَى حِينٍ أَصْبَحْتَ حَسْبَ الضَّمِيرِ  
بِىَ الْفِعْلِ حُسْنُكَ حَتَّى فَعَلَ  
وَلَمْ تَبْغِ مِنْكَ الْإِمَانِي بَدَلْ  
وَصَانَكَ مِنِّي وَفِيَّ أُبِي  
لِعَلِّقِ الْعَلَاقَةَ أَنْ يُتَذَلَّ

\* \*

سَمِعْتَ لِتَكْذِيرِ عَهْدٍ صَفَاً ،  
فَسَاوُفِيَّتِ مِقَّتِي <sup>(١)</sup> مِنْ أَدَى  
وَحَاوَلْتَ تَقْصَ وَدَادٍ كَمَلْ  
وَلَا أُعْفِيَتْ ثِقَتِي مِنْ خَجَلْ  
وَمَهْمَا هَزَزْتُ إِلَيْكَ الْعِتَا  
كَأَنَّكَ نَاطَرْتُ أَهْلَ الْكَلَامِ  
وَعُدْتَ لِنِكَ السَّجَايَا الْأَوَّلْ  
وَلَوْ شِئْتَ رَاجَعْتَ حُرَّ الْفَعَالِ  
فَلَمْ يَكُ حَظِّي مِنْكَ الْأَخْسَ  
وَلَا عُدَّ سَهْمِي فِيكَ الْأَقْلَ

\* \*

عَلَيْكَ السَّلَامُ سَلَامَ الْوَدَاعِ  
وَمَا بِاخْتِيَارٍ تَسَلَّيْتُ عَنْكَ ،  
وَدَاعَ هَوًى مَاتَ قَبْلَ الْأَجَلِ  
وَلَسَكِنِّي : مُكْرَهُ لَا بَطْلَ <sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ يَذَرِ قَلْبِي كَيْفَ التُّزُوعِ  
إِلَى أَنْ رَأَى سِيرَةً فَامْتَنَلْ  
وَلَيْتَ الَّذِي قَادَ عَفْوَاً إِلَيْكَ  
أَبِي الْهَوَى فِي عِيَانِ النَّزَلِ  
يُحِيلُ عَذُوبَةً ذَاكَ الْمَلَا  
وَيَسْنِي مِنَ السُّقْمِ تِلْكَ الْمُقْلَ .

(١) مَقَّتِي : حَقِي .

(٢) يَقُولُ : إِنِّي مَرْغَمٌ عَلَى السَّلَاحِ وَلَيْسَ لِي فِيهِ اخْتِيَارٌ وَفِي الْمَثَلِ « مُكْرَهُ أَخُوكَ لَا بَطْلَ » يَضْرِبُ لِمَنْ يَحْدِلُ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، وَلَا هُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ اسْتَطَاعَتِهِ .

## في مدح المعتضد

« وقال أيضا بمدح المعتضد بالله المنصور بفضل

الله أبا عمرو عاد بن محمد بن عاد . »

لِلْحُبِّ - فِي تِلْكَ الْقِيَابِ - مَرَادُ<sup>(١)</sup>      لَوْ سَاعَفَ الْكَلِيفَ الْمَشُوقَ مُرَادُ  
لِيَفْرُ هَوَاكَ فَقَدْ أَجَدَّ حِمَايَةَ      لِفَتَاةٍ نَجْدٍ فَنِيَّةٍ أَنْجَادُ<sup>(٢)</sup>  
كَمْ ذَا التَّجَلُّدُ؟ لَنْ تُسَاعِفَكَ الْهَوَى      بِالْوَصْلِ إِلَّا أَنْ يَطُولَ نِجَادُ<sup>(٣)</sup>  
أَعْقِيلَةَ السَّرْبِ ! الْمُبْحُ لَوْرِدِهَا      صَفْوُ الْهَوَى إِذْ حُلِيَ الْوَرَادُ<sup>(٤)</sup>  
مَا لِلْمَصَايِدِ لَمْ تَنْلِكَ بِحِمْلَةٍ؟      إِنَّ الظُّبَاءَ لَتُدْرَى<sup>(٥)</sup> فَتُصَادُ  
إِنْ يَعُدُّ عَنْ سَمَرَاتٍ جِزْعِكَ - سَامِرُ      فِي كُلِّ مُطَّلَعٍ لَهُمْ إِرْعَادُ<sup>(٦)</sup>

(١) مكان ارتياد . (٢) ليعبر : لينحدر إلى المور ، والاعاد : جمع نجيد وهو الشجاع ذو النجدة والبأس . (٣) يقول : ما هذا التجلد والصبر ؟ إنه لن يسعك الهوى بالوصل ما لم تكن شجاعا طويلا النجاد بحيث يهابك الأعداء ، وتستطيع زيارة هذه الحبيبة في حي قومها رغم رثيم ووعيدهم . (٤) العقيلة : الكريمة من النساء المحدرة ، وحلى الوراد : منعوا من ورود الهوى صفوا ، أى يا عقيلة بين سرب من النساء مباح لها ورد الهوى صابيا ممنوع غيرها من ورده ، وجواب الداء في البيت بعده . (٥) المصايد : بلا همز جمع مصيده كعيشه ومعاش ، وتدري : تمتلئ من ادري الصائد الصيد إذا حمله واحتال له ليصيده ، قال الشاعر :

« وماذا يدري الشعراء مى      وقد جاوزت حد الأربعين . »

وقال أبو نواس في وصف كأس :

« قرارتها » كسرى « وفي جنباتها      مها تدريا - بالقسى - الفوارس . »

(٦) سمرة : جمع سمرة ( بفتح دهم ) ضرب من الشجر . قال امرؤ القيس :

« كافي غداة الدين - يوم ترحلوا -      لدى سمرة الحى تائف حنظل . »

وجزعك : أراد به جزع الوادى أى منقطعه الذى يقطعه عرسا إذا أراد زيارتها ، والسامر : مجلس السر يقول : إن يمدنى ويمعنى عن سمرة جزع واديك سمار من قولك لهم في كل ثنية ومطلع إرعاد وإراق وزجر وتخويف ، وجواب الأمر في البيت بعده .

فَبِمَا تَرَفَّرَقَ لِلْمُسَيَّمِ يَنْتَهَا غَلَّلُ شَقَى حَرَّ الْغَالِيلِ بُرَادُ<sup>(١)</sup>  
 أَنَا حِينَ أَطْرُقُ لَيْسَ يَفْتَأُ طَارِقِي شَوْقُ كَمَا طَرَقَ السَّلِيمَ عِدَادُ<sup>(٢)</sup>  
 يَنْهَى جَفَاؤُكَ عَنِ بَارِقِي الْكَرَى كَيْلًا يَزُورَ خِيَالُكَ الْمُعْتَادُ  
 لَا تَقْطَعِي صِلَةَ الْخِيَالِ تَجَنَّبَا إِذْ فِيهِ مِنْ عَوَزِ الْوِصَالِ سِدَادُ<sup>(٣)</sup>  
 مَا ضَرَّ أَنْكَ بِالسَّلَامِ صَفِينَةُ أَيَّامٍ طَيْفُكَ بِالْغِنَاقِ جَوَادُ  
 هَلَّا حَمَلْتَ الشَّقَمَ عَنْ جِسْمِ لَهُ فِي كِلَّةٍ زُرَّتْ عَلَيْكَ فُؤَادُ  
 أَوْعَدْتَ مِنْ سَقَمِ الْهُوَى، إِنَّ الْهُوَى مِمَّا يُطِيلُ ضَنِّي الْفَتَى فِيمَادُ  
 إِيهَا ! فَلَوْلَا أَنْ أُرْوَعَكَ بِالسَّرَى لَدَنَا وَسَادُ أَوْ لَطَالَ سَوَادُ<sup>(٤)</sup>

(١) ترفرق : تحرك وحاء وذهب كما يرى في ترفرق الدراب والماء ومرند السيف ، والسدير في « بينها »  
 طأء على السررات ، والعلل : الماء الذي يتال بين الشجر ، والعليل : العطش ، والبراد : البارد ، يقول :  
 إن يعنى قومك من الوصول إليك فمسيل الوادي الذي يتال ماؤه بين سررات الحى ما يشقى غليل ويرد  
 على ، يريد أن الوصول إلى هذا المكان إلى حرارة الشوق عنده ، وقد ورد هذا البيت والذى قبله في  
 الأصل على هذه الصورة :

« إن يعدن ثمرات حردك ساسم في كل مطلع لهم لإرهاد

فبما ترفرق للمسيم بينها غلل في جر الليل براد . »

(٢) السليم : المدح ، وعداد السليم : احتياح الوقع عنده ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم بلغ حاج  
 به الألم ، أو عداؤه أن تعد له سبعة أيام . فإن مضت رجوا له البرء ، يقول : أنا حين أطرق برأسى مفكرا  
 يطرقي من ألم الشوق ما يطرقت اللديغ حاج به الألم المعاد .

(٣) سداد : بالكسر هو كل شيء سدوت به حلا ، ومنه سداد الفارورة وهو صمامها الذى يسد به  
 رأسها ، ويقال : سداد من عوز وسداد من عيش وهو مائسد به الحاجة .

(٤) الوساد : الخدة والوساد : السرار مصدر ساودها مساودة وسوادا أى سارها مسارة وسرادا فادنى  
 سواده من سوادها ، وقيل لابنة الحسن : « لم زيت وأنت سيدة قومك » ؟ قالت : « قرب الوساد ،  
 وطول الوساد . » وأرادت بطول السواد كثرة المسارة عند النوم لأن المسارة يلزمها قرب السواد من الوساد ،  
 أى دنو شخصها من شخصه ، وهو مثل يضرب للأمر يلقي صاحبه فيما يكره .



لَفَشَيْتُ سَجْفَكَ فِي مَلَاءَةٍ نَثْرَةٍ      فَضِّلْ سِوَى أَنْ الْعِطَافَ نِجَادُ<sup>(١)</sup>  
لَا مِيلَ فِي سُكْرِ اللَّامِ فَيَبِيتَ لِي      - مِمَّا حَوَى ذَلِكَ السَّوَارُ - وَسَادُ  
فَعَدِي الْمُنَى، فَوَعِيدُ قَوْمِكَ لَمْ يَكُنْ      لِيَعُوقَ عَنْ أَنْ يُقْتَضَى الْمِيعَادُ

\* \*

أَصْبُو إِلَى وَرْدِ الْخُدُودِ إِذَا عَدَتِ      جُرْدُ - تُبْلَغُنِي جَنَاهُ - وَرَادُ  
وَأَرَا حُ لِّلْعَطْرِ السَّطُوعِ أُرِيحُهُ      إِنَّ شَيْبَ الْجَسَدِ الْعَطِيرِ جَسَادُ<sup>(٢)</sup>  
عَزَمْتُ إِذَا قَصَدَ الْحِمَى لَمْ يَذْنِبْ      أَنْ الْقَنَا - مِنْ دُونِهَا - أَفْصَادُ<sup>(٣)</sup>  
مَنْ كَانَ يَجْهَلُ مَا الْبَلِيدُ، فَإِنَّهُ      مَنْ تَطَيَّبَ - عَنِ الْحُطُوطِ - بِلَادُ<sup>(٤)</sup>  
وَفَتَى الشَّهَامَةِ مَنْ - إِذَا أَمَلُ سَمَا -      نَفَذْتُ بِهِ سُورَى أَوْ اسْتَبْدَادُ<sup>(٥)</sup>

\* \*

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْأَحْبَةِ إِذَا بَتَ      ذِكْرَاهُمْ أَنْ يَطْمُنَّ مِهَادُ  
لَا يَأْسَ ، رَبُّ دُنُو دَارِ جَامِعِ      لِلشَّمْلِ قَدْ أَدَّى إِلَيْهِ بَعَادُ<sup>(٦)</sup>

(١) السجف : الستر ، قالوا : أو هو الستران للمقرونان بينهما فرجة ، أو هو كل باب ستر بسترين مقرونين ، فكل شق سنف وسحاف ، ويقال : اسجف الستر أى أرسله ، والملاءة : الربطة ، والنثرة الدرع السلسلة الملبس أو الواسعة ، والفصل - كالفصلة - : الثياب التى تبذل للنوم ، وثوب فصل أى واحد أو هو أن يخالف بين طرفيه يجعلهما على طاقه ويتوشح به ، والنجاد : حائل السيف وضعا على طاقه فكانت بدل العطف ، يقول : لفشيت سجفك ، ودخلت عليك سترك فى درع واسعة كالملاءة ، فصل أى خالفت بين طرفيها لجمعتهما على طاقى حين توشحت بها ، أو فصل أى واحدة ليس على غيرها سوى ما وضعته على طاقى كالعطف من نجاد السيف أى حائله .

(٢) الجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران أو العنبر ، والجساد : الزعفران ، قالوا : « والجسد والجساد : الزعفران » ويقال : أجسد ثوب فلان لجساده وهو مجسد . يقول : لاني أرتاح وأنعم بعطرك الساطع إذا امتزج طيب الزعفران بشوك الأحمر المصبوغ بالزعفران أو الأصفر المصبوغ بالعنبر .

(٣) أفضاد : يقال تصدت الرماح تكسرت ورمع أفضاد منكسر ، ورماع أفضاد متكسرة يوصف به الواحد والجمع ، يقول : إذا اعتزمت زيارتها ، وقصدت حماها لم يصرفنى عن هزى أن الرماح تتكسر دون الوصول إليها ، وفى الأصل : « الفنى . » (٤) اطباه : ازدهاه ، وشآه وأعجبه .

(٥) وفى الأصل : « نفذت به سورى أو استبداد »

(٦) وفى الأصل : « لأبأس »

إِنَّ أَغْتَرِبَ فَوَاقِعَ الْكَرَمِ - الَّذِي فِي الْغَرْبِ شَمْتُ بُرُوقَهُ - أَرْتَادُ  
 أَوْ أَنَا - عَنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ بِحَايِنِي - فَهُمْ الْعَبِيدُ مَلِكُهُمْ « عَبَادُ » (١)  
 الْمَجْدُ عُدْرُهُ فِي الْفِرَاقِ لِمَنْ نَأَى - يَرَى الْمَصَانِعَ مِنْهُ كَيْفَ تُشَادُ (٢)  
 يَا هَلْ أَتَى مَنْ ظَنَّ بِي - فَظَنُّوهُ شَيْئًا تَرَجَّحُ بَيْنَهَا الْأَضْدَادُ -  
 أَنِّي رَأَيْتُ « الْمُنْذِرَيْنِ » كِلَيْهِمَا فِي كَوْنٍ مُلْكٍ لَمْ يُحِلَّهُ فَسَادُ  
 وَبَصُرْتُ بِأَبْرَدَيْنِ إِرْثٍ « مُحَرَّقٍ » (٣) - لَمْ تَخْلُقَا - إِذْ تَخْلُقُ الْأَبْرَادُ

(١) وفي الأصل :

« أَوْ أَنَا عَنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ بِحَايِنِي فَهُمْ الْعَبِيدُ مَلِكُهُمْ عَبَادُ . »

(٢) وفي الأصل : « اخذ عذري في العراق لمن نأى »

(٣) محرق

هو - كما في شرح العيون - « عمرو بن المنذر بن ماء السماء » وهو « عمرو بن همدان » وكان يعرف بأمة هند بنت الحارث بن حجر آكل المرار السكدي ، وكان يقال لعمره مضطرب الحجارة لشدة بأسه ، وسعى محرقاً لفصة استوفى أبو الفرج شرحها في كتاب الأمان ، فقال : كان قد قائد حياطي على ألا ينازحوا ، ولا يفاخروا ، ولا يبروا ، ثم أنه عرا اليمامة ورجع معتبطاً ومرططاً ، فقال له زرار بن عدس القيسى ، وكان من خواصه أبيت اللعن أصب من هذا الحمى شيئاً ، فقال ويلاك إن لهم عدداً . قال وإن كان لهم ، فلم يزل به حتى أصاب سوسة وأوداداً ، فقال في ذلك قيس بن وجرة الطائي :

« أراك ابن هند لم تفك أمانة وما المرء إلا عهده ومواقفه

فأقسست جهدي بالأباطح منى وما حب في بطعنهم درادته

لئن لم تغير بعض ما قد فعله لانتحيب للعظم ذو أنت طارقه . »

سمى طارقاً بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند ، فقال له زرار بن عدس أبيت اللعن أيتوهك ؟ فقال عمرو لرميلة بن شعار الطائي أهبجوني ابن عمك ويتوعدني . قال لا والله ما هبجك ، ولكنه قال :

« والله لو كان ابن حفنة حاركم ما إن كساكم صيعة وهوانا . »

وأراد رميلة أن يسأل سجيته ، فقال والله لأقتله ، فبلغ ذلك طارقاً ، فقال لمنشد :

« أيوعدني والرميل بيني وبينه تبين رويداً ما امامة من هند

غدرت بهمد كنت أت أخذتنا عليه وشر الشيبة الغدر بالعهد

وقد يترك المنذر العتي وطعامه إذا هو أسمى حلام دم الفصد . »

فبلغ عمرو بن هند قوله فزع طارقاً فأسرأ سرى من بني عدي بن أضم رهط حاتم ، فودع حاتم عليه وسأله في الأسرى فأطلقهم له ، وكان للمنذر بن ماء السماء أبو عمرو قد وضع ابناً له صغيراً يقال له مالك عند زرار

ابن هدد ، وأن مالكاً خرج وما يتصيد فأحرق ولم يجد شيئاً ، فرجع فرّ بابل لرحل من بى عبدالله بن دارم يقال له سويد ، وكان عد سويد ابنة زراردة ، فولدت له سبعة غلمة ، فأمر مالك بن المندر بئاقة سينة منها فحرقها ، ثم اشتوى وسويد تأثم ، فلما انتهى شدّ على مالك بعضاً فضره فأمنه ، فأتى وخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة ، وكانت طى تطلب غزاة بن زراردة وبى أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأبى الملك ، فقال ثعلبة بن عمرو الطائي :

« من مبلغ عمرو بأن المرء لم يحلق صباه  
وهو اود الأيام لا تبقى لها إلا الحجارة  
أن ابن عمرو أمته بالسفح أسفل من أواره  
تسقى الرياح خلال كسحبه وقد سلوا أزاره  
فاقتل زراردة لا أرى في القوم أوفى من زرارده »

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى وفاست عيابه ، وبلغ الخبر زراردة فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهى حبلى ، فقال أذكر في نطك أم أبى ؟ قالت لا علم لى بذلك بقى بطنها ، فقال قوم زراردة لررارة والله ما نلتك أما الملك فإنه فأصدته الخبر ، فأناه فتنصل إليه ، فقال علىّ بسويد ، فقال إنه لحق بمكة ، قال فعلىّ نبيه ، فأناه ببنيه السبعة وأمرهم بت زراردة غلمة بعضهم دوق بعض ، فأمر يقتلهم ، فناولوا أحدهم فضرهوا عنقه وتعلق بزراردة الآخرون ، فقال زراردة : يا سقى ، فذهبت مثلاً وقتلوا وآلى عمرو بن هند ألية ليحرقن من بى حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدنم ونعت على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد النوم قد ألدروا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأحية البحرين فحبسهم ولحقه ابن هدد فضربت قبتة وأمرهم بأحدود ثم أضرم فيه ناراً ، فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فيه فاحرقوا فأقبل راكب من البراحم وهم بطن من بى حنظلة لا يدري بشيء مما كان يصنع بيده فأخذ وأتى في النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقتل له لو تخلصت امرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً ، فدا امرأة من بى حنظلة ، فقال لها من أنت ؟ قالت الحمراء بنف صبرة ، فقال إني لأطوك أعجبية ؟ فمالت : ما أما بأعجبية ولا ولدتى العجم :

« إني لست ضربة بن جابر ساداً معداً كالأبرار كابره »

فقال عمرو : أما والله لولا محامتي أن تلد مثلك لصرفتك عن النار ، فمالت : « أما والذى أسأله أن يضع وسادك ويغفص عمادك ، ما نلتك إلا نساء أهلها ثدى » ، وأسألهما دى . « قال اقدوها في النار فالتفت وقالت : ألا ترى يكون مكان عجز ، فلما أظنوا عليها قالت : هيهات صار العتيان حمداً وسبى من ذلك اليوم محرقاً ، ومن ملوك جمنة أيضاً المحرق لكه غير صاحب البردين - فأما أمر البردين لحكى أن الودود اجتمعت عند محرق فأخرج بردين من لباسه يلو الوفود وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما ، فقام حاسر بن أحيير فأخذهما فأترز بالواحد وارتردى بالآخر ، فقال له أنت أعز العرب قبيلة ؟ قال العزكة في معد والمعد في معد ، ثم في زار ، ثم في مضر ، ثم في خندف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في بهدلة فن أنكر هذا فلينا فرنى فسكت الناس ، فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في نفسك وأذل بيتك ؟ قال أما أبو عمرة ، وأخو عمرة ، ، وهم عشرة ، وحال عشرة ، وهما أنا في نفسى وشاهد المر شامدى ، ثم وضع قدمه على الأرض وقال من أزالها من مكانها فله عمرة من الابل فلم يبق إليه أحداً ، وخرج بالبردين فضربت العرب بعزه المثل وببرديه

وَعَرَفْتُ مِنْ ذِي الطَّوْقِ عَمْرٍو<sup>(١)</sup> ثَأْرَهُ جَذِيْمَةَ الْوَصَّاحِ<sup>(٢)</sup> حِينَ يُكَادُ

(١) عمرو « ذو الطوق »

انظر ص « ١٤٥ » من هذا الديوان .

(٢) جذيمة الوصاح أو الأبرص

هو حذيمة بن مالك بن طامر التنوحي ، وقبل الأردى أول من قاد العرب وملك على قضاة ، وكان يمارله الحيرة والابار وولايته من قل اردشير بن بابك ، وكان أبرص فعُدل عن هذا الاسم ، فقبل الأبرص والوصاح ، وزعم بعضهم أنه كان يأب من اسم الأبرص ، ولذلك كنى عنه بالأبرص ، وفي العرب من يفتخر بذلك . قال الرازي يمدح أبرص :

« أبرص يامس اليبدين أكلف والبرص أدري لالهها وأعرف . »

وهو أول من صنع له الشمع وأدخ من الملوك ، وكان ذا رأى وهمة وتيه مفرط ، ويقال له نديم الفرقدين كان إذا شرب قدحاً صب لها قدسين ولا يادم غيرهما ، وكان سبب ذلك فيما رجموا أنه كان تكهن واتخذ صميم يقال لها المرياب يستقي بهما ويتصر على أعدائه ، وكانت اياد قد حرج قوم منهم من الحجار واشتروا فيما بين الصخرة والكوفة وتمكوا على ما بلى الحيرة وكثروا بين أناغ ، فخرج حذيمة عارياً ، وكان في اياد رجل يقل له عدى بن عمر ، وكان له طرف وحال ، وإليه نسب الملوك من آل نصر ، فنزل حذيمة ساحتهم ، فدمت اياد قوماً منهم إلى صميم حذيمة فسقوا سدتهم الحجر وسرقوها فأصبحوا بهما في اياد ، فمعت اياد إلى حذيمة تقول : إن صميمك قد أصعبا عندنا زهداً فيك ورغبة فينا ، فان هادتنا على أن لا نرونا ردداً ما إلك ، فقال حذيمة وتطوى أيضاً عدى بن نصر يكون عندى ففعلوا وانصرف عنهم ، وضم عديا إلى نفسه وولاه شرابه وأمر مجلسه ، وكان لحذيمة أخت تسمى رقاش وهى بكر ، فأحت عديا وأحبها ، فسألته أن يعطها من حذيمة إذا سكر ففعل ذلك وروحه بها وأشهد عليه من حضر ، فلما أصبح دخل عليه نقيب العرس ، وكان قد دخل بها تلك الليلة ، فقال لحذيمة ما هذه الآثار يا عدى ؟ فقال آثار عرس رقاش ، فقال من زوجكها وعيك ؟ قال الملك ، فأك على الأرض مكرراً وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر ، وأرسل حذيمة إلى أخته يقول :

« خبريني رقاش لا تكذبي أبجر زينت أم يهجين

أم بسد فأت أهل لعد أم بدون فأت أهل لدون . »

فالت بل أت زوجتى امرأ غريباً ولم تشاورنى فى نفسى ، فكف عنها وآلى أن لا ينادم إلا الفرقدين وحملت رقاش غلاماً وسدته عمرا ، فلما ترعرع ألتسته ونطرتة ودخلت به على خاله ، فلما رآه أحبه وحله مع ولده وخرج حذيمة متدياً بأهله فى سدة خضبة ، فأقام فى روضة ذات زهر ونهر ، فخرج ولده وعمرو معهم يبحثون الكدأة ، فكانوا إذا أصابوا كدأة حبسدة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها وانصرفوا إلى حذيمة يتعادون وعمرو يقول : هذا حناى وخياره فيه ، إذ كل جان يده إلى فيه ، فضمه حذيمة إلى صدره وسر بقوله وحلاه بطوق من ذهب ، فكان أول حربى لبس الطوق ، ثم إن الجن استطارته فطلبه حذيمة فى الآفاق زماناً فلم يقدر عليه ، ثم أتل رحلان من قضاة يقال لها مالك وعقيل ابا فارح من الشام يريدان جذيمة وأهديا له طرفا ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فق عريان قد تلبد شعره فعرفهما نفسه فنهضا وغسلا

وَأَتَى بِي النُّعْمَانُ <sup>(١)</sup> - يَوْمَ نَعِيمِهِ - نَجْمٌ تَلَقَّى سَعْدَهُ الْمِيلَادُ  
قَدْ أَفْتَتْ أَشْهَاتُهُمْ فِي وَاحِدٍ إِلَّا يَكُونُهُمْ أُمَّةً فَيَكَادُ <sup>(٢)</sup>

رأسه وأصلحاً أمره وألبساً ثياباً ، وقالوا ما كنا لنهدى جذية أنس من ابن أخته ، وخرجا به إلى جذية  
مصر به ورأى الطوق ، فقال شب عمرو عن الطوق مذعب مثلاً ، وقال لذلك وعقيل حكيماً قالاً  
ماده تلك ما بقينا وبقيت فكأنهما من ذلك وهما نديما جذية اللدان يضرب بهما المثل وإياهما عن متم بن  
نوبة بقوله في رثاء أخيه :

« وكنا كندمانى جذية حقة من الدهر حتى قبل لى يتصدعا . »

وقيل إنما عنى المرتدين ، ويحكى أن حذيفة سكر مرة أخرى فقتلها ، فلما أصبح ندم ، وبني عليها الزبيرين  
ونادم المرتدين وقيل إن صاحب المرددين المدرا الأكبر ، ثم إن حذيفة أرسل يخطب الرباء ملكة الحضر الحاضر  
بن الفرس والروم ، وكالها وترعده فأجابته واستدعته إليها ، فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالمضى فظالفهم قصير  
ابن سعد ، وكان لبياً ، وقال : إن النساء يهدين إلى الأرواح مصاه وسار حتى إذا كان بمكان يدهي بقية  
استشارهم فأشاروا عليه لما يهملون من رأيه فيها ، فقال قصير انصرف ودمك في وجهك فأبى ، وظعن  
جذية حتى إذا طاب الكنائس قد استقبلته . قال القصير ما الرأى ؟ قال تركت الرأى ببقية ، ثم ركب قصير  
ورساً لجذية تسمى العصا فدحا وأخذ حذيفة ، فلما أدخل على الرباء أمرت برواحشها قطعت والرواحش  
عروق اليد واستنزفته حتى مات في خبر طويل مشهور ، وكانت مدة ملكه ستين سنة ، وله أشعار حسنة  
مشهورة فمنها :

« أضحى حذيفة في بربن منزله قد حاز ما جمعت من قلبه طاد  
مستعمل الخير لا تفى زيادته في كل يوم وأهل الخير تزداد . »

### (١) النعمان

قالوا إن النعمان كان له نديمان دعب عليهما فقتلها ، فلما أصبح ندم على ذلك أشد الندم ، فبى على  
قبريهما ضريحين ، وحمل لفسه يومين في كل عام يجلس بهما بجوار القبرين أحدهما يوم نعيم ، والآخر  
يوم يؤس . فأول من يطلع عليه في يوم النعيم يذليه مائة من الابل ، وأول من يطلع عليه في يوم يؤس  
يقتله ويطلق يدمه ضريحى نديمه .

وقد ذكروا مثل ذلك عن المنذر بن ماء السماء ، وقالوا إنه لقي « عبيد بن الأبرص » في يوم يؤس فقتله .  
فقال له جلته التي صارت مثلاً فيما بعد وهي قوله : « حال الجريض دون القريض » .

(٢) يقول : قد اجتمع هؤلاء الأعلام الذين أزدانت بهم السير في شخص واحد هو المدوح ، فإذا لم  
يكن أمة مجتمعة فيه صفاتهم ومزاياهم فهو يكاد أن يكون .

وقديماً قال الغائل :

« ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد . »

## فَكَانَتِي طَالَعَتْهُمْ بِوِفَادَةٍ لَمْ يَسْتَطِعْهَا «عُرْوَةُ» الْوَفَادُ<sup>(١)</sup>

### (١) عروة الوفاة

نلخص هنا طرفا من أجاره عن كتاب الأغاني فنقول :  
هو عروة بن الورد بن زيد ، وقيل : ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن لديم بن عود بن  
قال بن قطيعه بن عيسى بن يعين بن الريث بن غطمان بن سمعد بن قيس بن عيسلان بن مضر بن نزار ،  
شاعر من شعراء الحاهلية ، وفارس من فرسانها ، وحواد من أحواذها المقدمين ، وكان يجمع الصعاليك  
ويقوم بأمرهم إذا أحفقوا في غزواتهم ولم يصيبوا معاشا ، ولذلك سعى عروة الصعاليك  
ورودوا على عبد الملك بن مروان أنه قال : ما يسرنى أن أحدا من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة  
ابن الورد لقوله :

«إني امرؤ عالى إنائي شركة وأنت امرؤ عالى إنائك واحد  
أترأى منى أن سنت وأن ترى بحسبى من الحق والحق جاهد  
أمرق حسمى فى حشوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء يارد.»

ويقال أيضا : إن عبد الملك قال : من رعم أن حاشما أسبح الناس فقد ظلم عروة بن الورد . قالوا : وكان  
إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والصغير ، وكان عروة يجمع هؤلاء  
وأشباههم ثم يحمر لهم الأسراب ، وتجد لهم حظائر يكدها عليهم وؤجهم إليها ، ومن قوى منهم بأن يرى  
من مرضه أو ثلث إليه قوته خرج به معه فأغار ، وحمل لأهل الضعف من أصحابه اللاتين نصيبا ، وعن  
ابن الأعرابي قال : أحبب الناس من بنى عيسى في سنة أصابتهم وأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد  
ونؤس ، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلما بصروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصعاليك ، أغثننا ،  
فرق لهم وخرج ليؤجهم ويصيب معاشا فنهته امرأته عن ذلك لحودها عليه من الهلاك ، فمضاه وحرج عاريا ،  
فر بمالك بن حمار العراري فنحله حرورا فأكل منها هو وأصحابه ، وأشار عليه مالك أن يرجع فمضاه ،  
ومضى حتى انتهى إلى بلاد النين فأغار عليهم فأصاب هجعة فاد بها على نفسه وأصحابه  
وقال في ذلك :

«أرى أم حسان المداة تلومى تحوى الأعداء والهمس أخوف  
تقول سايى لو أفت لسرنا ولم تدر أنى للعقام أطرف  
لعل الذى حوتنا من أماما يصادبه فى أهله المخلط .»

وقال في ذلك أيضا :

«أليس ورائى أن أدب على العصا فيشت أعدائى ويسأنى أهلى  
رهية قمر البيت كل عشية يابف فى الولدان أهدج كالرأل  
أقيموا بى أمدور ركابكم فكل مايا النفس خير من الهزل  
فانكدوا لن نلدوا كل همتى ولا أربى حتى تروا منبت الأثل  
لعل اوتياى فى اللاد وجيلنى وشدى حيازيم الطية بالرحل  
سعيدفعى يوما إلى رب هجة يدام ضها بالعقوق وبالبلل .»

## فِي قَصْرِ مَلِكِ كَالْسَدِيرِ<sup>(١)</sup> أَوِ الَّذِي نَاطَتْ بِهِ شُرُفَاتُهَا سِنْدَادُ<sup>(٢)</sup>

### (١) السدير

« السدير » قصر - وهو معرب - قالوا « وأصله بالفارسية « سه دل » أى قبة فيها ثلاث قباب متداخلة » فمر به العرب ، فقالوا : « سدير » قالوا : « وهو موضع معروف بالحيرة » وقالوا : « هو قصر قريب من « الحورق » كان النعمان الأكبر اتخذ له بمصر ملوك المعجم .  
وسياتى ذكره فى شعر الأسود بن يعفر عند الكلام على « سنداد » فى شرح هذه القصيدة .  
وقد ذكره « عبد المسيح بن عمرو » عند غلبة « خالد بن الوليد » والمسلمين على « الحيرة » فى خلاصة أبى بكر فقال :

« أهد المنذر بن أرى سواما      تروح الحورق والسدير  
تحماهم دوارس كل حى      مخافة أغل على الزئير  
مصرنا بعد ملك « أبى قيس »      كئل الشاء فى اليوم للمطير  
تقسمنا القبائل من « معد »      كأنما بعض أعصاء الجزور »

وقال المحبل فى قصيدته المشهورة :

« فادا سكرت ، فانى      رب الحورق والسدير  
وإذا صحت ، فانى      رب الشوبة والبعر . »

### (٢) سنداد

« سنداد » قصر بالمذنب وهو المقصود هنا ، وسنداد - فى رواية أبى الحسين الأديب : نهر ، وقد استدلت على ذلك بقول أبى دؤاد الايدى :

« أقفر الدير فالأحارح من قو      مى ، موق ، فرامح ، خفيه  
تتلاح الملا إلى جرف سنداد      د ، فقو ، إلى لعاف طيه  
موحشات من الأنيس - بها الوح      ش خناطيل موطن أو بيه . »

قالوا : وسئل عنه « أبو عمرو » أهو بفتح السين أو كسرهما ، فقال : « بفتح السين » وعن صاحب التكملة : بفتح السين وسماعى بالكسر .

وفى رواية « السكونى » : « سنداد منازل لا ياد نزلتها لما قاربت الريف ، بعد لصف وشرح وناظرة ، وهو أسفل سواد الكوفة ، وراء نجران الكوفة .

قال حمزة فى تاريخه : « وكان قد تملك فى القديم من الفرس على مواضع متفرقة من أرض العرب سنة عمر مرزباننا ، وقد ذكرهم صاحب معجم البلدان « ج ٥ ص ١٥٠ » إلى أن قال : « ثم تملك سنداد على عمل سحت ، وطال مكثه فى الريف حتى بنى فيه أبنية : وهو صاحب القصر ذى الشرفات من « سنداد » الذى يقول فيه « الأسود بن يعفر » « والقصر ذى الشرفات من سنداد »

تَوَهُمُ الشَّهْبَاءُ فِيهِ كَتِيبَةً      بِنَاءً ، الِيَحْمُومُ فِيهِ جَوَادُ  
يَحْتَالُ مِنْ سَيْرِ الْأَشَاهِبِ وَسَطَهُ      يَبِضُّ كَمُرْهَقَةِ السُّيُوفِ جَمَادُ<sup>(١)</sup>

\* \*

فِي «آلِ عِبَادٍ» حَطَّطْتُ فَأَعْصَمْتُ      مِمِّي بِحَيْثُ أَنْفَتِ الْأَطْوَادُ  
أَهْلُ الْمَنَازِرَةِ الَّذِينَ هُمُ الرُّبَا      فَوْقَ الْمُلُوكِ إِذِ الْمُلُوكُ وَهَادُ<sup>(٢)</sup>  
قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ مَعَدُّ عَقِيلَةٍ      مَاءَ السَّمَاءِ ، فَهَمُّ لَهَا أَوْلَادُ  
يَنْتُ تَوَدُّ الشَّهْبُ فِي أَفْلَاكِهَا      لَوْ أَنَّهَا - لِيَنَاقِبَ - أَوْلَادُ

قال ابن الكلبي :

وكانت «إياد» تنزل سنداد - وهو نهر ديار بين «الحيرة» إلى «الابلة» وكان عليه قصر تحج العرب إليه ، وهو القصر الذي ذكره الأسدي بعمر .  
قالوا : ومرة «عمر بن عبد العزيز» قصر آل حفنة فتثقل «مزاحم» مولاه بقول «الأسود ابن بغير التثنية :

«ومن الحوادث - لأبائك - أبي      ضربت على الأرض بالأسداد  
لا أهدى فيها لموضع قلعة      بين العراق وبين أرض مراد  
ماذا أوئل - بعد آل بحرقي -      تركوا منازلهم وسمد إياد  
أهل الخورق والسدير وارق      والقفر - ذى الشرفات - من سنداد  
حلوا بأقرة يسيل عليهم      ماء العرات يحى من أطواد  
أرض تحيرها - لطيف مقلها -      كعب بن مائة وابن أم دؤاد  
جرت الرياح على عراض ديارهم      فكأنما كانوا على ميعاد  
ولقد عنوا فيها بأفصل عيشة      في ظل ملك ثابت الأرتاد  
فإذا التيم وكل ما يلحق به      يوماً يصير إلى بلى وهداد .»

فقال له عمر : ألا قرأت : «كم تركوا من حبات وعبون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين كذاك وأورثناها قوماً آخرين»

(١) يقول يحنال القصر من سيرة الحدادول وسطه متحدة كبيض السيوف المرفعة ، وفي الأصل :  
«يحنال من سر الأشاهب وسطه» يبيض كرهقه السيوف جعاد .

(٢) قريب من هذا المعنى قول ابن دريد :  
«هم الشاهرج اللينيات الدري والناس ضحاح ثناب وأضي .»



مَمْدُودَةٌ يَلْمَى <sup>(١)</sup> النَّدَى أَطْنَابَهُ  
مُتَقَادِمٌ إِلَّا تَكُنْ شَمْسُ الضُّعَا  
مَرْفُوعَةٌ - بِالْبَيْضِ - مِنْهُ عِمَادُ  
لِدَّةٌ لَهُ ، فَنُجُومُهَا أَرَادُ <sup>(٢)</sup>  
نَيْطَتْ «بِعَبَادٍ» لَا لِيْ مَجْدِهِمْ  
فَتَلَاَلَاتْ - فِي تَوْمِهَا <sup>(٣)</sup> - الْأَفْرَادُ  
مَلِكٌ إِذَا أَفْتَنَتْ صِفَاتُ جَلَالِهِ  
فَتَقَاصَرَتْ عَنْ بَعْضِهَا الْأَعْدَادُ  
نَسِيتُ زَيْدَهُ <sup>(٤)</sup> عَمْرَهَا بَلْ أَعْرَضَتْ  
.....

(١) اللّهي : المطايا :

(٢) أَرَادَ - جمع رَأَدَ - يقال رَأَدَ الضحى : أى ارتفاعه ورَأَدَ الأرض : خلاؤها ، قال الطغرائي :

« مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع والشمس راد الصبح كالشمس والطفل. »

(٣) الترم : جمع تومة وهي اللؤلؤة ، وسيت تومة لأنها تومة نظيرتها في القد أو في الأدن ، والاراد : جمع فرد وهو ما لا نظير له في القد يقال : فرد وفريد ، ويقال : تاءم أى ولد معه ، فهو تشة ، وتوومه .

(٤) عمرو بن معديكرب الزبيدي

ويضرب المثل باقدامه وشجاعته .

اقدمام عمر في سباحة حاتم في حلم أخنف في ذكاء إياس .

هو - كما في سرح العيون - عمرو بن معديكرب بن عبد الله الريدى ، وكنيته « أبو ثور » العارس المشهور صاحب المازات والوفائع المذكورة في الجاهلية والاسلام ، وقد على رسول - صلى الله عليه وسلم - في السنة العاشرة من الهجرة .  
قال عمرو :

قدمت المدينة ، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاعلام « تبوك » فأردت أن أدنو إليه ، فنعى من حوله .

فقال : « دهوه » فدنوت منه ، فقلت :

« أعم صباحا أيب اللعن »

فقال : « يا عمرو أسلم تسلم ويؤمك الله من الفرع الأكبر » فأسلت

وحاش « عمرو » إلى أيام عثمان ، وأبلى في وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية ، وهو الذي ضرب خطم الغيل بالسيف فانهزم وانهرمت الأعاجم ، وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها ، قال الخنمى مارأيت أشرف من رجل يوم اليرموك خرج له حلح فقتله ، ثم آخر فقتله ثم انهزموا فنبههم وتبعته ، ثم انصرف إلى خيابه له أسود فزول فدعا بالجفان ودعا من حوله ، قلت من هذا ؟ قالوا عمرو بن معديكرب ، وحدث بن أبى حاتم . قال سررنا يوم القادسية بعرو بن معديكرب وهو يحضّ الناس بين الصبيان ويقول : أيها الناس كونوا أشد مناشأ إن هذا الرجل من الأعاجم إذا لقي مزارعا فانما هو تيس ، فبينما هو كذلك يمررنا إذ خرج رجل من الأعاجم فوقف بين الصبيان فرماه بنشابة ، فما أخطأت سية قوس كان متنبها فالتفت ، ثم حمل عليه فاعتقه ، ثم أخذ بمنطقته فاحتله فوضعه بين يديه وجاء حتى إذا دنا منا كسر عقه ،

ثم أمر الصمصامة على حلقه فذبحه ونزع سواريه ومنذقته وألقاه، وقال : « هكذا فاصنعوا بهم » فقلنا : « من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع ؟ » وحكى أبو عبيدة قال : لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة فعزل سعد بن أبي وقاص الجلس ثم قسم القية فأصاب العارس ستة آلاف وبقي مال دثر ، فكتب إلى عمر بما فعل فكتب إليه أن رد على المسلمين الجلس وأنط من لحق بك من لم يشهد لوقعة فعل ذلك ، ثم كتب إليه أن أعط ما بقي حلة القرآن ، فأناه عمرو بن معديكرب ، فقال ما مملك من حفظ القرآن ؟ قال : لاني أسلمت ، ثم شعلت بالرو عن حفظ القرآن ، وقبل أناه بشر بن ربيعة ، فقال له ما معك من حفظ القرآن ؟ قال معي نسمة الله الرحمن الرحيم ، فصحك القوم ، فقال سعد مالك في هذا المال من شيء ولا من نصيب ؟ فقال عمرو مدشداً :

« إذا قلنا ولا يكي لنا أحد فالت قریش ألا تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له فقد ولاسوية إذ تعطى الدنانير . »

وقال بشر أبا ثور، وكتب سعد إلى عمر عما قال ، فكتب إليه : « أعطها على بلائها » فأعطاهما أربعة آلاف درهم ، وحكى المدائني قال : كان عمرو بن معديكرب في سرية أميرها سلمان بن ربيعة ففرض الخيل ، ففر عمرو على فرس له ، فقال هذا هجين ، فقال عمرو عتيق . قال فأمر به معطش ، ثم دعا بقرس ، فقلب فيه ماء فدعا بخيل عتاق فشررت فجاء فرس عمرو ، فبى يديه وشره وهكذا يصنع الهجين ، فقال له ألا ترى ؟ فقال عمرو أحل الهجين يعرف الهجين ، فبلغ عمر ، فكتب إليه قد بدى ما قلت لأميرك ، وبدى أن لك سيفاً تسميه الصمصامة وعدى سيف مصدعهم بالله ثم وضعته على دأبك لا أنزع حتى أبلغ به شراسبعك فان سررك أن تعلم أحق ما أقول بعد ، وروى أن عمر رضى الله عنه سأله يوماً ، فقال ما تقول في الحرب ؟ قال مررة المداق إذا كشفت عن ساق ، فم صبر عرف ، ومن صعب ناف . قال فما تقول في الرمح ؟ قال حليلك وربما حاذك . قال فالدل ؟ قال منايا تحلى وتصيب . قال فالترس ؟ قال عليه تدور الدوائر . قال فالسيف ؟ قال عندك ثكلك أمك . قال عمر بل أمك ، فقال الجنى أصرعتي ، فأدله له عمر في الكلام ، فقال :

« أنوعدى كأمك دورعين بأقم عيشة أو ذر نواس

فلا تعز تملكك كل ذلك يعير لدلة بعد الشماس . »

فقال عمر صدقت فانتس منى قال يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها لك لحقك بالسيف أحسد منك أم ترك ، قال وما هي ؟ قال سمعتك تقرأ أنه من بأت ربه مجرمًا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ، والله لو علمت اني إذا دخلتها مت أملت ، وحكى أن هيبنة بن حصص لما قدم الكوفة أمام أبا ثور ، ثم قال : والله مالي بأبي ثور عهد ، ثم ركب فرساً وسأل عن حلة بى زيد فأرشد إليها وسأل عن عمرو فوقف بابه ، ثم قال : يا أبا ثور اخرج إليا فخرج، ووترأ كأنما كسر وجبر، فقال له انعم صباحاً أبا مالك ؟ فقال أوليس قد بدلنا الله تعالى بهما السلام عليكم ، فقال دعنا مما لانعرف انزل فان عندى كبشاً سينا فنزل سعد إلى الكبش فذبحه ثم ألقاه في قدر وطلجه ، وحلس يتحدث إلى أن أدرك فترد في جفنة عظيمة وألقى العدر عليها وقعدا فأكل منها ثم قال : أى الشراب أحب إليك الابن أم ما كنا نتأدم عليه في الجاهلية ، فقال أو ليس حرمها الله تعالى في

الاسلام ، فقال : أنت أقدم إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : فاني قد سمعت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً إلا انه قال : هل أتم منتهون . فقلت : « لا » ثم جاء بنبذ وجلسا يقرآن ويتحدثن ويدكران أيام الجاهلية حتى أسبيا ، فلما أراد عينة الانصراف . قال عمرو إن انصرف أبو مالك بغير حياء لأنها لو صفة فأمرله بنافه أرحية وحله عليها ثم أتى بمردود فيه أربعة آلاف درهم موضعه بين يديه ، فقال أما المال فوالله لا آخذه ولا أئسه ، فانصرف وهو يقول :

« حريت أنا ثور حزاء كرامة فنعم الفتى أنت المرور المضيف . »

وقيل انه لم يكن في عمرو خصلة رديئة إلا الكذب ، حكى أبو عمرو بن العلاء ، قال : وقف عمرو يوماً بالمرید يتحدث - تلى عاديهم - فقال : « غزوت في الجاهلية على بى مالك فخرجوا مستدعين بخالد بن الصقبة فحملت عليه بالصدمة فأحدث رأسه » وكان خالد بن الصقبة حاضراً ، فقال من الجماعة : « مهلاً أنا ثور فتيتك يسمع كلامك » وأشار إليه ، فقال اسكت إنما أنت محدث فاسمع أو قم ، ثم التفت إلى خالد وقال : « إنما نهرب هذه الملعنة بهذه الأحجار » ومضى في حديثه فلم يقطعه ، قال له رجل : « انك لشجاع في الحرب والكذب » فقال : « إني كذابك » وحكى أبو عمرو بن العلاء قال : جاء رجل إلى عمرو وهو واقف بالمرید على فرس له وقد أسن فقال لاظن ما بقي من قوة أنى ثور فأدخل يده بين سانه وحسب الفرس ففطن عمرو لذلك صم رحله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن يتزع يده حتى إذا بلغ منه صاح به فقال : « يا ابن أمى مالك ؟ » قال : « يدى تحت سارك » غلى حه وقال : « إن في عك بقية بعد » ومن كلامه حكى أنه أتى بجاشع بن مسعود فقال : أسألك حملان مثلى وسلاح مثلى فأمر له بفرس حواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فربى حطلة فقالوا : « يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك ؟ » فقال : « لله بنو مجاشع ما أشد في الحروب لغاهما ، وأحرل في اللربات غطاهما ، وأحسن في المسكرات بادهما ، والله لقد قاتلتها فما أحببتها وسألتها فما أبغتها ، وهاجبتها فما أخصتها » ومن جيد شعره :

« ولما رأيت الحيل زوراً كأنها حداول ماء أرسلت فاسبطرت  
لجاشت إلى النفس أول مرة ردت على مكروها فاستقرت  
طلت كأنى للرماح دريشة أقاتل عن أحساب جرم وبرت  
ولو أن قومي أنظفتي وراحهم نطقت ولكي الرماح أحررت . »

قوله أقاتل عن أحساب حرم من الهعاء المص ، وذلك أنه ذكر أن قوما مروا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غضباً لهم وعصية ، وقوله ولو أن قومي أنظفتي ، يعنى لو قاتلوا وطلعنوا نطقت بمدحهم ، ولكنهم مروا ، فأستكنوني عن المدح ، والأصل في الاحرار أن الفصل إذا أرادوا نظامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرصام وفي القصيدة التي أولها : « أس ربحانة الداعي السميع » يقول :

« وفد عجبت أمانة أن رأني تفرع لى شيب طيع  
أشاب الرأس أيام طوال وهم ما تبلغه الضلوع  
ورحف كتيبة لئلاء أخرى كأن زهاءها رأس صليح

ولساد الأسنة نحو نحوى وهرّ المشربية والوقوع  
فان تنف الثوائ آل عهم تحد حكاهم فيها ردوع  
إذا لم تستطع شبتاً مدعه وحاوزه إلى ما تستطيع  
وصله بالنزوع فكل شيء سمالك أو سموت له نزوع »  
وقوله أيضاً :

« يا يبا المعتاض - جهلانا - وولدت عبدا  
ليس الحمل بمنزور - فاعلم - وإن ردبت بردا  
إنّ الحمل معادت وماتت أو رثن محرا  
أعددت للحدثات ساعة وعداء علدنى  
نهذا وإذا شطب بقدر اليس والأبدان قد  
كل امرئ يحرق إلى يوم الهياح عما استعدا

لما رأيت ساءنا - يعصن - بالمرء - شدا  
وبدت محاسنها التي تحي ، وعاد الأمر حدا  
نارلت كنشهم ، ولم أره من نزال الكش - بدا  
هم يندرون دى - وادبر - إلى لقيت بأن أشدا  
كم من أح لى صالح بواته يبدى - لحدا  
دهم الذين أحهم وبقيت - مثل السيف - مردا . »

قلت : « لو لم يكن له إلا هذه القليلة لاستحق بها التقدم على شرك كثير » وأما الصمصامة وهي سميعة  
للمشهور . قال عبد الملك بن عمير أهدت لقيس إلى سليمان حمة أسياف ، وهي : ذو الفقار ، وذو النون ،  
ومحذوب ، ورسوب ، والصمصامة . دأما ذو الفقار : فكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذه  
من منبه بن الحجاج يوم بدر ، ومحدوب ورسوب : للحرث بن حلة الساسي ، وذو النون والصمصامة :  
لعمر بن معديكرب ، وحكى أن عمر بن الخطاب قال لعمر : ابعت لي الصمصامة ، فبعث به إليه فلم يره كما  
بلعه ، فقال له في ذلك ؟ فقال إني بعث إليك الصمصامة ولم أنت لك نايد التي تقرب به ، وحكى أبو عبدة  
أن الصمصامة انتقلت إلى سميد بن العاص ، وذلك أن خالد بن الوليد لما غزا بني ربيد ، وكان خالد بن  
سميد من حملة أمرائه أوقع بهم وأسر رجالة أحت عمرو بن معديكرب وهداها خالد وأتابه عمرو الصمصامة ،  
ثم فقد يوم الدار في مقتل عثمان ووجد ، ولم يزل إلى أن صعد المهدي البصرة ، فلما كان بواسطة أرسل  
إلى بني العاص يطلب الصمصامة ، فقالوا إنه في السيل شمساً ، فقال حمون سيقاً طامعاً في السيل أغنى من  
سيمب واحد وأعطاهم خمسين سيمفا وأحده ، فلما صار إلى الهادي أحضره وأمر الشراء بوصفه ، فقال  
بعضهم من أبيات :

« حاز صمصامة الريسدى عمرو من جميع الأيام موسى الأمين  
ما يبالي من انتصاف لضرب أثماناً سقطت به أم بين . »

ثم وصل إلى المتوكل مدفعه إلى غلامه « بانغزا » التركي فقتله به ، ومن عد « بانغزا » تقطع خبره .

عَنْ وَصِيفٍ «كَعْب» <sup>(١)</sup> بِالسَّحَابِ إِيَادُ . . . . .  
فَضَحَ الدُّهَاءَ فَلَوْ تَقَدَّمَ عَهْدُهُ لَعَنَّا «الْمُعِيرَةَ» أَوْ أَقَرَّ «زِيَادُ» <sup>(٢)</sup>

### (١) كعب بن مامة

هو كعب بن مامة الايادي ، وكان أحد أحواد العرب يضرب به المثل في الوفاء ، أثر على نفسه وكان مسامراً مع رفيقه فقل عليها الماء فتصافناه ، والتصافى أن يوصع في الماء مقلّة أى حجر صدير يعمر بالماء لثلاث يتناوبوا في القسمة ، فجعل رفيقه يشرب نصيبه ، فإذا جاء دور كعب . دل له رفيقه وقد جهده العطش : « أسق أحاك » فيؤثره على نفسه حتى جهد كعب من العطش وأشرف على الهلاك ، ورعت له أعلام الماء ، وقيل له رد كعب ولا ورود به فبات عطشاً ، وفي ذلك يقول أبو دوداد الايادي :

« أزي على الماء . كعب ثم قيل له رد كعب إليك وراذها وردا . »

ارجع إلى الكامل للبهرد « ص ١٣٦ »

### (٢) زياد بن أبيه والمعيرة بن شعبة

كانا من أئداف العرب وساستهم ودهاتهم وأخبارهما مستعينة في كتب التاريخ ، ولكسا نحتزى القول اجتزاء فيما يلي :

قالوا :

وسمى « زياد ابن أبيه » أو « زياد بن سمية » لأن أمه كانت جارية للحارث بن كعدة الثقفي ، فزوحها بعد له روى يقال له : « عبيد » دولت « سمية » زيادا على فراشه ، فهو ولد « عبيد » شرطا . قالوا : وكان « أبو سفيان » قد سار في الجاهلية إلى « الطائف » فنزل على بائع حر يقال له : « أبو مريم » - وقد أسلم دما بعد - فقال له « أبو سفيان » : « قد اشتريت النساء » فقال أبو مريم : « هل لك في سمية ؟ »

فقال أبو سفيان :

« هاتها على طول ثديها وذو بطنها »

فأتاه بها ، فوقع عليها ، ويقال إنها علقت منه بزياد ، ثم وضعت في السنة التي هاجر فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونشأ « زياد » فصيحاً .

وحضر « زياد » يوماً بمحضر جماعة من الصحابة في خلافة « عمر » فقال « عمرو بن العاص » لو كان أبو هذا الألام من قريش ، لساق العرب بمصاه .

فقال أبو سفيان لأمي بن أبي طالب :

« إني لأعرف من وضعه في رحم أمه »

فقال عليّ :

« فما يمتك من استلحاقه »

قال :

« أخاف الأصلح ( يعني عمر ) أن يقطع إمامي بالقدرة »

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ رَجَمَ ظُنُونِهِ      إِنَّ النُّيُوبَ وَرَاءَهَا إِمْدَادُ  
مَلِكٍ - إِذَا مَا اخْتَالَ - غُرَّةٌ فَيَلْقَى      قَدْ أُمِطَّتْ عِقْبَانُهُ الْأَسَادُ (١)  
أُسْدُ، فَرَأَتْهَا الْفَوَارِسُ فِي الْوَعْيِ،      لَكِنْ بَرَأَتْهَا - هُنَاكَ - صِعَادُ (٢)

ولما كانت قضية شهادة اليهود على المعيرة بالزنا وحلدهم لعدم ثبوت الزنا عليه - ومنهم أبو بكره أبو زياد لأمه - وامتاع « زياد » حين كان يؤدى الشهادة عن التصريح ، وكان أحد الأربعة الذين شهدوا عليه - اتحد المعيرة لذلك لرياد بدا .

ثم لما ولى « علي بن أبي طالب » الخلافة ، استعمل « زيادا » على فارس ، فقام بولايتها أحسن قيام ، ولما سلم « الحسن » الأمر إلى « معاوية » امتنع « زياد » بفارس ، ولم يدخل في طاعة « معاوية » وانتمت معاوية للأمر ، وخاف أن يدعو إلى أحد من بني هاشم وبني عبد المطلب ، وكان معاوية قد ولى « المعيرة بن سنان » الكوفة ، فقدم « المعيرة » على « معاوية » سنة ٤٢ هـ فشكا إليه « معاوية » امتناع « زياد » بفارس ، فقال « المعيرة » :

« أنأذن لى فى المسير إليه ؟ »

فأذن له ، وكتب « معاوية » لرياد آمناً ، فوجه « المعيرة » إليه - لما سمعها من المودة - ومارال به حتى أحصره إلى « معاوية » وبانيه .

وفى سنة ٤٤ هـ استأجر « معاوية » « زيادا » فأحضر الناس ، وحضر من يشهد لرياد بالنسب ، وكان من حضر لذلك « أبو مرجم » نافع الجمر الذى أسلفا ذكره - وهو الذى أحضر « سمية » أم « زياد » إلى « أنى سفيان » فانضاف - فشهد بسب « زياد » من « أنى سفيان » .

قالوا : « فسلمقه معاوية » وقد أعظم الناس ذلك وأنكروه لاسيما بو أمية لأن زيادا ابن عبد الروم قد ألحق سبه بنى أمية بن عبد شمس ، وقد قل « عند الرحمن الحكم » أبو « مروان » فى ذلك :

« ألا أطلع «معاوية بن سحر» : « لقد صاقت بما أتى اليان »

أتمسب أن يقال : « أوكعب ؟ » وترضى أن يقال : « أبوك رانى ؟ »

وأشهد أن رحلك - من زياد - كرحم الليل من ولد الأثان .

ثم ولى « معاوية » « ريادا » البصرة ، وأصاف إليه « حراسان » و « سحستان » ثم جمع له الهند والبحرين وعمان

(١) تنفان - جمع نفاق - وهو من ساع الطير التى تصيد . قال المتنبي :

« شكوى الحريخ إلى المقنان والرخم »

وقال المتنبرى :

« صانت سعد أرضها لما رمى ساحاتها بالخيل والعمراس »

نوارس - مثل الصقور - وضمر محذولة ، ككواصر المقنان .

(٢) صعد - جمع صعدة - وهى القاة التى تبت مستقيمة لا تحتاج إلى التنقيب ، والمعدة - من

النساء - المستقيمة القائمة - على التنشية - قال « كعب بن جيل » بصف امرأة شبه قدما بالقاة :

« فادا قامت إلى حاراتها لاحت الساق بخلخال زجل »

صعدة نائمة فى حائر أبنا ألريح تيملها قل .

خِلْتَ اللّوَاءَ نَمَامَةً فِي ظِلِّهَا قَرْنٌ ، بَغْرَتِهِ السَّنَا الْوَقَادُ

\* \* \*

شَيْحَانُ مُنْعَمِسُ السَّنَانِ مِنَ الْعِدَا - فِي النَّقْعِ - حَيْثُ تَعْلَقُلُ الْأَحْقَادُ  
تَشْكُو إِلَيْهِ الشَّمْسُ نَقْعَ كَتِيبَةٍ مَا زَالَ مِنْهُ لِعَيْنِهَا إِرْمَادُ <sup>(١)</sup>  
جَبْشٌ - إِذَا مَا الْأَفْقُ سَافَرَ طَيْرُهُ مَعَهُ - فَنِي ذِمَمِ الصَّوَارِمِ زَادُ <sup>(٢)</sup>  
مُسْتَطَرَفٌ الْمَجْدِ لَمْ يَكُ حَسْبُهُ مَجْدٌ - يَدُورُ مَعَ الزَّمَانِ - تِلَادُ <sup>(٣)</sup>  
مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى رَفَاهَةٍ رَاحَةٍ حَتَّى يُخْلَدَ مِثْلُهُ إِخْلَادُ  
أَرَجُ النَّدَى ، مَتَى تَفْرُ بِجَوَارِهِ يَطْبِ الْحَدِيثِ وَيَعْبِقُ «الْإِنْشَادُ» <sup>(٤)</sup>  
لَوْ أَنَّ حَاطِرَهُ الْجَمِيعَ مُفَرَّقٌ فِي الْخَلْقِ أَوْشَكَ أَنْ يُحْسَ جَمَادُ

\* \* \*

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي زُهْرُ النُّجُومِ - لَوَجْهِهِ - حُسَادُ  
تَبَدُّو عَلَيْكَ - مِنَ الْوَسَامَةِ - حُلَّةٌ يَهْفُو إِلَيْهَا - بِالنَّفُوسِ - وَدَادُ  
لَمْ يَشْفِ مِنْكَ الْعَيْنُ أَوَّلُ نَظَرَةٍ لَوْلَا الْمَهَابَةُ رَاجَعَتِ تَرْدَادُ

(١) النقع : العبار ، والكتيبة : الجيش ، يقول : «تتكو إليه الشمس سطوع البار ، والنقع الثار لأنه أرمدها عنها فأعمصتها ولم تبصر .»

(٢) يقول : إن هذا الجيش إذا سارته في الأفق عقبان الحور وحوارح الطير ، في ذمة الصوارم من السيف أن تضمن لها الزاد من قتلى الأعداء .

(٣) مستطرف : أي مستحدث لنفسه مجدا طريقا أي حديداً مكسوبا غير موروث ، والحسب : محرقة وقد يسكن كما هنا مايمده الانسان من مآخره ، والتلاد : القديم الموروث عن الآباء .

(٤) الندى : الجاس ، يقول : هو أراج الذي أي عطر مايبعث عن مجلسه من طيب القول وطاير الثناء ، إذا فزت بقربه ودنوت من مجلسه ، يطيب الحديث ، ويعيق في أرحاء المجلس غير الاشاد ، وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

« أراج الندى ، متى تفر بجواره يطب الحديث ويعيق . . . »

والتكملة يعطيها السياق

مَا كَانَ مِنْ خَلَلٍ فَأَنْتَ سِدَادُهُ      فِي الدَّهْرِ أَوْ أَوْدٍ فَأَنْتَ سِدَادُ<sup>(١)</sup>  
 الدِّينُ وَجْهُهُ أَنْتَ فِيهِ غُرَّةُ      وَالْمُلْكُ جَفْنُهُ أَنْتَ فِيهِ سَوَادُ  
 لِلَّهِ مِنْكَ يَدٌ عَلَّتْ ، تُؤَلِّي بِهَا      صَفْدًا فَيُحَمَّدُ ، أَوْ يُفَكُّ صِفَادُ<sup>(٢)</sup>  
 لَوْ أَنَّ أَفْوَاهَ الْمُلُوكِ تَوَافَقَتْ      فِيهَا لَوَافَقَ حَظُّهَا الْإِسْنَادُ  
 نَفَعَ الْعُدَاةَ الْيَأْسُ<sup>(٣)</sup> مِنْكَ ، لِأَنَّهُ      بَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ الْأَكْبَادُ  
 بِنَصَاعٍ مَنْ جَارَكَ مَقْبُوضَ الْخَطَا      فَكَأَنَّمَا عَصَّتْ بِهِ الْأَقْيَادُ<sup>(٤)</sup>

قَدْ قُلْتُ لِلتَّالِي ثَنَاءَكَ سُورَةً      \*  
 « أَعِدِ الْحَدِيثَ عَنِ السِّيَادَةِ ، إِنَّهُ      مَا لِلْوَرَى فِي نَصِّهَا إِحَادُ :  
 كَرَّمَ كَمَا الْمُرْنِ رَاقَ خِلَالَهُ      لَيْسَ الْحَدِيثُ يُمَلِّ حِينَ يُعَادُ . »  
 وَمَحَاسِنُ زَهَرَ الزَّمَانُ زَهْرَهَا      أَدَبُ كَرَوْضِ الْحَزَنِ بَاتَ يُجَادُ<sup>(٥)</sup>  
 فَكَأَنَّمَا أَيَّامُهُ أَغْيَادُ<sup>(٦)</sup>

(١) يقول : ما كان من خلل في الرمان فانت سداده الذي يسد به ، أو كان من أوديه واهوجاج فأنت سداد ، أي لك سداد وصلاحه وتقويته .  
 (٢) الصدف العطاء ، والصفاد : ما يوثق به للقيد من قيد ونحوه ، يقول : لله ملك يد تولى الجبل وتهب العطاء ، لا تزال تحمدها وتشكرها لك إلى أن يفك ما قيدتنا به من أصفاد العم ، وقد حاس بين الصفد بمعنى العطاء ، والصفاد بمعنى القيد ، يحمل الاحسان صفادا وقيدا مستعير في كلام الشعراء ، قال الشاعر :  
 « ومن وحد الاحسان قيد تقيدا . » ، وقال ابن الرومي :  
 « ما على الأحرار من ورق إذا      بقدوا شكرهم مولى أيادي  
 إنما الصفي صفاد فاذا      لقيت شكرا وليست بصفاد . »  
 وقال ابن جبرس :

« عقلتهم بالجميل فانقلبوا ربعة أصفادها الصفد . »

أي قيودها الطاء ، وفي الأصل : « تولى بها \* صفد . »

(٣) في الأصل : « اليأس »

(٤) يقول : ينصاع ويرجع عن مجارته في المحدث كل من جاره ، ويقف حيث ابتداء مقبوض الخطا كأنما عصت بسبقاقه البيوت فتعت من المضي .

(٥) المرن : السحاب ويحادي مطر بالمجود (يفتح ذكون) وهو المطر الزير .

(٦) يقول : ويضاف إلى هذا الكرم الذي وصفه في البيت السابق محاسن أضاء الزمان بزهر نجومها ، فكأنما كل يوم من أيامها عيد





يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي - فِي ظِلِّهِ - رِيشَ الزَّمَانِ فَذَكَ مِنْهُ قِيَادُ  
يَا خَيْرَ « مُعْتَصِدٍ » بِمَنْ أَقْدَارُهُ - فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ - لَهُ أَعْضَادُ  
لَمَّا وَرَدْتُ - بِوَرْدٍ حَضَرَتْكَ - الْمُنَى فَهَمْتُ لَدَى جِجَاهِهَا الْأَعْدَادُ (١)  
فَأَسْتَقْبَلْتَنِي الشَّمْسُ تَبْسُطُ رَاحَةً لِلْبَحْرِ - مِنْ نَفْعَاتِهَا - أَسْتَمِدُّادُ  
فَلَمَنْ فَخَرْتُ - بِمَا بَلَغْتُ - لَقَلَّ لِي - أَلَّا يَكُونَ مِنْ النُّجُومِ عِتَادُ  
مَهْمَا أُمْتَدَحْتُ سِوَاكَ - قَبْلُ - فَإِنَّمَا مَدَحِي - إِلَى مَدَحِي - لَكَ أَسْتَطِرَادُ  
يَغْشَى الْمِيَادِينَ الْفَوَارِسُ - حِقْبَةً - كَيْمَا يُعَلِّمُهَا النَّزَالَ طَرَادُ (٢)  
فَلَأَسْحَبَنَّ ذَيْلَ الْمُنَى فِي سَاحَةِ - إِلَّا أَوْفَ بِهَا الْمُنَى - فَأَزَادُ (٣)  
وَلَيْسْتَ تَمِيدَنَّ السَّنَاءَ مَعَ الْغِنَى عَبْدٌ يُفِيدُ النَّصْحَ حِينَ يُفَادُ  
وَلَأَنْتَ أَنْفَسُ شَيْعَةٍ مِنْ أَنْ يُرَى - لِنَفْسٍ أَعْلَاقِي لَدَيْكَ - كَسَادُ  
هِيَ هَاتَ قَدْ ضَمِنَ الصَّبَاحُ لِمَنْ سَرَى أَنْ يَسْتَنْبِ لِسَعْيِهِ الْإِحْمَادُ (٤)  
لَا تَعْدُ مَنْ - مِنَ الْخُطُوطِ - ذَخِيرَةٌ تَبْقَى فَلَا يَتَلَوُّ الْبُقَاءَ نَفَادُ

(١) همت : جواب لما أي سألت ، وجاها : جمع جم ( بالفتح ) وجة ( بالضم ) وهو الماء الكثير والأعداد : جمع عد ( بالكسر ) ، وهو الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها كماء الميون ، يقول : حين وردت في حضرك ورد المني ، همت حمامها ، وسأل مياها الأعداد ، يريد أنه رأى فيس للمني ينبت من راحتيه ، وفي الأصل :

« لما وردت بورد حضرتك لنا همت لدى جياها الأعداد . »

(٢) هو مطاردة الفرسان بعضهم بعضا للفران على الحرب .  
(٣) فلا سحبي من المني ذيلها في ساحة جواد إن لم أوف بها ما تطمح إليه نفسي من الأمان فأما سآزاد عليها ، يقول : إن أمره دائر بين أن يبي له بما تسوإليه نفسه من الأمان ، أو يزيده عليها دوق ما يريد ويتنى .

(٤) يشير إلى النذل المشهور : « عند الصباح يحمد القوم السرى . » وسببر بك شره و

## في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المصور بفضل الله

أنا عمرو عباد بن محمد بن عباد ، ويذكر

بعض مواقف له مع خاصته من أضيائه ،

والمؤمنين له من أعدائه . »

لِيَهْنِ الْهُدَى إِنْجَاحُ سَعْيِكَ فِي الْعِدَا      وَأَنْ رَاحَ ضُنْعُ اللَّهِ نَحْوَكَ وَأَعْتَدَى<sup>(١)</sup>  
وَنَهَجُكَ سُبُلَ الرُّشْدِ فِي قَمْعِ مَنْ غَوَى      وَعَدْلُكَ فِي اسْتِصْالِ مَنْ جَارَ وَأَعْتَدَى<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْ بَلَتْ مَنْ وَالَاكَ فِي نَشْوَةِ الْغَنَى      وَأَصْبَحَ مَنْ عَادَكَ فِي غَمْرَةِ الرَّدَى<sup>(٣)</sup>  
وَبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٍ الْعَهْدِ طَلْقَةً      كَمَا ابْتَسَمَ الثَّوَارُ عَنْ أَدْمُعِ النَّدَى<sup>(٤)</sup>  
وَدَوَاةٍ سَعْدٍ لَا انْتِهَاءَ لِحَدِّهِ      إِذَا قِيلَ فِيهِ قَدْ تَنَاهَى تَوْلَدًا  
دَعَوْتَ ، فَقَالَ النَّصْرُ : لَبَّيْكَ مَاثِلًا      وَلَمْ تَكُ كَالِدَاعِي يُجَاوِبُهُ الصَّدَى

(١) السعي : التصرف في كل عمل من خير أو شر ، أى أن سبيل الهدى وسبيل المؤمنين حديران بكل تهتة وبشرى حيث أضح الله سميع في مناخرة أعدائك ولم يزل يتهمدك بحميل صنعه ولطيف إحسانه في الرواح والغدر ، والصبح والعشى .

(٢) وليهن الهدى أيضا سلوكك مناهج الرشد ، وإحراؤك سنة العدل في قمع المارين المفسدين ، واستئصال شاة الحارثين المعتدين ، واقتلاعهم من أصولهم ، وذهاب الملكة من مفسدهم وشرورهم .

(٣) وإلى : الموالاته ضد الماداته ، وقد طابق في البيت بين « بات » و « أصبح » و « ولى » و « عادى » و « نشوة الغنى » و « غمرة الردى »

(٤) الثوار : بضم أوله وتشديد ثانيه النور ، واحده نواره وقد نور الشعر والنبات أى أزهى ، وفي البيت تشبيه الثوار بالنور باسم عن أولو الدل

وَأُخْبِرْتُ عَنْهُ الصَّبْرِ فِي دَرْكِ الْمُنَى كَمَا بَلَغَ السَّارَى الصَّبَاحَ فَأُخْبِرُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

« أَعْبَادُ » يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ بِذِمَّةٍ وَأَرْعَاهُمْ عَهْدًا وَأَطَوْهُمْ يَدًا  
تَبَايَنْتَ فِي حَالِيكَ : غُرْتُ تَوَاضَعًا لِنَسْتَوْفِي الْعَلِيَا ، وَأُخْبِرْتُ سُودًا<sup>(٢)</sup>

(١) الدرك : محركا للحاق والوصول إلى الشيء ، يقال أدركته إدراكا ودركا ومثله الدرك بالسكون . قال  
حيدر يخاطب الأسد :

« لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَكَانِ ضَنْكَ كَلَامِهَا ذُو أَنْفٍ وَمَحْكَ  
وَبَطْشَةٍ وَصَوْلَةٍ وَفَتْكَ إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ فِتَاكَ الشَّكَّ  
بَطْفَرٍ مِنْ حَاقِقٍ وَدَرْكِ مَسْدٍ أَحَقُّ مِنْزَلِ تَرْكَ  
الذَّنْبِ يَوْمِي وَالْعَرَابِ يَكِي »

والساري : اسم فاعل من السرى وهو سير الليل وأصل اللث « عند الصباح يحمد القوم السرى » وأول من  
قال ذلك كما في مجمع الأمثال عن « المفصل » الصبي هو « خالد بن الوليد » لما نبت إليه أبو بكر رضى الله عنهما  
وهو « بالجماعة » أن سر إلى « العراق » فأراد سلوك المعازة ، فقال له « رافع » الطائي : قد سلكتها في  
الحاملية ، هي حسن اللابل الواردة ، ولا أطك تقدر عليها إلا أن تحل من الماء . فاشتري مائة شارب  
صعظها ، ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم كستها وكعم أفواهاها ، ثم سلك المعازة حتى إذا مضى يومان وخاف  
العطش على الناس والخليل وحشى أن يذهب ما في بطون الابل ، نحر الابل ، واستخرج ما في بطونها من الماء  
وسقى الناس والخليل ومضى فلما كان في الليلة الرابعة ، قال « رافع » : انظروا هل ترون سهدرا عظيما ؟ فإن  
رأيتوها وإلا فهو الهلاك . فظفر الناس فرأوا السهدر فأخسروه فسكروا وكر الناس ثم هجموا على الماء ،  
فقال خالد :

« اللَّهُ دَرِ رَافِعٍ أَنِّي اهْتَدَيْتُ فَوْزَ مِنْ قَرَارٍ إِلَى سَوَى  
حَسَا إِذَا سَارَ بِهِ الْخَيْشُ يَكِي مَسَارَهَا مِنْ قَلْبِ لِنَسِ يَرِي  
عَدِ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرِي وَتَحْلِي عَنْهُمْ غِيَابَاتِ الْكَرَى . »

يضرب للرجل يحتدل المشقة رجاء الراحة .

(٢) غرت : من غار غورا فهو غائر إذا أتى العور وهو ما انحدر مسيله ، ويقال له النجد : يقال : غار  
وأخمد وأغار وأخمد ، قال جرير .

« يَا أُمَّ حَزْرَةَ مَا رَأَيْتُكُمْ فِي الْمُنَجِدِينَ وَلَا بَنُورِ الْإِثْرِ . »

وقال الأعشى :

« نَبِي يَرِي مَا لَا تَرُونَ وَذَكَرَهُ أَعَارَ لَعْمَرِي فِي الْبِلَادِ وَأَخْمَدَا . »

وأذكر الجوهري أغار ، وقال الأصمعي : أغار وأخمد في بيت الأعشى بمعنى أسرع وارتفع ، على أن النصف  
الثاني من البيت روى مخزوما هكذا : « غار لعمرى في البلاد وأخمدَا » ، يقول : بين حالك من التواضع  
والسمو إلى مراتب السيادة بين شاسع ، فقد انحدرت إلى غور التواضع فكانت عاقبة ذلك أن يهوفت حظك  
من العلية وبلغت أسنى مراتب السؤدد والرفعة

وَلَمَّا اعْتَصَدْتَ اللَّهَ كُنْتَ مُوهَّلاً      لَدَيْهِ لِأَنْ تُحْمَى وَتُكْفَى وَتُقَضَّدَا  
وَجَدْنَاكَ إِنْ أَلْفَحْتَ سَعِيًّا تَنْجَتُهُ      وَغَيْرُكَ شَاوٍ حِينَ أَنْصَحَ رَمَدًا <sup>(١)</sup>  
وَكَمْ سَاعَدَ الْأَعْدَاءُ أَوَّلَ مُطْمَعٍ      رَأَوْكَ بِعُقْبَاهُ أَحَقَّ وَأَسْعَدَا  
فَلَا ظَافِرٌ إِلَّا - إِلَى سَعْدِكَ - أُعْتَرَى      وَلَا سَائِسٌ إِلَّا بِتَدْبِيرِكَ أُقْتَدَى

\* \*

ضَلَالًا لِمَفْتُونٍ مَمُوتٍ بِحَالِهِ      إِلَى أَنْ بَدَتْ - بَيْنَ الْفَرَائِدِ - فَرَقْدَا  
رَأَى حَطَلَهَا أَوْلَى بِهِ ، فَأَحْلَمَهَا      حَضِيضًا بِكُفْرَانِ الصَّدِيقَةِ أَوْ هَذَا <sup>(٢)</sup>  
وَمَا زَادَ - لَمَّا لَجَّ فِي الْبُغْيِ - أَنَّهُ      سَعَى لِلَّذِي أَصْلَحْتَ مِنْهَا فَأَفْسَدَا  
فَزَلَ وَقَدْ أَمْطَيْتَهُ ثَبِيجَ الشَّهَاءِ      وَضَلَّ وَقَدْ لَقِيْتَهُ قَبَسَ الْهُدَى <sup>(٣)</sup>  
طَوِيلُ عِثَارِ الْجُرْمِ قُلْتَ لَهُ: «لَعَا» <sup>(٤)</sup>      حِلْمٌ تَلَقَّى جَهْلُهُ فَتَعَمَّدَا <sup>(٥)</sup>

(١) ألفت من ألقح الفعل اللافة ، ولفحت هي ، قال الحرث بن عباد :

« قريبا مرتبط العامة مي لفتت حرب وائل من جبال . »

والدعي : التصرف في الأمور ، ونتجته : من قولهم نتج دلائل الباقية إذا دلى نتائجها وهي ما حص حتى تصعب ، وفي المثل : « هل نتج الباقية إلا لمن لفتت له » ، وكتب عليه صاحب مجمع الأمثال ما سجنه : يقال نتجت الناقة على ما لم يسم فاعله ، وأنشعها إذا أنشعها على ذلك ، والناجح للوق كالغزالة للآسان ، ولفحت تلتفح لفعلا ولفحا والناقة لاتج وانجوح ، ومعنى المثل : هل يكون الولد إلا لمن يكون له الماء ؟ يضرب في التشبيه ، ويروى « لما لفتت له » أي لفاحها أي لقبول رحمة ماء الفحل ، يشير إلى صدق الشبه ، و « ما » مع « لفتت » المصدر ، وعيرك شاو : أصل المثل « شوى أخوك حتى إذا أصبح رمد » والرميد الغاء الشواء في الرماد ، يضرب - كما في مجمع الأمثال للبدياني - لمن يفسد اصطباعه بالمل ، ويرد في صلاحه بما يورث سوء الظن ، ويروى عن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه : أنه مرَّ بدار رجل عرف بالصلاح فسمع من داره صوت بعض اللامه فقال : شوى أخوك حتى إذا أصبح رمد .

(٢) الحضيض : الفرار من الأرض المنحص عن سماع الجبل ، وأوهد : أعمل تفصيل من الوهدة وهي الهوة ، يقول : رأى ذلك المفتون انحطاط حاله أولى به فأنزله المدح من مستوى المراد إلى أحط قرار من الأرض بسبب كفران النعمة وتكرار الجبل .

(٣) ثبج السها : أهله ، والسها : نجم صغير في بسات النش الكبرى يتمتعون به أبصارهم لحفائه ، وفي المثل « أربها إليها وترى النسر »

(٤) دعوت له بأن يقيم الله من سقطته . (٥) غطى على جهله وسيره .

تَجَنَّى فَأَهْدَيْتَ النَّصِيحَةَ مَحْضَةً ، وَلَجَّ فَوَالَيْتَ الْعِقَابَ مُرَدِّدًا <sup>(١)</sup> ،  
وَلَمْ تَأَلُهُ بَقِيًّا عَلَيْهِ تَنْظُرًا ، لَفَيْتَهُ مَنْ أَكْرَمْتَهُ فَتَشَرَّدَا  
فَمَا آثَرَ الْأَوَّلَى ، وَلَا قَلْدَ الْحُجْبَى ، وَلَا شَكَرَ النُّعْمَى ، وَلَا حَفِظَ الْيَدَا  
كَأَنَّكَ أَهْدَيْتَ السَّوَابِجَ ضُمْرًا ، لِيَزَكُضَهَا - فِيمَا كَرِهْتَ - فَيَجْهَدَا <sup>(٢)</sup>  
وَأَجْرَزَتَهُ ذَيْلَ الْحَبِيرِ <sup>(٣)</sup> تَأُلْفَا ، لِيَخْلُقَ - فِيمَا جَرَّ - حَقْدًا مُجْدَدًا <sup>(٤)</sup>  
سَلِ الْخَائِنَ الْمُعْتَرِّ : كَيْفَ اخْتِقَابُهُ - مَعَ الدَّهْرِ - عَارًا بِالْعِرَارِ مُخْلَدًا ؟ <sup>(٥)</sup>  
رَأَى أَنَّهُ أَضْحَى هَرَبْرًا مُصَمَّمًا ، فَلَمْ يَعُدْ أَنْ أَمْسَى ظَلِيمًا مُشَرَّدًا <sup>(٦)</sup>  
دَهَاهُ - إِذَا مَا جَنَّتْهُ اللَّيْلُ - أَنَّهُ أَقَامَ عَلَيْهِ - آخِرَ الدَّهْرِ - سَرْمَدًا <sup>(٧)</sup>

(١) يقول بدأ تجنى عليك الدوب وبحلقها حلقا ، فكان حراؤه منك أن تحضه الصبح حالصا بريثا ، ملأخ في عروره وعصيانته صبت عليه عقابك التوالى لتزحره - على أسأته وتؤديه .

(٢) كأنما أهديته الجياد الصمر ليجارلك بها ويجهد نفسه في توخي أعدائك وتدل ما تكره .

كأن هذا الخائن ظل أنك أهديته الجياد الصمر السوايح ليجهدا ركصا ديا تكره من ماصرة أعدائك .

(٣) أحررتة ذيل الحبر : جعله يحرق ذيل العمة .

وكأنه ظل أنك تتألمه بما تحمل عليه من حبر أحررتة ذيله ليعلق لك مشاكل ويجدد أحقادا بسبب ماحره من حرائر وحرائم . (٤) وفي الأصل : « للعقد مجددا »

(٥) الخائن : الأحمق ، والمعتز الفقير المعتز المعروف من غير أن يسأل ، والاختقاب الادخار ، يقال : اختقب الشيء : ادخره ، واختقب حيرا أو شرا واختقه : احتمله وجعله حلقه ، واختقب الاثم : جمعه ، والعرار - جمع عرة وهي الحلة القبيحة .

(٦) المصم : الماضي في الأمر معزما ، والظلم : الذكر من العام ، قال تأبط شرا :

« أنا الذي نكح العيلان في بلد ما طلّ فيه سماك ولا جادا

في حيث لا يعمت السادى عمايته ولا الظلم به يعنى تهادا

وقد لهوت - بمصقول عوارصها - بكر تنارعى كاسا وعقادا

ثم انتفى عصرها عني ، وأعقبه عصر المشيب ، فقل في صالح نادا .

أى نكح النيلان في بلد لم يظفر بالطل وهو الرذاذ «المطر الحفيف» ولم يظفر فيه الظلم - «مرخ الزمام» - بالهيد - وهو الحظل - لياكله ، وقد لها بفتاة من الأبقار مصقولة العارصين تنارعه كثرؤس الجر وغناقيد العنب ، ثم انتفى ذلك العصر الصالح وأعقبه عصر المشيب .

(٧) يقول : وقد أصبح يترقب جزأ أن يكون حينه مرتبعا بيومه وصار يتوجس القرم خولا من أن يكون ليه سمردا إذا قتلته

يُحَاذِرُ أَنْ يُلْقَى قَتِيلًا مُعْفَرًا - إِذَا الصَّبْحُ وَاقٍ - أَوْ أُسِيرًا مُقَيَّدًا

\* \*

لَبِئْسَ الْوَفَاءَ اسْتَنَى فِي «ابْنِ عَقِيدَةٍ»  
قَرِينٌ لَهُ أَغْوَاهُ حَتَّى - إِذَا هَوَى -  
فَأَصْبَحَ يَبْكِيهِ الْمَصَابُ بِشُكْلِهِ ،  
فِدَاهُ لِإِسْمَاعِيلَ كُلِّ مُرَشَّحٍ - إِذَا جُشِمَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ تَبَلَّدًا (٢)

\* \*

أَفَادَ مِنَ الْأَمْثَالِكِ حَدَّثَانِ فَشَلِّهِمْ  
أَعَادَ الصَّبَاحَ الطَّلُقَ لَيْلًا عَلَيْهِمْ  
فَحَلَّ هِلَالًا - فِي ظِلَامٍ عَجَاجَةٍ -  
مَوَالِي، لَمْ يَشْكُ الصَّدَى مِنْهُمْ الصَّدَا (٣)  
فَجَاءَ وَأَنْتَى نَاطِرَ الشَّمْسِ أَرْمَدَا  
تَلَا حِظُّهُ الْأَفْقَارُ - فِي الْأَفْقِ - حُسْدَا  
يُرَاجِمُ مِنْ «صِنْهَاجَةٍ» وَ «زَنَاتَةٍ»  
- يَمِثِلُ نُجُومِ الْقَذْفِ - مَشْنَى وَمَوْحَدًا (٤)

(١) يقول : أن قريبه رين له الصلال حتى إذا تردى في سوء عمله ندرأ قريبه من عمله ورأى في التعلل عنه وسيلة إلى نخاته .

(٢) المرشح : المؤهل .

(٣) يقول : إن توالى الأحداث والحدوب التي أترها جيشه بالملوك قد أدت موالى غاية في البسالة لا يشكو العطشان منهم عطشاً لشدة ما أوتيته من صبر وحلد .

(٤) راحم عنه : ناضل ، وراحم في الكلام والحرب بالبح بأشد مساحلة ، ونجوم القذف ، أو شهب القذف هي الرجوم ، قال الشاعر :

« كَشَاهِبِ الْقَذْفِ يَوْمِيكُمْ بِهِ فَارِسٌ فِي كِفِّهِ لِلْحَرْبِ نَارُ . »

يقول : إنه يساحل بنصرة أهل زناته وصنْهَاجَةٍ ويقذف بهم الأعداء كما يقذف بالشهب ويرحم - يا شائثي ، وقد اشتهرت صنْهَاجَةُ بلاك للذمعة الكبرى التي حدث في القرن الخامس من الهجرة سنة ٤٥٩ هـ وقد ثارت صنْهَاجَةُ على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وبهمس الوزير يوسف بن نرلة اليهودي ، وكان سبب هذه الذمعة أن ذلك الوزير - وكان قد استوزره باديس صاحب غرناطة - قد وشى بأبي إسحق الثقفي زاهد البية فأقصاه السلطان عن بلاده .

قالوا : « وكان ذلك الوزير قد تعرض لتسفيه بعض الآراء الدينية الإسلامية ، وكان عظيم الخطر واسع

هُمْ الْأَوْلِيَاءُ الْمَسْخُوكَ صَفَاءَ هُمْ إِذَا أُمْتَازَ مُصْنِفِي الْوُدِّ مِمَّنْ تَوَدَّدَا

النفود - فوجد أبو إسحق من ذلك حافرا إلى إنشاء قصيدته البليغة التي دمه إلى قولها غيظه من عدوه - ذلك الوزير الحظير - فلاها تحريصا وأفعما حججا وبراهين، أطلع في التأثير بها على العامة وحملهم على إنفاذ رغباته - وما زال يتفنن في ضروب الاحتثات والنهيح حتى اشتعل الجمهور حماسة وهجم على ذلك الوزير فقتله - في نصر السلطان نفسه - وليس من شك في أن أبا إسحق بدل كل مواهبه في الضرب على الدعة الدينية وإظهار العجج الشديد على ما اتانب الدين من التهاون به وعرف كيف يوالى فيها اطراد الأدلة واتساقها وتندق للمعانى وعرارتها مع دقة نعية في التعبير عن أعراصه وحواله بكلام نظم ، يتطايير حماسة ويتأح ناراً ، وشعر صارخ

« خارج من قلب فائله مثلما يزد بركان . »

وهذا استطاع أن يوهم سامعيا أن قلب أولئك اليهود - أحصاه - درس لا ماس من أدائه وواجب حتم لا يصح السكوت عنه وأنهم - إن كانوا غلوا عن القيام به فيما مفي - فهم حابقون أن يتداركوه في الحال ، حتى لا تصب عليهم لعة الله ، أو يحق بهم نعبه ، فيحسف بهم الأرض ، أو ينزل عليهم السماء ، وكذلك لم يترك ناطما وسديلة من الوسائل التي تستمر أحق العواطف الدينية الكرامة إلا استجدهما ، ولا لعة من نعمات متعصب للمعقيدة الدينية إلا ضرب على وتيراتها . كل ذلك بأسلوب سهل رشيق كاد يصل - لسمواته - إلى حد الركاكة في بعض الأبيات مع أنه من أحل الشعر وأبدعه ، وإن شئت فقل وأدوته ، وإليك هذه القصيدة العريضة في ماها :

« ألق لصنحة أحمين بدور الرمان وأسد العين  
مقالة ذى مقة مشفق يعد الصيحة رلى ودين  
لقد دلّ سيدكم ذلة تفرّ بها أعين الشاميين  
تخير كانه كافوا ولو شاء كان من المؤمنين  
فر اليهود به وانتعوا وتاهوا، وكانوا من الأردليين »  
ومنها :

« فكم مسلم راغب راهب لأردل قرد من المشركين  
وما كان ذلك من سعيهم ولكن منا يقوم المدين  
ههلا اقتسدى فيهم بالألى من القادة الحيرة المتقين  
في هذا البيت شيء كثير من الركاكة في قوله « بالألى من القادة الحيرة المتقين » ولكننا ستفرها لما في ليه من تمعة تلك الصورة الشعرية المنطقية الديمة .

وأزلهم حيث يستأهلون وردهم أسمل الساطين  
لم يستعصوا بأعلامنا ولم يستطيلوا على الصالحين »

ومنها يخاطب السلطان ناديس :

« أباديس ! أنت امرؤ حاذق نصيب بطك نفس اليقين  
فكيف خفي عك ما يعشون وفي الأرض تضرب منها القرون  
وكيف تغب فراخ الزنا وقد بغضوك إلى العالمين »

لَهُمْ كُلُّ مَيْمُونِ النَّفِثَةِ بَازِلٍ <sup>(١)</sup> كَفِيلٍ بِأَنْ يَسْتَهْزِمَ الْجَمْعَ مُفْرَدًا  
يَسْرُكُ فِي الْهَيْجَا إِذَا جَرَّ لَامَةً وَيُرْضِيكَ فِي النَّادَى إِذَا أَعْتَمَ وَأُرْتَدَى <sup>(٢)</sup>

\* \*

كَرِهْتَ - لِسَيْفِ الْمَلِكِ - أَلْفَةَ غِمْدِهِ وَقَلَّ غَنَاؤُ السَّيْفِ مَا كَانَ مَقْمَدًا  
وَلَمْ تَرَ لِلشَّيْلِ الْإِقَامَةَ فِي الشَّرَى فَجَدَّ أَفْتِرَاسًا حِينَ أَفْخَرَ لِلْعِدَا  
مُهَامٌ - إِذَا حَارَبْتَ - فَأَرْفَعِ لَوَاءَهُ، قَمَا زَالَ مَنْصُورَ الْوَاءِ مُوَيْدًا  
وَيَأْتِي مِنْ لَيْنِ الْمِهَادِ تَمَوُّضًا بِصَهْوَةِ طَيَّارٍ - إِلَى الرُّوَجِ - أَجْرَدًا  
وَقَدْ مَا شَكَا حَبْلَ التَّامِّمِ يَافِعًا لِيَجْمَلَ رَفْرَاقَ الْفَرِنْدِ مُهْنَدًا  
وَلَمْ تَرَ سَيْفًا - بِأَتِكَ <sup>(٣)</sup> الْحَدَّ قَبْلَهُ - تَنَاقُلَ سَيْفًا - دُونَهُ - فَتَقَلَّدًا

وكيف يتم لك المرتقى إذا كنت تدي وهم يهدمون  
وكيف استنتت إلى فاسق وقارته وهو بش الغري ؟  
ومها :

« وإني حلت غراماة فكنت أراهم بها عابيين  
وقد قسّموها وأعمالها فمنهم مكل مكان ابين »  
ومها :

« وهم أما كم على سرّكم وكيف يكون أميا خزون ؟  
ويأكل غيرهم درهما فيقضى ويدنون إذ يأكلون  
وقد نهضوكم إلى ربكم فما يعمون وما يكرهون »  
ومنها :

« ورحم فردهم داره وأخرى إليها غير العيون  
وصارت حوائجا صده ونحى - على باه - قائمون  
ويضحك منا ومن دينا فانا إلى ربنا راجعون »

(١) البارل : الرجل الكامل ، والبارل أيضا الباقة في عامها التاسع ، قال الشاعر :

« عدت الغزل إن هي غالبتني فما بال وبال ابني لبون »

(٢) أي ينجب بشجاعة إذا لبس لامة الحرب كما تعجب بسحاخنة التحف رءاه ولبس صامته في السلم .

(٣) بائك الحد : فاطمة مرهفة .



\* \* \*

لَبْنُ أَنْجَزَتْ مِنْهُ السَّمَائِلُ آخِرًا      لَقَدْ قَدَمْتُ مِنْهُ الْمَخَالِلُ<sup>(١)</sup> مَوْعِدًا  
قَرَزَتْ بِهِ عَيْنَا، فَكَمْ سَادَ عِتْرَةً      وَكَمْ سَاسَ سُلْطَانَا، وَكَمْ زَانَ مَشْهَدًا  
وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تُرِيدَانِهِ<sup>(٢)</sup> - الرِّضَى ،      وَبُلَغْتُمَا - مِمَّا تُرِيدَانِهِ - الْمَدَى

### دولة عباد

كَمْ لِرِيحِ الْغَرْبِ مِنْ عَرَفِ نَدَى      كَالشَّرَابِ الْعَذْبِ فِي نَفْسِ الصَّدَى<sup>(٣)</sup>  
حَيْثُ « عِبَادٌ » فَتَى الْمَجْدِ الَّذِي      نَصَّتِ الدُّنْيَا بِهِ نَصَّ الْهُدَى  
مَلِكُ رَاحَتِهِ بَحْرُ النَّدَى      مِثْلَمَا غُرَّتُهُ بَذْرُ النَّدَى  
أَصْبَحَتْ دَوْلَتُهُ فِي عَصْرِنَا      كَفَرِنْدِ حَادٍ فِي سَيْفِ صَدَى<sup>(٤)</sup>

### إلى حبيب

يَا ظَبِيَّةَ لَطُفَتْ مِنِّي مَنَازِلَهَا      فَالْقَلْبُ مِنْهُمْ وَالْأَحْدَاقُ وَالْكَبِدُ  
حُبِّي لَكَ النَّاسُ طُرَا يَشْهَدُونَ بِهِ      وَأَنْتِ شَاهِدَةٌ إِنْ يَنْتَهُمُ حَسَدُ  
لَمْ يَعْزُبِ الْوَصْلُ فِيمَا يَنْتَنَا أَبَدًا      لَوْ كُنْتُ وَاجِدَةً مِثْلَ الَّذِي أُجِدُ

(١) المَخَالِلُ من السحب : المدرة بالمطر . قال مروان ابن أبي حفصية :

« إِنْ أَحْلَبَ الْبَيْتَ لَمْ تَخْلَفْ مَحَالِهِ »

وهي هنا بمعنى الدلائل التي تتوسم بها الشيء والشبهات : الصفات ، قال أبو تمام يرنى طلعين :

« لَهَى عَلَى تِلْكَ الْمَخَالِلِ ، نَهْمَا لَوْ أَمَهَلَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا »

لعدا سكوتهما حبا ، وصباهما عزما ، وتلك الأريحية نائلا .

(٢) تريعاته : تطلباته ، تقول : أراغ الشيء أى أراده وطله ، وقد جاء في الأصل :

« وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تُرِيدَانِهِ - الرِّضَى »

(٣) الصدى : الظلآن .

(٤) أعادت دولته إلى زماننا روثه وهاءه . فصار كالسيف عاوده العقل والروث بعد أن علاه الصدا .

## في مدح أبي المظفر

« وقال يمدح أبا المظفر سيف الدولة أبا بكر محمد

ابن مسلم صاحب بطليوس . »

- هِيَ الشَّمْسُ مَغْرِبُهَا فِي الْكَلَلِ وَمَطْلَعُهَا مِنْ جُيُوبِ الْحُلَلِ (١)  
وَعُصْنُ تَرَشَّفَ مَاءِ الشَّبَابِ ثَرَاهُ الْهُوَى وَجَنَاهُ الْأَمَلِ (٢)  
تَهَادَى لَطِيفَةً طَى الْوِشَاحِ وَتَرَنُو ضَعِيفَةً كَرَّ الْمُقَلِ (٣)  
وَتَبَرَّزُ خَلْفَ حِجَابِ الْعَفَافِ وَتَسْفِرُ تَحْتَ نِقَابِ الْخَجَلِ (٤)  
بَدَتْ فِي لِدَاتِ - كَزْهَرِ النُّجُومِ - حَسَانِ النَّحْلِ مِلَاحِ الْعَطَلِ  
مَشَيْنَ يَهَادِينَ رَوْضَ الرُّبَا يَبَانِعِ رَوْضِ الصَّبَا الْمُقْتَبَلِ  
فَرْنَ قُضْبٍ تَتَمَّى بَرِيحٍ وَمِنْ قُضْبٍ تَتَنَّى بِدَلْ  
وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِمَسْكٍ وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِطَلْ  
تَعَاهَدَ صَوْبُ الْعِهَادِ الْحِمَى وَلَا زَالَ مَرْبُهَا فِي مَلَلِ (٥)

(١) الكلل : جمع كلة ، وهى ستر رقيق سريع يوقى به من البعوض ونحوه ، والحيوب : جمع حيب ، وهو من القميص طوقه ، والحلل : جمع حلة فالصم وهى إزار وراده ( برد أو غيره ) ولا تكون حله إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة ، والمعنى أن هذه الحساء شمس تمررت فى الكلل كما تغيب الشمس فى مرميها ، وتشرق من حبوب الحلل كما تطلع الشمس من مشرقها .

(٢) وهى غصن غرس فى أرض الهوى وارتوى بماء الشباب لأماء السحابة فأجنانا ثمرة الأول .

(٣) تهادى : تمتشى مشية فى مهل وتناقل ، وترنو : تنظر بمؤخر عينها ، يعنى أنها تهادى بين أثرها يكاد يعدم ما انطوى عليه الوشاح من الحصر ، وتكر بسيف لحظها من حقون فائزة مرهضة .

(٤) تسمر : مضارع سمرت المرأة سمورا كشفت الثقاب عن وجهها ، يقول : إذا برزت للرجال برزت وراء حجاب يصونها من عفتها وإذا بدت لهم سافرة ستر وجهها ثقاب من الحياء والحجل .

(٥) العهد : المطر ، وصوبه نزوله ، والمريع : الموضع الذى ينزلون فيه أيام الربيع ، ولا زال مرميها فى ملل : أى ولا زال المطر يصب فى مرميها حتى يمل لكثرة نزوله ، وفى الأصل :

« ولا مل مرميها فى ملل » وجاء فى ابن الأثير : فى حديث الاستسقاء فألف الله السحاب وملئنا كذا فى رواية مسلم ، قيل هى من الملل أى كثر مطرها حتى ملئناها . انظر ج ٤ ص ١٠٩ من النهاية لابن الأثير .

مَرَّادٌ - مِنَ الْحُبِّ - غَضُّ الْجَنَى ، لَدَيْهِ - مِنَ الْوَصْلِ - وَرَدُّ عَكْلَنْ  
لِيَالِي مَا أَفْكَكَ يَهْدِي الشُّرُورَ حَبِيبٌ سَرَى ، وَرَقِيبٌ غَفَلَنْ  
زَمَانٌ كَانَ الْفَتَى الْمَسْلَمَى تَكْنَفُهُ عَدْلُهُ فَاعْتَدَلْ  
تَدَارَكَ<sup>(١)</sup> مِنْ حُكْمِهِ أَنْ يُعِيدَ بِهِ عِزَّةَ الدِّينِ أَيَّامَ ذَلِكَ  
وَيُوضِحَ رَسْمَ الثَّقَى - إِذْ عَفَا - وَيُطْلِعَ نَجْمَ الْهُدَى إِذْ أَفْلَنْ

حَمِدْنَا « الْمَظْفَرُ » لَمَّا رَأَى<sup>✱</sup> « لِنَصُورِنَا » سِيرَةً فَامْتَثَلَنْ  
مَلِيكَ تَجَلَّى لَهُ غُرَّةٌ تَأْمَلَهَا غِرَّةٌ تُهْتَبَلَنْ  
أَشْفَى الْوَرَى - فِي النَّهْيِ - رُثْبَةً ، وَأَشْهَرُهُمْ - فِي الْمَعَالِي - مَثَلَنْ<sup>(٢)</sup>  
وَأَحْرَى الْأَنَامِ بِأَمْرِ وَنَهْيِ وَأَذْرَى الْمُلُوكِ بِمَقْدِرٍ وَحَلْ  
يَمَافٍ لَهُ التَّاجُ مِنْ يَنْبِهِمْ بِمَا أُورِثَ التَّبَعُونَ الْأَوَّلُ  
سَنَامٌ - مِنَ الْمَجْدِ - عَالِي الدَّرَا يَظَلُّ الْعِدَا مِنْهُ تَحْتَ الْأَظْلُ<sup>(٣)</sup>  
تَقِيلَ - فِي الْمَهْدِ - ظِلُّ اللَّوَاءِ وَسِيمَ النَّهْوضِ بِهِ فَاسْتَقِيلَ<sup>(٤)</sup>  
وَنَيْطَتِ حَمَائِلُهُ الْوَأَفِيَاتُ - مَكَانَ تَمَائِمِهِ - فَاحْتَمَلَنْ  
وَمَا بَلَّتِ الْبُرْدُ تِلْكَ الدُّمُومُ عِلاَ وَفِي الْبُرْدِ لَيْتُ أَبْلُ<sup>(٥)</sup>

(١) في الأصل : « تبارك »

(٢) وقف على « مثل » بالسكون مع أنه منصوب لوقوعه تمييزاً ، وريضة يحجرون المنسوب في الوقف بحرى المرفوع والمجرر فيقفون عليه بالسكون ، وقد اضطرت له القافية - في غير ما موضع - أن يترك الاستعمال العادي من لمة العرب ويلجأ إلى هذه اللمة الفليلة .

(٣) باطن منم البعير .

(٤) تقيل : استظل ، وسيم : كلف ، بالغ إلى حد الأفراق لجبل اللدود وهو في المهد يقود الجيوش ويقليل ظل اللواء ويكلف النهوض بهذا الصبء فيستقل بمحل اللواء وحده .

(٥) الليث الأبل : الأبل الشديد الحصرمة .

عَهْدَنَا الْمَكَارِمَ فِيهِ مَعَانِ      تُبَشِّرُنَا فِيهِ مِنْهَا الْجُمْلُ  
تُرَى بَعْدَ بَشِيرِ يُرِيكَ الْعَمَامَ      تَهْلَلُ بَارِقُهُ فَاسْتَهْلُ  
يُصَدِّقُ مَا حَدَّثْنَا « عَسَى »      بِهِ عَنْهُ ، أَوْ أَنْبَأْنَا « لَعَلَّ »  
فَمَا وَعَدَ الظَّنُّ إِلَّا وَفَى      وَلَا قَالَتِ النَّفْسُ إِلَّا فَعَلْ  
فَلَقَى مُنَاوَرَهُ مَا أَتَى      وَأَعْطَى مُوَبَّلَهُ مَا سَأَلَ

كَمْ أَسْتَوْفَتِ الشُّكْرَ نَعْمَاؤُهُ      فَأَقْبَلَ يُنْعِمُ مِنْ ذِي قَبْلِ<sup>(١)</sup>  
غَمَامٌ يُظِلُّ ، وَشَمْسٌ تُذِيرُ ،      وَبَحْرٌ يَفِيضُ ، وَسَيْفٌ يُسَلُّ  
قَسِيمُ الْحَيَاةِ ضُحُوكِ السَّمَاحِ ،      لَطِيفُ الْخَوَارِ ، أَدِيبُ الْجَدَلِ  
ثَوَقِي الْبَلَاغَةَ أَفْلَامُهُ      إِذَا مَا الضَّمِيرُ عَلَيْهَا أَمَلُ<sup>(٢)</sup>  
يَبَايُنُ يَبَايُنُ - لِلْسَّامِعِينَ -      أَنْ مِنَ السَّحْرِ مَا يُسْتَعْلَلُ<sup>(٣)</sup>  
أَلْهَلْ سَبِيلُ إِلَى الْعَيْبِ فِيهِ      فَكَمْ عَيْنٍ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كَمَلِ<sup>(٤)</sup>

- (١) يقال : لقيته من ذى قل (محين وكسر وفتح) أى فيما يستقل .  
(٢) يقال أمل عليه الكتاب أى أهله ليكتبه ، وفي الكتاب المزمر : (فليكتب وليبلل الذى عليه الحق) وفيه أيضا : ( وقالوا أساطير الأولياء ) اكتنفا وهي تحمل عليه .  
(٣) السحر الذى يستحل هو سحر البيان ، وفيه الإشارة إلى المثل المشهور : إن من البيان لسحرا ، قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - حين وفد عليه ، عمرو بن الأهم ، والرقان بن بدر ، وقيس ابن عاصم ، فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الأهم عن الرقان . فقال عمرو : « مطاع في أدنيه ، شديد لعارضة ، مانع لما وراء طهره » . وقال الرقان : « يا رسول الله ! إنه يعلم مئى أكثر من هذا ، ولكنه صدى » . فقال عمرو : « أما والله ! إنه لمن المروءة ، حقيق العطن ، أحق الوالد ، لثيم الحال ، والله ! رسول الله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى ، ولكي رحل رصيت فقل أحسن ما علمت ، سقطت فقلت أفصح ما وجدت » . نقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا » ، إنما سمي البيان سحرا لتأثيره في سامعه ، وسرعة قبول القلب له .  
(٤) عين : أصيب بالعين ، من طان المحمود يعينه فهو طان والمحمود معين أصابه بالعين ، يقول : هل من سبيل إلى وجود عيب واحد فيه يقبه شر أعين الحاسدين ، فكثيرا ما أصيب بالعين السكامل الذى لا قصى به ولا عيب . وهذا قريب من قول القائل :  
' ما كان أحوج دالكامل إلى عيب يؤقسه من الدين . '

\* \*

لَنْ لَبَسَ الْمَلِكَ رَحْبَ الْمَلَأِ ، فَاخْتَالَ مِنْهُ بِذَيْلِ رَقْلٍ  
فَإِنَّ تَزَوَّدَهُ لِمَعَالِي وَإِنَّ تَأَهَّبَهُ لِلْأَجَلِ  
فَأَخْبَرُ سُوَاسِ هَذِي الْأُمُورِ وَتَأْسِكُ أَرْبَابِ هَذِي الدُّوَلِ

\* \*

وَلَيْتَ الثُّغُورَ فَلَمْ تَعُدْ أَنْ رَأَيْتَ الثَّأْيَ <sup>(١)</sup> وَسَدَدْتَ الْخَلْلَانَ  
سِرَاكَ - إِذَا قُلِدَ الْأَمْرَ - جَارَ ، وَغَيْرُكَ - إِنَّ مُلْكَ النَّيِّ - غَلَّ <sup>(٢)</sup>  
مَنْ لَا يَزَالُ لِمَنْ حَلَّهْ أَمَانَانِ : مِنْ عَدَمٍ ، أَوْ وَجَلَّ <sup>(٣)</sup>  
فَأَنْجِمُ دَهْرِهِمْ سَعْدَةً وَشَمْسُ زَمَانِهِمْ فِي الْحَمَلِ <sup>(٤)</sup>

\* \*

« أَبَا بَكْرٍ » اسْمِعْ أَحَادِيثَ لَوْ تَبْتُ بِسَمْعٍ عَلِيلٍ أَبْلُ <sup>(٥)</sup>  
سَأَشْكُرُ أَنَّكَ أَعْلَيْتَنِي بِأَحْطَى مَكَانٍ وَأَذْنَى تَحَلُّ  
وَأَتَى إِنْ زُرْتُ لَمْ تَحْتَجِبْ وَإِنْ طَالَ بِي تَجَلُّسٌ لَمْ تَمَلْ

(١) الثَّأْيُ : العساد ، ورأبته أصلحته .

(٢) « النَّيِّ » : ما حصل للمسلمين من أموال الكفار عفوا بلا قتال ، وتقسيمه غير تقسيم الغنائم ، وغلَّ : خان ، وحصه بعضهم بالفلول ( أى الخيانة ) فى النَّيِّ والغنم ، وهو من قول الله عز وجل : « وما كان لنبى أن يغل » .

(٣) عدم أو وجل : أى فقرأ وخوف .

(٤) سَعْدَةٌ : صفة الأتخيم ، يقال : يوم سعد و ليلة سعادة ، وفى الأصل : « وأنجم دهرهم أسعد » وأسعد وصف للمذكر ، ولا يصح وصف الأنجم به ، وفى السماء كواكب يقال لكل منها : « سَعْدٌ » وسعود النجوم كشمسة وهى : « سعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الأحيية ، وسعد نافره ، وسعد الملك ، وسعد البهائم ، وسعد الحمام ، وسعد البارع ، وسعد مطر » .

(٥) صبح من مرضه

تَبَسَّمتَ ثُمَّ تَنَيْتَ الْوَسَادَ فَحَسَنِي مِنْ خَطَرٍ مَا أَجَلَ<sup>(١)</sup>  
 فَلَوْ صَافَحَ التَّبَرَّ خَدَيَّ لَهَانَ وَلَوْ كَاثَرَ الْقَطَرُ شُكْرِي لَقَلَّ  
 بِأَمْثَالِهَا يُسْتَرَقُّ الْكَرِيمُ إِذَا مَطْمَعٌ بِسِوَاهُ أَخْلُ

\* \*

فَلَا تَعْدَمَنَّكَ الْمَسَاعِي الَّتِي لِأَمِّ الْمُنَاوِيكَ فِيهَا الْهَبَلُ<sup>(٢)</sup>  
 فَأَنْتَ الْجَرَى - إِذَا الشَّبَلُ هَابَ - وَأَنْتَ الدَّلِيلُ، إِذَا النَّجْمُ ضَلَّ  
 وَمَا أَبْنُكَ إِلَّا جِلَاءُ الْعُبُونِ إِذَا نَاطِرٌ - بِسِوَاهُ - اُكْتَحَلَ  
 رَيْبُ السَّيَادَةِ - فِي حَجَرِهَا - تُدِرُّ لَهُ ثَدْيَهَا إِذْ حَفَلَ<sup>(٣)</sup>  
 تَمَكَّنَ يَنْتُلُوكَ - فِي الصَّالِحَاتِ - فَلَمَّا تَفَقَّهَ ، وَلَمَّا يَنْلُ

(١) تنيت الوساد : الوساد النكأ ، وتنيت أي رددت نعله على بصر ، وذلك لقيه ، أو ثديته جعلت له ثانيا وصعته عليه ليحصل الارتفاق ، والانتكا، عليه عند الجلوس ، ومعه الحماوة إما أن تكون حصلت فعل مباشر من الملك تواصله منه ومنافة في إكرام دى الورايتي (ابن ريدون) ، وإما أن تكون حصلت من الخدم والاتباع ناه على أمر الملك ، يقول في هذا البيت والبيتين قبله : سأشكر لك إلك أهليت مكاني ، وأدريت محلي ، وإني إن روتك لم تحتج وإن طال بي الجلوس في مجلسك لم تسأم ولم تمل ، وإني إن جئتك راثرا تبسمت وتنيت الوساد احتفاء بي ، فحسبي هذا من خطر عظيم وشرف ما أجله وما أعظمه .

(٢) يقال : هلته أمه ثكلته ، ولأمه الهبل أي الثكل . قال الشاعر :

« والناس من يلق حيرا ، قاتلون له مايشتهي ، ولأم الهطى الهبل . »

وقال البقري :

« ولاكم البعي ، ثم انساب نحوكم بالمرية فيها الثكل والهبل . »

وقال المرعي :

« دع آدماء - لاشفاه اقه من هبل - يكي على ولده القتل هايلا . »

(٣) حفل : امتلأ ، حفل الابن في الفروع يحفل حفلا وحفولا ، وتحفل واحتفل : اجتمع وهذا ضرع حليل أي مملوء لبناً

## ذكرى قرطبة وایام الصبا

تَشَقَّق - مِنْ عَرَفِ الصَّبَا <sup>(١)</sup> - مَا تَنْشَقَّا

وَمَا وَدَّهْ ذِكْرُ الصَّبَا فَدَشَوْفَا

وَمَا زَالَ لَمْعُ الْبَرْقِ - لَمَّا تَأَلَّفَا -

يُهَيِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ حَتَّى تَدَفَّقَا ، وَهَلْ يَمْلِكُ الدَّمْعُ الْمَشُوقُ الْمَصْبَا؟ <sup>(٢)</sup>

\* \*

خَلِيلِيَّ - إِنْ أَجَزَغْ - فَقَدْ وَضَحَ الْمُذْرُ

وَإِنْ أَسْتَطِيعَ صَبْرًا فَمَنْ سَيَمْتِ الصَّبْرُ

وَإِنْ يَكُ رُزْؤَا مَا أَصَابَ بِهِ الدَّهْرُ

فِي يَوْمِنَا خَمْرٌ ، وَفِي غَدِهِ أَمْرٌ <sup>(٣)</sup> وَلَا عَجَبٌ ، إِنْ الْكَرِيمُ مُرَّرًا

(١) الصبا : ريح الصبا أى ريح الشمال . والمرف : الطيب .

(٢) يهيب : مضارع أهاب بصاحبه دماه ، أى يدعو الدمع ليتدفق ، والمصبا : دو المصبوبة ، والمصبوة : حملة الفتوة يقال صبا صبوا وصبا وصباء . وصبي إليها - كرضى - حن ، وأصبته المرأة وقصبتها : شاقبه ودعته إلى الصبا لحن إليها .

(٣) فى المثل : « اليوم خمر وغدا أمر » وقد قاله امرؤ القيس حين بلغه قتل أبيه ، ومعناه : اليوم نلهم وننعم تاركين إلى المدأداء ما علينا من الواجبات والفروض . وبرى ، وهو أيضاً لاسرى القيس : « اليوم قحاف ، وغدا قاف » والقحاف جمع قحف ، وهو إناء يشرب به ، والقاف : الملاقاة من قف الهامة شقها عن الدماغ .

\* \*

رَمَتْنِي اللَّيَالِي عَنْ قِسْيِ النَّوَابِ  
فَمَا أَخْطَأْتُنِي مُرْسَلَاتُ الْمَصَائِبِ  
أَقْضَى نَهَارِي بِالْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ  
وَأَوَى إِلَى لَيْلٍ بَطِيءِ الْكَوَاكِيبِ <sup>(١)</sup> وَأَبْطَأَ سَارِي كَوْكَبٌ بَاتَ يُكَلِّئُ

\* \*

أَفْرُطْبَةَ الْغُرَاءِ! هَلْ فِيكَ مَطْعُمْ؟  
وَهَلْ كَبِدٌ حَرَّى لِيِنَّكَ تَنْقَعُ؟  
وَهَلْ لِلَّيَالِيكِ الْحَمِيدَةُ مَرْجِعُ؟  
إِذِ الْحُسْنُ مَرَأَى - فِيكَ - وَاللَّهُ مُسْمِعُ وَإِذْ كُنْتُ الدُّنْيَا - لَدَيْكَ - مُوَطَّأً <sup>(٢)</sup>

(١) إشارة إلى البيت المشهور في قصيدة النابغة الذبياني :

« كاسي لهم يا أمية ناصب وليل أقاسيه طوى الكواكب  
تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بأف  
وصدر أراح الليل طرب همه تصاحب فيه الحزن من كل جانب . »

جعل صدره مألفاً للهدوم وحمل الهدوم كلال العارية بالنهار حتى إذا أتى الليل أراحته الراحة في أماكنها  
والنابغة أول من جعل الهدوم تعرب بالنهار وتزايد بالليل ، وتمتع الشعراء في ذلك ، فقال مجنون ليلى :

« بهم إلى الليل أطفال حبكم كما ضم أودار القيس البناقي . »

وقال ابن الدميني :

« نهاري نهار اللاس حتى إذا بدا لي الليل هرتني إليك المضاح  
أقضى نهاري بالحديث وباللي ويجمعي والهم بالليل جامع . »

ولهذا السبب ترم الشعراء بتول الليل فقال :

« كواكب ليلة طالت ونمت بهذا الصبح راحة غفوري »

وقال امرؤ القيس :

« فياك من ليل كأن نجومه بكل منار القتل شدت يذبل »

وقد أكثر الشعراء من أمثال هذه المعاني فلجئنا بهذه الأبيات .

(٢) موطأ: مبسر مدلل .



الْبَسَ حَبِيبًا أَنْ تَشْطَّ النَّوْصَى بِكَ  
فَأَخِيًّا كَأَنْ لَمْ أُنْسَ نَفْحَ جَنَابِكَ  
وَلَمْ يَلْتَمِمْ شَفِئِي خِلَالَ شِعَابِكَ  
وَلَمْ يَكْ خُلُقِي بَدْوُهُ مِنْ ثَرَابِكَ وَلَمْ يَكْتَفِنِي - مِنْ نَوَاحِيكَ - مَنَشَأُ

نَهَارُكَ وَصَاحُ ، وَلَيْلُكَ خَضِيكَ  
وَتُرْبُكَ مَصْبُوحٌ ، وَغُصْنُكَ نَشْوَانُ  
وَأَرْضُكَ تَكْسِي ، حِينَ جَوْكَ عُرْبَانُ  
وَرَبَّالِكِ رَوْحٌ - لِلنَّفُوسِ - وَرِيحَانُ وَحَسَبُ الْأَمَانِي ظِلُّكَ الْمُتَقَيُّمُ (١)

أَأُنْسَى زَمَانًا « بِالْمُقَابِ » مُرَفَّلًا  
وَعَيْنًا بِأَكْنَافِ « الرُّصَافَةِ » دَغْفَلًا (٢)  
وَمَغْنَى - إِزَاءَ « الْجَعْفَرِيَّةِ » - أَقْبَلًا  
لَنِعْمَ مَرَادُ النَّفْسِ رَوْضًا وَجَدْوَلًا وَنِعْمَ مَحَلُّ الصَّبْوَةِ الْمُتَبَوِّأُ

وَيَارُبِّ مَلْهَى « بِالْعَقِيقِ » وَمَجْدِسِ  
لَدَى تُرْعَةٍ ، تَرْتُو بِأَحْدَاقِ نَرْجِسِ  
بِطَاحُ هَوَاءٍ مُطْمِعِ الْحَالِ مُؤَيِّسِ  
مَغِيمٍ وَلَكِنْ - مِنْ سَنَا الرَّاحِ - مُشْمِسِ إِذَا مَا بَدَتْ - فِي كَأْسِهَا - تَتَلَأَلُ

(١) ضحيان : أى بارز طاهر لا يستتره ظلام ، وذلك لكثرة ما يضاء فى قرطبة من المصاييح والسرر  
بالليل ، وعريان : هو يريد أن أرضها مكشوفة بالنبات وجوها محو صان الأديم ، المنفى : الذى يستظل به  
ويستريح فيه القليل . (٢) الدغفل : العيش الواسع الخصب .

وَقَدْ صَنَّمْنَا - مِنْ « عَيْنِ شُهَدَاةٍ » - مَشْهَدُ  
 بَدَأْنَا وَعَدْنَا فِيهِ ، وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ  
 يَرْفُ عَرُوسَ اللَّهِوِ أَحْوَرُ أُعْيَدُ  
 لَهُ مَبْسِمٌ عَذْبٌ ، وَخَذْتُ مُورَدُ ، وَكَفْتُ - بِحِثَاءِ الْمُدَامِ - تُقْنَأُ <sup>(١)</sup>

\* \*

وَكَأَنَّ عَدَوْنَا - مُضْعِدِينَ - عَلَى الْجِسْرِ <sup>(٢)</sup>  
 إِلَى الْجَوْسِقِ <sup>(٣)</sup> النَّضْرِيَّ بَيْنَ الرُّبَا الْعَفْرِ  
 وَرُخْنَا إِلَى الْوَعْسَاءِ <sup>(٤)</sup> مِنْ شَاطِئِ النَّهْرِ  
 بِحَيْثُ هُبُوبُ الرِّيحِ عَاطِرَةِ النَّشْرِ عِلَا قُضْبِ الثَّوَارِ ، فَهِيَ تُكَفَأُ

\* \*

وَأَحْسِنَ بِأَيَّامٍ - خَلَوْنَ - صَوَالِحِ  
 بِمَضِيعَةِ الدُّوَلَابِ ، أَوْ قَصْرِ نَاصِحِ  
 تَهْزُ الصَّبَا - أَثْنَاءَ تِلْكَ الْأَبَاطِحِ -  
 صَفِيحَةَ سَلْسَالِ الْمَوَارِدِ سَاحِجِ تَرَى الشَّمْسُ تَجَلُّوْنَ نَصْلَهَا حِينَ يَصْدَأُ <sup>(٥)</sup>

(١) تقنأ : تصنع باللون الأحمر القاني ، وذلك حين تمسك بالكأس فينعكس عليها من لون الراح ما يشبه الحصاب الحناء . (٢) وكم حرينا صاعدين على الجسر .  
 (٣) الجوسق : القصر ، والرا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض والمفر جمع غفراء - وهي أرض بيضاء لم توطأ .  
 (٤) الوعساء : رابية من رمل لينة تنبت أحرار البقول .  
 (٥) يهول : إن ربح الصبا تهز خلال تلك الأباطح صفيحة جدول سلسال للموارد سائح في الأباطح ، والشمس تجلو نصل هذا الجدول الشبيه بصفيحة السيف حين يصدأ من الظل .

\* \*

وَيَا حَبْدَا « الزَّهْرَاءُ » بِهَجَّةٍ مَنْظَرٍ  
وَرِقَّةٍ أَنْفَاسٍ ، وَصِحَّةٍ جَوْهَرٍ  
وَنَاهِيكَ مِنْ مَبْدَا جَمَالٍ وَمَخْصَرٍ  
وَجَنَّةٍ عَذْبٍ تَطْيِيكَ وَكَوْثَرٍ يَمْرَأَى يَزِيدُ الْعُمْرَ طَبِيبًا - وَيَنْسَأُ<sup>(١)</sup>

\* \*

مَعَاهِدُ - أَبْكِيهَا - لِمَهْدٍ تَصْرَمَا<sup>(٢)</sup>  
أَغْضَ - مِنْ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ - وَأَنْعَمَا  
لَبِسْنَا الصَّبَا فِيهَا حَبِيرًا مُنْعَمًا<sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ نَأَى إِلَى اللَّذَاتِ جَبِشًا عَرَمَرَمًا لَهُ الْأَمْنُ رِذْوَانًا<sup>(٤)</sup> وَالْعَدَاوَةُ أَمْرًا بَأْسًا

\* \*

كَسَاهَا الرَّيْبُ الطَّلُقَ وَشَى الْخَمَائِلَ<sup>(٥)</sup>  
وَرَلَحَتْ لَهَا مَرْضَى الرِّيَّاحِ الْبَلَائِلِ  
وَعَادَى بَنُوهَا الْعَيْشَ حُلُوَ الشَّمَائِلِ  
وَلَا زَالَ مِنَّا بِالضَّحَا وَالْأَصَائِلِ سَلَامٌ - عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِينِ - يُقْرَأُ

(١) تطييك : تعجبك وتزدهيك ، ينسأ : يؤخر ، أى يطيل العمر ، وقد مرَّ التعريف بالزهراء وغيرها من آثار « قرطبة » فى الحاشية ص ( ٥٤ - ٥٦ ) فارجع إليها إن شئت

(٢) تصرم : انقضى وفات :

(٣) الحبير : الناعم الجديد ، وضرب من برود النسيم والسم : المنقوش الموشى

(٤) رداء : ظهور أومين .

(٥) الخمائيل - جمع خيلة - وهى الموضع الكثير الشجر

أَخَوَانَنَا | لِلْوَارِدِينَ مَصَادِرُ  
وَلَا أَوَّلُ إِلَّا سَبَتْلُوهُ آخِرُ  
وَأِنِّي - لِإِغْتَابِ<sup>(١)</sup> الزَّمانِ - لَنَظَرُ  
فَقَدْ يَسْتَقِيلُ الْجَدُّ - وَالْجَدُّ قَائِرُ - وَتُحَمَّدُ عُقْبَى الْأَمْرِ مَا زَالَ يُشْنَأُ<sup>(٢)</sup>

\* \*

ظَنَنْتُ ، فَكَانَ الْحَرْ يُخْفِي فَيَقْطَعُنُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَصْبَحْتُ أَسْأَلُ بِالْأَمْسِ<sup>(٤)</sup> حِينَ أَحْزَنُ  
وَقَرَّ - عَلَى النَّاسِ - الْفُؤَادُ الْمُوَطَّنُ  
وَإِنْ بِلَادًا - هُنْتُ فِيهَا - لَأَهْوَنُ وَمَنْ رَامَ مِثْلِي بِالذَّنْبِ أَذْنَأُ

\* \*

وَلَا يُغْبِطُ الْأَعْدَاءُ كَوْنِي فِي السَّجْنِ  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَحْصَنُ بِالْذَّجْنِ<sup>(٥)</sup>  
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الصَّارِمَ الْعُضْبَ فِي جَفْنِ<sup>(٦)</sup>  
أَوِ اللَّيْلِ فِي غَابٍ ، أَوِ الصَّقْرِ فِي وَكْنِ<sup>(٧)</sup> أَوِ الْعَلِقِ يُخْفِي - فِي الصُّوَارِ - وَيُخْبَأُ<sup>(٨)</sup>

(١) الإغتاب : إرضاء العاتب .

(٢) يستقيل : ينهض ، والجد : الحظ . ويشأ : يمس .

(٣) أى رحلت فكان رحبلى هذا لأى قيمت حماه فترحلت عن مكان الحفوة والحر إذا نبت به أرض

حاجر إلى غيرها . (٤) الأمسى : جمع أسوة ، رعى الناس والتجمل ، قال ابن دريد :

« قال عثر بعدها - إن وألت نفسى من هاتمة فتولا : لالما . »

وإن تكن مدنا موصولة بالتحف سلطت الأمسى على الأمسى .

أى سليات الصبر والتحمل على الحزن .

(٥) الحسن : البيم . (٦) حفن : غمد (٧) الوكن : عش الطائر ، لوكنة مثله .

(٨) الصُّوَار : وهاء للسك .

\* \*

يَضِيقُ - بِأَنْوَاعِ الصَّبَابَةِ - مَذْهَبِي

إِلَى كُلِّ رَحْبِ الصَّدْرِ - مِنْكُمْ - مُهَذَّب

مَفْضُضٍ لَأَلَاءِ الْأَسَاوِيرِ مُذْهَبٌ <sup>(١)</sup>

يُنَافِسُ - مِنْهُ الْبَدْرُ - غُرَّةَ كَوْكَبٍ دَرَى أَنَّهَا أَبْهَى سَنَاءً وَأَضْوَأُ

\* \*

أَسِفْتُ ، فَمَا أُرْتَاحُ - وَالرَّاحُ تُثْمِلُ -

وَلَا أُسِفُّ الْأَوْتَارَ - وَهِيَ تَرْسَلُ -

وَلَا أَرْعَوِي عَنْ زَفْرَةٍ - حِينَ أَعْدَلُ -

وَلَا لِي - مُذْ قَارَتْكُمْ - مُتَعَلِّلٌ سِوَى خَبَرٍ مِنْكُمْ - عَلَى النَّأْيِ - يَطْرَأُ

\* \*

حَدَّثْتُمْ - مِنْ الْأَيَّامِ - إِيْنَ خِلَالِهَا

وَسَرَّتْكُمْ الدُّنْيَا بِحُسْنِ دَلَالِهَا

مُؤْمِنَةً مِنْ عَثْبِهَا وَمَلَالِهَا

وَلَا زَالَ مِنْكُمْ لَابِسٌ مِنْ ظِلَالِهَا يُسَوِّغُ أَبْكَارَ الْمُنَى وَيُهِنُّ

(١) أساوير الوجه : محاسنه ، والأساوير - جمع أسرار والأمراء جمع سراد وهي خطوط الكف .

## إلى ابن عبدوس<sup>(١)</sup>

« وكتب إلى الوزير الكاتب أبي عليّ

ابن عبدوس معاتاً . »

(١) كان بين ابن زيدون وابن عبدوس عداوة أصيلة - بعد صداقة أكيدة - وكان من أكبر أسباب تلك العداوة تنازعهما على «ولادة بنت المستكفي» وقد كانت هذه العداوة حافزاً لابن زيدون على إنشاء هذه القصيدة ، كما كانت حافزاً له على إنشاء رسالته الهزلية الشهيرة التي ستمر بك في هذا الكتاب . وقد كتب ابن نباتة في مقدمة الرسالة كلمة تهديدية علل بها أسباب هذه العداوة كما كتب صاحب نفع الطيب وغيره ونحن نختزى بما يلي :

كانت قرطبة امرأة طريفة من بنات حلفاء الرب الأمويين المنسوين إلى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالهاخل - من بني عبد الملك بن مروان تسمى : «ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن» ابتذل حجابها - بعد نكته أيها وقته وتعلم ملوك الطوائف - في خبر طويل - ثم صارت تحلس للشعراء والكتاب وتماشرهم وتماشرهم ويتعشقه الكبراء منهم ، وكانت ذات خلق جميل وأدب غرض ونوادر عجبية ، ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه تقول :

«ترق - إذ أحى الغلام - ريارتي فاني رأيت الليل أكرم للسر  
وإن مك ما لو كان بالدر لم ينره وبالليل لم يظلم ، وبالبحم لم يسر . »

وقولها فيه وهي عليه عصبى :

«إن ابن زيدون - على فضله - يلجح في شتما ولا دنس لي  
يلحطى شذراً إذا خنته كما مما حث لأخصى على . »

لغنى غلاماً له يسمى علياً . وكان سب قولها فيه هذا الشعر أنه اتهمها بمواصلة الوزير «أبي طاهر بن عبدوس» وكان يلقب بالفار ، فقال فيه وفيها :

« غيرتموا بأن قد صار يغفلنا - فبين نحب - وما في داك من طار  
أكل شهى ، أمسينا من أطايه مصاء ، ومعضاً صفحاً عنه لفار . »

ومن شعرها ما كتبت به على كها وقيل : على ناحها :

« أنا والله أصلح للمال وأشئ مشيت وأتبه نهباً  
وأمكن عاشق من ثم نمرى وأعطى قلبى من يشتمها . »

ومما ينسب إليها وهو عندي كثير على شعر امرأة :

« لحاطكم تبحرحا في الحصى ولحظاً يبحرحكم في الحدود  
جرح بجرح ، فاحملوا ذا بذاً فما الذى أوجب جرح الصدود . »

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها ، والليل إليها ، وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها ، ثم إن الوزير «أبا طاهر بن عبدوس» أيضاً هام بها وكلف بعشرتها ، وكان تصدم الطرف والأدب ، وكانت «ولادة» كثيرة اللبث به ، ولها معه نوادر طريفة ، ومن نوادرها الطريفة أنها مرت يوماً بدار «ابن عبدوس» وهو جالس بالباب وحوله جماعة من أصحابه - وأمامه بركة تنول من سراخيس وأنذار - فوقفت عليه وقالت يا أبا طاهر :

« أنت الخبيب وهذه مصر قدنقا فكلنا كما بحر . »

أَثَرْتُ هَزْزَ الشَّرِّ - إِذْ رَبَضَ - وَبَهْتُهُ إِذْ هَذَا فَأَغْتَمَضَ (١)  
وَمَا زِلْتُ تَبْسُطُ (٢) - مُسْتَرِيسًا - إِلَيْهِ يَدَ الْبُغْيِ لَمَّا انْقَبَضَ

\* \*

حَذَارٍ حَذَارٍ فَإِنَّ الْكَرِيمَ - إِذَا سِيمَ خَسَفَا - أُنِيَ فَأُمْتَمَضَ  
فَإِنَّ سُكُونَ الشُّجَاعِ النَّهْوُ س (٣) لَيْسَ بِمَانِعٍ أَنْ يَمَضُ  
وَإِنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تُسْتَرْزَلُ وَإِنَّ الْمَقَادِيرَ لَا تُعْتَرَضُ  
إِذَا رِيغَ فَلْيَقْتَصِدْ مُسْرِفٌ مَسَاعٍ يَقْصُرُ عَنْهَا الْخَفَضُ (٤)  
وَهَلْ وَارِدُ الْغَمْرِ مِنْ عِدَّةٍ يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشْفٍ الْبَرَضُ (٥)

فلم يجر جواباً، فمست وحفظت هذه النادرة، واشتغل بها الناس، وهذا البيت لأبي نواس تمثلت به وقتلته هذا  
الفعل الحسن من - المدح إلى الهجاء - وكان كثيراً ما يجمعها وينى التمدد بها، وفي ذلك يقول ابن زيدون:  
« وفرك من عهد ولادة سراب تراءى و برق ومضى  
فى الماء يأبى على قابض ويمع زبدته من محض . »

وكان أول أمرها معه والباحث لابن زيدون على إنشاء هذه الرسالة : أن «ابن عبدوس» لما سمع بها أرسل  
إليها امرأة من جهته لتسليمها إليه وتذكر لها اسمته ومناقبه وترغبها في التفرد بمواصلته، فبلغ ابن زيدون  
ذلك، فكتب هذه الرسالة الدمية جواباً له عن لسانها تتضمن هذه الغرائب من سب أبى طاهر والتهكم له  
والهجاء له وحملها حوا له على لسان ولادة، وأرسلها إليه حبيب رجوة المرافقة بلفت منه كل مبلغ، واشتهر  
ذكرها في الآفاق، وأمسك «ابن عبدوس» عن التعرض لولادة إلى أن انتقل «ابن زيدون» إلى «إشبيلية» وتوفي بها  
تسبحة الله برحمته، وغمر لنا ولهم بمنه وكرمه. هذا معنى ماد كره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين .  
(١) أثرت : هجت ، والهزير : من أسماء الأسد ، والشرى : موضع تكثر فيه الأسود ، وريش :  
آوى إلى عرينه ، وهذا : نام .

(٢) يقول : وما زلت تبسط يد البطش والبنى على ذلك الأسد الرايض في مجنحه على حين أمت يده  
المنقبضة هناك .

(٣) النهوس : المضيض ، والشجاع الذكر من الحيات ، قال القائل :

« أتبع له - وكان أخا هيال - شجاع - فى الحماطة مستكن . »

(٤) الخفض : الجمل الضعيف .

(٥) المد : أراد به هنا معنى اللاء الذى له مادة لا تقطع ، يقال ماء عد أى كثير دائم لا يقطع ،

البرض : القليل . قال ابن دريد :

« أرقم العيش على برض فان رمت ارقنافا رمت مصب المنقى . »

يقال ماء برض (بالسكون) أى قليل وهو خلاف النذر ، والمستشف : الذى يأبى على آخر ما فى الأناة عند المرب .

إِذَا الشَّمْسُ قَابَلَتْهَا - أَرْمَدَا - فَحَظُّ جُفُونِكَ فِي أَنْ تُعَضَّ (١)

\* \*

أَرَى كُلَّ مُجْرٍ « أَبَا عَامِرٍ » يُسِرُّ إِذَا فِي خَلَاءٍ رَكُضٌ  
أَعِيدُكَ مِنْ أَنْ تَرَى مِنْزَعِي (٢) إِذَا وَتَرَى بِالْمَنَآيَا أَنْقَبَضُ  
فَلَانِي أَلَيْنُ لِمَنْ لَانَ لِي وَأَتْرُكُ مَنْ رَامَ قَدَمِي حَرَضُ (٣)  
وَكَمْ حَرَكَ الْعُجْبُ مِنْ حَانٍ فَعَادَرَتْهُ ، مَا بِهِ مِنْ حَبَضُ (٤)

\* \*

« أَبَا عَامِرٍ » أَيْنَ ذَاكَ الْوَفَا إِذِ الدَّهْرُ وَسَنَانُ ، وَالْمَيْشُ غَضُ ؟  
وَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَعْتَدُ مِنْ مُصَادَقَتِي الْوَاجِبِ الْمُفْتَرَضُ ؟  
تَشُوبُ وَأَفْحَضُ (٥) مُسْتَبَقِيَا وَهَيْهَاتَ مَنْ شَابَ مِمَّنْ مَحْضُ !

\* \*

أَبْنِ لِي ، أَلَمْ أَضْطَلِعْ نَاهِيضًا (٦) بِأَعْيَابِ بَرِّكَ ، فَيَمِينُ نَهَضُ ؟  
أَلَمْ تَدْنُ مِنْ أَدْبِي نَفْحَةً حَسِبْتَ بِهَا الْمِسْكَ طَيِّبًا يَفْضُ ؟

(١) قال المتنبي :

« قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويكر انعم طعم الماء من سقم . »

(٢) للزنج : اللهم الذي يرى به أبعد ما يقدر عليه لقدرة به الدولة قال الأعشى :

فهو كالزنج المريش من الشو حط عالت به يمين المعالي

(٣) حرص : ساقط لا يقوى على النهوض .

(٤) الحض : التحرك والصوت ، والقرة وبقية الحياة ، يقول : كم دفع الدور من قرب حينه إلى ما

وأنى فكرته ميتا لاحتراكه .

(٥) أى تبرز الصابي بالكدر وأصبتك الهوى خالماً مر كل شائبة

(٦) وفي رواية : « هاديا »



أَلَمْ تَكُنْ مِنْ شَيْعَتِي غَادِيًا إِلَى تُرَيْجٍ ضَاكَكُنْهَا فُرُضٌ<sup>(١)</sup> ؟  
وَلَوْلَا اخْتِصَاصُكَ لَمْ أَتَقَفْتُ لِحَالِكَ مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ  
وَلَا عَادَنِي - مِنْ وَفَاءٍ - سُرُورٌ وَلَا نَالَنِي - لِفَقْدٍ - مَضَضٌ  
يَعِزُّ اعْتِصَارُ الْفَتَى وَارِدًا إِذَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ أَهْدَى الْجَرَضُ<sup>(٢)</sup>

\* \*

عَمَدَتِ لِسْعَمِي وَلَمْ تَنْدُبْ<sup>(٣)</sup> تُعَارِضُ جَوْهَرَهُ بِالْعَرَضِ  
أُضَاقَتْ أَسَالِيبُ هَذَا الْقَرِيضِ ؟ أَمْ قَدْ عَفَا رَسْمُهُ فَأَنْقَرَضُ ؟

\* \*

لَعَمْرِي لَفَوْقَتَ سَهْمِ النُّضَالِ وَأَرْسَلْتُهُ، لَوْ أَصَيْتَ الْفَرَضُ<sup>(٤)</sup>  
وَشَمَرْتَ لِلْخَوْضِ فِي جُلَّةٍ - هِيَ الْبَحْرُ - سَاحِلُهَا لَمْ يُخْضَنْ  
وَعَرَّكَ مِنْ عَهْدٍ « وَلَادَةٌ »<sup>(٥)</sup> سَرَابُ تَرَايَ وَبَرَقُ وَمَضَنْ  
تَظُنُّ الْوَفَاءَ بِهَا وَالظُّنُّ نُ فِيهَا تَقُولُ عَلَى مَنْ فَرَضَ :  
« هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ »<sup>(٦)</sup> وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مَنْ مَخَضَ «

(١) العرس - جمع فُرْضة ، والفُرْضة من النهر ثلثة يستقي منها ومن البحر محط السفن .

(٢) وفي الأصل : « ولكن يعر اعتصار الفتى واردا » ، والحرس معناه العمص بالريق ، يقال

حرض بريقه : ابتلعه بالجهد . والاعتصار : أن يعص الانسان بالطعام ويمتص بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا ، قال عدى بن زيد :

« لو بغير الماء حاقى شرق كنت كالفصاء بالماء اعتصارى . »

(٣) ولم نال جهدا . (٤) الغرض : الهدف .

(٥) وفي الأصل : « وعرك من عهد معالة » ولكنه في بقية الروايات : « ولادة »

(٦) وفي رواية : « هـى الماء يعز على قابض » .

وَبَشَّهَا بَعْدِي أَسْتَحْمِدَتْ بِسْرِي إِلَيْكَ لِمَعْنَى غَمَضَ

\* \*

« أبا عامر » عَثْرَةٌ فَأَسْتَقِلَّ لِتُبْرِمَ مِنْ وَدْنَا مَا أُنْتَقَضَ

وَلَا تَعْتَصِمُ ضَلَّةً بِالْحِجَابِ (١) وَسَيِّمَ قُرْبَ اِخْتِجَابِ دُحِضَ

وَالْأُتَحَتَكَ جُيُوشُ الْعِتَابِ مُنَاجِرَةٌ فِي قَضِيضٍ وَقَضُ

\* \*

وَأُنْذِرُ خَلِيلَكَ مِنْ مَاهِرٍ بِطِبِّ الْجُنُونِ إِذَا مَا عَرَضَ

كَفِيلٌ يِيطُ خِرَاجٍ قَسَا (٢) جَرِيٍّ عَلَى شَقِّ عِرْقٍ نَبَضَ

يُبَادِرُ بِالْكِيِّ قَبْلَ الضَّمَادِ وَيُسْعِطُ بِالسَّمِّ لَا بِالْحَضَضِ

وَأَعْلِمُهُ أَنِّي أَسْتَجَدْتُ الْمَوْضَ وَأَشْعِرُهُ أَنِّي أُنْتَخَبْتُ الْبَدِيلَ

فَلَا مَشْرِبِي - لِقَلَاهُ - أَمْرٌ وَلَا مَضْجَعِي - لِنَوَاهُ - أَقْضُ

وَأَنَّ يَدَ الْبَيْنِ مَشْكُورَةٌ لِعَارِ أَمَاطٍ وَوَصْمٍ رَحَضَ (٣)

وَحَسْبِي أَنِّي أَطَبْتُ الْجَنَى لِإِبَانِهِ ، وَأَبْجَحْتُ النَفَضَ (٤)

وَيَهْنِيكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي غَدَوْتُ مُقَارِنَ ذَلِكَ الرَّبَضِ (٥)

(١) المعاج : الحاجة والحدل .

(٢) وفي الأصل : « خراج حرى . »

(٣) رحض : غسل .

(٤) النفض : ماسقط من الورق والنمر وحب العنب حين يوجد بعضه في بعض .

(٥) الرض : الأمعاء أو ما في البطن سوى القلب ، وماوى النعم ، وفوتك الذى يكفيك من الالهن .

## مدح ابن جهور وشكر باديس<sup>(١)</sup>

« وقال من قصيدة طويلة يمدح بها الوزير

الأجل محمد بن جهور . »

سَلِ الْمَعَشَرَ الْأَعْدَاءَ - إِنْ رُمِئْتَ صَرَفَهُمْ - عَنِ الْقَصْدِ إِنْ أَعْيَاكَ مِنْهُ مَرَامُ  
أَتَوْكَ كَأَسَادِ الشَّرِّى فَرَدَدَتْهُمْ كَمَا أَجْفَلْتَ وَسَطَ الْفَلَاةِ نَعَامُ  
مَضَوْا يَسْأَلُونَ النَّاسَ عَمَّا وَرَاءَهُمْ فَيُخْبِرُهُمْ - بِالْبُسْكِيَّاتِ - عِصَامُ<sup>(٢)</sup>

(١) سبق الكلام عن « باديس » وعن « صنهاجة » في ص ( ٢٢٠ و ٢٢١ ) من هذا الديوان ،  
فيرجع إليهما من شاء .

(٢) يقول المثل : « ما وراءك يا عصام ؟ » وجاء في مجمع الأمثال عن المفصل المصنف أن أول من قال  
ذلك الحرث بن عمرو ملك كندة ، وذلك أنه لما بلغه جمال ابنة عوف بن علم الشيباني وكلها وقوة عقلها ،  
دعا امرأة من كندة يقال لها « عصام » ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي  
لى علم ابنة عوف ، فعدت حتى انتهت إلى أمها ، وهى « أمامة » بنت الحرث ، فأعلمتها ما قدمت له ،  
فأرسلت « أمامة » إلى ابنتها وقالت : أى بنية ! هذه حالك أنت لتنظر إليك فلا تسترى عنها شيئا إن  
أرادت الطر ، من وجه أو خلق ، وناطقيها إن استنعتك فندخلت إليها ، فظفرت إلى مالم تر قط مثله ،  
فخرجت من عندها وهى تقول : « ترك الخداع ، من كشف القناع . » فأرسلتها مثلاً ، ثم انطلقت إلى  
الحرث لمبارآها مقبلة ، قال لها : « ما وراءك يا عصام . » قالت : « صرح الخفس عن الربد . » رأيت  
حبة كالمرة المصقولة ، يزيناها شمر حالك كآذنا الخيل ، إن أرسلته خلفه السلاسل ، وإن مشطته قلت  
هناقيد حلاها الوابل ، وحاحين كأنما حطوا بقلم ، أو سودا بحم ، تقوسا على مثل عين طيبة صهيرة ،  
بينهما أرف كحد السيف الصنيع ، حفت به وحتتان ، كالأرحوان ، فى رياض كالجان ، شق فيه فم كالخاتم  
لقديد اللبتم ، فيه ثمايز ذات أشر ، تغلب فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، بعقل وافر ، وجواب حاضر ،  
تلتقى فيه شمتان حراوان ، فى رقبة يضاء كالقصة ، ركبت فى صدر كصدر تمثال دمية ، وعصيان مدحجان ،  
يتصل بهما ذراعان ، ليس فيها عظم يمس ، ولا عرق يجس ، ركبت فيها كفان دقيق قصبها ، لين  
عصبها ، تعدد إن شئت منها الأنامل ، تنأى ذلك الصدر ثديان كالزمانتين يخرقان عليها ثيابها ، تحت ذلك  
بطن طوى طوى القبايطى المدجة ، كسر عكنا كالترابيس المدرجة ، تحيط بذلك العنك سره كالدمع المنجلو ،  
خاف ذلك ظهر فيه كالجدول ، ينتهى إلى خصر لولا رحمة الله لا يبق ، لها كفل يقعدا إذا نهضت ،  
وينهضا إذا قعدت ، كأنه دمع الرمل ، لبدع سقوط الغل ، يحمله غلذان لفاوان ، تحتها ساكن خدبجان ،

وَمَا ضَاقَ عَنْهُمْ جَانِبُ الْعُذْرِ إِنَّهُمْ كَمِثْلِ الْقَطَا لَوْ مِيزَ كُونَ لَنَأْمُوا<sup>(١)</sup>

يحمل ذلك قدما ، كخذو اللسان ، فبارك الله مع صغرها ، كيف تطيقان حل ما فوقهما ؟ . فأرسل الملك إلى أبيها لخطبها فروحها بإياه وبعت صداقها فجهرها إليه ، فلما أرادوا أن يحلوا إلى زوجها قالت لها أمها : أى بية ؟ إن الوصية لو تركت لفصل أدب لترك ذلك منك ، ولكنها تذكرة للعامل ، ومعونة للعامل ، ولو أن امرأة استعنت عن الزوج لى أبيها ، وشدة حاجتهما إليها ، لكنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أى بية ؟ لك إن فارقت الحو الذى منه خرجت ، وخلفت المش الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تربية ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكك عليك رقبيا ومليكا فكونى له أمة يكن لك صدا وشيكا ، إلى آخر ما جاء فى هذا الخبر ، قال فى جمع الأمثال بعد سبابة هذا الخبر : وروى أبو عبيد ، ما وراءك على التدكير ، وقال : يقال إن الذكلم به السامة الديانى قاله لمصام بن صهر حاجب السمان وكان السمان مريضا ، وقد أرحب بموته ، فسأله النابة عن حال السمان ، فقال : « ما وراءك يا عصام . » ومعناه ما خلفت من أمر الليل ، أو ما أمامك من حاله ، ووراء من الأعداد . (١) يشير إلى اللئى المشهور : « لو ترك القطا لئلا لام » بصرت لى حمل على مكروه من غير إرادته .

وقد تمثل به الحسين بن على ( رضى الله عنه ) فى الليلة الأخيرة التى تلاها مصرعه ، قال على ابنه :  
إنى لحالسى فى تلك العشيّة - التى قتل أنى وصيتها - وعنى « زينب » هندى تمرضى ، إذ اعتزل أبى بأصحابه - فى خاء له - وعنده « حوى » مولى « أبى ذر » - وهو يعالج سيفه ويصلعه - وأبى يقول :

« يادهر : أف لك من حليل  
كم لك - بالاشراق والأصيل -  
من صاحب ، أو طالب قتيل  
والذهر لا يقع بالسديل  
وإنما الأسر إلى الحليل -  
وكل حى سالك السبيل . »

قال على بن الحسين :

فأعادها أنى مرتين أو ثلاثاً - حتى يهتها - دمرت ما أراد ، فخطبني عبرتي ، مرددت دمي ولزمت السكوت ،  
وعلمت أن اللاء قد نزل ، فأما عني فلأنا سمعت ما سمعت - وهى امرأة ، وفى النساء الزفة والخزع -  
فلم تملك نفسها أن وددت تحر ثوبا - وإنها لحاسرة - حتى انتهت إليه ، فماتت :  
« وانكلاه ! ليت اليوم أعدمى الحياة ! اليوم ماتت « فاطمة » أمى و « على » أنى و « حسن »  
أخى . يا حليفة الماضى ، ومثال الباقي . » فظفر الحسين ، فقال :

« يا أخيه ! لا يذهب حلك الشيطان ! »

فالت : « بأنى أنت وأمى ، يا أبا عبيد الله استعنتت ، نفسى فداك ! » فردّ غصته ، وترقرقت عيناه ، وقال :

« لو ترك القطا لئلا لام ! »

\* \*

فِدَايَ « لِبَاكِيسَ » النَّفُّوسُ ، وَجَادَهُ مِنْ الشُّكْرِ - فِي أَفْقِ الْوَفَاءِ - غَمَامُ  
فَمَا لَحِقَتْ تِلْكَ الْعُهُودَ مَلَامَةٌ وَلَا ذُمَّ - مِنْ ذَلِكَ الْخِفَافِ - ذِمَامُ <sup>(١)</sup>  
وَمِنْكَ وَالِي مِثْلَهُ فَتَصَافِيَا كَمَا صَافَتْ - الْمَاءَ الْقَرَّاحَ - مُدَامُ  
رَسِيلِكَ - فِي شَأْرِ الْمَعَالِي - كِلَا كَمَا بَعِيدُ الْمَدَى صَعْبُ الْهُمُومِ هُمَامُ

\* \*

لَعَمْرِي لَقَدْ أُحْظِيَّتُهُ بِوَفَادِهِ لِأَسْنَى كَرِيمٍ أَنْجَبْتُهُ كِرَامُ  
فَمَا أَنْفَكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ إِنْ يَسِرْ فَلِلْجِسْمِ لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ مُقَامُ <sup>(٢)</sup>  
حُسَامُكَ مَهْمَا تَخْتَرِطُهُ لِمِثْلِهَا فَقَلَّ غَنَاءُ السَّيْفِ حِينَ يُشَامُ

## اسم من أحب

« وقال في معشوقة يؤخذ اسمها بالتوالي من أرض

وسماء وماء ، فيتكوّن من مجموعها « أسماء » . »

إِنَّ لِلْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالْمَاءِ عَلَيْنَا أَذِمَّةً لَا تُدْءَمُ  
هِيَ بِمَضْنُ أُنْمٍ مَنْ أَحَبُّ وَلَاؤُا وَتِكْرِيرِ بَعْضِهَا يَسْتَتِمُ

قلت :

« يا ويلتا ! أنتصب نفسك اختصاباً ؟ فذلك أفرح قلبي ، وأشدّ على نفسي ! » ولطفت وجهها ، وأهوت إلى جيبها وشقته ، وخرت مغشياً عليها .

فقام إليها الحسين صبّ على وجهها الماء ، وعراها بكلام طويل يرجع إليه الفارسي - إذا شاء في كتابنا

« مصارع الأعيان » من ص « ٢٥ إلى ٥٦ »

(١) عهد . (٢) وفي الأصل في

« فما ابتك إلا بعدل نفسك ، إن يسر . للجسم - لا للنفس منك - مقام . »

## وقال

« كان أبو العطف بن حبي إذ ورد إشيلية  
رسولا قد سأله أن يريه من شعره ، فطله  
حتى كتب إليه شعرا يستطئه فيه ، فجاءه  
عليه في عروضة وقافته . »

أَفَذَّتْنِي مِنْ نَفَائِسِ الدَّرَرِ مَا أَبْرَزْتُهُ غَرَائِرُ الْفِكْرِ (١)  
مِنْ لَفْظَةٍ قَارَنْتَ نَظِيرَتَهَا قِرَانَ سُقْمِ الْجَفُونِ لِلْحَوَرِ (٢)  
أُبْدَعَهَا خَاطِرٌ ، بَدَائِثُهُ - فِي النَّظْمِ - حَازَتْ جَلَالََةَ الْخَطَرِ  
الْعِطْرُ مِنْهَا سَرَى لَهُ نَفْسٌ ، مِنْ نَفْسِ الرَّوْضِ رَقٌّ فِي السَّحَرِ (٣)

\*  
\*

يَا رَاقِمَ الْوُشَى - زَانَهُ ذَهَبٌ - رَفَّرَقَ إِذْ رَفَّ مِنْهُ فِي الطَّرَرِ (٤)

(١) يقول : أودتني من هائس تلك الشبهة بالدر انشقت عنه الأصدا ف ما أبررته غرائر فكر من  
مكتون روائع الحكم ، وبدائع الحكم .

(٢) سقم الحفون : فتورها ، والحور : في العين شدة سواد القلة في شدة باضها في شدة بياض لون  
الجد ، وقيل الحور أن تسود العين كلها كما في أعين الطباء والبقر ، وهذا ليس بوجود في الأدبين ،  
يقول : أكتبني من نفائس درك كل لفظة وافقت قريبتها ، وقارنت نظيرتها ، قران سقم الحفون ،  
لحور العيون .

(٣) يقول : العطر من هذه الكلم القديمة التي أبدعها خاطرك سرى له نفس يحكي في الأريج والرفة  
من الروس العطر ، سرى به النسيم وقت السحر ، وفي الأصل : « أعطر مهما سرى له نفس . » ،  
وما أثبتناه هنا ما يرشد إليه السياق .

(٤) الوشى : القش ، ورفرق : تحرك ولمع وصار له بصيص وتلاؤ ، ورف يقال : رف اللون  
والذهب والبرق يرف ( بالكسر ) ويغفرق وتلاؤ ، ورمت الأسنان كذاك ، وفي الحديث أن  
« البائة » الحمدي أنشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحمي صفوه أن يكدرها

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرها . »

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا يفيض الله فاك . فبقيت أسنانه ترف حتى مات ، يقول :  
يا كاتباً يرقم في الكتاب ما يحكي للبرد الوشى المذهب الطرر والحوافى ، والنش لونه وقرق وبصيص ، وفي  
الأصل « رفرق » وقد وضعنا بدلها « زرق » ليستقيم المعنى والوزن .

- وَنَاطِظَ الْمَقْدِ - نَظَمَ مُقْتَدِرَ - يَفْصِلُ بَيْنَ الْعُمُونَ بِالْفَرَرِ (١)  
 لِي بِالنِّصَالِ الَّذِي نَشِطَتْ لَهُ عَهْدُ قَدِيمٍ مُعْجَمُ الْأَثَرِ (٢)  
 هَلْ أَنْصِلَ السَّهْمَ فِي الْجَفِيرِ وَقَدْ تَعَطَّلَتْ فُوقَهُ مِنَ الْوَتَرِ ؟ (٣)

\* \*

- مَا الشَّمْرُ إِلَّا لِمَنْ قَرِيحَتُهُ غَرِيضَةُ النُّورِ غَضَّةُ الشَّمْرِ (٤)  
 تَبْسِمُ عَنْ كُلِّ زَاهِرٍ أَرْجٍ مِثْلَ الْكِيَامِ أَبْتَسَمَنَ عَنْ زَهَرٍ  
 إِنَّ الشَّفِيعَ الْهَمَامَ سَوَّغَهُ اللَّهُ اتِّصَالَ التَّائِيْدِ بِالظَّفَرِ  
 الْفَاضِلُ الْخُبْرُ فِي الْمُلُوكِ إِذَا أَقْصَرَ حُبْرٌ عَنْ غَايَةِ الْخَبْرِ (٥)  
 نَجَلُ الَّذِي نَصَحَهُ وَطَاعَتُهُ كَالْحَجِّ تَتَلَوُّهُ بَرَّةُ الْعُمَرِ (٦)

(١) العميون : الخيار المنتخب من حبات المقد ، والفرر البيض ، يقول : وبأناظم الشعر نظم قدير يفصل بين أجزائه ، ويؤلف بين مواقع كلمه ، كما يؤلف أناظم المقد بين خرزه وجبانه ، ويفصل بين الخيار المنتخب منها برر الآلى .

(٢) النصال : المراماة بالسهم وأراد به ما المساجلة والمساوقة في مجال القول ، ومعجم الأثر : مهم مشكل قد انطلمست معاللة وآثاره ، يقول : بعثت إلى يده الكلم الثمينة ، والنظم الرائع تريد بذلك أن تجددهم النصال الذى شطت له أنت الآن بعد أن طال في عهده ، وأهمهم على أمره ، واستمعهم أثره .

(٣) أصل . مصارع أصل السهم جعل له نصلا ، والجدير : جبة السهام ، والفوق : موضع الوتر من السهم ، يقول : هل أجعل للسهم الذى في الجفير نصلا ، وقد تعطلت فوقه أى مشق رأسه فلم تعد صالحة لأن يوضع الوتر في موضعه منها ، يريد أن آلة النصال بطلت عنده وتعلت أسبابها لطول العهد .

(٤) غريضة النور : الغريضة ، والغرض : كلامها اللين الطرى الناضر من الزهر والنبات وغيرها .

(٥) الخبير : (بضم وكسر أوله وسكون ثانيه) العلم باللقى ، من عيان وخبرة ، والخبير : الثبا الذى يأتيك عن طريق السماع ، يقول : هو الملك الذى يفصل ويزيد الخبر والعلم بصفاته وأحواله عن الخبر الذى يملكه قته في حين أن غيره من الملوك يقصر الخبر والعلم بأحوالهم عن الخبر الذى يأتيك عنهم .

(٦) برة العمر : أى العمر المبرورة المقبولة جمع عمرة ، وهى فى الأصل الزيارة ، وتتحقق شرعا بالطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ، والفرق بينها وبين الحج أن العمرة تطوع وأنه يجوز للانسان أن يعتصر فى السنة كلها بخلاف الحج فإنه لايجوز الا حرام به وأداء مناسكه إلا فى أشهر الحج المعلومة وهى شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة ، يعنى أن نصحه وطاعته من أعمال البر التى تقابل من الله الثواب ، وهى لكونها من الطاعة والبر بمثابة الحج الذى تتلوه العمر المبرورة .

شَاكِدُهُ عَهْدِي لَكَ الصَّحِيحُ بِإِخْلَاصٍ نَأَى صَفْوُهُ عَنِ الْكَدَرِ

\* \*

مَشَيْتُ فِي عَذَلِي الْبَرَارَ لِمَنْ لَمْ يَرْضَ فِي الْعَذْرِ مَشِيَةَ الْحَمَرِ<sup>(١)</sup>  
وَقُلْتُ: مَطْلُ الْغَنِيِّ وَرَدُّ مِنَ الظُّلَمِ، يُمِلُّقِي مَلَاوِمَ الصَّدْرِ<sup>(٢)</sup>  
وَلِي مَعَاذِيرُ لَوْ تَطَّلَعُ فِي لَيْلِ سِرَارٍ أَغْنَتْ عَنِ الْقَمَرِ  
مِنْهَا أُتَقَاتِي لِأَنْ أَكُونَ أَنَا الْجَالِبَ مَا قُلْتُهُ إِلَى هَجَرِ<sup>(٣)</sup>  
لَكِنْ سَيَأْتِيكَ مَا يُجَوِّزُهُ سَرُّوكَ دَابَّ الْمُسَامِحِ الْبَسْرِ  
فَاكْتَفَ مِنْهُ بِنَظَرَةٍ عَنِّي<sup>(٤)</sup> لَا حَظَّ فِيهِ لِكِرَّةِ النَّظَرِ

(١) البرار : من الأرض الغشاء الواسع الذي اس به حمر يستقر من شجر أو غيره ، والحجر : ما يستقر  
المشي وبواري العبد من شجر أو حرف أو حبل من حال الرمل أو تير ذلك ، يقول : عدلك ولحك  
لوما صريحاً لا مواربة فيه ، فكنت به كمن يمشي البرار لا يوريه حمر ، ولا يستقره سائر من مرتفع أو شجر ،  
وهو عدل أعله لم لم يرض قول عدل استقر وراءه عرى من مجارته ، وأحق في الخامسة صمى عن مباراته  
وفي المثل : « مشى إليه البرار » و « مشى إليه الملا والبراح » أى مشى إليه طاهراً غير مستقر ، وجاء  
في سد هذا المثل مثل آخر وهو : « مشى إليه الحجر ، ودب له الضراء . »

(٢) المثل : الذي يقال مظل الحبل وغيره يظله ملا ، وفي الحديث : « مظل العى ظلم . » والملاوم :  
جمع الملامة ، والصدر : الانصراف والرجوع عن الشيء .

(٣) في المثل : « كسبصع الثمر إلى حمر . » و « نازل الثمر إلى هجر » وهو مثل قديم يتداول :  
يصرّب في الخطأ لأن نازل الشيء إلى معدته يخطئ ويقال أيضاً كسبصع الثمر إلى خير . قال اللابغة الجعدي :  
« وإن اسرأ أهدى إليك قصيدة كسبصع تمرا إلى أرض خيرا . »

وقد ورد هذا المثل في كتاب لسيدنا على كرم الله وجهه ورضى عنه بهت به جواباً إلى معاوية رضى الله عنه  
وهو من محاسن كتبه ، وذلك حيث يقول عليه السلام في صدر هذا الكتاب : —

« أما بعد » فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفا الله محمدا صلى الله عليه وآله لدينه ، وتأييده إياه بمن  
أبده من أصحابه ، ولقد خبا لنا الدهر منك عجا إذ طفت تخبرنا بلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا ،  
وسكنت في ذلك : « كناقل الثمر إلى هجر ، أو داعي مسدده إلى النضال . » إلى آخر ما جاء في هذا الكتاب  
المتبع ، فارجع إليه في نهج البلاغة إن شئت .

(٤) أى تفترض لك من غير عمل ولا قصد ، يقول : سيأتك نظمي هذا الذي يجيزه سروك وإغضاؤك  
عما فيه أعضاء السهل ، فاكثف منه بنظرة مجلى ، فانه لاحظ فيه لمعاودة النظر ككرة بعد كرة .



## بين ابن زيدون والمعتمد

« وكتب إليه المعتمد على الله المؤيد  
بنصر الله وهو جالس في فصيل من القصر  
تحت غرفة لزومه :

أيها المنحط عني مجلسا  
وله في القلب أعلى مجلس  
بهوادي لك حب يقتضى  
أن ترى تحمل فوق الأروس  
جواربه ابن زيدون . »

|                                    |   |
|------------------------------------|---|
| أَسْقِطُ الطَّلَّ فَوْقَ الرَّجَسِ | أَمْ نَسِيمُ الرُّوضِ تَحْتَ الْحِنْدِسِ      |
| أَمْ نِظَامُ لِّلْأَلِ نَسِيقِ     | جَامِعِ كُلِّ خَطِيرٍ مُنْفِسِ <sup>(١)</sup> |
| أَمْ قَرِيضٌ جَاءَ نِي عَن مَلِكِ  | مَالِكٍ بِالْبُرِّ رِقَّ الْأَنْفُسِ          |
| دَهَتْ فِكْرِي مِنْ إِبْدَاعِهِ    | حَايِرَةٌ فِي مَنْطِقِي لِي مُخْرَسِ          |
| بِتُّ مِنْهُ يَنْ سَهْلٍ مُطْمَعِ  | خَادِجٍ يُتَلَّى بِحُزْنٍ مُؤَيَّسِ           |

\* \*

|  |  |
|--|--|
| يَا نَدَى يُعْنَى « أَبِي الْقَاسِمِ » غَمِّ | يَا سَمَاءَ شَمْسِ الْحَيَا أَشْمِسِ       |
| يَا بَهِيحَ الْخُلُقِ الْعَذْبِ أَبْنَمِ     | يَا مُهَيِّجَ الْأَنْفِ الصَّعْبِ أَعْلَسِ |
| يَا بَجَالَ الْمَوَكِبِ الْغَادِي - إِذَا    | سَارَ فِيهِ - يَا بَهَاءَ الْمَجْلِسِ      |
| أَنْتَ لَمْ يُقْنِكَ أَنْ أَلْبَسْنِي        | نِعْمَةً تُذَكِّرُ عَهْدَ السُّنْدُسِ      |
| فَلَطَفْتَ لِأَنْ حَلَيْتَنِي                | مَوْلِيَا طَوْلِي مُحَلَّى مَلْبَسِ        |

(١) يقول : أم هي لآلئ منسقة في نظام جامع أنفاس الأعلام وأجلها خطرا

ذَٰكَ تَنْوِيهِ تَنَانِي فَخَرُهُ      سَائِي اللَّحْظِ أَشْمُ الْمَغْطِسِ  
شَرَفَتْ بِكَرِّ الْمَالِي خِطْبَةً      مِنْكَ، فَانْتَمَ بِسُرُورِ الْمَغْرَسِ  
تَمْنَحُ التَّائِيْدَ يُجَلِّي لَكَ عَنْ      ظَفَرِ حُلُوٍ وَعِزِّ أَفْعَسِ  
وَأَرْتَشِفَ مَعْسُولَ نَضْرٍ أَشْنَبِ      تَجْتَنِيهِ مِنْ عَجَاجِ الْعَسِ  
وَأَرْتَفِقَ بِالسَّعْدِ فِي دَسْتِ الْمُنَى      تُصْبِحُ الصَّنْعَ دِهَاقَ الْأَكْوَاسِ  
فَاعْتَرِاضُ الدَّهْرِ - فِيمَا شِئْتَهُ -      مُرْتَقَى فِي صَدْرِهِ لَمْ يَهْجِسِ

### وقال

» وقد أمره بدخول حمام القصر وبعث  
إليه سحور وطيب . «

رِضَاكَ لَنَا - قَبْلَ الطَّهْمُورِ - مُطَهَّرُ      وَقُرْبُكَ - مِنْ دُونِ الْبُخُورِ - مُعَطَّرُ  
فَلَوْ عَزَّ سَحَامُ لَأَذْفَانَا ذَرَى      يَفِيضُ بِهِ مَاءُ النَّدَى الْمُتَفَجَّرُ  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ طِيبٌ لَأَغْنَتْ حَفَاوَةُ<sup>(١)</sup>      تُمَسِّكُ مِنْهَا حَالِنَا وَتُعْتَبِرُ<sup>(٢)</sup>  
فَلَا فَارَقَ الدُّنْيَا سَنَاوَهُ مُقَدَّسُ      بَعِثِكَ فِيهَا أَوْ ثَنَاوَهُ مُجَمَّرُ<sup>(٣)</sup>  
وَدُمْتَ مُلْقَى - كُلِّ يَوْمٍ - صَدِيقَةً      يُغَادِيكَ فِيهَا - بِالْفُتُوحِ - مَبْشَرُ

### وقال

» مجاوباً له عن شعر خاطبه به . «

أَمْوَالِي بُلَغْتَ أَقْصَى الْأَمَلِ      وَسُوءْتَ دَأْبَ نِسَاءِ الْأَجَلِ<sup>(١)</sup>

(١) لو لم نجد الطيب لأغتنا عنه حفاوتك التي نطربنا بالمسك والعنبر .  
(٢) النساء : الرمة ، والنساء : اللح ، والمجر العبق ، يقال : حرموبه : بنجره ، وجر النار : مياها .  
(٣) نساء الأعمال : طولها

وَعُمِّرْتَ مَا شِئْتَ فِي دَوْلَةٍ تَقْصُرُ عَنْهَا طَوَالُ الدُّوَلِ  
فَأَنْتَ الَّذِي غُرُّ أَفْعَالِهِ تَحَلَّى بِهَا الدَّهْرُ بَعْدَ الْعَطَلِ  
يُشْرِفُ مَمْلُوكَكَ الْمُسْتَرْقَ نَظْمٌ مِنَ الْكَلِمِ الْمُتَخَلِّ (١)  
وَرَاحٌ تُعِيدُ إِلَى مَنْ أَسَنَّ طِيبَ زَمَانِ الصَّبَا الْمُقْتَبَلِ (٢)  
فَأَخْجَلَنِي الْبِرُّ مِنْ فَرْطِهِ وَإِنَّ الْجَوَابَ لَيُبْدِي الْخَجَلَ  
وَقَدْ يَقْبَلُ الدَّهْرُ مَوْلَى الْأَنَا مِرْجُهُدِ النَّبِيدِ إِذَا مَا أَقْلَنَ  
سَعِدْتَ كَمَا سَعِدَ الْمُشْتَرَى وَنِلْتَ غَلًّا لَمْ يَنْلَهَا زُحَلٌ (٣)

## جواب

« وقال مجوابه أيضا . »

هَلْ يَشْكُرُنَّ «أَبُو الْوَلِيدِ» (٤)  
إِذْ نَأَىكَ الْأَمَلُ الْبَعِيدُ  
أَوْ أَنْ تُسَوِّغَ نِعْمَةً  
لِلدَّهْرِ أَسْهَرَتْ الْحُسُودُ  
إِنْ لَمْ يَدِنْ بِصَيِّحَةٍ  
تُرْضِيكَ فَهُوَ مِنَ الْيَهُودِ  
لَا زِلْتَ رَافِعَ رَايَةٍ  
تُضْجِي، السُّعُودُ لَهَا جُنُودُ

وقال يستهديه خمرًا

يَا بَابِيَا كُلَّ مَجْدٍ وَهَادِمًا كُلَّ وَجْدٍ  
جِسْمُ الشُّرُورِ سَوِيٌّ مِنْ صَوْنِغِ نِعْمَاكَ عِنْدِي  
فَهَبْ لَهُ رُوحَ رَاحٍ يَنْطِقُ بِأَحْفَلِ تَحْمَدٍ

(١) المتخل : المقي المتعبر . (٢) وقد جاء بعد هذا البيت قوله :

« أَنْتَ مَعَ إِسْرَاءِ مَا يَفْتَنِي وَأَغْرِبَ بَاكُورَةَ تَنْقَلُ . »

(٣) المشتري وزحل كوكبان معروفان . قال أبو العلاء :

« زحل أشرف الكواكب دارا من لقاء الردى على ميعاد . »

(٤) يعنى نفسه .

## وقال مجاباً المعتمد

أَفَاضَ سَمَاحُكَ بَحْرَ النَّدى وَأَقْبَسَ هَدْيُكَ نُورَ الْهُدى  
وَرَدَّ الشُّبَّابَ أَعْتِلَاقَكَ بَعْدَ مُفَارَقَتِي ظِلَّهُ الْأَبْرَدَا <sup>(١)</sup>  
وَمَا زَالَ رَأْيُكَ فِي الْجَمِيلِ يُفْتَحُ لِي الْأَمَلَ الْمُوصَدَا <sup>(٢)</sup>  
وَحَسْبِي مِنْ خَالِدِ الْفَخْرِ أَنْ رَضِيتَ قَبُولِي مُسْتَعْبِدَا <sup>(٣)</sup>  
وَيَا فَرَطَ مَا بَنَى <sup>(٤)</sup> إِذَا مَا طَلَعْتَ فَقُمْتُ أَقْبَلُ تِلْكَ الْيَدَا  
وَرَدَّدْتُ لَحْظِي فِي غُرَّةٍ إِذَا اجْتَلَيْتَ شَفَتِ الْأَرْمَدَا  
وَطَاعَةُ أَمْرِكَ فَرَضٌ أَرَا هُ مِنْ كُلِّ مُفْتَرَضٍ أَوْ كَدَا  
هِيَ الشَّرْعُ أَصْبَحَ دِينَ الضَّمِيرِ فَلَوْ قَدْ عَصَاكَ لَقَدْ أَحْدَا  
وَحَاشَايَ مِنْ أَنْ أَضِلَّ الصِّرَاطَ فَيَعْدُونِي الْكَفْرُ عَمَّا بَدَا <sup>(٥)</sup>  
وَأُخْلِفَ مَوْعِدَ مَنْ لَا أَرَى لِدَهْرِي إِلَّا بِهِ مَوْعِدَا <sup>(٦)</sup>

(١) يقول : رد على شأى بعد أن فارقتك طله الأورد اعتلاقى بأسبابك واقطع بدورك .

(٢) وما زال جميل رأيك في يعنى لي من الآمال كل باب مملق .

(٣) وكفاني غمرا حالدا أنك رضى قبولى من استعبدتهم ناصحاك ، ومددت عليهم ظلا

صنك الوارف . (٤) في الأصل : « يا فرط داوى . »

(٥) يقول : حشأى أن أضل الصراط وأرض أول فرض على من فاءك التي هي الشرع ، ومعتقد

الصغير ، يبعدين الكفر عما بدلى من صحة الإيمان .

(٦) في الأصل : « وأحلف بالوعد » وهو لا يعمدى نالاه ، فأبدلناه بالوعد ليصح اللفظ ، والسبب

في أنه يتصل هنا من حلف الموعد أن « المعتمد » كان قد عرض له سفر لجأه فكتب إلى « ابن زيدون » :

« العيون بعدك تقضى بكل شيء تراه »

فليحل شحمتك عنها ما بالغيب جاء . «

معافت « ابن زيدون » عن الجواب أشمال توالى عليه ، ثم استبطاه « المعتمد » دعيت إليه بالقصيدة

التالية معاناً :

وعدت وأخلفتى الموعدا وخالفت بالنهى البتدا

أَتَانِي عِتَابُ مَتَى أَذْكَرُ    فِي نَشَوَاتِ الْكَرَى أَسْهَدَا<sup>(١)</sup>  
وَأِنْ كَانَ أَغْقَبَهُ مَا أَقْتَضَى    شِفَاءَ السَّقَامِ وَتَقَعَ الصَّدَى<sup>(٢)</sup>  
ثَنَاءُ نَمَى فِي سَنَاءِ الْمَحَلِّ زَهْرَ الْكَوَاكِبِ حُسْدَا<sup>(٣)</sup>  
قَرِيضٌ مَتَى أَنْبَغَ لِلْقَرَضِ مِنْهُ    أَدَاهُ أَجْدَ شَأْوُهُ أَبْعَدَا  
لَوِ الشَّمْسُ مِنْ نَظْمِهِ حُلْمِيَّتْ    أَوِ الْبَدْرُ قَامَ لَهُ مُنْشِدَا  
لِضَاعَفَ مِنْ شَرَفِ النَّيِّرَيْنِ    حِطًّا بِهِ قَارَنَ الْأَسْعَدَا

وأطمعني ثم أيذني    ويعني الود أن أحدا  
وأضمت بالمطل حل الرجا    مرث وأعمده محصدا  
وعاد نبيا ارتقاني طلاما    وأصبح مصباحه أرمدا  
وكان فعلا قل المقال    فإذا عدا الآن فيما بدا  
وقد كان طي فيما رأيت    به أنه الشيء بلّ اليدا  
وكم قد توكتفها روضة    تقرب لي الأمل الأسعدا  
يتور عليك أرحاءها    ويتطر طمك فيها ندا  
توكفها رمنا فاطرى    إذا سر يوم تهادى عدا  
على داك أديك من ماحد    تشتت بالطرف فيه الهدى  
لحيا أورد به روضة    وحبيا أحبي به مسجدا  
لك العلم مهما أورد بحره    لأروى به أحمد الموردا  
وبيك تحمت المائرا    ت طرا قصرت بها ممردا  
شمال تثر شل الهو    م ترك لأرى شل العدا  
فتعني الله بالخط مك    ولا زلت لي مؤسارمدا  
ودمت ودمت على حالها    كما يصعب الفرقد الفرقد  
فلولاك كلات ربوع السرو    رمى تحارب فيها الصدى

(١) أتاني من قبل المدوح عتاب تسبب لي ذكره الأرق والسهد كلما يمنني نشوات الكرى وغشيتي  
أوائل النوم .

(٢) يقول : أسعدني وأرتق اذكار هذا العتاب ، وإن كان أغقبه ما اقتضى شفاء السقام ، وإطفاء  
وحر الصدور .

(٣) ثناء ومدح رفعت به علي ، فأثنت زهر النجوم تحسدي عليه .

فَدَيْتُكَ مَوْلَى: إِذَا مَا عَثَرْتُ      أَقَالَ ، وَمَهْمَا أُرِغَ أُرْشَدَا  
رَكَنْتُ<sup>(١)</sup> إِلَى كَرَمِ الصَّفْعِ مِنْهُ      فَأَمَنْتَنِي ذَاكَ أَنْ يَحْفِدَا  
وَأَنْتَ سُوقُ أَحْتِمَالِ أَبِي      لِيُسْتَبْضِعَ الْعُذْرَانِ يَكْسَدَا<sup>(٢)</sup>  
شَفِيعِي إِلَيْهِ هَوَى مُخْلِصٍ      كَمَا أَخْلَصَ السَّابِكُ الْعَسْجَدَا  
وَمِنْ وَصَلِي هِجْرَةٍ لَا أَعُدُّ      لِحَالِي سِوَى يَوْمِهَا مَوْلَدَا<sup>(٣)</sup>  
وَنَعْنِي تَفْيَاضَهَا أَيْكَةً      فَشَكَرِي حَمَامٍ بِهَا غَرَدَا  
تَبَارَكَ مَنْ جَمَعَ الْخَيْرَ فِيكَ      وَأَشْعَرَكَ الْخُلُقَ الْأَنْجَدَا  
مَضَاهُ الْجَنَانِ وَظَرَفُ اللَّسَانِ      وَجُودُ الْبَنَاتِ بِسَكْبِ الْجَدَا  
رَأَى شَيْمَتِيكَ لَمَّا تَسْتَحِقُّ      وَفَقَى فَأَظْفَرَ إِذْ أَيْدَا  
لِيَهْنِكَ أَنْتَ أَزْكَى الْمُلُوكِ      بَنَى وَأَشْرَفُهُمْ سُودَدَا  
سِوَى نَاجِلٍ لَكَ سَامِي الْهُمُومِ      مَرَدَانِ الْفَوَاضِلِ نَأَى الْمَدَى<sup>(٤)</sup>  
هُمَامٌ أَغْرَ رَوَيْتَ الْفَخَارَ      حَدِيثًا إِلَى سَرُورِهِ مُسْنَدَا<sup>(٥)</sup>

- (١) في الأصل « ركنت » وقد وضعنا بدلها « ركت » التي هي كمورتها في الخط ليستقيم المعنى .  
(٢) المستبضع: اسم فاعل من استبضع الشيء، حمله بصاعته ، والصاعطة طائفة من المال ترسل إلى الأسواق للتجارة ، يقول : إن احتماله وإغصاه من الهومات بمثابة سوق تأتي لمن استبضع إليها الأعذار أن تكسد بضاعته ، وهو مأخوذ من النثل : « كستبضع التمر إلى هجر . »  
(٣) الوصل : جمع وصلة بمعنى الاتصال والاسباب والذرائع ، يقول : ومن أسباب اتصالى به وذرائعى إليه هجرة فارقت فيها موطنى ، واتصلت على أثرها بدولته ، واعتلقت بعمله ودمته ، تلك الهجرة التي لأهد أن حالى استقرت وولدت ، إلا يوم أن حصلت وتمت .  
(٤) الناجل : الكريم الحل ، يقول : ليس في الملوك أزكى منك سوى والدك الذي نجاك وأنجيك .  
(٥) يقول : إن أباك همام أقر مشرق الوجه ، رويت عنه الفخار حديثاً مسنداً إلى سروره ومجده ونبله .

سَلَكْتَ إِلَى الْمَجْدِ مِنْهَا جَهْ فَقَدْ طَافَ الْأَطْرَفَ الْأَتْلَدَا (١)  
هُوَ اللَّيْثُ قَدْ مِنْكَ النَّجَادَ لِيَوْمِ الْوَعَى شِبْلَهُ الْأَنْجَدَا (٢)  
يُعِدُّكَ صَارِمَ عَزَمٍ وَرَأْيٍ قَتْرُضِيهِ جُرْدًا أَوْ أُغْمِدَا (٣)  
وَمَا اسْتَنْبَهَمَ الْقَفْلُ فِي الْحَادِنَا تِ إِلَّا رَاكَ لَهُ مِقْلَدَا (٤)  
فَأَمْطَاكَ مِنْكَ بَطْرِفِ النُّجُومِ وَأَوْطَا إِخْمَصَكَ الْفَرْقَدَا  
فَلَا زِلْمًا يَرْفَعُ الْأَوَّلِيَا ، مُلْكُكُمْ وَيَحْمِطُ الْعِدَا  
وَنَفْسِي لِنَفْسَيْنِ كَمَا الْبَرَّيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُتَوَقَّ الْفِدَا  
فَنَ قَالَ : أَنْ لَسْتُمَا أَوْحَدَيْنِ فِي الصَّالِحَاتِ فَا وَحَدَا (٥)

وقال

لَعَمْرِي لَنْ قُلْتُ إِلَيْكَ رَسَائِلِي لَأَنْتَ الَّذِي نَفْسِي عَلَيْهِ تَذُوبُ  
فَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي تَبَدَّلْتُ غَيْرَكُمْ وَلَا أَنَّ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ يَتُوبُ

وقال

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصَادِفُ خَلْوَةً لَدَيْكَ ، فَأَشْكُو بَعْضَ مَا أَنَا وَاجِدُ؟  
رَعَى اللَّهُ يَوْمًا فِيهِ أَشْكُو صَبَابَتِي وَأَجْفَانُ عَيْنِي - بِالْأُذْمُوحِ - شَوَاهِدُ

(١) الأطراف : الحديث ، والأتلد : القديم .

(٢) النجاد : حمائل السيف ، والأنجد : الشجاع ذو الجدة والبأس ، يقول : هو أي والدك الملك ليت قلبه شبه الأنجد الشجاع ليوم الوعى والحرب .

(٣) يعدك صارم هزم وحزم في الحرب والسياسة ، قترضه في الحالين : جرد السيف ، أو أغمد .

(٤) استنبهم : استنق ، والقفل : ما يرافق به الباب ، والمقلد : المتتابع ، يقول : لاستغنى الحادينات إلا رآك متتابعاً لأتفاتها المنقلة ، وفي الأصل : « الفمل » موضعنا مكانها « القفل » ليناسب الاستنباهم والمقلد .

(٥) يقول : أن من ينكر أنكم في البر والصالحات أو حدين قد بلغ في الجحد والامكار هبلغ من ينكر التوحيد ولا يقول بوحداية إله

## تهنئة

« وقال رحمه الله يهيه أيده الله بالقدوم من سفر . »

أَيُّهَا الظَّافِرُ أَبَشِرْ بِإِظْفَرِ  
وَأُجْتَلِ التَّائِيْدَ فِي أَهْهِ الصُّوَرِ  
وَتَفِيًّا ظِلَّ سَعْدٍ تَجْتَنِي  
فِيهِ مِنْ غَرَمِ الْمُنَى أَحْلَى الثَّمَرِ  
وَرِدِ الصَّبْحُ فَكَمْ مُسْتَوْحِشٍ  
غَرَضٍ<sup>(١)</sup> مِنْكَ إِلَى أُنْسِ الصَّدْرِ  
كَأَنَّ مِنْ قُرْبِكَ فِي عَيْشٍ نَدٍ  
عَطِرِ الْأَصَالِ وَصَاحِ الْبُكْرِ  
كُلَّمَا شَاءَ تَأْتَى أَنْ يَرَى  
خُلُقَ الْبَرْجِيسِ<sup>(٢)</sup> فِي خَلْقِ الْقَمَرِ

(١) عرض : رصف من العرس ( محركة ) وهو شدة النزاع نحو الشئ ، والشوق إليه يقال : غرس إلى لغائه فهو غرس اشتاق ، ومنه قول الشاعر :

فمن يك لم يحرص فاني وما تقي  
تحي وتندى ما بها من صباة  
بمجر إلى أهل الحمى عرسان  
وأحى الذي لولا الأملى انصافي

وفي الأصل : « عرس » .

## (٢) البرجيس

البرجيس : المشتري وهو أحد الدارارى الخمسة : المشتري ، وزحل ، والمريخ ، وعطارد ، والزهرة ، وهذه الكواكب الخمسة هي الجنس الكس المذكورة في قوله تعالى : « فلا أقسم بالجنس الجوار الكس . » قالوا : وإنما وصفت بما ذكر في الآية لأنها من الكواكب السيارة التي تحرى مع الشمس والقمر ، وحوسها رجوعها مرهرة بعد احفاؤها في ضوء الشمس ، ولذلك تسمى الرواحع ، وكوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس من كس الطي والوحش إذا دخل كناسه ، وفي النهاية لان الأثير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل عن الكواكب الخمس فقال هي البرجيس وزحل وعطارد وبهرام والزهرة ، البرجيس : المشتري ، وبهرام : المريخ . »  
والبرجيس : لفظة فارسية تدل على « المشتري » وهو كوكب معروف تطلق عليه الفرغمة اسم « جوبيتر » « Jupiter » وهو - في أساطير قدماء الرومان واليونان ، اله الآلهة ، المهيمن على كل الكائنات العلوية والسفلية ، قالوا : « وإنما سمي المشتري - من الفراء ، وهو الودوح لضياء لونه وصفائه . » قال الشاعر :

« ياربّ ليل بت أرمي نجمة - حتى الصباح - بزفرة وهو  
والمشتري - في الأفق - يخفق لامعاً كغم الحبيب يشير بالثقيل . »



فَتَوَى دُونَكَ مَتَوَى قَلْبِي      يَشْتَكِي مِنْ لَيْلِهِ مَطْلَ السَّحَرِ  
 قُلْ لِسَاقِينَا: «يَحْزُ أَكْوَسُهُ»      وَلِشَادِينَا: «يَصِلُ قَطْعَ الْوَتَرِ»  
 حَسْبُنَا سُكْرُ جَنَّتِهِ ذِكْرُ      دُونَهُ السُّكْرُ الَّذِي يَحْزِي السُّكْرُ<sup>(١)</sup>  
 لَمْ يُعَادِرْ لِي سِقَامِي جَلْدًا      مَعَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ ثَبَتَ الْمِرْزُ<sup>(٢)</sup>  
 أَيُّهَا الْمَاشِي الْبَرَّازَ الْمُنْبَرِي      لَزَمَانِي إِنْ مَشَى نَحْوِي الْحَمَرُ<sup>(٣)</sup>  
 وَالَّذِي إِنْ سِيمَ مَا فَوْقَ الرِّضَى      وَجَدَ الْأَلْوَى الْبُعِيدَ الْمُسْتَمَرَّ<sup>(٤)</sup>  
 وَإِذَا أُعْتَبَ فِي مَعْتَبَةٍ      لَأَنَّ مِنْهُ جَانِبُ السَّمْعِ الْيَسَرَ  
 نَظَمِي الْمُهْدَى إِلَى أَبْرَجٍ مِنْ      نَظَمِ السَّجَرِ بَيَانًا أَوْ تَرْزُ

(١) السكر : الیء غیر المطبوخ من ماء التمر المشد ، والشراب المتخذ من التمر نوحا : ما يسيل من التمر حب يكون رطبا فاذا اشتد سمي سكر ، وما يفصح أى يشق من التمر ثم يقع في الماء ليستخرج الماء حلاوته ثم يترك حتى يشتد وتذهب حلاوته ويسمى مصيغا وكلاهما مسكر . وقد ورد ذكر السكر في قوله تعالى : « ومن ثمرات العجل ولأعاب تتنخضون منه سكرًا ورزقا حسا . » ، ومعنى هذا البيت والذي قبله : قل لساقينا : نوح كؤوسك عما فقد أعنانا السكر الذى تحمده الذكر ، عن السكر الذى يحنيه السكر ، وقل لشادينا : صل قطع الوتر وانثناء ، وهما حلا في السمع من ذكره الكفاية والدناء .

(٢) ثبت : ثابت ، والمر : جمع مره (بالسكر) وهى الفزة والشدة أى لم يقادر لى السقام جلدا وصبرا مع أنى لم أرل دا مرة قويا ، وورد هذا البيت في الأصل هكذا :

لم يقادر لى شفا من حلد مع أنى لم أرل ثبت الغرر

وما أثبتناه من الاصلاح هو ما يرشد اليه السياق .

(٣) البرار : المنسج من الأرض الذى لبس به ما يتره من شجر أو غيره ، والحر : ما يستر الماشى أو الصيد من شجر أو جرف أو جبل رمل أو غير ذلك ، يقول : يا من يداع عني إذا رأى زمانى معنى إلى متكررا يريد حتى وأخذى على غيره . (٤) الألوى : الشديد المحصورة الجدل السليط ، والمستمر : من استمر استحکم مصدر ميمي يعنى أنه بعيد شأوا المحصورة ، وفي المثل : « ليجدن فلاناً ألوى بعيد المستمر . » وقد جاء هذا المثل في قول الراجز :

« إذا تهازرت وما بى من خرر ثم كسرت الطرف من غير عور

وجدتني ألوى بعيد المستمر أحمل ما حملت من خير وشر . »

أى وجدتني خصما سليط اللسان بعيد شأوا المحصورة .

لِحِ فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ عَنْ جَالِبِ الثَّمَرِ إِلَى أَرْضِ هَجَرَ  
غَيْرَ أَنْ الْعُذْرَ رَسْمٌ وَاصِحٌ تُنْفِثُ الشُّكُوى إِذَا الشَّوْقُ صَدَرَ<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ قَدْ وَفَّقَ عَبْدٌ عَظُمْتَ نِعْمَةُ الْمَوْلَى عَلَيْهِ فَشَكَرَ  
لَا عَدَا حَظُّكَ إِبْقَالَ تَرَى قَاضِيًا أَثْنَاءَهُ كُلَّ وَطَرٍ  
وَأَصْطَبِخْ كَأَنَّ الرِّضَى مِنْ مَلِكٍ سِرَتْ فِي إِرْضَائِهِ أَزْكَى السَّيَرِ  
حِينَ صَمَمْتَ إِلَى أَعْدَائِهِ فَأَتَتْحَتْهُمْ مِنْكَ صَمَاءُ الْغَيْرِ  
فَاضَ غَمْرٌ لِلنَّدَى مِنْ قَوَائِمِهِ كَانَ يُرْوَى شُرْبُهُمْ مِنْهُ الْغُمَرُ<sup>(٢)</sup>  
سَبَقَ النَّاسَ فَصَلَّى مِنْكَ مَنْ إِنْ رَأَى آثَارَهُ الزَّهَرَ أَقْتَفَرَ<sup>(٣)</sup>  
زِنْتُمَا الْأَيَّامَ إِذْ مُلْكُكُمَا سَالَ فِي أَوْجُهِمَا سَيْلُ الْغُرَرِ  
فَاقْبِيَا فِي دَوْلَةٍ قَادِرَةٍ بَعْضُ حُرَّاسِ نَوَاحِيهَا الْقَدَرِ  
مُسْتَذَلِّي مَنْ طَعَى مُسْتَأْصِلِي شَافَةَ الْبَاغِي مُقْبِلِي مَنْ عَثَرَ  
عَلِمَى مَنْ ضَلَّ مُزِنَى مَنْ شَكَا خَلَّةَ الْإِحْمَالِ بَذَرِي مَنْ نَظَرَ  
تَضَحَّكَ الْأَزْمُنُ عَنْ عَلِيَا كَمَا ضَحِكَ الرَّوْضَةُ عَنْ تَمْرِ الزَّهَرِ

(١) صدر : أصاب الصدر ، يقال : صدر فلان يصدده صدوا ( من باب نصر ) أصاب صدره .  
(٢) الغمر : قذح صغير يخاص به القوم في السفر إذا قل الماء ولم يكن معهم منه إلا اليسير ، والتصافى  
أن يلتقوا به حماسة ثم يصب فيه من الماء قدر ما يقر الحصة ، ثم يعطى الاناء كل رجل منهم بحسب دوره  
وجاء في شعر أحنى بأهله : -

« يكفيه حزة فلذ إن ألم بها من الشواء وروى غيره الشعر »

(٣) اقتفر - من اقتصر الأثر - اقتفاه وتبعه ، والمعنى : « سبق أبوك لحظك مصلباً وتالياً بعده أنت يامن  
يعنى آثار أبيه الزهر »

## ذكرى ولادة

« كان يكلف بولادة بنت المهدي هذه ويهيم ،  
ويستضيء بدور تخيلها في الليل البهيم ، وكانت من  
الأدب والظرف ، وتبسم المسمع والظرف ، بحيث تختلس  
القلوب والألأب ، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب ،  
فلما حل بذلك القرب ، وانحل عقد صبره بيد الكرب ،  
كر إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها ، ويتسلى برؤية  
مافيها ، فوافاها والريغ قد خلع عليها برده ، ونثر  
سوسه وورده ، وأترع جدا وطأ ، وأطلق بلا لها ، فارتاح  
ارتياح جيل بوادي القرى ، وراح بين روض يانع  
وريح طيبة السرى ، فتشوق إلى لقاء ولادة وحن ،  
وحاف تلك الوائب والمحن ، فكتب إليها يصف فرط  
قلقه ، وصيق أمله إليها وطلقه ، ويعاتبها على إغفال  
تعهد ، ويصف حسن محصره بها ومشهده (١) : »

إِنِّي ذَكَرْتُكَ « بِالزَّهْرَاءِ » مُشْتَاقًا      وَالْأَفُقُ طُلُقٌ ، وَمَرَأَى الْأَرْضِ قَدْ رَاقَا<sup>(٢)</sup>  
وَاللِّسِيمِ أَعْتِلَالٌ - فِي أَصَائِلِهِ -      كَأَنَّهُ رَقٌّ لِي ، فَأَعْتَلَّ إِشْفَاقًا  
وَالرَّوْضُ - عَنِ مَائِهِ الْفِضَى - مُبْتَسِمٌ ،      كَمَا شَقَقْتُ - عَنِ اللَّبَاتِ - أَطْوَاقَا<sup>(٣)</sup>  
يَوْمٌ ، كَأَيَّامِ لَذَاتِ لَنَا أَنْصَرَمَتْ ،      بَيْنَنَا لَهَا - حِينَ نَامَ الدَّهْرُ - سُرَاقَا  
نَلْمُو بِمَا يَسْتَمِيلُ الْعَيْنَ مِنَ زَهْرٍ      - جَالَ النَّدَى فِيهِ - حَتَّى مَالَ أَغْنَاقَا

(١) قلأند العقيان . (٢) وفي بعض الروايات : « ووجه الأرض قد راقا » .

(٣) اللبات : جمع لبة ، وهي موضع الفلاة من الصدر ، والأطواق : جمع طوق ، وأراد به ما يطيف بالحن من الثوب ، ولا شك أن الهيئة الحاصلة من اسيااب الماء الغفى في الروض تشبه الهيئة الحاصلة من انشفاق طوق الثوب عند ترائب البحر والصدور ، وجاء في بعض الروايات : « كما حللت عن اللبات أطواقا » .

كَأَنَّ أَعْيُنَهُ - إِذْ مَاتَتْ أَرْقَى - بَكَتْ لِمَا بَى ، فَجَالَ الدَّمْعُ رَقْرَقًا  
وَرَدُّ تَأَلَّقَ - فِي صَاحِي مَتَابِتِهِ - فَأَزْدَادَ مِنْهُ الضُّحَى - فِي الْعَيْنِ - إِشْرَاقًا  
سَرَنَى بُنَافِخُهُ تَيْلُوفَرُ عَبَقْ وَسَنَانُ ، نَبَّهَ مِنْهُ الصَّبْحُ أَحْدَاقًا  
كُلُّ يَسِيجُ لَنَا ذِكْرَى تُشَوِّقُنَا إِلَيْكَ ، لَمْ يَعُدْ عَنْهَا الصَّدْرُ إِنْ ضَاقَا  
لَا سَكَنَ اللَّهُ قَلْبًا ، عَنْ ذِكْرِكُمْ فَلَمْ يَطِرْ - بِمِنَاحِ الشَّوْقِ - خَفَاقًا  
لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيمَ الصَّبْحِ - حِينَ سَرَى - وَافَاكُمْ بِفَتَى أَضْنَاهُ مَا لَاقَى  
لَوْ كَانَ وَفَى الْمَنَى - فِي جَمْعِنَا بِكُمْ - لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقًا

\* \*

يَا عَلِيَّ الْأَخْطَرَ الْأَسْنَى الْحَبِيبَ إِلَى نَفْسِي ، إِذَا مَا اقْتَنَى الْأَخْبَابُ أَغْلَاقًا  
كَانَ التَّجَارِي بِمَخْضِ الْوُدِّ - مُذْرَمِينَ - مَيْدَانِ أَنْسٍ ، جَرَيْنَا فِيهِ أَطْلَاقًا  
فَالآنَ - أَمَحَدَ مَا كُنَّا لِمَهْدِكُمْ - سَلَوْنُمُ ، وَبَقَيْنَا نَحْنُ عُشَاقًا !

### إلى ولادة

يَا نَارِيحًا - وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ - أَنْسَتِكَ دُنْيَاكَ عَبْدًا أَنْتَ دُنْيَاهُ  
أَهْلَتِكَ عَنْهُ فُكَاهَاتُ تَلَذُّ بِهَا فَلَيْسَ يَجْرَى - بِبَالٍ مِنْكَ - ذِكْرَاهُ  
عَلَّ الْإِلْيَاقِي تُبْقِيَنِي إِلَى أَمَلٍ ، الدَّهْرُ يَعْلَمُ - وَالْأَيَّامُ مَعْنَاهُ

## إلى أبي حفص بن برد

قُلْ لَا بِي حَفْصٍ - وَلَمْ تَكْذِبْ - يَا قَمَرَ الدُّيُونِ وَالْمَوَكِبِ  
مَا لِأَبِي صَفْوَانَ - مَا لَوْفِنَا - أَبْرَقَ فِي الْأُلْفَةِ عَنْ خُلْبِ؟  
وَلَمْ يَمْدُ إِلَّا كَمَا يَتَّقِي مُسْتَرْقِ السَّمْعِ مِنَ الْكُؤُوبِ؟

\* \*

عَفْهُ بِاللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ ، وَأَشْتَمَ - وَإِنْ لَمْ يَسْتَقِمْ - فَأَضْرِبْ  
وَعَاطِلِهِ صَهْبَاءَ مَشْمُولَةٍ يَرَى لَهَا الْمَشْرِقَ فِي الْمَغْرِبِ  
وَلَيْشَرِبِ الْأَكْثَرَ مِنْ كَأْسِهِ وَأَنْعَمَ - إِلَى فَضْلَتِهِ - فَأَشْرَبِ  
عُقُوبَةً ، أَحْسَنَ بِهَا سُنَّةَ - فِي مِثْلِهِ - مِنْ حَسَنِ مُذْنِبِ  
وَبَاكَرِ الطَّيِّبِ ، وَرُوحَالَهُ ، فَأَتَمَّأَ فِي زَمَنِ طَيِّبِ

## ليل انس

« وبات ليلة باحدى حنات اشبيلية فقال : »

وَلَيْلٍ أَدْمَنَّا فِيهِ شُرْبَ مُدَامَةٍ إِلَى أَنْ بَدَأَ لِلصَّبْحِ - فِي اللَّيْلِ - تَأْمِيرُ  
وَجَاءَتْ نُجُومُ الصَّبْحِ - تَضْرِبُ فِي الدُّجَا - قَوْلَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلُ مَقْهُورُ  
فَحَزْنَا مِنَ اللَّذَاتِ أَطْيَبَ طَيْبِهَا ، وَلَمْ يَمِزْنَا هَمًّا وَلَا عَاقَ تَكْدِيرُ  
خَلَا أَنَّهُ - لَوْ طَالَ - دَامَتْ مَسْرُوقِي ، وَلَكِنْ لِيَإِلَى الْوَصْلِ فَيَمِينُ تَقْصِيرُ

## دواء

« وقد أهدى دواء »

قَدْ بَمَثْنَاهُ يَنْفَعُ الْأَعْضَاءَ      حِينَ يَحْمَلُوهُ يُلْطِفُهُ السَّخْنَاءُ<sup>(١)</sup>  
جَاءَ يُزْهِى عِشْتَشَفٍ رَفِيقٍ      يَخْدَعُ الْعَيْنَ رَقَّةً وَصَفَاءً<sup>(٢)</sup>  
تَنْقُدُ الْعَيْنُ مِنْهُ فِي ظَرْفِ نُورٍ      مَلَأَتْهُ أَيْدِي الشُّمُوسِ ضِيَاءَ  
أَكْسَبَتْهُ الْأَبَّامُ بَرْدَ هَوَاءٍ      فَهَوَ جِسْمٌ قَدْ صِغَ نَاراً وَمَاءَ  
مَنْظَرٌ يَنْهَجُ الْقُلُوبَ ، وَطَعْمٌ      تَشْكُرُ النَّفْسُ عَهْدَهُ اسْتِمْرَاءَ  
لَذَّةُ الْوَصْلِ نَالَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ -      كَلِفٌ طَالَمَا تَشْكِي الْجَمَاءَ<sup>(٣)</sup>  
يَقْضَحُ الشَّهْدَ طَعْمُهُ - كُلَّمَا قِيسَ - إِلَيْهِ وَيُنْجِلُ الصَّهْبَاءَ  
فَضَلَ السَّابِقَ الْمَقْدَمَ - فِي التَّضَجِّجِ -      فَأَزْرَى بِطَعْمِهِ إِزْرَاءَ  
غَيْرَ أَنِّي بَعَثْتُ هَذَا غِذَاءَ      - يَشْتَهِيهِ الْفَتَى - وَذَاكَ دَوَاءَ  
مُلْطِفٌ يُبْرِدُ الْمَزَاجَ إِذَا جَا      شَ الْتِهَابَا ، وَيَقْمَعُ الصَّفْرَاءَ

(١) مثناه : أى الدواء للمعهود بينه وبين مخاطبه ، وهو مالم أن الخاف وعلم الكيبياء وتركيب الأدوية والصيدلة والمراحم تقدمت في الأندلس وخاصة في القرون الوسطى وعند علماء الأندلس كان رشد ، وأبى الفاسم زهرارى ، وابن دهر ، وأضرابهم من علماء المشرق بمقداد : كان سينا والراوى ، وعلى ابن الصباس أحد علماء أوروبا علومهم الطبية وغيرها ، وقد مرّ بك كثير من قصائد ابن زيدون التي تتعرض لتذكر الطب والعلاج ، وأنت إذا تأملت فيما يمر بك من هذا النوع وأشجابه تقرأ فيه آيات الحضارة ، وتشمع بآثار المدنية . والسجاء : من قولهم : إن لأحد في نفسى سجاء - بالمد - وسجوة أى حرارة شديدة من وجع أو حمى .

(٢) يقول : إن هذا الدواء قد جاءك يزهى في رفته وسيولته بوماء رقيق تستشف العين ماى داخله ، ويهدئ الناظر فلا يكاد يراه لشدة رفته وصفائه .

(٣) يقول : إن متعاطيه يستمره ويحد فيه لذة كلفة الكلب المشوق ، ظفر بوصل الحبيب بعد يأس وطول جفاء .

وَمُعِينٌ لِوَاصِلِ الصَّوْمِ، يَسْرِي بَرْدُهُ فِي الْحَشَاءِ - فَيُرْوَى الظَّمَاءُ  
( فَتَقَبَّلْهُ ) شَافِعًا لِأَيَادِيكَ الَّتِي بَعْضُهَا يَفُوتُ الشَّاءُ <sup>(١)</sup>

### حسي رضاك

إِلَيْكَ - مِنَ الْأَنَامِ - غَدَا أَرْتِيحِي ، وَأَنْتِ - عَلَى الزَّيْمَانِ - مَدَى أَقْدِرَاحِي  
وَمَا أُعْتَرِضَتْ مُهْمُومُ النَّفْسِ إِلَّا - وَمِنْ ذِكْرِكَ - رِنَحَانِي وَرَاحِي  
فَدَيْتُكَ : إِنْ صَبْرِي عَنْكَ صَبْرِي - لَدَى عَطَشِي - عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحِ <sup>(٢)</sup>  
وَلِي أَمَلٌ - لَوِ الْوَاشُونَ كَفُّوا - لَا طَلَعَ غَرْسُهُ ثَمَرَ النَّجَّاحِ  
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَغْلِبُنِي عَدُوٌّ - رِضَاكَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْنِي سِلَاحِ  
وَلَمَّا أَنْ جَلَّتْكَ لِي - اخْتِلَاسًا - أَكْفُ الدَّهْرِ لِلْحَيْنِ الْمُتَّاحِ <sup>(٣)</sup>  
رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ نِقَابٍ ، وَغُضْنَ الْبَانِ يَرْفُلُ فِي وَشَاحٍ  
فَلَوْ أَسْطِيعُ طَرْتُ إِلَيْكَ - شَوْقًا - وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ ؟  
عَلَى حَالِي وَصَالٍ وَاجْتِنَابٍ ، وَفِي يَوْمِي ذُنُوبٌ وَأَنْتِرَاحٍ  
وَحَسْبِي أَنْ تَطَالِكَ الْأُمَانِي - بِأُفْقِكَ - فِي مَسَاءٍ أَوْ صَبَاحٍ

(١) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :

« . . . . . شافعا لأيديك التي بعضها يهوق الشاء . »

والتكدة لا يابها السباق .

(٢) يقول : إن صبري عك كصبري على الماء القراح لى عطشى وشدة ظمئى .

(٣) يقول في هذا البيت والذى بعده : ولما أن جلتك وأبررتك يد الدهر حلسة لحيى وهلاكى الدى

لنبح وقدردى ، طلعت هامة كما تطلع الشمس من نقاب ، وحطرت مائة كما يرذل غصن البان فى وشاح

وَأَنْ تُهْدِيَ السَّلَامَ إِلَيَّ - غَيْبًا - وَلَوْ فِي بَعْضِ أَنْفَاسِ الرِّيحِ (١)  
فُوَادِي - مِنْ أَسَى بِكَ - غَيْرُ خَالٍ وَقَلْبِي - عَنْ هَوَى لَكَ - غَيْرُ صَاحٍ

### عودى إلى الوصال

بَاعَدْتَ - بِالْإِعْرَاضِ - غَيْرَ مُبَاعِدٍ وَزَهَدْتَ فِيمَنْ لَيْسَ فَيْكَ بِزَاهِدٍ (٢)  
وَسَقَيْتَنِي - مِنْ مَاءِ هَجْرِكَ - مَالَهُ أَصْبَحْتُ أَشْرَقُ بِالزُّلَالِ الْبَارِدِ  
هَلَّا جَمَلْتِ - فَدَتْكَ نَفْسِي - قَايَةً لِلْعُتْبِ ، أَبْلَغُهَا بِجَهْدِ الْجَاهِدِ (٣)  
لَا تُفْسِدُنْ - مَا وَقَدْ تَأَكَّدَ يَنْتَنَّا مِنْ صَالِحٍ - خَطَرَاتُ ظَنٍّ فَاسِدٍ  
حَاشَاكَ مِنْ تَضْيِيعِ أَلْفِ وَسِيلَةٍ - شَجَى الْعَدُوِّ هَلَا - بِذَنْبٍ وَاحِدٍ (٤)  
إِنْ أَجْنِهَ خَطَأً ، فَقَدْ عَاقَبْتَنِي ظُلْمًا ، بِأَبْلَغَ مِنْ عِقَابِ الْعَامِدِ (٥)

\*  
\* \*

عُودِي لِمَا أَصْفَيْتَنِيهِ مِنَ الْهُوَى بَدَءًا ، فَلَسْتُ لِمَا كَرِهْتِ - بِعَائِدٍ  
وَضَعِي قِنَاعَ السُّخْطِ عَنْ وَجْهِ الرِّضَا كَيْمَا أُخِرَّ إِلَيْهِ أَوَّلَ سَاجِدٍ (٦)

(١) وحسي أن تهدي السّلام غيا أي يوما بعد يوم ولو مع أنفاس الرياح التي تهب من ناحيتك ، وفي الأصل « وأن تدي » وقد وضعنا بدلها « تهدي » التي هي كدورتها حتى لا تكون نابية في موضعها ، وقد وجد هذا البيت بعد تأليه ، ولما آثرنا تقديمه عليه نحكم العطف على قوله :

« وحسي أن تطالعك الأماني . »

(٢) باعدت فتى غير مساعد ودك باعراضك عنه ، وزهدت في محب ليس بك زاهد .

(٣) يقول كان يدعي أن تحبلى بى وبينك نهاية للعتب وهاية أبلغ فيها رساك بجهد الجاهد وشق النفس .

(٤) يقول : حاشاك أن تصيى ألف وسيلة توسلت بها إلى رساك يراها عدوى كالشحا معتزدا في

حلقه بذنب واحد .

(٥) إن أجبن ذلك الذنب خطأ فقد طلعتى بأن عاقبتى عليه بأشد من عقوبة من أتى بالذنب عمدا .

(٦) أزيل من وجه الرضا ما يستره من قناع السخط كما أكون أول ساجد على نعمة رساك عني .



## أبو القاسم

« وأمره المعتضد أن يعارض قطعا من أشعار كان  
يستحسن ألقائها فعارضها رحمه الله بقطع وهي : »

يُقَصِّرُ قُرْبُكَ لَيْلِي<sup>(١)</sup> الطَّوِيلَا      وَيَشْفِي وَصَالِكَ قَلْبِي الْعَالِيَا  
وَإِنْ عَصَفَتْ مِنْكَ رِيحُ الصَّدُودِ      فَقَدْتُ نَسِيمَ الْحَيَاةِ الْبَلِيلَا  
كَمَا أَنَّنِي<sup>(٢)</sup> إِنْ أَطْلَتُ الْعِنَارَ      وَلَمْ يُبْدِ عُذْرِي وَجْهَهَا جَمِيلَا  
وَجَدْتُ « أبا القاسم الظَّافِرَ الْمُؤَيَّدَ بِاللَّهِ »      مَوْلَى مُقِيلَا  
إِذَا مَا نَدَاهُ هَمِّي وَالْحَيَا      شَاهُ ، وَعَدُّ الْجَوَادِ الْبَحِيلَا  
وَأَفْلَامُهُ وَفَقُّ أَسْيَافِهِ      يَظَلُّ الصَّرِيرُ يُبَارِي الصَّلِيلَا

## وقال

أَنْتَ الْمُسَبَّبُ لِلْوُلُوعِ      وَمُشِيرُ كَامِنَةِ الدُّمُوعِ  
يَتَعَنِّيَانِ لَوْ أَعْقِيَا      مَهْمَا طَلَعْتَ مِنَ الطَّلُوعِ  
وَالظَّافِرُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ      وَاحِدٌ عَدْلُ الْجُمُوعِ  
الْبَدْرُ فِي سَحَابِ الْبُرِّ      وَدِ الْلَيْثُ فِي لَبَدِ الدَّرُوعِ  
عَنْتِ الْأَصُولُ لِأَصْلِهِ      وَتَقَاصَرَتْ عَنْهُ الْفُرُوعِ

(١) في الأصل : « الليل »

(٢) في الأصل : « ألقى »

## آلام المحب

مَتَى أُبْثِّكَ <sup>(١)</sup> مَا بِي ؟ يَا رَاحَتِي وَعَدَائِي  
مَتَى يَنْوُبُ لِسَانِي فِي شَرْحِهِ - عَنْ كِتَابِي ؟  
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي أَصْبَحْتُ فِيكَ لِمَا بِي  
فَلَا يَطِيبُ <sup>(٢)</sup> مَنَامِي وَلَا يَسْوِغُ شَرَابِي

\* \*

يَا فِتْنَةَ الْمُتَعَزِّي <sup>(٣)</sup> وَحُجَّةَ الْمُتَصَابِي :  
الشَّمْسُ أَنْتِ ، تَوَارَتْ - عَنْ نَاطِرِي - بِالْحِجَابِ

\* \*

مَا الْبَدْرُ - شَفَّ سَنَاهُ عَلَى رَقِيقِ السَّحَابِ -  
إِلَّا كَوَجْهِكَ ، لَمَّا أَضَاءَ تَحْتَ النُّقَابِ

## كيف السلو ؟

كَمْ ذَا أُرِيدُ وَلَا أَرَادُ ؟ يَا سَوْءَ مَا لَبِقِيَ الْفُؤَادُ !  
أَصْنِي الْوِدَادَ مُدَلَّلًا ، لَمْ يَصْفُ لِي مِنْهُ الْوِدَادُ  
يَقْضِي عَلَى دَلَالِهِ - فِي كُلِّ حِينٍ - أَوْ يَكَادُ  
كَيْفَ السُّلُو عَنْ الَّذِي مَثْوَاهُ - مِنْ قَلْبِي - السَّوَادُ ؟

(١) وفي بعض الروايات : « متى أنبيك . »

(٢) وفي بعض الروايات : « لم يلد مامي »

(٣) « ف ، الا صا : « يا فتنة للمع ، ، »

مَلَكَ الْقُلُوبَ بِحُسْنِهِ ، فَلَهَا - إِذَا أَمَرَ - أَتَقِيَادُ

يَا هَاجِرِي كَمْ أَسْتَفِيدُ الصَّبْرَ عَنْكَ ، فَلَا أَفَادُ  
 أَلَا<sup>(١)</sup> رُبِّتَ لِمَنْ يَبِيتُ وَحْشَوْ مُقْلَتِهِ الشَّهَادُ ؟  
 إِنَّ أَجْنَ ذَنْبًا فِي الْهَوَى - خَطَاً - فَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ  
 كَانَ الرِّضَى - وَأَعِيْذُهُ - أَنْ يُعْقَبَ الْكَوْنُ الْفَسَادُ

### قسم

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ أَضْنَى الْوِدَادَ لَهُ  
 الْفُؤَادُ غُرُورَ الْوَعْدِ ، يَصْفَحُ لِي  
 تَجْلُو الْمُنَى شَخْصَةً لِي - وَهُوَ مُحْتَجِبٌ  
 يَا بَدْرَ تَيْمٍ بَدَا فِي أَفْقٍ مَمْلُوكَةٍ ،  
 أَفْدَى بَدَائِعَ شَكْلِ مِنْكَ مُضْمَرَةً  
 خَفَضًا ، وَلَامَ بِهِ الْوَاشِي فَلَمْ أَطْعِ  
 عَنْهُ ، وَيَقْنَعُنِي التَّغْلِيلُ بِالْخُدْعِ  
 عَنِّي - مَا شِدْتُ مِنْ مَرَأَى وَمُسْتَمَعٍ  
 فَرَّاقٍ مُطْلَعًا مِنْ خَيْرٍ مُطْلَعٍ  
 لِقَتْلِ نَفْسِي - عَمْدًا - أَشْنَعُ الْبِدْعِ

تَاللَّهِ - أَكْرَمَ مَا أَمْضَى الْيَمِينَ بِهِ  
 مَا لَدَى قُرْبِ أَنْسٍ أَنْتِ نَازِحَةٌ  
 مَنْ دَانَ فِي حُبِّهِ بِالصَّدَقِ وَالْوَرَعِ -  
 عَنْهُ ، وَلَا سَاغَ عَيْشُ لَسْتُ فِيهِ مَعِي

### خداع الأمانى

وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ بِالضَّمِيرِ إِلَى  
 مَنَبْتُ نَفْسِي - مِنْ صَفَائِكَ - ضَلَّةً  
 وَدَعَوْتُ - مِنْ حَقِّ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَّا  
 وَلَقَدْ تَعَرَّ الْمَرْءُ بَارِقَةَ الْمُنَى

## في الغزل

« وله يتغزل ويحاتب من يستعطفه ويتنزل . »

يا مُسْتَحِفًّا بِمَا شِيقِهِ      وَمُسْتَفِشًا لِنَاصِيهِ  
وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِينَا      حَتَّى أَطَعْنَا السُّلُوفَ فِيهِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَرَانِي      تَكْذِيبَ مَا كُنْتُ تَدْعِيهِ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَهْزِمَ النَّسْلُ      وَيَغَابَ الشُّوقُ مَا يَلْبِيهِ

## إلى هاجر

أَوْسَلَبُ مِنْ وَصَالِكَ مَا كُسِبْتُ ؟      وَأَعَزَلُ - عَنْ رِضَاكَ - وَقَدْ وُلِيتُ ؟  
وَكَيْفَ - وَفِي سَبِيلِ هَوَاكَ طَوْعًا -      لَقِيتُ مِنْ الْمَكَارِهِ مَا لَقِيتُ !  
أَسِرُّ عَلَيْكَ عَتَبًا لَيْسَ يَبْقَى ،      وَأَضْمِرُ فِيكَ غَيْظًا لَا يَبِيدُ  
وَمَا رَدَّى عَلَى الْوَاشِينَ ، إِلَّا :      « رَضِيتُ بِمَجُورِ مَا لِكُنِّي رَضِيتُ . »

## دعاء محب

أَنْنِي أَضِيعُ عَهْدَكَ ؟      أَمْ كَيْفَ أَخْلِفُ وَعْدَكَ  
وَقَدْ رَأَيْتَكَ الْأَمَانِي      رِضَى ، فَلَمْ تَتَّعِدْكَ

\* \* \*

يَا لَيْتَ مَالِكَ عِنْدِي ! - مِنْ الْهُوَى - لِي عِنْدَكَ <sup>(١)</sup>

(٢) وفي بعض الروايات :

« يَا لَيْتَ شَمْرِي ، وَعِنْدِي مَا لَيْسَ - فِي الْحُبِّ - عِنْدَكَ  
هـ . طَال لِيكَ بَعْدِي ؟ كَطُولَ لَيْلٍ بَعْدَكَ ؟ »

فَطَالَ لَيْسَ لَكَ بَعْدِي كَطُولُ لَيْسِي بَعْدَكَ  
سَلَنِي حَيَاتِي أَهْبَهَا ، فَلَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّكَ  
الَّذَهُرُ عَيْدِي ، لَمَّا أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ عَبْدَكَ

### أنت حسبي

يَا مَنْ غَدَوْتُ بِهِ - فِي النَّاسِ - مُشْتَهَرًا قَانِي عَلَيْكَ يُقَاسِي الِهَمَّ وَالْفِكَرَا  
إِنْ غِبْتَ لَمْ أَلْقِ إِنْسَانًا يُؤْتِسِنِي <sup>(١)</sup> وَإِنْ حَضَرْتَ ، فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ حَضَرََا

### ما الذي أنكروه ؟

قَالَ لِي : « أَعْتَلَّ مَنْ هَوَيْتَ » حَسُودٌ قُلْتُ : « أَنْتَ الْعَلِيلُ وَيَنْحَكُ لَاهُو »  
مَا الَّذِي أَنْكَرُوهُ مِنْ بَهْرَاتٍ <sup>(٢)</sup> ضَاعَفَتْ حُسْنَهُ وَزَادَتْ حُلَاهُ  
جِسْمُهُ - فِي الصَّفَاءِ وَالرَّقَّةِ - الْمَا ، فَلَا غَرَوْ أَنْ حُبَابُهُ عَلَاهُ

### شوق بعد سلوان

عَاوَدْتُ ذِكْرِي الْهُوسَى مِنْ بَعْدِ نِسْيَانٍ وَأَسْتَحَدْتُ الْقَلْبُ شَوْقًا بَعْدَ سُلْوَانٍ  
مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ ، يَبْدُو بِهَا صَمٌّ مِنْ اللَّجِينِ ، عَلَيْهِ تَاجُ عَقِيَانٍ  
غَرِيرَةٍ - لَمْ تُفَارِقْهَا تَمَامُهَا - نَسَبِي الْمُقُولَ بِسَاجِي الطَّرْفِ وَسُنَّانٍ  
لَا سَتَجِدَنَّ - فِي عِشْقِي لَهَا - زَمَنًا يُنْسِي مَوَالِفَ أَيَّامِي وَأَزْمَانِي  
حَتَّى تَكُونَ لِي أَحَبُّ خَاتَمَةٍ ، نَسَخْتُ - فِي حُبِّهَا - كُفْرًا بِإِيمَانٍ

(١) في الأصل « يوسى » بآبدال الهيرة واوا وهو إبدال مقيس كما يعلم من علم الصرف ، وهو مضارع أنسى (بالضعف) أى أزال وحشى كآسنى ، وجاء فى كلامهم :  
« إذا جاء الليل استأنس كل وحشى ، واستوحش كل لىسى » .

(٢) البهرات : واحدها بيرة كسجدة وسجيدات ، وهى حراج صفار تظهر على الوجه ، تنطف جلدته ، وأهلب ما يكون ذلك فى أوان الشباب ، ولذلك يعرف عند العامة فى بلادنا ( بحب الشباب ) ، وقد هله فى البيت التالى تمليلًا حسنًا ، حيث ألهبه بالحباب يطفو على وجه الماء الشبيه ببشرة وجه الحبيب فى الرقة والصفاء .

## أسر الهوى

يَا سَوْءَ نَفْسِي - إِنَّ أَحْكَمَ - وَأَخْيَارِي إِنَّ أَخْيَرَ  
كَمْ لَأَمْنِي فِيكَ الْحُسُو دُ، وَفَنَدَ الْوَأَشِي فَأَكْثَرُ  
قَالُوا : « تَغَيَّرَ بِالسُّلُوءِ وَاللَّامَةِ قَدْ تَغَيَّرَ »  
وَتَوَهَّمُوا جَنَيْتَ ذَنْبًا بِالتَّجَنَّى لَيْسَ يُغْفَرُ  
وَبِرِغْمِهِمْ أَنَّ لَيْسَ مِثْلِي فِي الرِّضَى بِالذُّونِ يُعَذَّرُ  
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْهَوَى رِقٌّ، وَأَنَّ الْحُسْنَ أَحْمَرُ<sup>(١)</sup>

## معدرة

إِنْ تَكُنْ نَالَتِكَ بِالضَّرْبِ يَدِي - وَأَصَابَتْكَ بِمَا لَمْ أُرِدِ  
فَلَقَدْ كُنْتُ - لَعَمْرِي - لَكَ بِالْمَالِ وَبِخِ الْوَلَدِ  
فَتَقِي مِنِّي بِمَهْدٍ ثَابِتٍ - وَصَمِيرٍ خَالِصٍ الْمُتَقَدِّ  
وَلَيْتَ سَأَلَكَ يَوْمَ فَأَعْلَمِي أَنَّ سَيَتَلَوْهُ سُورُؤْ بَعْدِ

## وصف الكأس

أَنَا ظَرْفٌ لِلْهَوَى كُلِّ ظَرِيفٍ - أَنَا مُسْتَوْدَعٌ لِإِلَاقِي شَرِيفٍ  
أَنَا كَالصَّدْرِ فِي الْإِحَاطَةِ بِالرَّاءِ - إِذَا الرَّاحُ كَالضَّمِيرِ اللَّطِيفِ  
سَلَّ عَنِ الطَّيِّبَاتِ فَهِيَ فُنُونٌ - أَلْفَتْ فِي أَحْسَنِ التَّأْلِيفِ  
أَيُّ حُسْنٍ يَبْقَى بِحُسْنِي نَحْمُو - لَا يَكْفِي وَصِفَةٍ أَوْ وَصِيفِ

(١) من قولهم « الحس أحمر » أي ذو مشقة وبلاء يريدون أن من تهافت الحس والجمال تحول في سبيله للمشقة وصبر على الأذى ، وإنما يقال ذلك لأن يستوفيه الهوى ، ويعلمه الحس على أمره فيبقى في سبيله للوقت الآخر .

## غاية المحبين

لَنْ كُنْتُ فِي السَّنِّ - تَرْبُ الْهِلَالِ ، لَقَدْ فُقْتُ - فِي الْحُسْنِ - بَذْرَ الْكَمَالِ  
أَمَّا وَالَّذِي نَكَّدَ الْحَظَّ فِي دُئُورِ الْمَكَانِ يَبْعُدُ الْمَنَالِ  
لَقَدْ بَلَّغْتَنِي دَوَاعِيَ هَوَاكَ إِلَى غَايَةِ مَا جَرَتْ لِي بِبَالِ  
فَقُلْ لِلْهَوَى : « يَجْرِمُ مِلَّ الْعِنَانِ » فَمِيدَانُ قَلْبِي رَحِيبُ الْمَجَالِ

## صفح المذنب

يَا قَمَرًا مَطْلَعُهُ الْمَغْرِبُ قَدْ صَاقَ بِي - فِي حُبِّكَ - الْمَذْهَبُ  
أَعْتَبُ - مِنْ ظُلْمِكَ لِي - جَاهِدًا ، وَيَغْلِبُ الشَّوْقُ فَأَسْتَعِيبُ  
الزَّمَنَتِي الذَّنْبَ الَّذِي جِئْتُهُ ، صَدَقْتَ ، فَاصْفَحْ أَيُّهَا الْمُذْنِبُ

## لا يأس

أَيُّهَا الْبَذْرُ الَّذِي يَمْلَأُ عَيْنِي مَنْ تَأْمَلُ  
حُلَّ الْقَلْبِ تَبَارِيحُ التَّجَنِّي فَتَحَ مَلْ  
لَيْسَ لِي صَبْرٌ جَمِيلٌ ، غَيْرَ أَنِّي أَتَجَمَّلُ  
ثُمَّ لَا يَأْسَ ، فَكَمْ قَدْ نِيلَ أَمْرٌ لَمْ يُؤْمَلْ

## عتب

أَوْخَنِي - بِالْأَجْرَمِ - وَأَفْعَلِي بِالْأَذْنَبِ ، سِوَى أَنَّنِي مَحْضُ الْهَوَى صَادِقُ الْحُبِّ  
أَغَادِيكَ بِالشُّكْوَى ، فَأَضْحِي عَلَى الْقَلْبِ وَأَرْجُوكَ لِلْعُتْبَى ، فَاطْفُرْ بِالْعُتْبِ  
فَدَيْتُكَ ، مَا لِلْمَاءِ - عَدَا عَلَى الصَّدَى - وَإِنْ مُنِمَّتِي خُسْفًا ، مَحْلُكَ مِنْ قَلْبِي  
وَلَوْلَاكَ ، مَا صَافَتْ حَشَايَ - صَبَابَةً - جَعَلْتُ قِرَاهَا الدَّمْعَ سَكْبًا عَلَى سَكَبِ

## تجنّي الحبيب

بقي بي - يا مُعَذِّبِي - فَأَيُّ  
وَأِنْ أَصْبَحْتَ قَدْ أَرْضَيْتِ قَوْمًا  
وَهَلْ قَلْبُكَ كَقَلْبِكَ فِي ضُلُوعِي ،  
تَمَنَّتْ - أَنْ تَنَالَ رِضَاكَ - نَفْسِي ،  
وَلَمْ أَجْنِ<sup>(١)</sup> الدُّنُوبَ فَتَحْقِدِيهَا ،  
سَأَحْفَظُ فِيكَ مَا ضَيَّعْتِ مِنِّي  
بِسُخْطِي ، لَمْ يَكُنْ ذَا فِيكَ ظَنِّي  
فَأَسْأَلُو عَنْكَ حِينَ سَلَوْتَ عَنِّي  
فَكَانَ مَنِيَّةً ذَاكَ التَّعَنِّي  
وَلَكِنْ عَادَةٌ مِنْكَ التَّجَنِّي .

## لا يأس في الحب

أَنْتِ مَعْنَى الصَّنَى وَسِرُّ الدُّمُوعِ ، وَسَبِيلُ الْهَوَى ، وَقَصْدُ الْوُلُوعِ  
أَنْتِ وَالشَّمْسُ ضَرَّتَانِ ، وَلَكِنْ لَكَ - عِنْدَ الْغُرُوبِ - فَضْلُ الطُّلُوعِ  
لَيْسَ بِالْمُوَيْسَى تَكَلَّفُكَ الْعَتَبِ - ذَلَالًا - مِنَ الرِّضَى الْمَطْبُوعِ  
إِنَّمَا أَنْتِ - وَالْحَسُودُ مَعْنَى - كَوْنُكَ يَسْتَقِيمُ بَعْدَ الرُّجُوعِ

## بقية المسواك

أَهْدِي إِلَى بَقِيَّةِ الْمِسْوَاكِ لَا تُظْهِرِي بُخْلًا يَعُودِ أَرَاكِ  
فَلَعَلَّ نَفْسِي ، أَنْ يُنْفَسَ سَاعَةً عَنْهَا بِتَقْبِيلِ الْمُقْبِلِ فَالِكِ  
يَا كَوْنُكَ بَارِئٌ سَنَاهُ سَنَاءُهُ - تَزْهَى الْقُصُورُ بِهِ عَلَى الْأَفْلَاكِ  
قَرَّتْ وَفَارَتْ - بِالْخَطِيرِ مِنَ الْمُنَى - عَيْنُ ثَقَلْبُ لِحْظَهَا فَتَرَكَ



## غرور المني

إِنْ سَاءَ فِعْلُكَ بِي ، فَمَا ذَنْبِي أَنَا ؟ حَسْبُ التَّيَمِّ أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَا  
لَمْ أَسْأَلْ حَتَّى كَانَ عُذْرُكَ - فِي الَّذِي أَبْدَيْتَهُ - أَخْفَى ، وَعُذْرِي أَيْنَا  
وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ بِالضَّمِيرِ إِلَى الْهَوَى ، وَدَعَوْتُ - مِنْ حَقِّ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَا  
مَنَيْتُ نَفْسِي - مِنْ وَفَائِكَ - ضَلَّةً ، وَلَقَدْ تَعَرُّ الْمَرْءَ بَارِقَةُ الْمُنَى

## صلينى

أَغَابَةٌ عَنِّي ، وَخَاضِرَةٌ مَعِي ، أَنَادِيكَ - لَمَّا عِيلَ صَبْرِي - فَأَنْتَمِي  
أَفِي الْحَقِّ أَنْ أَشَقَّ بِحُبِّكَ ، أَوْ أَرَى حَرِيْقًا بِأَنْفَاسِي ، غَرِيْقًا بِأَذْمِي  
أَلَا عَظْفُهُ تَحْيَا بِهَا نَفْسُ عَاشِقٍ ؟ جَعَلْتُ الرَّدَى مِنْهُ بَرَاءً وَمَسْمَعٍ  
صَلْبِي - بَعْضُ الْوَصْلِ - حَتَّى تَبَيَّنِي حَقِيقَةً حَالِي ، ثُمَّ مَاشَيْتُ فَأَضْمِي

## شكوى ضائعة

سَاحِبُ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ <sup>(١)</sup> يَا مَنْ يُصِحُّ - عُمُقَلْتِيَه - وَيُسْقِمُ  
أَصْبَحْتَ تُسَخِّطُنِي فَأَمْنَحَكَ الرِّضَى - مَحْضًا - وَتَظْلِمُنِي فَلَا أَتَظْلَمُ  
يَا مَنْ تَأَلَّفَ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ ، فَالْحُسْنُ يَنْتَهَمَا مُضِيٍّ مَظْلَمُ  
قَدْ كَانَ فِي شَكْوَى الصَّبَابَةِ رَاحَةٌ ، لَوْ أَنَّي أَشْكُو إِلَى مَنْ يَرْحَمُ

## وفاء المحب

لَمَّا اتَّصَلْتَ اتِّصَالَ الْحُبِّ <sup>(٢)</sup> بِالْكَبْدِ ثُمَّ أَمْتَزَجْتَ أَمْتَزَاجَ الرُّوحِ بِالْجَسَدِ

(١) وهذا قريب من قول القائل :

« شابهت أهدائي نصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم »

(٢) وفي الأصل : « الحبلى »

سَاءَ الْوُشَاةَ مَكَانِي مِنْكَ ، وَأَتَقَدَّتْ - فِي صَدْرِي كُلِّ عَدُوٍّ - جَمْرَةُ الْحَسَدِ  
فَلَيْسَ نَحْطُ النَّاسَ لَا أَهْدِي الرِّضَى لَهُمْ ، وَلَا يَصْنَعُ لَكَ عَهْدَ آخِرِ الْأَبَدِ  
لَوْ اسْتَطَعْتُ - إِذَا مَا كُنْتُ غَائِبَةً - غَضَضْتُ طَرْفِي ، فَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ

### غدر الحبيب

يَا لَيْلُ طُلُ ، لَا أَشْتَهِي - إِلَّا بِوَصِيلٍ - قِصْرَكَ  
لَوْ بَاتَ عِنْدِي قَمَرِي ، مَا بَتُّ أَرْغَى قَمَرِكَ  
يَا لَيْلُ خَبِّرْ : أَنِّي أَلْتَدُّ عَنْهُ خَبْرَكَ  
يَا اللَّهُ قُلْ لِي : هَلْ وَفَا ؟ فَقَالَ : « لَا ، بَلْ غَدَرَكَ »

### حذر العاشق

لَنْ فَاتَنِ مِنْكَ حَظَ النَّظَرِ لَا كَتِفَيْنِ بِسَمَاعِ الْخَبَرِ  
وَإِنْ عَرَضَتْ غَفْلَةٌ لِلرَّقِيبِ ، فَحَسَنِي تَسْلِيمَةً تُخْتَصِرُ  
أَحْذَرُ أَنْ تَتَطَلَّى الْوُشَاةُ ، وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهَوَى بِالْحَذَرِ  
وَأُضْبِرُ مُسْتَقِيمًا : أَنَّهُ سَيَحْطَى - بِنَيْلِ الْمُنَى - مَنْ صَبَرَ

### قناعة المحب

سَأَقْنَعُ مِنْكَ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ، وَأَرْضَى بِتَسْلِيمِكِ الْمُخْتَصِرُ  
وَلَا أَتَحْطَى التَّمَنَّى الْمُنَى ، وَلَا أَتَعَدَّى اخْتِلَاسَ النَّظَرِ  
أَصُونُكَ - مِنْ لَحَظَاتِ الظُّنُونِ - وَأَعْلِيكَ عَنْ خَطَرَاتِ الْفِكْرِ  
وَأَحْذَرُ - مِنْ لَحَظَاتِ الرَّقِيبِ - وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهَوَى بِالْحَذَرِ

## كيف السلو ؟

هَلْ لِدَاعِيكَ مُجِيبُ ؟      أَمْ لِشَاكِكَ طَيبُ ؟  
 يَا قَرِيْبًا - حِينَ يَنْأَى -      حَاضِرًا - حِينَ يَغِيْبُ - !  
 كَيْفَ يَسْأَلُكَ مُحِبُّ      زَانَهُ مِنْكَ حَيِّبُ ؟  
 إِنَّمَا أَنْتَ نَسِيمُ      تَتَلَقَّاهُ الْقُلُوبُ  
 قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ظَنٍّ ،      هُوَ - لَا شَكَّ - مُصِيبُ  
 أَنْ سِرَّ الْحُسْنِ مِمَّا      أَضْمَرْتَ تِلْكَ الْجُيُوبُ

## أنت المنى

أَرْخَصْتَنِي - مِنْ بَعْدِ مَا أَعْلَيْتَنِي -      وَحَطَطْتَنِي ، وَلَطَمًا أَعْلَيْتَنِي  
 بَادَرْتَنِي بِالْعَزْلِ عَنِ خُطَطِ الرِّضَى ،      وَلَقَدْ مَحَضْتُ النُّشُوحَ إِذْ وَلَّيْتَنِي  
 هَلَاءَ - وَقَدْ أَعْلَقْتَنِي شَرَكِ الْهَوَى -      عَلَّلْتَنِي بِالْوَصْلِ ، أَوْ سَلَّيْتَنِي  
 الصَّبْرُ شُهُدٌ - عِنْدَ مَا جَرَّ عَنِّي -      وَالنَّارُ بَرْدٌ ، عِنْدَ مَا أَصْلَيْتَنِي  
 كُنْتَ الْمَنَى ، فَأَذَقْتَنِي غُصَصَ الْأَذَى ،      يَا لَيْتَنِي مَا فُهِتُ فِيكَ : يَلَيْتَنِي

## بقاء على العهد

جَازَيْتَنِي - عَنْ تَمَادِي الْوَصْلِ - هَجْرَانَا      وَعَنْ تَمَادِي الْأَسَى وَالشَّوْقِ سُلوَانَا  
 بِاللَّهِ هَلْ كَانَ قَتْلِي فِي الْهَوَى خَطَاءً      أَمْ جَنَّتُهُ حَامِدًا ظُلْمًا وَعُدُوَانَا ؟  
 عَهْدِي كَعَهْدِكَ ، مَا الدُّنْيَا تُغَيِّرُهُ      وَإِنْ تَغَيَّرَ مِنْكَ الْعَهْدُ أَلْوَانَا  
 مَا صَحَّ وَدَى إِلَّا أَعْتَلَّ وَدُكْ لِي ،      وَلَا أَطْعَمْتُكَ إِلَّا زِدْتَ عِصْيَانَا  
 يَا أَلَيْنَ النَّاسَ أَعْطَانَا ، وَأَقْتَنَهُمْ      لَحْظًا ، وَأَعْطَرَهُ أَنْفَاسًا وَأَرْذَانَا  
 حَسَنْتَ خَلْقًا ، فَأَحْسَنْ لَنَا نَسُوْ خُلُقًا ،      مَا خَيْرُ ذِي الْحُسْنِ إِنْ لَمْ يُؤَلِّ إِحْسَانَا ؟

## أين وفاؤك؟

أَشْمَتُ بِي فِيكَ الْعِدَا وَبَلَغْتَ مِنْ ظُلْمِي الْمَدَى  
لَوْ كَانَ يَمْلِكُ فِدْيَةَ - مِنْ حُبِّكَ - الْقَلْبُ أَفْتَدَى  
كُنْتَ الْحَيَاةَ لِعَاشِقٍ مُدْخِلْتَ - أَيْقَنَ بِالرَّدَى  
لَمْ يَسْلُ عَنْكَ ، وَلَوْ سَلَا لَمَذَرْتُهُ ، فَبِكَ أَفْتَدَى  
صَيَّغْتَ عَهْدَ مَحَبَّةٍ كَالْوَرْدِ سَامِرُهُ النَّدَى  
أَيْنَ ادْعَاؤُكَ لِلْوَفَا ، وَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا <sup>(١)</sup>

## صریح الحب

لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُتٌ» مَا كَانَ رَدْدِي «لَا» يَا جَائِرُ الْحُكْمِ ، أَفَدِيهِ بَيْنَ عَدَلَا  
أَبْدَيْتَ لِي - مِنْ أَفَانِيَنِ الْقَلْبِ - عِبْرًا ، أُرْسَلَنِي - فِي أَحَادِيثِ الْهَوَى - مَثَلًا  
لَمْ تُبْقِ جَارِحَةً بِالْهَجْرِ مِنْ جَسَدِي إِلَّا خَلَعْتَ عَلَيْنَهَا - بِالضَّنَى - حُلَلًا  
فَلَيْسَ كَفْكَ أَنِّي بَعْضُ مَنْ مَلَكَتْ ، وَلَيْسَ كَفْ طَرَفِكَ أَنِّي بَعْضُ مَنْ قَتَلَا  
وَلْتَقْصِ مَا شِئْتَ - مِنْ هَجْرٍ وَمِنْ صِلَةٍ - لَا أَقْصِ مَا عِشْتُ سُلُوءًا وَلَا مَلَكًا  
سَقِيَا لِعَهْدِكَ وَالْأَيَّامُ تُقْبِلُنِي وَجْهَ الشَّرُورِ بِهِ جَذَلَانٌ مُقْتَبِلَا  
إِذِ الزَّمَانُ بَلِيغٌ فِي مُسَاعَدَتِي يُهْدِي إِلَيَّ - تَفَارِيقَ الْأَسْنَى - مُجَلَا  
إِنْ كَانَ لِي أَمَلٌ إِلَّا رِصَاكَ ، فَلَا بُلَغْتُ - يَا أَمَلِي - مِنْ دَهْرِي الْأَمَلَا

(١) في الأصل : « وما عدا دما بدا . » وأصل المثل كما في مجمع الأمثال للبيداني : « ما بدا مما بدا . » أي ما منك مما ظهر لك أولا ، قاله علي بن أبي طالب للربيع بن العوام رضي الله عنهما يوم الجبل يريد ما الذي صرفك عما كنت عليه من السيئة وهذا متصل بقوله : « مهترني بالحجاز ، وأسكرتني بالعراق ، فما عدا ما بدا . »

## وفاء المحب

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْبَدْرَ الَّذِي كَمَلَا      فِي مَطْلَعِ الْحُسْنِ وَالْفُضْنِ الَّذِي أَعْتَدَلَا  
أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي أَهْدَى مَوَدَّتَهُ      إِلَى مُرْتَهِنٍ شُكْرِي بِمَا فَعَلَا  
أَمَّا الْحَبِيبُ الَّذِي أَبْدَى الْجَفَاءَ لَنَا،      فَمَا رَأَيْنَا فَلَاهُ حَادِثًا جَلَلَا  
وَلَمْ نَرِدْ أَنْ ظَفِرْنَا مِنْهُ أَعْيُنَنَا      بِالْمُشْتَرَى، فَتَجَبَّنَا لَهُ زُحَلَا  
أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي مَارِلْتُ الْحِفْهَ      ظِلَّ الْهَوَى، وَأَسْقَيْهِ الرِّضَا عَمَلَا  
هَذِي الْحَقِيقَةُ، لَا قَوْلِي مُحَاذَعَةً :      لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُت» مَا كَانَ رَدِّي «لَا»

## أنت حسبي

لَمْ يَكُنْ هَجَرِي حَبِيبِي عَنْ قَلَى      لَا وَلَا ذَاكَ التَّجَنَّى مَدَلَا  
سَرَّهُ شُكْرِي - إِذْ عَافَى - وَلَمْ      يَدْرِ مَا غَايَةَ صَبْرِي فَأَبْتَلَى  
أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي يَرْضَى بِهِ      لِي مَنْ لَوْ قَالَ «مُت» مَا قُلْتُ: «لَا»  
مِثْلُ فِي كُلِّ حُسْنٍ مِثْلُ مَا      صَارَ ذُلِّي - فِي هَوَاهُ - مِثْلَا  
يَافَتَيْتَ الْمِسْكَ يَا شَمْسَ الضُّحَا      يَا قَضِيبَ الْبَاكِ يَا رِيْمَ الْفَلَا  
إِنْ يَكُنْ لِي أَمَلٌ غَيْرَ الرِّضَا      مِنْكَ، لَا بُلُغْتُ ذَاكَ الْأَمَلَا

## إلى هاجر

أَتَهَجَّرُنِي وَتَقْصِدُنِي كِتَابِي ؟      وَمَا فِي الْحَقِّ غَضَبِي وَأَجْنَتَابِي  
أَيَحْمِلُ أَنْ أَيْحَكَ تَحْضُ وَدِّي ؟      وَأَنْتَ تَسْؤِمُنِي سُوءُ الْعَذَابِ  
فَدَيْتُكَ، كَمْ تَقْضِ الطَّرْفَ دُونِي      وَكَمْ أَذْعُوكَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ  
وَكَمْ لِي مِنْ مُوَادِلِكَ - بَعْدَ قُرْبِ -      مَكَانَ الشَّيْبِ فِي نَفْسِ الْكِمَابِ

أَعِذْ - فِي عَبْدِكَ الْمَظْلُومِ - رَأْيَا      تَنَالُ بِهِ الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ (١)  
وَإِنْ تَبَخَّلَ عَلَيْهِ قَرُبٌ دَهْرٍ      وَهَبْتَ لَهُ، ضَالِكَ بِلَا حِسَابٍ

### لا سبيل إلى السلو

أَذْكَرَ تَنِي سَالِفَ الْعَيْشِ الَّذِي طَابَا      يَا لَيْتَ قَائِبَ ذَلِكَ الْمُهْدِ قَدْ آبَا  
إِذْ نَحْنُ فِي رَوْضَةٍ لِلْوَصْلِ - نَعْمَهَا      مِنَ السُّرُورِ غَمَامٌ فَوْقَهَا صَابَا  
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ شَوْقِي يُطَاوِلُنِي      فَكُلَّمَا قِيلَ فِيهِ: «قَدْ قَضَى»، ثَابَا  
كَمْ نَظَرَةٍ لَكَ فِي عَيْنِي عَلِمْتَ بِهَا      - يَوْمَ الزِّيَارَةِ - أَنَّ الْقَلْبَ قَدْ ذَابَا  
قَلْبٌ يُطِيلُ مَقَامَاتِي لِطَاعَتِكُمْ،      فَإِنْ أَكَلَفُهُ عَنْكُمْ سَلَوَةً يَابَا  
مَا تَوَنَّبِي بِنُصُوحٍ - مِنْ حُبِّتِكُمْ -      لَأَعَذَّبَ اللَّهُ إِلَّا عَاشِقًا تَابَا

### انت الحياة

أَمَّا رِضَاكَ فَعَلِقُ مَالَهُ ثَمَنُ      لَوْ كَانَ سَاعِحِي فِي وَصْلِهِ الزَّمَنُ  
تَبَكِّي فِرَافِكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاطِرُهَا      قَدْ لَجَّ فِي هَجَرِهَا عَنْ هَجَرِكَ الْوَسَنُ  
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنُ      قَدْ حَالَ مَذْغَابٌ عَنِّي وَجْهَكَ الْحَسَنُ  
أَنْتَ الْحَيَاءُ فَإِنْ يَقْدَرُ فِرَافُكَ لِي      فَلْيُخَفِّرِ الْقَبْرُ أَوْ فَلْيُخَضِّرِ الْكَفَنُ  
وَاللَّهِ مَا سَاءَ لِي أَنِّي جُفِيتُ ضَنَى      بَلْ سَاءَ لِي أَنْ سِرْتُ - بِالضَّنَى - عَلَنُ  
لَوْ كَانَ أَمْرِي - فِي كَثَمِ الْهَوَى - يَدِي      مَا كَانَ يَعْلَمُ - مَا فِي قَلْبِي - الْبَدَنُ

### ذكرى معاهد قرطبة

عَلَى الثَّنَبِ الشَّهْدِي مَنِي تَحِيَّةٍ      زَكَّتْ، وَعَلَى وَادِي الْعَقِيقِ سَلَامُ  
وَلَا زَالَ نُورِي فِي الرُّصَافَةِ ضَاحِكُ      بِأَرْجَائِهَا يَبْكِي عَلَيْهِ غَمَامُ

(١) - قريباً من هذا قول البحتري:

«أصعد في نظرة مستحب      توخى الأجر أو كره الأثاما»

مَعَاهِدُهُ لَهْوٍ لَمْ تَزَلْ فِي ظِلَالِهَا  
 زَمَانٌ رِيَاضُ الْعَيْشِ خُضْرُهُ نَوَاصِرُهُ  
 فَإِنْ بَانَ مِنْ عَهْدِهَا ، قَبْلَوَعَةٍ  
 تَذَكَّرْتُ أَيْامِي بِهَا ، فَتَبَادَرَتْ  
 وَصُحْبَةٌ قَوْمٍ كَالْمَصَابِيحِ ، كُلُّهُمْ  
 إِذَا طَافَ بِالرَّاحِ الْمَدِيرُ عَلَيْهِمْ  
 وَأَحْوَزُ سَاحِي الطَّرْفِ حَشْوُ جُفُونِهِ  
 تَحَالُ قَضِيبُ الْبَانِ - فِي طَيِّ بُرْدِهِ -  
 يُدِيرُ - عَلَى رَغَمِ الْعِدَا - مِنْ وَدَادِهِ  
 فَمَنْ أَجَلُهُ أَذْعُو لِقَرِطَةِ الْمُنَى  
 تَحُلُّ غَنِينًا بِالتَّصَابِي خِلَالَهُ  
 فَمَا لِحَقَّتْ تِلْكَ اللَّيَالِي مَلَامَةً ،

تُذَارُ عَلَيْنَا - لِلْمُجُونِ - مُدَامُ  
 تَرَفٌ ، وَأَمْوَاهُ الشُّرُورِ جِمَامُ  
 يَشُبُّ لَهَا - بَيْنَ الصُّلُوحِ - ضِرَامُ  
 دُمُوعٌ ، كَمَا خَانَ الْفَرِيدَ نِظَامُ  
 - إِذَا هَزَّ لِلخُطْبِ الْمُلِمِّ - حُسَامُ  
 أَطَافَ بِهِ بَيْضُ الْوُجُوهِ ، كِرَامُ  
 سَقَامُ بَرَى الْأَجْسَامَ مِنْهُ سِقَامُ  
 إِذَا أَهْتَرَّ مِنْهُ مَعْطِفٌ وَقَوَامُ  
 سُلَاقًا ، كَأَنَّ الْمِسْكَ مِنْهُ خِتَا  
 يَسْقِيَا ضَعِيفَ الطَّلِّ وَهُوَ رِهَامُ  
 فَأَسْمَدْنَا ، وَالْحَادِثَاتُ نِيَامُ  
 وَلَا ذَمَّ - مِنْ ذَلِكَ الْحَبِيبِ - ذِمَامُ

### غدر الحبيب

أَجِدُ ، وَمَنْ أَهْوَاهُ - فِي الْحُبِّ - حَابِتُ  
 حَبِيبٌ نَأَى عَنِّي - مَعَ الْقُرْبِ وَالْأَسَى -  
 جَفَانِي بِالطَّافِ الْعِدَا ، وَأَزَالَهُ  
 تَغَيَّرْتُ عَنْ عَهْدِي ، وَمَا زِلْتُ وَائِقًا  
 وَمَا كُنْتُ - إِذْ مَلَكَتْكَ الْقَلْبَ - عَالِمًا  
 فَذَيْتُكَ ، إِنْ الشَّوْقُ لِي - مُذْ هَجَرْتَنِي -

وَأَوْفَى لَهُ بِالْعَهْدِ ، إِذْ هُوَ نَاكِثُ  
 مُقِيمٌ لَهُ - فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ - مَا كِثُ  
 - عَنِ الْوَصْلِ - رَأَى فِي الْقَطِيعَةِ حَادِثُ  
 بِعَهْدِكَ ، لَكِنْ غَيَّرَتْكَ الْحَوَادِثُ  
 بِأَنِّي - عَنْ حَقِّي - يَكْفِي بَاحِثُ  
 مَيِّتٌ فَهَلْ لِي - مِنْ وَصَالِكَ - بَاعِثُ ؟

مَتَّبِعِي اللَّيَالِي - وَالْوِدَادُ بِحَالِهِ - جَدِيدٌ ، وَتَفْنَى وَهُوَ لِلْأَرْضِ وَارِثُ  
وَلَوْ أَنَّنِي أَقْسَمْتُ : أَنَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَى مَقْتُولٌ ، لَمَا قِيلَ : « حَاثٌ . »

### اصنع ما شئت

يَا نَاسِيًا لِي - عَلَى عِرْفَانِهِ - تَلْفِي ذِكْرَكَ مِنِّي بِالْأَنْفَاسِ مَوْصُولُ  
وَقَاطِعًا صِلَتِي - مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ - تَأَلَّهِ : إِنَّكَ - عَنْ رُوحِي - لَمْ سَتُولُ  
مَا شِئْتَ فَأَصْنَعُهُ ، كُلُّ مِنْكَ مُحْتَمَلٌ ، وَالذَّنْبُ مُغْتَفَرٌ ، وَالْعُدْرُ مَقْبُولُ  
لَوْ كُنْتُ حَظِّي ، لَمْ أَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا ، أَوْ نِلْتُ مِنْكَ الرِّضَا ، لَمْ يَبْقَ مَا مَوْلُ

### أمنية

يَا قَاطِعًا حَبْلَ وُدِّي وَوَاصِلًا حَبْلَ صَدِّي  
وَسَالِيًا ، لَيْسَ يَذَرِي بِطُولِ بَقِي وَوَجْدِي  
لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِنِّي مِثْلُ الَّذِي مِنْكَ عِنْدِي  
لَبِتْ - بَعْدِي - مِثْلِي ، وَبِتْ - مِثْلَكَ - بَعْدِي

### نفسي فداؤك

لَوْ ثَرَكْنَا بِأَنْ نَعُودَكَ عُدْنَا وَقَضَيْنَا الَّذِي عَلَيْنَا وَزِدْنَا  
غَيْرَ أَنْ أَلْهَوَى أَسْتَطَارَ حَدِيثَنَا ، فَأَتَخَعْنَا الْعِيُونَ لَمَا حُسِدْنَا  
فَلَوْ أَنَّ النَّفْسَ تَقْبَلُ مِنَّا ، لَسَمَحْنَا بِهَا - فِدَاءً - وَجَدْنَا

### دين الحب

يَا غَزَا لَا جُمِعَتْ فِيهِ - مِنْ الْحُسْنِ - فُنُونُ  
أَنْتَ فِي الْقُرْبِ وَفِي الْبُعْدِ - مِنَ النَّفْسِ - مَكِينُ  
يَهْوَاكَ - اللَّهُمَّ - أَلْهُوْ ، وَبِحُبِّكَ ، أَدِينُ



مُنِيَّةَ الصَّبِّ : أَغْنِي ، قَدْ دَنَتْ مِنِّي الْمَنُونُ  
وَأَحْفَظِ الْمَهْدَ ، فَإِنِّي لَسْتُ - وَاللَّهِ - أَخُونُ  
وَأَرْحَمَنَ صَبًّا شَجِيًّا قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ  
لَيْلُهُ هَمٌّ وَغَمٌّ ، وَسَقَامٌ ، وَأَيْنُ  
شَقَّةُ الْحُبِّ ، فَأَمْسِي - سَقَمًا - لَا يَسْتَبِينُ  
صَارَ - لِلْأَشْوَاقِ - نَهْبًا ، فَنَبَتْ عَنْهُ الْعُيُونُ

### وفاء

يَبْنِي وَيَبْنِيكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضَعْ - سِرٌّ إِذَا ذَاعَتْ الْأَسْرَارُ - لَمْ يَذَعْ  
يَا بَابِعَا حَظَّهُ مِنِّي ، وَلَوْ بُذِلَتْ - لِي الْحَيَاةُ - بِحَظِّي مِنْهُ - لَمْ أَبِيعْ  
يَكْفِيكَ أَنْكَ - إِنْ حَمَلْتَ قَلْبِي مَا - لَمْ تَسْتَطِعْهُ قُلُوبُ النَّاسِ - يَسْتَطِيعُ  
تِهْ أَخْتَمِلُ ، وَاسْتَطِلَّ أَصْبِرْ ، وَعِزَّ أَهْنُ ، وَلَوْ أَقْبَلَ ، وَقُلْ أَسْمَعْ ، وَمُرَّ أَطْعِ

### في سبيل الهوى

قَدْ نَالَني مِنْكَ مَا حَسَنِي بِهِ وَكُنِي - بَا مِنْ تَنَاهَيْتُ - فِي الْإِطَافَةِ فَجَفَا  
عَلَّلْتَنِي بِالْمُنَى - حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ - بِالنَّفْسِ - لَمْ أُعْطَ مِنْ أَسْبَابِهَا طَرْفَا  
غُيِّرَتْ عَنْ خُلُقٍ - قَدْ لَانَ لِي زَمَنًا - لَيْنَ النَّسِيمِ ، فَلَمَّا لَدَّ لِي عَصْفَا  
لَا يَجْبُطُنْ عَمَلٌ - أَرْضَاكَ صَالِحُهُ - فِي سَبِيلِكَ أَنْفَقْتُ الْهَوَى سَرَفَا

### صلة المحب

سِرِّي وَجَهَرِي أَنِّي هَامٌّ ، قَامَ بِكَ الْعَذْرُ ، فَلَا لَائِمُ  
لَا يَنِمُ الْوَاثِي الَّذِي غَرَّنِي هَا أَنَا - فِي ظِلِّ الرِّضَى - نَائِمُ  
عُدْتُ إِلَى الْوَهْلِ - كَمَا أَشْتَهِي - فَالْهَجْرُ بَالِكِ ، وَالرِّضَى بَالِيمُ

حَسْبِي، أَنَا الْمَظْلُوم - فِيمَا جَرَى،  
وَأِنْ نَشَأُ قُلْتُ : «أَنَا الظَّالِمُ»  
يَا سَائِلًا مِمَّا بِنَفْسِي لَهُ - تَجَنَّبَا - وَهُوَ بِهِ ظَالِمٌ  
مَعْنَى الْهُوَى أَنْتَ وَشَخْصُ الْمَنَى، دَغْنِي مِمَّا يَزْعُمُ الزَّاعِمُ

### مقيم على العهد

عَذِيرِي مِنْ خَلِيلٍ يَسْتَطِيلُ يَمِيلُ - مَعَ الزَّمَانِ - كَمَا يَمِيلُ  
وَيَرْضَى أَنْ تَضِيعَ سُدَى<sup>(١)</sup> خُفُوقِي، وَبَاعِي فِي الْهُوَى بَاعُ طَوِيلُ  
أَشْمَسًا أَشْرَقَتْ مِنْ عَبْدٍ شَمْسٍ! أَمَّا لَكَ - فِي سَوَى قَلْبِي - أَقُولُ؟  
أَمَا يَمْحَى عِتَابُكَ كُلَّ يَوْمٍ؟ أَمَا يُرْجَى - إِلَى وَصْلٍ - وَصُولُ؟  
وَلَوْ أَجِدُ السَّبِيلَ لَطَرْتُ وَجَدًا، وَلَكِنْ مَا إِلَى هَذَا سَبِيلُ  
كِتَابِي - عَنْ وَدَادِكَ - لَا يَزُولُ، وَعَهْدِي - مِثْلَ عَهْدِكَ - لَا يَحُولُ

### آلام المحب

يَا مُعْطِي - مِنْ وَصَالٍ كُنْتُ وَارِدَهُ - هَلْ مِنْكَ لِي غُلَّةٌ إِنْ صَحْتُ: «وَأَعْطَيْتَنِي»  
كَسَوْتَنِي - مِنْ ثِيَابِ السَّقَمِ أَسْبَغَهَا - ظُلُمًا - وَصَبَّرْتَ مِنْ لُحْفِ الضَّنَى فُرْشِي  
إِنْ بَصُرْتُ الْهُوَى، عَنْ مُقَلَّةٍ كُحِلَتْ - بِالسَّحَرِ مِنْكَ، وَخَدَّ بِالْجَمَالِ وَشِي  
لَمَّا بَدَا الصَّدْعُ مُسَوِّدًا بِأَحْمَرِهِ - أَرَى الْقَسَائِمَ بَيْنَ الرُّومِ وَالْحَبَشِ  
أَوْفَى إِلَى الْخَدِّ، ثُمَّ أَنْصَاعُ مُنْعَطِفًا - كَالْمَقْرَبَانِ أُنْتِنِي مِنْ خَوْفِ مُحْتَرِشِ  
لَوْ شِئْتُ زُرْتُ وَسِلِكَ النُّجْمِ مُنْتَظِمًا - وَالْأَفَقُ يَحْتَالُ فِي تَوْبٍ مِنَ الْعَبَشِ -  
صَبًّا - إِذَا التَّدَّتِ الْأَجْفَانُ طَعْمَ كَرَمِي - جَفَا الْمَنَامَ، وَصَاحَ اللَّيْلُ: «يَا فُرْشِي»  
هَذَا وَإِنْ تَلَفَتْ نَفْسِي، فَلَا عَجَبُ، قَدْ كَانَ مَوْتِي - مِنْ تِلْكَ الْجُفُونِ خُشْيِ

## إلى المعتمد

أَيْهَا الظَّافِرُ لَا زِلْتَ مَكْدَى الدُّنْيَا مُظْفَرٌ

### (١) الأحاجي والألغاز والمعميات

افتن كثير من النظميين والكتاب في طرق الألغاز والتعمية ليمتنعوا بها الدكاء والقعدة على مك الظلاسم والمعميات ، ويزجوا بها أوقات فراغهم الطويلة ، وهو عمل شاق مضن لا يقدم عليه إلا من مرغ باله من مشكلات الحياة وجدها . وأكثر أوائه تافه لا خطر له ، وسنلم بطائفة كبيرة منها . وثمة أنواع من التعمية تقوم عند الملوك والأمراء إلى ذلك العهد مقام الشجرة ، وتطير الحمام ازالحل وما إلى ذلك من وسائل الخابرة السرية ، ومن يدري ؟ فربما كان ماداريين ( ابن زيدون ) و ( المعتد ) من هذا النوع لم يكن يقصد به قتل الوقت والتسلية أو امتحان الدكاء لحسب ، وإنما كان يقصد به فوق ذلك المرائ على بعض ضروب الخابرة السرية التي كانت تسم إليها حاجة الدولة ، ويستعملها أصحابها السياسيون للتعمية على غيرهم من خصومهم . وربما كان للتسلية وحدها وتزجية أوقات الفراغ الطويلة أيضا .

والطريقة التي تبعمها للمعتد وابن زيدون هي إحدى هذه الطرق العديدة ، ولم اعر عليها - فيما قرأناه من كتب الألغاز على كثرتها - ولم نعر إليها المعامح العربية ، ولكننا استنتجناها من الأشعار التي دارت بينهما ، ومن قول « المقرى » صاحب « نفع الطيب » الذي عزز ما ذهبنا إليه . وخلاصة هذه الطريقة أن يطير أحد المتراسلين إلى الآخر بيتا شائعا في قصيدة أو بيتين ويرمز لكل حرف من حروفها باسم طائر بعينه .

قال المقرى :

« وكتب ابن زيدون إلى المعتد :

« وافتك نظم لى في طيه معنى معنى اللفظ مستور

سرامه يصعب ما لم يح بالسر - قرى وشعورور . »

قال : « ثم ذكر أياتاً ، فيها أسماء طيور ، عمى بها عن بيت طيره فيها ، والبيت المطير هو :

« أنت - إن كنز - ظافر - ملطع من يناير . »

ففسكه « المعتد » وجاوبه :

« جاءتني الطير أتي سرما نظم به قلمي مسرور . » اه .

وستر بك هذه القصيدة في « ص ٢٩٩ » من هذا الديوان .

ويؤيد هذا الاستنتاج قول المعتد :

« أرسل طيور الشعر نحوى فقد بث فؤادى شرك الفهم . »

وقول ابن زيدون للمعتد :

« وافتك الطير سرب لفيه سر مكم . »

ولا تكاد تخلو قصيدة - من هذا النوع - من ذكر الطيور كما يرى القارىء في القصائد التالية ، وسنثبت القصيدة التي نحن بصدها في المرح وتبعها بمجدول نرد فيه على الترتيب أسماء الطيور التي ذكرها فيها ، وهرن كل طائر بحرف هجائه ليتسنى للقارىء استخراج البيت المطير بنفسه ، وهامى الأيات :

١. « فأسأل الشاهين ، والصقريين ، والعتقاء تحبير

أَنْتَ أَسْنَى ابْنِي لِأَسْنَى      وَالِدِي فِي الْمَهْرِ فَأَفْخَرُ  
إِنْ تُرِدْ شَرْحَ مُعْنَى      هُوَ فِي نَظْمِي مُضْمَرُ

ثم رال الفهر ، والفـ      سياد ، والنسر المعبر  
ثم بعد الديك عد للذـ      سر ، والزال المنفر  
ثم عد للنسر والرا ل ، فكل قد تكرر  
والجبارى ، والسماى      والشقراق المهرب  
ثم سائل بعدما ألـ      زى - إن حل مصرع  
معه الطاوس والديك      ك إذا بالصبح نشر  
تسلوه القبرى مهما      ردد السجع فقرقر  
ثم ناد الهيق والرا ل ، لعل السر يظهر  
وتعيب ما لدى القـ      جين من خاف سيظهر  
ثم عد للنسر والرا ل ، هما فى الأمر - أكثر  
وارجر العقق حق الزجـ      ر ، إن الطير يزجر  
وليل الزال سماى      وشقراق تأخر . «

فليس فيها إلا أسماء طيور بعضها ترمز إلى حروف بعينها ، ونحن بينها للقارئ لتكون نموذجاً - لمن  
يسميه حل أمثال هذه المعينات ، والبيت المسمى الذى يستخرج من هذه الأبيات هو :  
« صدق لنا فال السمه      تظهر على الكلمة . »

وأنت إذا تمت ما فيها من أسماء الطيور تجد أن كل طائر فى مقابلة حرف من حروف هاء البيت ونحن  
نضع حروف البيت وأمام كل حرف طائره الذى يدل عليه فى الجدول الآتى ليذيق للقارئ طريقة الحل ،  
وهذا هو الجدول :

| الحرف | الطائر | الحرف | الطائر | الحرف | الطائر |
|-------|--------|-------|--------|-------|--------|
| ص     | شاهين  | ا     | نسر    | ع     | هيق    |
| د     | صقرين  | ل     | رأل    | ل     | رأل    |
| ق     | عنقاء  | س     | جبارى  | ى     | قبيجين |
| ل     | رأل    | م     | سماى   | ا     | نسر    |
| ن     | فياد   | هـ    | شقراق  | ل     | رأل    |
| ا     | نسر    | ت     | بازى   | ك     | عقق    |
| ف     | ديك    | ظ     | طاوس   | ل     | رأل    |
| ا     | نسر    | ف     | ديك    | م     | سماى   |
| د ل   | رأل    | ر     | قري    | هـ    | شقراق  |

## فَأَسْأَلُ - الشَّاهِينَ ، وَالصَّقْرَيْنِ ، وَالْعَنْقَاءَ - تُخْبِرُنِي مُحَمَّدُ رَأَى الْقَفَرَ ، وَالْفَيَّادَ ، وَالنَّسْرَ الْمَعْمَرُ

وللنفس الفأري معنى هذه الكلمات :

الشاهين : ضرب من الصقور أكره أبث أى رمادى اللون .

العنقاء : طائر حرافى لا وجود له إلا فى شعر الشعراء .

رأى : ولد النعام ، وسيرت بك فى « ص ٢٨٤ »

الفياذ : ذكر الوم .

سر : النسر طائر عظيم من حوارج الطير سعى بذلك لأنه ينسر الشيء ويقتله ويقتنصه والكثير الریش منه يسمى المذاف .

ديك - الديك : ذكر الدجاج .

رال : ولد النعام .

جبارى - الجبارى : طائر فى حجم الديك الهندي كثيرة الریش ، ومنها بيضاء وكدراء .

مبانى : طائر معروف فوق المصمور ، ويجمع على مبانيات .

قالوا : وهو يوصى فى البحر بأحد جناحيه ويقيم الآخر كالقلم للسفينة ، فتدفعه الريح إلى ساحل البحر .

وكثيراً ما يوجد بلاد السواحل ، وله صوت حسن ومن شأنه أنه يسكت فى الشتاء ، فإذا أقبل الربيع صاح .  
شقراق : طائر صغير بقدر الحمام أخضر مشع الحفرة ، حسن المنظر ، فى جناحيه سواد وعده الملاحظ نوحاً من الثمران . يألف الروابى رده وس الجبال . وله مشى ومصيف ، قال الملاحظ وهو كثير الاستغاثه ، إذا مر به طائر ضربه بجناحيه وهاج كأنه هو المصروب .

مازى - البارى : من الصقور الأزرق الأحوى ، والأرقط القصير الجناحين الغليظ .

طاوس : طائر فى نحو قدر الاوزة ، حسن اللون ، والذكر منه غاية فى الحسن له فى رأسه ذؤابة قائمة كالشربوش ، وفى ذنبه ريش أخضر طويل فى أحسن منظر ، وليس للأثني مثل ذلك وفى طبعه الزهو نفسه والاعجاب بربشه ، وفى الحريف باقى ريشه كما باقى الشجر ورتبه ، فإذا بدا طالع أوراق الأشجار طلع ريشه .

قرى سير بك فى « ص ٣٠٤ »

هيق : ذكر النعام ، قال أبو العلاء على لسان حنى فى رسالة الغفران :

« وأركب الهيق - فى الظللاء - معتمداً أو لا ، فذب ريادة بات مروراً . »

فيعين : مشى تيج وهو الكروان وسيرت بك فى « ص ٣٠٤ »

هقق - المقق طائر كالغراب ضخم طويل القفا يحبل حبلاً ، وهو يدجن ولونه أبيض يبيض وسواد

شقراق - الشقراق : طائر مُرْقَطٌ بخضرة وسحرة وبيض ويكوى بأرض الحرم .

## ثُمَّ - بَعْدَ الدِّيَكِ - عُدَّ لِلنَّسْرِ وَالرَّأْلِ الْمُنْفَرِ

### أصل اشتقاق اللفز

وأصل اشتقاق اللز - كما يروى النويري - من ألز اليربوع ولز ، إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ يمينه ويسرة لبوارى بذلك ويعمى على طاله .

وللز أسماء ، فمنها : العاياة ، والعميس ، والزمن ، والحاجاة ، وأيات الماني ، والملاح ، والمرموس ، والتأويل ، والكساة ، والتمريس ، والاشارة ، والتوجيه ، والمعنى ، والدتل ، ومعنى الجميع واحد ، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته .

فالك إذا اعتبرته من حيث إن واصمه كأنه يمايك - أي يظهر إعياهك وهو التل - سميته : « معاياة » وإذا اعتبرته - من حيث صعوبة فهمه واعتباس استراحه - سميته : « عوبصاً . »

وإذا اعتبرته - من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب - سميته : « لغرا . » وفطاك له : « إلماراً . » وإذا اعتبرته - من حيث إن واضه لم يصح عنه - قلت : « رمر » وقرب منه الاشارة .

وإذا اعتبرته - من حيث إن عيرك حاكك - أي استخرج مقدار ظلك - سميته : « محاحاة . » وإذا اعتبرته - من حيث إنه استخرج كثرة معانيه - سميته : « أيات الماني . »

وإذا اعتبرته - من حيث إن قائله قد يوهك شيئاً ويريد غيره - سميته : « لحا » وسميت فلك : « الملاحن » وإذا اعتبرته - من حيث إنه ستر هنك ورمس - فهو « المرموس » ، والزمس القبر .

وإذا اعتبرته - من حيث أن معاه يؤول إليك - سميته : « مؤولا . » وسميت فلك : « تأويلا . » وإذا اعتبرته - من حيث إن صاحبه لم يصرح بفرسه - سميته « لمرصاً » ، و « كناية . »

وإذا اعتبرته - من حيث إنه ذو وجوه - سميته : « الوجه » وسميت فلك : « التوجيه . » وإذا اعتبرته - من حيث إنه معطى عليك - سميته : « معمى . »

### طرق التعمية

ومن ضروب التعمية - ما ذكره الفلقشندي - وهو أن يصطلح الانسان على إبدال حرف معين بحرف اخر معين - حيث وقع في القلم المعروف بالنمى - وهو أن حملوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ، فحملوا الكاف ميماً وبالعكس ، والألف واوا وبالعكس ، والذال را ، وبالعكس ، والسين عياً وبالعكس ، والفاء ياء وبالعكس .

فيكتب « محمد » « كطـكر » ، و « على » « سهـه » ، و « مسعود » « كسـار » وقس على ذلك .

وقد نظم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كل حرف ثلث ما يبدل به ، وهو :

« كم أو حط صلاله درسـم في بز خش عض شـح تدق . »

ومنهم من يكس حروف الكلمة ، فيكتب « محمد » « دمـم » ، و « على » « يلـع » . ومنهم من يبدل الحرف الأول من الكلمة بثانيه مطلقاً في سائر الكلام ، فيكتب : « محمد أخو طـى » : « محمد خـاويل » . إلى غير ذلك من التميزات

## ثُمَّ عُدَّ - لِلنَّسْرِ وَالرَّاءِ لِ- فَكُلُّ قَدْ تَكَرَّرَ

ونهم من يبدل الحروف بأعدادها في الجمل فيكتب « محمد » « ٤٠ و ٨ و ٤٠ و ٤ » وتعمل التعمية صفة شاذة .

ومنهم من يكتب - عوض عدد الحروف - حروفا ، وهو أبلغ في التعمية ، فيكتب « محمد » « لى ، بو ، لى ، اج » لأن اللام والياء بأربعين ، وهى عدد مائة الأولى ، والياء والواو بثمانية ، وهى عدد مائة اللام والياء أيضا بأربعين ، وهى عدد مائة الثانية ، والألف والجيم بأربعة ، وهى عدد مائة الدال ، فكانت

قال : « م ح د . »

وإن شاء أن يبرهن هذه الحروف مما يتضمن غير هذه الأعداد .

ومنهم من يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره . ومنهم من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين ، على ترتيبها على حروف « أبجد » :

فيجعل الألف للشرطين ، والياء للبطين ، والجيم للثريا ، وهكذا إلى آخرها : فيكون بطن الحوت للعين من « ضفغ » .

وربما اصطلاح على الترتيب على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار ، أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من الحيوانات ، إلى غير ذلك من ضروب التماهى التي لا يأخذها حصر .

وأكثر أهل هذا الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختارها فلما لم تقطع على ترتيب حروف المعجم ، والطريق في ذلك أن يثبت حروف المعجم ، ثم يرتب تحت كل واحد شكلا لا يماثل الآخر ، فكلما جاءه في الاصطلاح الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط . ثم يفصل بين كل كلمتين ، إما بخط أو بنقط ، أو بياض ، أو دائرة ، أو غير ذلك .

وأكثر المتقدمين يحملون الحرف المشدد بحرفين ، والمتأخرون يحملونه حرفا واحدا .

وقد ذكر الفلقشدى - في ذلك - فضلا طويلا في الجزء التاسع من صبح الأعشى ، فيرجع إليه القارئ « من ص ٢٢٩ إلى ٢٤٩ » إذا شاء .

### أمثلة من التعمية

ومن الأمثلة التي ذكرها النويرى قول الحكيم أمير الدولة - للمروى بابن التلميد - ملرا في الميراث :

« ما واحد مختلف الأسماء يدل في الأرض وفي السماء

يحكم بالقسط بلا رياء أعمى يرى الرشاد كل رائي

أخرس - لا من علة وداء - ينهى عن التصريح بالأيام

يجب - إن ناداه ذواتهراء - بالربع والحفص عن النداء

يفصح إن خلق في الهواء . »

فهو بقوله : « مختلف الأسماء » يعنى : « ميزان » الشمس ، والاصطرلاب ، وسائر آلات الرصد « وهو معنى قوله : « يحكم في السماء » . وميزان الكلام : « النحو » وميزان الشعر : « العروض » وميزان المعاني : « المنطق » وهذه الميزان والذراع والمكيال .

وقول آخر في الميزان :

« ما تهولون : فيما نزل من السماء ، وخلق في الهواء ، له عين غيباء ، وكف شلاء ، ليس له - إن عدل -

## وَالْحَبَّارَى وَالسَّمَانَى وَالشَّقِيرَاقِ الْمُحَبَّرُ

ثواب ، ولا عليه - إن جار - عقاب - خلق من ثلاثة أحناس ، تصعفه الأفاص . جسده طار من غير لباس ، أخرس اللسان ، في أذنه خرسان ، مكرر الذكر في القرآن ، ينطوى - إذا نام - كالصل ، وفعله المستقبل . مثل ، وله في الآخرة أكبر محل .

وقول ابن الرومي في فتيلة السراج :

« ماحية في رأسها درة تسح في بحر قليل المدى ؟

إن غبت كالشمى حاضراً وإن بدت لاح طريق الهدى ! »

وقول السري الرفاء في شبكة الصياد :

« وكثيرة الأحداق ، إلا أنها عياء ، مالم تنعس في ماء

وإذا هي انصست أفادت ربها ما لا ينال بأعين البصراء . »

وقول آخر في النوم :

« وحامل يحملني وما له شخص يرى !

إذا حصلت فوقه وهو لديد المتطى

سريت لا أدري أرى أرض سريت ؟ أمهما ؟ »

وقول المعري في ركابي السرح :

« خليلان يطا في حوان مجلس حصاراه قدام له ووراء

مق يصع الرحلين ماش علمها يرل عنه - في وشك - حفا وحفاء . »

قوله : « خليلان » لتشابههما ، واغسل : « السرج » ، وحداراه : « قروبسه » و « رادته » والحفا مقصور : « وجع الرجل » وممدود ، من مشى الرجل حافياً بغير نعل .

وقوله في الملح :

« وبيضاء - من سر الملاح - ملكنها فلما قضت إراني حوت بها صهي

فاتوا بها مستمتتين ، ولم تزل نختم - بعد الطعام - على الشرب . »

قوله : سرأي : « حاصة » والملاح : جمع ملح ، والارب : الحاجة . وقول آخر في الحرب .

« ما ذات شوك لها حمام يحطط لباس عن قريب

وهي عقيم ، ترى بينها من يب مرد ، وبين شيب

ياكل بعض النوى يمساً طلوع شمس إلى عروب

تصنيفها الداء - تير شك - قد يحسم الداء بالطبيب

والداء مذكوسه مكان يصلح للطائر الجيب

يعرفها من يكون طبا بالشعر والنحو والعرب . »

فهذا لفر مسمى في الحرب ، وشوكها : « السلاح » ، وجناحها : « جابها » ، ونقم لأنها لا تلد ،

وبنوها : « رحالها » وأكلهم : « قناهم . » ، وتصنيفها : « الجرب » وعكسه : « برج »

وقول آخر في البثني :

« وما أخوان مشبهان جدا كما أشبه الغراب والغراب »



## ثُمَّ سَأَلْنَ بَعْدَهَا الْبَا زِيَّ إِنْ حَلَّ فَصَرَصَرُ

يصــــمهما على مر الليالى - وما احتما ، ولا افترا - إهاب  
لذاك ، وذا ، دموع هاملات ، ولكن كل دمهما شراب  
يصونهما عن الأنصار - دين - ويضرب - دون نيلهما - حجاب .  
وهما ثديا المرأة ، ويضمهما إهاب ، وهو : « الجلد »  
وقول آخر في الفح :

« وما ميت كفتته ودنته مقام إلى حي صحيح فأوثقه . »

وقول آخر في الصدى :

« وساكن يسكن في الفلاة ليس من الوحش ولا الثبات  
ولا من الجبل ، ولا الحيات ، ولا الحيام الشعر والأبيات  
ولا بدى جسم ولا حياة كلا ، ولا يدرك بالصفات  
بلى ، له صوت من الأصوات يسمع في الأحيان والأوقات . »  
وقد ذكر اليربى أمثلة كثيرة من هذه الأنواع وأشباهاها ، ثم قال :

مسائل العويس

وعما يتصل بهذا الباب مسائل العويس .

فمن ذلك قولهم :

« امرأتان التقنا برجلين ، قالتا لهما : «مرحبا بابنينا وزوجينا ، واهي زوجينا . »  
وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأمر الآخر ، فهما اسامها وزوجاهما وابنا زوجها  
وقولهم :

« رجلان كل واحد منهما عم الآخر وابن أخيه . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأمر الآخر ، ففرز كل واحد منهما ولدا ، فكل من الولدين عم  
الآخر وابن أخيه .

وقولهم :

« رجلان ، كل واحد منهما خال الآخر وابن أخته »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة الآخر ، ففرز كل واحد منهما ولدا ، فكل من ولديهما خال  
الآخر وابن أخته .

وقولهم :

« رجل وامرأتان ، هو خال إحداهما وهي خالته ، وهم الأخرى وهي عمته . »

وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه ، وأخته لأبيه تزوجت بأب أمه ، فولدتا بنتين ، فبنت أخته  
خالته ، وهو خالها ، وبنت جدته عمته وهو عمها .

وهذا أصل الأبيات المنظومة في ذلك :

« ولي خالته وأنا خالها ، ولي عمه وأنا عمها . »

## مَعَهُ الطَّائِسُ وَالَّذِي إِذَا بِالصَّبْحِ بَشَرَ

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته »  
وذلك أن كل واحد من أبيهما تزوج بأخت الآخر ، فدرق كل منهما ولدا ، فكل من ولبيها ابن خال  
الآخر وابن عمته .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر . »  
وذلك أن كل واحد من أبيهما تزوج بأم أب الآخر ، فكل من أولادها عم أب الآخر .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر . »  
وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بأبئة ابن الآخر ، فكل من أولادها عم أم الآخر .

وقوله :

« رجلان ، كل واحد منهما خال أم الآخر . »  
وذلك أن كل واحد من أبيهما تزوج بأبئة بنت الآخر فكل من أولادها خال أم الآخر .

وقوله :

« رجلان أحدهما عم الآخر ، والآخر حله » وذلك أن رجلاين تزوج أحدهما امرأة ، وتزوج الآخر ابنة  
انها ، فولد لكل منهما ولد فان الأب عم ابن الابن ، وابن الابن من أم امرأة الأب هو أخوها وخال ابنها .

وقوله :

« رجلان ، أحدهما عم الآخر وخله ، والآخر ابن أخيه وابن أخته »  
وذلك : أن رجلا له أم وأخت وأم ، فزوج أمه لأبيه ، وأخته لأمه ، فأولدها ولدا ، وهما كذلك .  
وقد طلب الهمداني من الخوارزمي - أثناء مناظرته المنهورة - أن يكتب كتابا جاليا من الحروف العواطل ،  
وآخر أوائل سطوره كلها ميم وآخرها كلها حم الخ « صمى الخوارزمي ذلك شعبدة . وصدق في تسميته  
كل الصدق .

وما أحدر هذا الوصف بأمثال هذه الألهب الكلامية .

ألعاز الحريري

ومن ألعاز الحريري الذي اقتفى أثر الخوارزمي في مقاماته قوله في المقامة الخامسة عشرة :

« أيها العالم الفقيه الذي فا ق دكاه ، فإله من شبه

أحنا في قضية ، حاد عنها كل قاض ، وحار كل فقيه :

رجل مات عن أخ مسلم حرّ تقى من أمه وأبيه

وله زوجة ، لها - أيها الجبر أخ خالسه بلا تمويه

فحوت مرضها ، وحاز أخوها ما تقى بالارث دون أخيه

فأشفا بالجواب عما سألنا فهو لنس ، لا خلف يوجد فيه . »

ثم حل هذا اللغز بقوله :

« قل لمن يلدو المسائل : إني كاشف سرّها الذي تخفيه

إن ذا الميت الذي قدم الفرع ع أخا همسه عن ابن أبيه

## تَلَوُهُ الْقَمَرِيُّ مَهْمَا رَدَّدَ السَّجْعَ فَقَرَّرَ

رجل زوج ابنه - عن رصاه - بحمالة له ، ولا غرو فيه  
ثم مات ابنه ، وقد علقت منه ، فجاءت نابت يسر دويه  
مهر ابن ابنه - يعبر مرء - وأخو عرسه ، بلا تمويه  
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجسد ، وأولى نازحه من أخيه  
فلذا - حين مات - أوجب لازو جة ، فمن التراث تستوفيه  
وحوى ابن ابنه - الذى هو فى الأصل - أخوها - من أمها بانيه  
وتغلى الأغ الشفيق ، من الارث ، وقلنا : يكفيك أن تبكيه  
هاك مى الفتيا التى يحتذى كل قاض يقضى ، وكل فقيه .  
المقامة الشتوية

وقوله فى المقامة الشتوية .

«عدى أطاحب أدويها - بلا كذب - عن العيان - فكنونى : أبا المحب  
رأيت يا قوم ، أقواما عداؤهم بول المجور ، وما أعى ابنة العنب .»  
« بول المعجوز » لين البقرة ، واحجوز أيضاً من أساء الحر .  
« ومستين من الأعراف قوتهم أن يشتنوا حرقة نعى من السفب .»  
« الحرقة » القضاة من الحراد .

« وفادرين - متى ما ساء صمهم ، أوقصروا فيه - فالوا : الذنب للحطاب .»  
« القادر » الطامح فى القدر والقدير المطوح فيها .  
« وككاتبين وما خطت أناملهم حرما ولا قرؤا ماخط فى الكتب .»  
« السكاتبون » الحرارون يقال كتب السقاء والمرادة إذا حرزهما وكتب البعلة أو النافقة إذا جمع شفرهما  
وحاطهما . قال الشاعر :

« لا تأمن دراريا حلوت به على قلوبك واكتبها بأسيار .»  
« وتاسين عقابا فى مسيرهم على تكميمهم فى البيض واليب .»  
« العقاب » الراية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب .  
« ومتندين ذوى نسل بدت لهم نبيلة فانشوا منها إلى الحرب .»  
« النبيلة » الجيفة ومه تسل العير إذا مات وأروح يعنى تن .  
« وعصبة لم تر الليث المتيق وقد حب جثيا بلا شك على الركب .»  
معنى « حجت جثيا » أى غلبت بالحجة مجاديين جاثين على الركب وجئى جمع جاث .  
« وسوة بعد ما أدلجن من حلب صبحن كاطمة من غير ما لعب .»  
« كاطمة » فى هذا الموضع من كظم التيفظ .  
« ومدبلجن سروا من أرض كاطمة فأصبحوا حين لاح الصبح فى حلب .»  
« فى حلب » أى أصبحوا يحملون اللس .

« وبادماً لم يلاسن قط غائبة شاهدته وله نذل من العقب .»  
« الذبل » مهنا العدو . قال تعالى : « وهم من كل حذب ينسلون » « والعقب » مؤخر القدم

## نُمِ نَادِ الْحَقِّ وَالرَّاءِ لَ، لَعَلَّ السَّرَّ يَظْهَرُ

- « وشائبا مير مخف للشيب بدا في البدو وهو قى السن لم يشب . »
- « الثالث » ههنا مازج الابين و « الشيب » اللين المروج ويقال فيه مشيب ومشوب .
- « ومرصصاً بلبات لم يفه فقه رأيته وشجار بين السب . »
- « الشجار » المحمة مالم تكن مظلة ، فان ظلت فهو المودج ، والسب ههنا الجبل ، ومنه قوله تعالى — فليمدد بسبب إلى السماء —
- « وزاروا ذرة حتى إذا حصدت صارت غيراء يهواها أخوالطرب . »
- « الميراء » المسكر المتخذ من الذرة يسى أيضا السكركة ، وفي الحديث : لما لم والفيراء فانها حمر العالم .
- « وراكماً وهو معلول على درس قد غل أيضا ومايفك من خيب . »
- « المنلول » ههنا العطشان ، وغل أى عطش .
- « ودا يد طلق يقتاد راحلة — مستجلاً وهو مأسور أحو كرب . »
- « للمأسور » الذى يجيد الأسر وهو احتباس البول .
- « وجالسا ماشياً تهوى مطيته به ، وما فى الذى أوردت من رب . »
- « الجالس » الآلى نحداً والماشى الذى كثر ماشيته ، وعليه سر بعضهم قوله تعالى — أن امشوا كأنه دعاء لهم بكثرة المشية والنماء والبركة .
- « وحائكا أعدم الكفين ذا حرس فان عجزكم مكم فى الخلق من عجز . »
- « الحائك » ههنا الذى إذا مشى حرك منكبيه ولحج بين ركبتيه .
- « ودا شطاط — كصدر الرمح قائمه — صادفته بمى يشكر من الحدب . »
- « الحدب » ما ارتفع من الأرض .
- « وساعياً فى مسرات الأنام يرى إمرأهم مأثماً كالظلم والكذب . »
- « إمرأهم » إثمهم بالدين ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يترك فى الاسلام مفرح أى منقل من الدين أر يقضى عنه دينه . »
- « وممرماً بمنحاة الرجال له وماله فى حديث الخلق من أرب . »
- « الخلق » ههنا الكذب ، ومنه قوله تعالى — إن هذا إلا خلق الأولين .
- « وذا ذمام رفت بالمهد دمه ولادمام له فى مدمب العرب . »
- « الذمام » الثانى جمع ذمة ، وهى البثر القليلة الماء وعى بالمذهب المذك أى ماله آثار قليلة الماء فى البدو .
- « وذا قوى ما استقيات قط لينته ولينه متقين غير شتعب . »
- « اللين » نجيل الدقل ، ومنه قوله تعالى — ما قدعتم من لينه —
- « وساعداً فوق لخل غير مكثرت بما أنى ، بل يراه أفصل الغرب . »
- « الفعل » الحصير المتحد من لخال النحل .
- « وطادراً مؤلماً من ظن يعذره — مع التلطف — والممنور وصحب . »
- « الماذر » الخاتى « والممنور » المختون .
- « وبلدة ما بها ماء لبترف ، والماء يجرى عليها جرى منسرب . »

## وَتَعَيَّفَ مَا لَدَى الْقَبْجَيْنِ مِنْ خَافٍ سَيَظْهَرُ

- « البلدة » الفرحة بين الحاجبين وتسمى أيضاً البلدة .  
 « قرية - دون الخوص القفا - شجنت بديلم عيشهم من خلسة السلب . »  
 « القرية » بيت النمل « والديلم » النمل الكثير « وخلسة السلب » لحاء الشجر .  
 « وكوكباً يتوارى عند رؤيته الانسان حتى يرى في أسمع الحب . »  
 « الكوكب » السكنة البيضاء التي تحدث في العين « والاسان » ههنا إنسان الدين .  
 « وروثة قوت مالاله خطر - ونفس صاحبها بالمال لم تقاب . »  
 « الروثة » مقدم الأنثى .  
 وصحفة من نصار حالس ، شريت - بعد الملكاس - بغير اطمس الذهب .  
 « النصار » هاهنا شجر السبع ، ومنه قول بعض التاميين : « لأبأس أن يضر في قدح النصار » عى به هذا .  
 « ومستحيشاً عشت - جاش ليدمع ما أطله من أعاديه فلم يحى . »  
 « الحشعاش » الجماعة عليهم دروع وأسلحة .  
 « وطالما مرّ في كب وفي ده ثور ، ولكه ثور بلا ذنب . »  
 « الثور » القطعة من الانط ( وهو نوع من الجبن )  
 « وكم رأى ناطرى فيلا على حمل وقد تورك فوق الرحل والقمب . »  
 « الفيل » الرحل الفائق الرأى .  
 « وكم لقيت - عرض اليد - مشتكى وما اشتكى قط في حدّ ولا امب . »  
 « المشتكى » المتحد شكوة وهي القرية الصميرة .  
 « وكنت أصرّت كراراً لرعاية - الدوّ - ينغار من ديبين كالشهم . »  
 « الكرّار » كبش يعمل عليه الراعي أداته .  
 « وكم رأيت مقلّتي عيني - ماؤها يحرى من الرب - والعينان في حلب . »  
 « العرب » مجرى الدمع « والعينان » المفلتان .  
 « وصادعاً بالقفا من غير أن عاقت كفاه يوماً برمع لا ولم يثب . »  
 « القفا » ارتفاع الأنف وتحذب وسطه « وصدع به » أى كشفه .  
 « وكم تركت بأرض - لا تخيل بها - وسعد يوم رأيت البسر في القفا . »  
 « البسر » جمع بسرة وهو الماء الحديث العهد بالمطر « والقفا » جمع قلب .  
 « وكم رأيت - بأقطار القفا - طبقا يطير في الجوّ مصباً إلى صب . »  
 « الطبّق » النقطعة من الجراد .  
 « وكم مشاخ - في الدنيا - رأيتهم مخلدن ، ومن ينحو من العطب ؟ »  
 « المخلد » الذى أبطأ شبيهه .  
 « وكم بدالى وحش - يشتكى سفا - بمنطق ذائق أمضى من القضب . »  
 « الوحش » الرجل الجائع .  
 « وكم دعاني مستنج مخادنى وما أخله ولا أخلت بالأدب . »

## نُمُّ عُدِّ لِلنَّسْرِ وَالرَّا لِمُحَا فِي الْأَمْرِ أَكْثَرُ

« المستحي » الحالس على نحوه وهو المكان المرتفع .

« وكُم أُنَحْتُ فُلُوصِي - تحت جبذة - تَطَلَّ مَاشَتْ مِنْ عَجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ . »

« الحبدة » ائمة « والعرب » جمع عروب وهي التحبة إلى زوجها من قوله تعالى - عرباً أثراً -

وكُم طُرت إلى من سرَّ ساعته ودمعه مستهل العطر كالسحب .

« سرَّ » أى قطع سرره ويسمى ما يقي بعد القطع السرّة .

« وكُم رأيت قيصاً ضرّاً صاحبه حتى اننى واهى الأعداء والمصعب . »

« القميص » الدابة الكثيرة القدوس وهو الوثوب والقفز .

« وكُم إزار لو أن الدهر أتلهه لحبّ لد حثيث السير مضطرب . »

« الارار » المرأة ، ومنه قول الشاعر :

\* مدى لك من أخى ثقة إزارى \*

نم يقول في حتام قصيدته :

« هذا وكُم من أمانين معجّة عدى ، ومن ملح تلهى ومن نخب

فان نظمتم لحن النول بان لكم صدق ودلكم طلى على رطبي

وإن شدهم ، فالمار - فيه - على من لا يميز بين النع والغرب . »

المقامة النحرانية

وقوله - في المقامة النحرانية - في مروحة الحبش ، وهي ثياب حشة من الكتان تستعمل في العراق تكون

شبه فراع السفينة ، تعلق في سقف البيت ، ويعدل لها حل منها - تجر به - وتل بالماء ، وترش بماء

الورد ، إذا أراد الزحل النوم ، حشد حبائها ، فيب منها نسيم بارد طيب يذهب أدنى الحر ، ويستطاب

مها النوم ، وقد أُلز فيها الحريرى بقوله :

« وجاريه في سيرها - مشمعه ولكن - تلى إثر المسير - قفوها

لها سائق - من حسنها - يستحبها ، على أنه - في الاختناث - رسيها

ترى - في أوان الفيط - تطلف بالدى ، ويدو - إذا زلى المصيف - قفوها . »

وقوله ملأنا في حابل النمل ، وهو الحل الذى يصعد به النمل ، ويتحد من اللحاء أى ليب النمل .

« ومتنب إلى أم تنشأ أصله منها

يعانفها ، وقد كانت بعته - برمة - عنرا

به يتوصل الحاني ، ولا يلحى ، ولا ينهى . »

وقوله - ملأنا في القلم :-

« ومأموم ، به عرف الامام كما باهت نصيبته الكرام

له - إذ يرتوى - طيشان صاد ويسكن حين يمرؤه الأوام

ويدرى - حين يستقي - دموا يرقى ، كما يروق الانقسام . »

وقوله ملأنا في المروء الذى يكتحل به :

« وما ناكح أخنين جبراً وخفية ، وليس عليه - في النكاح - سبيل ؟

دُمُ مَقِي بِشْ هُنْى بِشْ - في الحال هذه ، وإن مال به لم تجسده ميل

## وَأَنْزَجِرَ الْمُعَقَّقَ - حَقَّى الزَّجْرَ - إِنَّ الطَّيْرَ تُزَجَّرُ

وقوله - ملزماً في الدولاب :-

«وجاف، وهو موصول ووصول ليس بالحاف  
غريق بارر، فأعجب له، من راس طاف  
يسج دموع موصوم وبضم هضم متلاف  
وتخفى منه حدته ولكن قلبه صاف.»

إلى آخر هذه الألفاظ التي تراها في هذه المقامة .

### المقامة الملطية

وانظر قوله - في مقامته الملطية :

«يامس - إذا - أشكل المسمى جلته أفكاره الغالية

إن قال يوما لك المحامى : «خذ تلك» ماثله حقيقة.»

وهو يعنى بذلك كلمة : «هاتيك» وها للتنبيه ويعمى حد، وتيك أى تلك .

وقوله : ماذا مثال قولهم : «حار وحش ربنا .»

يعنى كلمة «فرازين» والدر حمار الوحش .

وقوله : ما مثل قولك للدى حاشاك : «أفنى تقمع»

يعنى كلمة «متقم» من : الأسر من مان يعون، تم مصارع وقم، من الوقم وهو الادلال .

وقوله : ما مثل قولك للدى أضفى يحامى : «فط ملكى»

ومثله : «صبور» من الأسر من الصون، والور : الهلكى

وقوله : ماذا يماثل قولى : «استنش ريح مدامه»

ومثله : «رحراح» رح استنشق الرائحة، والراح : الجر .

وقوله : «سار بالليل مدة» أى شئ، مثله ؟

ومثله : «سراحين» سرى سار ليلا، وحين : مدة .

وقوله : لك البيان، عين، ماثل : «أحبيب فروقه»

ومثله : «مقلاع» من : الأسر من وسق : أى أحب، واللاع : الجبان .

وقوله : ما مثل قولك «أعط اب - ريقا يلوح بغير عروة»

ومثله : «أسكوب» أس : الأسر من الأوس، وهو الاعطاء، والسكر : الابريق بغير عروة

وقوله : ما مثل قولك للدا حتى ذى الدكاء : «الثور ملكى»

ومثله «اللالى» واللاى : ثور الوحش .

وقوله : ماذا مثال : «صمير حنقلة» بينه تديانا يتم به .

ومثله «مكاشمة» والمكاء : الصغير .

وقوله «ماذا يماثل قولى : جوع أمد بزاد ؟»

يعنى «طوامير»، طوى : جوع ومير : من ماره الطعام، وهو مثل قوله : أمد بزاد .

وقوله : ما مثل قول المحامى : «طهر أصابته عين ؟»

يعنى : «مطاهين» جمع مطعون، ومطأ مثل ظهر، وعين - من عاه أى أصابه بالعين .

## وَلَيْلِ الرَّالِ سُمَانِي وَشِقِرَاقِ تَأْخَرِ

- وقوله : ما مثل قولك للدي حابيت : صاف جائزه ؟ «  
ومثله « العاصلة » وهي الحائلة بين الشيتين صد الواصلة وكله إلى مثل صاف وتكتب بالياء إذا  
انفردت ، وصلة : حائرة أو عطية .  
وقوله : ألا اكشف لي مامل : « تناول ألف دينار »  
ومثله : « هادية » تأييت الهادي ، والعق أيضا ، ومعنى ها : حد وتناول ، وديه هي ما يعطى لأهل  
القتيل ، وهي من الذهب ألف دينار .  
وقوله : مامل : « أهمل حلية » بين هـ - يت - وعمل .  
ومثله : « الناشية » وهي اسم لمن يشي الرجل من الأصياف ، وناشية السرج ما ينفطى به ومعنى النى  
أناطل وشية : حلية «  
وقوله : مامل قولك - للدي أنصحي بحايك : « اكعب اكعب . »  
ومثله : « مهمه » وهو الصعراء ، ومعنى مه : اكعب وتكررها للتأكيد .  
وقوله : بين - هارلت دا بيان - مامل قولى : « الشقيق أملت »  
ومثله : « أخطار » -- جمع خطر ، وهو ما يؤدي إلى الهلاك ، وإذا فصلت كان : « أخ » من معانيه  
الشقيق ، وطار : أدلت .  
وقوله : مامل قولك المعنا سى دى الحجي : « ما اختار فضه »  
ومثله « أبارقه » جمع ابريق ، وإذا فصلت كانت أنى أى ما اختار ، ورقة : اسم من أسماء الفضة .  
وقوله : أوصح لنا ما مثل قولى لك للمحاسي : « دس حماته »  
ومثله : « طاية » وهي ما يطعمو نلى الماء ، وطأ : أمر من وطئ ، والفتة : الجماعة .  
وقوله أنت المهن ، نقل لنا مامل قولى : « خالى اسكت . »  
ومثله : « حالصة » أى حال صه ، ومعناها خالى اسكت .  
وقوله فى مقامته الدائمة فى حوار طويل بين قتيهين .  
- ما تقول بين توضحاً ثم لمس طهر نعله ؟  
- انتقص رصوه بفعله .  
يعنى من لمس زوجته .  
- هان توضحاً ثم أنكاه البرد ؟  
- يحدد الوضوء من بعد ؟  
يعنى بالبرد : النوم  
- أيمسح المتوضئ أثنيه ؟  
- قد ندد إليه ، ولم يوجب عليه .  
يعنى : الأدنين .  
- أيجوز الوضوء مما يقذه انتمعا ،  
- وهل أنظف منه للعريال



## لَكَ ذِهْنٌ - بِالَّذِي فِي الشَّعْرِ مِنْ خَبءٍ - سَيَشْعُرُ

- يعنى : جمع ثعب ، وهو مسيل الوادى .  
 - أيسقيح ماء الضرير ؟  
 - نعم ، ويخفف ماء البصير .  
 يعنى بالضرير : حرف الوادى ، وبالْبَصِير : السكب .  
 - أيجل التطوف فى الربيع ؟  
 - يكره ذاك للحدث الشنيع  
 يعنى بالتطوف : التمتع ، وبالربيع : النهر الصغير .  
 - أيجب السبل على من أمضى ؟  
 - لا ، ولو نبى .  
 يعنى : من نزل « منى »  
 - هل يجب على الحنبل غسل فروته ؟  
 - أحل ، وغسل اترته .  
 يعنى بالفروة حلدة الرأس ، وبالبقرة عظم المرقى .  
 وهكذا إلى أن استوفى مائة مسألة من هذا النوع .

### المقامة النحوية

وقوله فى المقامة الرابعة والعشرين :

فاكدة هى - إن شئت - حرف شوب ، أو اسم لما فيه حرف حلوب ، وأى اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم ، وأية هاء - إذا التفتت أمانت النفل ، وأطلقت المنقل ، وأين تدخل السين فتعزل العامل من غير أن تحامل ، وما منصوب أبداً على الظرف ، لا يحفظه سوى حرف ، وأى مصاف أدخل من عرى الاضافة يعرّوه ، واختلف حكمه بين مساء وغدوة ، وما العامل الذى يصل آخره بأوله ، ويعمل مكوسه مثل عمله ، وأى عامل نائبه أرحب منه وكراً ، وأكثراً - تعالى - ذكرأ ؟ وفى أى موطن تلبس الذكران ، رافع النسوان ؟ وتبرز ربان المحال ، بسائم الرجال ؟ وأين يجب حفظ المراتب ، على المضروب والضارب ؟ وما اسم لا يعرف إلا باستضافة كلمتين ، أو الاقتصار منه على حرفين ، وفى وضعه التزام ، وفى الثاقب إلزام ؟ وما وصف - إذا أردت بالون - تقص صاحبه فى الصيون ، وقوم بالدون ، وخرج من الزبون وتمرض للهون .

وقد مره بقوله :

« أما الكلمة التى هى حرف شوب ، أو اسم لما فيه حرف حلوب » يعنى نعم . إن .

( وأما الكلمة التى هى حرف شوب أو اسم لما فيه حرف حلوب ) فهى اسم لأن اردت بها تصديق الأخبار أو السدة عند السؤال يعنى حرف وإن عنيبت بها الابل فهى اسم والتمتع تذكر وتؤنث ، وتطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها إبل ، وفى الابل الحرف وهى الناقة الضامرة سميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيب ، وقيل أنها النسخة تشبيهاً لها بحرف الجبل ( وأما الاسم المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم ) فهو سراويل . قال بعضهم هو واحد وجميع سراويلات ، فعلى هذا القول هو فرد وكفى عن منعه الحصر بأنه حازم ، وقال آخرون بل هو جمع واحده سراويل مثل شلال وشماليل ، وسربال وسراويل ، فهو على

## فَتَمَّامِلُ مَا أَتَبَّرَى فِكْرِي لَهُ ، ثُمَّ تَدَبَّرَ

هذا القول جمع ، ومعنى قوله ملازم أى لا يصرف وإعمال يصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه ألب ويسددها حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن لثقله وتعرده دون غيره من المجموع بأن لا نظير له فى الأسماء الآحاد ، وقد كفى فى هذه الأحجية عمالا يصرف باللام كما كفى فى التى قبلها عما ينصرف باللازم ( وأما الهاء التى إذا التفتت أμάτων الثقل وأطقت المعتقل ) معى الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صيارفة وصباغة ينصرف هذا الجمع عند الحاق الهاء به لأنها قد أصارت له إلى أمثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية فطب بهذا السبب وحرف لهذه الالة ، وقد كفى هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كفى فى التى قبلها عما لا ينصرف باللام ( وأما السبب الذى نعمل العامل من غير أن تحامل ) فمعى التى تدخل على العمل المستقل وتوصل بينه وبين أن التى كانت قبل دحوها من أدوات الصب ويرتفع حينئذ الفعل وتنقل أن عن كونها الخاصة للعمل إلى أن تصبح الجمعية من الثقلية ، وذلك كقوله تعالى - علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون ( وأما المصوب على الطرف الذى لا يخصص سوى حرف ) فهو عند إد لا يمر غير من حاصة وقول العامة ذهبت إلى عنده لحن ( وأما المصاف الذى أحل من مرى الاضافة بمرودة واختلف حكمه بين مساء وغدوة ) فهو لدن ولدن من الأسماء الملازمة للاضافة وكل ما يأتى بعدها مجرور بها إلا غدوة ، فإن العرب بصحتها ولدن لكثرة استعمالهم إياها فى الكلام ، ثم نوتها أيضا ليقيم بذلك أنها منصوبة لأنها من نوع المجزورات التى لا تنصرف ، وعند بعض النحويين أن لدن معى عند والصحيح أن بينها فرقا لطيفا وهو أن عند يشتدل معاها على مامو فى ملكك وممكنك مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرت منك ( وأما العامل الذى يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله ) فهو يا ومعكوسها أى وكلاهما من حروف الداء وصلهما ما فى الاسم المادى سيات وإن كانت يا أحول فى الكلام وأكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادى بأى الغرب فقط كالفزة ( وأما العامل الذى نائيه أرحب منه وكرا ، وأعظم مكرأ ، وأكثر لله تعالى ذكرا ) فهو باء القسم وهذه الباء هى أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولك : أقسم بالله ، ولدحوها أيضا على المصير كقولك لك لأفعلن ، وإنما أبدلت الواو منها فى القسم لأنها من حروف الشفء ، ثم لتقارب معانيهما لأن الواو تنفد الجمع والباء تعيد الالتصاق ، وكلاهما متفق والمعتبان متقاربان ، ثم صارت الواو المسدلة من الباء أدورى فى الكلام وأغلق بالأقسام ، ولهذا أمر بأنها أكثر لله تعالى ذكرا . ثم إن الواو أكثر موطا من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والوار تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة بضمها ررت وتنظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف ، ولهذا وصفها بربح الوكر وعظم المسكر ( وأما اللوطى الذى يليس به الذكر أن رافع النسوان وتبريه ويات الحجال معانم الرجال ) فهو مراتب العدد للمصاف ، وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فانه يكون مع الذكر بالهاء ومع المؤنث بمجنفها كقوله تعالى - سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام - والهاء فى غير هذا الوطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة ، وطالم وطالة ، وقد رأيت كيف انعكس فى هذا الوطن حكم للذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما فى ضد قاله ورز فى بزة صاحبه ( وأما الموضع الذى يجب فيه حفظ الراءب على المضروب والضاير ) فهو حيث يشبهه الفاعل بالفعل ليعز ظهور علامة الاعراب فيها أو فى إحداها ، وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وهىس أو من أسماء الاشارة نحو ذاك ، وهذا فيجب حينئذ لازالة الهمس لإقرار

## وَأَعْتَقِدْ أَنِّي فِي «نَمِّ» كَمَنْ خَطَّ فَسَطْرًا

كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره ( وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كائنين أو بالاعتصار منه على حرفين ) فهو مهيا وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي هي بمعنى أكف ومن ما ، والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فريدت عليها ما أخرى كما تزداد ما على أن ، فصار لفظها ما ما ، فنقل عليهم توالي كائنين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهيا ، ومهيا من أدوات الفرط والحزاء ومضى لمطت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كائنين بعدها كقولك مهيا تعمل أعمل وتكون حيثن ملزما للقول ، وإن انتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى أكف فهم المعنى وكنت ملزما من حاطبة أن يكف ( وأما الوصف الذي أردف بالتون نقص صاحبه في الميول وقوم بالدون وخرج من الربوون وتعرض للوون ) فهو صيب إذا لحقته النون استحال إلى ضيعين وهو الذي يتبع الصيب وينزل في القدر منزلة الريف .

ومن ألا عيب الحريري قوله في مقامة أخرى - مما يقرأ طردا وعكسا في مقامته المعرية :

« لم أحال ، كبر رجاء آخر دنك ، من ير إذا بر ينم ، سكت كل من نَمَّ لك تكس » وقوله :

« أس أرملا - إذا عرا وارع إذا المرء أسا

أسد أحا نامة أبنت أحاه دنسا

أسل خناب عاشم مشاغب إن حلسا

أسر إذا هب مرا وارم به ، إذا رسا

اسكن تنو ، ففسى يسف وقت نكسا . »

### المقامة القهقرية

وقوله في مقامته القهقرية :

« أتمر فون رسالة أرضها ساءوها ، صسحها مساؤها ، نسجت على منوالين ، وتخلت في لوبين ، ووصلت إلى جهتين ، وبدت ذات وجهين .

إن بزعت من مفرقتها ، فناهيك بروقتها ، وإن طلعت من مدربها ، فيا لمعجبا »

وهذه الرسالة التي تقرأ من أولها كما تقرأ من آخرها هي :

« الإنسان صنعة الأحسان ، ورب الجمل فعل الندب ، وشيبة الحر ذخيرة الخلد ، وكسب الشكر استثمار السعادة ، وعنوان الكرم تبشير البشر ، واستعمال المداراة يوجب المصافاة ، وعقد المحبة يقضي النصح وصدق الحديث حلية اللسان ، وصاحبة المنطق سحر الألباب ، وشرك الهوى آفة النفوس ، وملل الحلائق شين الحلائق ، وسوء الطمع يباين الورع ، والتزام الحراماة زمام السلامة ، وتطلب المثالب شر الماياب ، وتنبع الثمرات يدحص المودات ، وخلوص النية حلاصة العطية ، وتهمة النوال ثمن السؤال ، وتكلف السكف يسهل الخلف ، ويتقن المعونة يمسى المؤونة ، وفضل الصدر ، سمة الصدر ، وزينة الرعاة همت السعاة ، وجزاء الدماغيث المنائح ، ومهر الوسائل ، تشفيق المسائل ، ومجيلة العواية استغراق العاية ، وتجاوز الحد ، يكل الحد ، وتدعى الأدب ، يحبط القرب ، وتناسى الحقوق ، بنفى العقوق ، وتحاشى الرب ، يرفع الرتب ، وارتفاع الأخطار ، لارتفاع الأخطار ، وتنوء الأقدار بمواتاة الأقدار ، وشرف الأعمال ، في تصير الآمال ، وإطالة الفكرة ، تنفيج الحكمة ، ورأس الرياسة ، تهذيب السياسة ، ومع الحاجة ، تلنى الحاجة ، وعبد الأوجال تنفاضل الرجال ، وبغفاضل المهم تنفاوت القيم ، وبغريد السفير ، بين التدبير م وبغلال الأحوال يتبين الأحوال ، وبموجب الصبر ثمرة النصر ، واستحقاقه الاحاد بحسب الاجتهاد ، ووجوب الملاحظة ، كفاء المحافظة ،

## وَتَيَقِّنْ أَنْ مَا يَنْفَكُ أُنْزُومُ سَوْفَ يَقْدَرُ

وصفا للموالى ، بتمدد الموالى ، وتحلى المروءات بحفظ الأمانات ، واختار الاخوان بتعفيف الأحرار ، ووقع الأعداء بكف الأوداء ، وامتنان العقلاء بمقارنة الجهلاء ، وتصبر العواقب بؤن المماط ، واقتناء الشئنة بنشر السمعة ، وفتح السمعة ، وفتح الجفاء بنائى الوفاء ، وحوهر الأحرار عند الأسرار .  
وقوله من خطبة لا يقط فيها ولا إغماء - فى مقامته السمرقندية :-

« الحمد لله المدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم الآواء ، مالك الأمم ، ومصور الرمم ، وأهل السباح والكرم ، ومهلك عاد وإرم ، أدرك كل سر علمه ، ووسع كل مصر حلمه ، وعم كل عالم طوله ، وهد كل مارد حوله ، أحمد محمد موحد مسلم ، وأدعو دطاء مؤهل مسلم ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد ، العادل الصمد ، لا ولد له ولا والد ، ولا رء معه ولا مساعد ، أرسل محمداً للإسلام بهذا الخ »  
وفى مقامته المراجعة - رسالة ، « حروف إحدى كلمتيها يصبها القط وحروف الأخرى - كما يقول - لم يجمعن قط » وهى :

« الكرم - ثنت الله حبش سمودك - برين ، والوؤم - غس الله جفن حسودك - بشين . والأروع يثب ، والمعمور يحب ، والخلاجل يصيف ، والمالحل يحثيف ، والسبح يذى ، والحك يقذى ، والعطاء ينهى ، والمطال يشهى ، والطاء يقي ، والمدح يقي ، والخر يحزى ، والاطاط يحزى ، واطراح دى الحرمة غنى ، ومحرمة بنى الآمال نقى ، وماضى إلا صين ، ولا عين إلا صين ، ولا خرن إلا شقى ، ولا قبض راحة تقي ، وما فى وعدك نقى ، وآراءك تشقى ، وهلاك يصى ، وحلك يفضى ، وآلوك نقى ، وأعداؤك نقى ، وحسامك يفتى الخ الخ . »

وله رسالة شنيئة كتبها - على لسان بعض الأشراء - إلى بعض أصدقائه عتاباً :  
باسم السميع القدوس أستفتح ، وبإسماده أستدج ، سيرة سيدنا الأسفهلار ، السيد البهيس ، سيد الرؤساء ، سيف السلاطين ، حرسى نفسه ، واستنارت شمس ، وانتقى أسه ، وسق عرسه .  
إلى أن يقول :

« وسيف السلاطين مستأثر بأس السباع وحسو الكؤس  
سلاى ، وليس لاس السلاى يناسب حسن سمات القيس  
وسن تناسى حلاسه - وأسوا السجايا تناسى الخليس  
وسر حسودى نظمى الرسوم ، وطس الرسوم كرمس القوس  
وساقى الحسام بكأس السلاف ، وأسهى بموس وبوس . »

إلى آخر القصيدة .

ورسالة شنيئة ، وهى التى كتبها لأحد أصدقائه يمدحه فيها ، وفيها يقول :

« بارشاد المننى أننى ، شقى بالشبح شمس الشعراء ، رش مماشه ، وفشا رياشه ، وأشرق شهابه ، واعشوشبت شهابه ، يشاكل شمع المننى بالفضوى ، والرائقى بالرشوى ، والشادن بمرخ الشباب ، والمطشان إلى شيم الشراء ، وشكرى لتحشمه ومشفته ، وشواهد شفقه ، يشاكل شكر الشاهد للشد ، وللمترشد للرشد ، والمشتعر للبهير ، والمستحش للحيث المشمر ، وشماوى إنشاد شمرة ، وإشجابه الكاشع والمكاشع بنمرة »

وهكذا إلى أن قال :

« فأشعاره مشهورة ، ومشاغره وعفرته مشكورة ، وعشارته  
شأى الشعراء المشعنين شمرة .  
شانيه مشجو الحشا ، ومشاغره  
أشوه ترقيش المرتش رفته ، فأشباعه يشكونه ، ومعاقره »

## إلى المعتمد على الله

« وكتب أيضا رحمه الله إليه أبده الله . »

يَأْتِيهَا الظَّافِرُ نِلْتَ الْمُنَى      وَلَا يَنْلُنَا فِيكَ مَحْذُورُ  
إِنْ الْخِلَالَ الزُّهْرَ قَدْ صَمَّهَا      تَوْبُ عَلَيْكَ - الدَّهْرُ - مَزْرُورُ  
لَا زَالَ الْمَجْدِ الَّذِي شِدَّتُهُ      رَنَجٌ - بِتَعْمِيرِكَ - مَعْمُورُ  
حَتَّى يُوفَى فِيكَ مَا يَنْتَهَى      مُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ مَنْصُورُ

\* \* \*

وَأَفَاكَ نَظْمٌ - لِي فِي طَيْهِ -      مَعْنَى مُعْنَى اللَّفْظِ مَسْتُورُ  
مَرَامُهُ يَصْنَعُ ، مَا لَمْ يَبْغُ      - بِالسَّرِّ قُمْرِي <sup>(١)</sup> - وَعُصْفُورُ  
وَبُلْبُلٌ ، ثُمَّ يَكْرَهُ اللَّذَا      تَقَدَّمَا ، فَالْفُظُّ مَكْرُورُ  
ثُمَّ تَرَى الْبُلْبُلَ قَدْ حَثَّهُ      نَسْرٌ ، بِهِ الشَّفْنِينُ <sup>(٢)</sup> مَنْسُورُ  
ثُمَّ الْغُرَابُ الْجَوْنُ ، يَتَلَوُّ قُمْرِي      وَدَرَّاجٌ وَزَرْزُورُ

وشاق الشباب الشم والشب وشيه ، فنشوره بهرى المشوق ، وناقره

شماله معشوفة - كشوله - وهرية مستهبر ، وعاشره .

إلى آخر القصيدة .

(١) القمري : طائر حسن الصوت - ويجمع على قمارى - ويقال للذكر منه : الورشان .

قال ابن سيده : « القمري طير صير » وعده - فى المحكم - من الحمام .

وقد زعمو أن القمارى - إذا ماتت دكورها - لم تتزوج لأنثاها .

والورشان - الذى هو ذكر القمري - يوصف بالحنو على أولاده ، حتى أنه ربما قتل نفسه إذا وآما فى

يد القامس ، وقد مر بك فى « ص ١٠٧ » قول ابن زيدون :

« إن تبنى البلبل اهتا ج هتاء الورشات »

(٢) الشفنين - كما فى حياة الحيوان وابن البيطار - نوع من الحمام ، قالوا : « وهو الذى تسميه العامة

بالحمام » وجمه شفانير

ثُمَّ يَلِي الدَّرَاجُ<sup>(١)</sup> - مِنْ بَعْدُ غَزْزٍ<sup>(٢)</sup> نَيْقٍ<sup>(٣)</sup> - وَمُكَّاءُ<sup>(٤)</sup> وَشُرْشُورُ<sup>(٥)</sup>  
وَبَاشِقٍ، ثُمَّ إِذَا حَلَقَ الشَّاهِينَ - وَالْعُصْفُورُ مَذْعُورُ -  
ثُمَّ سَلَّ الْمَكَّاءُ يَصْدُقُكَ، وَالْمُصْفُورَ، وَالْقُمْرِيُّ مَزْجُورُ  
وَإِنْ جَرَى الدَّرَاجُ - فِي إِثْرِهِ الرِّزْزُورُ - فَالْمَطْوِيُّ مَذْشُورُ  
وَتُحْمٌ فَأَعْلَمَ أَنَّ مَوْضُوعَهَا حَرْفٌ، لِفَصْلِ اللَّفْظِ مَقْدُورُ  
وَفِي الَّذِي تَحْمَسْتُ نُصِصْتُ، لِمَنْ جَدَّ - مِنَ الْأَعْدَاءِ - مَشْكُورُ<sup>(٥)</sup>

(١) الدراج - هم الدال - طائر طاهر حاجيه أغبر ، وناطها أسود - في حجم القطا إلا أنه ألطف .  
والحافظ يعمد من جنس الحمام ، لأنه يجمع بيصه تحت حاجه كما يفعل الحمام .  
قالوا : وهو كثير التاج يغير ، بقدم الرع ، وهو يصلح بهوب الشمال وصماء الهواء ، ويسوؤه حاله  
بهوب الجنوب ، حتى لا يقدر على الطيران .  
(٢) الغريق أو المرنوق : طائر مائي ، وقيل هو الكركي أو طائر يشبهه .  
قالوا :  
وهو دون الحمام - في القدر - ولونه الحمرة مع كورة ، وفي صوته ترجيع وتحرن .  
ومن شأنها أنها تحس أصواتها - إذا اختلطت - ومن طعمه أنه إذا فقد أثناء لم يرل - فيما يرحون -  
أهزب إلى أن يموت ، وكذلك الأفي إذا وقعت ذكرها .  
قالوا :  
وهو شديد الاحتراس ، وفيه ألفة للبيوت .

(٣) المكاء : طائر . (٤) الشرشور : طائر يسمى : « البرتش » وجمعه شرشير .  
(٥) واليت المطير في هذه القصيدة هو :

« أنت - إن لم - طافر - فليطع من ينافر . »

ولنص في الجدول التالي أمام كل حرف طائفة على الترتيب الذي ذكره في القصيدة هكذا :

| الحرف | الذات | الحرف | الطائر | الحرف | الطائر | الحرف | الذات |
|-------|-------|-------|--------|-------|--------|-------|-------|
| أ     | قرى   | ع     | سر     | ف     | دراج   | ن     | عصفور |
| ن     | عصفور | ز     | شفين   | ل     | غرينق  | ي     | مكا   |
| ت     | بلل   | ط     | عراب   | ي     | مكا    | ن     | عصفور |
| ا     | قرى   | ا     | قرى    | ط     | شرشور  | ا     | قرى   |
| ن     | عصفور | ف     | دراج   | ع     | باشق   | ف     | دراج  |
| هـ    | بلل   | ر     | زرزور  | م     | شاهين  | ر     | زرزور |

## جواب<sup>(١)</sup>

« جابره ذو الوزارتين رحمه الله . »

حَظِّي - مِنْ نِعْمَاكَ - مَوْفُورٌ      وَذَنْبُ دَهْرِي بِكَ مَغْفُورٌ  
وَجَانِبِي - إِنَّ زَمَنِي رَامَهُ -      حَجَرٌ<sup>(٢)</sup> لَدَى ظِلِّكَ مَحْجُورٌ

\* \*

يَا ابْنَ النَّدَى سِرْبُ الْهَدَى آمِنٌ      مِنْذُ أَنْبَرَى يَحْمِيهِ مَوْفُورٌ

وليعلم القارىء أن الشاهين في قوله : « ثم إذا خلق الشاهين . » ساقط ليس له حرف معناه كغيره من  
طبور القصيدة ، وقد أشار إليه بقوله :

« وثم فاعلم أن موضوعها حرف لفصل اللفظ مقدور . »  
وتدفعه المعتمد ، وجابره بالقصيدة التالية :

« يا حير من يلحظه ناظري ، شهادة ما شأها زور  
ومن إذا ما ليل حطب دجا لاح به - من رأيه - نور  
رأبك - إما شمته - صارم عصب على الأعداء مغمور  
جاءتني الطير التي سرها نظم به قلبي مسرور  
شعر هو السحر ولا تنكروا أنى به - ماعشت - مسحور  
الاعظ والفرطاس - إن شها - قبل هما مسك وكامور  
وإنه لما اعتدى خاطري مسائل جابوب عصافور  
هوى لجيش الطير من فكرتى صقر فول وهو مقهور  
ولاح لى بيت فؤادى له دأنا على ودك مقصور  
حكك من شكركى يا سيدى بما بدا لى منك موفور  
قصرت فى نظمي فاعذر فى صاهاك فى التقصير معذور  
فأنت إن تنظم وتثر فتد أعوز مظلوم ومنثور  
لا يمدكم روض من الحظ فى ال إكرام والترفع ممتور . »

(١) بحث ابن زيدون بهذه القصيدة للمتمد ردا على قصيدته التي ذكرناها في هذه الصفحة .

(٢) الحجر المكف أو الحرام ، يقال : « هذا حجر عليك » أى حوام و « نشأت في حجر فلان »  
أى في كنفه ومنمنه وحفظه وستره .

أَجَبْتُ أَمْرِي بِالَّذِي لَمْ يَزَلْ يُصْنِي إِلَيْهِ مِنْهُ مَأْمُورٌ  
الْبَيْسَ مِنْكَ الْمَلِكُ أَسْنَى الْحَلَى بِظَافِرٍ يَنْمِيهِ مَنْصُورٌ

\* \*

يَا مُرُورَى الْمَأْمُورِ ، يَا بَنَ لَهْ - مَجْدٌ - مَعَ الْأَيَّامِ - مَأْمُورٌ  
عَبْدَكَ - إِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُكْرِهِ - فَهَوَ بِمَا تُؤْلِيهِ مَشْكُورٌ  
إِنْ تَعَفُّ عَنْ تَقْصِيرِهِ مُنْعِمًا فَالَسَّرُو<sup>(١)</sup> أَنْ يُقْبَلَ مَيْسُورٌ  
إِنْ حَلَّالَ السَّخْرِ - إِنْ صُنْعُهُ - فِي مُحِيفِ الْأَنْفُسِ مَسْطُورٌ  
نَظْمٌ زَهَّانٍ مِنْهُ إِذْ جَاءَ نِي - عَلِقَ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَذْخُورٌ  
هَوَى إِلَيْهِ طَرَبًا خَاطِرِي كَمَا تَلَقَى الْوَصْلُ مَهْجُورٌ  
لَا عَرَوْا أَنْ أُفْتِنَ إِذْ لَاحَظْتُ فِكْرِي مِنْهُ أُعِينُ حُورٌ  
تَشِفُّ عَنْ مَعْنَاهُ الْفَاطَةُ كَمَا وَشَى بِالرَّاحِ بَلُورٌ  
جَمِلْتُ - إِذْ عَارَضْتُهُ - غَيْرَ أَنْ لَا بُدَّ أَنْ يَنْفُثَ مَصْدُورٌ

\* \*

يَا آلَ «عَبَادٍ» مُوَالَاةِكُمْ ، زَالِكٌ - مِنَ الْأَعْمَالِ - مَبْرُورٌ  
إِنَّ الَّذِي يَرْجُو مُوَادَاتِكُمْ - مِنَ الْمُنَاوِينَ - لَمَعْرُورٌ  
مَكَانَهُمْ مِنْكُمْ كَمَا أُنْحَطَّ عَنْ مَنَزِلَةِ الْمَرْفُوعِ - مَجْرُورٌ  
يَذْنُو إِلَيْكُمْ مَا نَأَى عَنْكُمْ إِنَّ الْعُلَى مِنْ أَنْسِهِ نُورٌ  
لَا زِلْمٌ تَشَاوَنَهُمْ مَا انْجَلَى - عَنْ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ - دَيْجُورٌ  
وَلَا يَزَلْ يَخْرِي - بِإِرَائِكُمْ أَعْمَارُهُمْ - لِلَّهِ مَقْدُورٌ



## إلى المعتمد

« وكتب أيضا رحمه الله إليه أبده الله »

يَا مُرْضِيَا كُلَّ خَدَمٍ      وَمُرْوِيَا كُلَّ لَهْذَمٍ  
وَيَا سَمِيَّ الْمَصَلَّى      عَلَى أَشْمِهِ وَالْمُسَلَّمِ  
وَيَا ابْنَ أَعْظَمِ مَنْ هَا      بِهِ الْمُلُوكُ وَأَكْرَمِ  
وَأَفَاكٍ - لِلطَّيْرِ - سِرْبٍ      لَدَيْهِ سِرٌّ مُكْتَمِ  
إِنْ تَسْأَلِ الطَّيْرَ عَنْهَا      مُسْتَعْلِمًا مِنْهُ تَعْلَمِ  
وَالْفَسْرُ وَالرَّهْوُ <sup>(١)</sup>      يُنْبِئُكَ وَالظَّلِيمُ <sup>(٢)</sup> الْمُصَلَّمِ

(١) الرهو : الكركي ، وهو - كما جاء في صبح الأعشى - طائر أغبر طويل الساقين في قدر الأوزة ، ويجمع على كراكي ، وفي طلمه خور يحمله على الحارس ، حتى إنه إذا - اجتمع جماعة من الكراكي - يحرسها بالدوبة ببها ، ومن شأن الذي يحرس منها ، أن يهتف بصوت حي ، كما أنه يدر بأنه حارس . فإذا قصى بوته قام واحد من كان نائما يحرس مكانه حتى يقف كل منها نوبته من الحراسة ، ولا تطير متفرقة بل صما واحدا يقدها واحد منها - كالرئيس لها - وهي تنبهه ، يكون ذلك حيناً ، ثم يخلعه آخر منها مقدما حتى يصير الذي كان مقدما وحرًا ، وفي طيها الناصر والتعاضد ، ومن خاصتها أن أناسها لا تقعد للفساد بل يسهدها - وهي قائمة - ويكون سفاذه مريما كالصفور .

وقال الفزوي - في عجائب المخلوقات :  
والكركي لا ينشئ على الأرض إلا بأحدى رجليه ، ويطلق الأخرى ، أو يصمها صمًا خفيفاً محاذة أن تحسف به الأرض .

قال - في « المصايد والمطارد » :

وهو من أهد الطير صوتا يسمع على أذيال .

قالوا : وكانت الكراكي تأتي إلى مصر من بلاد الترك ، وفي طلبها وصيدها كانت تتنالي ملوك مصر فتالبا لا يدرك حده ، وتنفق في ذلك الأموال الجمة .

(٢) الظليم - ذكر النعام - وقد جاء في صبح الأعشى - في معرض الكلام عن النعام - قوله :

« هو طائر مروف ، مركب من صوري جل وطائر ، ولذلك تسميه الترك « دواش » بمعنى « طير

جل » وتسميه الفرس « اشتر مرك » ومعناه « جل طائر » وبسبب ذكر النعامة : الظليم . قالوا : ومساكنها الرمل ، وتضع بيضها سبطراً مستطيلاً ، بحيث لو مد عليها خيط لم تخرج واحدة منها عن الأخرى ، ثم تغطي كل بيضة منها نصيبها من الحصى ، لأنها لا تهبط على ضم جميع البيض تحتها .<sup>٥</sup>

ثُمَّ الْهَدِيلُ <sup>(١)</sup> تَلِيهِ حَمَامَةٌ تَتَرَنَّمُ  
إِلَى عُمَايَيْنِ تَذَعُوهُمَا الظِّلِمَ فَيَقْتَهُمُ  
ثُمَّ الْعُقَابُ <sup>(٢)</sup> مَعَ الصَّقْرِ، فَهَوَّ بِالشَّرْحِ أَنْعَمَ  
وَالرَّأُلُ <sup>(٣)</sup> وَالرَّهْوُ وَالْقَبْجُ <sup>(٤)</sup> فَالْثَلَاثَةُ حَوْمٌ  
ثُمَّ الْعُقَابُ فَسَلَهُ وَالصَّقْرُ لَا يَتَلَعَّمُ

وإذا خرجت الطعم ، فوحدت يمين نعامه أخرى حمضه وسبت يعضها فربما حضت هذه يمين هذه .  
ولذلك توصف - في الطير - بالحقى .

ويقال : إنها تقسم يعضها أثلاثا ، فنه ماتمخضه ، ووهه ماتعمله غداه لها ، ومنه ماتفتنه وتعمله في الهواء  
حتى يتولد فيه الدود فتعدى به أوراها إذا خرجت . فالوا :

« وليس للنعام حاسة سمع ، ولكنه قوى اللمس ، يستعمل شدة حس سماعه . حتى يقال : أنه يشم رائحة  
القاس من بعد . وفي أساطير العرب :

أن النعام ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أذنيها .

ومن خصائصها أنها تتلع العظم الصلب والحجر فتدنيه معدتها .

(١) الهديل ذكر الحمام ، قال أبو العلاء في دالته المشهورة :

« يا بنات الهديل : أسعدن أوعدن قليل البكاء بالاسعاد . »

(٢) العقاب : طائر من الحوارج تسميها العرب بالكاس ، قيل العقاب سيد الطيور والسر هريهها

وتقول العرب : « أهر من عقاب » قال ابن دريد في مقصورته الرائعة :

« فاستنزل الرياء - قسرا - وهي من عقاب لوح الحو أعلى منتمى . »

وقد جاء في صبح الأعشى : أن العقاب مؤنثة لا تذكر ، وتجمع على عقبان وأعقب .

وحاء في « المصايد والمطارذ » قوله :

« وهي من أعظم الحوارج ، وليس بعد النسر في الطير - أعظم منها وأصل لونها السواد . »

فنها سوداء دحرجية ، وحدادية - وهي التي لا يباس فيها - ومنها القعاء - وهي التي يحالط سوادها

بياض - ، ومنها الشقراء وهي التي في رأسها نقط بياض - قال « أبو عبيدة » و « يوس » :

« ويقال لذكر العقاب « الرن » ويقال إن ذكور العقبان من طير آخر لطاف الجرم لانسواى شيئا ،

تلمب بها الصبيان » والعقاب من أسرع الطير طيرا نا . ( ارجع إلى صبح الأعشى - ٢ ص ٥٣ )

(٣) الرأل : ولد النعام ، قال أبو العلاء :

« قد كنت قات - في كلام لي قديم - إنني قد هجرت الشعر هجر الرأل تركته . »

(٤) القيج : والكروان ، معرب « كجج » بالفارسية وهو طائر في قدر الدجاجة طويل الرحاب

حسن الصوت لا ينام الليل .

إِلَى حُبَارَى <sup>(١)</sup> وَبَارِ وَحَالِكِ اللَّوْنِ أَغْصَمَ <sup>(٢)</sup>  
ثُمَّ السَّمَاءُ <sup>(٣)</sup> مَعَ الرَّاءِ لِيَكُنْ يَبُوحُ الْمَجْنَمِ <sup>(٤)</sup>  
إِلَى عُقَابٍ وَرَهْوٍ يُفْصِحُ بِمَا شِئْتَ أَسْنَمَ  
وَمَا الظَّلِيمُ بِآلٍ فَلَوْ زَجَرْتَ لَتَرْجَمَ  
ثُمَّ الْعُقَابُ سَيُوحِي لِلصَّقْرِ لَا تَكَلِّمْ  
وَعَقَمْتُ وَهَدَيْتُ وَالْقَبِيحُ فِي ذَلِكَ مُلْتَمِمْ  
وَتُحْمٌ فَضْلٌ كَمَا قَدْ عَهَدْتَ فِيمَا تَقْدِّمُ  
يَا مُلْبِسَ الدَّهْرِ وَشَيْئَا مِنْ الْجَمَالِ مُنْتَمِمْ  
إِسْلَمَ سَنِي الْأَمَانِي مُؤَزَّرَ النَّصْرِ مُطْعَمَ <sup>(٥)</sup>

- 
- (١) الحبارى : طائر - يقع على الذكر والأنثى - قالوا : « ويصرب به المثل - في البلامة والحق يقال : هو أبله من الحبارى » قبل ذلك لأنها إذا غيرت عشمها ذهلتها وحضت بيض غيرها .
- (٢) الأعصم : الضهي . قال ابن دريد :
- « لو ناحت الأعصم لانخط لها - طوع القباد وشماريح الدرى . »
- وجمه عصم ، قال الشاعر :
- « وادتيقنى حتى - إذا ما فتقنى بقول يحل العصم سهل الأباطح ناءيت عى حين - لالى حيلة - وعادرت ما عادت بين الجوانح . »
- (٣) السهام : ضرب من الطير ، واحده سماة .
- (٤) المجسم : الذى لا يفهم ، قال المعرى :
- « ججم هذا الزمان قولا وكلنا يرتجى بيانه . »
- (٥) والبيت المطير - في هذا الشعر - هو :
- « أهلاك عدوك ، وأهلم ، وأظفر بدوئك - وأندم . »
- وقد فسكه المعتمد

## بيت مطير

« وكتب اليه المعتمد أبيه الله

ياسيدي يامعدن العلم

يا آلة للحرب والسلم

وجه طيور الشعر نحوى قد

بث فؤادي شرك الفهم

دعته اليه بيت مطير وجاوبه رجه الله .

|  |  |
|--|--|
| أَلْحَقْنِي بِرُكِّ النَّجْمِ            | يَا ابْنَ الْبُذُورِ الزُّهْرِ مِنْ نَحْمِ |
| يَا لَأَبْسَ الْمَجْدِ الَّذِي زَانَهُ   | بِالْعِلْمِ زَيْنَ الْبُزْدِ بِالرَّقْمِ   |
| قَدْ لَقِيتُ كَفَى الدَّرَارِيِّ مُذْ    | شَاقَهْتُ تِلْكَ الْكَفَّ بِاللَّثْمِ      |
| قُلْدًا مِنْكَ الْمُلْكُ عَضْبَ الطُّبَا | يَمْنِي مَضَاءَ الْقَدَرِ الْحَثْمِ        |
| فَرِنْدُهُ الرِّقَاقُ مِنْ بَشَرِهِ      | وَحَدُّهُ مِنْ نَافِذِ الْعَزْمِ           |

\* \* \*

|   |  |
|---|--|
| قَدْ جَاءَنِي النِّظَامُ الَّذِي خِلْتُهُ | مُؤَافَ الْوُلُوفِ فِي النِّظْمِ                     |
| حَلَمْتَنِي مِنْهُ بِفَخْرٍ يُرَى         | فِي عُقْلِ حَالِي رَاتِقِ الْوَسْمِ                  |
| مُسْتَدْعِيًا طَيْرَ الْمَعْنَى لِكَيِّ   | يَصِيدَهَا فِي شَرْكِ الْفُهْمِ                      |
| فَهَاكُمَا تُهْدَى إِلَى خَاطِرِ          | يَسْتَخْرِجُ الْإِفْصَاحَ مِنْ عَجْمِ <sup>(١)</sup> |

(١) البيت المطير في هذه القصيدة هو :

« أنت - إن سز ظاير - ملطع من ينافر . »

## والبيت المطير

إظفر كما أنت ظافرٍ بكلِّ غاوٍ مُنافِرٍ

وطير له أیده الله يبتین وهما

«شعر من محض وده

لك في علم طيره

فهي مهما زجرتها

لم تخبر بغيره . »

ففكهما وجاوبه رحمه الله

أيها الماجد الذي خيرُهُ وفقُ خَيْرِهِ

والذي سَيْرُ مُشْتَرِي أَفْقًا دُونَ سَيْرِهِ

مَلِكٌ صَحَّ - مِنْ أَدِيمِ الْهُدَى - قَدْ سَيْرِهِ

فَهُوَ - الدَّهْرُ - نَفْعُهُ حَاضِرٌ، دُونَ ضَيْرِهِ

\* \* \*

يَا لِبَلِي سَمِئْتُ مِنْ سَهَرِي فِي مُقِيرِهِ ؟

عَزَّ - فِي وَهْنِهِ - مَرَا مُمْ عَنَا فِي سُحِيرِهِ

«شعر من مخض وده لك في علم صَيْرِهِ

فهي - مهنما زجرتها - لم تُخْبِرْ بِبَيْرِهِ . »

## جواب على بيت مطير

« قال يمدح المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن  
المتضد بالله وعباد بن محمد بن عباد ، أدام الله  
تأييده ، في حياة أبيه - وكان قد عمى له بيتا :  
« الحاجب الأعلى العضد قرّة عين المعتمد »  
فمكّه - أيده الله - وجاوبه بأربعة أبيات ، وهي :

ياسيدى ، الأعلى ومن  
أعدته أقوى العدد  
حلت طيورك بي ، وقد  
قرّبت منها ما بعد  
كاشفتنا عن سرّها  
فوشى إلىّ بها الصرد  
بيتا يدلّ على اعتقا  
دك يا جيل المعتقد  
الحاجب الأعلى العضد  
قرّة عين المتضد  
بخاوبه ذو الوزارتين بقصيدة ، وهي :

لَوْ أَنَّ مَنْ جَارَ قَصَدَ      لَمْ يَجْزِ - عَنْ وَصَلِي - بِصَدِّ  
مَيِّ عَهْدٍ - أَرْخَصَتْ      عَيْنَاهُ فِي قَتْلِي الْعَمَدِ  
مَالِكُ سُلْطَانِ الْهَوَى      أَمْنُهُ مِنْ الْقَوْدِ <sup>(١)</sup>  
مُخَلَّدٌ خَلَدَ - بَرَّ      حَ الشَّوْقِ - فِي كُلِّ خَلَدٍ  
وَعَرُّ الرِّضَى ، لِحُبِّهِ      نَهَجٌ - إِلَى قَلْبٍ - جَدَدُ

فَاسِ إِذَا مَا قِيلَ : « أَبْلَى حُلَّةَ الْهَجْرِ » أَجَدُّ  
أَوْ قُلْتُ : « قَدْ هَبَّ نَسِيمُ الْوَصْلِ لِي مِنْهُ » رَكَدُ  
مَا كُنْتُ آبَى صَدَّهُ لَوْ أَنَّ سُلوَانِي صَدَّ

\* \* \*

فِتْنَةُ وَجْدٍ ، هِيَ كَالْفِتْنَةِ فِي الْعِجْلِ الْجَسَدِ  
غَيْرُ مُبِينٍ ، طَرَفُهُ يَعْصِفُ بِالْخَضَمِ الْأَلَدِ  
عَصَفَ « أَبِي الْقَاسِمِ » بِالْقَتْلِ إِذَا الْقَتْلُ مَرَدُ  
الْحَاجِبِ الْأَعْلَى الَّذِي لَوْ مَا جَدَّ الشَّمْسَ مَجَدَّ  
مَخْضُ الثَّقَى ، عَمَّ الْهَوَى غَمْرُ النَّدَى ، صَدَقُ الْجَلَدِ  
رَكِيزُ طَوْدِ الْحِلْمِ إِنْ حُبَاهُ فِي النَّادِي عَقَدُ  
مُوفَقُ الْأَنْحَاءِ مَا دَ فِي أَسَالِيبِ الرَّشَدِ  
لَوْ قَصَّ كُنْهَ جُودِهِ لِلْبَحْرِ وَاقِي ، فَاسْتَمَدَّ  
مُؤَمِّلٌ - مَعَ الرِّضَا - يُهَابُ فِي حِينِ الْبُعْدِ  
إِنْ قُلِدَ الْأَمْرَ كَفَى وَإِنْ تَوَلَّى الثَّغْرَ سَدُ  
مَاءِ سَمَاحٍ فَاضَ فِي جَمْرِ ذَكَاءٍ فَاتَّقَدُ  
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، يَا مَوْلَى بِيَارِيهِ أَعْتَضُدُ <sup>(١)</sup>  
وَمَنْ - بِفَضْلِ اللَّهِ - حَا زَ النَّصْرَ فِي جِدِّ وَجَدُ

أَصْبَحَ أَعْلَىٰ وَالِدٍ فَأَوَقَهُ أَسْنَىٰ وَلَدٌ  
حَدَّثَنَا عَنْ سَرُورِهِ <sup>(١)</sup> نَاهِيكَ مِنْ قُرْبٍ سَنَدٌ

\* \* \*

مَلَكٌ - إِذَا نَحْنُ أَعْتَمَدْنَا نَا مِنْهُ أَوْفَىٰ مُعْتَمَدٌ -  
تَهَلَّلَتْ شَمْسُ جَبِينٍ وَأَسْتَهَلَّتْ مُزْنُ يَدِ  
مُحَصَّنُ الدَّهْرِ الَّذِي أَصْلَحَ مِنْهُ مَا فَسَدَ  
وَعَاصِدُ الدِّينِ الَّذِي قَدْ كَانَ - قَبْلُ - يُضْطَهَدُ  
وَنَاصِرُ الْعِلْمِ الَّذِي نَفَقَهُ لَمَّا كَسَدَ  
مَنْ لَمْ يَعِدْ إِلَّا وَفَىٰ، وَلَا وَفَىٰ إِلَّا وَعَدَ  
شَاوَرَنِي - فِي أَمْرِهِ - شَيْخَانُ لَوْ شَاءَ اسْتَبَدَّ  
يَخْشَى الْعَدُوَّ مِنْهُ عَزَّ مَ قَسُورٍ شَاكِيَ الْإِبْدِ  
سَمَحَ لَهُ - بَيْنَمَا عَنَا - فَظٌّ عَلَيْهِ إِنْ عَنَدَ  
كَالْسَيْفِ - فِي حَالِهِ - إِنْ رَاقَ فَرِيدُهُ رَاحَ حَدُّ  
يَا مُهْدِي السَّمَنِ الَّذِي قُلِّدْتُهُ فَنَحَرَ الْأَبْدِ  
أَحْسَنُ مِنْ رَقْمٍ عِذَا رِ سَائِلٍ فِي وَشْيِ خَدِّ  
أَوْ مَبْنِيٍّ حُلُوِّ اللَّمَّا يَفْتَرُّ عَنْ عَذَابِ بَرْدِ



## إلى المعتمد

قَدْ قُلْتُ - لَمَّا هَزَنِي مِنْهُ الْبَدِيعُ الْمُفْتَقَدُ -  
 « نَسِيمُ أَيْلُولٍ سَرَى أَمْ وَرَدُ نَيْسَانَ وَرَدَ »  
 خَاطِرِي السَّهْمُ وَشَى بِسِرِّ طَيْرِي لَا الصَّرْدُ  
 وَفِطْنَةُ تَأَلَّفَتْ - مِنْ الْمُعْتَى - مَا شَرَدُ  
 شَنِشَنَةً أَعْرِفُهَا فِي شِبَلٍ مَلَكٍ مِنْ أَسَدُ

يَا آلَ « عَبَّادٍ » مِثَا لُ لَيْسَ يَعْدُوهُ السَّدُّ  
 مَنْ لِي بِشُكْرِ نِعْمَةٍ ، الْحُرُّ عَنْهَا مُعْتَبَدُ  
 سَوَّغْتُ مِنْهَا الْعِزَّةَ الْقَعَسَاءَ فِي الْعَيْشِ الرَّغَدُ  
 حَيْثُ اسْتَضْيَفَ مِنْهَلُ صَفَا إِلَى ظِلِّ بَرْدُ  
 كَانَتْهَا لِي جَنَّةُ حُفَّتْ بِمَكْرُوهِ الْحَسَدُ  
 يَحْمِلُهَا مِنِّي وَآ فِي الشُّكْرِ صَافِي الْمُعْتَقَدُ  
 كَمْ قَامَ بِالشُّكْرِ إِلَى أَنْ أَثْقَلْتُهُ فَقَعَدُ  
 قَصَّرَ ، لَكِنْ لَمْ يَقْصُرْ مُبْلَغُ الْمَذَرِ اجْتَهَدُ  
 وَقَيْتُ بَطْشَ الْعَيْنِ فِيكُمْ بِالْعَمَى لَا بِالرَّمَدُ

صرعي الحب <sup>(١)</sup>

أَخَذْتُ ثُلُثَ الْهَوَى غَضَبًا ، وَلِي ثُلُثُ ، وَالْمُحِبِّينَ - فِيمَا يَنْتَهُمُ - ثُلُثُ  
 تَالَهُ ، لَوْ حَلَفَ الْعُشَّاقُ : أَنَّهُمْ مَوْتَى مِنَ الْوَجْدِ - يَوْمَ الْبَيْنِ - مَا حَتَمُوا

(١) من شعر ابن زيدون الذي قاله في معية صباه ، وقد أورده الراكعي صاحب كتابه المعب في تاريخ أخبار المغرب ، ولم يرد في ديوان ابن زيدون

قَوْمٌ - إِذَا هُجِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا وُصِّلُوا - مَاتُوا ، فَإِنْ عَادَ مَنْ يَهْوَوْنَهُ بُشُوا  
رَئَى الْمُجِبِّينَ صَرَغَى - فِي عِرَاصِهِمْ - كَفَنِيَّةِ الْكَهْفِ ، مَا يَذُرُونَ مَالِبُوا

## ذكرى قرطبة

« وما قاله يشوق ابنة المهدي ومعاذه قرطبة ، وضمنها

بيت أبي الطيب - في أول قصيدته الكافورية :

« بم التعلل ؟ لا أهل ، ولا وطن ،

ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن ؟ »

قصيدة أولها (١) :

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيبًا عَادَهُ شَجَنُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - وَجَفَأَ أَجْفَانَهُ الْوَسَنُ  
يُخْنِي لَوَاعِجَهُ - وَالشَّوْقُ يَفْضَحُهُ - فَقَدْ نَسَاوَى - لَدَيْهِ - السَّرُّ وَالْعَلَنُ  
يَا وَيْلَتَاهُ ، أَيْتَى - فِي جَوَانِحِهِ - فَوَادَهُ ، وَهُوَ بِالْأُطْلَالِ مُرْتَهَنُ  
وَأَرَقَ الْعَيْنَ - وَالظَّلْمَاءُ مَا كِفَّةٌ - وَرَقَاهُ قَدْ شَقَّهَا - إِذْ شَفَنِي - حَزَنُ  
فَبِتْ أَشْكُو وَتَشْكُو - فَوْقَ أَنْكِتَاهَا - وَبَاتَ يَهْفُو أُرْتِيَا حَا يَتَنَّا الْغُصْنُ

\*\*\*

يَا هَلْ أَجَالِسُ أَقْوَامًا أَحِبُّهُمْ - كُنَّا وَكَانُوا - عَلَى عَهْدٍ - فَقَدْ طَمَعُوا  
أَوْ تَحْفَظُونَ عُهُودًا لَا أَضِيْعُهَا - إِنَّ الْكِرَامَ - بِحِفْظِ الْعَهْدِ - تَمْتَحِنُ  
وَمِنْهَا :

إِنْ كَانَ عَادَكُمُ عَيْدٌ ، فَرُبَّ فَتَى - بِالشَّوْقِ قَدْ عَادَهُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - حَزَنُ  
وَأَفْرَدَنَهُ اللَّيَالِي - مِنْ أَحْبَّتِهِ - فَبَاتَ يَنْشِدُهَا - مِمَّا جَنَى الزَّمَنُ - :  
« بِمِ التَّعَلُّلِ ؟ لَا أَهْلٌ ، وَلَا وَطَنٌ ؟ وَلَا نَدِيمٌ ، وَلَا كَأْسٌ ، وَلَا سَكَنٌ ؟ »

(١) ذكرها أكتاب المعجب في تاريخ أخبار المغرب ، ولم ترد في ديوان ابن زيدون .

رَسَائِلُ ابْنِ دُؤُونٍ فِي إِخْبَارِهِ

وَشَعْرُ الْمَلِكَيْنِ

وَإِخْبَارُهُمَا

## الرسالة الهزلية (١)

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا الْمَصَابُ بِعَقْلِهِ ، الْمُرْطُ بِجَهْلِهِ ، الْبَيِّنُ سَقَطُهُ ، الْفَاحِشُ  
غَلَطُهُ ، الْعَائِرُ فِي ذَيْلِ أُغْتِرَارِهِ ، الْأَعْمَى عَنْ شَمْسِ نَهَارِهِ ، السَّاقِطُ - سُقُوطَ  
الذُّبَابِ - عَلَى الشَّرَابِ ، الْمُتَهَابِتُ - تَهَابَتِ الْفَرَاشِ (٢) - فِي الشَّهَابِ ، فَإِنَّ الْمُعْجَبَ  
أَكْذَبُ ، وَمَعْرِفَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ أَصَوْبُ ، وَإِلَيْكَ رَأْسَتِي مُسْتَهْدِيًا - مِنْ صِلَتِي -  
مَا صَفَرْتَ مِنْهُ أَيْدِي أُمْنَالِكَ ، مَتَّصِدِيًا - مِنْ خُلَّتِي - لِمَا قَرِعْتَ دُونَهُ أَنْوُفَ (٣)  
أَشْكَالِكَ ، مُرْسِلًا خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلًا عَشِيقَتِكَ قَوَادَةً ، كَاذِبًا فَسَكَّ  
أَنْكَ سَتَنَزِلُ عَنْهَا إِلَيَّ ، وَتَخْلُفُ - بَعْدَهَا - عَلَيَّ :

« وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعْتَهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ (٤) »



وَلَا شَكَّ أَنَّهَا قَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَصْنَعْ بِكَ ، وَمَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَعْرِ عَلِيكَ ، فَإِنَّهَا  
أَعْذَرَتْ فِي السَّفَارَةِ لَكَ ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زَائِمَةٌ أَنَّ الْمَرْوَةَ لَفْظُ  
أَنْتَ مَعْنَاهُ ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ أُنْمُ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيُولَاهُ (٥) ، قَاطِمَةٌ أَنْكَ أَنْفَرَدْتَ

(١) انظر ص « ٢٣٧ »

(٢) الفراش مشهور بأنه يطرح نفسه في النار فيحترق ، قال الشاعر :

« هل أتم إلا الفرا شردأى الشهاب وقد توفد »

مدنا ، فأحرق نفسه ولو اهتدى برشد الأمد .

(٣) قرع الألف أى العجز والدلة ، والعرب تقول الكد : « هو الفعل لا يقرع أنه » وقد قال

ابن زيدون في إحدى قصائده في « ص ٦٧ » : « وأف الفعل لا يقرع . »

(٤) البيت المتنبي ، وهو من قصيدته للشهيرة :

« إلام طماعية العاذل ولا رأى في الحب للعاقل »

يراد من الغلب سبائككم وتأبى الطماع على الناقل »

والقصيدة مشهورة بليرجح إليها القارئ في ديوانه إن شاء .

(٥) أصله وحقيقته .

بِالْجَمَالِ ، وَأَسْتَأْثَرْتَ بِالسَّكَمَالِ ، وَأَسْتَعْلَيْتَ فِي مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، وَأُسْتَوَلَيْتَ  
عَلَى مَحَاسِنِ الْخِلَالِ ، حَتَّى خَيَّلْتَ أَنَّ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَاسَنَكَ فَفَضَضْتَ  
مِنْهُ ، وَأَنَّ أَمْرَأَةَ الْعَزِيزِ <sup>(١)</sup> رَأَتْكَ فَسَلَّتْ عَنْهُ ، وَأَنَّ قَارُونَ <sup>(٢)</sup> أَصَابَ بَعْضَ  
مَا كَنْزْتَ ، وَالنَّطِيفَ <sup>(٣)</sup> عَثَرَ عَلَى فَضْلِ مَا رَكَنْزْتَ ، وَكِسْرَى <sup>(٤)</sup> حَمَلَ غَاشِيَتَكَ ،  
وَقَيْصَرَ <sup>(٥)</sup> رَغَى مَاشِيَتَكَ ، وَالْإِسْكَندَرَ قَتَلَ دَارًا <sup>(٦)</sup> فِي طَاعَتِكَ ، وَأَرْدَشِيرَ <sup>(٧)</sup> جَاهَدَ  
مُلُوكَ الطَّوَائِفِ بِخُرُوجِهِمْ عَنْ جَمَاعَتِكَ ، وَالضَّحَّاكَ <sup>(٨)</sup> أَسْتَدْعَى مُسَالَمَتَكَ ، وَجَدِيَّةَ

(١) امرأة العزيز مشهورة بحبها يوسف الصديق وتفضتها معروفة .

(٢) قارون : يضرب به المثل في الثراء والدي ، وقد جاء في الكتاب الكريم : « وآتيناه من الكنوز

ما لم نعطه لئنوء بالمعصية أولى القوة . »

(٣) قالوا : إنما عى النطف بن حبر بن حنظلة البربوعي ، وقد كان معتمدا بالبادية مع بني تميم ، وقد نهب  
أموالا كان أرساها كسرى إلى عاملا وذهباً ومسكا ولآلئاً ، فصر به المثل بما أصاب من ثروة طائلة ،  
قال بعض ولده :

«أبي النطف المارى الشمس، لني عريق في الساحة والمعالى .»

(٤) كسرى : اسم يطلق على كل ملك من ملوك العرس .

(٥) قيصر : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الروم .

(٦) يسمى الاسكندر الأكبر المقدوني وتاريخه مشهور ، و « دارا » هو ملك الفرس الذى انتصر

عليه الاسكندر وقتله . (٧) اسم ملك من ملوك الفرس .

(٨) الضحاك يرمعون أنه قتل « جشيد » - سيد الشعاع ، وملك الأقاليم السبعة وأرل من عمل السلاح  
واستخرج الابريسم ، والفز ، وأزم أهل الفساد الأعمال الشاقة في قطع الصحور ، واستخراج المادان .  
قالوا : وطال عمر « جشيد » وتغير ، وادعى الربوية ، فخرج عليه الضحاك ، ودهه خلق كثير من أعداء  
« جشيد » فظفر به الضحاك ، فهرت « جشيد » بين يديه فطمر به الضحاك وأمر بنشره بمشار ،  
وقال له : « إن كنت لها فادع عن نفسك »

ثم ملك الضحاك - فيما يزعمون - وطمى تهجر وجر ودان بدين البراهمة ، وكان - فيما يقولون - أول  
من غنى له ، وهرب الدناير والدراهم ، ولبس الناج ، ووضع العشور ، إلى آخر ما زعموه .

الأبرش<sup>(١)</sup> تَمَنَّى مُنَادِمَتَكَ ، وَشِيرِينَ قَدْ نَافَسَتْ بُورَانَ فَيْكَ<sup>(٢)</sup> ، وَبَلْقَيْسَ<sup>(٣)</sup>  
فَايَرَتِ الزَّبَاءَ عَلَيْكَ ، وَأَنَّ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ<sup>(٤)</sup> ، إِنَّمَا أَرْدَفَ لَكَ ، وَعُرْوَةَ بْنَ جَعْفَرٍ<sup>(٥)</sup> ، إِنَّمَا  
رَحَلَ إِلَيْكَ ، وَكُكْلَيْبَ<sup>(٦)</sup> ، بَنَ رَيْبَةَ إِنَّمَا حَمَى الْمَرْعَى بِعِزَّتِكَ ، وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ

(١) جديعة الأبرش ، قد سقت الإشارة إليه في «ص ٢٠٢» فليرجع إليها من شاء .

(٢) شيرين : هي زوجة كسرى أبروز ، وبوران هي ابنته ، وقد أشار المرى إلى شيرين إشارة طريفة في رسالة المغران فقال :

ولو قالت شيرين للملك لكسرى: « حملني الله فداءك » لحالته في ذلك - ونافسته ، وإن رافته ووافسته ،  
على أنه أخذها من حال دبية ، لجمعها في العمة السنية ، وعنه - في ذلك - الأحباء ، وحرث لهم - في  
ذلك - قصص وأنباء ، وقيل له - فيما ذكر - :

« كيف تطيب نفس الملك لهذه المومس ؟ »

فصبر لهم المثل القارح ، حمل في الآء الشعر والدم ، وقال للحاضر :

« تحب نفسك لشرب ما به ؟ » فقال : « إنها لا تطيب وهي بالأعواس تطيب . »

فأراق ذلك الشيء ، وعسله وهدب وطأه ، وحمل فيه - من بعد - مداما . وعرضه على الدمامي ، فكلهم  
بهش أن يشرب ، فقال : « هذا مثل شيرين » .

(٣) بلقيس هي ملك بلاد سبأ ، والرباء هي التي قتلها عمرو بن عدي وقتل أباها جديعة بن الأبرش ،  
وقد مر ذكره .

(٤) مالك بن نويرة : من مشهوري فرسان العرب وشجعانهم في الماهلية ، وقد أدرك الاسلام . قالوا  
وارتد وبعث أبو بكر خالد بن الوليد لقتال أهل الردة ، فكان إذا صبح قوماً تسبح الآذان فإن سبهم كف  
عنهم ، وإن لم يسبهم قاتلهم إلى أن مرّ بالطاح . به مالك وأصحابه ، فقبل إنهم لم يستمعوا أذاناً فقاتلهم ،  
وأتى بمالك بن نويرة أسيراً فأمر حاد بقتله . قالوا : واحتج قوم لحالد في قتله ، وطعن عليه آخرون في  
كلام طويل مشهور ، وقد رثاه أخوه متم رثاء الرائع ، وقد سمعه عمر فقال له : رددت لو رثيت أخى  
زيداً بمثل ما رثيت به أباك ، فقال له متم : والله لو علمت أن أخى صار إلى ما صار إليه أخوك لم أرته ولم  
أحزن عليه ، ومن آيات متم التي سارت في رثائه مسير الأمثال قوله :

« وقالوا أنبكي كل قبر رأيته لقبر نوى بين اللوى ، فأكادك

قتلتهم : « إن الأسى يبعث الأسى دعوني بهذا كله قبر مالك »

(٥) عروة بن جعفر - كان ينتسب إلى جعفر هو وأهل بيته ، وكان يعرف بعروة الرحال لرحلته إلى  
الملك ، وكان هو السبب في حرب الفجار المشهورة .

(٦) كليب بن ربيعة - هو رئيس الحيين من بكر وقلب ، وقد بلغ من جبروته ونفيه أنه كان يحصى  
مواقع السحاب فلا يرعى حماء ويقول وكذا وكذا في جوارى ولا تنهاج ولا يورد أحد مع أبه ولا توجد  
نار مع ناره ، ولا يجتبي في مجلسه ، ولا يشكك إلا بإذنه كما يدل على ذلك قول أخيه مولهل في رثائه :

« ما تبثت أن النار - بمدك - أوقدت واستب - بمدك - يا كليب المجلس . »

بَأَنْفَتِكَ ، وَمُهِلَلًا<sup>(١)</sup> إِنَّمَا طَلَبَ نَارُهُ بِهَيْئَتِكَ ، وَالسَّمُودُ<sup>(٢)</sup> إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ ،  
وَالْأَخْنَفَ<sup>(٣)</sup> إِنَّمَا أَحْتَبَى فِي بُرْدَتِكَ ، وَحَاتِمًا<sup>(٤)</sup> إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ ، وَآقَى الْأَصْيَافَ

وَتَكَلَّمُوا فِي - أَمْرِكِ عَظِيمَةٍ - لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبَسُوا .

وقد قتله جساس بن مرة زوج أخت كليب ، وكان ذلك سبباً في حرب البسوس .

(١) مهمل بن ربيعة - هو أخو كليب والآخر بثأره في حرب طويلة تفنينا شهرتها عن ذكرها .

(٢) السمود - هو السمود بن عاديا ، وهو من يهودي يثرب ، ويضرب به المثل - في الوفاء - بعد حادثته المشهورة مع امرئ القيس الذي أودع عنده وديعة ومضى ، وحاول الحارث بن ظالم أن يأخذها من السمود فأبى ، ثم ظفر الحارث بابنه ، فقال للسمود : إن لم تعطني وديعة امرئ القيس قتلت ابنك فأبى . فقتل الحارث ابن السمود واهصره ، والسمود هو صاحب اللامية المشهورة التي يقول في أولها :

« إذا المرء لم يدس - من اللؤم - عرضه وكل رداء يرتديه جميل

ولأن هولاء يحمل - على العس - ضيها ، وليس - إلى حسن الثاء - سبيل . »

(٣) الأخنف - هو الأخنف بن قيس ويضرب به المثل في الحلم .

(٤) حاتم - هو حاتم الطائي وهو أشهر من ضرب به المثل في الخود .

قالوا : - « وأحواد العرب في الجاهلية ثلاثة :

« حاتم الطائي ، هرم بن سنان ، كعب بن مامة »

قالوا « وحاتم أشهرهم ذكراً » .

وقد أدرك مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - ومات قبل بعثته ، ومن مختار شعره قوله : -

« أأعدل إن المال غدير محمد وإث التي طارية ضرود

وكم من حواد يفسد اليوم حوده وسأوى قد ذكرته انقرو في غد

وكم لي آباء ، فما كف حودهم ملام ، ومن أيديهم خلقت يدي . »

وقوله :

« لما الله صملوك منا وهمة - من العيش - أن ياتي لبوساً ومظماً

ولله صملوك يسار همة - ويمضي على الأحداث - والهول - وما

إذا مارأي يوماً مكارم أعرضت تيسم كبارهم ، ثم صدأ . »

وقوله :

« أماوى إن المال غاد ورائح ويبقى - من المال - الأحاديث والذكر

أماوى ما ينقى التزاث عن العقي إذا حشرت يوماً وضاق به الصدر

أماوى إن يصبح صدائي بغفرة - من الأرض - لأماء لدى ولاجر

تري أن ما أهلكت لم يك ضرني وأن يدي - مما تملت - به صفر

وقد علم الأتوام لو أن حاتماً أراد ثراء المال كان له وعر

وأني لا آلو - بمالي - صليمة فأزله زاد وآخره ذعر

غنيبنا زماناً بالنعصاك والغنى وكلا سقناه - بكافيهما - الدهر

فأزادنا بشياً - على ذي قرابة - غناؤه ولا أزرى بأحسابنا الفقر . »

بِشْرِكَ، وَزَيْدٌ<sup>(١)</sup> بَنُ مَهْلِيلٍ إِنَّمَا رَكِبَ بِفَخْذَيْكَ، وَالسَّلْيُكُ<sup>(٢)</sup> بَنُ السَّلْكَةِ إِنَّمَا  
عَدَا عَلَى رَجْلَيْكَ، وَعَامِرُ بْنُ مَالِكٍ<sup>(٣)</sup> إِنَّمَا لَاعَبَ الْأَسِنَّةَ بِيَدَيْكَ، وَقَيْسُ<sup>(٤)</sup> بَنُ زُهَيْرٍ  
إِنَّمَا أُسْتَعَانَ بِدَهَائِكَ، وَإِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ<sup>(٥)</sup> إِنَّمَا أُسْتَضَاءَ بِمِصْبَاحِ ذِكَاكَ،

(١) زيد بن مهليل - أدرك الاسلام ، وكان فارساً مشهوراً ، بميد الصيت ، وشاعراً نابهاً ، وكان  
يسمى زيد الخيل لكثرة ماعده من الخيل ، فلما أسلم سماه النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد الخير .  
(٢) السليك بن السلكة حاهلي نديم ، وهو أحد صاليك الدرب وأحد لصوصهم العدائين الذين كانوا  
لا يلحقون ، قال ابن الرومي في وصف شهر روصان :

« يمشي الهوننا ، فأما حين يطلنا فلا ليليك يدايه ولا السلكة . »

(٣) عامر بن مالك - المشهور بلعبة الأسلحة ، وأمه أم السنين المشهورة التي احتج بها ليد عبد العمان  
في قوله :

« نحن بي أم البنين الأرملة . »

(٤) قيس بن رهير - هو صاحب الخروب المشهورة بين عيس وديان بسبب العرسين (داحس والعمراء)  
وكان يصرب به المثل في الدهاء ، فيقال : « أدهى من قيس . »

(٥) إياس بن معاوية - هو صاحب المراساة والأحوية السيدة الزائفة ، وكان قاضي البصرة ، ويصرب  
به المثل في الدكاء . قال أبو تمام :

« أفدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أحمق في دكاء إياس . »

قالوا : وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز أرسل رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع  
بين إياس والقاسم بن أبي ربيعة ويولي القضاء أحدهما ، فجمع بينهما ، فكان كل منهما يمتنع من الولاية ،  
فقال إياس للشأمي : « سل الحسن البصري حتى وعى أقاسم ، وسل بن سيرين . » فعلم القاسم أنه إن  
سأل عهدهما أشارا به ، فقال للشأمي : « لا تسأل عنه ، مو الله الذي لا إله إلا هو إن إياساً لأفصل مني  
وأعلم بالقضاء ، فإن كنت ممن يصدق ، فيبني لك أن تصدق قولي ، وإن كنت كاذباً فما يحل لك أن  
أن تولي القضاء وأنا كاذب » ، فقال إياس للشأمي : « إنك حثت رجلاً فاقته على شفير جهنم فأتيتني  
نفسه من النار يمين كاذبة يستنصر الله منها وينجو من النار » فقال الشأمي : « أما إذ فطنت لها فاني  
أريدك » فاستنصاه ، فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب . قالوا : « ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن  
البصري فبكي إياس وقال له : « بلنتي أن القضاء ثلاثة : رجل مال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد  
فأخطأ فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة » فقال الحسن « إن فيما قضى الله تعالى في النبي  
داود ما يرد قول ولأى . » ثم قرأ قوله تعالى « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً »  
لحمد سليمان ولم يذم داود ، وأخباره كثيرة مشهورة في كتب الأدب ، فلا حاجة بنا إلى الإفاضة .



وَسَحْبَانَ<sup>(١)</sup> إِنَّمَا تَكَلَّمْ بِلِسَانِكَ ، وَعَمَّرُوا<sup>(٢)</sup> بَنَ الْأَهْتَمِ إِنَّمَا سَحَرَ بِيَّكَ ، وَأَنَّ الصَّالِحَ - يَنْبَغِي بَكَرٍ وَتَغْلِبَ - تَمَّ بِرِسَالَتِكَ<sup>(٣)</sup> ، وَالْحِمَالَاتِ - يَنْبَغِي عَبَسٍ وَذِيَّانَ - أَسْنَدَتْ إِلَى كِفَالَتِكَ ، وَأَنَّ أَحْتِيَالَ هَرَمٍ - لِعَلْقَمَةٍ وَعَاوِرٍ حَتَّى رَضِيَا - كَانَ ذَاكَ عَنْ

(١) سحبان وائل - يضرب به المثل في الفصاحة والبيان والقدرة على الخطابة ، أدرك الاسلام ومات سنة أربع وحبس . قال الأصمعي « وكان إذا خطب بسبل عرفاً ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ، ولا يقعد حتى يفرغ » قالوا : « وقدم على معاوية وفد من حراسان بهم - سعيد بن عثمان - مطلب سحبان فلم يوجد في منزله فالتصّب - من ناحيته - اقتصاباً وأدخل عليه فقال : « تكلم » فقال : « انظروا لي عصا تقوم من أودي » قالوا : « وما تصنع بها وأنت محصورة أمير المؤمنين . » قال : « ما كان يصنع بها مرمى وهو يحاط ربه ونصاه في يده . » فصحك معاوية وقال : « هاتوا عصا فجاءوا بها إليه فركلها برجله ولم يرضها . » وقال : « هاتوا عصاى » فأتوا بها فأحدها ، ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تتنحج ، ولا سعل ، ولا توقف ، ولا ابتداء في ممي يخرج منه وقد بقي عليه منه شيء . فمارات تلك حاله حتى أشار معاوية بيده ، فأشار إليه سحبان : ألا تفتح على كلامي ، فقال معاوية « الصلاة » قال : « هي أمامك ، ونحن في صلاة وتحييد ، ووه - ووعيد » ، فقال معاوية : « أنت أحط العرب . » فقال سحبان : « والعجم والحسن والاس »

(٢) عمرو بن الأهتم - من سادات بني تميم وخصائهم في الجاهلية والاسلام ، وكان - لجماله - يدعوونه : « المسكحل » قالوا : « ووجد على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو والرقان بن بدر فأسلما وأكرهما النبي - صلى الله عليه وسلم - » سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن الأهتم عن الرقان بن بدر بمحورته فقال عمرو : « مطاع في أدنيه ، شديد العارضة في قوميه ، مانع لما وراء ظهره » .

فقال الرقان : « يارسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حدثني . » فقال عمرو : « أما والله لئن علمت ما فعلت علمت ، إنه لزمّن المروءة ، أحق الأب ، لثيم الحال ، صيق العطن ، حديث النقي . » رأى تغير النبي - صلى الله عليه وسلم - لما اختلف قوله ، فقال : « يارسول الله لانصب ، لما رضيت قلت أحسن ما علمت ، ولما غضبت قلت أفجح ما علمت ، فوالله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية . » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا . » وتوفي سنة ٥٧ هـ - ومن مأثور حكيه قوله :

« أشجع الناس من رده لجمه بجمله . » وقوله « أف - للحر لو كان شيء يشتري ما كان شيء أنفس من العقل ، فالعجب لمن يشتري الحق بجماله ويدخله في رأسه فيبي في حبه ويسلح في ذيله . » وكان ممن حرم الخمر - على نفسه - في الجاهلية .

(٣) بكر وائل ابنا وائل - هم الذين أنصموا حرب البسوس ، وقد دامت سنين طويلاً قتل فيها عطاء الحيين وأخبارها مشهورة .

إِشَارَتِكَ، وَجَوَابَهُ لِمُتَرٍّ - وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيِّهَا كَانَ يَنْفِرُ - وَقَعَ عَنْ إِرَادَتِكَ<sup>(١)</sup>، وَأَنَّ  
الْحِجَاجَ<sup>(٢)</sup> تَقْلَدُوا لِيَاةَ الْعِرَاقِ بِحَدِّكَ، وَقُتَيْبَةَ<sup>(٣)</sup> فَتَحَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِسَعْدِكَ، وَالْمُهَلَّبَ<sup>(٤)</sup>  
أَوْ هَنْ شَوْكَةَ الْأَزَارِقَةِ بِيَدِكَ، وَفَرَّقَ ذَاتَ يَنْبِهِمْ بِكَيْدِكَ، وَأَنَّ هُرْمُسَ<sup>(٥)</sup>  
أَعْطَى بَلَيْنُوسَ<sup>(٦)</sup> مَا أَخَذَ مِنْكَ، وَأَفْلَاطُونَ<sup>(٧)</sup> أَوْزَدَ دَعْلَى إِرِسْطَطَالِيسَ<sup>(٨)</sup> مَا نَقَلَ عَنْكَ،  
وَيَطْلِيْمُوسَ<sup>(٩)</sup> سَوَى الْإِصْطِرْلَابَ بِتَذْيِيرِكَ، وَصَوَّرَ الْكُرَّةَ عَلَى تَقْدِيرِكَ،

(١) يشير بذلك إلى عمر بن الخطاب حين قال لهرم بن قطبة بعد أن أسلم: «أيها كان الأفضل عندك  
يحيى عامراً وعلقمة» فقال: «لو قلت الآن فيها كلمة لامدت الحرب بين الحيين». فأعجب بذلك القول  
عمر وسر من سياسته وسد غلظه وقال له: «بحق حكمتك العرب»

(٢) الحجاج - هو الحجاج بن يوسف الثقفي ولد سنة ٤١ ونشأ بالطائف، وولى الكوفة، واشتهر  
بسعك الدماء، وهو الذي حاصر مكة فيها عبد الله بن الزبير وصرها بالمجيق (انظر ص ١٦ من كتاب  
مصارع الأعيان) وحروبه مع شيبة، وعبد الرحمن بن الأشعث مشهورة، وقد ذكرناها في مصارع  
الأعيان من (ص ٧ إلى ص ١١) «يلرحع إليها من شاء، وكان يحب سرعة الحواب، وله نوادر كثيرة  
في ذلك، قالوا: إنه قال ذات يوم لأحمد بن يوسف «فكرت في أمرك فوجدت دلك ومالك حلالا» فقال:  
«أيها الأمير أشد ما في القصية أن هذا الرأي بمد الفكر» فصحك وعفا عنه، وقالوا إنه أتى بقوم  
من أصحاب بن الأشعث فأمر بضرب أعناقهم، فقام رجل فقال: «أيها الأمير إن لي عندك يدا» فقال  
«وما هي؟» قال «شئت رجل بمحصرة ابن الأشعث مرددت لك» فقال: «من يشهد لك؟» فأشار:  
«هدا» وأشار بيده إلى رجل منهم، فقال: «صدق أيها الأمير» فقال «مامنك أن تفعل كما فعل؟» قال  
«نفسى لك»، فقال الحجاج «أطلقوا هذا ليده عندما، وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت» قال مالك  
ابن دينار: «والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ويدكر حسن صمعه إلى العراق وسوء صمعه له  
حتى يجيل إلى أنه مظلوم» وقال الحسن البصري «لقد وفدتى كلمة سمعتها من الحجاج «إن اسرا دهب  
ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول حسرته»

(٣) قتيبة - هو قتيبة بن مسلم اللاهلي نشأ في الرواية وولى الأمارة، وكان شجاعاً طعاً .  
(٤) المهلب - هو المهلب بن أبي صفرة وهو الذي يمرى إليه الفصل في القضاء على الخوارج (انظر  
ص ٩٢ : ٩٧ من كتاب مصارع الأعيان)

(٥) هرمس - هو الذي يزعم نفر من الصابئة أنه نبي مرسل وأنه إدريس عليه السلام ويسندون إليه  
شرايعهم في تعظيم للسكاك السبعة والبروج الاثني عشر والتقرب إليها بالديبايح وغيرها .

(٦) بليئوس - هو الذي تزعم الصابئة أن رسالة هرمس انتقلت من بعده إليه .

(٧) أفلاطون وإرستطاليس - هذان من أعلام فلاسفة اليونان وقادة الفكر المتأخرين .

(٨) بطليموس - هو صاحب كتاب المجسطى، والجغرافيا، والإسطرلاب وغير ذلك، وهو أول من

نمض للفلك والجغرافيا .

وَبَقْرَاطَ<sup>(١)</sup> عِلْمَ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ بِلُطْفِ حِسِّكَ ، وَجَالِينُوسَ<sup>(٢)</sup> عَرَفَ طِبَائِعَ  
الْحَشَائِشِ بِدِقَّةِ حَدْسِكَ ، وَكِلَاهُمَا قَلَّدَكَ فِي الْعِلَاجِ ، وَسَأَلَكَ عَنِ الْمِرَاجِ ،  
وَأَسْتَوْصَفَكَ تَرْكِيبَ الْأَعْضَاءِ ، وَأَسْتَشَارَكَ فِي الدَّاءِ وَالذَّوَاءِ ، وَأَنَّكَ نَهَجْتَ  
لِأَبِي مَعْشَرٍ<sup>(٣)</sup> طَرِيقَ الْقَضَاءِ ، وَأَظْهَرْتَ جَابِرَ بْنَ حَيَّانَ<sup>(٤)</sup> عَلَى سِرِّ الْكِيمِيَاءِ ،  
وَأَعْظَيْتَ النِّظَامَ<sup>(٥)</sup> أَصْلًا أَذْرَكَ بِهِ الْحَقَائِقَ ، وَجَعَلْتَ لِلْكِنْدِيِّ<sup>(٦)</sup> رُسْمًا اسْتَخْرَجَ

(١) بقراط - علم من أعلام الطب واليونان .

(٢) جالينوس - من العلماء المتأخرين الذين كان لهم الفصل في تربية من الطب ، وقد عرف حواصن  
الحشائش ، وفاس أمرحتها وطبائعها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب الدميسة في الطب .

(٣) أبو معشر : كان في أول أمره من أصحاب الحديث بمعداد ، وكان يشنع على الكندي الفيلسوف  
المعروف ويعرى الدامة به - قالوا « دس له الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة فأجبتها  
ثم عدل إلى أحكام الحجوم فتغن ومهر واقطع بذلك شره عن الكندي لأنه من جس علومه .

(٤) جابر بن حيان - من أعلام العلماء العرب في الكيمياء .

(٥) النظام - إمام من أئمة المعتزلة ، وكان آية في الدكاء ، من صممه . قالوا : إنه جاء إلى الخليل بن  
أحمد ليعلمه ، فقال له الخليل يمتحه وفي يده قذح رجاج : « يا بني صف لي هذه الزجاجية » فقال : « أمدح  
أم يدم » قال « بمدح » قال « تريك الفذى ، ولا تقبل الأذى ، ولا تستر ما وراءها » قال « ذمها » قال  
« يسرع إليها الكسر ، ولا تقبل الخبر » قال « صف لي هذه النحلة » وأوماً إلى نخلة في داره . قال  
« بمدح أم دم ؟ » قال « بمدح » قال « حلو حناها ، باسق منتهاها ، ناضر أعلاها » قال « ذمها » قال  
« صعبة المرتقى ، بعيدة المحتى ، مخوفة للأذى » فقال الخليل « يا بني نحن إلى التعلم منك أحوج » ثم اشتد  
على أبي الهذيل الملاف بمذهب الكلام إلى أن برع وطهر في أيام المعتصم وتبعه خلق كثير - وحكي عنه قال  
« مات لصالح بن عسك القدوس ولد ، فعفى إليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتنع له مرآة  
محرراً ، فقال أبو الهذيل « لا أعرف لجرنك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزروع » فقال صالح « يا أبا الهذيل  
إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك » فقال أبو الهذيل « وما كتاب الشكوك ؟ » قال « كتاب  
وصفته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان » فقال له النظام  
« شك أنت في موت أبك ، واعمل على أنه لم يمت وإن مات ، وشك أيضاً في أنه قد قرأ هذا الكتاب  
وإن لم يكن قرأه » فحصر صالح وكان مذهبه مذهب السوصطائية فانه يزعمون أن الأشياء لاهقيقة لها ،  
وإن مانسبعده يجوز أن يكون على ما شاهده ، ويجوز أن يكون على غير ما شاهده ، وأن حل الیقطان كحال  
النائم ، وتوفي سنة ٢٢١ هـ وسنه ست وثلاثون سنة .

(٦) الكندي - يعقوب الكندي من كبار فلاسفة الاسلام - انتقل إلى بغداد واشتدل بفن الأدب ،  
ثم علوم الفلسفة - وحل مشكلات الأوائل وله مؤلفات بارعة - وهو مشهور بالبدل ، وكان يقول : من  
شرف العمل ألك تمول للسائل « لا » ورأسك مرفوع إلى فوق ، ومن ذل العطاء ألك يقول « نعم »

بِهِ الدَّقَائِقُ ، وَأَنَّ صِنَاعَةَ الْأَلْحَانِ اخْتِرَاعُكَ ، وَتَأْلِيفُ الْأَوْتَارِ وَالْأَنْقَارِ تَوَلِيدُكَ  
وَأَبْتِدَاعُكَ ، وَأَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى <sup>(١)</sup> بَارِي أَفْلَامِكَ ، وَصَهْلُ <sup>(٢)</sup> بْنُ هَارُونَ مَدُونُ  
كَلَامِكَ ، وَعَمْرَوُ بْنُ بَجْرٍ <sup>(٣)</sup> مُسْتَمْلِكُكَ ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ <sup>(٤)</sup> مُسْتَفْتِيكَ ، وَأَنْتَ الَّذِي  
أَقَامَ الْبَرَاهِينَ ، وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ ، وَحَدَّ الْمَاهِيَةَ ، وَبَيَّنَّ الْكَيْفِيَّةَ وَالْكَمِّيَّةَ <sup>(٥)</sup> ،

وَأنت مشير برأسك إلى أسهل ، ومؤلفاته كثيرة منها ( أسام العقل الاسي ) وكتاب ( الحوامع الفكرية )  
وكتاب ( الفلسفة الأولى ) وغيرها .

( ١ ) عبد الحميد بن يحيى - هو عبد الحميد بن سعيد الكاتب المشهور ، وكان يقال « بدأت الكتابة بعد  
الحميد ، وحتت من الحميد » ، وكان في أول نشأته معلم صبيان بالكوفة ، لما اتصل بـروان الحمدي قبل أن  
يصل إلى الخلافة صحبه وانقطع إليه فلما جاء الأمر بالخلافة سجد مروان وأصحابه لإعلاء الحميد ، فقال له مروان  
« لم لم تسجد ؟ » فقال « ولم أسجد على أن كتب معاً فطرت عنا يعنى الخلافة » فقال « إذن تطير معي »  
قال « الآن طاب السجود » وسجد وطل كاتب مروان طول حياته .

( ٢ ) سهل بن هارون - من أهل بيسانور - رحل إلى البصرة فكتب إليها وكان شاعراً ، واشتهر  
بالحل . قال المحاضر : في رحل سهل بن هارون فقال : « هب لي ما لا ضرر به عليك » فقال : « وما  
هو يا أمي ؟ » قال : « درهم » قال : « أمد هوات الدرهم وهو طائع الله في أرضه لا يعنى ، وهو  
عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عشر دية المسلم » ألا ترى إلى أين  
انتهى الدرهم الذي وهبته ، وهل يبرئ الأموال إلا درهم على درهم » قال : « فاحصر الرحل ولولا  
احصائه لم يست » وحكى دعل الخراعى قال : « أقفا يوماً عند سهل بن هارون وأظلم الحديث حتى أضر  
به الحمار فدعا بمدائه فأتى بصحفة فيها مرق نخته ديك هرم فأحسد كسرة وتعقد ما في الصحفة فلم يجد  
رأس الديك فوقي مطرفاً ثم قال للعلام : « أين الرأس ؟ » قال : « رميت به » قال : « ولم ؟ » قال :  
« لم أطاك تأكله » قال . « ولم طاب ذلك » فوالله إنى لأمقت من يرمى رحله ، فكيف رأسه ، والرأس  
رئيس يتقال به ، ومنه الخواص الجسة ، ومنه صبح الديك ، ولولا صونه ما أريد ، وفيه فرقة الذي  
يتحرك به ، وبعينه التي يضرب بصعائها المثل ، ودماغه يحيط لوحج الكية ، ولم أر عطفا قط أهش من رأسه  
فان كان بلغ من حدك أن لا تأكله فمدنا من يأكله ، أما علمت أنه خير من طرف الخناج والساق ،  
انظر أين رميته فقال : « والله ما أدري » قال : « لكى أدري أنك رميته في طوك » .

( ٣ ) عمرو بن بجر - ذو الكاتب المشهور ويكنى بأبي عثمان ويعرف بالمحاضر وهو من يفخر به البيان  
المرى حتى قال : « مما فصل الله به أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على غيرها من الأمم : عمر بن الخطاب  
في سياسته ، والحسن العصري في علمه ، والمحاضر في بيانه » - نشأ بغداد وتعلم على الزهراء وانمرد  
بحسن البيان والفصاحة ، وأحباره مشهورة في كتب الأدب فلا داعي للإفاضة فيها -

( ٤ ) مالك بن أنس - هو صاحب المذهب المشهور .

( ٥ ) الماهية - ماهية الشيء ، ما يحصل في الدهن من صورة ركلية مطابقة له بعد حذف للمحصلات عنه إن  
كان حزيناً . فالأول هو أحد حدود العلم عند الحكماء فان العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام . علم ( ما ) وعلم

وَنَظَرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ<sup>(١)</sup>، وَمَيَّزَ الصَّحَّةَ مِنَ الْمَرَضِ، وَفَكَ الْمَعْنَى<sup>(٢)</sup>، وَفَصَلَ  
بَيْنَ الْأِسْمِ وَالْمُسَمَّى، وَصَرَفَ وَقَسَمَ، وَعَدَّلَ وَقَوَّمَ، وَصَنَّفَ الْأَسْمَاءَ وَالْأَفْعَالَ،  
وَبَوَّبَ الظَّرْفَ وَالْحَالَ، وَبَنَى وَأَعْرَبَ، وَتَنَبَّاهُ وَتَعَجَّبَ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ،  
وَتَنَبَّاهُ وَجَمَعَ، وَأَظْهَرَ وَأَضْمَرَ، وَاسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ، وَأَهْمَلَ وَقَيَّدَ، وَأَرْسَلَ وَأَسْنَدَ،  
وَبَحَثَ وَنَظَرَ، وَتَصَفَّحَ الْأَدْيَانَ، وَرَجَّحَ بَيْنَ مَذْهَبَيْ مَانِي وَغِيلَانَ<sup>(٣)</sup>، وَأَشَارَ  
بِذَنْجِ الْجَمْدِ<sup>(٤)</sup>، وَقَتَلَ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ، وَأَنَّكَ لَوْ شِئْتُ خَرَقْتَ الْعَادَاتِ، وَخَالَفْتَ  
الْمَعْهُودَاتِ، فَأَحْلَلْتَ الْبَحَارَ عَذْبَةً، وَأَعَدْتَ السَّلَامَ رَطْبَةً<sup>(٥)</sup>، وَتَقَلَّمْتَ غَدًا فَصَارَ

(كيف) وعلم (كم). فاعلم الذي يطلب منه ماهيات الأشياء هو العلم الالهي، والذي يطلب منه كيفيات  
الأشياء هو الطبيعي، والذي يطلب منه كميات الأشياء هو الرياضي.

(١) الجوهر والعرض: الجوهر - فيما يقولون - هو الجسم، كالأسنان والعرض والحجر ونحو ذلك.  
والعرض الحال وأوصفت المتعاقب عليه كالألوان من لباس، وشواد وحمر، والخمرات المختلفة من قيام وقعود  
واضطجاع، وجميع ما عدا الجوهر فاسم العرض واقع عليه.

(٢) ذلك المعنى - وهو اللزوم - أخرج إلى «ص ٢٨٤»  
وكان الحافظ يقول «ليس المعنى شيء قد كان كيسان مستملي أي عبيدة يسبح حلال ما يقال، ويكتب  
خلاف ما يسمع، ويقرأ خلاف ما يكتب، وكان أعلم الناس باستخراج المعنى - قالوا: «وكان النظام - على  
قدرته على أوصاف العلوم - لا يقدر على استخراج أحف ما يكون من المعنى».

(٣) ماني وغيلان - ماني هو الذي نسب إليه المانوية وهو شوي - نسبة إلى الأثين - لزمه أن صانع العالم  
اثنتان، أحدهما فاعل الخير وهو البور، والآخر فاعل الشر وهو الظلمة، وهما تدينان لم يرالا ولن يرالا  
حسابين سمينين نصيرين وهما مختلمان في العس والصورة، متصادان في الفعل والبدن، فجوهر الزور فاضل  
حسن بر ونفسه حذرة قديمة ماعة. منها الخير والسرور والصالح وليس منها من الشر شيء، وجوهر الظلمة  
على ضد ذلك جميعه، وقد أشار المتنبي إلى هذا المذهب بقوله:

«وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب.»

وكان ماني راهباً سحران. قالوا: «وكان مؤمناً بالمسيح مظهراً من أساقفة الصاري، ثم وشى به حاسدوه  
فأحدث ديناً ودعا إليه وتبعه كثير من الجوس».

وغيلان هو ابن يونس القندري النسطري. قالوا كان أبوه مولى لعثمان بن عفان، وكان غيلان أول من تكلم  
في القدر، وخلق القرآن في الإسلام في رأى بعض المؤرخين.

(٤) الجمدة - هو مولى بني الحسكم وكان يعلم مروان بن محمد الحمدي ويقطن دمشق وينسب إليه بعض  
المؤرخين أنه أول من تكلم بخلق القرآن.

(٥) السلام: المجارة الصلبة.

أَمْسَا ، وَزِدْتَ فِي الْمَنَاصِرِ فَكَانَتْ خَمْسًا <sup>(١)</sup> ، وَأَنَّكَ الْمَقُولُ فِيهِ :  
« كُلُّ الصَّيْدِ <sup>(٢)</sup> فِي جَوْفِ الْفَرَا . » وَ

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ <sup>(٣)</sup> . »  
وَالْمَعْنَى بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

« قَلَوُ صَوْرَتِ نَفْسِكَ لَمْ تَرِدْهَا - عَلَى مَا فِيكَ - مِنْ كَرَمِ الطَّبَّاعِ . »  
وَالْمُرَادُ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

« ذَكَرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُنْيَاتِهَا . »  
فَكَدَمْتَ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ <sup>(٤)</sup> ، وَاسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ <sup>(٥)</sup> ، وَتَفَخَّخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ <sup>(٦)</sup> ،  
وَلَمْ تَجِدْ لِرِيحٍ مَهْرًا ، وَلَا إِشْفَرَةَ عَحْرًا ، بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ،

(١) العناصر : هي رأى القدماء أربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

(٢) كل الصيد في حوف الفرا - مثل يصرب في وصف الشيء المرئي على غيره قالوا : « وأصله أن قومًا حرحوا للصيد فصاد أحدهم طيًّا وآخر أربأً وآخر فرا ، وهو الخمار الوحشي ، فقال لأصحابه : كل الصيد في حوف الفرا - يعني أن جميع صيدكم يسير في حب ما صدته ، وورع نصهم أن الفرا اسم واد كثير الصيد وهو قول مردود ، وأما قول الشاعر :

« وواد كحوف المير قمر قطمته »

فليس من هذا وإنما أراد الوادي المعروف بحوف حمار ، وحمار اسم رحل قديم كان في واد حصيب مظلم عشيرته ، فأرسل الله عليه ناراً فأحرقت ، وأحرق الوادي غلًا وسكته الحن فقل : أحلى من حوف حمار ، وحب يوماً أبو سميان بن حرب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أدن له فقال : « يا رسول الله ما كنت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجاهلين » فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا أبا سميان كل الصيد في حوف الفرا » . (٣) هذا البيت من قصيدة لأبي نواس في مدح الفضل بن يحيى .

(٤) كدمت في غير مكدم - عصمت في غير موضع للعص ، وهذا المثل يصرب لمن يطلب ما يعجز عنه

(٥) في هذا إشارة إلى قول الشاعر :

« دلو ناراً نفخت بها أضواء ولكن أنت تنفخ في رماد »

لقد أسمت - لو ناديت حيا - ولكن لا حياة لمن تنادي .

(٦) يشير إلى قول المتنبي لسيف الدولة معرضاً بأبي فراس :

« أعيذها بطرات منك صادقة أن تحسب الشعم فيس لم ورم . »

وَتَمَيَّنْتَ الرَّجُوعَ بِخُفْيِ حُنَيْنٍ<sup>(١)</sup> ، لِأَنِّي قُلْتُ :

« لَقَدْ هَانَ<sup>(٢)</sup> مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ . » وَأُنْشَدْتُ :

« عَلَى أَتْمَا الْأَيَّامِ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ<sup>(٣)</sup> »

وَنَحَرْتُ<sup>(٤)</sup> وَبَسَرْتُ<sup>(٥)</sup> ، وَعَبَسْتُ فَكَفَرْتُ ، وَأَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ ، وَأَبْرَقْتُ

وَأَرَعَدْتُ<sup>(٦)</sup> وَهَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي ، وَلَوْلَا أَنَّ لِلْجَوَارِ ذِمَّةً ،

وَاللِّضْيَافَةِ حُرْمَةً ، لَكَانَ الْجَوَابُ فِي قَدَالٍ<sup>(٧)</sup> اللَّهُمُسْتُقِ ، وَالنَّعْلُ<sup>(٨)</sup>

(١) حتى حين - مثل يصرب لمن يرجع الحمية - وكان حين دجا يقولون إسكافا من أهل الحيرة ساومه أعرابي عفيف ولم يشد منه شيئاً فباطله ذلك فخرج عليه وعلق أحد الخفين على شجرة في طريقه وتقدم قليلاً وطرح الآخر وكس ، فجاء الأعرابي فرأى أحد الخفين فوق الشجرة ، فقال « ما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه آخر لتكلف أحده » ثم تقدم قليلاً فرأى الخف الآخر مطروحاً فزل وعمل بغيره فأحده ورجع ليأخذ الأول فخرج حين من المكس وأحد بغيره وذهب ورجع الأعرابي إلى أخيه بجي حنين .

(٢) لقد هان من نالت عليه الثعالب - شطر بيت هو :

« أرب يول الثعلبان يرأسه لقد هان من نالت عليه الثعالب . »

قاله رجل من بني سليم كان يصنع صنماً ، رأى ذات يوم عملاً يول على الصنم فكسره وأنشد هذا البيت وذهب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلم .

(٣) البيت لأنى تمام من قصيدة رثاء ، منها قوله :

وقلت : « أحي » قالوا « أح ذوقاً » ؟ فقلت لهم : « إن الشكول أقارب »

وإن ناعدت في الأصول المناسب

نحجت لصبري معه - وهو ميت - وكنت اسراء أبكى دماً وهو فائق

على أتْمَا الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب .

(٤) نحرت - الحير صوت الألف عند الغضب .

(٥) والبسر - الاستعمال نالقي . قل أزانه . وهو في قوله تعالى : « عسى ورسر » معناه أظهر

العُبوس قبل أوانه . (٦) الابراق والارعاد - كناية عن البهيد وأصلها من البرق والرعد . قال الشاعر :

« فقل للنساء : ارعدى وابرقى فاما وصلنا إلى المنزل . »

(٧) أى لعلت بهذه المرأة التي أرسلتها رسولاً من قنك - لولا حرمة الصباقة - فمل سيف الدولة بالدمستق ،

وهو لقب يطلق على كل قائد من قواد جيش الروم ، وقد هزمه سيف الدولة وأشار المنبي إلى ذلك بقوله :

« وكنت إذا كاتبته قبل هذه كُنت إليه في قدال الدهستق ٢٠ »

(٨) مثل نظرية العرب وقد ضنهه أحد الصحراء قوله :

« إن طادت القرب عدنا لها وكأنه النمل لها حاضرة »

حَاضِرَةٌ إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ ، وَالْعُقُوبَةُ مُمَكِّنَةٌ إِنْ أَصَرَ الْمُذْنِبُ ، وَهَبَهَا لَمْ  
تُلَاحِظْكَ بَعِيْنٌ كَلِيْلَةٌ عَنْ عُيُوبِكَ ، مِلْؤُهَا حَبِيْبُهَا <sup>(١)</sup> ، حَسَنٌ فِيهَا <sup>(٢)</sup> مَنْ تَوَدُّ  
وَكَانَتْ إِمَامًا حَلَمْتُكَ بِحُلَاكَ ، وَوَسَمْتُكَ بِسِيَامِكَ ، وَلَمْ تُعْرِكَ شَهَادَةً ، وَلَا  
تَكَلَّفَتْ لَكَ زِيَادَةً ، بَلْ صَدَقَتْ سِنَّ بَكْرِيهَا فِيمَا ذَكَرْتُهُ عَنْكَ ، وَوَضَعَتْ  
الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقَبِ <sup>(٣)</sup> بِمَا نَسَبْتُهُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَتَ بِهِ  
عَلَيْكَ ، فَلَمْعَيْدِي <sup>(٤)</sup> تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ :

هَجِيْنُ الْقَدَالِ <sup>(٥)</sup> ، أَرْعَنُ <sup>(٦)</sup> السَّبَالِ ، طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالْعِلَاوَةِ <sup>(٧)</sup> ، مُفْرَطُ الْحُمُقِ  
وَالْعِبَاوَةِ ، جَانِي الطَّنْبِ ، سَيِّئُ الْجَابَةِ وَالسَّمْعِ ، بَغِيضُ الْهَيْئَةِ ، سَخِيْفُ الذَّهَابِ  
وَالْجِيْمَةِ ، ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُتَنِّ الْإِنْفَاسِ ، كَثِيرُ الْمَعَايِبِ ، مَشْهُورُ الْمَثَالِبِ :

(١) إشارة إلى قول اصبون :

« أَمَاكَ إِحْلَالًا ، وَمَاكَ قُدْرَةً عَلَى ، وَلَكِنْ مَلَأَ عَيْنَ حَبِيْبِهَا . »

(٢) في هذا إشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

ولقد قالت لجلارات لها  
أَكَمَا يَعْنِي تَبْصِرِي - عَمَرَكَ اللَّهُ - أَمْ لَمْ يَقْتَصِدْ؟  
فتصاحكن وقد قلن لها : « حسن في كل عين من تود . »

(٣) الهناء : الفطران ، والبقي : الحرب ، وهذا المثل يضرب لمن يصعب الأمور في مواضعها ، وهو يصف

بيت لدريد بن الصمة في الحساء وهو :

« متدلا تدوم محاسنه يصعب الهناء مواضع القبح . »

(٤) مثل يصبر لمن يكون محببه حيرا من منظره . فانه النعمان لشقة بن صبرة ، وكان يعجبه مايسمع

عنه ، فلما رآه استرعى منظره ، فقال النعمان : لأن تسمع بالمعدي خير من أن تراه .

فقال له : « أبيت الله إن الرجال ليسوا ببحر ، وإنما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه . »

(٥) القدال - جماع مؤخر الرأس ، وهجين القدال : أى خسيس الأصل . قالوا : « لأن الذى يعرف

أولم نسيه إذا ودى طأطأ رأسه حياء ودلا ، فكان الأؤم يدين من قذاله » وقيل « بل لسكرة انهزامه

في الحروب . »

(٦) أرعن : جاف ، والسال : جمع سبله وهى شعرة الشفة العليا وخصت الرفوعة بها لأنها علامة الرجل .

(٧) العلاوة - الرأس مادام على العنق ، وفى الدراسة أن طول العنق والرأس من دلائل الخلة .



كَلَامَكَ تَمْتَمَةً ، وَحَدِيثُكَ غَنَمَةً ، وَيَا نَكَ فَهَمَّةٌ ، وَصَحِيحُكَ قَهْمَةٌ <sup>(١)</sup> ،  
وَمَشِيكَ هَزْوَلَةٌ ، وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ ، وَدِينُكَ زَنْدَقَةٌ ، وَعِلْمُكَ مَحْرَقَةٌ <sup>(٢)</sup> :  
« مَسَاوٍ لَوْ قُسِمَ عَلَى الْغَوَانِي - لَمَّا أُهْرِنَ إِلَّا بِالْإِطْلَاقِ <sup>(٣)</sup> »

حَتَّى إِنْ بَاقِلًا <sup>(٤)</sup> مَوْصُوفٌ بِالْبَلَاغَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ ، وَهَبْنَقَةٌ <sup>(٥)</sup> مُسْتَوْجِبٌ لِأَنَّهُمُ  
الْعَقْلُ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْكَ ، وَطَوَيْسًا <sup>(٦)</sup> ، أَمْثُورٌ عَنْهُ يُمْنُ الطَّائِرِ إِذَا قِيسَ عَلَيْكَ ،  
فَوْجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْإِغْتِبَاطُ بِكَ نَدَمٌ ، وَالْحَيَبَةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَعَكَ  
سَقَرٌ ، كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْثَمَكَ لِكَرْحَى كِفَاءٍ ، وَضَعْتَكَ إِشْرَفِي وَفَاءٍ ، وَأَنْتَى  
جَهْلَتَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَنْجَذِبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ، وَالطَّيْرُ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى الْأَفْهَامِ ،  
وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ ، وَشَعَرْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ

(١) قال الحافظ - التمتة : التردد في التاء ، وانما ماه : التردد في الغاء ، والعقلة : النواء اللسان عسد  
إرادة الكلام ، والحسنة تعذر الكلام ، واللعف : إدخال حرف في حرف ، والرتة تمنع الكلام ، فاذا  
حاء منه شيء اتصل ، وقيل العجمة فيه ، والثمة أن يعدل من حرف إلى حرف ، والسة أن يشرب الحرف  
صوت الحيشوم والحة أشد منها ، واللكة أن يعترض الكلام حرف أعجبي ، والطمطة أن يكون  
الكلام شبيهاً بالعجبي .

وأما المعجمة فهي أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف - والمعجمة : المعجمة في النطق ، والفقهمة :  
الصعك الشديد يستدلون به على قلة العقل .

(٢) الهزولة : بين المني والعدو ، والمسألة : الفقر ، والمحرمة : نوع من الحرق ، الذي هو ضد الرق ،  
ومنه يقال : المحرق وهو شيء يلصق به كأنه يخرج لاطهار الشيء بخلافه .  
(٣) البت لأني تمام . (٤) باقل : مصرب المثل في المعنى .

(٥) هبقة : مصرب المثل في الحل وضعب العقل - قالوا : ووضع خندقاً في عقه علامة لمسه لئلا يضيع  
قالوا : وراقه أخوه إلى أن نام ، فأخذ المقد من عقه وجعله في عقه نفسه ، فلما انتبه هنقه ورأى أخاه ،  
قال « أنت أنا ، فأنا ياترى ، من هو أنا » وهو جاملي .

(٦) المنفى المايج المشهور ، وكان يسكن المدينة ، وهو أول من غي بها على الدف بالعربية ، وبضرب به  
المثل في الشؤون ، لأنه ولد يوم مات النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وفلم يوم مات أبو بكر ، وختن يوم  
قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وكان أمه تسمى بالغمية بين نساء الأنصار ، ونواهد شؤمه كثيرة  
مشهورة في كتب الأدب .

لَا يَتَمَارَبَانِ ، وَقُلْتُ : « الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ » وَتَمَثَّلَتْ <sup>(١)</sup> :  
« أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟ »

وَذَكَرْتُ أَنِّي عَلِقْتُ لَأَيُّكُ <sup>(٢)</sup> يَمْنُ زَادَ ، وَطَافْتُ لَا يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَ ، وَغَرَضْتُ  
لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَنْ أَجَادَ . مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلْتَّهْنَةِ ، وَتَرَشَّحْتَ  
لِلْتَّرْفَةِ ! وَلَوْ لَا أَنَّ جُرْحَ الْعَجْمَاءِ جُبَارُهُ <sup>(٣)</sup> ، لَلَقِيتَ مِنَ الْكَوَاعِبِ مَا لَاقَى  
يَسَارُهُ <sup>(٤)</sup> ، فَسَاهَمَ إِلَّا بَعْضُ مَا بِهِ هَمَمْتُ ، وَلَا تَعَرَّضَ إِلَّا لِأَيْسَرِ مَا لَهُ  
تَعَرَّضْتُ ، أَيْنَ ادْعَاؤُكَ رَوَايَةَ الْأَشْعَارِ ، وَتَعَاطِيكَ حِفْظَ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ ؟  
أَمَّا ثَابَ إِلَيْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

« بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلٌ مِسْمَعٍ وَتُنْكَحُ فِي أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ ؟ »

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة ، وعمرك الله بالصواب بهما لأنه لم يرد القسم ، وإنما أراد سألت الله أن  
يطيل عمرك ( بالفتح ) أي حياتك ، وبعده قوله :

« هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى . »

(٢) العلق : النفيس وهو من قصيدة للحريث بن فضال النخعي كانت له فرس اسمها - سكاك - فأراد  
نصص ملوك اليمن أخذها منه بهرب بها وقال :

« أبيت اللعن إن سكاك علق بعيس لا تعار ولا تناع

مفسدة مكرمة عاينا تمناع لها العيال ، ولا تمناع

ولا تطعم أبيت اللعن فيها ومنعكها شيء يستطاع . »

(٣) المعجماء : البهيمة ، والحمار : الهدر ، واللعى : أل البهيمة إذا جرحت لادية لها ولا نقصاص ،  
وهو مثل يضرب ، لمن يستهان به .

(٤) يسار : اسم عبد دميم أسود كان النساء يرينه فيضحكن منه لقبه ويحسبن لفتته  
معجات به حتى نظرت إليه بنت مولاة فصحكت طعن أنها رضيت له ، فقال لصاحب له أسود : « قد  
والله عشتني مولاتي ، فلا تزورنني الليلة » فقال له صاحبه « يا يسار ، اشرب لن الشار ، وكل لحم الحوار  
ولياك وبنات الاحرار » فقال له « والله ما رأيت حرة إلا عشتني » فلما أسمى قال لصاحبه « احفظ على  
الابل حتى أنصرف ، وأهود إليك » فنهاه فلم ينته حتى دخل على بنت مولاة براودها عن نفسها ، فقالت  
له « مكانك فان للحرائر طيبا ، أحسك إياه » فقال لها « هاتيه » فأنته بطيب وموسى قاطعة ، فأشمته  
الطيب ، ثم أمنت بالثوبى على منه فقطعته ، فخرج هاربا حتى أتى صاحبه ودمه يسيل ، ففرض به المثل .

وَهَلَّا عَشِيتَ وَلَمْ تَغْتَرَّ ؟ وَمَا أَشْكُ أَنَّكَ تَكُونُ وَادِ الْبَرَّاجِمِ <sup>(١)</sup> ، أَوْ  
تَرْجِعُ بِصَحِيفَةِ الْمُتَلَسِّسِ <sup>(٢)</sup> ، أَوْ أَفْعَلُ بِكَ مَا فَعَلَهُ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بِالْجُهَنِيِّ ،  
إِذْ جَاءَهُ خَاطِبًا فَدَهَنَ أُسْتَهُ بَزَيْتٍ وَأَذْنَاهُ مِنْ قَرِيَةِ النَّمْلِ ، وَمَتَى كَثُرَ تَلَاقِينَا  
وَاتَّصَلَ تَرَائِدُنَا ، فَيَدْعُونِي إِلَيْكَ مَادَعَا ابْنَةَ الْخَلَسِ إِلَى عَبْدِهَا مِنْ طُولِ السَّوَادِ <sup>(٣)</sup> ،  
وَقُرْبِ الْوِسَادِ ؟ وَهَلْ فَقَدْتُ الْأَرَاقِمَ <sup>(٤)</sup> ؟ وَأَنْسَحِحَ فِي جَنْبِ <sup>(٥)</sup> ؟ أَوْ عَضَلْنِي  
هَمَامُ بْنُ مُرَّةٍ فَأَقُولَ : « زَوْجٌ مِنْ عُودٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ ؟ »

وَلَعَمْرِي لَوْ بَلَغْتُ هَذَا الْمَبْلَغَ لَأَزْتَفَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْخَطِئَةِ ، وَلَأَرْضَيْتُ بِهِ هَذِهِ الْخَطِئَةَ ،  
فَالنَّارُ ، وَالْأَعَارُ ، وَالْمَانِيَةُ ، وَالْأَدْنِيَّةُ ، وَالْحَرَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَيْئِهَا <sup>(٦)</sup> :

(١) واد البراجم : هو رجل من بني تميم — والبراجم حصة من أولاد حنظلة — والعرب تصرف المثل بواحد  
البراجم لأن عمرو بن هند أحرق تسعة وتسعين رجلاً من بني تميم لئلا له عندهم ، وكان قد آلى أن يحرق  
منهم مائة ، فيها هو يلتمس بقية المائة إذ مرّ رجل اسمه عمار فاشتد رائحة القنار فظن أن الملك اتحد طامعاً  
صدل إليه فقبل له « من أنت » فقال : « أنا واد البراجم » فألقي في النار .

(٢) شاعر حامي ولد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة فنادماه وبنها طرفة  
يشرب يوماً معه وفي يده جام من ذهب فيه شراب أشرفت أخت عمرو ، ورآها طرفة فقال : « ألا بأبي الطي  
الذي تبرق شفتاه ، ولولا الملك القاعد ألثمتي فاه » فسمعها عمرو وأسرهما في نفسه وهم يقتله ، ولكنه خاف  
من هجاء المتلصص ، فسكت لهما كتابين إلى عامل البحرين ، وقال : « إني كتبت لكما بصلة فاقبصاها  
من عامل البحرين » فخرجا من عنده بالكتابين ، وصرّ المتلصص ببلاد من أهل الحيرة ، فطلب إليه أن يقرأ  
كتابيه فإذا فيه « إذا أتاك المتلصص فاقطع يديه ورجليه واصله » فأقبل على طرفة فقال « والله لقد كتب لك  
بمثل هذا ، فادفع كتابك إلى العامل يقرؤه » فقال : « كلا ما كان ليحترى على قومي بمثل هذا » فألقي  
للمتلصص صحيفته في نهر الحيرة وذهب طرفة قتل .

(٣) ابنة الخلس امرأة جاهلية رتت سبد لها ، فلما قرعوها وعيروها بفعلتها ولاموها عليها قالت لهم متنزة :  
« لقد حملت على ذلك قرب الوساد ، وطول السواد » وهي تعني بطول السواد : طول السرار ، وفي الحديث :  
« السواد من السحر » تقول : سادته أي ساررت ، أنظر « ص ١٩٨ » (٤) حتى من قلب .  
(٥) حتى من العين ، وهو من شعر مهلهل التليحي حين هرب وطالت عليه حرب اليسوس فزل في طريقه  
على حتى من العين فخطبوا إليه ابنته فسافروا المهر وهو جلود من آدم وغصبه على الزواج فقال :

« أعز علي تغلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جسم

أكسحها قددها الأرقام من جذ

لوباً بأبائين حله خاطبها ضرج مألوف خاطب بدم .

(٦) هذه أكلة لحم ففصا الهلاك على قعر الاحدوث

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنَكُحٌ وَفَتَيَانِ هَزَانِ الطَّوَالِ الْفَرَاتِقَةِ<sup>(١)</sup>

مَا كُنْتُ لَا تَخْطِي الْمِسْكَ إِلَى الرَّمَادِ ، وَلَا أَمُتْطِي الثَّوَرِ بَعْدَ الْجَوَادِ ، فَلَمَّا  
يَتَيَّمُ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً ، وَيَرْغَى الْهَشِيمَ ، مَنْ عَدِمَ الْجَمِيمَ ، وَيَرْكَبُ الصَّغَبَ  
مَنْ لَا ذُلُولَ لَهُ ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا غَرَّكَ مَنْ عَلِمْتَ صَبَوْتِي إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ  
مُسَاعَفَتِي لَهُ ، مِنْ أَقْمَارِ الْعَصْرِ ، وَرَيْنَحَانِ الْمِصْرِ ، الَّذِينَ هُمْ الْكَوَاكِبُ غُلُوْهُمُ  
هِمُّهُمُ ، وَالرِّيَاضُ طَيْبُ شَيْمٍ :

«مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِى بِهَا السَّارَى<sup>(٢)</sup>»  
حَنْ قِدْحٍ لَيْسَ مِنْهَا ، مَا أَنْتَ وَهُمْ ، وَأَنْتِ تَقَعُ مِنْهُمْ ، وَهَلْ أَنْتِ إِلَّا وَאוْ  
عَمَرُو فِيهِمْ ، وَكَالَوْ شَيْطَانَةً<sup>(٣)</sup> فِي الْعَظَمِ يَنْتَهُمُ ، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا بَلَّغْتَ قَعْرَ  
تَابُوتِكَ ، وَتَجَافَيْتَ عَنْ بَعْضِ قُوَّتِكَ ، وَعَظَّرْتَ أَرْضَانِكَ ، وَجَرَرْتَ هِمِّيَاكَ ،  
وَاخْتَلَمْتَ فِي مِشْيَتِكَ ، وَخَذَفْتَ فُضُولَ لِحْيَتِكَ ، وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ،  
وَمَطَطْتَ حَاجِبَكَ ، وَرَقَّقْتَ خَطَّ عِذَارِكَ ، وَاسْتَأْنَقْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ ، رَجَاءُ  
الْأَكْتِنَانِ فِيهِمْ ، وَطَمَعًا فِي الْأَعْتِدَادِ مِنْهُمْ ، فَظَنَنْتَ عَجْزًا ، وَأَخْطَأْتَ  
اسْتِكَ الْحَفْرَةِ<sup>(٤)</sup> ، وَآلِهَ لَوْ كَسَاكَ مُحَرَّقُ الْبُرْدَيْنِ<sup>(٥)</sup> ، وَحَلَّتْكَ مَارِيَةٌ<sup>(٦)</sup> بِالْقُرْطَيْنِ  
وَقَلَّدَكَ عَمْرُو الصَّنْصَامَةَ<sup>(٧)</sup> ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النَّمَامَةِ<sup>(٨)</sup> ، مَا شَكَكَتُ فَيْكَ ،

(١) اسم قبيلة - والبراقة الشباب ، والبيت للأعشى .

(٢) البيت للمرندس أحد بني بكر بن كلاب .

(٣) قطعة العظم تكون زيادة في العظم الصميم - يقال ملاه وشيطة في قومه أي حشوه بهم .

(٤) مثل يضرب لمن يطلب أسرا فيخطئه ولا يناله . (٥) انظر ص « ٢٠٠ »

(٦) ابنة ظالم زوج الحارث الأكبر النسائي - وقد أهدت قرطها إلى السمكة .

(٧) انظر ص « ٢٠٧ - ٢١٠ »

(٨) فرس الحارث بن عباد التغلي من سلالات بني وائل

وَلَا سَتَرْتُ أَبَاكَ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا ذَاكَ، وَهَبَكَ سَامِيَتُهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ  
وَالْحَسَبِ، وَجَارِيَتُهُمْ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ، أَلَسْتَ تَأْوِي إِلَى يَنْتِ  
قَمِيدَتُهُ لِكَاعٍ <sup>(١)</sup>؟ إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبُ خَالِي الذَّرَاعِ، وَأَيْنَ مَنْ أَنْفَرِدُ بِهِ يَمْنُ  
لَا غَلَبَ إِلَّا عَلَى الْأَقْلِ الْأَخْسِ مِنْهُ، وَكَمْ يَبْنُ مَنْ يَعْتَمِدُنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ،  
وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ، وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَيَّ، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَيَّ، وَيَبْنُ آخَرَ  
قَدْ نَضَبَ غَدِيرُهُ، وَزَحَّتْ بِيرُهُ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضُرَاطُهُ،  
وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشَفُ وَسَوْءُ الْكَيْلَةِ <sup>(٢)</sup>، وَيَقْتَرِنُ عَلَيَّ بِكَ إِلَّا  
الْمُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي يَنْتِ سُلُوبِي <sup>(٣)</sup> :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحَرْصُ أَغْنَاكَ الرَّجَالَ <sup>(٤)</sup>  
مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرْعِكَ، وَتَرْبَعَ بِذَاكَ عَلَى ظَلَمِكَ، وَلَا تَكُنْ  
بِرَاقِشٍ <sup>(٥)</sup> الدَّالَّةَ عَلَى أَهْلِهَا، وَعَنْزَ السُّوءِ الْمُسْتَنْزِةَ لِحِفْظِهَا، فَمَا أَرَاكَ إِلَّا سَقَطَ  
بِكَ الْعِشَاءُ عَلَى سِرْحَانٍ <sup>(٦)</sup>، وَبِكَ لَا بِظَنِّي أَعْفَرَ <sup>(٧)</sup>، أَعْذَرْتَ إِنْ أَغْنَيْتَ شَيْئًا،  
وَأَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا <sup>(٨)</sup> .

(١) القميدة : الروحة ، واللِكَاع : الشيعة ، واليت للحطيطه يقول :

« أطوف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قميدته لكاع . »

(٢) مثل بصرت في الحديثين الشيخين مجتهدان . قالوا أنه لعمر بن مديكر ، والحشف أردأ التمر ،  
والكيلة مصدر يدل على الهيشة .

(٣) وهي امرأة من سلول ، وهو مثل فله عامر بن الطويل عد ماتوعده النبي - صلى الله عليه وسلم -  
مدحا عليه وقال : اللهم اكفني عامرا بما شئت ، فظهر في رقبته غدة مات منها وجعل يقول : « غدة كغدة  
البعير ، وموت في بيت سلولية . » (٤) البيت لأبي العنابية . (٥) يشير إلى المثل ( حنت  
على أهلها براقيش ) (٦) الدف . (٧) مثل يضرب للشجاعة بالرجل - أي نزل بك المكروه ولا  
نزل بطي ، والأعفر الذي لونه لون التراب . (٨) يشير إلى قول المعري :

« لقد أسمعتم لو ناديت حيا - ولكن لا حياة لمن تنادي »

ونار لو مدح بها أضاءت - ولكن أنت تنفع في رماد .

ولعله اقتبسها في قصيدته من شعر عمرو بن معاذ

إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لَدَى الْحِلْمِ وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمَى<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ بَادَرْتَ بِالنَّدَامَةِ، وَرَجَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِاللَّامَةِ، كُنْتَ قَدْ اشْتَرَيْتَ  
الْعَافِيَةَ لَكَ بِالْعَافِيَةِ مِنْكَ، وَإِنْ قُلْتَ جَمْعَةً وَلَا طِخْنَ، وَرُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ<sup>(٢)</sup>  
الرَّاعِدَةِ، وَأَنْشَدَتْ :

« لَا يُؤَيِّسَنَّكَ مِنْ مُحَدَّرَةٍ قَوْلُ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا<sup>(٣)</sup> . »

فَعُدْتُ لِمَا نَهَيْتَ عَنْهُ، وَرَاجَعْتُ مَا اسْتُعْفَيْتَ مِنْهُ، بَعَثْتُ مَنْ يُرْجِيكَ إِلَى  
الْخَضِرَاءِ<sup>(٤)</sup> دَفْعًا، وَيَسْتَجِزُّكَ نَحْوَهَا وَكَرَاهًا وَصَفْعًا، فَإِذَا صِرْتَ إِلَيْهَا عَبَثَ  
أَكَارُوهَا<sup>(٥)</sup> بِكَ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ، فَمِنْ قَرَعَةٍ مُعْجَاجَةٍ تُقَوِّمُ فِي قَفَاكَ،  
وَمِنْ فُجْلَةٍ مُنْتَنَةٍ يُرْمَى بِهَا تَحْتَ خُصَاكَ، ذَلِكَ مَا قَدَّمْتَ يَدَكَ، لِتَدُوقَ وَبَالَ  
أَمْرِكَ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ :

فَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى<sup>(٦)</sup>

(١) وهما مثلان بصرىان في التحدير، وقد نطهما الحارث بن ولة اللشكري، وقد قتل من سادات قومه أحاه فقال:

« أَتُنَلِّسَادَتَنَا دَانَرَةً  
ووطئنا وطئنا على حنق  
ورعت أما لا حلوم لنا  
لا تأمن قوما ظلمتهم  
ان يأبروا نخلنا لسيرهم  
والآن لما أيمس مسرى  
ترحو الأعداى أن أصلحها  
قوى هم قتلوا أيم أخى  
فلئن عفوت لأعفون حللا  
إلا لتوهن قوة العظم  
وطه المقيد نأت الهرم  
ان العصا ترعت لدى الحلم  
وبدأتهم بالشر والمثم  
والشيء تحقره وقد يمسى  
وعضمت من نانى على حدم  
حلا توهم صاحب الحكم  
فاذا رميت يصيبى سهمى  
ولئن أصبت لأوهن عطى . »

(٢) الحبيبة: صوت الرحي، والطحن: الدقيق، والصلف: قلة الخير والبركة، وسحاب صلف: أى قليل الماء كثير  
الرد، وهما مثلان يضربان لمن يتوعد من غير أن يفعل . (٣) هذا البيت لبشار بن برد - وبعده قوله :  
« عسر النساء إلى مياسرة والصعب يركب بدمنا محما . »

(٤) اللابحة: المروعة من البلد، والوكر: ضرب الطهر مع الدرع أو الصرب مجتمع اليد على الدفن  
(٥) الأكارون: الزارعون . (٦) البيت لعتلى - من قصيدة في دم كافور الأخشيدي ومعاينه، ومنها قوله:

« وَدَكُنْتُ أَحْسَبَ قَبْلَ الْخَفِ  
لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى هَقْلِهِ  
يَأْنِ الرُّؤُوسِ مَحَلَّ النَّهْيِ  
وَجَدْتُ النَّهْيَ كَمَا فِي الْخَصِي  
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَانِهِمْ  
فَالَمَا بَرَقَ رِيَّاحُ فَلَا . »

## الرسالة الجدية لابن زيدون<sup>(١)</sup>

« كتبها لابن جمهور »

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَّادِي لَهُ ، وَأَعْتَادِي عَلَيْهِ ، وَأَعْتَادِي بِهِ ،  
وَأُمْتِدَادِي مِنْهُ ، وَمَنْ أَتَقَاهُ اللَّهُ مَاضِيَ حَدِّ الْعَزْمِ ، وَارِي زَنْدِ<sup>(٢)</sup> الْأَمَلِ ، تَابَتْ  
عَهْدُ النِّعْمَةِ ، إِنْ سَلَبْتَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لِبَاسَ نِعْمَائِكَ ، وَعَظَلْتَنِي مِنْ حُلَى  
إِنْيَاسِكَ ، وَأَظْمَأْتَنِي إِلَى بَرُودِ<sup>(٣)</sup> إِسْعَافِكَ ، وَفَقَضْتَ بِي كَفَّ حِيَاطَتِكَ ،  
وَوَغَضَضْتَ<sup>(٤)</sup> عَنِّي طَرْفَ<sup>(٥)</sup> حِمَايَتِكَ ، بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ،  
وَسَمِعَ الْأَصَمُّ ثَنَائِي عَلَيْكَ<sup>(٦)</sup> ، وَأُحَسَّ الْجَمَادُ بِاسْتِحْمَادِي إِلَيْكَ - فَلَا غَرَوْ  
قَدْ يَفْصُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ . وَيَقْتُلُ الدَّوَاهُ الْمُسْتَشْفَى بِهِ ، وَيُؤْتِي الْحَذِرُ مِنْ  
مَأْمَنِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَنَّى فِي أُمْنِيَّتِهِ<sup>(٧)</sup> ، وَالْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ  
الْحَرِيصِ<sup>(٨)</sup> :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهْوُنُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحَسَادِ  
وَإِنِّي لَا تَجْلُدُ ، وَأَرَى الشَّامِتِينَ أَنِّي لَرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ<sup>(٩)</sup> ، فَأَقُولُ :

(١) ارجع إلى « ص ٤٩ » (٢) الرند : الرناد ، وورى الرد هو اقتداحه وخروج النار منه .

(٣) برود : بارد . (٤) غصصت : حفصت .

(٥) طرف : عين . (٦) يشير إلى قول المتنبي :

« أنا الذي نظر الأعمى إلى أدنى وأسمعت كلماتي من به صم . »

(٧) فيما يؤمله وبشواه .

(٨) الحين : الهلاك ، والجهد : الطاعة ، وهذا مثل من أمثال العرب مشهور . قال عدى بن زيد :

« تد يدرك البطي من حطه - والحين قد يسبق جهد الحريص . »

(٩) يشير إلى قول أبي دؤب الهذلي :

« وتجلدى للشامتين أريهم أني - لرب الدهر - لا أضعضع . »

وقد تمثل به معاوية قبيل وفاته .

هَلْ أَنَا إِلَّا يَدٌ أَدْمَاهَا سِوَارُهَا <sup>(١)</sup>، وَجَبِينُ عَضٍّ بِهِ إِكْلِيلُهُ <sup>(٢)</sup>، وَمَشْرِفِي <sup>(٣)</sup>  
الْصَّقَةُ بِالْأَرْضِ صَاقِلُهُ، وَمَهْمَرِي <sup>(٤)</sup> عَرَصَهُ عَلَى النَّارِ مُثَقِّفُهُ، وَعَبْدُهُ ذَهَبَ  
بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ :

« فَكَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ <sup>(٥)</sup> »  
هَذَا الْعُتْبُ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ، وَهَذِهِ النَّبُوَّةُ <sup>(٦)</sup> غَمْرَةٌ <sup>(٧)</sup> ثُمَّ تَنْجَلِي ، وَهَذِهِ  
النَّكْبَةُ سَحَابَةٌ صَنِيفٌ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ <sup>(٨)</sup>، وَلَنْ يَرِيَنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ  
أَبْطَأَ سَيْبُهُ <sup>(٩)</sup>، أَوْ تَأَخَّرَ - غَيْرَ ضَنِينٍ - غَنَاؤُهُ <sup>(١٠)</sup>، فَأَبْطَأُ الدَّلَاءُ فَيَضَا  
أَمْلَؤَهَا <sup>(١١)</sup>، وَأَثْقُلُ السَّحَابُ مَشِيًّا أَحْقَلُهَا <sup>(١٢)</sup>، وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَادَفَ <sup>(١٣)</sup>  
جَذْبًا ، وَاللَّهُ الشَّرَابُ مَا أَصَابَ غَدِيلًا <sup>(١٤)</sup>، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ

(١) السوار : نوع من الخيل يلبس في الساعد ، وقريب من هذا قول المتنبي :

« دو كعب - وما أثرت بهم - يد لم يدمها إلا السوار »

له - من قدامه - ألم ومنص ، وفيها - من حلاله - امتحار .

(٢) الأكليل : الناح . (٣) المشرقي : السيف .

(٤) السمهرى . أرمج .

(٥) البيت لأى تمام ، وقريب من هذا المعنى قول المعرى :

« اصرب وايدك - تأديا على رشب - ولا تقل هو ذل - ير - تنلم »

ورب شق رأس جر مفعلة ، وقس على شق رأس السيف والقم .

(٦) السورة : الحفوة . (٧) الدرة : الشدة . قال الشاعر :

« وما هى إلا عمرة ثم تنجلي سريعا ولا سوة تنصرم . »

(٨) مثل عربى : يشير إلى أن العسر سيتبعه اليسر بعد قليل .

(٩) سيده : حوده أو عطؤه . (١٠) غناؤه : حيره أو نفعه .

(١١) مثل عربى ، يقولون : « لعل أبطأ الدلاء أملؤها » وقد اشتق به الحريرى فى إحدى

مقاماته ، ومعناه إن أبطأ الدلاء فى الصمود فى الدلاء المتثلة بالماء .

(١٢) أحفلها : أكثرها ماء .

(١٣) الحيلة : البيت أو اللطيف .

(١٤) الغليل : شدة العطش .



كِتَابٌ ، لَهُ الْحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ <sup>(١)</sup> ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ <sup>(٢)</sup> :  
« فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ - الَّذِي سَاءَ - وَاحِدًا ، فَأَفْعَالُهُ - اللَّاتِي سَرَزْنَ - أَوْف . »

\* \*

وَأَعُوذُ فَأَقُولُ :

« مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْعَهُ عَفْوُكَ ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ حِلْمُكَ ،  
وَالْتَّطَاوُلُ <sup>(٣)</sup> الَّذِي لَمْ يَسْتَعْرِفَهُ تَطَوُّلُكَ ، وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ ،  
وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا ، فَأَيْنَ الْعَدْلُ ؟ أَوْ مُسِيئًا ، فَأَيْنَ الْفَضْلُ ؟ »  
إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَقَضْلُكَ أَوْسَعُ <sup>(٤)</sup>  
حَنَانِيكَ <sup>(٥)</sup> قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ <sup>(٦)</sup> ، وَنَالَنِي مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى ، وَمَا أَرَانِي  
إِلَّا أُمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ <sup>(٧)</sup> فَأَبَيْتُ وَأُسْتُكْبِرْتُ ، وَقَالَ لِي نُوحٌ <sup>(٨)</sup> :  
« أَرْكَبْ مَعَنَا » فَقُلْتُ : « سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ » وَأُمِرْتُ

(١) اهتباله : اعتداه .

(٢) أعفاله : تناضيه وتعامله .

(٣) التَّطَاوُلُ : التكبر ، والتطاول : التفصل ، والتعامل : التكيف بما لا يطاق ، والاحتمال : هو

القدرة على الجمل .

(٤) البيت الأول للحمدي ، والثاني مأخوذ من قول الشاعر :

« هبني طلوماً ملنسه بمساعة قصاصاً فأين الأحديعز بالفضل . »

(٥) حنانيك : رحمتك وهو مثلي كلمة حنان .

(٦) الرى : جمع رية وهي الحفرة في مكان مرتفع لا يعلوه الماء تحفر لصيد الأسد ، فاذا وصل إليها

السيل كان سيلاً عظيماً لا عهد للناس به ، وهو مثل يضرب للشيء يرمى على عاتقه .

(٧) يشير إلى استنكار إبليس عن السجود لآدم حين أمره الله بذلك مصداقاً لحق عليه اللعنة ، ففضل

نفسه عليه لأنه من ناز وآدم من طين ، وتند أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : « مسجودوا إلا

إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » .

(٨) يشير إلى قصة نوح حين فاض الطوفان ، وركب السفينة هو ومن معه وخالفه ابنه وعصاه فهلك ،

وقد أشار الكتاب الكريم إلى ذلك في قول نوح : « يا بئى أركب معنا ولا تكن من الكافرين » وقول

ابنه : « سآوى إلى جبل يعصمى من الماء » .

يَبْنَاءُ الصَّرْحِ <sup>(١)</sup> لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ، وَعَكَفْتُ عَلَى الْحِجْلِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَعْتَدْتُ فِي السَّبْتِ <sup>(٣)</sup> ، وَتَعَايَنْتُ <sup>(٤)</sup> فَمَقَرْتُ <sup>(٥)</sup> ، وَشَرِبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أُبْثِلِي بِهِ جِيُوشُ « طَالُوتَ » <sup>(٦)</sup> ، وَقَذْتُ الْقِيلَ لِأَبْرَهَةَ <sup>(٧)</sup> ، وَعَاهَدْتُ قُرَيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ <sup>(٨)</sup> ، وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ <sup>(٩)</sup> ، وَنَفَرْتُ إِلَى الْعِيرِ يَبْدُرُ ، وَأُنْخَذْتُ شِلْتُ النَّاسِ يَوْمَ أَحَدٍ <sup>(١٠)</sup> ، وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْمَصْرِ فِي

(١) الصرح : القصر - يشير إلى قصة فرعون وهي مذكورة في الكتاب الكريم حين قال : « يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ عَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الْبَيْتِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا » .

(٢) يشير إلى عجل بني إسرائيل الذي عبده .

(٣) يشير إلى قصة بني إسرائيل حين نزلوا عن الصيد في يوم السبت فغالبوا ما نهوا عنه ، لحق بهم العذاب

(٤) تعايطت : أي قتت على أطراف أصابع رحلي ورفعت يدي وضربت .

(٥) عقرت : قتلت يقال عقر العير بالسيف أي ضربت قوائمه به وهو يشير بذلك إلى ناقة صالح ودب من عقرها ، وإلى الآية الكريمة : « فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسَقِيهَا فَمَدَّمْ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَبِئِهِمْ مِثْلَهَا »

(٦) يشير إلى اللب الذي اقترعه حبش « طالوت » عليه السلام ، وإلى الآية : « إِنَّ اللَّهَ مَتْلَبُكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ بِيَدِهِ » ولكن أكثرهم حاله وشرب منه فوقعوا في الائم ، قال أبو العلاء :

« سَقِيَا لِدَحْلَةَ وَالذِّبْيَا مَعْرَفَةً حَتَّى يَمُودَ احْتِمَاءُ الْحِمِّ تَشْتَبِيَا »

ومعدها لا أريد الشرب من نهر كأنما أنا من أصحاب طالوتا

(٧) يشير إلى قصة أبرهة حامل النبي من قبل الحاشي حين دهم لهدم الكعبة ومعه القيلة لمضيه عليها

إذ بهي كيسة في صماء النبي ليحج إليها الناس بدل الكعبة فلم يسوا بها وتموطرحل ديم وأحرقها بمصن نجار النبي ، وعصب الحاشي من ذلك ، وأمر أردة حامل النبي بهدمها وانقصه مذكورة في الكتاب الكريم « أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ يَعْمَلُ بِأَصْحَابِ الْعِيلِ \* أَلَمْ تَرَ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ \* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَائِفًا مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ \* تَرَاهُمْ فِي مِجْبَارَةٍ مِنْ سَحِيلٍ \* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ » وقد أشار المعري إلى هذه القصة في لزومياته بقوله :

« حَدِيثُ حَاءٍ عَنْ قَائِمٍ لِي - فِي الذَّمِّ - وَهَابِيلَا »

وطير عكفت يوماً على الجيش أبابيلًا

مق ترحل عن دنيا تزيد العقل تخيلاً .

(٨) يشير إلى الصحيفة التي كتبها قريش وعلقوها في الكعبة يقررون فيها مقاطعة النبي - صلى الله

عليه وسلم - وزيارة الاسلام بعد أن رأوا إسلام عمر وحزرة الذي اعتز بها الدين .

(٩) قصص بيعة العقبة : مخالفة الاجاع والشذوذ من حجة الصواب .

(١٠) يشير إلى واقعة « أحد » حين انخذل بن سلول هو ومن معه من المنافقين ورجعوا

بشك الجيش .

بِنِي قُرَيْظَةَ <sup>(١)</sup> ، وَجِئْتُ بِالْإِنْفَكِ <sup>(٢)</sup> عَلَى حَائِشَةِ الصَّدِيقَةِ ، وَأَنْفَتُ مِنْ  
إِمَارَةِ أُسَامَةَ <sup>(٣)</sup> ، وَزَعَمْتُ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ <sup>(٤)</sup> كَانَتْ فَلَئَةً ، وَرَوَيْتُ  
رُفْعِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ <sup>(٥)</sup> ، وَمَزَقْتُ الْأَدِيمَ <sup>(٦)</sup> الَّذِي بَارَكْتَ يَدَ اللَّهِ عَلَيْهِ ،  
وَصَحَيْتُ بِالْأَشْمَطِ <sup>(٧)</sup> الَّذِي عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ، وَبَذَلْتُ لِقَطَامٍ <sup>(٨)</sup> .  
« ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرْبَ عَلِيٍّ بِالْحَسَامِ الْمُسَمِّ »

(١) بنو قريظة : طائفة من اليهود وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بعد عودته من غزوة الحديق أن يسلوا المعمر في بني قريظة يعني بذلك أن يسرعوا في الدواب إليهم .

(٢) يشير إلى حريمة مسطح وحسان في حادثة الانك ، وهي اتهام عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حين كانت عائدة من عروة بن المسطلق وزلت من الهودج لقضاء حاجتها وسار أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من غير أن يتفقوا عائشة ، وكانت قد تحلفت عن الركب ، ومرت بها صفوان وكان متحلفاً عن الركب فأركبها على جمل ، ولما وصلا أشاع أعوان السوء ضها ماأشاعوه ، ثم برأها القرآن ، وأظهر طهارتها ، وأجلم أهل الانك والبهتان .

(٣) يشير إلى تولية النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن حارثة قيادة الجيش الذي ذهب إلى الشام وإلى تعالى بعض المهاجرين ، وأعتهم من إمارته ، وغصب الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليهم وتقريره لإيهم ، وصودوه الدم وهو حاصب رأسه لمرضه .

(٤) يشير إلى رأى الشيعة في أن علي بن أبي طالب كان أحدر الخلافة من أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر قد اختلسها لنفسه اختلاساً .

(٥) يشير إلى فتك أبي شجرة السلمي في بعض حروب الردة بجيش خالد بن الوليد .

(٦) يشير إلى أديم «عمر» أي جلده الذي مزقه أبو لؤلؤة المخوصي حين قتله ، ويشير إلى قول الشاعر في رثائه :

«حرى الله خيراً من إمام، وماركت يد الله في ذلك الأديم المرقق .»

(٧) يعني بالأشمتط : عثمان بن عفان ، وهو يشير إلى قول حسان بن ثابت في رثائه :

«فمخواباً شمتط، عنوان السجود به ، يقطع الليل تسبيحاً وقرأناً .»

(٨) قطام : اسم امرأة أقرت عبد الرحمن بن ملجم بقتل علي ومرضته ، مهرأ لها ، فأجابها إلى ماطلبت ، وبنى هذا البيت قوله :

«فلاهر أغلى من عليّ - وإن علا - ولا فلك إلا دون ذلك ابن ملجم »  
وقد أشار البحتري إلى ذلك أبعد إشارة حين قال :

« ولاعجب للأسد إن طمرت بها »

« ولاعجب للآسد إن طمرت بها »  
« ولاعجب للآسد إن طمرت بها »  
« ولاعجب للآسد إن طمرت بها »  
« ولاعجب للآسد إن طمرت بها »

وَكَتَبْتُ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ : « أَنْ جَمَعَ<sup>(١)</sup> بِالْحُسَيْنِ » وَتَمَثَّلْتُ عِنْدَ مَا بَلَغَنِي مِنْ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ<sup>(٢)</sup> :

« لَيْتَ أَشْيَاخِي - يَبْذِرُ - عَلِمُوا جَزَعُ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ »  
وَرَجَعْتُ الْكَعْبَةَ ، وَصَلَبْتُ الْعَائِذَ عَلَى الثَّنِيَّةِ<sup>(٣)</sup> ، لَكَانَ - فِيمَا جَرَى عَلَيَّ -  
مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَسْمَى نَكَالًا ، وَيُدْعَى - وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ - عِقَابًا .  
« وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ ! »

\* \*

فَكَيْفَ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا نَعِيمَةً أَهْذَاهَا كَاشِحٌ<sup>(٤)</sup> ، وَنَبَأٌ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ .  
وَهُمُ الْهَمَّازُونَ الْمَشَاءُونَ<sup>(٥)</sup> ، وَنَعِيمٌ ، وَالْوَاشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا  
الْعَصَا ، وَالْفَوَاةُ<sup>(٦)</sup> الَّذِينَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا<sup>(٧)</sup> صَحِيحًا ، وَالسَّعَاءُ<sup>(٨)</sup> الَّذِينَ  
ذَكَرَهُمُ الْأَخْفُ بْنُ قَبَسٍ فَقَالَ : « مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصِّدْقُ مُحَمَّدٌ إِلَّا مِنْهُمْ »  
« حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَّةً ، وَلَيْسَ - وَرَاءَ اللَّهِ - لِمَرَّةٍ مَذْهَبٌ »  
وَاللَّهُ ، مَا غَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ ، وَلَا أَنْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ<sup>(٩)</sup> ، وَلَا  
نَصَبْتُ لَكَ<sup>(١٠)</sup> بَعْدَ الدَّشِيمِ ، وَلَا أَزْمَعْتُ يَأْسًا مِنْكَ مَعَ ضَمَانٍ تَكْفَلْتُ بِهِ

(١) يشير إلى تحريض صبيد الله بن رباد على قتل الحسين حين أرسل عمر بن سعد لقتله وأغرقه شمر وأمر صبيد الله عمرو بن سعد أن يجمع الحادي أي يصيق عليه الخناق .

(٢) وقعة الحرّة - يشير إلى ما فعله يزيد بن معاوية حين أرسل عقبة بن مسلم بخاربة أهل المدينة وإباحتها ثلاثة أيام ، ولما تمّ أريد ذلك تمثّل بقول ابن الربري : « ليت أشياخي ..... الخ . »

(٣) يشير إلى رحم الحاج الكمة بالمنعني وصلبه عبد الله بن الزبير وهو يعيه بالائد أي اللتحى ، والثنية : طريق العقبة . (٤) الكاشح : العدو .

(٥) الهمارون : الذين يكتزون الهمر وهو العبية ، والمشاءون : الذين يكتزون السمي بين الناس بالنعينة .

(٦) الفواة : جمع غاز وهو اللعال . (٧) الأديم الجلد .

(٨) السعاء : الذين يدمون بين الناس بالفساد . (٩) الصاعية : صاعية الرجل خاصسته الذين

يسفون إليه ويقتولون مجلسه . (١٠) ولا نصبت لك : هاديتك

الثِّقَةُ عَنْكَ ، وَعَهْدٍ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ . فَفِيمَ عَبَثَ الْجَفَاءِ بِأَذْمَتِي <sup>(١)</sup> ،  
وَهَاتَ الْعَفْوَ فِي مَوَاتَانِي ، وَتَمَكَّنَ الضِّيَاعُ مِنِّي وَسَائِلِي ؟ وَلَمْ صَاقَتْ  
مَذَاهِبِي ، وَأَكْدَتْ مَطَالِبِي ؟ وَعَلَامَ رَضِيتُ مِنَ الْمُرَّ كَبِ بِالْتَّمْلِيقِ . بَلْ  
مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ <sup>(٢)</sup> ؟ وَبِأَنْ غَلَبَنِي الْمَغْلَبُ <sup>(٣)</sup> ، وَفَجَرَ عَلَى الْعَاجِزِ الضَّعِيفُ ،  
وَلَطَمْتَنِي غَيْرُ ذَاتِ سِوَارٍ <sup>(٤)</sup> ؟ وَمَا لَكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أُفْتَرَسَ ، وَتُدْرِكَنِي  
وَلَمَّا أَمْرَقَ <sup>(٥)</sup> ؟ أَمْ كَيْفَ لَا تَنْتَضِرُ جَوَانِحَ الْأَكْفَاءِ <sup>(٦)</sup> حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ  
بِكَ ؟ وَتَقَطِّعُ أَنْفَاسَ النَّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ وَقَدْ  
زَانَنِي قَدِيمُ خِدْمَتِكَ ، وَزَهَانِي وَسْمُ نِعْمَتِكَ ، وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي  
سِمَاطِكَ <sup>(٧)</sup> ، وَقُمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى بَسَاطَتِكَ ؟

« أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ غَرَّ قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ - مَعَ اللَّيْلِ - الْأَنْجَمَا  
تَنَابُ يَظَالُ الرُّوضُ مِنْهُ مُنَوَّرًا ضَحَا ، وَيَحَالُ الْوُشْيُ فِيهِ مُنَمَّنًا »

(١) الأذمة : العهود والخرمات . (٢) رصيت من العيبة بالاياب : مثل يضرب في القناعة بالسلامة  
قال امرؤ القيس :

« لقد طوت في - الآفاق - حقى رضى من العنبة بالاياب . »

(٣) المغلب : أى الضعيف . قال الشاعر :

« فانك لم يفجر عليك كفاحر صعب ولم يعلك مثل ملب . »

(٤) فى المثل « لو ذات سوار لطمتى » ، يشير إلى ضعف المعتدى وحقارته والعادة أن السوار  
لا تلبسه إلا الحرّة . قال الشاعر :

« بلاء ليس يعلمه بلاء عداوة عبرى حسب ودين »

يبعك منه عرواً لم يهره ويرفع منك عرض مصون . »

وقال المعرى : « خف يا كريم على عرس تعرضه لعائن ، فطم لا يقاس بك »

إن الراحة - لما حطمت - سبكت وكم تحطم من در فما سبكا . »

(٥) وتدركنى ولما أمرق : يشير إلى قول المتنبي المعتدى ، وقد اشهد به عثمان بن عفان و كتابه إلى على :

« فان كنت ما كولا فكن أنت آكلى وإلا فأدركنى ولما أمرق . »

(٦) الأكفاء : جمع كف ، وهو الند أى المثل .

(٧) السباط : الصف ، وقد مر بك قول ابن زيد بن ربيعة فى ص « ١٤٤ »

« إذا ما استوى فى المستوطان قد حجرة ، وقام سباطا حمله فلما الصدر

أى صفا حمله . »

وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا مُؤَمَّاتُهُ بِفَضَائِكَ، وَتَقَلَّدَتِ الْجُوزَاءُ إِلَّا عِقْدًا  
فَصَلَّتُهُ بِمَآثِرِكَ، وَأَسْتَمَلَى الرَّيِّعُ إِلَّا نَنَاءَ مَلَأَتْهُ بِمَحَاسِنِكَ، وَبَتَّ<sup>(١)</sup> الْمِسْكُ  
إِلَّا حَدِيثًا أَدْعَتْهُ فِي مَحَامِدِكَ؟ مَا يَوْمُ «حَلِيمَةَ» بِسِرٍّ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكُنْكَ  
سَلِيبًا<sup>(٢)</sup>، وَلَا حَلِيمَتُكَ عَطْلًا<sup>(٣)</sup>، وَلَا وَسَمْتُكَ غُفْلًا، بَلْ وَجَدْتُ أَجْرًا وَحِصًّا<sup>(٤)</sup>  
فَبَيَّنْتُ، وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتُ، حَاشَ لَكَ أَنْ أَعْدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ<sup>(٥)</sup>  
وَأَكُونَ كَالذَّبَالَةِ<sup>(٦)</sup> الْمَنْصُوبَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْتَرِقُ، فَلَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، وَهُوَ  
- بِكَ وَبِي - فِيكَ أَوْلَى، وَلَعَمْرِي إِنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أُنَحْوَلَ<sup>(٧)</sup> إِذَا بَلَعْتَنِي  
الشَّمْسُ وَنَبَايَ الْمَنْزِلُ، وَأَصْفَعَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَغْنَاكَ الرَّجَالُ .  
فَلَا أُسْتَوْطِنُ الْعَجْزَ، وَلَا أَطْمَئِنُّ إِلَى الْغُرُورِ . وَمِنْ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ :  
«خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ<sup>(٨)</sup>» وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنْ الْجَلَاءَ<sup>(٩)</sup> سَبَابَهُ<sup>(١٠)</sup> وَالثَّقْلَةَ مُثْلَهُ<sup>(١١)</sup> :

(١) بَتَّ : نذر ، وقوله « ما يوم حليلة سر » مثل يصبر في كل أمر متاعلم منهوور ، وأصله أن  
الحارث بن أبي شمر وحه حبشاً إلى المدر بن ماء السماء في العروة التي قتل فيها ، وأمر ابنته حليلة فأخرجت  
لهم مركباً فيه خلق أي طيب ، فقال خلقهم فخرجت إليهم ، فحملت تحفهم وهي من أجل ساء عصرها ،  
ومضى القوم حتى أنوا المدر ، فقالوا أنبياءك من عند صاحبنا وهو يدين لك بالطاعة وبعطيك حاجتك ، فتباشر  
المدر بذلك ، وعمل المدر وعسكره بعض العلة لحنوا عليه فقتلوه ، وكان الحارث قد أوصاهم بذلك قبل أن  
يوجههم إليه ، ف قيل : ما يوم حليلة سر فدهت مثلاً .

(٢) السليب : المسلوب (٣) العطل : العاقل . قال الطبراني :

« أصالة الرأي صانق من الحطل وحليلة الغسل رانتي لدى العطل . »

(٤) الآخر : الطين ، والحسن : الخير . وقد تناول الكتاب والشعراء هذا المعنى ، ولكن لم يقرأ أبدع  
من قول أمير الشعراء في قصة قبيح علي لسان وصيفة ملكة فارس :

« إني وصفت ذهاً في بونقه ولم أصف - بالطين - إلا زرقه »

وقلت عن شمس النهار : مشرقه .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : « وحوه يومئذ حاشعة عاملة ناصة تصلي ناراً حامية . »

(٦) يشير إلى قول عباس بن الأخنف :

« صرت كائن في ذلالة نصبت نصي للناس وهي تحترق . »

(٧) في المثل « إذا بلغت الشمس تحول » (٨) خامري أم طامر : مثل يضرب لمن عرف

الدنيا وتقلبها ولم تمنعه معرفته أن يميل إليها ويهتز بها . قال الجاهل زهير :

« خدعوك بالقول المحال فصبح أنك أم طامر . »

(٩) الجلاء : الزوج من الوطن . (١٠) السباء : الأسر . (١١) والثقلة : النكال .

«وَمَنْ يَغْتَرِبْ-عَنْ قَوْمِهِ-لَمْ يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْحَبًا  
وَتَذَفْنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنْ يُسَى يَكُنْ مَا لَسَاءُ النَّارِ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا»<sup>(١)</sup>  
فَارِفَ أَنْ الْأَدَبَ الْوَطَنُ لَا يُخْشَى فِرَاقُهُ ، وَالْخَلِيطُ لَا يُتَوَقَّعُ زِيَالُهُ<sup>(٢)</sup> ،  
وَالنَّسِيبُ لَا يُخْفَى ، وَالْجَمَالُ لَا يُخْفَى ، ثُمَّ مَا قَرَأَ السَّعْدُ بِالْكَوَاكِبِ أَبْهَى  
أَثَرًا ، وَلَا أَسْنَى خَطَرًا ، مِنْ أَقْرِانٍ غَنَى النَّفْسِ بِهِ ، وَانْتِظَامِهَا نَسَقًا<sup>(٣)</sup> مَعَهُ ،  
فَإِنَّ الْحَاظِرَ لَهُمَا ، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَ  
مَنْهَلَ بَرٍّ ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ ، وَضَوْحِكَ قَبْلَ انْزَالِ رَحْلِهِ ، وَأَعْطَى  
حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ .

وَقِيلَ لَهُ: « أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَبِهَذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ »  
غَيْرَ أَنَّ الْوَطَنَ مَحْبُوبٌ ، وَالْمَنْشَأُ مَأْلُوفٌ ، وَاللَّيْبُ يَحْنُ إِلَى وَطَنِهِ ، حَيْنَ  
النَّجِيبِ<sup>(٤)</sup> إِلَى عَطَنِهِ<sup>(٥)</sup> ، وَالكَرِيمُ لَا يَحْفُو أَرْضًا فِيهَا قَوَائِلُهُ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا  
يَنْسَى بِلَادًا فِيهَا مَرَاضِعُهُ ، قَالَ الْأَوَّلُ :

« أَحَبُّ بِلَادٍ لِلَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعِجٍ - إِلَى وَسْطَى - أَنْ يَصُوبَ سَجَابُهَا  
بِلَادُهَا حَلَّ الشَّبَابِ تَمَامِي<sup>(٧)</sup> وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي ثَرَابُهَا »  
هَذَا إِلَى مُغَالَاةٍ بِعَقْدِ جَوَارِكِ ، وَمُنَافَسَةِ بِلَحْظَةِ مَنْ قُرْبِكَ ، وَأَعْتِقَادِي

(١) كَبْكَب : الحبل . (٢) الريال : المفارقة .

(٣) النسق : ما كان على نظام واحد . (٤) العيب : الفعل الكريم من الابل .

(٥) العطن : ممر الابل حول الماء .

(٦) القوالب : جمع قابلة وهي التي تتلقى المولود عند خروجه ( الداية ) .

(٧) وفي رواية : « عَى الْبَاب . » وفي أخرى : « شق الشباب » وفي رواية الاسم :

« نِطْتُ عَلَى تَمَامِي » والتام : ما يملأ للطفل ليقبض به الحسد . قال الشاعر :

« وإدا المية أَثْنَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلَيْسَتْ كُلُّ تَيْمَةٍ لَا تَنْفَعُ »

أَنَّ الظَّمْعَ - فِي غَيْرِكَ - طَبَعٌ، وَالْعَنَى - مِنْ سِوَاكَ - عَنَّا، وَابْتَدَلَ مِنْكَ أَعْوَرٌ،  
وَالْعَوْضَ لَفَاكَ<sup>(١)</sup> :

« وَإِذَا أَنْظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي - صَنًّا بِهِ - نَظْرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ »  
وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا<sup>(٢)</sup>، وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ، وَأَسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ  
وَالْعَفَارُ<sup>(٣)</sup>، فَهَٰذَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ يَمْنُ يَتَوَلَّأُكَ، وَالْمَيْلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنكَ، وَهَلَا  
كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاهُ فَيْكَ، وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ :

« يَا مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجَدَانَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ »  
أَعِيدُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ<sup>(٤)</sup> خُلْبًا<sup>(٥)</sup>، وَأَسْتَمَطِرَ جَهَامًا<sup>(٦)</sup>، وَأَكْدِمَ<sup>(٧)</sup>  
فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ، وَأَشْكُو شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْمُقْبَانِ<sup>(٨)</sup> وَالرَّخَمِ، فَهَٰذَا  
أَبْسَسْتُ<sup>(٩)</sup> لَكَ إِلَّا لَتَدِرَّ، وَمَا حَرَكْتُ لَكَ الْخُورَ<sup>(١٠)</sup> إِلَّا لَتَحِنَّ، وَمَا  
نَبَّهْتُكَ إِلَّا لِأَنَامَ<sup>(١١)</sup>، وَمَا سَرَيْتُ إِلَيْكَ، إِلَّا لِأَحْمَدَ الشَّرَى<sup>(١٢)</sup> لَدَيْكَ. وَإِنَّكَ

(١) لفاء : حيس . قال الشاعر :

« وما أُرْ بالصيف وطلحوى ولا حطلى الماء ولا الحيس »

(٢) كل الصيد في جوف الفرا : انظر « ص »

(٣) المرح والعفار : نومان من الشجر سريعا الانتقاد ، وقريب من هذا قول المعري :

« وأبصمت بك الحبل - والحل مشر - وأججى من حك الطلح والعال . »

(٤) أشيم : أراقبت السحاب لأرى أين يعطر . (٥) الحلب : البرق الذي لا يصحبه غيث .

(٦) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

(٧) أكدم : أعس - والمثل العربي : « كدمت في تير مكدم » - وهو يضرب لمن يريد الشيء من غير أهله .

(٨) يشير إلى قول المتنبي :

« ولا تنكح إلى قوم فتشتمهم شكوى الجريح إلى المقبان والرحم . »

(٩) أبسست : رفقت من الرق . (١٠) الحوار : ولد الناقة . (١١) يشير إلى قول بشار بن برد :

« إذا أبهظتك حروب العدا ننبه لها عمرا ، ثم تم »

دق لا يام على غرة ولا يضرب الماء إلا بدم . »

(١٢) يشع إلى المثل المشهور : « عد الصباح يحمد القوم السرى » يشير إلى قرب الفرج بعد الضيق .



إِنْ سَنَيْتَ <sup>(١)</sup> عَقْدَ أَمْرِي تَبَسَّرَ، وَتَتَى أَعْذَرْتَ <sup>(٢)</sup> فِي فَكِّ أُسْرِي لَمْ يَتَعَذَّرْ،  
وَعَلِمَكَ مُحِيطُ بَأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرُهُ النِّعْمَةُ، وَالشُّقَاقَةُ زَكَاةُ الْمَرْوَةِ، وَفَضْلُ  
الْجَاهِ - تَعُوذُ بِهِ - صَدَقَةٌ :

« وَإِذَا أَمَرْتُ أَهْدِي إِلَيْكَ صَنِيعَةً - مِنْ جَاهِهِ - فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ <sup>(٣)</sup> »  
لَعَلِّي أَلْقَى الْعَصَا بِذِرَاكِ <sup>(٤)</sup>، وَتَسْتَقِرُّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ، وَأَسْتَأْنِفُ التَّأْدِبَ  
بِأَذْبِكَ، وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ، فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لِحَظَةٍ <sup>(٥)</sup>، وَلَا أَدَعِ  
لِلْقَادِحِ مَسَاحَ لَفْظَةٍ، وَاللَّهُ مُبَشِّرُكَ مِنْ إِطْلَاقِي بِهِذِهِ الطَّلِبَةِ <sup>(٦)</sup>، وَإِشْكَائِي <sup>(٧)</sup>  
مِنْ هَذِهِ الشُّكُوفَى، بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمَصْنَعِ، وَتَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظَ  
مُسْتَوْدِعٍ، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ، وَذَلِكَ يَدِهِ وَهَيْئُ عَلَيْهِ.



وَلَمَّا تَوَالَتْ عِذْرُ هَذَا النَّثْرِ، وَأَتَسَقَّتْ دَرَرُهُ، فَهَزَّ عِطْفُ غُلَوَائِهِ،  
وَجَرَّ ذَيْلَ خِيَلَاتِهِ، عَارَصَهُ النُّظْمُ مُبَاهِيًا، بَلَنَ كَايَدُهُ مُدَاهِيًا، حِينَ أَشْفَقَ  
أَنْ يَسْتَعْطِفَكَ أَسْتِعْطَافُهُ، وَتَمِيلَ بِنَفْسِكَ أُلْطَافُهُ <sup>(٨)</sup> : فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ <sup>(٩)</sup>  
مِنْهُ، وَاعْتَدَّ بِالْفَائِدَةِ لَهُ، فَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الدَّهْنَ الْعَلِيلَ، وَالْخَاطِرَ الْكَكِيلَ،  
حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ عَرُوسًا مُجْلُوءَةً، فِي أَثْوَابِهَا، مَنْصُوصَةٌ <sup>(١٠)</sup>، بِحِلْيَتِهَا وَمَلَابِهَا <sup>(١١)</sup> :

(١) سَنَيْتَ : بَسَرْتُ وَسَهَلْتُ .

(٢) أَعْذَرْتُ : طَلَعْتُ الْعَدْرَ .

(٣) الْبَيْتُ لِأَبِي تَمَامَ . (٤) ذِرَاكُ : كَنَفُكَ وَطَلُوكُ .

(٥) لِحَظَةٌ : نَظَرُهُ .

(٦) الطَّلِبَةُ : الْمَطْلُوبُ . (٧) إِشْكَائِي : إِدْرَالُهُ شِكَاوِي .

(٨) أُلْطَافُهُ : حَيْرُهُ وَبَرُّهُ .

(٩) الْعَائِدَةُ : الْجَمِيلُ أَوْ الْمُنِيعُ .

(١٠) مَنْصُوصَةٌ : مَرْبُوعَةٌ عَلَى الْمِصَّةِ لَيْلَةُ الرَّفَافِ . (١١) الْمَلَابُ : الرِّعَافُ .

مَلْهُوًى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالْمَتَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ الدَّسِيمِ<sup>(١)</sup>  
 سَرَّنا عَيْشُنَا الرِّيقُ الْخَوَاشِي لَوْ يَدُومُ الشُّرُورُ لِمَسْتَدِيمِ  
 وَطَرَهُ مَا أَنْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى زَمَنٌ ، مَا ذِمَامُهُ بِالذَّمِيمِ  
 إِذْ خَتَمَ الرِّضَا الْمُسَوِّغَ مِنْكَ وَمِزَاجُ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ  
 وَغَرِيضُ الدَّلَالِ غَضُّ جَنَى الصَّبْوَةِ ، نَشْوَانُ مِنْ سُلَافِ النَّعِيمِ  
 طَالَمَا نَافَرَ الْهَوَى - مِنْهُ - غِرٌّ لَمْ يَطْلُ عَهْدُ جِيدِهِ بِالنَّعِيمِ

\* \*

أَيُّهَا الْمَوْذِنِي بِظُلْمِ اللَّيَالِي لَيْسَ يَوْنِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ  
 قَمَرِ الْأَفَقِ - إِنْ تَأَمَّلْتَ - وَالشَّمْسُ هُمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ  
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو - بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ - نَحْوَ الْعَظِيمِ

\* \*

بَوَّاءُ اللَّهِ « جَهْوَرًا » شَرَفَ الشُّوْ دَدٍ فِي السَّرْوِ وَاللَّبَابِ الصَّيْمِ  
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْرَ ، فَكَانَ الْخُصُوصُ وَفَقَ الْعُمُومِ  
 قَلَدَ الْعُمُرِ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ ، وَكَتَفَى جَاهِلٌ يَعْلَمُ الْعَلِيمِ  
 خَطَرُهُ يَقْتَضِي الْكَمَالَ ، يَنْوَعِي خَلْقِي بَارِعٍ وَخَلَقَ وَسِيمِ

\* \*

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ: هَا أَنَا أَشْكُو، وَالْعَصَا بَذَرْتُ قَرَعَهَا لِلْحَلِيمِ  
 مَا عَنَّا أَنْ يَأْتِيَ السَّابِقُ الْمَزَّ بَطَّ فِي الْعَتَقِ مِنْهُ وَالنَّطْهِيمِ  
 وَبَقَا الْحَسَامِ - فِي الْجَفْنِ - يَفْنَى مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالتَّضْمِيمِ

(١) انظر شرح هذه القصيدة في «س ٥٠» من هذا الديوان

أَفَصَبْرُهُ مِثْلُ مِثْنِ خَمْسٍ مِنَ الْآيَاتِ      م. ؟ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ !  
وَمُعْنَى - مِنْ الصَّنَى - بَهَنَاتٍ      نَكَاتٌ بِالْكُلُومِ قَرَحَ الْكُلُومِ  
سَقَمَهُ لَا أَعَادُ فِيهِ، وَفِي الْعَا      نِدِ أَنْسُ يَنْبِي بِزُرِّ السَّقِيمِ  
نَارُ بَنِي سَرَى - إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ - لَطَاهَا، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ  
بِأَبِي أَنْتَ - إِنْ نَشَأَ - تَكَ بُرْدًا      وَسَلَامًا، كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ  
لِلشَّفِيعِ الشَّاهِ، وَالْحَمْدُ - فِي صَوِّ      بِ الْحَيَا - لِلرَّيَّاحِ ، لَا لِلْغُيُومِ  
وَزَعِيمٌ بَأَن يُذَلَّلَ - لِي الصَّنُوبِ - مَثَابِي إِلَى الْهُمَامِ الزَّعِيمِ  
وَوِدَادٌ - يُغَيِّرُ الْدَهْرُ مَا شَاءَ      - وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ  
وَتَنَاهَا أَرْسَلَتْهُ سَلَوَةَ الظَّا      عِنْ عَنْ شَوْقِهِ ، وَلَهْوِ الْمُقِيمِ  
فَهَوِّ رِيحَانَةِ الْجَلِيسِ - وَلَا فَخْرَ -      وَفِيهِ مِزَاجُ كَاسِ النَّدِيمِ  
لَمْ يَزَلْ مُغْضِبًا - عَلَى هَفْوَةِ الْجَا      نِي - مُصِخَا إِلَى أَعْتِدَارِ الْكَرِيمِ  
وَمَتَى تَبْدَأِ الصَّنِيعَةَ يُؤَلِّفُكَ      تَمَامُ الْخِصَالِ بِالتَّشِيمِ  
وَقَالَ الْأَخْفَ بَنُ قَيْسٍ :

« لَيْسَ دَهْرِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ      وَبَلَاءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ  
لَيْسَ يُسْتَنْكَرُ النُّحُولُ لِلْثَلِي ،      جَسَدِي مُبْتَلَى بِقَلْبٍ مَشُومِ . »

\* \*

هَا كَمَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يَسْطُهَا الْأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الْحَجَلُ ، لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ ،  
وَحَرَمَةُ الْإِخْلَاصِ ، فَهَبْ ذَنْبًا لِحُرْمَةِ ، وَأُشْفَعْ نِعْمَةً وَنِعْمَةً ، لِيَتَأْتِيَ لَكَ  
الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكَ إِلَى الْفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

## إلى المظفر<sup>(١)</sup>

« وكتب إلى المظفر سيف الدولة أبى بكر بن الأفتس ،  
صاحب بطليوس ، وصمها قصيدة أولها .

ليبيض الطلى ، ولسود اللحم

بعقلى — مد بن عنى — لم »

لَمَّا لَبَسَ الْحَاجِبُ — أَعَزَّهُ اللَّهُ — رِذَاءَ الْمَجْدِ مُعَلِّمًا ، وَحَمَلَ لَوَاءَ الْحَمَا

(١) كان المظفر من أعظم ملوك الطوائف . وكان أحرص الناس — كما يقولون — على جمع علوم الأدب ونوادير الأخبار وعيون التاريخ ، وقد ألف كتاباً كبيراً — فى الأدب — فى عشرة أجزاء ضخمة ، وقد واد « بطليوس » بعد موت أبيه « عبدالله بن مسامة » المعروف بالن الأفتس وقد استند « عبدالله » هذا الملك سنة ٤٣١ هـ — بعد فتنة بنى أمية بالأندلس — لما مات أخوه ابنه « أبو بكر المظفر » وعطأ أمره وبه شأنه ، ومارال بها حتى مات سنة ٤٦١ هـ . وحلمه عليها انه التوكل حتى قتله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥ هـ . وقد كان ابن عاد يعمره بقتله — فيما يقولون — وكان المتوكل قدم راحته فى صناعة النط والتر مع شجاعة مفرطة ومروسة تامة ، وقد رثاه ابن عدون بقصيدته المشهورة ، وهى :

« الدهر يجمع — بعد العين — بالآثر — فى البكاء على الأشباح والصور  
أهباك أهباك لا آلوك موعظة — من نومة بين ناب الليث والظفر  
فادهر حرب — وإن أبدى مسامة — والبيض والسود مثل البيض والسمر  
ولا هوادة بين الرأس — تأخذه — يد الصراب — وبين الصارم الذكر  
فلا تمر بك — من ديباك — نومته ، فى صناعة عبيها سوى السهر  
ما ليلالى — أقال الله عثرنا — من اللبالي ، وحانتها يد العير —  
فى كل حين لها — فى كل جارة — مناب حراح ، وإن زاغت عن الصر  
تسرّ بالشيء ، لكن كى تمر به — كالإيم نار إلى الحاني من الزهر  
كم دولة — قدمعت والنصر يحدهما — لم تق منها ، وسل ذكرارك من خبر  
موت بدارا ، وفك غرب قاتله ، وكان مصباً — على الأملاك — ذا أثر  
واسترجعت — من بنى ساسان — لم يونس — من أثر  
وأبعت أحتها طمها ، وفاد على — لم تدع — لبي يونان — من أثر  
وما أقال ذوى الهات — من يمن — عاد وجرحهم منها ناقض المرر  
: ومررت سباً — من كل فاصية — ولا أجارت ذوى الفايات من مضر  
وأفقتت فى كليب — حكيمها ، ومرت — فاء التقي رائج منهم بمبصر  
مهلهلا بين سبع الأرض والبحر

مُتَلَنَّا ، فَاسْتَطَارَ بَارِقُ فَخْرِهِ ، وَاسْتَضَاءَ فَامِحُ ذِكْرِهِ ، وَشَهَرَتْ مَحَاسِنُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَسَارَتْ مَا تَرَاهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ بِكُلِّ مَكَانٍ ، لِمَا سَوَّغَ مِنْ كَرَمِهِ ،

ولم ترد - على الصليل - محنته  
ودوخ آله ديات وإحوتهم  
وألقت صدى - بالعراق - على  
وأهلك «أبرويزا» بابه، وورمت  
وبلعت «يزد جرد» الصين واختزلت  
ولم ترد مواضع «رسم» وقنا  
يوم القليب مو بدر موا وسعى  
ومرقت «حعفرأ» بالبيض، واختلست  
وأشرفت بخيب - فوق فارعة -  
وحصبت شيب عثمان دما، وحطت  
ومارعت - لأبي اليفنان - محنته  
وأحررت سيف أشقاها أبا حسن،  
وليتها - إذ مدت عمراً محارحة -  
وفي ابن همد وفي ابن المصطفي «حسن»  
معصنا قائل : «ما اغتاله أحد»  
وأردت ابن رباد الحسين، فلم  
وصم - بالظلي - فودى أبا أنس،  
وأزلت معصماً - من رأس شاهقة -  
ولم تراقب مكان ابن الزبير، ولا  
وأعملت - في لطيم الحن - حيلتها،  
ولم تدع - لأبي الدنان - قاصبه،  
وأحرق شلو «زيد» بعد ما احترقت  
وأظفرت بالوليد - بن الزبير - ولم  
«حبابة» حب رمان أتبع لها،  
ولم تعد قصب السعاح ثانية  
وأسبلت دمة الروح الأمير على  
وأشرفت جعفرأ - والفصل ينظره -  
وأحقرت في الأمين - العهد، وانتدبت  
وما ووت بيهود المستعين، ولا  
وأوتقت في - عراها - كل معتمد،

ولا تلت أسدأ عن ربا حجر  
عسا، وغصت بي بدر على الزهر  
يد ابنه أحر العين والشعر  
يزد جرد إلى «مرو» فلم يمر  
عنه - سوى الفرس - جمع الترك والحرر  
«أدى حاب» عه سعدأ في أبة العير  
قليب بدر - من فيه - إلى سفر  
- من قبله - «حزة» الطلام للحرر  
وألصقت «طلعة» الفياص بالمر  
إلى الزبير، ولم تستحي من عمر  
ولم تزوده إلا الصيغ في العمر  
وأمكن - من حسين - راحق شمير  
مدت علياً من شاءت من البشر  
أنت معصلة الألبان والفكر  
ومعصنا ساكت لم يوت من حصر  
يؤ تشع له - قد طاح - أو طفر  
ولم ترد الردي عه قنا «زمر»  
كانت بها مهجة المختار في وزر  
راعت عيادته ناليت والحجر  
واستوسقت لأبي الدنان ذى البحر  
ليس اللطيم لها «مرو» بمنصر  
- عليه وحداً - قلوب الآلى والسور  
تبقى الحلافة بين الكأس والوتر  
و «أحمد» قطرته معصنة القطر  
عن رأس مروان أو أشياعه الحجر  
دم بفتح لآل المصطفي هدر  
والشج يحى بريق الصارم الذكر  
لجهر بابنه والأعبد الفدر  
بما تأكد للمقر من سرور  
وأشرفت - بقداها - كل مقتدر

وَأَسْبَغَ مِنْ نِعْمِهِ ، وَوَطَأَ - لِلْأَمِلِينَ - مِنْ أَكْثَافِهِ ، وَهَزَّ - إِلَى الرَّاعِبِينَ - مِنْ  
أَعْطَافِهِ ، وَرَفَرَقَتْ أَجْنِحَةُ الْأَهْوَاءِ إِلَيْهِ ، وَاهْتَزَّتْ جَوَانِحُ الْأَمَالِ إِلَيْهِ ،

ورفعت كل مأمون ومؤتمن ، وأهملت كل منصور ومتنصر  
وأعترت آل عباد - لما لهم - بذيل زباء لم تنفر من الدهر



فى المظفر - والأيام ما برحت - مراحل - والورى منها على سمر  
سحقا ليومكم يوماً ، ولا حلت - بثله - ليلة فى مقل العمر  
من للأسرة ؟ أو من للأعنة ؟ أو من للأسنة ؟ يهديها إلى النمر  
من للطي ؟ وعوالى الخط قد عقدت - أطراف ألسنها - بالى والحصر  
وطوقت - بالمايا السود - ببصم - فاعى بذاك ، وما منها سوى الذكر  
من للبراعة ؟ أو من للبراعة ؟ أو من للبراعة ؟ أو لرفع والصر ؟  
أو دفع ككارة ؟ أو ردع آفة ؟ أو وقع حادثة تعي على القدر ؟  
ويح السباح وريح الناس - لو سلب - وحسرة الدين والديا على عمر  
سقت ترى الفصل والعائن هامية - ترمى إليهم - سما - لا إلى المطر  
ثلاثة ما رأى العصرات مثلهم - ولا ولو عرنا بالشمس والقمر  
ثلاثة ما ارتقى السران حيث رقوا - وكل ما طار - من نسر - ولم يطر  
ثلاثة كدوات الدهر - مند ناوا - عى - معنى الدهر لم يربح ولم يخسر  
وسر - من كل شيء - به أطيبه - حتى التمتع بالأصاال والعكر  
أين الخلال الذى عصت - قلوبها وعبوث الأحمم الزهر ؟  
أين الاء الذى أرسوا قواعده - على دعائم من عزّ ومن ظفر  
أين الوفاء الذى أصغوا أشرائه - فلم يرد أحد منها على كدر  
كانوا رواسى أرض الله - منها ناوا - عنها - استظارت بمن فيها ولم تفر  
كانوا مصاييحها ، قد حيوا عثرت - هدى الحليقة - يا الله - فى سدر  
كانوا شحى الدهر ، فاستهوتهم حدى - منه بأحلام طاد فى حطى الحصر  
وبل امه من طلوت الثأر مدركه - منهم بأسد سراق فى الوعى صبر  
من لى - ولا من بهم - إن أطلت نوب - ولم يكن ليها يفصى إلى سحر ؟  
من لى ومن بهم إن عطلت سفين - وأخفت ألسن الآثار والسير ؟  
من لى ومن بهم إن طفت عن - ولم يكن وودها يفصى إلى صدر ؟  
على الفضائل - إلا الصبر - سلام مرهق بالآخر منتظر  
يرجو عسى ، وله - فى أختها - أمل - والعمر ذو عيب شق وذو غير  
قرطت - آفات من فيها - باضحة - على الحسان حصى اليافوت والدور .»

وَكَثُرَ التَّمَايُزُ عَلَى تَفْيُوثِ ظِلِّهِ ، وَالتَّنَافُسُ فِي الْأَعْتِلَاقِ بِجَبَلِهِ ، وَكُلُّهُ اسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ ، وَتَرَسَّلَ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ ، وَلَا غَرَوَ أَنْ يُسْتَمَطَّرَ النِّعَامُ ، وَيَكْثُرَ - فِي الْمَشْرَبِ الْمَذْبِ - الرَّحَامُ <sup>(١)</sup> .

وَمَا زِلْتُ - أَبْقَى اللَّهَ الْحَاجِبَ - أَتَلَقَّى مِنْ مَسَاعِيهِ الْمَشْكُورَةِ ، وَيَقْرَعُ تَمَنِّي بِمَآثِرِهِ الْمَآثُورَةِ ، مَا هُوَ أُنْدَى مِنْ مُبْلُوغِ الْأَمَلِ ، وَأَشْهَى مِنْ اخْتِلَاسِ الْقُبْلِ ، وَأَعْضُثُ مِنْ جَنَى الزَّهْرِ ، وَمَاهُوَ الْطَفُّ مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ ، حَتَّى انْقَادَتْ نَفْسِي فِي زِمَامِ التَّأْمِيلِ وَالْمُودَّةِ ، وَنَازَعَتْ إِلَى الْأَخْذِ بِحِظٍّ مِنَ الْأَعْتِلَاقِ وَالْمَمَازَجَةِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبُعْدِ الْمَانِعَةِ ، وَأَمْتِدَادِ الثَّانِيِ الْمُعْتَرِضَةِ ، فَفَضَضْتُ طَرْفَ الْخَيْبَةِ ، وَطَوَيْتُ كَشْحًا عَلَى الْيَأْسِ مِنْ دَرَكِ الْأُمْنِيِّ ، إِلَى أَنْ نَدَبَنِي الْأَدِيبُ « أَبُو فُلَّانٍ » إِلَى مُحَاطَبَتِهِ ، وَحَرَّضَنِي عَلَى مُكَاتَبَتِهِ ، وَتَبَهَّنِي عَلَى مَا فِي التَّنَاقُلِ - عَنْ مُدَاخَلَتِهِ - مِنَ التَّضْيِيعِ الصَّريحِ ، وَالتَّقْصِيرِ الْبَينِ الصَّحِيحِ ، إِذْ هُوَ أَسْنَى عِلْقٍ غُولِي فِيهِ ، وَأَنْفَسُ ذُخْرِ نُوفَسِ فِيهِ ، فَطَرِبْتُ - إِلَى ذَلِكَ - كَمَا طَرَبَ النَّشْوَانُ مَالَتْ بِهِ الْخَمَرُ ، وَأَهْتَرَزْتُ كَمَا أَهْتَرَزَ - تَحْتَ الْبَارِحِ <sup>(٢)</sup> - الْغُصْنُ الرُّطْبِ ، وَرَأَيْتُ شُكْرَ يَدِ الْعَلِيَاءِ فِيمَا حَثَّنِي إِلَيْهِ ، وَحَضَّنِي عَلَيْهِ ، مِمَّا فِيهِ حَلِيَّةُ الْفَخْرِ ، وَمَكْرُمَةُ الدَّهْرِ ، أَنْ أَسْتَفْتِحَ بَابَ الْمَكَاتَبَةِ بِالشَّفَاعَةِ ، وَأَنْهَجَ طَرِيقَ الْمُحَاطَبَةِ فِي الْعِنَايَةِ بِهِ ، وَتَبَيَّنْتُ - بَعْدَ ذِمَامِ الطَّلَبِ ، وَحُرْمَةِ الْوُدِّ وَالْأَدَبِ - مَا أَسْتَقْصِرُ نَفْسِي مَعَهُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي

(١) يشير إلى التل للممهور : « للورد العذت كبير الزحام »

(٢) ربح بارح - ربح شديدة .

خِدْمَةِ رَغْبَتِهِ قَلَمِي ، وَقَدْ تَأَخَّرَ قَدَمِي ، وَبَعْدَ الْإِفْصَارِ بِغِيَّةِ كِتَابِي ، دُونَ  
 أَنْ أَرْمَ إِلَيْهِ رِكَابِي ، وَهُوَ فَتَى نَامَ جَدُّهُ ، وَأُسْتَقْبَلَ حَدُّهُ ، فَتَنَكَّرَ الزَّمَانُ لَهُ ،  
 وَأَعْتَرَتْ الْأَيَّامُ لَهُ ، بَيْنَ ذِلَابِ سِمَايَةٍ عَوَتْ عَلَيْهِ ، وَعَقَارِبِ وَشَايَةٍ دَبَّتْ  
 إِلَيْهِ ، وَأَصْلَى بِنَارِ حَرْبٍ لَمْ يَحْنِهَا ، وَآلَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى فِرَاقِ أَحِبَّتِهِ ، وَابْعُدْ  
 عَنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ ، وَمَمْلَقِ تَمَامِهِ ، عَلَى ضَيْقِ حَالِهِ ، وَضَعْفِ إِحْسَانِهِ ،  
 وَأَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدِ الْحَاجِبَ إِلَّا وِلَاءَهُ ، وَعَلَيْهِ الْإِنْدَاءُ ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ  
 يُعِيدُ شُكْرَهُ وَيُنِيدِيهِ ، وَيَنْشُرُ حَمْدَهُ وَيَطْوِيهِ ، وَالْحَاجِبُ - أَدَامَ اللَّهُ إِعْزَازَهُ -  
 وَلِيَ بِأَعْدَائِهِ عَلَى زَمَانِهِ الْغُشُومَ ، وَأَمَلِي بِإِنْصَافِهِ مِنْ دَهْرِهِ الظُّلُومَ ، بِالْبَاسِ  
 مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ مَا عَرَى مِنْهُ ، وَإِيرَادِهِ مِنْ شَرِيعَةِ رِضَاهُ مَا حُلِيَ عَنْهُ ،  
 وَالتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَفْقِ الَّذِي لَمْ يَرَ كَوْكَبَ سَمَدٍ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا تَلَقَى  
 نَسِيمَ حَيَاةٍ إِلَّا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يُؤَلَّفُهُ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيَأْتِيهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي شَانِهِ ،  
 مُسْتَجْزِلُ شُكْرِ مَنْ أَنْهَضَهُ لِسَانُ ، وَأُسْتَقَلَّ بِهِ بِيَانُ ، وَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ ،  
 وَالْمَعُودُ مِنْهُ كَرَمُ الْفِعْلِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ وَيُعْلِيهِ ، وَهُوَ حَسْبُهُ وَحَسْبِي فِيهِ .  
 وَلَمَّا أَطْرَدَ هَذَا النَّتْرُ بِحُسْنِ اتِّسَافِهِ ، وَلَذِيذِ مَذَاقِهِ ، هَزَّتِ النَّظْمُ أَرْيَحِيَّةً  
 جَذِبَ لَهَا بَعَانَهُ ، وَعَارَضَهُ بِهَا فِي مَيْدَانِهِ ، وَأَبَتْ أَنْ يَنْفَرِدَ النَّتْرُ بِلِقَاءِ  
 الْحَاجِبِ وَمُشَافَهَتِهِ ، وَتَسَبَّدَ بِأَنْ تُلَمَعَ غُرَّتُهُ ، وَتُحْدَمَ بِالْحُضُورِ حَضْرَتُهُ ،  
 فَأَثْبَتَتْ مِنْهُ مَا إِنْ أَنْعَمَ عِنْدَ تَصَفُّحِهِ بِالصَّفْحِ عَنِ الزَّلَلِ الَّذِي يَعْزِضُ فِيهِ ،  
 وَالْخَلَلِ الَّذِي يَبْدُو مِنْهُ ، وَصَلَ الْبُعْثَةُ بِمِثْلِهَا ، وَقَرَنَ الْمَارِفَةَ بِشِئْنِهَا .  
 لِبَيْضِ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّمَمِ      بِعَقْلِي - مُذْنِبٌ عَنِّي - لَمْ<sup>(١)</sup>



فَفِي نَاطِرِي - عَنْ رَشَادِي - عَمِي ، وَفِي أُذُنِي - عَنْ مَلَامِي - صَمَمِي <sup>(١)</sup> ،  
 قَصَّتْ بِشِمَاسِي - عَلَى الْعَاذِلِينَ - شُمُوسُ مُكَمَّلَةٌ بِالظُّلَمِ  
 فَمَا سَقَمْتُ لَحَطَاتِ الْعُيُوفِ نِ إِلَّا لِتُغْرِبَنِي بِالسَّقَمِ  
 يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أُجَنِّ وَقَدْ مَزَجَ الشَّوْقُ دَمْعِي بِدَمِ  
 وَمَا ذُو التَّدَكُّرِ يَمْنُ يَلَامُ وَلَا كَرُمُ الْعَهْدِ يَمَّا يُدَمِّ

\*\*\*

وَإِنِّي أُرَاحُ إِذَا مَا الْجُنُوبُ بُ رَاحَتْ بِرِيَا جُنُوبِ الْعَلَمِ  
 وَأَصْبُو لِعِرْفَانِ عَرَفِ الصَّبَا وَأَهْدِي السَّلَامَ إِلَى « ذِي سَلَمِ »  
 وَمِنْ طَرَبِ عَادِ نَحْوِ « الْبُرُوقِ » أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ أَبْتَسِمَ  
 أَمَّا وَزَمَانِي - مَضَى عَهْدُهُ حَمِيداً - لَقَدْ جَارَ لِمَا حَكَمَ  
 قَضَى بِالصَّابَةِ ثُمَّ أَنْقَضَى وَمَا اتَّصَلَ الْأَنْسُ حَتَّى أَنْصَرَمَ  
 لِيَالِي نَامَتْ عِيُونُ الْوُشَا قِ عَنَّا ، وَعَيْنُ الرِّضَى لَمْ تَنْمَ  
 وَمَالَتْ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهُوَى فَأُجِنْتُ ثَمَارَ الْمُنَى مِنْ أَمَمِ  
 وَأَيَّامُنَا مُذْهَبَاتُ الْبُرُودِ رِقَاقُ الْخَوَاشِي صَوَافِي الْأَذَمِ  
 كَانَ « أَبَا بَكْرٍ » الْأَسْلَمِيُّ أَجْرَى عَلَيْهَا فِرْنَدُ الْكَرَمِ  
 وَوَشَّحَ زَهْرَةً ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَا حَازَ مِنْ زُهْرِ تِلْكَ الشَّيْمِ  
 هُوَ الْحَاجِبُ الْمُعْتَلِي لِلْعَلَا شَمَارِيحَ كُلِّ مُنِيفِ أَشْمِ  
 مَلِكٌ - إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ - حَوَى الْخَصْلَ أَوْ سَاهَمَتْهُ سَهْمِ  
 فَأَطْلُوهُمْ - بِالْأَيَادِي - يَدًا ، وَاثْبِتْهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمِ

(١) قال ابن هاني الأندلسي : « وفي بصري - عن سواكم - عَمِي ، وفي أُذُنِي - عن سواكم - صَمَمِ »

\* \*

وَأَرْوَعَ، لَا مُغْتَنِي رِفْدِهِ      يَحْيَبُ، وَلَا جَارُهُ يُهْتَضَمُ  
ذُلُّ الدُّمَانَةِ صَغْبُ الْإِبَاهِ      ثَقِيفُ الْعَزِيمِ إِذَا مَا اعْتَزَمَ  
سَمًا لِلْمَجَرَّةِ - فِي أَفْقِهَا -      فَجَرَّ عَلَيْهَا ذُبُولَ الْهَمَمِ  
وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرُ النُّجُومِ      وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدَّيْمِ  
نَهِيكَ - إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَجَاجِ -      سَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَدْرَتِيمِ  
فَشَامَ السُّيُوفُ بِهِمَ الْكُمَاةِ      وَرَوَى الْقَنَا فِي ثُحُورِ الْبُهَمِ  
جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافِ الْعَفَاةِ      وَيُمْنَاهُ رُكْنُ الدَّيْ الْمُسْتَلَمِ  
يَهِيحُ النَّزَالُ بِهِ وَالسُّوَا      لَ لَيْثًا هَضُورًا وَبُحْرًا خِضَمِ  
شَهْدَانَا، لَا وَتِي فَصَلَ الْخِطَابِ      وَخُصَّ بِفَضْلِ الثُّهَى وَالْحِكَمِ  
وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ      جَرَى السِّيفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمُ

\* \*

وَمُسْتَحْمِدِ بِكَرِيمِ الْفَعَا      لِي - عَفْوًا - إِذَا مَا اللَّئِيمُ أُسْتَدَمَ  
شَمَائِلُ تُهَجَّرُ عَنْهَا الشُّمُولُ      وَتُجْحَى لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ  
عَلَى الرُّوضِ مِنْهَا رُؤَاةٌ يَرُوقُ      وَفِي الْمِسْكِ طِيبٌ أُرِيحُ يُشَمُّ

\* \*

أَبُوهُ الدِّيَ فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ      وَلَاءَهُمَ شَعْبَ الْهُدَى قَالَتَامُ  
وَلَاذَ بِهِ الدِّينُ مُسْتَعْفِمًا      يَذِمُّهُ أَبْلَجُ وَافِي الدَّمَمِ  
وَجَاعَدَ فِي اللَّهِ - حَقَّ الْجَهَا      دِمْنُ دَانٍ - مِنْ دُونِهِ - بِالصَّنَمِ

فَلَا سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّ      وَلَا سَامِيحَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ  
تَقِيلَ فِي الْعِزِّ - مِنْ حَمِيرٍ -      مَقَاوِلَ عَزَّوْا جَمِيعَ الْأَمَمِ  
هُمْ نَعَشُوا الْمَلِكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ      وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ  
نَجُومُ هُدًى - وَالْمَعَالِي بُرُوجٌ -      وَأُسْدُ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمَ

\* \*

« أَبَا بَكْرٍ » أَسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ ،      وَلَا زِلْتَ - مِنْ رَيْنِبَهَا - فِي حَرَمِ  
أُنَادِيكَ - عَنْ مِقَّةٍ - عَهْدُهَا      كَمَا وَشَتِ الرُّوضُ أَيْدِي الرَّهَمِ  
وَإِنْ يَعْذُرْنِي عَنْكَ شَحَطُ النَّوَى      فَحَظُّيْ أَخْسَ وَنَفْسِي ظَلَمَ  
وَإِنِّي لَا أَصْفِيكَ مَحْضَ الْهُوَى      وَخَفِي - لِمُعْدِكَ - بَرَحَ الْأَلَمِ  
وَعَيْرُكَ أَخْفَرَ عَهْدَ النَّمَامِ      إِذَا حُسْنٌ ظَنَّنِي عَلَيْهِ أَذَمَ

\* \*

وَمُسْتَشْفِعٍ بِي ، بَشَرَتُهُ      - عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْإِثَمِ  
وَقَدِّمًا أَقَلَّتِ الْمُسِيءَ الْعِمَارَ      وَأَحْسَنْتَ - بِالصَّفْحِ - عَمَّا اجْتَرَمَ  
وَعِنْدِي - لِشُكْرِكَ - نَظْمُ الْعُقُودِ      تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي الثُّومِ  
تُجِدُّ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ      إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ  
فَعِشْ مُعْصَمًا يِفْقَاجِ السُّعُودِ      وَذُمَ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ  
وَلَا يَزَلِ الدَّهْرُ ، مَا يَأْمُهُ      لَكُمْ حَشَمٌ ، وَاللَّيَالِي جَدَمُ

\* \* \*

هَذَا أَعَزَّ اللَّهُ الْحَاجِبَ مَا أَقْتَنَصَتْهُ الْقَرِيحَةُ مَعَ اقْتِضَائِهَا ، وَأَجَابَتْهَا بِهِ  
 الْبَدِيهَةُ عِنْدَ اسْتِدْعَائِهَا ، وَالذَّهْنُ <sup>(١)</sup> عَلِيلٌ ، وَالطَّبْعُ كَلِيلٌ ، وَالرَّوْيَةُ فَاسِدَةٌ ،  
 وَسُوقُ الْأَدَبِ - إِلَّا عِنْدَهُ - كَاسِدَةٌ ، وَلَوْ أَنِّي أُوتِيتُ - فِي النَّثْرِ - غَزَارَةَ صَمِيرٍ ،  
 وَبِرَاعَةَ ابْنِ سَهْلٍ ، وَأُمِدِدْتُ - فِي النَّظْمِ - بِنَظْمِ الْبُحْتَرِيِّ ، وَصِنَاعَةِ الطَّائِي <sup>(٢)</sup>  
 لَمَا رَدَدْتُ - إِلَى الْحَاجِبِ - إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ ، وَلَا أَوْزَدْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مَا صَدَرَ عَنْهُ ،  
 وَلَا أَفْقَدْتُ مَا أَفْقَدْتُ إِلَّا بَيْنَ أَمَلٍ يَنْسُطُ ، وَحَجَلٍ يَقْبِضُ ، فَرَأَيْتُهُ مُوَفَّقٌ فِي  
 أَنْ يَمْنَحَ مَا بَعَثَ الْأَمَلُ إِسْعَاقًا ، وَمَا أَوْجَبَ الْحَجَلُ إِغْضَاءً ، لِئَاتِي الْإِحْسَانَ مِنْ  
 جِهَاتِهِ ، وَيَسْلُكَ - إِلَى الْفَضْلِ - طُرُقَاتِهِ . وَمُرَاجَعَتُهُ لِي عَنْ كِتَابِي بِمَهْدٍ كَرِيمٍ يَكُونُ  
 كَحَلَا لِعَيْنِ الرَّضَا بِوَحْيَةِ الْقَوْلِ ، أَفَفُ بِهِ مِنْ تَوَالِي النِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَأَنْتِظَامِ  
 الْأَحْوَالِ - بِالصَّلَاحِ لَدَيْهِ - عَلَى مَا تَبْتَهَجُ لَهُ نَفْسِي ، وَيَنْتَظِمُ مَعَهُ عَقْدُ أَنْسَى ،  
 يَدُّ عِنْدِي جَنَاحًا شَهْدٌ ، وَشَدَاهَا عَنَبٌ وَوَرْدٌ ، وَرِدَاوُهَا الشُّكْرُ الْجَزِيلُ ،  
 وَأَتَّبِعُهَا الشَّنَاءَ الْجَمِيلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
 وَلِيُتْلَغَ مِنِّي سَلَامًا يَهْدِي إِلَيْهِ نَدَاهُ <sup>(٣)</sup> ، وَتَحِيَّةٌ أُولَاهَا عِنْدِي وَآخِرُهَا عِنْدَهُ .

(١) وفي الأصل : « والدهر » .

(٢) يعني أباه تميم .

(٣) النداء ( بالفتح ) وبكسر : الطيب أو الصبر ، وفي الأصل : « يهدي إليه نداء » .

## إلى ابن مسلمة

« وكتب من قرطبة إلى ابن مسلمة بأشبيلية

قبل تحوله إليها : »

يَا سَيِّدِي وَارْفَعْ عُدْدِي ، وَأَوَّلَ الدَّخَائِرِ فِي عُدْدِي ، وَأَخْطَرَ عِلْقٍ مَلَأْتُ مِنْ  
أَقْتِنَائِهِ يَدِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي عَيْشَةٍ بَارِدَةِ الظَّلَالِ ، وَنِعْمَةٍ سَابِغَةِ الْأَذْيَالِ ،  
قَدْ تَقَاصَرَ الثَّنَاءُ عَلَيْكَ ، وَتَوَالَى الْحَدِيثُ الْحَسَنُ غَنَّاكَ ، حَتَّى حَلَلْتَ مَحَلَّ الْأَمَانَةِ ،  
وَكَنتَ مَوْضِعَ تَقْلِيدِ الْوَطَنِ ، وَثَبَاتِ الطَّوِيَّةِ ، وَاللَّهُ يُمَتِّعَكَ بِمَا حَازَهُ لَكَ مِنْ  
الْخَيْرِ ، وَوَفَّرَهُ عَلَيْكَ مِنْ طِيبِ الدُّكْرِ .

فِي عِلْمِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا تَقْتَضِيهِ الْعُظْلَةُ مِنْ إِظْلَامِ الْخَاطِرِ ، وَصَدَأِ النَّفْسِ ،  
وَيَجْنِيهِ طُولُ الْمَقَامِ مِنْ إِخْلَاقِ الدِّيَابَجَةِ وَإِنْخَاصِ الْقَدْرِ ، وَقَدْ أَنْ أَجْنَتِي  
ثَمَرَةً مِنْ آدَابِ أَطْلَتِ الْأَعْتَاءُ بِهَا ، وَأَخْلَاقِ أَدَمْتُ رِيَاضَةَ النَّفْسِ عَلَيْهَا ، وَلَمَّا  
مَخَضْتُ الْمُلُوكَ وَجَدْتُ عِبَرَهُمْ الَّذِي أَنْتَ<sup>(١)</sup> السَّالِفَ قَبْلَهُ ، وَتَقَدَّمَ الدَّاهِرَ مَعَهُ ،  
وَأَتَّبَعَ الْغَابِرَ بَعْدَهُ ، الْحَاجِبَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ مَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاؤُهُ ، وَكَبَّتْ  
أَعْدَاؤُهُ ، مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ سَنَى الْهَمَمِ ، وَسَمَاحَةِ الشِّيمِ ، وَأَنْتِظَامِ أَسْبَابِ  
الرِّيَاسَةِ ، وَكَمَالِ آلَاتِ السِّيَاسَةِ ، وَاجْتِمَاعِ الْمَنَاقِبِ الَّتِي أَفْرَدَتْهُ عَنِ النَّظَرَاءِ ،  
وَأَعْلَنَتْهُ عَنْ مَرَاتِبِ الْأَكْفَاءِ ، فَرَأَيْتُ قَبْلَ أَنْ أَحْتَمِلَ لِعَظِيمِهِ نِعْمَةً ، أَوْ أُوسِمَ  
بِمَنْ سِوَاهُ بِصَنِيعَةٍ - أَنْ أَعْرِضَ نَفْسِي مَمْلُوكَةً عَلَيْهِ ، عَرْضَ مَنْ لَا يَوْمُ لَهَا  
- لِإِجَارَتِهِ - إِلَّا بِالْأَسْتِجَارَةِ ، وَلَا يَطْمَعُ لَهَا - فِي قَبُولِهِ - إِلَّا بِالْمُسَاحَةِ ، فَلَوْ  
كَنتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَيْدِ بَرَاعَةَ نَظِمٍ ، وَجَعَفَرَ ابْنَ يَحْيَى بَلَاغَةَ نَثْرِ ، وَإِبْرَاهِيمَ

أَبْنُ مَهْدِيٍّ طِيبَ مُجَالَسَةٍ ، وَإِمْتِنَاعَ مُشَاهَدَةٍ ، ثُمَّ حَضَرَتْ مُجْلِسُهُ الْعَالِي ، لَمَّا كُنْتُ بِسَعَةِ إِحَاطَتِهِ بِالْأَفَى جَانِبِ التَّقْصِيرِ ، وَتَحْتِ غَمْرَةِ النُّقْصَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَعْدُمْ فِي نَجَابَةِ غَرَسِ الْيَدِ ، وَإِصَابَةِ طَرِيقِ الْمَصْنَعِ ، مِنْ وَلَايَةِ أَخْلِصِهَا وَنَصِيحَةِ أَنْحَضِهَا ، وَشُكْرِ أَجْنِيهِ الْفَضِّ مِنْ زَهْرَانِهِ ، وَتَنَاءِ أَهْدَى إِلَيْهِ الْعَطْرِ مِنْ نَفَحَاتِهِ ، مِنْهَا مَا سَوَّغَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَوْهِبَةِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْهَضَكَ بِأَعْيَاهِ الشُّكْرِ لَهَا ، وَمِنْهَا شَرَفُ مَذْهَبِكَ ، وَكَرُمُ سَجِيَّتِكَ ، وَصِحَّةُ مُشَارَكَتِكَ لِمَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبْهَا أَسْتِجَابِي ، وَلَا أَسْتَدْعَاهَا بِعَيْلِ أَسْبَابِي ، مِنْ تَدَانِي الْجِدَارِ وَتَصَافِي السَّلَفِ ، وَالْإِنْتِمَاءِ إِلَى أُمَرَةِ الْأَدَبِ ، فَإِنْ وَافَقَتْ الْمُسَاعَفَةُ الْإِرَادَةَ فَحَظٌّ أَقْبَلَ ، وَعَبْدٌ بَلَغَ مِنْ قَبُولِ سَيِّدِهِ مَا أَمَّلَ

وَلَمْ أَقُلْ - عَمْرُكَ اللَّهُ - كَمَا قِيلَ فِي النَّجْمَيْنِ ، بَلْ قُلْتُ : « وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَيْنِ » وَإِنْ عَاقَ حَرِّ مَآنِ عَادَتُهُ أَنْ يُعَوِّقَ عَنِ الظَّفَرِ ، وَيَعْتَرِضَ دُونَ الْأَمَلِ ، فَأَعْلِمُهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - أَنِّي فِي حَالِي الْمُطَلَّةِ مَعَ غَيْرِهِ وَالتَّصَرُّفِ - وَيَوْمِي الْإِنْقِطَاعِ وَالتَّصَوُّفِ (١) ، كَأَلْمَهْدِيِّ بِالْإِنْجَمِ حِينَ عَدِمَ ذُكَاؤُهُ ، وَمُتَيِّمٍ الصَّعِيدِ حِينَ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ .

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا غَيْرُهُ أَوْ أَرْزَهُمْ فَكَأَلَوْحَشٍ يُذْنِبُهُ مِنَ الْأَنْسِ الْمَحْلُ وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ بِالْفُسْحَى فِي عُمرِهِ ، وَالْإِعْلَاءِ لِأَمْرِهِ ، وَيَصْرِفُ الْأَفْذَارَ مَعَ إِشَارِهِ ، وَيُصَرِّفُ وَجْهَ التَّوْفِيقِ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَلَكَ - يَا سَيِّدِي - فِي أَتْدَابِكَ مَا أَتْدَبْتُكَ لَهُ مَا لِلْسَّامِعِ الْمُنْجِحِ مِنَ الشُّكْرِ ، وَلِلْمُجْتَهِدِ الْبَالِغِ مِنَ الْعُذْرِ ، مِلَّاكَ الْأَمْرِ بِتَقْدِيمِ الْمُرَاجَعَةِ بِالْجَوَابِ ، فَأَسْكُنْ إِلَيْهِ ، وَالْجَنَابِ فَأَعْتَمِدْ عَلَيْهِ ، وَأَهْدِي إِلَيْكَ نَدَى الْغَضِّ النَّاضِرِ مِنْ سَلَامِي ، وَالْأَرَجِ الْعَاطِرِ مِنْ تَحِيَّتِي .

(١) التصوف: بالواو والياء، المدول والإصراف. وفي الأصل: «ويومى الأيتقان» .

## رسالة إلى المعتضد

« وكتب إثر ذلك إلى المعتضد رقعة يقول فيها :

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَاجِبِ فَخَرِ الدَّوْلَةَ - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَمَوْلَى الْمَنَاقِبِ  
الْجَلِيلَةِ، وَالضَّرَائِبِ النَّفِيسَةِ - فِي أَكْمَلِ مَا تَكْفُلُ لَهُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ الْقَدْرِ،  
وَنَفَازِ الْأَمْرِ، وَأَخْطَاهُ مِنَ النِّعَمِ بِأَسْبَغِهَا سِرًّا بَالًا، وَأَبْرَدَهَا ظِلَالًا، وَأَحْمَدَهَا مَالًا.  
كُنْتُ - أَعَزَّ اللَّهُ الْحَاجِبَ - مَوْلَايَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرٍ  
عَبْدِهِ بِمَا أَيْقَنْتُ أَنَّهُ أَتَمَّهِ إِلَيْهِ، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهِ، فَكَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَى بَعْضِ  
أَسْبَابِهِ بِمَا يَقُومُ مَقَامَ الْمُرَاجَعَةِ لِي بِمَا يَرْتَفِعُ عَنْ قَدْرِي، وَلَا تَتَّسِعُ لَهُ سَاحَةٌ  
شُكْرِي، لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مِنَ الْحَاجِبِ - أَيْدَهُ اللَّهُ - صَدَرَ، وَبَعْدَ إِذْنِهِ <sup>(١)</sup> نَفَذَ،  
وَالَّذِي عَدَانِي عَنْ أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْحَاجِبِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ -  
التَّادِبُ بِآدَابِ خَصِيَّانِ الْعَبِيدِ فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ، وَتَرَكِ التَّبَسُّطِ وَالْإِفْدَامِ،  
وَقَلَمًا أُسْتَعْنَتْ أَوَائِلُ مَطَالِبِ الْإِتْبَاعِ لِحَضْرَةِ الْمُلُوكِ عَنْ وَسَائِطِ تُمَهُدُهَا  
وَتَعْتَمِدُ أَوْقَاتِ الْإِمْكَانِ بِهَا، لِأَنِّي مَا اخْتَذْتُ إِلَى الْحَاجِبِ - أَدَامَ اللَّهُ عُلوَّهُ -  
غَيْرَ سِيَادَتِهِ ذَرِيعَةً، أَوْ التَّمَسُّتِ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ نَفَاسَةٍ نَفْسِهِ شَفَاعَةً، وَأَيُّ  
مَعْدَى لِمِثْلِي عَنْ تَفْيُؤِ ظِلَالِهِ، وَالْإِغْتِصَامِ بِحَبْلِهِ. وَصِنَاعَةُ الْآدَابِ كَاسِدَةٌ إِلَّا  
عَلَيْهِ، وَطَرِيقُ الْأَمَلِ مُوحِشَةٌ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَدْعُنِي إِلَى اسْتِطْلَاعِ مَا قَبْلَهُ  
شَكٌّ فِي كَرَمِهِ، وَلَا سُوءُ ظَنٍّ بِسَمَاحَةِ شَيْعِهِ، بَلْ أُرُومُ الطَّرِيقَةِ فِي التَّوْطِئَةِ  
لِلطَّلَبِ، وَالتَّنْذِيرُ إِلَى إِحْرَازِ الْأَدَبِ، وَحَسْبِي أَنْ أَمْلِيَ قَدْ أُوتِيَ الْجَنَابُ

الرَّحْبَ ، وَالْمَشْرَبَ الْعَذْبَ ، وَلَعَلَّ الْحُطُوطَ سَتُكْشَفُ ، وَالنَّوَابِ سَتُصْرَفُ ،  
إِلَى أَنْ أُبْعَدَ إِلَى أُبْعَدَ غَايَاتِ الْأَمَلِ مِنْ مُشَاهَدَةِ حَضْرَتِهِ الْعَلِيَّاءِ ، وَالنَّظَرَ إِلَى  
غُرَّتِهِ الزَّهْرَاءِ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْصَرِفُ فِكْرِي ، وَلَا يَنْصَرِمُ حِينَ مِنْ مُعْرَى ، إِلَّا  
فِي الذِّكْرِ لَهُ ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ ، وَالْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنَا أَقْدَمُ الْأَعْتِدَارِ مِنْ  
مَهَابَةِ تَمَلُّكِ جَنَانِي ، وَحَصْرِ يَكَاذُ يَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْمُسَافَهَةِ لِسَانِي ، فَإِنْ  
حَدَّثَ ذَلِكَ فَعُذْرِي عُذْرُ<sup>(١)</sup> الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَقَدْ انْقَطَعَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ ،  
فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِنْ فَرَاهَةِ الْعَبْدِ أَنْ تَمْلِكَ قَلْبَهُ هَيْئَةً سَيِّدِهِ » .

وَسَيُفْضَى - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - إِلَى مَا يَسْتَجِيزُهُ الْحَاجِبُ مَوْلَايَ مِنْ إِمْتِنَاعٍ مَنْ  
شَاهَدَ ، وَيَسْتَطِرْفُهُ مِنْ أَدَبٍ يَسْتَطْلِعُهُ مِنْ إِيْجَالٍ طَلَبَ ، وَجَمَالٍ مَذْهَبَ ،  
كَمَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي سَأَصِلُ إِلَى مَا لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَهُ مِنْ بَهَاءِ مَنْظَرٍ ، وَسَنَاءِ تَجَرِبٍ ،  
وَرِفْعَةِ شَأْنٍ ، وَعِظَمِ سُلْطَانٍ ، وَلَعَلَّ السَّعَادَةَ تُهَيِّئُ لِي مِنَ الْحُطِّ مَا أَثْبِتُ بِهِ  
مَا أَدْعِيئُهُ لِنَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصَّمَاتِ ، وَأُنْجِزُ مَعَهُ مَا قَدَمْتُ عَنْهَا مِنْ هَذِهِ  
الْعِدَاتِ ، فَحَوْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كَفِيلٌ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، زَادَ اللَّهُ  
الْحَاجِبَ مَوْلَايَ مِنْ سَنَى قَسَمِهِ ، وَهَنَى نِعَمِهِ ، وَبَلَّغَهُ النِّهَايَةَ مِنْ آمَالِهِ .

### رسالة من قرطبة

« وكتب إليه بعد أن صدر من حضرته إلى قرطبة

رسالة يقول فيها : »

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ لِلنَّعْمِ يُطَوَّقُهَا ، وَالْأَمَالِ يُصَرِّفُهَا<sup>(٢)</sup> ، وَالْمِنَنِ يُقَلِّدُهَا  
وَالْأَحْزَارِ يَسْتَعِيدُهَا .

(١) في الأصل : « فَعُذْرِي عِنْدَ الْفَضْلِ . »

(٢) وفي نسخة النخيرة المنقولة عن النسخة المغربية : « يَصْدُقُهَا » .



يَعْلَمُ الَّذِي أَسْأَلُهُ إِعْزَازَ مَوْلَايَ وَإِعْلَاءَ أَمْرِهِ ، وَصِلَةَ تَأْيِيدِهِ ، وَتَمَكِّينَ  
نَصْرِهِ ، أَتَى - لَمْ أَزَلْ مُنْذُ فَارَقْتُ حَضْرَتَهُ الْجَلِيلَةَ حَضْرَةَ الْمَجْدِ وَالسِّيَادَةِ ، وَعَمَلُ  
الْإِقْبَالِ وَالسَّعَادَةِ - لَهَجَ اللِّسَانِ بِمَا حَبَانِي مِنْ ثَمَارِ الْحِكْمَةِ وَالنِّعْمَةِ ، وَأَفَادَنِي  
مِنْ عَقْدِ الْآدَبِ وَالنَّسَبِ ، فِنْ كَبِدٍ حَاسِدٍ تَصَدَّعَتْ ، وَأَنْفَاسٍ مُنَافِسٍ  
تَقَطَّعَتْ ، وَنَاعِمِ الْبَالِ أُكْسِفَتْ بِآلِهِ ، وَمُتَمِّنٍ لِحَالِي طَالَمَا تَمَنَّيْتُ حَالَهُ ، وَقَلَمًا  
أَنَالَ أَذَنِي مَكَانَةً مِنْهُ ، وَأَزَقَ أَوَّلَ دَرَجَةٍ مِنْ الْخُصُوصِ بِهِ ، تَحْسُدُهُ  
الْكُوكِبُ فِي إِشْرَافِهَا ، وَتَنْحَسِدُ إِلَيْهِ الْأُمَانِي مِنْ أَطْرَافِهَا ، لِعَبِيدِهِ الَّذِينَ  
أَنَا آخِرُهُمْ فِي الْخِدْمَةِ ، وَأَوَّلُهُمْ فِي شُكْرِ النِّعْمَةِ ، وَيَرْفَعُ مِنْ هَمِّهِمْ مَا  
أُنْخَفَضَ ، وَيَنْسُطُ مِنْ آمَالِهِمْ مَا انْقَبَضَ ، وَلَا يُعْذِرُهُمُ التَّقَلُّبُ فِي نِعْمَتِهِ ،  
وَالْإِعْتِلَاقُ بِأَسْبَابِ ذِمَّتِهِ ، بِعَجْدِهِ وَكَرَمِهِ ، وَكَانَتْ مِنْ مَوْلَايَ - أَعَزُّهُ اللَّهُ -  
إِشَارَةٌ بَلَّ عِبَارَةً أَعَدَّدْتُهَا طَلِيلَةً لِسُعُودِ تَوَافِي طَلَقًا ، وَمُقَدِّمَاتٍ لِمَسَرَّاتِ  
تَوَالِي نَسَقًا ، فَلَمَّا لَحِقَ الْجَنَمُ بَعْدَ تَرْكِهِ النَّفْسَ لَدَيْهِ ، وَالْبَرَاءَةَ مِنْهَا إِلَيْهِ ،  
بِالْوَطَنِ الَّذِي أَسْلَانِي عَنْهُ ، وَأَسْنَى لِي الْعَمُوضَ مِنْهُ ، تَأْتَيْتُ مِنْ طَاعَتِهِ  
الْمُقْتَرِنَةِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي نَفْسِي مَمْلُوكَتِهِ لِمَا أَنَا مُهْنًا بِهِ مُنَافِسُ فِيهِ ، فَسَاعَفَتِ  
الْمَآرِبُ ، وَأَفْتَحَتِ الْمَطَالِبُ ، وَلَمْ يَرِنِّي تَعَذُّرُ وَجْهِ حَاوِلَتِهِ ، وَلَا عَدَانِي تَبَسَّرِ  
أَمْرَ تَنَاوُلَتِهِ ، وَلَمْ تَبْقَ عِلَّةٌ تُسَوِّغُ بِإِعْتِرَاضِهَا الْإِعْتِدَارَ إِلَّا مَا يَتَرَاخَى مَا يُعَاوَدُ  
أَمْرُهُ ، وَيَتَجَدَّدُ فِي الْحَرَكَةِ إِذْنُهُ ، وَلَمْ أُسْتَأْذِنْ لَأَنَّ الْإِذْنَ بَعْدَ عَهْدِهِ ، وَلِأَنَّ  
الْبِعَادَ لَمْ يُحْكَمْ عَقْدُهُ ، بَلْ تَجَبَّنْتُ أَنْ أُدِلَّ بِتَرْكِ الْمُشَاوَرَةِ ، أَوْ أُخِلَّ بِرَسْمِ  
الْمُؤَامَرَةِ ، فَلَمَوْلَايَ الطُّوْلُ فِي أَمْرِ الْوَسَاطَةِ عِنْدَهُ بِمُرَاجَعَةِ اعْتِمَادِ عَلَيْهَا ، وَاجْتِهَادِ  
فِي الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهَا ، وَاللَّهُ مُبَيِّنُ الْأَمَالِ مِنْ وَفْقَةِ بِحَضْرَتِهِ ، وَنَظَرَةٍ إِلَى غُرَّتِهِ ،  
وَتَقْيِيلِ لِرَبِّاحَتِهِ ، وَتَصَرُّفٍ فِي سَاحَتِهِ ، فَهُوَ الْمَالِكُ لِلذِّلَالِ ، الْقَادِرُ عَلَيْهِ .

## من رسالة

« وله من رسالة حذف أبو الحسن هنا أكثرها  
ولم يذكر إلا قطرة من وابل ، أو نقشة من سحر  
بابل ، وها أنا مشتتة على تواليها ، إشارة لحسن  
معانيها ، واستفادة من سني أدبه فيها ، وهي <sup>(١)</sup> : »

يَا سَيِّدِي الَّذِي كُنْتُ أَرَاهُ أَعَدَّ عُدْدِي ، وَأَخَصَّ جُنِّي ، مِنْ زَمَنِي ، وَمَنْ  
أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي أَصْلَحِ الْأَحْوَالِ ، وَأَفْسَحِ الْأَمَالِ .

أَبْدَيْ جَرَى كِتَابِي إِلَيْكَ بِشَرْحِ الضَّرُورَةِ الْحَافِزَةِ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِمَّا  
بَلَّغَنِي أَنَّكَ صَدَقَ اللَّائِمَانِ بِنِ عَلَيْهِ ، وَأَوَّلَ السَّيْفِيَّانِ الرَّأْيَ فِيهِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ  
وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيٍّ ، وَهَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّبْرُ .

وَأَوْسَطُهُ بِمُعَايَنَتِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ انفِصَالِكَ عَنِّي ، وَبِرَاءَتِكَ مِنْ آكِدِ الْمِحْنَةِ  
مَنِّي ، وَأَنَّكَ لَمْ تَسْكُنْ فِي وَرْدٍ وَلَا صَدْرٍ مِنْ مُشَارَكَتِي فِيهَا ، وَلَا كَانَتْ لَكَ  
نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ فِي مُظَاهَرَتِكَ لِي عَلَيْهَا ، مَعَ الْقُدْرَةِ لَكَ عَلَى تَهْوِينِ خَطْبِهَا ،  
وَتَذْلِيلِ صَعْبِهَا ، وَتَكْلِيمِ شَدِيدِهَا ، وَتَمْرِيْبِ بَعِيدِهَا ، فَأَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ  
وَمَا ذَاكَ بَخْلًا مَنِّي لِبُخْلِي عَلَيْكَ بِالْإِغْضَاءِ أَنْتَ عَيْنِي ( وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي )  
غَضُّ أَجْفَانِي عَلَى الْقَدَى <sup>(٢)</sup> وَإِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ ذُو الدَّشَرَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَالْمَثَلُ السَّائِرُ :  
يَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ ، وَقَالَ الْآخَرُ :

(١) ابن بسام . (٢) جملة « وليس من حق عيني » ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها لأن السياق يقتضيه ، وهو يشير إلى قول ابن الرومي :

« أنت عيني ، وليس من حق عيني غضُّ أجفاني على الأتداء . »

(٣) اللعابة : المعاودة وبشرة الأديم : ظاهره الذي عليه الشعر ، أي إنما يعاد إلى الدماغ من الأديم ما سلمت بشرته ، وهو مثل يضرب في إمكان الرجعة والاستعانة ، وفي الأصل « وإنما يعاتب الأديم على البشرة . »

أَبْلَغُ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُعْلَغَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ  
وَأَخْتِمُهُ بِتَكْلِيفِكَ مَا كَانَ سَبَبَ الْكِتَابِ ، وَالْدَّاعِي إِلَى الْخِطَابِ ، عَسَاكَ أَنْ  
تَتَلَا فِي عَوْدًا ، مَا ضَيَّعْتَ بَدْوًا ، وَتَهْتَبِلَ آخِرًا ، مَا أَغْفَلْتَ أَوَّلًا ، فَيَعُودَ عَيْنُ  
مَا أَفْسَدْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ فِي ذَلِكَ : « كَذَابُغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ » <sup>(١)</sup> فَتَمَعْتَهُ  
الْفَوْتَ قَبْلَ الْعَطَبِ .

وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا أَسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعًا  
فِي عِلْمِكَ أَنَّ سُجُنْتَ مُعَالَبَةً بِالْهَوَى ، وَهُوَ أَخُو الْعَمَى ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ  
اتِّبَاعِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ إِذَا يَقُولُ : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعَصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ . »  
دُونَ تَأَنٍّ تُذَرِّكُ بَعْضُ الْحَاجَةِ بِهِ ، أَوْ اسْتِنْبَاتٍ تُؤْمِنُ مُوَاقَعَةَ الزَّلَلِ مَعَهُ ،  
بَلْ : « أَوْرَدَهَا سَعْدًا وَسَعْدًا مُشْتَمِلًا . » وَشَهِدَ ابْنُ الْعَشَّارِ الْعَارِي عَنِ النُّقَّةِ  
وَالْأَمَانَةِ ، الْبَعِيدُ مِنَ الرَّعِيَةِ وَالصِّيَانَةِ ، النَّاشِرُ لِأَذْنِيهِ طَمَعًا ، الْآكِلُ  
بِيَدَيْهِ جَشَعًا ، فَكَانَ : « الْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَذَامُ » . وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَنْ يُحِقَّ  
بِالشُّهُودِ ، وَهُوَ وَأَوْ تَعْمُرُ فِيهِمْ ، وَتُؤْنِ الْجَمْعِ الْمُضَافِ مَعَهُمْ ، دُونَ أَنْ يُلْحَقَ  
بِخُزَيْمَةِ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ ، وَيَتُوبَ مُنْفَرِدًا عَنْ أَتْنَيْنِ .

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ عِسْتَنْكَرٌ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ . »

(١) يضرب للأمر الذي انتهى فسادُه ، وذلك أن الجلد إذا حلِمَ أي فسد لإهابه ووقع فيه دود فتتعب

لم يرج له إصلاح ، ويروى عن الوليد بن عتبة أنه كتب إلى معاوية :  
« فإنيك والكتاب إلى علي كذاينة وقد حلم الأديم . »

وَلَيْتَنِي مَعَ مَنْ لَا يَحِلُّ قَوْلُهُ عَلَيَّ ، أَعْذَرُ فِي شَهَادَتِهِ إِلَيَّ ، وَلَمْ يَقْتَرِنْ الْحَشَفُ  
مَعَ سُوءِ الْكَيْلَةِ ، وَيَسْتَضِيفَ لِي الْغُدَّةُ إِلَى الْمَوْتِ فِي يَنْتِ سُلُوبِيَّةَ ، خُطَّتَا  
خَسِيفٌ لَمْ أَرِ النَّجَاءَ مِنْهُمَا إِلَّا أَنْ رَكِبْتُ الْحَوِيلَ الْأَشْهَبَ ، وَرَأَيْتُ خُرَاسَانَ  
مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبُ ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى سَجْنِي بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ إِنْقَاذِهِ ، لَهُ  
مَجْلِسُ حَضْرَةٍ فُتِّهَاهُ الْحَضْرَةُ وَمَنْ أَعْلَمَ بِسِيَاهُمْ ، وَجَرَى فِي غَشِيَانِ الْحُكَّامِ  
مَجْرَاهُمْ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ انْتَهَمَنِي بِالْمُغِيبِ عَلَى عَهْدِ الْمُتَوَلَّى مَوْلَايَ - كَانَ - نَقَعَ  
اللَّهُ صَدَاهُ ، وَبَلَ ثَرَاهُ ، وَثَبَّتَ عِنْدَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنِّي مِمَّنْ تَعَامَلُهُ الْهَيْمُ ، وَلَا  
تَرْتَفِعُ عَنْهُ الظَّنُّ ، فَكُلُّهُمْ أَفْنَى بِالْإِعْذَارِ إِلَيَّ ، فِيمَا شَهِدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَيَّ ،  
ثُمَّ سَجَنِي أَنْ لَمْ آتِ بِمَدْفَعٍ ، أَوْ أَصْدَعَ مِنَ الْحُجَّةِ بِمَقْنَعٍ ، فَاخْتَاطَ وَاجْتَهَدَ ،  
وَتَحَوَّرَى وَاقْتَصَدَ ، وَصَالَحَنِي مِنْ هَذِهِ الْفُتْيَا عَلَى النَّصِفِ بِتَأْخِيرِ الْإِعْذَارِ ،  
وَتَقْدِيمِ الصَّلَاحِ ، وَالصَّلُحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ أَظْهَرْتُ إِلَيْهِ عَقْدًا كَانَ  
الْمُتَوَلَّى قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ ، وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ ، قَدْ أَشْهَدَ فِيهِ أَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَأَنْ  
جَمِيعَ مَا تَحِيطُ بِهِ الدَّارُ الَّتِي تُوُفِّيَ بَعْدَ هَذَا الْإِشْهَادِ فِيهَا ، إِنَّمَا هُوَ لِلْغَانِيَةِ الَّتِي  
فِي عِصْمَتِهِ ، حَاسًا دَقَائِقَ يَدَيْهَا ، وَمُحَقَّرَاتٍ عَيْنَيْهَا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ أَشْهَدَ بِهَذَا عَلَى  
نَفْسِهِ ، وَتَقَيَّدَ مِثْلُهُ مِنْ لَفْظِهِ ، فَحَالَ أَنْ يُخْلَفَ عَهْدًا ، وَيَهْتَلِكَ مِنْ وَصِيَّةٍ ،  
وَسَأَلْتُهُ الشُّورَى فِيمَا أَثْبَتَهُ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى ذَلِكَ ، وَلَوْ لَمْ  
تَكُنِ الشُّورَى مِنْ أَدَبِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

(١) جاء في رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجامعة لأحكام القضاء التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري  
قوله : « والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . » وفي الأصل : « والسجن  
جائز بين المسلمين » .

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . لَوْجَبَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا لَفَاحُ الْعَقْلِ ، وَرَأَيْدُ الصَّوَابِ ، وَأَنَّ الْمُشَاوِرَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ، صَوَابًا يَقُوزُ بِمَحْمَدِيَّةٍ ، أَوْ خَطَأً يُشَارِكُ فِي مَذْمُوتِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

«وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاصَةً مَكَانُ الْخَوَافِ عُدَّةٌ لِلْقَوَادِمِ<sup>(١)</sup> .  
قَدْ قَرَعْتُ لَهُ الْعَصَا وَنَبَّهْتُهُ عَلَى أَنَّ الَّذِي دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ ، لَا يَسُوعُ دَفْعِي عَنْهُ ،  
وَلَا يَجُوزُ مَنْعِي مِنْهُ<sup>(٢)</sup> ، فَحِينَئِذٍ عَلَّلَنِي بِمَوَاعِيدَ : كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُوقٍ لَهَا مَثَلًا ،  
إِذَا قَطَعْنَا مِنْهُ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ ، وَكَانَ آخِرُهَا - الَّذِي نَسَخَ بِهِ مَا قَبْلَهُ - أَنْ تُدْرَجَ  
الشُّورَى إِلَى أَبْنَاءِ الشُّورَى لِلْوَرْتَةِ ، فَتَوَيْتُ أَرْقُبُ هَذَا الْحَيْنَ ، وَأَرْجُو أَنْ  
يَحِينَ ، كَمَا يَرْجُو أَخُو السَّنَةِ الرَّبِيعَ : وَكَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءٌ .

« فَكُنْتُ وَإِيَّاهُ سَحَابَةً مُمَحِلٍ رَجَاهَا ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ اسْتَهْلَتِ »

وفى فصل منها :

وَلَمْ أَقْصَ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي مِمَّا أَجْلَبَتْهُ إِلَّا مَا شُهِرَ شُهْرَةً الْإِنْسَمِ ،  
وَعُرِفَ مَعْرِفَةً النَّسَبِ ، وَمَا يَوْمُ حَكِيمَةٍ بِسِرٍّ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ حَبْسِي قَدْ  
وُضِعْتُ مِنَ السَّجْنِ فِي مَوْضِعٍ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِوَضْعِ مَسْتُورِي النَّاسِ ،  
وَذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْهُمْ فِيهِ ، وَفِي الشَّرِّ خِيَارٌ ، وَبَعْضُهُ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ ،  
فَنَيْتُ مِنْ مُطَالَبَةِ بَعْضٍ مَا يَهْتَمُّ النَّاطِرُونَ فِي السَّجْنِ لَهُ وَيَسْعَوْنَ إِلَيْهِ - بِمَا  
أَقْتَضَى تَقْلِي إِلَى حَيْثُ الْجَنَازَةُ الْمُفْسِدُونَ ، وَالْأَصْوَصُ الْمُقِيدُونَ ، وَشَكَوْتُ  
ذَلِكَ إِلَى الْحَكَمِ الْخَالِسِ لِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى ذِكْرُهُ بِمَشْهَدٍ مَنْ تَقَدَّمَ

(١) البيت لبشار بن برد . (٢) في الأصل : « ونبه على الذي دعوته إليه ، لا يسوع لي دفعه عنه ، ولا يجوز مني منه . » وما أفتناه هنا هو ما يمكن أن يستقيم به المعنى .

وَصَفَّهُ، فَأَتَتْهُ مِنَ الرِّضَا بِهِ، وَأَظْهَرَ الْأَمْتِاعَ مِنْهُ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْمُوَكَّلِ  
بِالسَّجْنِ فِي اخْتِيَارِ مَجْلِسِ أَتَابِنُ فِيهِ مَنْ لَا تَلِيْقُ بِي مُلَابَسَتُهُ، وَأَنْتَبَذُ صَمْنَ  
لَا تُرْضَى لِي مُجَالَسَتُهُ، ثُمَّ لَمْ أَلْبَثْ أَنْ أَخْضَرَهُ مَجْلِسَ نَظَرِهِ، وَأَمَرَ بِتَأْدِيهِ،  
عَلَى أُمْتِالِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَأَنْتَهَاهُ إِلَى مَا حَدَّ لَهُ، وَأَسْتَأْنَفَ الْعَهْدَ فِي  
التَّضْيِيقِ عَلَى، وَمَنْعَ مَنْ أَعْتَادَ صَلَاتِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَيَّ، فَأَصْعَدْتُ إِلَى غُرْفَةٍ  
فِي السَّجْنِ أَفْتَعَنِي بِهَا مَعَ خَسَاسَتِهَا، وَأَسْلَانِي عَنِ الْمُصِيبَةِ بِالْكُوفِ فِيهَا  
- عَلَى مَضَاصَتِهَا - أَفْرِادِي مِنَ لَقِيفِ الْأَخْلَاطِ، وَمَنْ صَمَّ السَّجْنُ مِنَ السَّفَلَةِ  
وَالسَّقَاطِ، فَجِئْتُ أَسْتَوَاتِي إِلَيْهَا عَهْدَ بِحَطِّي إِلَيْهِمْ، وَخَلَطِي بِهِمْ، وَوَضَعِي  
يَنْتَهُمُ، فَتَقَلْتُ وَدَخَلْتُ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْحَالِ مَنْ أُبْلَغَ إِلَيَّ عَنْ ابْنِ أَخِي الْحَكَمِ  
رِسَالَةً جَامِعَةً مِنَ السَّبِّ الْفَاحِشِ فُنُونُهُ، مُشْتَمِلَةً مِنَ الْوَعِيدِ الْمُرْهَبِ عَلَى  
ضُرُوبِهِ . فَلَوْذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَنِي .

« وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ، وَلَمْ يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ »  
فَلَمْ أَسْتَطِعْ صَبْرًا، وَعَلِمْتُ أَنَّي قَدْ أَبْلَيْتُ عُذْرًا، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُعَذِّرَ لِي لَيْدِي  
وَكَادُ (١)، وَرَأَيْتُ أَنَّ الْعَاجِزَ مَنْ لَا يَسْتَعِيدُ . فَأَلَمَرُّهُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَهُ، وَلَمْ أَسْتَحْزِنْ  
أَنْ أَكُونَ ثَالِثَ الْأَذَلِّينِ الْعِزِّ وَالْوَتْدِ ، وَذَكَرْتُ أَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الظُّلْمِ

(١) يشير إلى قول ليد يحاطب بنيه :

فقوماً فقالوا بالذي قد علمنا ولا تخمشا وجهها، ولا تخلفا الشعر

وقولا : « هو المرء الذي لا خلية أضع ولا خال الصديق ولا عذر »

• إلى الحول، ثم اعم السلام عليكما ومن بك حولاً كاملاً فقد اعتذر

واعتذر كأعدو أني بعذر، فما بعد تمام الحول، إذا أمكننا من النوح والبكاء على أيها فلها العذر .

وَالْهَرَبَ مِمَّا لَا يُطَاقُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« لَا عَارَ لَا عَارَ فِي الْفِرَارِ ، فَقَدْ فَرَّ نَبِيُّ الْهُدَى إِلَى الْغَارِ »

وَنَظَرْتُ فِي مُفَارَقَةِ الْوَطَنِ ، وَالْبَيْنِ عَنِ الْأُجْبَةِ ، فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ إِحَاشَ نَفْسِي بِإِيْنَاسِ أَهْلِي ، وَقَطْعَهَا فِي مُوَاصَلَةِ وَطَنِي ، غَبْنٌ فِي الرَّأْيِ ، وَخَوَرٌ فِي الْعَزْمِ ، وَوَجَدْتُ الْحَرْيَ يَنَامُ عَلَى الشَّكْلِ ، وَلَا يَنَامُ عَلَى الدَّلِّ ، وَأَذِنْتُ إِلَى قَوْلِهِمْ : لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبِلَادِ نَسَبٌ ، وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

« أَرَى النَّاسَ أَحْذُوثةً فَكُونِي حَدِيثًا حَسَنَ

كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ

إِذَا وَطَنٌ رَأَيْتُ فَكُلُّ مَكَانٍ وَطَنٌ »

وَلَمْ أَسْتَغْرِبْ أَنْ أُسَامَ بِمَثَلِ هَذَا الْخَسَفِ فِي مَسْقَطِ رَأْسِي ، وَمَعَقُ<sup>(١)</sup> تَمَامِي ، وَأَوَّلِ أَرْضِ مَسْ ثَرَابِهَا جِلْدِي ، فَقَدِيمًا ضَاعَ الْمَرْءُ الْفَاضِلُ فِي وَطَنِهِ ، وَكَسَدَ الْعَلِيقُ الْغَنِيظُ فِي مَعْدِنِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

« أَضِيعُ فِي مَعَشَرِي ، وَكَمْ بَلَدٍ يَعُودُ عُودُ الْكِبَاءِ مِنْ حَطْبَةٍ »

فَأَسْتَحَرْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاضِحَ وَجْهِ الْعُذْرِ ، ثَابِتَ قَائِمِ الْحِجَّةِ ، عِنْدَ مَنْ غَضَّ عَيْنَ الْهَوَى ، وَخَزَنَ لِسَانَ التَّعَسُّفِ ، وَاللَّهُ يُصِيبُ غَرَضَ الصَّوَابِ بِرَأْيٍ ، وَيُقَرِّبُ غَايَةَ النِّجَاحِ عَلَى سَعْيٍ ، حَسْبَمَا ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ أَنِّي مَظْلُومٌ مَبْنِيٌّ

(١) اللق : الموضع الذي تقع أى تشق فيه عن الصبي التمام ، ومع قوله :

« بلاد بها حق الشباب تمامي وأولها أرض مس جلدي ترابها . »

عَلَيَّْ، مَنْسُوبٌ مَا لَمْ آتِهِ إِلَى، فَهُوَ الْمُؤَمَّلُ لِذَلِكَ، وَالْمَرْجُو لَهُ، وَلَمَعْمُوكَ بِأَسِيدِي  
 إِنَّ سَاحَةَ<sup>(١)</sup> الْعُذْرِ لَتَضِيقُ عَنْكَ، وَمَا نَكَادُ تَنْسِغُ لَكَ، فِي إِسْلَامِكَ تَلْمِيزُكَ  
 وَابْنَ جَارِكَ وَشَيْخَكَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ مُتَابِرًا عَلَيْهِ أَخِذَا عَنْهُ مُقْتَسِبًا مِنْهُ مَعَ  
 إِكْتِسَارِكَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا، وَالْأَعْتِدَادِ بِهِ، وَأَدْعَاهُ الْحِفْظَ لَهُ، وَقَدْ رَوَيْتَ أَنَّ  
 حَسَنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَتَمِيعَتِ الْمَثَلِ: « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا . »  
 فَالْمَرَّةُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ أَسْتَعْمَالِ الْجِدِّ، وَأَسْتَفْرَاقِ الْجَهْدِ، فَيُبْلَغُ  
 نَفْسِ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ، وَلَا لَوْمْ فِي أَمْرِي بَلَّغَ الْعُذْرَ، وَلَكِنْ مِنْ لَكَ  
 بِأَخِيكَ كُلِّهِ، وَمَا حُمَّ وَاقِعٌ، وَلَا حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَمْدَلُ،  
 وَتَقَدَّمَ مِنْ فِعْلِي مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ، وَأَنَا الْآنَ بِحَيْثُ أَمِنْتُ بَعْضَ الْأَمْنِ، إِلَّا  
 أَنْ رَزَا<sup>(٢)</sup> مِنْ وَعِيدِ سَقَطَ إِلَيَّ بَأَنِّ السَّغَى لَمْ يَرْتَفِعْ، وَأَنَّ مَادَّةَ الْبَغْيِ لَمْ تَنْقَطِعْ،  
 وَأَنَّ الْبَصِيرَةَ مُسْتَحْكِمَةٌ فِي اسْتِرْجَاعِي مِنَ الْأَفْقِ الَّذِي أَحْلُ بِهِ، وَالْجَنَابَ الَّذِي  
 أَحْطُ فِيهِ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي ظَنِّي مَا كَانَ أَشَارَ لِي إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ كُنْتُ آوِي  
 إِلَى الثِّقَةِ بِعَهْدِهِ، وَأَبْنَى عَلَى الْوِثَاقَةِ مِنْ عَقْدِهِ، مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمَوْسُومِينَ بِالْأَثَرِ  
 عِنْدَ الْحَكَمِ الْمَذْكُورِ وَالْمَكَانَةِ مِنْهُ، وَقَدْ عَانَبْتُهُ عَلَى تَأْخِيرِهِ عَنْ مُظَافَرَتِي  
 وَتَقْصِيرِهِ فِي مُوَازَرَتِي، فَاعْتَذَرَ بَأَنِّ ذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَلَا مَتَفَدٍّ لِلْحِيلَةِ فِيهِ، إِذِ  
 الْمُحَرَّضُ عَلَى لَا تَتَأْتِي مُعَارَضَتُهُ، وَلَا يَتَهَيَّأُ الْإِسْتِغْنَاءُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ وَصَفَنِي  
 بِالْبَدَاهِ وَعَابَنِي بِالتَّسْلُطِ عَلَى الْأَعْرَاضِ، وَوَاللَّهِ مَا اسْتَجَزْتُ هَذَا بَعْدَ أَنْ هَتَكَ

(١) فِي الْأَصْلِ: « أَنْ سَاعَةَ الْعُذْرِ . » وَفِي هَامِشِ الْأَصْلِ « لَهَا سَمَةٌ » وَقَدْ أَتَيْنَا مَكَانَهَا « سَاحَةٌ »

الَّتِي فِيهَا عَلَى صَوْتِهَا فِي الْحَطِّ لِيَسْتَقِيمَ لِلنَّحْوِ . (٢) الرِّزُّ وَالرَّكْزُ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ تَسْمِعُهُ مِنْ يَمِيدِ .



مِنْ سِثْرِي مَا هَتَكَ ، وَأُتْهِكَ مَا أُتْهِكَ ، إِنْ كُنْتُ أَقُولُ مَعْدُورًا ، وَأُفْثُ مَعْدُورًا ، فَكَيْفَ قَبْلَ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يَحْدُثْ سَبَبٌ ، وَلَا غَرَضٌ مُوجِبٌ ، وَمَالِي وَهَذَا الْمُجْتَنَى ثُمَّ مَالِيَا ، وَ « سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ » وَلَيْسَتْ هَذِهِ بِبِكْرِ مِنَ النَّهْمِ الَّتِي دَخَلَ بِهَا بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا :

« فَإِنِّي رَأَيْتُ غُرَاةَ الرَّجَا لِي لَا يَبْرُكُونَ أَدِيمًا صَاحِبًا »

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاشِينَ تُسَلِّقُ <sup>✱</sup> مَسَامِيهُ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ

وَيَا سَيِّدِي :

لَوْ بَقِيَ الْمَاءُ حَلَقِي شَرِقُ كُنْتُ كَالظُّمْآنِ بِالْمَاءِ أَعْتَصَارِي  
وَوَاللَّهِ مَا تَوَهَّمْتُ أَنِّي أُوتِي مِمَّنْ أُوتِيَتْ مِنْهُ مَعَ اتِّصَالِي بِهِ ، وَأَنْفُطَعِي إِلَيْهِ ،  
وَأَتَسَامِي بِالتَّأْمِيلِ لَهُ ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ . إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الثُّغَى ذِمَّتُمْ .  
وَلَكِنْ :

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ - لِلْمَرْءِ - عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْقَوَائِدِ  
لَقَدْ كَانَ مِنْ مُحَاسِنِ الشَّيْمِ ، وَشُرُوطِ الْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ ، أَنْ يَهَبَ لِي مَا أَنْكَرَ  
لِمَا عَرَفَ ، وَيَعْفِرَ مَا سَخَطَ لِمَا رَضِيَ ، وَيَدْفَعَ بَالِيَّ هِيَ أَحْسَنُ ، وَيُؤْوِزَ  
الَّذِي هُوَ أَجْمَلُ وَأَرْفَقُ ، وَيَتَوَقَّفَ عِنْدَ مَا نَصَّ لَهُ مِنْ سِعَايَةٍ ، وَزُفِّ إِلَيْهِ مِنْ  
وِسَايَةٍ ، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا أَلْقَاهُ ، وَفَضَحَ الْمُخْبِرَ الْمُتَقَرَّبَ بِهِ وَأَفْصَاهُ ، وَإِنْ كَانَ  
حَقًّا صَبَرَ صَبْرَ الْحَلِيمِ ، وَأَغْضَى إِغْضَاءَ الْكَرِيمِ ، وَقَبِلَ إِنَابَةَ الْمُعْتَبِ ، وَأَقْتَصَدَ  
فِي مُوَاخَذَةِ الْمُذْنِبِ ، فَقَدَّمَ التَّوْقِيفَ ، قَبْلَ التَّثْقِيفِ ، وَالتَّائِبَ ، قَبْلَ التَّأْدِيبِ  
فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ ، وَالْحُرُّ يُلْحِقِي وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعْتٍ، أَيُّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبُ؟  
وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ أَنَّ بِالْخَضِرَةِ قَوْمًا لَا يَحْضُرُهُمُ الْعَدُوُّ تُحْتَمَلُ سَقَطَاتُهُمْ ،  
وَتُفْتَقَرُ هَفَوَاتُهُمْ ، وَتُقَالُ عَثَرَاتُهُمْ :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أَمْ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا<sup>(١)</sup>  
وَمَا أَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُدْلُونَ بِوَسِيلَةٍ إِلَّا شَارَكْتَهُمْ فِيهَا ، وَلَا يَمُتُونَ بِذَرِيعَةٍ يَنْفَرِدُونَ  
دُونِي بِهَا :

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا  
فَإِنْ كَانَتْ مُسَاحَتُهُمْ لِسَابِقَةٍ سَلَفَتْ فَقَدْ أُحْزِرَتْ مِنْهَا الْحِطَّةُ الْأَعْلَى ، أَوْ لِكِبَالِ  
أَدَبٍ فَقَدْ ضَرَبَتْ فِيهِ بِالْقِدْحِ الْمُعْلَى ، أَوْ لِلطُّفِّ تَوَدُّدٍ فَاقْصَرَتْ فِي الْاجْتِهَادِ  
غَيْرَ أَنِّي حَرِمْتُ التَّوْفِيقَ ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ ، رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدَ .  
فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ فِي سُوءِ الْقَضَاءِ إِلَى الْعُدُوِّ  
وَاللَّهِ لَقَدْ أَظْهَرْتُ مَذْحَهُ ، وَأَضْمَرْتُ نُصْحَهُ ، وَتَمَتَّتُ عَلَى الصَّانِعَةِ لَهُ ، وَجَرَيْتُ  
مِلَّةَ الْعِنَانِ إِلَى الْإِعْتِلَاقِ بِهِ ، أَسْقِيهِ السَّائِفُ مِنْ مِيَاهِ وَدْيٍ ، وَأَكْسِيهِ السَّابِغَ  
مِنْ بُرُودِ حَمْدِي ، وَأُجْنِبِهِ الْغَضَّ مِنْ ثَمَرَاتِ شُكْرِي ، وَأُهْدِي إِلَيْهِ الْعَطَرَ  
مِنْ نَفَحَاتِ ذِكْرِي لَا يُفِيدُنِي التَّحَبُّبُ إِلَيْهِ ، إِلَّا ضِيَاعًا لَدَيْهِ ، وَلَا يَزِيدُنِي  
التَّقَرُّبُ مِنْهُ ، إِلَّا بُعْدًا عَنْهُ :

كَأَنِّي أَسْتَدْنِي بِهِ ابْنَ حَيَّةٍ إِذَا النَّزْعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَبْعَدَا  
وَالَّذِي أَحْبَبُهُ مِنْكَ ، وَاقِئْ فِي الْمُسَارَعَةِ إِلَيْهِ بِكَ لِقَاءَهُ مُجَارِيًا ذِكْرِي ، مُفَاوِضًا

(١) أَيُّ لَيْبِيٍّ شَرُّ الثَّلَاثَةِ يَا أَمَّ عَمْرٍو الَّذِي لَا لَسِينَةَ الصَّبُوحِ بِصَاحِبِكَ ، وَوِ الْأَمَلِ :  
« وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ — أَمَّ عَمْرٍو — لَصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا »

فِي أَمْرِي ، مُعْلِمًا لَهُ بِالَّذِي لَا يَذْهَبُ عَنْهُ - مِنْ أَنَّ الَّذِي اخْتَرْتُهُ لِنَفْسِي فَايَةُ  
مَائِيهِ وَالْعَدُوُّ بِهِ ، وَيُسَاءُ الْمَوْلَى مِنْهُ - فَالْجَلَاءُ أَخُو الْقَتْلِ ، وَالْفَرْبَةُ أَخَدُ السَّاءِ  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ  
دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« وَمَنْ يَغْتَرِبَ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْجَبًا  
وَيُتَذَقَّنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ ، وَإِنْ يُسَى يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا »  
وَقَدْ هَجَرْتُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ ظِلِّي ، وَالْذَّارَ الَّتِي كَانَتْ مِهَادِي ، وَغَيْبْتُ عَنْ أُمِّ  
أَنَا وَاحِدِهَا ، تَحْتَدُّ أَنْفَاسُهَا شَوْقًا إِلَيَّ ، وَتَقْضُ أَجْفَانَهَا حُزْنًا عَلَيَّ ، وَاللَّهُ يَرَى  
بُكَاءَهَا ، وَيَسْمَعُ لِي - عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي - نِدَاءَهَا ، فَلَا سِتْجَابَةَ مَضْمُونَةَ الْمُخْلِصِ  
وَالْمَظْلُومِ ، وَقَدْ حَمَلْتُ السَّمْتَيْنِ ، وَأُسْتَوْجِبْتُ الصَّفَتَيْنِ ، وَلَتَكُنْ بُعَيْتُكَ الَّتِي  
تَذْخِرُهَا عَلَيْهَا كَلِمَةً تَأْمِينٍ ، وَإِشَارَةً إِلَى تَأْنِيسٍ وَتَسْكِينٍ ، تُرَاجِعُنِي بِهَا  
فَاطْهَرُ بِحَيْثُ أَنَا آمِنًا ، وَأَلْقِ الْعَصَا مُطْمَئِنًّا ، فَإِنْ وَجَدْتَ حَزْنَ الشَّقَرَةِ ،  
فَالْعَمَوَانُ لَا تَعْلَمُ الْخِمْرَةَ <sup>(١)</sup> ، فَإِنْ أَشْبَهْتَ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ ، أَعْلَمْتَنِي بِذَلِكَ ، فَطَلَبْتُ  
الْأَمْنَ فِي مَظَانِّهِ ، وَتَقَرَّرْتُ السَّلَامَةَ فِي مَوَاطِنِهَا ، وَصَبَرْتُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ لِي  
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلِكُلِّ حَالٍ  
مُعَقَّبٌ ، وَلَرُبَّمَا أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا تَحْمَدُ ، وَلَكَ يَا سَيِّدِي فِي اتِّدَابِكَ لِمَا  
نَدَبْتُكَ إِلَيْهِ الْفَضْلُ ، وَالْأَيَادِي قُرُوضٌ ، وَالصَّنَائِعُ وَدَائِعُ :

« لَا يَذْهَبُ الدُّرُفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . »

وَالْتَّحِيَّةُ الطَّيِّبَةُ وَالسَّلَامُ الْمُرَدَّدُ عَلَى سَيِّدِي :

(١) الخمر : اسم للهيئة من الاجتهاد أى وضع الخمار على الرأس ، وهو مثل يفرح ابن حنق الأشياء  
وجرب الأورد .

# شعر الملكين

(١)

## شعر المعتضد

« قال المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبو عمرو

عباد بن محمد بن عباد رحمه الله . »

إذا نام أقوام عن المجد - صلة -  
أشهد عبي أنت تام بن الحال  
وإن راق أقواماً من الناس - منطق  
يروق ، بدا مى مقال وأفعال . «  
( وقال )

« أقوم - على الأيام - حير مقام ،  
وأوقس في الأعداء - شر ضرام  
وأثقف - في كسب المحامد - مهجتي ،  
ولو كان - في الذكر الجليل - حماني  
وأبلغ - من دنياى - نفسى سؤلها ،  
وأضرب - في كل الملا - بهام  
إذا مصح الأملاك تقص ، فانه  
بينه - عند الأمام - تماني . «

( وقال )

« من كان يسلم عن نوال فأنا الذي لست يسال  
الجل عين قيصه ، والجود عين للحكام  
أبصرت رشدى في الندى ، فالجل - عدى - كالغزال  
هنا زفاف طعمه ، والجود حلوك كالزال . «

( وقال )

« لو كان قلبي - عن الشمال - منترحاً ،  
نادى لفقد حبيب النفس : وحرابا  
لكنما - شغل - بالجد - مجتهداً -  
يلهبه من حبه إن بان أو قربا . «

« لقد بسط الله المكارم من كفى  
فلست - على العلات منها - أخاكف  
تتادى بيوت المال - من مرط بذلها -

يمى : « قد أسرفت ظالتي كفى »  
أنفري ييمى بالسباح فتنهى  
ولا ترقصى خلا يقول لها : ينى  
لعمرك ، ما الاسراف في طيعة ،  
ولكن طمع الحل عندى كالخشب . «  
( وقال )

« من للشحاعة والكرم إلا الط - لوم المظلم  
من لست تقدم عنده غير التندل والعدم  
أحيا المكارم والملا وأقام ما د الهيم  
يلقى العداة ، وسيمه قد قط هامات البهم . «

( وقال )

« لعمرك لاني - بالمدامة - قوال ،  
ولاني - لما يهوى الندامى - لنعال  
ولاني - للحل الحليل - لماعش ،  
ولاني - لقتل الماوى - لقتال  
نست زمانى - بين كد وراحة -

فلراى أسحار ، ولطيب آصال  
فأمسى - على الذات والهبو - هاكفا  
وأنصمى - بساحات الرئاسة - أختال  
، ولست - على الإزمان - أغفل بشقي  
من انجد ، لاني - في المال - لختال

( وقال )

« هنى السعادة قد قامت على قدم  
وقد خلفت لها في مجلس الكرم  
فان أردت - إلهي - بالورى حساً  
فلكنى زمام الدهر والأمر  
فاني لا عدك الدهر عن حسن ،  
ولا عدك بهم من أكرم الشيم  
أفارع - الدهر - عنهم كل ذي طلب  
وأطرد - الدهر - عنهم كل ذي عدم . »

( وقال )

« عن القصد تجاروا ، وما جرت عن قصد  
إذا حيت طرق العرائس عن أسد  
إذا اهترضوا للجلل أعرضت عنهم ،  
وإن من أقوام كتمت لدى أسدى  
فله ما أخى من العدل والندى ،  
ولله ما أبدى من الفصل والمجد  
ولا ألتقى صبي غير شاشنة  
إذن فحدث الله مروءه عندي . »

( وقال )

« ألام ، ومالوى على الحب - واحب ،  
وقد صادنى طرف كحيل وحاحب  
أنحب عى - والفؤاد يحبها -  
لفد مر محجوب تمام حاجب  
أروم مؤادى - فى الغرام - لبني  
وكيف وما دون الأية حاجب . »

( وقال )

« زهر الأسنه فى الهيجا فغدت زهرى  
غرس أشجارها مستحزول المر  
ما إن ذكرت لها من معرك جليل  
إلا تحللت - بالصارم - الذكر  
حق غدوت وأعدائى تخاطبى  
يا قاتل الداس بالأحناد والعكر . »

( وقال )

« وإذا توعدت المسالك لم أرم .  
فيه السرى إلا برأى مقمر . »

وإذا طلبت عريسة ففاتحى

فيها العريسة والسان السهرى . »

( وقال )

« كلام - كئل الدر - نثره نثرأ  
ووصل - كطل الروض - تعطيك نثرأ  
ولو لم تش وصلى بهجر لحتى  
أشاهه منها الشمس أو ألتهم الدرا . »  
( وقال )

« أنك الليل مكتراً ياقصه سما البدر  
ذر الساعات تنسقه ستقبه يد العجر . »  
( وقال فى القاضى أبى القاسم أبيه )

« ألا يا مليكا يرتعى ويهاب  
ومحرأ له - فى الكرمات - عباب  
ومولى عدتنى - مذنشأت - مكارم ،  
يصوب بها من راحته - سحاب  
أطمتك - فى سرى وجهى - حاهداً ،  
فلم يك لى - إلا اللام - ثواب  
وأعملت جهدى فى رضاك مشعرا

ومن دون أن ألقى إليه حجاب  
ولما كبا حدى إليك ولم يسغ  
لنفسى - على سوء القاب - شراب  
وقل اصطبارى - حين لالى صدكم  
- من العطف - إلا نسوة وتنا

فررت بنفسى أبتى فرجة لها  
على أن حلو العيش بعدك صاب  
وماهرنى إلا رسولك أن جرت

إلى به صم الهضاب وكباب  
فقال مقالاً لم أحد عن مقال  
ماباً ، وعن بعض الأمور مناب  
دعاك أمير المؤمنين مثوباً  
فقلت : « أمير المؤمنين محاب »  
فجئت أغذ السير ، حتى كأنما

يطير بسيرى - فى الفلاة - عقاب  
وما كنت - بعدالين - إلا موطناً .  
بهزى على ألا يكون إلاب

لجأدت - وما كادت - على بخدها  
 . وقد ينبع الماء الفير من الصلد  
 فقلت لها : « هاتي ثنايك لاني  
 أقفل نوار الأتافي على الورد  
 وميلي على حسي بحسك » فاشتت  
 تيمد الذي أملت منها كما تبدى  
 عناقاً ولها أرويا الشوق بيننا  
 - مرادى ومشي - كالشرار من الزند  
 فياساعة - ما كان أقصر وقتها  
 لدى - تقصت غير مدمومة العهد -  
 ( وقال )

« ينادون قلبي ، والعرام يحجب ،  
 ولقلب - في حين الداء - وحب  
 مشوق دعه الشوق والوجدوا هو  
 يحجب نداء الحب وهو يحجب  
 يقاسي مؤادى الوحب والحب واصل -  
 فكيف تراه إن حماء حبيب ؟  
 إذا أخطأ الأحباب ترتيب ظاهم  
 فانت مؤادى - دائماً - ليصيب  
 عليم بأسرار العرام ، لأنه  
 نصير - بأدواء الحسان - طيب  
 يواصل سرّاً ، ويصرم ظاهراً ،  
 وذلك من أمهات - عجيب . »  
 ( وقال )

« بيض الهند والأسل الحداد  
 أرحى أنت يتم لي مرادى  
 فأبلغ بيتي ، وأريح نفسي ،  
 وتحمّد حالي في كلّ نادى  
 ففني الدهر في قتل الأعداء ،  
 وحسم رقابهم في كلّ وادى  
 فذاك الغرض - والرحمن - عندي  
 كقتل المرض في حال الجهاد . »  
 ( وقال )

« وليل ظلتنا فيه نعمل كأسنا  
 إلى أن بدت الصبح - في الليل - أعمال

ولكنك الدنيا إلى حبيبة  
 فما هك لي - إلا إليك - ذهاب  
 ومضالك في ترك اللام ، فانه  
 - وحكك - في قلبي ظناً وحراب  
 إذا كانت النعسي تكدر بالأدى  
 فما هي إلا محبة وعذاب  
 ولا تقضن بالمنع كفى فانه  
 - وحدك - نفس للعلا وخراب  
 فوالله ما أبهى بذلك غير أن  
 تحلى محدوى راحتك رقاب  
 ويهدى إليك اللاس دون تصع  
 شنة صدق لم يشبه كذاب  
 فكل نوال لي ، إليك انتباه ،  
 وأنت عليه - نالناه - مثاب  
 بقيت مكين الأمر ، مادشارق ،  
 وما لاح في أفق السماء ، شهاب . »  
 ( وقال )

« يا قاتل العيب ولا واق  
 لا ترص بالله بانعاق  
 عينك قد قادت إلى الردى  
 فالقلب نتاح إلى راق  
 لولاك والرحمن - ما كنت من  
 يحسب في حيلة عشاق  
 قد لدغت صدغاك قلبي فهل  
 نعم للذغ بدرياق . »  
 ( وقال )

« رعي الله من يصلي مؤادى بحبه  
 سميراً ، وعي منه في جنة الخلد  
 غزالية العينين شمسة السنا  
 كشيبة الردين غصية القد  
 شكوت إليها حبها بمسامي  
 وأعلنتها ما قد لقيت من الوجد  
 فصادف قلبي قلبها - وهو سالم -  
 فأعدى ، ودوا الشوق المبرح قد يمدى

( وقال )

« ذكراك في قدسيت بتسبيحي  
أمدك يا فتنة الجنان والروح  
الله يعلم أني لست أهرم  
دهري ولا تنقضي فيكم تباريحي  
إن كنت أشرح معي حكم شفأ  
فإن سرّك عندي غير مشروح . »

( وقال )

« يا جاهل الحب إن الحب ذو سند  
مهما أزعجته يوماً سوف أعتد  
أبجمل الحب من أضرب به حرق  
تكاد من حرها الأحشاء تنقه  
الله يعلم أني شقيق أبدا  
لا يقضي الشوق حتى يتقضى الأبد  
إن يشر الحس برد الوصل منتعشاً  
يهدى إليه بؤادي حر ما يجد . »

( وقال )

« لله درّ الحب ماذا يصم  
يعنو له ملك الزمان ويخصم  
لحب سلطات عظيم شأنه  
مهما يقل قولاً قلبي يسم  
إن يفر بالهجران مالك مهتني  
أقل إليه بجأتي أقتصرع  
ماذا انتفعت بجأتي عند الهوى  
حال الهوى أبداً أحل وأرفع . »

( وقال )

« لله ما حلد الأحاس في خلدي  
لمن غدا والدي كالروح والحسد  
للأوحدي أني الجيش الذي ظفرت  
منه بأنفس علق في الأمام يدي  
موفق الرأي في الرايات لدته  
في الحد والحود لاني الميشة الرعد  
إذا رآته العسا ناذته مفصحة :  
يا قرّة العين بل يا قلدة الكبد . »

وولت نجوم الليل تجري هزينة

وجاء مع الاصباح نصر وإقبال  
نقضت من هذا وذاك - لبانة  
وتّم لنا فتح مبین وآمال .  
( وقال )

« وليل أدمنا فيه شرب مدامة  
إلى أن بدا الصبح في الليل تأثير (١)  
وجاءت نجوم الصبح تقرب في الدسي  
مولت نجوم الليل والليل مقهور  
لحزنا - من اللذات - أطيّب طيبها  
ولم يمدنا هم ولا طاق تكدير  
خلا أنه - لو طال - دامت مسرة  
ولكن ليالي الوصل ديهن تقصير . »

( وقال )

« أعلم أن قلبي غير صاح ؟  
وأني من سلوك في انقراح  
وكنت الدهر - أستاذ المال  
فقد أصححت من صيد الملاح  
تسقي البجيلة كأس صد  
وترحها - لتعليل - براح  
ولوشاءت حياتي - الدهر - سقت  
حرور القلب من شيم قراح  
وكانت تصنع الحسي جيلا  
ولكن ليس ثاقب غير لاح  
فسقي - فديتك - من عقار  
ونادبي : هلم إلى اصطباح . »

( وقال )

« يطول على الدهر إن لم ألانها ،  
وبقصر - إن لاقيتها - أطول الدهر  
لهافرّة كالبدر - عند تمامه -  
وصدفا غير نتما صفحة البدر  
وقد كثل الصن - مالت به الصبا -  
ولفظ كما انحلت الغمام من الدرّ

(١) هذه القطوعة أدرجت سهواً ضمن شعر

ابن زيدون

( وقال )

« أترى اللقاء كما نحب يوفق  
فنظّل نصح بالسرور ونسوق

حتام تطلّى البالي قرب من  
قلبي له منشوق منشوق  
ملك أغرّ أعار أن تحطى به

لسواى أخطأ ولحطى مملق  
أعدى أبا الحبش الموق أنه  
للمكرمات ميسر وموفق  
باهى به الزمن الهوى كأنه

نشر على وجه الزمان وروى  
ملك إذا فهنا بطيب ثناءه  
طلت به أدواها تنطق  
حسب الرياسة أن عدت مرادة

سواء فهو التاج وهى المفرق .»

( وقال )

« عرفت عرف الصبا لإدهب عاشره  
من أدق من أنا فى قلبى أشاطره

أراد تحديد ذكراه على شحط  
وما تيقن أى الدهر ذاكره  
يأتى المرار به والدار دابية

يا حدا الفل لو سحت زواجره  
ذخرى أبا الحبش هل يقضى اللقاء لنا  
ببشتى ملك حصن أت ناظره

قصاره قبصر إن قام منجراً  
لله أوله بمجد وآخره .»

( وقال )

« كأما ياسميننا المص  
كواك فى السماء تبيض

والطرف الحمر فى حواءه  
تخذّ عدراء ناله المص .»

( وقال )

« تنام ومدنهما يسهر وتصبر وصبره ولا يصبر  
لئن داهم هذا وهذا به سبيلك وحداً ولا يشعر .»

( وقال )

« أنا م وماه قلبى عن المجد قائم  
وابت فؤادى بالمعالى لهائم

وإن قدمت بى حلة عن طلابها  
فانت احتفادى فى الطلاب لقائم

يعزّ على نفسى إذا رمت راحة  
براح منننى الطبايع الكرائم  
وأسهر ليلى مفكراً غير طاعم

وفيرى على الملات شبعان قائم  
ينادى احتفادى إن أحس بفترة  
ألا أين يا عباد تلك العزائم

تتهزّ آمالى وتغوى عرائمى  
وتذكرنى لداتهن الهرائم .»

( وقال )

« أنا فى الحب مغرم مستبيل  
كل نيل أواله لى قليل

لى حثمان من يطن صحباً  
وفؤادى من الغرام عليل

( ١ ) أعطى محبى  
إن صبرى - على التجنى - جميل

لى ذهن - مثل الحسام - صليل  
هو من كثرة التحنى قليل .»

( وقال )

« إنى على ألتقى بالسهد والكمد  
أدعوك يا مصى الأحسام بالسهد

قطعت قلبى الذى أعطاك حوهره  
إنى وهنك محم النفس والكبد

يادرة لم تاج فى كف عاتقها  
إلا أهمل إليها آخر الأبد

قلبي بكفك لا أرجو الفكك له  
مثل الفريسة حلت فى يدى أسد .»

( ١ ) هكذا وجد ناقصاً بالأصل .»



( وقال )

« يا غرّة تسخر بالبدن .  
ومقلة ثقت بالسحر  
ومبما لطم من جوهر  
وماؤه من أعطر الجمر  
ومنطقاً أوتيت من سحره  
أحرّ في قلبي من الجمر  
وشادنا تبعي شـ حصه  
ووكل الأجنات بالسهر  
تاجر بي الله نهر بالرضى  
وترخ الجنة في التجر . »

( وقال )

« يا درّة قلبي بها معتون  
يسلّو، وإن سئل السلو صني  
الله يسلّم أن قلبي معرم  
من كان داصر فليس يكون  
أو أن من يشرى رضاك معوزه  
بالحد قلنا: له المعبون . »

( وقال )

« يا قرا أصح لي مالكا  
لا تتركى هكذا مالكا  
وفلذة الكبد التي ضما  
مبيتها الدهر بأوجالكا  
رق على قلب العبد الذي  
يود أن يجرى على مالكا  
حسن في خلق وخلق فلم  
رضيت بالفتح لأعمالكا . »

( وقال )

« يصبرني أهل المودة دائماً  
. وإن فؤادي والاله صبور  
أغار على معنى الرئاسة إنني  
على كل حسن في الزمان غيور  
أصرف ذهني في أمور كثيرة .  
وأعلم أن الدائرات تدور . »

( وقال )

« غصن من التبر فوقه ورق  
كأنه الصبح تحته شفق  
يا أبدع الناس في عاسنه  
رق على من أذابه الأرق  
مددت كفى رجاء رأيتكم  
لا تتركوني ينالني الفرق  
بحر دموعي مفروق جسدی  
تداركوا مهتني وبى رمق . »

( وقال )

« رعي الله حاليا حديثاً وماضيا  
وإن كنت قد جردت عزمي ماضيا  
فأ لليلالي لا تزال ترومـنى  
ويرمين منى صائب السهم قاضيا  
وقد علمت أن الخطوب تطيعنى  
وما زلت - من لبس الدنيا طاريا  
أجسد في الدنيا ثيابا جديدا  
يحدد منها الجود ما كان باليا  
فأ مرّ لي بخل بمخاطر مهيتى  
ولا مرّ لي بخل الناس قط بياليا  
ألا حبذا في الحد لإتلاف طارفي  
وبدلي عند الحد نفسى وماليا . »

( وقال )

« يجور على قلبي هوى ويمجير  
وبأسرني إن الحبيب أمير  
أطوع لأمر الحب طوع مسلم  
وإن كان من شأنى إباً وثقور  
أغار عليه من لحاظي صيانة  
وأكرمه إن الحب غيور  
أخف لى . لقا الحبيب طائفي  
- لعمرك في كل الأمور وثقور . »

( وقال )

« أطلت نثار المجد بالبيض والسر  
وقصرت أعمار العداة على قصر  
ووسعت سبل الجود طبعاً وصنعة  
لأشياء - في العلياء - صاوبها صدرى  
ملا مجد للانسات ما كان صده  
يشاركه في الدهر بالنهى والأمر . »  
( وقال )

« كان عشى القطر في شاطئ النهر  
وفد رهرت فيه الأراهر كالرهر  
ترشّ بماء الورد رشا وتنفى  
لتخفيف أمواء بطيبة الحر . »  
( وقال حين دخل على المعتمد مآلقه )

« أرى أمت فائدة الرمان  
فقد فقت الممالك في ممان  
وقد رمتك من بلد بعيد  
فأدناك الاله بلا توات  
بذلنا جهدنا عزما وحزما  
ووطنا الكماة على الطمان  
وأجهدنا العزائم والساعي  
وأعملنا الحسام مع السنان  
ليبنى أهل مآلقه انتصارى  
وإعزازى لهم بعد الهوان  
سليققدم وينسيهم جيما  
رضاع الخير إن درت لبانى  
وأرقبهم ذرا درج المالى . »  
« كما أجنهم عمر الأمان . »

وأصاف الذى يبدى لسانى  
إليهم ما يجن لهم جنانى  
لحقى عليهم شكر امتاضى  
وما خلقى امتنانا بامتنان  
ولكن الحقائق محبرات  
وكم حبر ينوب عن العيان  
ألم أعتهم من دل كفر  
حرى في ضميمهم ملء النان  
وتوراة محسرة أعرّت  
مطالت دلة السبع الثانى  
إلى أن ثار بي عرم يمان  
فأدرك سؤله العصب اليمانى  
وأصنيت الصوارم خاطبات  
مكان قضاؤهما سحر البيان  
فعاد البرّ معصور المعانى  
وآب الفسق مهدوم المبانى  
وقام إمام حامهم يصلى  
وآنتت السامع بالأدان  
وكان دوو الهدى ما بين ثاو  
قتيل أو فقيد العقل فانى  
مذ اقترنت ببربرم يهود  
أباح حسامهم حسن القران  
هنادجر ما أوليت فيهم  
- من الفتكات بكر أو عوان  
وحسبى في سبيل الله موت  
يكون ثوابه خلد الجنان . »

## (٢)

### شعر المعتمد

(قال رحمه الله حين خرج من مالفة مستعجباً لأبيه :)

« سكن مؤادك لا تذهب به الفكر  
ماذا يعيد عليك البث والحد  
وازجر جفونك لا ترضى البكاء لها  
واصبر فقد كنت عند الخطب مصطبر  
وإن يكن قدر قد عاق عسر وطر  
فلا مرد لما يأتي به القدر  
وإن تكن خيبة في الدهر واحدة  
فكم غدوت ومن أشيعاك الطفر  
إن كنت في حيرة من حرم مجرم  
فإن عنذك - في ظلماتها - قر  
كم زمرة - في شاف القلب - صاعده  
وعبرة من شئون الدين تنحدر  
فوض إلى الله مما أنت خائفه  
وثق بمعتد بالله يتفر  
ولا تترك خطوب إن عدا زمن  
فأله يدفع والمصور ينتصر  
واصبر ، فإنك من قوم أولى حلد  
- إذا أصابهم مكروهة - صبروا  
من مثل قومك - والملك الهام أبو  
عمرو أبوك - له مجد ومفتخر  
سميدع يهب الآلاف مقتدراً  
ويستقل عطاياه ويمتخر  
له يد كل جبار يقبلها  
لولا نداء لقلنا إنها « الحجر »  
يا ضيفنا يقتل الأبطال مقتراً  
لا توهني فاني الناب والظفر  
وفارسا تحذر الأفران صولته •  
• من عبدك القن فهو الصارم الذكر

هو الذي لم تقم بينك صفحته  
إلا تأتي سراد واقضى وطر  
قد أحلفتني صروف أنت تملها -  
وقال موردها: « مالي بها صدر »  
فالفس جازعة ، والدين دامة ،  
والصوت مرتفع ، والسر منتشر  
وزاد همي ما بالجسم من سقم  
وشبت رأساً ، ولم يلفني الكبر  
وذبت إلا دماء في يسقي  
• أني عهدتك دعو حين تهتدر  
لم يأت عبدك ذنباً يستحق به  
عتاً ، وها هو قد ناداك يعتذر  
ما القنب إلا على قوم دوى دغل  
وفي لهم عهدك المهود إذ غدروا  
قوم نصيحتهم غش ، وصدقهم  
مين ، ونفهم إن صرفوا ضرر  
يميز النفس في الألفاظ إن نطقوا  
ويعرف الحقد في الألفاظ إن نظروا  
إن يحرق القلب نكت من مقامه  
فإنما ذاك من نار القلى شرور  
مولاي دعوة مملوك به ظمأ  
برح وفي راحتك السلسل الحصر  
أجب نداء أخى قلب تملكه  
أسي وذى ملة أودى بها السهر  
لم أوت من زمني شيئاً أسر به  
فلمست أهد ما كاس ولا وتر  
ولا تملكني دل ولا خن •  
• ولا سى خلدي تتج ولا حور

بقيت مؤيدا ما لاح برق  
وماعى الحمام على قضيب .

( وله إليه )

« ألا يملكك طلق الخطم مغزعا  
وياواحداً طاق الخلائق أجما  
ترقى بعبد وده لك شيمة  
إذا كان ذو ودّ سواء تصنعا  
لئن كنت عن جهل - مديتك - عارفا  
فكم عاتركت هلاك له : « لما »  
أقلنى مُقل عبدا شكورا وصارماً  
يحر من الأعداء لينا وأخذنا  
علنى من السخط الأليم سحابة  
فأعربها ربح الرضى كي تشعما .  
( وله إليه )

« مولاي أشكوك إليك داء أفسح قلبي به قريحاً  
إن لم توجه رصاك عى فليست أدري له مريحاً  
سحطك قد زادنى سقاماً  
فانت إلى الرضى مسيحاً . »

( وله إليه )

« ياليت حرب داق الأعادي  
طعين منه أريا وسما  
هدا إذا ناشوه حرباً  
وذا إذا استوهبوه سلماً  
لا غرو أن حم ملك جسم  
معادة الأسد أن تحما  
وليهنى أن طلعت بدرأ  
لأعين الحق مستتما  
لا زلت تلقى العداة نؤسى  
ملك وتلقى الولاية نصى  
ولتحر من قال من حسود  
إن يكن الحق قد أُلما .  
( وله )

« يا بدر تم تحلى فالأرض تشرق منه  
العجز خلق ذميم فلا تحدث منه . »

رصاك راحة نفسى لا لجئت به  
فهو المتاد الذى للدهر أدخر  
هو الدمام التى أسلو بها فإذا  
عدمتها جئت فى قلبى الفكر  
ما تركي الحر من زهد ولا ورع  
فلم يفارق لعمري سسى الصخر  
وإنما أنا ساع فى رصاك فإن  
أحقت فيه فلا يفسح لى العمر  
ما سرنى وأحاشى عصر عطفكم  
يوم أخل به فى عيبى القصر  
أحل ولى راحة أخرى خلقت بها  
نظم الكلى فى القنا والهيام تنتثر  
كم راحة لى فى الأعداء واضحة  
تفى الليالى وما يفى لها الخبر

سارت بها العيسى والآفاق فانتشرت  
فليس فى كل حى غيرها سر  
لا زلت ذا عزة قصاء شاعة  
لا يبلغ الوهم أدامها ولا العصر  
ولا يزل وزر من حسن رأيك لى  
آوى إليه فعم الكهف والورر  
أليك روضة وكبرى حاء منتها  
ندى ييمى لا ظل ولا مطر  
حملت ذكراك فى أرحمتها شجراً  
فكل أوقاتها للحتى ثمر . »

( وله إليه )

« أيا ملكا يحل من العريب  
ومن يلد غفران الدنوب  
ومن فى كفه نؤسى ونمى  
تصرف فى العدو والحبيب  
تسحطك المنى أعل نفسى  
ومالى غير تهوك من طيب  
ولست بمنكر ذنبى ولكد  
ننى قد جئت فى حال المريب  
فان عاقبتى بجراء مثلى  
وإن تصفح فليس من العريب . »

## ابن عمار<sup>(١)</sup>

« وكتب ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار  
إلى المعتد على الله حين تقبض النعماني  
على الرشيد ابنه إذ حاول أسر مرسيه . »

« أصدق ظلي أم أصبح إلى صبحي فأضى هري أم أعوج مع الركب

### (١) ابن عمار

الوزير أبو بكر « محمد بن عمار » ذو النفس الصامية - كما يقول المراكشي - كان أحد الشعراء  
المجيدين على طريقة أبي القاسم « محمد بن هاني الأندلسي » وربما كان أحلى منظما - في كثير من شعره .  
ولشعره ديوان يدور بين أيدي أهل الأندلس ولم أر أحدا من أدركته سى من أهل الآداب الدين أخذت عنهم  
إلا رأيته مقدما له مؤثرا لشعره ، وربما تعالى بمصهم وشبهه بأبي الطيب وهيمات . فن قصائده المشهورة التي  
أحاد فيها ما أراد ، قصيدته التي كتبها من سرقة حين فرق المعتض بالله بينه وبين المعتض لأنه شعله عن  
كثير من أسره فعاد وهي : -

« على والا ما بكاء العمام وفي وإلا ما نواح الخمام  
وعى أثار الرعد صرحة طالب لثأر، وهزال برق صمعة صارم  
ومالبست زهر الججوم حدادها لغيري، ولا قامت له في مآتم، »

وفي هذه القصيدة يقول يمدح المعتض بالله :

« أبن أن يراه الله إلا مقلدا حيلة (١) سيف أو جمالة عارم. »  
ومن حيد نسبته قوله في قصيدة يمدح بها المعتض بالله :

« جاء الهوى فاستشعره طاره وبعيه فاستعذبه أواره  
لا تطلوا - في الحب - عزاء، إنما عبدانه في حكمه أحراره  
قالوا أضربك الهوى فأجبتهم: يا حبذا وحدا اضراره  
قلبي هو اختار السقام لحسه زيا ، تغلوه وما يختاره  
عيتقوني بالبحول ، وإنما شرف المهد أن ترق شماره  
وشتم لمراق من آلفته ولربما حجب الهلال سراره  
أحسبتم السلوان هب سبيه ؟ أو انداك النوم هاد غراره ؟  
إن كان أعيا القلب من حرب الحوى خذلته من دمي إذ أنصاره . »

ولابن عمار هذا مع المعتض أخبار عجيبة عى بجمعها أهل الأندلس ، وأنا - إن شاء الله - موود منها ما لا يخل  
بالشرط الذي التزمته ، ولا يخرج عن الحد الذي رسمته ، حسب ما بقى على خاطري من ذلك ، لأنني كنت في

وإني تهنؤ بى إليك مودة يعثرها ما قد تعرض من ذنبى  
إذا اتقدت فى رأى مشيت مع الهوى وإن ألقته نكبت على حقى

حداثة سقى قد صرفت هتايى الى أخبار ابن عمار هذا مع المعتد لما تصمته من الآداب . وقد فقت خزائنه  
حفظى فلم ألت فيها إلا نذة يسيرة وأنا موردها إن شاء الله عز وجل :

فابن عمار هذا هو محمد بن عمار يكنى أبا بكر أصله من « شلب » من قرية من أعمالها يقال لها : « شنبوس »  
مولده ومولد آبائه بها ، كان حامل البيت ليس له ولا لأسلافه فى الرياسة فى قديم الدهر ولا حديثه . ولا زكا  
منهم بها أحد . ورد مدينة شلب طفلا فنشأ بها وتلم علم الأدب على جماعة منهم أبو الحجاج يوسف بن عيسى  
الأهمل ، ثم رحل الى قرطبة وتأدب بها ومهر فى صناعة الشعر فكان قصاره التكب به فلم يزل يحول  
الأندلس مسترفدا لا يحصى بمدحه الملوك دون غيرهم بل لا يبالى من أحد ولا من استعطف من ملك أو سوقه ،  
وله فى ذلك خبر ظريف ، وذلك أنه ورد فى بعض سفراته شلب لا يملك إلا دابة لا يجد عليها مكتب شعر  
الى رحل من وجوه أهل السوق وكان قدره عند ذلك الرجل أن ملاه له المحلاة شعيرا ووجه بها إليه ، فراكها  
ابن عمار من أجل الصلات وأسى الحوائر — ثم اتفق أن علت حال ابن عمار وساعده الحد ونهس به البحث  
وانتهى أمره أن ولاد المعتد على الله مدينة شلب وأعمالها أول ما ألقى الأمر إليه فدخلها ابن عمار فى  
موكب صحم وحلة عبيد وحشم وأطهر محوة لم يطورها المعتد على الله حين وليها أيام أبيه المعتضد بالله ،  
فكان أول شىء سأل عنه الرجل صاحبه صاحب الشعر ، فقال : ما صنع فلان أهو حى ؟ قالوا : نعم  
فأرسل إليه بمحلاته بعينها بعد أن ملاها دراهم وقال لرسوله : « قل له لو ملاها برا ملاها نرا » ولم يزل  
ابن عمار على الحال التى ذكرناها من التقلب فى بلاد الأندلس للاستجداء والاستعطاف إلى أن ورد على  
المعتضد بالله أنى عمرو فامتدحه بقصيدته المشهورة التى أولها :

« أدر الراحة فالنسيم قد انبرى والحم قد صرف العنان عن السرى  
والصبح قد أهدى لنا كادوره لما استرد الليل منا العبرى

وفىها يقول بمدح المعتضد :

« صاد المحصر نائل كفه والحو قد لس الرءاء الأعبر  
قداح زبد المجد ، لا ينك من نار الوغى إلا إلى نار القرى  
يختار أنت يهب الحريدة كاعما والطرف أجرد ، والحسام مجورها »

وفى هذه القصيدة يقول فى وصف وقعة أرقصا المعتضد بالبربر :

« شقيت سيمك أمة لم تعتقد إلا لليهود ، وإن تسموا بربرا  
أثرت رملك من رؤوس كجاثم لما رأيت العصم يشق مشرا  
وخضبت سيفك من دماء نخورم لما عهدت الحسن يلبس أجرا . »

ومن أبيات هذه القصيدة بيت لم أسمع لمتقدم ولا متأخر بمثله وهو قوله :

« السيف أفضح من « زياد » حطبة — فى الحرب إن كانت سيمك منبرا . »

ولما أنشد المعتضد هذه القصيدة استعسها وأمر له بحال وثياب مرمك ، وأمر أن يكتب فى ديوان الشعراء  
فكان كذلك ، ثم تعلق بالمعتد على الله — وهولذ ذاك شاب — فلم تر له حاله معه تزييد وموات يخدمته له تهوى

وما أغرب الأيام فيما قضت به تربيى بعدى عنك أس من قرنى  
أما بك للحق الذى لك فى دى وأرجوك للعب الذى لك فى قلبى

وتأكد إلى أن صار ابن عمار ألعق بالمتعمد من شهرات نصه (١) ، وأدنى إليه من حل وريده . كان المتعمد لا يستغنى عنه ساعة من ليل ولا نهار ، ثم اتفق أن ولي المتعمد على الله شاب من قبل أبيه فاستوزر بن عمار هذا فى تلك الولاية وسلم إليه جميع أموره فلب عليه ابن عمار غلبة شديدة ، وساءت السمعة عنهما ، فاتفقوا نظر المتعضد التفريق بينهما ونفى ابن عمار عن بلاده حسب ما تقدمت الإيحاء إليه ، فلم يزل ابن عمار معترباً فى أقاصى بلاد الأندلس إلى أن توفى للمتعضد بالله ، فاستداه المتعمد وقربه أشد تقرب حتى كان يشاركه فيما لا يشارك الرجل فيه أحاه ولا أباه . وله معه أيام كونهما شليخ عجب ، وذلك أن المتعمد استداه ليلة إلى مجلس أسه على ما كانت العادة جارية به إلا أنه فى تلك الليلة زاد فى التحق به والبر له على المتاد ، فلما جاء وقت النوم أقسم المتعمد عليه : « لتصن رأسك معى على وساد واحد » فكان ذلك . قال ابن عمار : فنهضت فى هاتف فى اليوم يقول : « لانتقأ أيها المسكين إنه سيقنك ولو بعد حين » قال : « فانتبهت من نومي فزها وتعودت ثم عدت » فنهضت فى الهاتف على حالته الأولى فانتبهت ، ثم عدت فسمعتة ثالثة فانتبهت فتجردت من أثوابي ، والفتفت فى مضى الحضر وقصدت دهليز القصر مستغفياً به ، وقد أرمعت على أنى إذا أصبحت مستحمياً حتى أتى البحر فأركبه وأقصد بلاد الدررة فأكون فى بعض حلال البربر حتى أموت ، فانتبه المتعمد فادفدنى فلم يحدنى فأمر بطلي فطلت له فى نواحي القصر وخرج هو بنفسه يتوكأ على سيفه والشعة تحمل بين يديه ، وكان هو الذى وقع على مكانت مى حركة فأحس بى وقال : « ما هذا يتحرك فى هذا الحضير ؟ » ثم أمر به ففصص ، فخرحت عرياناً ليس على الا سراويل . فلما رآنى فاست صياه دموعاً وقال : « يا أما بكر ما الذى حلاك على هذا ؟ » فلم أربدا من أن صدقته ، فقصصت عليه قصتى من أولها إلى آخرها ، فصحك وقال : « يا أما بكر ، أصوات أحلام هذه آثار الحجار » ثم قال لى : « وكيف أتيتك ، أرايت أحداً يقتل نفسه ؟ ما أنت إلا كفى » فتشكر لاهن عمار ودعاه لى طول البقاء ، وتناهى الأمر فنييه ، وسرت على ذلك الأيام والليالى إلى أن كان من أمره ما سياتى الإيحاء إليه ، فصدقت رؤيا بن عمار وقتل المتعمد نفسه كما قال .

ولما ألقى الأمر إلى المتعمد سأل ابن عمار ولاية شل وهى كانت بلده ومنشأه كما تقدم ، فأجابه المتعمد إلى ذلك وولاه إيها أنه ولاية جبل إليه جميع أمورها حارحها ودخلها ، فاستدرت ولاية ابن عمار عليها إلى أن اشتد شوق المتعمد إليه وضعف عن احتمال العبر عنه ، فاستداه وعمره عنها واستوزره ، فكانت حاله معه شبيهة بحال جعفر بن يحيى مع الرشيد ولم يزل المتعمد يعده لكل أمر جليل ويؤمله لكل رتبة عالية ، وكان ابن عمار مع هذا لا يئط به أمر إلا اضطلع به ، وكان فيه كالسكة المحادة ، واشتهر أمره ببلاد الأندلس حتى كان ملك الأندلس إذا ذكر عنده ابن عمار . قال هو رجل الجبرية ، وكان ابن عمار هو الذى رده عن قصد اشيلية وقرطبة وأعمالها ، وذلك أنه خرج فى جيوش ضخمة يقصد بلاد المتعمد طامعاً فيها ، فغابه الناس ، وامتلاّت صدور أهل تلك الجهات رهياً منه ، وتيقنوا ضعفهم عن دفاعه . فتولى ابن عمار رده بالطف حيلة وأيسر تدبير ، وذلك أنه قام سفرة شطرنج فى غاية الاتقان والابتداع لم يكن عند ملك مثله ، جبل صورها من الأبنوس والعود الرطب والصندل ، وحلها بالذهب ، وحمل أرضها غاية فى الاتقان فخرج من عند المتعمد رسولاً إلى لادونتش فلقبه فى أول بلاده المسكين فأعظم الإدفنش قدره وبالع (١) القمن : بفتح أوله وتشد يداثيه أراد به رأس الصدر وهى العظام التى تتلاقى فى وسط الصدر حيث ينبت الشعر .

ولى حسنات لوأمت ببعضها إلى الدهر لم يرتع لثابتة سري

في إكرامه وأمر وجوه دولته بالتردد إلى خبائه والمسارة في حوائجه فأظهر ابن عمار تلك السفارة فراها بعض خواص الأذنش فنقل خبرها إليه وكان الملح ( الأذنش ) مولما بالشرنج فلما لقي ابن عمار سأله « كيف أنت في الشرنج ؟ » وكان ابن عمار به طفة عالية فأجبه بمكانه منه ، فقال له بلى أن عندك سفرة في غاية الاتقان ، قال ابن عمار نعم ، فقال كيف السبيل إلى رؤيتها ؟ فقال ابن عمار لترجمانه قل له أما اتيك بها على أن ألعب معك عليها ، فإن غلبتني فهي لك ، وإن غلبتك فلي حكمي ، فقال له الأذنش هلمها لتنظر إليها ، فأمر ابن عمار من جاء بها ، فلما وضعت بين يدي الملح صلب وقال ما طننت أن اتقان الشرنج يبلغ إلى هذا الحد ، ثم قال لابن عمار كيف قلت فأعاد عليه الكلام الأول ، فقال له الأذنش لا ألعب معك على حكم مجهول لا أدري ما هو ، ولعله شيء لا يمكنني ، فقال ابن عمار لا ألعب إلا على هذا الوجه وأمر بالسفرة فطويت وكشف ابن عمار سر ما أراده لرجل وثق بهم من وجوه دولة الأذنش وجعل لهم أموالا عظيمة على أن يوازروه على أمره ففعلوه فتعلقت بمس الملح بالسفرة وشاور حاضته فيها رسمه ابن عمار صونوا عليه ، فقالوا له : « إن غلبته كان عندك سفرة ليس عند ملك مثلها وإن غلبك فما عساه أن يحتكم وتقبوا عسده إظهار الملك المعجز من شيء يطلب منه ، وقالوا إن طلب ابن عمار ما لم يمكن محض لك برده من ذلك ، ولم يزالوا به حتى أحب ، وأرسل إلى ابن عمار ، فجاء ومعه السفرة ، فقال له : « قد قبلت ما رسمته . » فقال له ابن عمار : « فاحمل بيني وبينك شهوداً يساهم له ، فأمر الأذنش بهم فحضروا وافتتحا لمعبان ، وكان ابن عمار كما ذكرنا طقة في الأندلس لا يقوم له أحد فيها ، فلب الأذنش علة ظاهرة لجميع الحاضرين لم يكن للملح فيها مطع . فلما حققت العلة . قال له ابن عمار : « هل صح أن لي حكمي ؟ » قال « نعم » قال : « أن ترجع من هاهنا إلى بلادك » فاستودّ وجه الملح وقام وقعد وقال لخواصه « قد كنت أحاف من هذا حتى هوّ تنوّه على في أمثال لهذا القول » وهم مالكت والتماذى لوجهه . ففعلوا ذلك عليه وقالوا له : « كيف يحمل بك العذر وأنت ملك ملوك النصارى في وقتك » فلم يزالوا به حتى سكن وقال : « لا أرحم حتى آخذ أثاوة طامبين خلاف هذه العلة » فقال ابن عمار « هذا كله لك » وجاءه بما أراد فرجع ، وكفّ الله بأسه ، ودفعه بحوله وحسن دفاعه عن المسلمين ، ورجع ابن عمار إلى إشبيلية ، وقد امتثلت نفس المعتد سروراً به ، ثم إن المصد حدث له أمل في التملك على مرسية وأعمالها ، وهي التي تعرف بتدمير ، وكانت بيد أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر كان هو التملك عليها والمدير لأمرها ، فجهر المعتد جيوشا عظيمة ، وتكامل له ابن عمار بأحدها وإحراج ابن طاهر عنها فلحق ابن طاهر حين خرج من مرسية بذي عبد العزيز بلنسية ، فكان بها إلى أن مات رحمه الله ، ولما تلب ابن عمار على مرسية دار ملك بني طاهر كما ذكرنا حدثته نفسه ، وسوّله له سوء رأيه أن يستبدّ بأمره ، وأن يضبط تلك البلاد لنفسه ، فلم يزل يصرف الحيلة في ذلك إلى أن تمّ له بعضه ، ودانته له مرسية وأعمالها ، وطمع في ملك بلنسية إلى أن قام عليه رجل من أهل مرسية ، يقال له ابن رشيق كان أبوه من من عرفاء الجند بهاء ، وكان ابن عمار قد خرج لبعض أمره فدخل ابن رشيق هذا إلى نفسه ، وقالت معه العامة ومن الجند ، فجاء يركض حتى المدينة ، وقد غلبت أبوابها ودونه لحاصروها بمن معه أياها ، فامتنت



وكم قد فرت يئالا بي من صرية فلا غرو يوما أن تغفل من غربي

عليه ولم يقدر على دخولها ، فبقى حائرا لا يدري ما يصنع ولا أين يتوجه ، وقد كان بلغ المعتد قيامه عليه وخلع يده من طاعته ، فلم ير إلا الهروب ملجأ فهرب حتى لحق ببنى هود بقرطة فأقام عندهم حتى تغفل عليهم وخافوا فآثله ، وبنضه في عيونهم ما نفل مع صاحبه وولى نعمته ، فأخرجوه عن بلادهم ولم تزل البلاد تتقاذفه وملوكها تشناه ، إلى أن وقع في حصن من حصون الأندلس في حاية الممة يدعى شقورة ، كان المتغلب عليه رجلا يقال له ابن مبارك فأكرم وعادته ، وأحسن نزله ، ثم بداله بعد أيام بقبص عليه وقيده وحمله في سجنه . فلما رأى ابن عمار ذلك منه قال له لا عليك أن تكتب إلى ملوك الأندلس بكوني عندك ، وتعرضني عليهم فما منهم إلا من يرغب فيّ ، فمن كان أشدهم رغبة حمل لك مالا ووجهت بي إليه ، ففعل ابن مبارك ذلك فما هرصه على أحد من ملوك الأندلس إلا رغب فيه ، وكتب فيمن كتب إلى المعتد ، وفي ذلك يقول ابن عمار :

« أصبحت في السوق ينادي على رأسي بأنواع من المال

والله ما جار على ماله من ضمي بالثمن العالي . »

وفي هذا السجن يقول ابن عمار وقد استدعي نورة يستنطف بها فتعذرت عليه فاستدعي موسى فأتي بها ، فقال في ذلك :

« بوسى شقورة عندي أدبت على كل بوسى

فقدت هارون فيها فطلت أطلب موسى . »

وبعث المعتد على الله من رحاله من تسلم ابن عمار من يد ابن مبارك بعد أن بعث إليه بمال وخيل ، وأمر المعتد الذين تسلموا ابن عمار أن يزيدوا في الاحتياط عليه وتقيده ، فغرحوا به حتى وادوا قرطبة ، ووافق ذلك كون المعتد بها ، فدخلها ابن عمار أشنع دخول وأسوأ على بفل بين عدلى تن وقبوده ظاهرة للناس ، وقد كان المعتد أمر بإخراج الناس خاصتهم وعامتهم حتى يطرخوا إليه على تلك الحال ، وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اهتزت له وخرج إليه وجوه أهلها وأعيانهم ورؤساؤهم ، فالتسعيد منهم من يصل إلى تقبيل يده أو يرد عليه ابن عمار السلام وغيرهم ، لا يصل إلى تقبيل ركبته أو طرف ثوبه ، ومنهم من ينظر إليه على بعد لا يستطيع الوصول إليه ، فسبحان تحيل الأحوال ، ومديل الدول ، فدخل ابن عمار قرطبة كما ذكرنا بعد العزة القساء ، والملك الشامخ ، والرياسة الفارعة ، دليلا ، حائما فقيرا ، لإيملك إلا ثوبه الذي عليه ، فسبحان من سلبه ما وهبه ، ومعه ما كان به أمتعه ، وأخبر بعض الموككين به ما اتفق لهم معه من فرط ذكائه وسرعة نظنته قال : « لما قربنا من قرطبة بحيث يرانا الناس ، خرج فارس من البلد يركض يقصدنا ، فلما رآه ابن عمار وكان معتما أزال العمامة عن رأسه ، فجاء الفارس حتى وصل إلينا ، فنظر إلى ابن عمار ودخل معنا في الصف فثنى ، فسألناه فيم جاء فقال « الذى حثت فيه صعه هذا الرجل قبل أن أصل إليه » فقلنا أنه أرسل ليزيل عمامته ، فأدخل على المعتد على الله على الحالة التي ذكرت يرسف في قبوده ، لجلجل المعتد يسدد عليه أياديه ونعمه ، وابن عمار في ذلك كله مطلق الرأس لا ينبس إلى أن انقضى كلام المعتد ، فكان من جواب ابن عمار أن قال : « ما أنكر شيئا مما يذكره مولانا - أبقاه الله - ولو أنكرته لشهدت علىّ به الجنادات فضلا ممن ينطق ، ولكن عثرت فأقول ، وزلت فاصفح » فقال المعتد : « هيئات إنما عثرة لا تعال » وأمر به فأحدر في النهر إلى إهيلية فدخل به إهيلية على الحال التي دخل عليها قرطبة وجعل ، في غرته على باب قصر المعتد المعروف بالقصر المبارك وهو باقى إلى وقتنا

ولا بد ما بيني وبينك من ثنا يطبقها ما بين شرق إلى غرب

هذا مظال سجنه هناك . كُتبت عنه في هذا السجن قصائد لو توسل بها إلى الدهر لنزع عن جوره ، أو إلى الفلك لكفّ عن دوره ، مكات رقي لم تنجح ، ودعوات لم تسمع ، وتبائم لم تنفع ، فنها قوله :

«سجايك إن عانيت - أندي وأسحج ، وهذرك إن عاقبت - أحلى وأوصح  
وإن كان - بين الخطتين - صرية ، فأنت - إلى الأذن من الله - تفتح  
حنائك إلى أخذى برأيك ، لا تطلع عدای ولو أنتو عليك وأفصعوا  
فان رحائی أن عنسدك غير ما يخوض عدوی اليوم فيه ويبح  
ولم لا وقد أسلفت ودا وحدة يكران في ليل الخطايا يصبح  
وهي قد أعقت أعمال مفسد أما تفسد الأعمال ثمت تصلح  
أفلى بما بيني وبينك من رضى له - نحو روح الله - باب مفتح  
وعب على آثار جرم سلكتها بهة رحي ملك تمحو وتمصع  
ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم فكل لئاء بالذي فيه يرشح  
سيأتيك في أمري حديث وقد أتى يرور بي عبد العزيز موشح  
وما ذاك إلا ما علنت فأبى إذا ثبت لا أفك آسو وأحرح  
كأني مهم - لا درّ الله درهم - أشاروا تحاي بالثبات وصرحوا  
وقالوا : « سيجزيه فلان بعله » فقلت : « وقد يعفولان ويصعح »  
ألا إن نطشاً للمؤيد يرتعى ولكن حلما للمؤيد يرحح  
وماذا عسى الواشون أن يتزودوا سوى أن ذبي واضح متمصع  
نعم لي دنب غير أن لعله صماء يزل الدنب عنها فيسفع  
عليه سلام كيف دار به الهوى إلى ميدنوا أو على فينح  
ويهنه إن مت السلو فأبى أموت ولي شوق إليه مبرح  
وبين صلوعي من هواه تمية ستفح لو أن الحمام يخلج . »

ولما بلغت المعتد هذه القصيدة وأشدت بين يديه كان محصرته رحل من البمداديين ، فجعل يزري على البيت وبين صلوعي ويقول ما أراد هذا المعنى ، فكان من جواب المعتد رحمه الله أن قال : أما أنت سلبه الله المروءة والوفاء ، لما أعدمه الفطنة والدكاء إنما نظر إلى بيت الهذلي من طرف حق وهو -  
« وإذا النية أنشبت أطفارها الفيت كل تمية لا تنفع . »

ولم يزل ابن عمار هذا بسجن المعتد إلى أن قتله صبرا في شهر سنة ٤٧٩ ، وتخلص خبر قتله أنه لما طال سجنه كتب إليه بالقصيدة التي تقدم لإنشادها ، فأدركت المعتد بعض الرقة ، فوجه إليه ليلا وهو في بعض مجالس أنه فأتى به يرسف في قيوده ، فجعل المعتد يعسد منته عليه ، ويأديه قبله ، فلم يكن لابن عمار جواب ولا عذر غير أنه أخذ في البكاء ، وجعل يترق للمعتد ، ويمسح عقيقه ، ويستجاب من الألفاظ كل ما يقدر أنه يزرع له الرأفة في قلب المعتد فتم له بهن ما أراد من ذلك ، وعظفت المعتد سابقته وقدم حرمته ، عجبته ، مكنب ابن عمار من فوره بما دار له المعتد إلى أبه الراضى بالله ، فوافاه الكتاب - وبخضرتة قوم كانت بينهم وبين ابن عمار أحن قديم - فلما قرأ الراضى الكتاب قال لهم : « ما أرى ابن عمار الاستيغسل » فقالوا له « ومن أين علم مولانا ذلك » فقال : « هذا كتاب ابن عمار يخبرني فيه أن مولانا المعتد قد

ولاشك أن العفو منك سجيبة فلم يبق إلا أن تخفف من عتي . »

( الجوابه المتمد على الله )

« تقدم إلى ما عادت عندى من الرحب ورد تلقك العتي حجابا من العتب  
مى تلقى تلقى الذى قد بلوته صفوحا من الحافى رء وفا على الصحب  
سأوليك مى ما عهدت من الرضى وأعرض عما كان إن كان من ذنب  
لها أشمر الرحمن قلى قسوة ولا صار لسيان الأذمة من شعبي  
تكلفته أسمى به لك سـ لوة فليس يعانى الفعر مفترك اللب . »

( وللمتمد على الله إلى ذى الوزارين أبى بكر )

« تد زارنا الترجس الديكى وقد عطشنا وم رى  
ونحن فى مجلس ندى وإن من يومنا العتى  
ولى حبيب غدا سـ ي يا ليتة ساعد السـ . »

( وللمتمد إلى الوزير أبى عمر بن عطش )

« عدت أبأمر من نى مى يجنبر غيبه محمد  
وداد صحبح ، وخلق ملىح وطق صبح ، لدى المشهد  
أتى البديهة تدى بدىها وأبدع ماى الرياض الندى  
أزاهر : لم تنتشق بالأنو ف لظما ، ولا حنيت باليد  
خجلت لشكواك فى طيها فما كدت أسمع للشد  
وقد غبرت لك تلك الرؤى ليشع طاو ويروى صدى  
فهون عليك من اللاتات إذا كان نصى بالمرصد  
وكن محبرى أسمى سائل سؤال مدلى على مسعد  
لجاءك صمراء عند المنا م نرى من الأقنق الأبد  
لغيتك بالمس الرجى ولافتك بالمليس الاسجدى  
وعلتك بالريق لو أنه أبيع لنى الزهد لم يزهد . »

وعده بالخلاص « فأظهر القوم الفرح وم يطنون عيره ، ولما قاموا من مجلس الراضى همروا حديث  
ابن عمار أقبح نشر ، وزادوا به زيادات قبيحة صنت هذا الكتاب عن ذكرها فبلغ المتمد ذلك فأرسل  
إلى ابن عمار ، وقال له : « هل أخبرت أحدا بما كان بينى وبينك البارحة » فأكثر ابن عمار كل  
الأنكار ، فقال المتمد للرسول « تل له الورقتان اللتان استدهيتهما كبت فى لإحداهما القصيدة ، فما فعلت  
بالأخرى ؟ » فادعى أنه يمس فيها القصيدة فقال المتمد « لم للسودة » فلم يجز جوابا ، فخرج المتمد حقا  
وبيده الطبرزين حتى صعد الدقة اتى بها ابن عمار ، ولما رآه علم أنه فاته ، لجمل ابن عمار يرحم وقوده  
تقله حتى أنكب على قدمى المتمد قبلهما والمتمد لا يقبى شىء فعلاه بالطبرزين الذى فى يده ولم يزل يضربه  
به حتى برد ، ورجع المتمد فأمر بنسله وتكفينه وصلى عليه ودفنه بالقصر المبارك ، فهذا ما انتهى إلينا من  
خير ابن عمار ملخصا حسب ما بقى على حاطرى : « الملعب فى تلخيص أخبار المغرب »

( وله رحمه الله )

« كتابي وعندي من فرائدك ما عندي وفي خلدي ما فيه من لوعة الوجد  
وما خطت الأعلام إلا وأدمي تحط كتاب الشوق في صمعة الخد  
ولولا طلاب المجد زرتك طيبه عيدا كما زار الديق ورق الورد  
قبلت ما تحت الثام من اللبا وعانت ما فوق الوشاح إلى العقد  
أغائبه عى وحاضرة عى لئن غبت عن هيني فأبك في كبدي  
أقبي على المهد الذي كان بيننا فأني على ما تملين من المهد . »

( وللويزير الكاتب أبي الوليد بن المعلم )

« أيدك الله إنه يوم تحجب فيه الصلاة والصوم  
وتحفر الزاح غير واية لا عار في حفرها ولا لوم  
فانشط إليه فانه أمل ييلخه في نديك القوم  
لازلت مستيقظ السعدولدا وعك في أعين الردي نوم . »

( فأجابه أيده الله )

« حمت بخفاضة الجراح وقد أمكن ورد فلا يطل حوم  
وصمت في الطيب والسورورقي لم يزر يوما بطيبه سوم  
وهاهو المجلس المدد لكم فادخل إليه وليدخل القوم  
إلى كؤوس لو شاء شاربها يعوم فيها لأمكن العوم . »

( فجاوبه رحمه الله )

« ليك ليك من مناد له الديق الرحب والندى  
هاأما بالباب عيد في قلبته وجهك السي  
شرفه والداه باسم شرفته أت والني . »

( وقال )

« سلى تلمى إن كشت غير عليمة بأن ليس في حي لميرك مطبه  
وأن لي القلب الذي ليس حاليا من الوجد والجفن الذي ليس بهجم  
بذكرنيك العمن يهتز عد ما يهب نسيم ، والمرالة تطله  
فوالله لا أملك أدكر موصي لديك ولا أنفك تحوكم أنزع . »

( وقال )

« ألكم إلى الصب الشجي . ماد متفك عه للأنسى أصفاد  
رحل اصطباري إذ رحتم قائلا أوب الأحببة بيننا اليماد  
يامن نككت دنوهم ووصالمهم "نبدا دلي" من الشحوب حداد  
كم بت منكم بين غصني فانة كالسيف تضنط منه الأعماد . »

( وقال في معشوقة اسمها « اعتماد » تؤخذ حروف اسمها من أوائل هذه الأبيات .

« أغاثية الشخص من ناظري وحاضرة في صميم القواد  
عليك السلام بقدر الشجون ودمع الشجون وقدر السهاد  
تملكت مني صعب المرام وصادفت ودي سهل القياد  
مرادى لقياك في كل حين ميا ليت أنى أعطى مرادى  
أقبى على العهد ما بيننا ولا تستحيل لطول السعاد  
دست اسمك الحلوى في طي شعري وألفت فيه حروف اعتماد . »

( وقال )

« قلبي موال لمعاديه وعاشق من لا يباليه  
خلي الظلوم كلما زدت مودة زاد تحننيه  
يا غمر الله له دنبه في ظلم صب هائم فيه  
يا حسن الوجه بحق الهوى لا ترض قبح الهجر والنيه . »

( وقال )

إني رأيتك في المنام صحبتي وكأن ساعدك الوثير وسادى  
وكانما عانقتني وشكوت ما أشكوه من وحدي وطول مهادى  
وكانني قبلت ثورك والظلي والوجنين وملت ملك مرادى  
وهواك لولا أن طيعك زائر في الملبى ما دقت طعم رقاد . »

( وقال يستدعي الوزير المصري الحكيم )

« أيها صاحب الدي فارقت عيني ونفسي منه السنا والساء  
نحن في المجلس الذي يهب الراحة والمسمع العلى والعناء  
تعاطى التي تنسبك في اللذذ والرقصة الهوى والهواء  
فأنه تلف راححة ومجا قد أعد لك الحيا والحياة . »

( وله )

« لما نأت نأى الكرى عن ناظري وصرفته لما انصرفت عليه  
طلب البشير بشارة يجرى بها وهبت قلبي واعتذرت إليه . »

( وله )

« الجود أحلى على قلبي من الطفر ومن منال قمى السؤل والوطر  
وفن غناء أربوى في الصبوح لما يا طلعة الشمس في الأصال والبكر  
وقد حننت إلى ما اعتدت من كرم حين مأرض إلى مستأخر المطر  
وقد تناهت يدي عن كأسها غضبا ومجت الأذن أيضاً نفحة الوتر  
حتى أمك ههنا ما تجوده به . وأوسع الممد بالأخرى على الأثر  
فهيأتها خلما أرضى السباح بها عذرفة في أكف الغرب بالبدر . »

(وله)

« من للولك بتأو الأصيد الطل هيات جاء تمكم مهدية الدول  
خطبت قرطبة الحسناء إذ منعت من ماء يخطبها بالبيس والأسل  
وكم غدت حاطلا حتى عرصت لها فأصبحت في سرى الخلق والحلل  
عرس الملوك لناى قصرها عرس كل الملوك به فى ماتم الوحل  
فراقبوا عن قريب لا أبا لكم هجوم ليت بدرع الناس مشتل . »

(وله إلى المعتصم بالله)

« مولاي إذا الأيادى كوا كفات الفوادى  
أما عبيد مدد لحم داه الأعادى  
واعتادت النفس مى تصيد الأسد  
لانى عليها مقبم رائخ أو لعاد  
أكر بالصر فيها والطمع عند الحلال  
حتى أبحت حماها برهفات حداد  
إن لم تكن أسد عبل تكن حادر واد  
بحق لحم وطى وكندة ومراد  
ملكك من أرض حمص إلى قرى سنداد . »

(وله رحمه الله)

« تظن بنا أم الربيع سامة ألا عمر الرحمن ذبا تواقعه  
أأسام طيا فى دلوعى كداسه ويدر تمام فى دواى مطالعه  
وروضة حسن أحتى من ثمارها ونارد طلم لم تكدر شرائعه  
إذا سئمت كفى نوالا تعيصه على معنيتها أو عدوا تقارعه . »

(وله)

« أمطلع رهر نحوم البكلام ومشرقه من خلان الحلك  
أنانا قريصك والهم حتى لدينا وأمسى به قد هلك  
دهاك موارد ود صفت يعلك فيها الذى أنهلك . »

(وله)

« درا بعثت مفعلا بحمان أو روضة مسكية الريحان  
لال عروسا قد زعت تولدت ما بين صكرنا قد وبنان  
سمعا لأمرك إذ دعوت إلى التى تدع القلوب قليلة الأحران  
أما الكؤوس فقد جرت ما بيننا يبدى غزال ساحر الأجفان  
حدث ينشعنى للدمام بطرته ويحكفه ومتى أشا غنائى  
فلا لعرك لم أكن لأضيئه لاحتسبنا من بنى سهوان . »

( وله )

« إن كان نصريداً غير تمدد فلا جعلن مكانه وردا  
من قهوة ضمنت أكوسها نارا تكون على الحشا بردا . »

( وله )

« اشرب الكأس في وداد ودادك وتأنس بدكرها في اشراك  
قر غاب عن حقوك مرآ . وسكناء في سواد فؤادك . »

( وله )

« حسدت كتابي على فوزه بإبصاره الفرقة الزاهرة  
يأليت شحى يكون الكتاب فتلحظه المقلة الساحرة . »

( وله في اعتماد أيضاً )

« بكرت تلوم وفي الفؤاد بلابل سفها وهل يثنى الخليم الجاهل  
يا هذه كفى طائفي عاشق من لا يرد هواي ضبا غاذل  
حب « اعتماد » في الجوانح ساكن لا القلب ضاق به ولا هو راحل  
يا ظليسة سلت فؤاد محمد أو لم يروك الهربير الناسل  
من شك أني هائم بك مفرم مملى هواك له على دلائل  
لون كسته صبرة ومدامع هطلت سحائبها وحجم نازل . »

( وله في اعتماد أيضاً )

« أدار النوى كم دار بك تلددى وكم عقى عن دار أهيف أعيد  
حلفت به لو قد تعرض دونه كجاة الأحادي في النسيج المررد  
لجردت لصر للهند فاقضى مرادى وعزما مثل حد الهند  
فما حل خل من فؤاد حليله محل « اعتماد » من فؤاد محمد  
ولكنها الأقدار تردى بلا طبا وتسمى بلا قتل وترى بلا يد . »

( وله )

« مشمك أنفح في معطى ووجهك أملح في ناظري  
ظفرت بقربك عهد امتاع فني ذاك سميت بالظافر . »

( وله )

« يأبها الشمس اتى قلمي لها أحد البروج  
لولاك لم أك مؤثرا درش الحرير على السروج . »

( وله )

« أباح لطيفي طيفها في الكرى الحدا فض به تفاحة واحتى وردا  
والتمنى ثمرأ شععت نسبته تخيل لي أني شملت به  
ولو قدرت زادت على حال يقظه ولكن حجاب العين ما بيننا مدا . »

أما وجدت عنا الشئون مرجاً ولا وجدت منا خطوب النوى بدا  
سقى الله رطب القطر أم عبيدة كما قد سقت قلبي على حره بردا  
هي الطي جبيداً ، والعرالة سدة وروض الربا فوحاء وغصن القاقدا .

( وله )

« من عاشق يشكو صلاته إلى محب هائم مثله  
كلاهما ص إلى الله حرا طمان إلى وصله  
يا رب عجل جمع هدا بدا وقرب الشكل إلى شكله . »

( وله )

« قلبي لبدك هي غليل فتشوق صريح وجسدي غليل  
وودي على حس ما تمليين تزول الجبال وما إن يزول  
ولا تستحيلي لعمد الديار فاني مع العبد لا أستحيل . »

( وله )

« القلب قد لح ما يقصر والوجد قد جل ما يستر  
والدمع جار قطره وائل والجسم بال شمه أفسد  
هدا ومن أعشقه أصل وكيف به  
لكن هدتي نائبات الوي ودوحه -  
والكوكب الوفاة تحت الدسي في أفقه و  
والرحس الفواح عب الدى في روضه  
قد حبرت عي أنى امرؤ في شعور  
وأبدت الإشفاق من حالتي ومثل ما ت  
واستفهمت أن كنت داعلة أو دا اشتياز  
سبقتي لم تصي عاشقا أضحي كما أ  
إد قلت : هل من ألم طائب ما بك أو شوق فما تصبر  
طلبت بالشك هواي الذى يعرفه اليب والمصر  
والله ما سقمى إلا هواي كل هواي في حبه يعصر  
غير جسدى فاعلى أبى أروم لقياك ولا أقدر  
فاستغفرى الله من الظلم لى فإن من يظلم يستغفر . »

( وقال )

« يا طيبة لطفت منى نازلها فالقلب منهن والأحداق والكبد (١)  
حي لك اللاس طراً يشهدون به وأنت شاهدة إن بينهم حسد  
لم يعرب الوصل فيما دننا أبداً لو كنت واحدة مثل الذى أجده . »



( وقال )

« هل راكب ذاهب عنهم يحيني  
قد مت إلا ذمها في يسكه  
ما سرح الدمع من عيني وأطلقه  
صبراً لعل الذي بالبعد أمرضني  
كيف اصطباري وفي كاتون فارقتي  
شخص يدكرني فاه وفرته  
لئن عطشت إلى ذاك الرضاب لكم  
قد نأت منه يستعيني فيرويني  
وإن أفاض دموعي نوح باكية  
وإن بددت وأضنتني الهدوم لقد  
أوحل عقد عزائي بأيه دلکم  
يا حسن إشراق ساعات الذنوبدت  
والله ما فارقتني باختيارهم  
وما تبدلت حبا غير جهنم  
أمدى الحبيب الذي لو كان مقتدراً  
يارب قرب — على خير — ثلاثيا  
بالطالع السمء والطير اليامين . »

( وقال )

« ولما التقينا للوداع غدية  
وقرنت الجرد العناق وصفقت  
طبول ولاحت انفراق علامات  
لحري الدموع الجرد فيها جراحات  
فكيف وقد كانت عليها زيادات  
وكننا نرعى الأرب سد ثلاثة »

( وقال )

« أهلا بكم محبتكم - نغوى - الديم  
حثو الملقى ولو ليلا بمجهلة  
لائم القوم إن خطوا يمجد فلم  
لاخرق - إن رفقوا كتباً - ولا حصر  
افدم أبا الأصعب المحبوب تلقى  
هذا فؤادى قد طار السرور به  
سأكم الليل ما أشكوه من بعد  
وكان أن يقسنى لي بكم حلم  
فلن تضلوا ومن بشرى لكم حلم  
وأن يقولوا يصب فصل الخطاب فلم  
إذ ينتدون ولا جور إذا حكموا  
هش المودة لا يزرى به سأم  
إذ كنت تغلك الوخادة الرسم  
واسأل الصبح عكم حين يتسم . »

- (١) وردت هذه القصيدة في « ش ٦١ » وقد كتبت خطأ لابن زيدون .  
(٢) وردت هذه القصيدة في « ص ١٠٩ » وقد كتبت خطأ لابن زيدون .

( وقال )

« الشمس تجبل من جمالك فتعب مسرعةً لذلك  
والعبث يحى أن يصوب لما يراه من نواك  
والبدر يذلع ناقصاً حتى يتم من كمالك . »

( وقال )

« وشادن أسأله قهوة لجاد بالقهوة والورد (١)  
مبت أسقى الراح من ريقه وأجنى الورد من الحد . »

( وله )

« يا هلالاً إذا بدلى تجلج عن فؤادي دجة الكربات  
وغرالا لفلتني به بقلي فتكات كأنها فتكاتي  
تهت إذ حزت بالوصال والهمح حباتي تملكا وعماتي  
مفرق بموقب أنت منه في سواد القلوب والمخفات  
أنا أخشى عليك ياساكي القلب الملي بالصد من فرات »

( وله )

« أنا في عذاب من فرائك سكران من حمر اشتياك  
صب الفؤاد إلى أفا لك وارثاك واعتناقك  
لا تحسبي أني سلوت لما توالى من فرائك  
هدى حفوتى أقست لا تلتقي ما لم تلاقك  
فصلى جميل الطن بى وثقى قلبي ووثامك . »

( وقال )

« وشمة تنق ظلام الدمي ففي للعديم من الناس  
قد جعل الرحمن من لطفه حياتها في القطع للرأس  
ساعدتها والكأس يسى بها من ريقه أشهى من الكأس  
ضياؤها لاشك من وجهه وحرها من حر أهلى »

( وله )

« يا بدیع الحسن والإحسان يا بدر الدياس  
يا غرالا صاد مـسى بالطلی لبث الهياج  
قد عنيا بسنا وجهك عن ضوء السراج »

( وله )

« تم له الحسن بالعدار واقول الـيل بالنهار  
أخضري أبيض تـدى ذلك آسى وذا بهارى »

قد حوى مجلسي تماماً إن يك من ربه عفاى .

( وله ) .

« لله در أبى السنان من فارس همم الجنان  
تخشاه آساد الرجا ل كما تريم به اقيات  
قياسه يهـ فى المدا ويعسنه يصي الحسان . »

( وله )

« يقاتل بالاحفظ محبوبنا وبالسيف والرمح أمقى قتال  
فطورا يصيد ظباء النساء وطورا يصيد أسود الرجال . »

( وله )

« إذا ما اقتحمت الوغى دارا وقتت وجهك بالمفسر  
حسبنا بياك شمس الضحى عليها سحب من المنبر . »

( وله )

« يا قرا فلى له مطلع وشادنا فى مهقى يررع  
والله ما أطمع فى العيش مذ أصبحتى وصادك لأطمع  
ليت كما يررع فى مهقى أنى فى ريقته أكرم . »

( وله )

« وأغن يلب بالهدوم كادغت أرماع قوى بالعداة لواحيا  
ذى لغمه يسى المقول بها رشأ من عند رضوان أماناها ربا . »

( وله )

« محى حكي صانموه السما لتفصر عنه طوال الرماح  
وصاغوا مثال الثريا عليه كواكب تقضى لنا بالنجاح  
وتزدات أطواقه بالنجوم كما لبس الأذى توب الصباح . »

( وله )

« أيا نفس لانجريمى واصبرى فإن الهوى ما به مصف  
حبيب جفاك وقتل عصاك ولاح لحاك ولا ملطف  
شجون منمن الجفون الكرى وهو صنها أدمعا ترف . »

( وله )

« أبصرت طرفك عند منتهى القنا فبهدا لطرف أنه ملك  
أو ليس وجهك فوقه قسرا يحلى بنير نوره الحلك . »

( وله ) .

« فتبكت مقلناه بالقلب منى وبكت مقلناى شوقاً إليه

طکی لحظه لنا سیف جا دودمی له سحاب بدیه .

(وله)

« یا قرا أفعه فؤادی مقالة لم تشب بإفك  
ومن غدا مسترق حر الکلام قد حازه بملك  
نثرت در القریض نثرا بقوم دهی له سلك  
قفك لله درّ ذهن یخرج درا من بحر فك  
وجاءت الطیر مودعات سرك یا سركل ملك  
بینان دلا علی وداد محبته لی بپر شك . »

(وله)

« یشت بالمرسل اندساطاً منی علی خلفك الجبل  
نروراً حقیراً ففیہ یأتی فضلك و العذر والقبول  
لو أنه مهتّی لكانت تصغر فی قدرك الحلیل . »

(وله)

« ترفعاً یا أنا یحی ومن طفرت کئی به فدعائی فصله الطافر  
إن حال ما بیننا ویمانا الناضر مناظر القلب حقا نعوک مناظر  
أحی مکالم من قلی وأمنعه کما حی الماحب الإسلام بالتر . »

(وله)

« أحلفتی وعدك لی ومخلفاً أههدک  
معد بأن تهجرنی واجر علی عادتك . »

(وله)

« وردت أنا العتج یاسیدی ورود الکرى بمد طول السهاد  
ولما احتلتنا لم نحل من العین والقلب غیر السواد  
ودومک منا طیوراً فنت طیر لیک بریش الوداد . »

(وله)

« أبا الولید تحاوز وهب لنا التغمیصا  
واقبل جواباً علی فظسک الصحیح مریضاً  
زفت نعوى مرربساً تجتنب روضاً أریضاً  
حلوتها فی سواد تحلو المانی بیضاً  
وقدر منحتک نروراً لا حقک المفروضا  
وسوف أرفع جهدی من قدرک المنفوضاً . »

(وله إلى أبيه رحمه الله)

« يا متبع الإكرام لعلما ومتبع الإلغام لتماما  
وعادلا في الناس لكنه أصبح للأموال ظلما  
قرنت في كلك بحر الندى بصارم أسكنته الهاما  
وجعت فيك خصال الورى وحزت آراء واقصاما  
فالموت والعيش بيننا قد صرهن أسيافا وأقلاما  
أثقلت بالإلغام ظهري، فقد ألحمت عن شكرك إلخاما  
سفكت إفضالا دمي كي ترى تزيد في عمرك أعواما  
فاسلم لاهراق دماء العدا ما طرد الإصباح لإظلاما . »

( وله إليه يطلب مجنا )

« أيا ماجدا لم يرم شامخاً من المجد فاحتل غير الفتن  
سألك صفراء بكراً لجند على بها شامخاً للسنن  
ترد السنن إذا أمها شبا حده من قويم السنن  
وإن كنت من مشر في الوغى أقاموا القلوب مقام الجنن . »

( وله إليه يطلب عوادا )

« ألا يا غرة السعد وقرّة نطر العبد  
ومولاي الذي ما زل يسحب حلة الحمد  
لعبدك همة هامت بركن الصبر الجرد  
ويرغب ضارعا منها إلى عليك في الورد  
وإن تقبضه من عبد تمنّ به على عده . »

( يبحث إليه مسرعا فكتب إليه )

« خلعت ثوب الصقي على العبيد الوفي  
يا مستترقا بنمما . كل حر سري  
أنى على الورد سرج كاهدي فوق الهدى  
مسوف أورد ربحي عليه قلب الكمي . »

( وله إليه )

« يا أيها الملك الذي كفاه بخلت السحاب  
أنعمت بالبض الكما ب على والحيل العرب  
وغدوت تخفى لاعتنا ب كما ترعى لثنوا  
برضاك أبصر نائي ال آمالك مى ذا اقترب  
وبطيب أياى لديك هرفت أيام الشباب  
فشكرت منه أو لبنيته من أياديك الهداب  
بشبا سناني في الظما ن وجدسي في الضراب

وشبا لسانى فى المها فل بالتمثر لا يشاب  
لازلت تفتل النحر موخد قلك فى القراب  
( وله إليه )

« يا أيها الملك الذى لم يزل يسرى إلى غرته السارى  
وجامعا فى كفه بالندى والبأس بين الماء والنار  
اهتأ فقد ملت الذى تشتعى نفسك واشكر نعم البارى .  
( وله إليه يطلب الإذن بالصيد )

« امعن عن رحاك ساعة يرتاح فيها بالصطياد أرانب  
حتى يصيد سعدك الأطال فى يوم الوغى بأسة وقواضب .  
( وله إليه )

« وساعة للزمان مسفة قصت فيها أرابا وحمل  
ملا أرائى الإله . ملك رضى إذ لم أصدمن عداك كل يدل .  
( وله إليه )

« أبعد البدر يشرق والظلام وسـتر الله مد على الأنام  
وليث الغاب إقداما وبأسا ورب الفصل والعم الجسام  
عبيدك مولع بالصيد قدما وحب الصيد من شيم الكرام  
فاذك فيه واسلم للأعداى تدير عليهم كأس الحمام .  
( وله إليه )

« أيا ملكا همى نصـله ولم ألف فى بحر معاد زحرا  
عهدت الحار لجرر ومدت وتأتى بحار أيا ديك حررا  
دعونا الأمانى لما رضىت لجأت توالى عليها وتترى  
علم يبق لى أمل أرتجيه سرى أن أقوم سـاك شكرا  
نقت ولا ملك إلا غدا غدا ملك كفك قهراً وقسرا

( وقال )

أعتمـد بالله دعوة أمل رجاكـ على مدـ فأصبح ذا قرب  
فأمم مأمـولا وأم مبمما وحامت أمانيه على مورد عذب  
موارد ما حلان عنهن حائما ولا عادرته غير مستعذب القرب  
وما أنا ظمان لمنهل وردكم وحسى موقوف على وردكم حسبي  
أفر بالذى أملتـ مذكت آملاـ وتحتل من هلياء فى المنزل الرحب  
لجئت أغذ السير حتى كأتى لإفراط لإغذاذى على ظهر النجب  
فألميت أعلى الباس قدرا وسؤددا وعدلا فدنه النفس صدقا بلا كذب  
يمن إلى راجيه كالواقى الصب ويهتز للمعروف كالصارم المضب  
وإلى لما تولى وأوليت شاكر فن شكر النعماء نال رضى الرب .

وقال (١)

« لما تجاسكت الدموغ وتنهنه القلب الصديق  
قالوا الحصوع سياسة فليد منك لم خضوع  
والد من طعم الخضوع ع على فى السم النقيع  
إن تستلب عى الدنا ملكى وتسلمنى الجوع

(١) جاء فى كتاب المراكشى قبل هذه الأبيات الرائعة ما يلى :

قال يوسف بن تاشفين لعص ثقافته من وحوه أصحابه : « كنت أظن أنى ملكت شيئاً ، ولما رأيت تلك البلاد صمرت - فى عيني - ملكتى ، فكيف الحيلة فى تحصيلها ؟ » فاتفق رأيهم ورأى أصحابه على أن يرأسوا للمعتد يستأذنونهم فى رجال من صلحاء أصحابهم رغبوا إلى الرباط بالأندلس ، ومجاهدة العدو والكون ببعض الحصون المصافية للروم إلى أن يموتوا ففعلوا ، وكتبوا إلى المعتد بذلك ، فأذن لهم بعد أن وافق على ذلك ابن الأفطس المتوكل صاحب الثنور ، وإعما أراد يوسف وأصحابه بذلك أن يكون قوم من شيعتهم مبنوئين بالجزيرة فى بلادها ، فإذا كان أمر من قيام بدعوتهم أو لإطهار لملكهم وجدوا فى كل بلد أعواناً ، وقد كانت قلوب أهل الأندلس كما ذكرنا قد أفربت حب يوسف وأصحابه ، فجهز يوسف من خيار أصحابه رجلاً انتحهم ، وأمر عليهم رجلاً من قرائته يسمى « بلعين » وأمر إليه ما أراد ، فجاز ببحين المذكور وقصد المعتد من ملوك الجزيرة ، فقال : « أين تأمرنى بالكون ؟ » فوجه معه المعتد من أصحابه من ينزله بعض الحصون التى اختارها لهم ففرل حيث أنزلوه هو وأصحابه ، وأقاموا هناك إلى أن ثارت الفتنة على المعتد ، وكان مدوفاً فى شوال من سنة ٤٨٣ هـ بأخذ جزيرة طريف المقابلة لطنجة من المدوة دون مقدمة طاهرة توجب ذلك ، فتشعبت جوعه وأهواؤها ملثثة ، واشترت بلاده وقلوب أهلها على محبته منتظمة ، ولما أخذ المرابطون حرية طريف وناذوا فيها بدعوة أمير المؤمنين انتشر ذلك فى الأندلس ، وزحف القوم - الذين قدمنا ذكرهم - السكائون فى الحصون إلى قرطبة لمخاصروها وفياعباد بن المعتد الملقب بالأمون ، وقد تقدم ذكره ، وهو من أكبر ولده ، فدخلوا البلد وقتل عباد هذا بعد أن أبلى عنراً ، وأظهر فى الدفاع عن نفسه حمداً وصبراً ، وذلك فى مستهل صفر الكائن فى سنة ٤٨٤ هـ فرادت الإحنة والمحنة ، واستمرت فى علوانها الفتنة . واجتمعت على الثورة بمحصنة اشبيلية طائفة ، فأعلم المعتد بما اعتقدته الطائفة المذكورة وكشف له عن مرادها ، وأثبت عهده سوء اعتقادها ، وأغرى بتمزيق أديبها ، وسفك دمها ، وحض على هتك حرمتها ، وكشف حرمتها ، فأبى له ذلك مجده الأئيل ، ورأيه الأصيل ، ومذهبه الجليل ، وما جباه الله من حسن اليقين ، وصحة العقل والدين ، إلى أن أمكنهم الفترة يوم الثلاثاء منتصف رجب من السنة المذكورة فقاموا بجيش غير مستنصر ، واستنصروا بغنائاً غير مستنصر ، فبرز هو من قصره ، سيفه بيديه ، وفلاته ترف على جسده لادركة له ولا درع عليه ، فلقى على باب من أبواب المدينة يسمى باب الفرج فارساً من الداخلين مشهور البجدة شاكى السلاح ، فرماه الفارس برمح قصير أنابيب القناة ، طويل شفرة السنان ، فالتوى الرمح ببلالته وخرج تحت إبطه ، وعصمه الله منه ودفعه بفضل عذبه ، وصب هو سيفه على عاتق الفارس فسقطه إلى أضلاعه ، فخر صريعاً ، وانهمزت تلك الجوع ، ونزل المنعمون للأسوار منها ، وظن أهل اشبيلية أن الخناق قد تنفس ، فلما كان عصر ذلك اليوم ، عادهم القوم ، فظهر على البلد من واديه

فالقلب بين ضلوعه لم تلم القلب الصلوع  
لم أستلب شرف الطبا ع أيسلب الشرف الرفيع ؟  
قد رمت يوم نزالهم إلا تحصنى الدروع  
وبرزت ليس سوى القبيح عن الحشى شئ مدفوع  
وبدلت نعى كى نسي بل إذا يسيل بها الحجيع  
أجلى تأخر لم يكن بهوى ذلى والحشوع  
ما سرت قط إلى الفتا ل وكان من أملى الرحوع  
شيم الألى أما منهم والأصل تقبحة الفروع .»

ويش من سكى ناديه ، وبلغ فيه الأمل حاسده وشانيه ، وشبت البار فى شوانيه ، فانقطع صدها العمل  
والقول ، وذهبت القوة من أيدي أهلها والحول ، وكان الذى ظهر عليها من جهة البر رحل من أصحاب  
يوسف أمير المسلمين والتوت الحال أياما يسيره إلى أن ورد الأمير سير ابن أبى بكر بن تاشفى وهو ابن أخى  
أمير المسلمين بمساكره متظاهرة ، وحشود من الرعية وافرة ، والناس فى حال هذه الأيام قد حارهم  
الجوع ، وحالط قلوبهم الهلع ، يقطعون السبل سياحة ، ويعبرون النهر ساحة ، ويتوهمون مجارى الأقدار ،  
ويترامون من شرفات الأسوار : حرصاً على الحياة والموفون بالعهد ، القبيحون على صريح الود ، ثابتون إلى  
أن كان يوم الأحد لإحدى وعشرين خلت من رجب من السنة المذكورة ، وهذا يوم الكائنة المعطى والطامة  
الكبرى فيه حم الأمر الواقع ، واتسع الحرق على الراقع ، ودخل البلد من واديه ، وأصاب حاضره وباديه ،  
بعد أن جد الفريقان فى القتال ، واحتدت الفشتان فى الزلزال ، وطهر من دماغ المعتد - رحمه الله - وبأسه ،  
وتراميه على الموت بنفسه ، مالا يزيده عليه ، ولا تناه لخلق إليه ، وفى ذلك بقول المعتد بعد ما نزل بالعدوة  
أسيراً حسيراً :

« لما تماسكت الصلوع ونهته القلب الصديم » . . . الخ

فشنت العارة فى البلد ولم يترك البربر لأحد من أهلها سبدا ولا ليدا ، وانتهت قصور المعتد نهياً قبيحاً ،  
وأخذ هو قيصا ناليد ، وأجبر على محاطة ابنه المعتد بالله والراضى بالله ، وكانا بمغلقين من معاقل الألدس  
المشهوره لو شاء أن يمتنما بهما لم يصل أحد إليهما . أحد الحصين يسمى رندة ، والآحر مارتلة ، فكتب  
رحمه الله ، وكتبت السيدة الكبرى أمهما مستعطفين مسترحيين معلمين أن دم السكل منهم مسترهن بثبوتها  
فانقا من الدل وأيا وضع يديهما فى يد أحد من الناس بعد أيهما ، ثم عطفتهما عواطف الرحمة ، ونظرا فى  
حقوق أبيهما المقتزاة بحق الله عزّ وجلّ ، فتسك كل منهما بدينه ، ونبد دنياه ، ونزلا عن الحصين بعد  
عهود مبرمة ومواثيق محكمة . فأما المعتد بالله فان القائد الواصل إليه قبض هند نزوله على كل ما كان يملكه  
وأما الراضى بالله فعند خروجه من قصره قتل غيلة وأخفى جسده ، ورحل المعتد وآله بعد استئصال جيم  
أحواله ، ولم يصحب من ذلك كله بليلة زاد ، فركب بالسفين ، وحل بالعدوة على الدفين ، فكان نزوله  
من العدوة بطنجة .



( وقال )

« قل لمن قد جمع العلم سم وما أحصى صوابه (١) »

(١) قال المراكشي في كتاب المعجب :

« أقام المعتد بطنجة أياماً ، ولفقه بها المصري الشاعر ، فحضر معه على سوء عاداته من فيج الكدية وإفراط الخلف ، ورفع إليه أشعاراً قديمة كان قد مدحه بها ، وأصاف إلى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله إليه ولم يكن عند المعتد في ذلك اليوم مما زود به فيها بلوى أكثر من ستة وثلاثين مثقالاً قطع عليها ، وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قتلها سقطت من حفظي ووجه بها إليه فلم يجاوبه عن انقطعة على سهولة الشعر على حاطره وحفته عليه كان هذا الرجل أعشى المصري الأعمى أسرع الناس في الشعر خاطراً إلا أنه كان قليل الجيد منه ، فحرره المعتد على الله على الجواب بقطعة أولها : قل لمن قد جمع الخ »

وأقام للمعتد بطنجة رحمه الله أياماً على الحال التي تقدم ذكرها ، ثم انتقل إلى مدينة مكناسة ، فأقام بها أشهراً إلى أن نفذ الأمر بتسييرهم إلى مدينة اغمت ، فأقاموا بها إلى أن توفى المعتد رحمه الله ودفن بها مقبره معروف هناك ، وكانت وفاته في شهور سنة ٨٧٧ وقيل سنة ٨ فأنه أعلم ، توفى وسنه إحدى وخمسون سنة ، فن أحسن ما مر به مما رثى به المعتد على الله مقطوعة من شعر ابن اللبابة أولها :

« لكل شيء من الأشياء - ميقات ، والهي - من منايها - غايات  
والدهر في صبة الحرمان منعم ، ألوان حالاته فيها استحالات  
ونحن من لعب الشطرنج في يده ، وربما قرت باليدق الشاة  
فانقض يدك من الدنيا وساكنها ، فالأرض قد أقمرت والناس قد ماتوا  
وقل لالمها الأرضي قد كنت ، مريرة العالم العلوي « اغمت »  
طوت مطلقها لابل مذلها ، من لم تزل فوقه للمزرايات  
من كان بين الدى والبأس أنصه ، هندية وعطايا هنيذات  
أصكرت إلا التواء للقبود به ، وكيف تنكر في الروضات حيات  
وقلت هن ذؤابات فلم عكست ، من رأسه نحو رحليه الدوابات  
وأوه ليشاً تخافوا منه عادية ، هذرتهم فلعنوا الليث عادات .»

وله من قصيدة يرثيهم بها وهي كثيرة الجيد أولها :

« مهيسة دخلتها الناباث على ، أساود لهم فيها وآساد  
وكعبة كانت الآمال تضرها ، فالיום لا عاكف فيها ولا باد  
تلك الرماح رماح الحط تقفها ، خطب الزمان تنافا غير ممتاد  
والبيش يبيش الظبا فلت مضاربها ، أيدي الردى وثمتها دون إغماذ  
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة ، وكل شيء لميقات وميعاد  
كم من درارى سعد قدهوت ووهت ، هناك من درر للمجد افراد  
نور ونور فهذا بعد نعمته ، ذوى ذاك خبا من بعد إبعاد  
ياضيف انقر بيت الكرمات تخذ ، في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

كان في الصرة شعر      فننظرنا جوابه  
قد أثبتناك فهلا      جلب الثمر ثوابه .»

ويا مؤمل واديهم ليسكنه      خف القطيع، وجف الزرع بالوادي  
ضلت سبيل الندى بآبى السبيل، فسر      لنير قصد، فأيديك من هاد .»

وفيها يقول :

« انسيت - الاغداة النهر - كونهم      في المنشآت كأموات بألحاد  
والناس قد ملثوا العبرين، واعتبروا      من لؤلؤ طاميات فوق أزباد  
حط القناع ، فلم تستر محذرة      ومزقت أوحه تمرقق أبراد  
تعرقوا حيرة، من بعد ما نشأوا      أهلا ناهل ، وأولاداً بأولاد  
حان الوداع فصبت كل صارخة      وصارح من معداة ومن فاد  
سارت سفائنهم - والنوح ينعها -      كأنها إمل يحدو بها الحادى  
كم سال في الماء من دمع، وكم حلت      تلك القطائع من قطعات أكباد  
منلى كم - يا بى ماء السماء - إذا      ماء السماء أبى سقيا حشا الصادى .»

وهي طويلة جداً ما اختارت له منها .

« ولما اتصل برؤساء الشعراء وملحنى أهل الكديه ما صنع المتمد رحمة الله مع المحصرى تعرضوا له بكل طريق ، وقصدوه من كل فج عميق ، فقال في ذلك رحمة الله .

« شعراء طنجة كلهم والعرب ،      دموا من الاغراب أبعد مذهب  
سألوا العسير - من الأسير - وإياه      - بؤا لهم لأحق ، فأعجب وأعجب  
لولا الحياء وعرة الخيسة      - طلى الحشا - ساواهم في المطلب  
قد كان - إن سئل الندى - بجمل، وإن      نادى الصريح باباه أركب بركب»

وله في هذا المعنى رحمة الله :

« قبح الدهر ، فإذا صرنا      كلما أعطى نفيساً نزفا  
قد هوى - طمأ - بمن حادثه      أن ينادى كل من يهوى لما  
من إذا الميث همى منبراً      أخذتها كفه فاقطعها  
من ضمام الجود من راحته      عصفت ربح به فاقشعها  
من إذا قبل الخناصم وإن      نطق المامون مما سمعها  
قل لمن يطمع في فائله      قد أزال اليأس ذاك الظمها  
راح لا يملك إلا دعوة      جبر الله العفاة الصيما . »

## معارضات الشعراء لابن زيدون<sup>(١)</sup>

سرکم الوصل ظناً لا قدتکم  
فکان بالوهم موجوداً ومظنوناً  
سرى من المسک عن مسراکم خبر  
بعید عهد هواکم سیرة فینا  
أیام بدرکم یجلو لیلینا  
نوراً وطیبکم یرعى بوادینا  
مهلاً فلم نعتقد دین الهوى تبعاً  
ولا قرأنا بصحف المس تلقینا  
قد نصرف العدل یفونینا ویرشدنا  
وتترك الدار تسلینا وتشجینا  
وتتبع الحی والأشواق محرقة  
تحوم بالماء والأرحام تحمینا  
کواکب بساء النقع قد جعلت  
لنا رجوماً وما کنا شیاطینا

### معارضات أمير الشعراء

اندلسية

« نظم أمير الشعراء هذه القصيدة الرائعة وهو في  
منفى باسبانيا ودنيا يحن للوطن العزيز ويصف  
كثيراً من مشاهد ومآهد »

« أولع كثير من الشعراء من قداماء ومحدثين  
بمعارضات ابن زيدون ، ولو أردنا أن تثبت  
معارضاتهم الكثيرة لقصائده المشهورة لاحتجنا إلى  
سفر صحرى بلجترى بقصيدة « أبو بكر بن الملح »  
التي ذكرها « ابن سناء » في كتاب الدحية من  
القدماء ، وقصائد أمير الشعراء أحمد شوقي بك التي  
عارض بها ابن زيدون . »

### معارضة أبي بكر

قال ابن سناء بعد أن ذكر نوبة ابن زيدون التي أولها :  
« أضحى الناس بديلاً من تدالينا » (٢)  
« وهذه القصيدة بحلها فريدة ، وقد عارضه  
فيها جماعة قصروا عنه منهم « أبو بكر بن الملح »  
نارعه فيها الزاية ، فصر عن العاية حيث يقول من  
قصيدة أولها . »

هل يسمع أربع شكوانا فيشكينا  
أو يرحم القول مغناه فيغنيننا  
ثم استمر في غزلها إلى أن قال :

يا باخلين علينا أن نودعكم

وقد بعدتم عن القيا فحيونا  
قنوا نزرکم وإن كانت قرأئدکم

نزرأ ، ومنبكم بالوصل ممنونا

(١) انظر « ص ٤١٢ » (٢) انظر « ص ٤ »

يَانَاْمُ د الطلح» أشباه عوادينا

نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟

ماذا تقص علينا غير أن يداً

قصت حناحك حالت في حواشينا !

رمى بنا البين أيكاً غير سامرنا

أخا الغريب : وطلاً غير نادينا

كل رمته النوى ! ريش الفراق لنا

سهماً ، وسل عليك الين سكينا

إذا دعا الشوق لم نبرح بمصدع

من الجناحين عى لا يلبينا

فإن يك الجنس - يابن الطلح - فرقنا

إن المصائب يحممن المصائبنا

لم تال ماءك تحناناً ولا طماً

ولا أدّ كاراً ، ولا شجواً أفايننا

تجرّ من فنن ساقاً إلى فنن

وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا

أساة جسمك شتى حين تطلبهم

فن لروحك بالنطس المداوينا !

\*\*\*

أهّا لنا ! نازحى أيك بأندلس

وإن حالنا رفيفاً من رواينا

رسم وقفنا كلّ رسم الوفاء له

نخيش بالسمع ، والإجلال يثنينا

لفتية لا تنال الأرض أدمعهم

ولا مفارقهم إلا مصلينا

لو لم يسودوا بدين فيه منهة

للناس ، كانت لهم أخلاقهم دينا

لم نسر من حرم إلا إلى حرم

كالخمر من «بابل» سارت «لدارينا»

لما بنا الخلد نابت عنه نسخته

ثمائل الورد «خيريا» و «نسرينا»

نسقى ثراهم ثناء ، كلما ثرت

دموعنا نظمت منها مرائينا

كادت عيون قوافينا تتحركه

وكدن يوقظن في الترب السلاطينا

لكن مصر وإن أغضت على معة

عين من الخلد بالكافور تسقينا

على حوانها رفّت ثنائنا

وحول حافاتنا قامت رواقينا

ملاعب مرحت فيها مآربنا

وأربع أنست فيها أمانينا

ومطلع لسعود من أواخرنا

ومغرب لجودود من أوالينا

بنا فلم نخل من روح يراوحنا

من برّ مصر وريحان يفاينا

كأُم موسى ، على أسم الله تكفلنا

وبأسمه ذهبت في اليم تلقينا

ومصر كالكرم ذى الإحسان : فأكمة

لحاضرين ، وأكواب لبادينا

\*\*\*

ياسارى البرق يرمى عن جوانحنا

بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا

لما ترقق فى دمع السماء دماً

هاج البكا فحضبنا الارض باكينا

الليل يشهد لم تهتك دياجيه

على نيام ولم تهتف بسالينا

والنجم لم يرنا إلا على قدم

قيام ليل الهوى للعهد راعينا

كزفرة فى سماء الليل حائرة

مما تردد فيه حين يضوينا

بالله إن جبت طلاء العباب على

نجايب النور محدواً ( بجرينا )

ترد عنك يداه كل عادية

إنساً يعثن فساداً أو شياطينا

حتى حوتك سماء النبل عالية

على الغيوث وإن كانت ميامينا

واحرزتك شفوف اللازورد على

وشى الزبرجد من أفواف وادينا

وحازك الريف أرجاء مورجة

ربت خمائل ، وأهوتته بسائتنا

قف إلى النيل واهتف فى خائله

وانزل كما نزل الطل الرياحينا

وأس ما بات يذوى من منارلنا

بالحادثات ويضوى من مغاينا

\*\*\*

ويامعطرة الوادى سرت سحراً

فطاب كل طروح من مرامينا

ذكية الذيل لو خلنا غلاتها

قيص يوسف لم نحسب مغالينا

جشمت سلوك السرى حتى أتيت لنا

بالورد كتباً ، وبالريا عناوينا

فلو مجزيناك بالأرواح عالية

عن طيب مسراك لم تهض جوازينا

هل من ذبولك مسكى نحمله

غرائب الشوق وشياً من أمالينا

إلى الذين وجدنا ود غيرهم

دنيا وودهمو الصافى هو الدينا

\*\*\*

يا من نغار عليهم من ضائرنا

ومن مصون هواهم فى تناجينا

ناب الحنين إليك - فى خواطرنا -

عن الدلال عليكم فى أمانينا

جئنا إلى الصبر ندعوه كما دتنا

- فى النائبات - فلما يأخذ بأيدينا

والسعد لودام، والنعمى لو أطردت،  
 والسيل لوعف، والمقدار لودينا  
 ألقى على الأرض حتى ردها ذهباً  
 ماء - لمسنا به إلا كبير - أوطينا  
 أعداد من يمنه «التابوت» وارتسمت  
 - على جوانبه - الأنوار من سينا  
 له مبالغ ما فى الحلق من كرم  
 عهد السكرام وميثاق الوفيين  
 لم يجر للدهر إغذار ولا عرس  
 إلا بأيمنا أو فى ليالينا  
 ولا حوى السعد أظفى فى أعتنه  
 منا جياداً، ولا أرخى مياديننا  
 نحن اليواقيت خاض النار حوهرنا  
 ولم يهن بيد التشتيت غاليينا  
 ولا يحول لنا صبيغ ولا خلق  
 إذا تلون كالحرباء شائنا  
 لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت  
 فى ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا  
 ألم تؤله على حافاته، ورأت  
 عليه آبناءها الفر الميامينا ؟  
 إن غازلت شاطئيه فى الضحى لبسا  
 خائل السندس للموشية الفينا  
 وبات كل مجاج الواد من شجر  
 لوافظ التز بالخيطان ترمينا

وما غلبنا على دمع ولا جلد  
 حتى أتتنا واكم من صياصينا  
 ونابغى كأن الحشر آخره  
 تميذا فيه ذكر اكم وتحيينا  
 نظوى دجاء بجرح من فراقكمو  
 يكاد - فى علس الأسحار - يطوينا  
 إذا رسا النجم لم ترقاً محاجرا  
 حتى يزول، ولم تهدأ تراقينا  
 بقنا نقاسى الدواهى من كواكبه  
 حتى قعدنا بها : حسرى تقاسينا  
 يبدؤ النهار فيجفيه تجلدا  
 للسامتين، ويأسوه تأسينا  
 سقيال عهد - كأكناف الرضى - رفة  
 أى ذهنا، وأعطف الصّالينا  
 إذ الرمان منا غيناء راهية  
 ترف أوقاتنا فيها رياحينا  
 الوصل صافية، والعيش ناعية  
 والسعد حاشية، والدهر ماشينا  
 والشمس تختال فى العقيان تحسها  
 «بلقيس» ترفل فى وشى اليمانيينا  
 والنيل يقبل كالدينا إذا احتفلت  
 لم كان فيها وفاء للصافينا

وهذه الأرض من سهل ومن جبل .

قبل (القيصر) دِنَاهَا (فراعينا)

ولم يضع حجراً بان على حجر

في الأرض إلا على آثار بانينا

كان أهرام مصر حائط نهضت

به يد الدهر لا بنيان فانينا

إيوانه الفخم من عليا مقاصره

يفنى الملوك ولا يبقى الأواوين

كانها ورمالا حولها التطمط

سفينة غرقت إلا أساطينا

كانها تحت لألاء الضحى ذهباً

كنوز (فرعون) عطين الموازينا

\*\*\*

أرض الأبوة والليلاذ ، طيبها

مر الصبا في ذبول من تصاينا

كانت محجلة فيها مواقمنا

غرا مسلسلة المجرى قوافينا

فآب - من كُرّة الأيام - لاعنا ،

وثاب - من سنة لأحلام - لاهينا

ولم ندع لليبالي صافياً ، فدعت

« بأن نقص فقال الدهر : آمينا »

لو استطمنا : نخضنا الجو صباقة . . .

والجز نار وغى ، والبحر غسلينا

سعيها إلى مصر تقضى حق ذا كرنا

فيها إذا نسي الوافي وبا كينا

كَنَزْ (بحلوان) عند الله نطلبه

خير الودئع من خير اللؤدينا

لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا

لم يأت الشوق إلا من نواحيننا

إذا حملنا لمصر أوله شجننا

لم ندر أى هوى الأمين شاحينا

## زحلة

« وقال معارصاً قصيدة ابن زيدون التي أولها :

« ما للدمام تديرها عينك »

شيعت أحلامي قلبك بالك

ولحت من طرق الملاح شباكى

ورجعت أدراج الشاب وورده

أمشى مكاهما على الأشواك

وبجاني واه كأن خفوقه

لما تلفت حهشة اللبناكى

ساكى السلاح إذا خلا بضلوعه

فأذا أهيب به فليس بشاك

قد راعه أنى طويت حبائلى

من بعد طول تناول وفكاك

ويح ابن جنبي كل غاية للقيم

بعد الشباب عزيزة الإذراك

ودخلت في ليلين فرعك والدجى  
ولمّت كالصبح النور فاك  
ووجدت في كنه الجوانح نشوة  
من طيب فيك ومن سلاف لَمَّاك  
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت  
عيى في لغة الهوى عيناك  
ومحوت كل لُانة من خاطرى  
ونسيت كل تعاتب وتساكى  
لا أمس من عمر الرمان ولا غد  
مُجمَع الزمان فكان يوم رضاك  
لُسان رَدَّتني إليك من النوى  
أقدار سَيرٍ للحياة دراك  
جمعت تزيلى ظهرها من فرقة  
كرة وراء صوالج الأفلاك  
نمشى عليها فوق كل فجاءة  
كالطير فوق مكامن الأشراك  
وَلَوْ أَنَّ بالشوق للزار وجدتنى  
ملقى الرجال عَلَى ثراك هذا كى  
بنت البقاع وأم يَزْدَوْنِيهَا  
طبي كجلى واسكبي برداك  
ومشقى جنات النعيم ولما  
القيت سدت عندهن رباك

لم تبق منا يا فؤاد بقية  
لغفوة أو فضلة لعراك  
كنا إذا صفت نستبق الهوى  
ونشد شد العصبة الفتاك  
واليوم تبعث في حين تهرنى  
ما يبعث الماقوس فى الساك  
يا حارة الوادى طربت وعادنى  
ما يشبه الأحلام من دكراك  
مثلت في الذكرى هواك وفى الكرى  
والذكريات صدى السنين الخاكي  
ولقد مررت عَلَى الرِّياض بربرة  
عناء كنت جياها ألقاك  
ضحكت إلى وحوها وعيونها  
ووحدت فى أنفاسها ريك  
فذهبت فى الأيام أذكر رفقا  
بين الحداويل والعيون حواك  
أذكرت هرولة الصبابة والهوى  
لما خطرت يقبلان خطاك  
لم أدر ما طيب العناق عَلَى الهوى  
حتى ترفق ساعدى فطواك  
وتأودت أعطفان بانك فى يدي  
وأحر من خفرينها خدك



كالغيد من ستر ومن شباك  
 وكأن كل ذؤابة من شاهق  
 ركن الحجرة أو جدار سماك  
 سكنت نواحي الليل إلا أنه  
 في الأيك أو وترأشجي حراك  
 شرقاً عروس الأرز كل خريدة  
 تحت السماء من البلاد فذاك  
 ركز البيان على ذراك لواءه  
 ومشى ملوك الشعر في مفناك  
 أدباؤك الزهر الشموس ولا أرى  
 • أرضاً تمخض بالشموس سواك  
 من كل أروع علمه في شعره  
 ويراعه من خلقه هلاك  
 جمع القصائد من رباك وربما  
 سرق الثمائل من نسيم صباك  
 (موسى) يبابك في المكارم والعلا  
 وعصاه في سحر البيان عصاك  
 أحللت شعري منك في عليا الذرا  
 وجعته برواية الأملاك  
 إن تكرمي يا زحل شعري لائق  
 • أنكرت كل قصيدة إلاك  
 أنت الخليل بديعة وغويبه  
 • الله صاغك والزمان رواك

قسما لو انتمت الجداول والربا  
 لتهلل الفردوس ثم نمناك  
 مراك مرآه وعينك عينه  
 لم يا زحيلة لا يكون أباك  
 تلك الكروم بقية من بابل  
 هيئات ننمى البالي جناك  
 تبدى كوشى القرس أفتن صبغة  
 للناطرين إلى ألد حياك  
 خرزات مسك أو عقود الكهربا  
 أودعن كافوراً من الأسلاك  
 فكرت في لبن الجنان وخرها  
 لما رأيت الماء مس طلاك  
 لم أنس من هبة الزمان عشية  
 سلفت بظلك واقضت بذراك  
 كنت العروس على منصة جناحها  
 لبنان في الوشى الكريم جلاك  
 يمشى إليك اللحظ في الديباج أو  
 في العاج من أى الشاب أتاك  
 ضمت ذراعها الطبيعة رقة  
 «صنّين» و«الحرمون» فاحتضناك  
 والبدر في ثبج السماء منور  
 سألت خلاه على الثرى وحلاله  
 والنيرات بمن السحاب مطلة

## وقال

« وقال معارضاً كافية ابن زيدون التي أولها :

« ودع الصبر عب ودعك (١) »

ردت الروح على المضى معك

أحسن الأيام يوم أرجعك

مرّ من بعدك ما روعنى

أترى يا حلو بعدى روعك

كم شكوت البين بالليل إلى

مطلع الفجر عسى أن يطلعك

وبعثت الشوق في ريح الصبا

فشكا الحرقه مما أستودعك

يا نعيمى وعذابى فى الهوى

بعذولى فى الهوى ما جمعك

أنت روحى ظلم الواشى الذى

زعم القلب سلا أو ضيعك

موقعى عندك لا أعلمه

آه لو تعلم عندى موقعك

أرجفوا أنك شاك موجع

ليت لى فوق الضنا ما أوجعك

نامت الأعين ، إلا مقلة

تسكب الدمع وترعى مضجعك



## صفحات من كتاب الذخيرة لابن بسام

وبرع أدبه ، وحاد شعره ، وعلا شأنه ، وانطلق لسانه ، فذهب به المعج كل مذهب وهون فنده كل مطلب ، وكان علقه من عند الله بن أحد بن المكري أحد حكام قرطبة طهر أحسن ، أداه إلى السجن ، فألقى منه يومئذ على أبي الوليد بن جهور في حياة والده أني الحزم شفع له واشتله من مكبته وصيره في صانته ، ولما ولي الأمر - بعد والده - نوه به وأسى خطته وقدمه في الدين اصطنع لدولته ، وأوسع رانته وحلله كرامة لم تقفه فيما زعموا ، واتفق أن عن له مطلب بمصرة لإدريس الحسى بمالقة ، فأطاع الثواء هنالك ، واقترب من إدريس ، وخب على نفسه ، وأحصره مجالس أسه ، فغتب عليه ابن جهور ، وصرفه في السفارة بينه وبين أسراء الأندلس فيما يجرى بينهم من التراسل والمداخلة ، فاستقل بذلك لمصل ما أوتيته من اللس والعارضة ، فاكسب الجاه والمنفعة ولم يبعده ذلك من التفاهت في الترقى بعد الهمة ، فهو عما قليل إلى عاد صاحب إشبيلية احتدته إلى ذلك ماهر من وطه إليه ، وتزل على كنفه ، وصار من حواصه ومحبايه ، يحالسه في حلوانه ، ويرسل له في مهم رسائله على حال من التوسمة ، وكان ذهابه لعادسة ٤٤١ هـ إحدى وأربعين وأربعمائة . قال أبو الحسن : « فأما سعة درعه ، وتدفق طبعه ، وغرارة بيانه ، ورقة حاشية لسانه ، فالصبح الذي لا يكر ولا يرد ، والزل الذي لا يحصى ولا يعد . »

### بدايته وتصرفه بفنون القول

أخبرني من لأدبع خبره من وزراء إشبيلية قال : « عهدي بأبي الوليد فأنما على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمع يجيب بما أجاب به غيره لسعة ميدانه ، وحضور جنانته . » وقد أخرجت من أشعاره التي هي حجول وغرر ونوادر أخباره التي هي مآثر وأثر ، ورسائله

فصل في ذكر دى الوزارتين الكاتب أني الوليد ابن زيدون واحتلاب عيون أخباره ، ومصوص رسائله وأشعاره .

قال أبو الحسن كان أبو الوليد عاية مشور ومطوم وخاتمة شعراء مخروم ، أحد من خبر الأيام خبراً ، وفاق الأنام طرا ، وصرف السلطان نفعا وضرا ، ووسع البيان دأماً وثراً ، إلى أدب ليس للحر تدفقه ، ولا للبد تد تأفقه ، وشعر ليس للسكر يباه ، ولا للنعوم الزهر اقتراه ، وحط من النثر عرب اللباني ، شعري الألفاظ والماني أحبرني غير واحد من وزراء إشبيلية قال : خلص ابن عد العزيز من يد عاد ، خلوص الفرزدق من يد زياد ، وبقيت حصرت من أهل هذا الشأن ، أعرى من طهر الأموان وأحلى من صدر الحاد ، هم باستحلاب ( محمد بن الباسي ) المشهور أسره ، الآتي في القسم الثاني من هذا الديوان ذكره ، وكان أبو الوليد غص بذلك وواطأ أبو محمد من الحد على الإشارة بالاستعناء عما هنالك ، فكانت الكتف قد من إنشاء أني الوليد إلى شرق الأندلس ، فيقال تأتي ماشبيلية كتب هي بالنظم الحطير ، أشبه منها بالمشور

### حظوته عند ابن جهور

وقد أخرى ذكره أبو مروان بن حيان في وصف من كان اصطنع ابن جهور من رجال دولته ، فقال « نوه بفق الآداب ، وعمدة الظرف ، والشاعر الديع الوصف ، أني الوليد أحمد بن زيدون دى الأبوة السنية بقرطبة ، والوسامه ، والدرية ، وحلاوة المنظوم ، والسلاطة ، وقوة العارضة ، والافتنان في المعرفة ، وقدمه للظفر على أهل الدمة لبعض الأمور للمترسة وقصره بعد مكانه من الخاصة والسفارة بينه وبين الرؤسا ، فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على قلوب الملوك » قال أبو مروان وكان أبو الوليد من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة في أيام الجماعة والنفسة

كالدهر إن عض يوما  
أبان فضل الكريم .

\*\*\*

وأبو الوليد بن زيدون - على كثرة إحسانه - كثير  
الاهتمام في البث والنظام ، وكتب إلى أبي بكر مسلم  
وهو يحث بقرطة بعد فراقه من السجن ، صلا  
من رقعة :

« وبلغني أنك أحد اللاتين ومن أمثالهم  
ويل للشحى من الحلى ، وهان على الأملس ملاقي  
الدبر واعتك على انفصالك هي وترى أنك أحد  
الحمة مي فلم أستطع صبرا ، وعلمت أن العاجز من  
لا يستند فالمرء يصير لئالة ، ولم أستحر أن أكون  
ثالث الأدلين المير والودد ، وتذكرت أن الفرار  
من الظلم والهرب مما لا يطاق من سن المرسلين ،  
وقد قال تعالى على لسان موسى : ففرت منكم لما  
حفتكم . مطرت في معارقة الوطن فقدميما ضاع  
العاصل في وطه ، وكدد العائق البيط في معدنه  
كما قال :

« أصبح في معشري وكم بلد  
يكون عود الكباء من حطبه »

فاستحرت الله في إيفاد الزم ، وأنا الآل حيث أمنت  
ببعض الأمن إلا أن السعى لم يرتفع ومادة البهي لم  
تقطع ، وحتم رسالته بهذا المقام :

« شحطنا وما بالدار مأى ولا شحط  
وشط - عن نهوى - المزار وما شطوا .

\*\*\*

.....  
كأن أول هذه القصيدة ناظر إلى قول راشد أبي حكيمة  
حيث يقول :

« ومستوحش لم يعض في أرض غربة  
ولكنه ممن يحب غريب .  
ويناسبه أيضا قول المتنبي :

« إذا ترحلت من قوم وقد قدروا

، أنه لا تفارقهم فالراحلون هم .

قوله هربت وما للشيب البيت ناقص عن قول المتنبي :

التي أحرست الحفل ، واستوت أمد اللطقي الجزل .

.....  
.....  
.....

وله في ابن جهور ، وكتب بها من السجن :

« ما جال يمدك لخطي في سنا القفر  
إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر . » الخ

وله أيضا قصيدة مريدة خاطب بها ابن جهور وهو  
في تلك الحال من الاعتقال أولها :

« ألم يأن أن يبكي العماد على مثلي  
ويطلب نأري البرق منصلك النصل . »

وفي بني جهور يقول :

« بني جهور أحرقتم بحفائكم  
حناني ، ها بال الدماخ تعبت  
تعدوي كالغدير الورد إغما  
تطلب لكم أماسه حين يحرق . »

وأراه توارد في هذين البيتين مع أبي على بن رشيح  
القيرواني حيث يقول :

« أراك اتهمت أحاك الله

وعندك مقت وعندي مقه

وأني عليك وقد سؤتي

كما طيب العود من أحرقة . »

وأحذاه مما من قول أبي تمام :

« لولا اشتعال النار وبها حاورت

ما كان يعرف بصل طيب المود . »

\*\*\*

وأشدني ببعض أهل وقتنا ، وهو أبو سروان بن  
شماخ لسه :

« نوابك هالتي ، فأبدت مصائلي  
وكانت وكنت النار والعنبر الورداء . »

ولغيره :

« إن مسج النار جسمي

أبدت طيب سمي . »

وقوله لا يكن عهدك وردأس قول العباس بن الأحنف :  
« لا تجعل وصلنا كالورد حين مغي  
دا طلمة وأدعى الورد كدلاس . »  
كرّره العباس في موضع آخر ، فقال :  
« ولكنني شئت بالورد عهدا  
وليس يدوم الورد والأس دائم . »

\*\*\*

ما أخرجه من شعر ابن زيدون في النسيب وما  
يناسبه من قصيدة :

« بتم وبنا فإبليت جوانحنا  
شوقاً إليكم ولا جفت ما قبا (١)  
لم نعتد بكم إلا الوفاء لكم  
رأياً ولم تنقل غميره دنيا  
تكاد حين تناحيكم ضميراً  
يقى علينا الأسي لولا تأسينا  
حالت لفتكم أياما ففدت  
سوداً وكانت بكم بيعاً ليالينا  
إذ جاب العيش طلق من تألفنا  
ومورد اللهو صاف من تصافنا  
وإذ هصرنا غصون الأس داية  
قتلناها لجيتنا منه ما شينا  
ليسق عهدكم عهد السرور فإ  
كنتم لأيامنا إلا راحينا  
لا تحسبوا نأياكم عما يغيرنا  
إذ طالما غير النأي المحينا  
والله ما طلب أهواؤنا بدلا  
منكم ولا انصرفت حكم أمانينا  
ياسارى البرق فاد الفصر فاسق به  
من كاذب صرف الهوى والود يستقينا  
ويا نسيم الصبا بلغ تحييتنا  
من لو على البعد حيا كان يحينا  
ربيب ملك كأن الله أشأه  
مكا وقدر لإنشاء الوردى طيناً

« إن لا يشب فلقد شابت له كبدي

شيب إذا خصيته سلوة لصال . »

وقد كرّر هذا المعنى أبو الطيب في مواضع من  
شعره وكلف به وشعب الكلام فيه وتصرف ، وقد  
تقدّم إنشاده ، ومنه أيضاً قول عبد الحليل المرسى  
المعتمد ابن عاد :

\*\*\*

« أتت على حلاتها حياى

وإن كان الصباغ لها شكالا . »

وكتب أيضاً أبو الوليد بن زيدون من محبته ذلك  
إلى أبي حفص بن برد بهذه الأبيات :

« ما على طيبيّ باس يجرح الدهر ويأسو (١)  
ربما أشرف المار ، على الآمال باس  
ولقد ينحك إعفا ل، وبردك احتراس  
والمحاذير سهام والمفادير قياس  
يا أبا حفص وما سا واك في فهم إياس  
من سنا رأيك لى في عشق الخط اقتباس  
وودادى لك نص لم يخالفه القياس  
أذؤت هامت بلحى فاتهم واتهاس  
يليد الورد السبى وله بعد افتراس  
إن أكن أصعبت شو ساً دلميت احتباس  
فتأمل كيف يشى مقلة المجد العباس  
ويغت المسك في التز ب فيوطا ويداس  
لا يكن عهدك ورداً إن عهدى لك آس  
وأدر ذكري كاساً ما امتطت كفك كاس  
معنى أن يسبح الدهر فقد طال الشمس . »  
قوله يلبد الورد السبى البيت كقول النابغة :

« وقتل يا قوم إن الليث منقبص

على برائته للوثبة الصارى . »

وأخذه ابن الرومي فقال :

« سكنت سكوماً كان وهماً بوثبة

عماس كذاك الليث للوثب يلبد . »

(١) أنبتنا هذه الأبيات ، لا يختلف روايتها عن  
رواية الديوان .

(١) أنبتنا هذه الأبيات هنا لا يختلف روايتها عن  
رواية الديوان .

إذا تأوذا آذنه - رهاية -

توم العقود وأدنته البرى لينا  
كانت له الشمس ظئرا في أكلته  
بل ما تحبلى لنا إلا أحايينا  
يا روضة طال ما أحت لواحطا  
وردا حلاه الصبا عصا وسرينا  
ويا حياة تملينا بزهرتها  
مى ضروبا ولدت أفاينا  
لسنا نسبيك إحلالا وتكرمة  
وقدرك للمعتلى عن داك عسينا  
يا حبة الخلد أبدلا بلسلها  
والكثير المد زقوما وعسليا  
كأنا لم نبت والوصل ثالنا  
والسعد قد قص من أحمان واشينا  
سران في خاطر الطلاء يكتما  
حتى يكاد لسان الصبح يمشينا  
إنافرا أما الأسى - عبد الوى - سورا  
مكتوبة ، وأحدنا الصبر تلقينا  
أما هواك فلم نعدل بمنه  
شربا وإن كان يطيبنا فيرونا  
لم نجف أفق جلال أنت كوكبه  
- سالى عنه - ولم نهجره قالبا  
ولا اختيارا تخينناك عن كت  
لكى عدتنا على كره - عوادينا  
نأسى عليك وقد حث مشعثة  
فيتا الشول ، وغنانا مفتينا  
لأ كؤس الراح تدى من - شامثال -  
سيما ارتياح ، ولا الأوتار تلهينا  
دوى على الوصل - مادما - محافظة  
فالمر من دان أصفا كما دينا  
فما استفدنا حليلا عك يصوما  
ولا استفدنا حبيباً عك يسلينا  
ولو صبا نخونا من حلو مظلعه  
بدر الدسى لم يكن - حاشاك - يسينا  
أبدى وفاء ، وإن لم تبا - لى صلة  
فالتكر يقنعنا ، والطف يقيننا

وفي الجواب متاع إن شفت ه

يمس الأيادى التى ما زلت تولينا  
عليك مى سلام الله ما بقيت  
صباة بك تخفيا فتخفيا . «  
وهذه القصيدة تحملها مريدة وقد عارضه فيها  
جماعة قصروا عنه (١) .....  
وله من أخرى أثر نزهة كانت له بمية الرهراء :  
« لى دكرتك بالرهراء مشتاقا  
والأفق حاق ووجه الأرض قدراقا .  
وله من أخرى ، وكتب بها من بظيوس أيام تكرره  
عليها ومى من عرر نظامه وحر كلامه :  
« يا دمع صب ما شئت أن نصوبا  
ويا مؤادى أن أن بدوبا . «  
وله :  
« وصح الحق الملبى وفى الشك اليقين . «  
وقال :  
« صحت فصيح بها السقيم ربح معطرة الدسم . «  
وقوله :  
« يا ليل طل لا أشهى إلا كبرى قصرك  
لو بات عسدى قرى مات أرعى قرك . «  
وقوله :  
« ودع الصبر محب ودعك  
دائع من سره ما استودعك . «  
وقال :  
« بى وبك ما لو شئت لم يصع  
سر إذا داعت الأشياء لم يدع . «  
وبها يقول :  
ته أحتمل واستطل أصبر وعمرأهن  
وول أبيل وقل اسمع وصر أطلع . «  
أراه احتدى بهذا البيت مذهباً أى العميل الأعرابى :  
« فاصدق وهب وهه والصف وأحتمل  
واصلح ودار وكاف واحلم واسجع  
والطف ولن وتأن وارفق واتمد  
واحرم وجد وحام واحمل وادفع . «  
كقول ديك الجن :  
« أحل واقرر وضر واضع ولن واخن  
ورش وان وانديب للمعالى . «  
وهذا البيت صنعه المولودون وهدوه تقسما  
(١) وقد أبيتنا بعض هذا قوله وراثت فى من « ١٠٤ »

وله من أخرى في ابن جهور :

« هذا الصباح على سراك رقيباً »

فصلى بفرك ليلك العريبا .

وقال ابن زيدون أيضاً :

« أما وألحاط مراض صحاح

نصبي وأعطف نشاوى صواح .

وفي بني جهور يقول عند نكة بني ذكوان :

« لولا نو جهور ما أشرقت همم

عد السوالف في أحيادها تلح . »

قوله في هذه القصيدة إن السيوف إذا ما طاب

جوهها في أول الطمع لم يعلق بها الطبع ، ينظر

ملحظ صريب إلى قول حبيب :

« والسيف مالم يلب فيه صيلح

من سنحه لم ينتفع صفال . »

وله من أخرى يرمي المعتصم بن عباد بزعامة ابنه

اسماعيل لابن الأبطس وقتل ولد إسحاق بن عبدالله

في تلك الحرب :

« ليس الهدى إنحاح سبيك في العدا

• وإن راح صنع الله نوحك وأغدى . »

وفاة ابن زيدون

ومما يتعلق بذكر وفاة دي الزاريتين رحمة الله

عليه فصل من تاريخ الشيخ أبي مروان بن حيان

رأيت إثباته لنيل مساقه ، وحسن اتساقه . يقول

فيه ، وفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من

ذي الحجة سنة اثنين وستين وأربعمائة سار

الحاجب سراج الدولة عاد بن محمد إلى إشبيلية المحفزة

الأثيرة لمطالمتها ، وتأيس أهلها من وحشة خاسرت

عامتهم من أحل عدوان رحل منهم على يهودي جاء (١)

لأمر حجة السوق عندهم ، فرمى به سب

الشرعية فطش به المسلم وسط السوق وجرحه

وحرك عليه العامة ، فقبض عليه صاحب المدينة

بها عبد الله بن سلام واعتقله فكان لعامة الناس في

حبسه كلام وإكثار خشن ناله ، فغاطب السلطان

بقرطبة يعرفه ما كان منه ويستأمره في شأنه ، فجعل

لأفاد ولده الحاجب سراج الدولة إلى إشبيلية في جيش

(١) في القطة التالية كثير من الاضطراب وقد أبتناها كما

وتقطيعاً وتبعهم المتنبي فقال :

« أقل اقل أقطع أجل هل سئل أهد

زد هتش بش تفصل ادن سرصل . »

ثم زاد المتنبي من هذا وبى حق قال :

« هتش اتق اسم اسر قد جد

مرانه جد رف اسر بل . »

بيته المعروف . وأحسن لعمرى ابن زيدون في

هذا التقسيم ، ودافع بالحدث في صدر القديم ، ولو

قرع سمع أبى منصور هذا الشذوذ لما كان عند

ابن وسكبير بمذكور ، ولا أعرب بفرائب الصباح

ولا سدائم البديع . ومن شعر أبي الوليد في

النسيب السائر العريب الطيار المليح الخفيف

الروح قوله :

« أما رساك شئى ماله ثمن

لو كان سامحى في ملكة الزمن . »

وقال من أخرى :

« أنت معى القى وسر الصلوع

وسدبل الهوى وقصد الدموع . »

وقال :

« عريب بأرض الشرق يشكر للصا

تحملاها معى السلام إلى العرب

وما ضر أفاص الصما في احتماها

سلام فتى يهديه جسم إلى قلب . »

وهذا منقول من قول العباس بن الأحنف حيث يقول :

« قاله ما شطت نوى طاهن

سار من العين إلى انقلاب . »

وقال أبو الوليد من أخرى :

« ساحب أعدائى لألك منهم

يا من يصح بقتلته ويسقم . »

وقال من قصيدة :

« أما في نسيم الريح عرف معرف

لنا هل لذات الوقت بالجرع موقف . »

وقال أيضاً أبو الوليد من جملة قصيدة :

« يا أيها الملك الذى تدبيره

أنهى لمملكة الزمان ملاكا . »

عليه، إذ كان منهم متعصبا له، هاويا إليهم، حذبا عليهم  
وليبة خير بينهم وبين سلطانهم الحديث الولاية ،  
فصار مصابه كفا فيه من تأميلهم والبقاء لمن ترمد  
به وحده لأرب غيرة ولا حرم إذا أعز الله إخوانه  
بابشدار بقاء فتاه النسيب أبي بكر ولده ساد أمثله  
ساميا مسما عاتطا هدا عاتطا منتهاه بأبوة صدق  
يجرى إلى العلى بضيغه من ساحة ودعائه وحصاة  
وزراة ومعرفة ووفور حفظ من أدب بلاغة وكتابة  
وشركة في التعاليم العلمية واشتداد في رعاية متقدم  
الذمة لم يفقد إخوان أبيه معه إلا غيبته خلال  
حرّ كي حاله عما قليل بعد أبيه عند سلطانه قسطاس  
السياسة فاستصر في استحصاره وأداناه من احتبائه  
ورقاه في مراتب والده منتقلا له في درجتها راضيا  
بلاده بما ناطه به منها حتى فرغ دروتها عما قليل  
فأحفظاه بالورارة وصيريه وزيرا لحصرته الأثيرة  
اشييلة، وحمله أعظم حططها العلمية معاطس الناس  
من قوام الملكة خطة ولاية المدينة وواتاه الرمان ،  
والله يؤتي فصله من يشاء له الفصل والامتداد .  
وقال :

« لا طار لي حط إلى عاية

إن لم أكن مك فريش الجناح

وعتباك بعبد التوب أمية

مالي على الدهر سواها اقتراح

لم يثنى عن أمل ما جرى

قد يرتع الحرق وتؤمى الجراح

فاحمد بحمي الرأي عن يربح

منه الدا بكل شاكى السلاح

واشفع فلشافع نعى بما

نمر من عقد وثيق النواج

إن سحاب الأبق منها الجيا

والحد في تأليها للرياح . »

وكان القاضي أبو بكر بن ذكوان أجيل من اشتغل  
عليه أوان مجد وشرفا ونفسا في العلم وتطرفا مع  
دعابة حين خلواته تحمل حي المحني ورفاقه عند  
نشواته كالتنوخى والمهلي، فإذا أصبحوا بكر أبو بكر  
إلى مصادرة ما يتجه عليه الحكم ومواجته وأذكر

كثيف من نغبة غلمانه ووجوه رجاله لمشاردة القصة  
والاحتياط على العامة، ففدوا معه وسط هذا اليوم  
وأفقد معه ذا الزاريتين أبا الوليد بن زيدون أحد  
الثلاثة أكابر وزرائه المثناة وزارتهم عهد دولته  
أزيمه الفوز مع الحجاب على قية وعك متألما منه  
ولم يعنوه في التوقف لأجله ، فقصى لطيته مساقا إلى  
منيعه وخلف ولده أبا بكر الفد الوزارة المرتسة  
بالكتابة ، ورآه سادا مكانه بالحصرة ، فأقر فيها  
أيامها ، ثم أمر بالمسير وراء والده لأمر كلفه بمجل  
بالانطلاق له ، فقصى نجبه غداة يوم السبت لثمان  
خلون من المحرم سنة ثلاث وستين بعدها ، نخلت  
منهم منازلهم بقرطبة وصيرت إلى سواهم ، فتحدث  
الناس بسبق مكان الأدب ابن زيدون لدى السلطان  
وإن استسماكه لعل مرتبة بعد حصته المعتصم بالله .  
كان من المتمد على الله رعاية لخصوصية أبيه به  
يعص باستتارها فتناه المحتمان به الخطيان لديه  
المستهمان لخاصته ابن مرتين وابن عمار إلى أن عملا  
في إعادته وإساده إليه الرقيب بعده فأقصى حلقه ،  
فنعدها استساعا عصته ، واستهملا مكانه ، واحتويا  
على خاصة السلطان ، وتدير دولته ، ولكل دولة  
رجال ، ولكل مكتب إبدال ، ولم يطل الأمد لابن  
زيدون بعده لحاق امته به ، ووجدانه إياه متزايدا  
في مرصه ، نارعا عن الآفة على جهده في استدعائها  
على انتهاء المدة ، واتهاك القوة ، فاستقر به وحمه  
إلى أن قضى نجبه ، وهلك بدار هجرته اشبييلة  
صدر رح سنة ثلاث وستين ، فدون بها مشهودا  
مفتقدا ، واحتوى ترابها عليه ، فابعد ما بين قبره  
وقبر أبيه لديها رحمة الله عليهما فقد تولى من أبي الوليد  
كهل لن يخلع الدهر مثله جلالا وديانا وبراعة وسلطانا  
وظرفا وحولانا من مراتب البلاغة فظدا وبثرا بمروقة  
لم يخلف لها بعده عاتطا قرانه بين الكلامين ووراة  
في العنين إلا أن يكون عند أولى التحقيق والتحصيل  
في النظم أمد طلما، واحت عقاء فلا يلحقه فيه تقصير  
ولا ينجنى رهقا شهوده في الفنين عسودل مقانع  
حضور عهد أهل المعرفة ، ولما اتصل خبر هلكه  
بعشيرته أهل قرطبة شيعوه وبكرو لفقداه وحزنوا



رجاله نحر لمباد من رؤوسهم مائة وحسين رأساً ومن خيلهم مثلها فقص جناح قره وأفى حاداً رجاله ثم إن عباد أئردك جمع خلفاء خيله وقود عليها ابنه إسماعيل مع وزيره ابن سلام ، وخرج نحو بلاد ابن الأفطس يابرة وقد استدعى أيضاً ابن الأفطس خليفته إسحاق بن عبد الله فلحقت به خيله مع ابنه أبي الرمد أن جمع ابن الأفطس بقايا جيشه من هزيمتهم المتقدمة الذكر ، وأخرج كل من قدر على ركوب دابة من البياض بيلده وحشد من رجال البوادي

بمعه خلقاً كثيراً وأقل بحممه هذا المنحوب ليدفع خيل ابن عباد عن بلده يابرة ، وقد كان برابرة خليفته إسحاق في عسكره قالوا له لا تلهم فليست تعرف قدم من زحف نحوك ونحن رأيناهم وسمعنا بحمهم بإشيبيلة فلم يسمع منهم ومضى ، فالتقى المريقان من غير نزول ولا تمسة فاختلفوا واجتلدوا ملياً لحقق العاديون الضراء. وتاهوا الشدات لحاد البرابرة عند أصحاب إسحاق ، وانهمز ابن الأفطس وحمل السيف على جميع من معه ، فاستأصلهم القتل وقتل ولد إسحاق وحر رأسه وبث إلى إشيبيلة مع رأس ابن عم ابن الأفطس صاحب يابرة يدعي بمبيد الله الحرار ونحا ابن الأفطس في خيله إلى يابرة . قال أبو سروان وأقل ما سمعت في إحصاء قتلى هذه الوقعة ثلاثة آلاف فأزيد وأخبرني من أتق به أن طليوس بقيت خالصة الدكاكين والأسواق من استئصال القتل لأهلها في وقعة ابن عباد هذه بفتيان أعمار البلاء الشيوخ الكهول الذين أميدوا يومئذ فاستدلت على بشو المصيبة ، وجزع إسحاق بن عبد الله بمصاب ابنه ولم يستح لصد عباد في طلب رأس ابنه ، فإن عباداً أضاه إلى رأس جده محمد بن عبد الله بإشيبيلة انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام ولم يزل الرأسان عند آل عادم عدة رؤوس أمهتها الفتنة الميرة حتى تحت إشيبيلة على الأمير الأحلسير بن أبي بكر بنجي . بجواني مقفل محنوم عليه ، دأمر بفتحها ، لا يترك أنه مال أبو وخيرة فاذا هو ملوء

ما كان عليه من فكاكه فسكره في بردية الامام وكأنه وقار بديل أو شمام مع عدله في قضائه وإنفاذ الحكم بمقتضى الحق وإمضاءه حتى إذا راح الزواح طادوا إلى القصف وتجاروا في ميدانهم كل وصف إلى أن اختلس أبو بكر منها وقتل ذيل . ووافسته عنها ، فاعتاض عنه بسواء وأفاضاً فيما كانوا فيه وما تعدياه ، واتفق أن سر يوماً بقره في لمة من إخوانه وجماعة من عمار ميدانه فعمطوا عليه مسلمين ووقفوا عليه متأبين ، فقال أبو الوليد :

« يا قبره العطر الثرى لا سمدن

حلو من الفتيان فيك حلال »

وله :

« على داره الشرق مني تحية

ركت وهلى وادى المقيب سلام »

وله :

« خليلى لا فطر يسر ولا أضفى

فنا حل من أمسى مشوقاً كما أضفى »

وله يرثي :

« أعاد يا أوى الملوك لقد عدا

عليك زمان من سجيته الغدر . »

ونلع من خبر هذه الواقعة لمحة . قال أبو سروان في سنة اثنتين وأربعين وأرسامة أوقع ابن عباد بابن الأفطس إلى جنب يابرة ، وكان سبب هذه الحرب أن فتح ابن يحيى صاحب لبة يؤمئذ خليفة ابن الأفطس وإلى آل عباد للضرورة وكاشه ابن الأفطس وخانه فيما كان اتنته عليه من ماله الصامت عند ما حمله إليه ودية هند تورط في حرب ابن عباد قبل فأنبت بينهما المصبة ، وأرسل ابن الأفطس في ذلك الوقت خيله للضرب على ابن يحيى فاستنات عباد فأرسل إليه خيلاً منتاة فلحقت الحيل الأفطسية وهي قد شذت العارة على لبة ، فكرت عليهم إذ كانوا ضمههم واسترسلوا في اتباع العباديين ولا يشعرون ، فإذا بعباد بمحلمته في كبن قد خرج أئرم فدهشوا وولوا الأديار ، فركبهم السيف ، وبدل عباد المال في رؤوسهم ، وكانت تماعة خيل ابن الأفطس وأبطال

من الرؤوس فأهظم ذلك وماله ، وأسر برقع كل رأس منها إلى من بقي من عقبه بالحصرة . حدثني من رأى رأس يحيى بن علي الخوذي ثابت الرسم غير متكلم الشكل مدفع إلى بعض ولده مدفنه .

وقال ابن زيدون وابن جهور من قصيدة أولها :  
« أجل إن ليلى حيث أحيأوها الأزد

مهاة حتمها في مراضها الأسد »

وكان ابن جهور يومئذ كسر دنان الجر ، وكان أيضاً يومئذ مثل ذلك عبد الرحمن بن سعد المصفر شعر أوله :

« كسرت طبر الدين أوعية الجر

فأحررت حصل السبق في الكسرو الجير  
عمدت إلى الشر الذي حموا

ففرقت منه فاسترحنا من الشر . »

في أبيات غير هذه استبردت جلتها وإنما ذهب إلى عكس قول من تقدم من أعيان الشعراء من ذم صب الشراب ، ومن أشهره قول بكر بن حارثة الكوفي وقدرأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

« يا لقوى لقد حى السلطان

لا يكن للذى أهان الهوان . » الخ

وبلغنى أن الجاحظ أشد هذه أبيات ، فقال للمشدد من حق الفتوة أن أكتبها قائماً وما أقدر إلا أن يعدنى للعرس به ، قال المحدث فأحمدته ، وقام يكتسها ، وكان بكر بن حارثة هذا مولى بى أسد طيب الشعر خليفاً ماحداً ، وكان يألف هدهداً يأتيه كل يوم في موضع يسميه شراباً فلا يزال يشرب على صوته إلى أن يسكر ، وكان أيضاً يهوى غلاماً نصرانياً وهو القاتل :

« زفاره في خصره معقود

كأنه من كبدي مقدود . »

وبكر القاتل :

« قلبي إلى ما صرتني داعي

يكتر أسقامي وأوجاعي

كيف احتراشي من عدوى إذا

كان جدوى بين أسلامي . »

ولصالح ابن عبيد في ذلك :

« ليس همى ولا طويل انتحاني

لنصيب أزال عى شـبابي . »

رحع وقال ابن زيدون يرثي :

« انظر لحال السرو كيف تحال

ولدولة العلياء كيف تدال . »

وله من أخرى مما وحدته بخط ابن حيان يرثي أبا الحرم ابن جهور :

« ألم تر أن الشمس قد صها القمر

وإن قد كفنا فقدنا القمر البدر . »

وله من أخرى في هذا اللعروض ، وقد تكرر فيها بعض أبيات القصيدة الأولى ورثي بها أم أبى الوليد ابن جهور يقول فيها :

« هو الدهر ، فاصبر للذى أحدث الدهر

فن شيم الأحرار - في مثلها - الصبر . »

إلى أبيات غير هذه من سائر أبيات القصيدة استمر فيها بالتقديم والتأخير والتأنيث والتذكير رثي بها آخرها عبادا المعتصد ، وجعل أول قصيدته قوله :

« هو الدهر فاصبر للذى أحدث الدهر . »

ثم أتبعه بقوله :

« حياة الورى نهج إلى الموت مبيع

لهم فيه إيصاع كما يوضع السر . »

يتلاه أبوالوليد بهذه القصيدة تلاع الحظيطة بنسه ، ويتصرف تصرف أفى حنيفة في مدحه ، فأثوذكر وقدم فيه وأحر . قال أبو الاء :

« رب لحد قد صار لحداً مرارا

صاحكاً من تراحم الأضداد . »

وبلغنى أنه وجد لابن زيدون إثر موت عباد شعر يقول فيه :

« لقد سرنا أن النني موكل

بطاغية قد حم منه حمام

تحاسب صوب المزن عن ذلك الصدى

وسر عليه الليث وهو جهام . »

وقال يخاطب الوزير أبا عامر بن هبـدوس من قصيدته - ١١٩ -

ونخل من سيف الغدير  
 شيشة الظل الطليل  
 والروض ممتور تم  
 (م) عليه أنفاس القبول  
 والشمس نرمقها خلا  
 ل اليم عن طرف كليل  
 امان يحدو الرعد من  
 ورق السحائب كالخول  
 ويتركف البرق في الـ  
 آفاق مرهقة النصول  
 زمن سديكه الحما  
 م ممي وتذمل عن هديل  
 يا برق أودية الى (١)  
 تفديك نفس من رسول  
 عرج بشلب محيا  
 ماشئت من تلك الطلول  
 • والمع على شرفات حمـ  
 من قرارة الشرف الأنيـ  
 فاذا جلاك أبو الولـ  
 سد بناطر البقط النبيل .  
 فاقراه من قبلى سلا  
 ما يقتضى حسن القبول  
 يا غرة الزمن الهم  
 (م) وعزة الأدب القليل  
 وعحكم السلم القصـ  
 -ير على شبا الرمح الطويل  
 أعلمت أنى خادم  
 ذكراك بالشكر الجليل  
 لم أستعمل عما عهد  
 ت مع الزمان المستحيل  
 شفع عنايتك الحليـ  
 -لة بي لدى الملك الجليل

(١) وفي الأصل : أودية .

• « أثرت هزر الشرى إذ ربضى  
 ونهته إذ هذا فاعتض . »  
 ومما أغفله ابن بسام من لسب أى الوليد الصحيح  
 الأقسام ، النازح عن الاطماع والأوهام ، المصدق  
 قول الجفريه فيما يس من الإلهام قوله :  
 « لئن قصر اليأس فيك الأمل  
 وحال تخنيك دون الجبل . »  
 وقوله أيضاً :  
 « فديتك ليس لى قلب فأسلو  
 ولا نفس فآنف إن جفيت . »  
 وقوله :  
 « أنى أصمىع عهدك  
 أم كيف أحلف وعدك ؟ »  
 ولأبى بكر بن عمار مخاطب أبى الوليد بن زيدون  
 رحمهما الله :  
 « كيف اعترزت على الدليل  
 وقطعت أسباب الوصول  
 وقتلتى ، وزعمت أن  
 الدن مى للقتيل  
 وعليك حاهدت المدا  
 ولالك ملت عن العذول  
 يا فاتلى ومداى  
 فى صفحتى أهدى دليل  
 ما ألقى الفمل الجليـ  
 ل بذلك الوجه الجبل  
 فبرزت فى خلق الكريـ  
 -م وراعه خلق البخل  
 ودعوتى حتى أجة  
 -تك ثم حدث من السيل  
 جد بالقليل فأت قد  
 . مى ملك تقنع بالقليل  
 واذكر حلى زمن قطعنا  
 . بصافية شمول  
 إذ لسحب الأذيال ما  
 . بين الخولح إلى النخل

وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطة منتدئ  
لأحرار المصر ، ومناوفا ملبأ لجياد النظم والنثر  
يشو أهل الأدب إلى صوء غرتها ، وبتهالك أفراد  
الشعراء على حلاوة عفرتها ، إلى سهولة حبابها ،  
وكثرة منتابها ، تخطط ذلك بملوئ صاب ، وكرم  
انساب ، وطهارة أثواب ، على أنها سمح الله لها ،  
وقد زلها ، طرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول  
فيها السبل ، لفلة مالانها ، ومجاهرتها بلذاتها ، كتبت  
- زعموا - على أحد عاتق ثوبها :

« أنا والله أصلح للمعالى

وأمشى مشيق وأنيه تيبا . »

وكتبت على الآخر :

« أمكن عاشقي من ثم خدى

وأعطى قلبى ، من يشتهبها . »

هكذا وحدث هذا الخبر ، وأبرأ إلى الله من عهدة  
ناقله ، وإلى الأدب من غلط الغفل إن كان وقع فيه ،  
ولها مع أبي الوليد أحبار طوال وقصاريقوت إحساؤها  
ويشق استقصاؤها - وأما ذلك خاطرها ، وغرارة  
نوادرها ، فأية من آيات فاطرها - مرث بالوزير  
أبى حامر بن عبدوس المتقدم الذكر ، وكان بقرطة  
أحد أعيان مصر ، وبمع من هذى بأسها ، وقصر  
على حكمها ، وأمام داره بركة تتولد على كثرة  
الأمطار ، وربما استمدت بشيء مما هالك من الأقدار  
وقد نمر أبو حامر كيه ، ونظر في عطفيه ، وحمر  
أخوانه إليه ، فقالت له أبا حامر :

« أنت الحبيب وهذه مصر

تصدقنا ، فكلا كما بجر . »

فركته لا يغير حرفا ، ولا يرد طرفا ، وطال عمرها  
وعمر أبى حامر حتى أريا على الثمانين وهو لا يدع  
مراسلتها ، ولا ينفل مواصلتها - وتحيف هذا  
الدهر المستطيل حال ولادة ، فكان يحمل كلما ،  
ويرقع ظلها ، على خوف واديه ، وخود روائحه  
وغواديه ، أتراجيل إقواء ، وطلقا من الظرف جرى  
إليه حتى استوفاه - وكانت يزعموا - تعرض أليأتامن  
الشعر ، وقد قرأت أشياء منه في بعض التماثيل  
أضربت عن ذكره ، وطوبته بأسره ، لأن أكثره

ولئن أحببت لأغب  
وأقلت عثرة مسـتـعـيـل

يا ألس بدر فى الطلا

م وبدر ظل فى المقيـل

فلحكم أتيت بمثلها

- وى الصنمة - فى مثل . »

ولابن زيدون يتنزل فى ولادة :

« يا تازحا وصمير القلب مشواه

أستك ديناك عبدا أنت مولاه . »

وله ينشوق إليها :

« غرب بأرض الشرق يشكر للصبا

نحملها منه السلام إلى النرب

وما ضر أنفاس الصبا فى احتالها

سلام ففى يديه حمى إلى قلب . »

وله :

« أيوحشى الرمان وأنت أذى

ويظلمنى النهار وأت شسى . »

وله :

« ولقد شكوتك بالصبر إلى الهوى

ودعوت من حلق عليك فأمتا . »

وله يتنزل ويمعان ويسعط ويستزل :

« يا مستحظا بمأشقيه ومستمشا لنا محبه . »

وكتب عن المعتضد إلى صهره الموفق أبى الحيوش

ابن مجاهد :

« هرفت عرف الصبا لذهب عطره

من ألقى من أنا فى قلبى أشاطره

أراد تجديد ذكراه على شحط

وما يقن أث الدهر ذا كره

نأى الزوار به والدار دانية

يا حبذا القال لو صحت زواجه

خلى أبا الجليش هل يقضى اللقاء لنا

فيشنى منك قلب أنت هاجره . »

قال ابن بسام : وأما ولادة التى ذكرها ابن زيدون

فى شعره فإنها بنت محمد بن عبد الرحمن بن هيد الله

التنصرى ، وكانت فى نساء زمانها واحدة أو أنها

حضور شاهد ، وغريرة أوابدى وحسن منظر وعجز

ليس له عندى إعادة ولا إبداء ، ولا من كتابى  
فى أرض ولا سماء . ونسبى هنا بغيره من أخبار  
أيها المستكى مدا لأطباب الآداب ، ووفاء بفرط  
الكتاب ، نسخته من كتاب ابن حبان :

هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الناصرى ، يبيع يوم  
قتل عبد الرحمن المستظهر يوم السبت ثلاث خلوف من  
ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، فسمى  
بالمستكى بالله ، اسماً ذكر له فاختره لنفسه ، وحكم  
سوء الاتفاق به لمساكنته لعبد الله المستكى العباسى  
أول من تسمى به فى اسمه ووهنه وتخلفه وضمفه  
بل كان هذا زائداً عليه مقصراً عن خلال ملوكية  
كأت والمستكى سببه لم يحسنها محمد هذا لفرط  
تخلفه على اشتباههما فى سائر ذلك كله من نوبتهما  
بالفتنة ، واستظهارهما بالفسقة ، واعتداء كل منهما  
على ابن عم دى رحم ماسة ، وتوسط كل منهما  
فى شأنه بإمرأة خبيثة ، لذلك حسنه الشيعة ،  
ولهذا ابنة عسرى المروزية ، فأصبحت فى ذلك على  
فرط التباين عبرة ، وقال صاحب قط العروس :  
ومن عجب اتفاقهما فى الأخلاق ، وفى السر والقلب  
وأن كل واحد منهما خلق عن الأمر ، وكل واحد  
منهما تركه أبوه صغيراً ، ولم يكن محمد من هذا  
الأمر فى ورد ولا صدر ، إنما أرسله الله على الأمة  
محنة وبليّة ، إذ كان منذ عرف غفلا غفلاً منقطعاً إلى  
البطالة ، مجولاً على الجهالة ، عاطلاً عن كل خلة تدل  
على فضيلة ، عضته الفتنة فأملق حتى استجاز طلب  
الصدقة ، وهان حتى أماته أهله على ما لم من الهمة  
وأيته - أيام الحسف بأهل بيته فى الدولة الحمدية ، ولم  
يكن ممن لحقه الاعتقال منهم لراكته - يقصد أهل  
الصلاح يومئذ بقرطبة أوائل منهم لثلاثهم يسألهم  
من زكاتها فكلمها ومخاطبة ، وبالجلسة فى تلخيص  
التعريف بأمره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس  
فى الإمارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ولا أقص إذ  
لم يزل معروفاً بالتلف والركاكة ، مشتهراً بالشرب  
والبطالة ، وسفهم السر والعلانية ، أسد الشهوة ،

عاصر الحلوة ضد القتيبة عبد الرحمن المستظهر فى  
الأدب والمعركة ، وكان انتزع هذه السنة المؤرخة  
القاسم بن حود بخلافته وأخرها محمد هذا المذكور  
وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر فتصرمت تلك السنة  
المكررة على ثلاثة خلفاء ، وهذا من غريب الأنباء  
ولله البقاء المرمدى ، وقد محمد هذا الأمر ولم يكن  
من أهله ، فتلقى جميع الناس بالإيثار واستمالهم  
بالأهوية ، ورأى أن المال عزيز ، وأن البشر  
رخيص يقوم مقامه ، وينوب منابه ، وكان يقول  
لنفس أجمعين ، ارتعوا كيف شئتم ، وارتسوا بما  
أحببتم من الخلفاء فسمى بالوزارة فى أيامه مفردة  
وشاة أراذل الدائرة ، وأخابت النظار مصلاً من  
زعامت الكتاب والخدمة ، وأما المردة العليا  
ومادونها من رفيع المنازل ، فخابها كثير من التجار  
والعامّة ، وأثال الناس على ابتداء هذه المارل عند  
السلطان بالطامعية فى كرة الدولة ففتروا به ، وعمرها  
فثاء ، وتعلوا بالثنى ، فلما استبانوا ضعفه رفضوا  
خطتهم ، وتبرأ كثير منهم منها ، وأسم أنه لم  
يتقلدها ولا سيما عند تكرار التقييط عليهم للرامة  
هتد إلحاح الإضافة ، فجرت لبعضهم عد الانتفاء عن  
تلك الخطط نوادر ظريفة - مسحة - وانتهى هذا  
التنويه العام بهذا السلك الهام إلى أن فصله أيضاً  
فى طبقات أهل العلم فأسمهم منهم الفقهاء فأسر العلية  
منهم المشاورين أصحاب الفنون بالارقاء إلى خطة  
الوزارة خالطاً لهم فيها بما ذكرناه من زعامة  
الخدمة وكبار الدائرة ، وجاء فى ذلك بطامة لم تسمع  
فى العصر الحالية فأخطأوا وألحقوا بالدين وهجته ،  
وطلبوا زيادة المتلى على العامة ، فافتقروا بهتفه  
الخطه وشدوا أيديهم عليها ، وهجروا من حظهم فى  
الخطاب عنها مقرعين بما إجاب من ذلك إلى أن  
هضوا لسيولهم ، وارتقى للمستكى أيضاً بكثير ممن  
يحمل الحمار ، ويدرس مسائل الدفاتر ، من أصافر الطيف  
الفقيرة إلى طابفت عليهم من مثالة الشورى ، فوسم  
كلهم بوسم الفتوى فأسرف فى ذلك حتى بلغ عددهم

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر عيره ، أقبلت بقدر  
كاله صيب ، وردف كالكتيب ، وقد أظقت نرجس  
المقل ، على ورد الحجل ، فلما إلى روض مديح ، وماء  
سحج ، قد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل  
أنهاره ، ودرّ الطلّ مشور ، وجيب الراح مزورور  
فلما شبها نارها ، وأدركت فينا نارها ، برح كل منا  
بجبه ، وشكا إليه ماقله ، وبتنا بيلة نحي الحوان  
الثور ، وتقطف رمان الصدر ، فلما انفصلنا منها  
صاحاً ، أنشدتها ارتياحاً :

« ودع الصبر مح ودع

دائماً من سره ما استودعك . »

قال أبو الوليد وكانت عتة قد غننا :

« أحببتنا إلى لفت مؤملى

وساعدنى دهرى وواصلنى حي

وحاء يهيبى البشير قهره

فأعطيتني نفسى ، وردتله قلبي . »

سألها الإعادة سير أمر ولادة ، لجفا منها برق  
التبسم ، وبدا عارض النجوم ، وعابت عتة :

« وما ضرت حتى لدن أتت به

ولكنما ولادة اشتت ضربي

فقامت تجر الدبل عائرة به

وتسمح طل النعم بالنم الرطب . »

فبتنا على العتاب ، من غير اصطداب ، ودم الدمام  
مسفوك ، وما بدا للهو متروك ، فلما قامت خطاه  
الأطيار ، على منابر الأشجار ، وانفت من الاعتراف  
وبأكرت إلى الانصراف ، وشت بمسك الأقاس  
على كافور الاطراس :

« لو كنت تنصف في الهوى ماينتنا

لم تنو جاريتى ولم تنعير

وتركت غصناً مشراً بجحاله

وجنحت للفنن الذى لم يشر

ولقد علمت بأبنى بدر السما

لكن دهرت لشقوتى بالمشتري . »

بقرطة يومئذ الأربعين ، وذلك مما لم يبعد في  
الفانين ، وكثر الإوجاف بتعب رجال الدائرة ،  
فاصطرت قرطة لكثرة ماينها من المردة ، ففض  
على جماعة من بنى عمه وحاشيته منهم على بن أحمد  
ابن حرم وابن عمه عبيد الوهاب المتقدمى الذكر  
سجوا بالمطوق ، ثم عاجل المستكى ابن عمه عبدالعزيز  
العراق غنق وأمسى ميتاً وصاه إلى الناس فلم يسهل عليهم  
اعتناله ، وفي أيام المستكى هذا استوصل بقية قصور  
حده الناصر بالخراب ، وطست أعلام قصور  
الرهاء ، واقتلع نخاس الأبواب ورماس الفى  
وعبر ذلك من الآلات ، فطوى بجرها ساط الدنيا ،  
وتعب حسنها إذ كانت له جبة الأرض معداً عليها قبل  
تمام المدة من كان أصعب قوة من فارة الملك ،  
وأوهس بيتنا من بقعة الفروء ، والله يسلط جوده على  
من يشاء له العزة والجهرة ، فلما كانت سنة  
ست عشرة وتحرك يحيى بن حود إلى قرطبة ، وضعف  
أمر المستكى ، اتفق الملأ على خله ودخلوا عليه  
وقالوا : لقد علم الله اجتهدنا في تثبيتك ، فاعتاس  
ذلك علينا ، واضطررنا إلى مقاربة عدونا وهانص  
حارجون إليه ، ولا ندرى ما يحدث عليك بعدنا  
فإن لك الكربة فلا تياس ، فع اليوم غد ،  
فأجل الرد ، واستشعر الدل ، واهتسل  
الفره ، وعزم على الهرب ، فخرج على وجهه  
وقد لبس ثياب المانيات ، متنقباً بين امرأتين لم يميز  
منهن لمراسه على التحيث ، وخرج عن قرطبة ،  
فات باقليس ، فكانت دولته تسعة عشر شهراً  
صمماً نكدات سوداً مشوهات مشفومات انتهى  
ما لحصته من كلام ابن حيان . قال أبو الوليد :  
كث في أيام الشباب ، وغمره التصانى هائماً صادة  
تسمى ولادة ، فلما قدم القاء ، وساعد القضاء  
كتبت إلى :

« ترقب إذا جن الظلام زيارتى

فإني رأيت الليل أكرم للسر

وبنى ملك ما لو كان بالبر ما بدا ، -

وبالشمس لم تطلع ، وبالنجم لم يسره . »

## صفحات من كتاب نفح الطيب

وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب (التبيين) في حلفاء بني أمية بالأندلس على منزع كتاب (اليقين) في حلفاء الفرق للسمودي .  
ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يقل مع طولها في النسب أرق منها وهي التي يقول فيها :

« كأننا لم نبت والوصل ثالثا

والسعد قد غص من أجفان واشنيا

سران في حاطر العلماء يكتما

حتى يكاد لسان الصبح يفشينا .

وهل شأ عذكم من النساء مثل ولاده الروانية التي تقول مداعبة للوزير ابن زيدون ، وكان له غلام اسمه علي :

« ما لابن زيدون على مصله

يتبايى طلباً ولا دنب لي

يعط لي شزراً إذا جئتـه

كأنما حث لأحصى علي . »

ومن حكايات أهل الأندلس في حلج المذار والطرب والطرف وغير ذلك كسرعة الارتحال ما حكاه صاحب (بدائع البداهة) قال :

أخبرني من أتى به بما هذا معناه -

قال : « خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ، ومعهما الوزير ابن خلدون من إشبيلية إلى منظره لبي عباد لموضع يقال له (الفنت) تحف به مروج مفرقة الأنوار ، متنسفة الأعجاد والأفوار ، متنسفة من شور النوار ، في زمان ربيع سقت الأرض السحب فيه بوسيتها ووليا وجلتها في زاهر ملبسها وباهر حليها ، وأرداف الربى قد تآزرت بالأرز الخضفر من نباتها وأجباد الجداول قد نظم النوار فلأئده حول نباتها ، وبجاصر الزهر تظفر أردية السنام عند هباتها ، وهناك من البهار مايزهر على مدام النصار ، ومن النرجس

الريان ، مايزر أنبوا عس الأجفان ، وقد نووا الافراج للهو والطرب والتزهر في روضى النبات والأدب ، وشوا صاحباً لهم يسمى ( خليفة ) هو قوام لنتهم وهطام مسرتهم ليأتهم ببديد يدهبون لهم بدديه في لجين زجاجة ، ويرونه منها بما يقتضى بتحريكه للهرب عن القلوب وإزجاجه ، وجلسوا لانتظاره ، وترق عوده على آثاره ، فلما نصرخوا به مقبلا من أول انفع بادروا إلى لقاءه ، وسارخوا إلى نحوه وتلقاه ، وانفق أن فارساً من الجد رك فرسه صدمه ، ووطأ عليه بهتتم عطيه ، وأجرى دمه وكسر قصال اللبذ الذي كان معه ، ومرتق من شلمهم ما كان الدهر جمعه ، ومضى على غلوائه واكضاً حتى خفى عن العين حائفاً من متعلق به يحين بتلقه الحين ، وحين وصل الوزراء إليه تأسفوا عليه ، وأاصوا في ذكر الزمان وعدوانه والخطب وألوانه ، ودخوله بطوام المضرات على تمام السررات وتكديره الأوث للسمات بالآفات المؤلمات ، قال ابن زيدون :

« ألهو والختوف بنا مطيه

وبأمن والنون لنا محيفه . »

فقال ابن خلدون :

« وفي يوم وما أدراك يوم

مضى قصالاً ومضى حليفه . »

فقال ابن عمار :

« هما تغارتا راح وروح

تكرنا فاشقاق وجيفه . »

وكتب الوزير الشهير أبو خالد ابن ريدرت إلى الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز أثر صدوره عن بلنسية .

« راحته فصيح بها السقيم . . . » الأبيات

ولما ورد إشبيلية نزل بدافع الوزير الكاتب ذي

فهى وإن اشتهرت بالمرق والمغرب لم يذكر جلتها  
إلا القليل ، وقد كنت وقت المغرب على تسديس  
لها لبعض علماء المرب ولم يحضرنى منها الآن إلا قوله  
فى المطلع :

« ما للميون بسهم المنج تصميها  
ومن قطاف جى الأعطاف تعميها  
تألف كانت يعميها ويعميها  
تمرق عاك فى شمل الحميها  
أضفى الفراق بديلا ..... الخ  
وما أحسن قوله فى هذا التسديس :

« ما للأحسة دانوا بالنوى ورأوا  
تمويس عهد الاقا بالبعد حين تأوا  
رعاهم الله كانوا للعمود رعوا  
فغيرتم وشاة بالسداد سموا  
غيط العدا من تصافينا الهوى فدعوا  
بأت بغض فقال الدهر آمينا . »

وقد ذكرنا فى الباب الرابع موشعة ابن الوكيل  
اللق وطأ فيها لوية ابن زيدون هذه فلتراجع -  
رجع - وقال ذو الوردتين ابن زيدون يتنزل :  
« وصح الصبح للمين ..... » الأبيات  
وعاش ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها فى غير  
هذا المجلد . وسألت حاربه من حوارى الأندلس  
دا الوردتين أنا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت  
أنشدته لياه وهو :

« يا عطشى عن وصال كنت وارده  
هل ملك لى غله أن صحت واعطشى . »  
وكانت الجارية المذكورة تتشقق فنى قرشياً والوزير  
يعلم ذلك وهى لاتعلم أنه يعلم ، فقال :  
« كدوتنى من ثياب السقم أسبغها ظلماً  
وصيرت من لحف الضنا فرمى  
..... » الأبيات

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته  
وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس هذه منصرفهم  
من الجنازة لينشكر لهم ، فقيل إنه ما أعاد فى ذلك  
الوقت عبارة قالها لأحد .

الوزراتين . أبى عامر بن مسلمة ، وهو يبنى مجلساً ،  
فصنع أبياتاً كتبت فيه :  
« عمر من يعمر ذا المجلسا ..... » الأبيات  
وقال فيه أيضاً :

« ادوها فقد حسن المجلس ..... » الأبيات  
وكتب إلى الورير أبى العالى الملقب بن عامر يستدعيه :  
« طابت لنا ليلتنا الحالية ..... » الأبيات  
وكتب إليه ذو الوردتين أبو عامر المذكور معاناً :  
« تباعدنا على قرب الجوار

كأننا صدنا شحط المزار  
تطلع لى هلال المحر بدرا  
وصار هلال وصلاك فى سرار  
وشاع شنيع قطعك لى بوصلى  
ههلا كان ذلك فى استتار  
أيمحل أن ترى عى صوراً  
فأصبح مولدا دون اصطبار

وكت أريد سمك من هتاني  
ولكن عافى فرط الحمار  
مراع مودتى واحفظ حوارى  
فإن الله أوصى بالحوار  
وزدنى منعماً من غير أمر  
وأسس موحشاً من عقر دار . »

وكتب إليه ابن زيدون :  
« هوى وإن تامت علك دارى ..... » الأبيات  
وكان أبو العطاء إذا ورد إشبيلية رسولا قد سأله  
أن يربه شيئاً من شعره فطلبه به حتى كتب إليه  
شعراً يستطاعه ، فأجابه ابن زيدون فى العروض  
والقفائية :  
« أفدتنى من نفائس الدرر ..... » الأبيات  
وهى أكثر مما ذكر . وكتب ( أعنى ذا الوردتين  
ابن زيدون ) إلى ولادة :

« أضفى التناثى بديلا من تداينا ..... » الأبيات  
ولمّا ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ،  
ولأن كثيراً من الناس لا يذكر جلتها ، ويظن أن  
ما فى القلائل وغيرها منها هزجياً وليس كذلك



## ابن جهور

قال في المطمح :

الوزير الأجل أبو الحزم جهور بن محمد  
ابن جهور ، ونو جهور أهل بيت وزارة  
اشتهروا كاشتهار ابن هيرة في فزاره ،  
وأبو الحزم هذا أمجدهم في المكرمات ،  
وأنجدهم في الملمات - ركب متون الفنون  
فراضها ، ووقع في بحور المكن نغضها ،  
منبسط غير منكمش ، لا طائش اللسان ولا  
رعش ، وقد كان وزير في الدولة العاصرية  
فشرفت بجلاله ، واعترفت باستقلاله ، فلما  
انقرضت ، وعافت العائن واعترضت ، تحيز من  
التدبير مدتها ، وخلي لأخلافه تدبير الرياسة  
وشدتها ، وجعل يقبل مع أولئك الوزراء  
ويدبر غير مظهر للأفراد ، ولا متصرف في  
ميدان ذلك الطراد ، إلى أن بلغت الفتنة  
مداها ، وسوَّعت ما شامت رداها ، وذهب  
من كان يجد في الرياسة وينجب ويسعى في  
الفتنة ، ولما ارتفع الوبال ، وأدبر ذلك الاقبال  
راسل مستمدا بهم ومعتمدا على بعضهم تخيلا  
منه وتمويهها وتداها على أهل الخلافة وذويها  
وعرض عليهم تقديم المعتمد هشام وأومض  
منه لأهل قرطبة برق خلبه يشامقة بسرعة  
التياثها ، وتجميل انتكاثها ، وأجابوا إلى  
دعائه ، وأجابوا إلى استدعائه ، وتوجهوا مع  
ذلك الامام ، وألوا بقرطبة أحسن المام ،

فدخلوها بعد فتن كثيرة ، واضطرابات مستتيرة  
والبلد مقفر ، والجلد مسفر ، فلم يبق غير يسير  
حتى نبذ واضطرب أمره نخلع ، واختطف  
من الملك وانتزع ، وانقضت الدولة الأموية ،  
وارتفعت الدولة العلوية ، واستولى على قرطبة  
عند ذلك أبو الحزم ، ودبرها بالجد والعزم ،  
وضبطها ضبطا آمنا حافظها ، ورفع طارق  
تلك الفتنة وطائفها ، وخلاله الجوق فطار ،  
واقضى اللبانات والأوطار ، فعادت له قرطبة  
على أكل حالها ، وانجلي به نور جلالها ، ولم تزل  
به مشرقة ، وغصون الآمال فيها مورقة إلى  
أن توفي سنة ٣٥٤ هـ فانتقل الأمر إلى ابنه  
أبي الوليد ، واشتمل منه على طارف وتليد ،  
وكان لأبي الحرم أدب ووقار وحلم سارت بها  
الأمثال وعلم المثل ، وقد أثبت من شهره  
ما هو لائق ، وذلك قوله في تفضيل الورد . .

« الورد أحسن ما رأت عيني وأذ  
كي ما سقى ماء السحاب الجائد  
خضعت نواوير الرياض لحسنه .

فتذلت تنقاد وهي شواهد  
واذا تبتدى الورد في أغصانه  
يزهو فذا ميت وههنا حاسد .

وأذا أتى وفد الربيع مبشرا  
اطلوع صفحتي فنعنم الوافد

ليس المبشر كالمبشر باسمه  
خبر عليه من النبوة شاهد  
وإذا تعرى الورد من أوراقه  
بقيت عوارفه فهنّ خوالده .



وقال صاحب كتاب المجب :  
ولما انقطعت دعوة بني أمية كما ذكرنا

بالأندلس ، ولم يبق من عقبهم من يصلح  
للامارة ، ولا من تليق به الرياسة استولى  
على تدبير ملك قرطبة جهور بن محمد بن  
جهور ، ويكنى أبا الخزم ، وقد تقدم ذكر  
نسبه في ترجمة هشام ، وأبو الخزم هذا  
قديم الرياسة شريف البيت كان آثؤه وزراء  
الدولة الحكيمة والعامة ، وهو موصوف  
بالدهاء ، وبعد العور ، وحصافة العقل ،  
وحسن التدبير ، ولم يدخل من دهانه في العفن  
الكائنة قبل ذلك وكان يتصان عنها ، ويظهر  
النزاهة والتدين والعفاف ، فلما خلا له الجوّ  
وأصفر الفناء ، وأقفر النادى من الرؤساء  
وأمكنته الفرصة وثب عليها فتولى أمرها ،  
واضطلع بحمايتها ، ولم يقتل إلى رتبة الامارة  
ظاهرا جريا على ما قمتنا من إظهار سنن  
العفاف بل دبرها تديرا لم يسبق إليه ، وذلك  
أنه جعل نفسه ممسكا للوضع إلى أن يحجى  
من يتفق الناس على إمارته فيسلم إليه ذلك  
ورتب البوّابين والحشم على تلك القصور  
على ما كانت عليه أيام الدولة ولم يتحول ممن  
دلره إليها ، وجعل ما يرتفع من الأموال

السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو  
المشرف عليهم ، وصير أهل الأسواق جندا له  
وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم  
محصة عليهم يأخذون ربهماء رؤوس الأموال  
باقية محفوفة يؤخذون بها ويراعون في كل  
وقت كيف حفظهم لها ، وفترق السلاح  
عليهم ، وأمرهم بتفرقة في الدكاكين والبيوت  
حتى إذا دهمهم أمر في ليل أو نهار كان  
سلاح كل واحد معه حيث كان من بيته أو  
دكانه ، وكان أبو الخزم هذا يشهد الجمار ،  
ويعود المرضى جاريا على طريقة الصالحين ،  
وهو مع ذلك يدبر الأمور تدبير الملوك  
المتعبلين ، وكان آمنا وادعا وقرطبة في أيامه  
حرما يأمن فيه كل حائف ، واستمرت أمراءه على  
ذلك إلى أن مات في عرّة صفر سنة ٤٣٥ هـ  
فكانت مدة تديره منذ استولى إلى أن  
مات أربع عشرة سنة وأشهرها ، ثم ولى  
ما كان يتولى من أمر قرطبة بعده ابنه  
أبو الوليد محمد بن جهور ، جري في السياسة  
وحسن التدبير على سنن أبيه غير نخل بشيء  
من ذلك إلى أن مات أبو الوليد المذكور في  
سليخ شوال من سنة ٤٤٣ هـ فعلم عليها بعد  
أمور جوت - الأمير الملقب بالمأمون ابن ذى  
النون صاحب طليطة فديرها مدة يسيرة  
إلى أن مات ، وخلف فيها بعده من البربر  
رجل يعرف بابن عكاشة أطلق اسمه موسى ،  
فكان بها إلى أن غلبه عليها وأخرجه منها  
الأمير الظاهر بمحول الله أبو القاسم محمد بن

وثب عليها فتولى وقام بحمايتها ، ولم ينتقل إلى رتبة الأمانة ظاهرا بل رتبها ودبرها تدييرا لم يسبق إليه ، وأظهر أنه حام للبلد إلى أن يجيء من يستحقه ، ورتب البوابين والحشم على أبواب قصور الامارة ولم يتحول عن داره إليها ، ودعا ما يتحصل من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم له .

وكان جهور يشهد الجارة ، ويعود المرضى ، ويحضر الأفراح على طريق الصالحين ، وهو مع ذلك يدبر الأمور تدير الممالك ، وكان مأمون الجانب فأمن الناس في أيامه ، وبقي كذلك إلى أن مات سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، وقام بأمرها بعده أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير إلى أن مات .

### بنو عباد

• أما أحوال إشبيلية فالحال كانت في طاعة الفاطميين أعنى علي بن جود ، والقاسم بن جود ، ويحيى بن علي بن جود أيام كان الأمر دائرا بينهم على ما تقدم ذكره . فلما زحف يحيى بن علي بالبر إلى قرطبة وهرب القاسم بن جود منها ، وقصد إشبيلية ، وقد كان ابنه محمد والحسن مقيمين بها أجمع أمر أهل إشبيلية ، واتفق رأيهم على إخراج محمد والحسن عنها قبل وصول القاسم أيهما فأخرجوهما ، وجاء القاسم فنعوه دخول البلد أيضا ، واتفقوا على تقديم رجل منهم يرجع إليه أمرهم ، وتجمع به كلهم فتوارد

عباد على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى . فهذا آخر أخبار قرطبة وكونها دارا للملك وبعدغلبة المعتمد عليها صارت تبعالا شيبيلة .

### جهور (١)

جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله ابن محمد بن العمر بن يحيى بن عبد الغافر بن أبي عبدة رئيس قرطبة ، يكنى أبا الحزم . روى عن أبي بكر عباس بن المهذاني ، وأبي محمد الأصيلي ، والقاضي أبي عبد الله بن مفرج ، وأبي القاسم خلب بن القاسم ، وأبي يحيى زكريا بن الأشج وغيرهم . وسمع منهم وأخذ العلم عنهم ، وقد أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن محمد بن عتاب العقبي ، فقال حدثنا ثقة من الشيوخ الأكابر ، وهو يعني أبا الحزم هذا ، ثم صار تدير أهل قرطبة إلى أبي الحزم هذا فألقبها بالرياسة فيها ، إلى أن توفي يوم الخميس لسبع بقين من المحرم من سنة ٣٥٥ هـ ودفن بداره ، وصلى عليه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور متولى الأمر من بعده ، وكان سنة يوم وفاته لإحدى وسبعين سنة ، وكان مولده أول المحرم سنة ٣٦٤ .

أما قرطبة فاستولى عليها أبو الحسن جهور بن محمد بن جهور ، وكان من وزراء للدولة العاصرية ، موصوف بالدهاء والعقل ، ولم يدخل في شيء من الفتن قبل هذا بل كان يتصاون عنها ، فلما خلا الحق وأمكنته الفرصة

وأجابوه إلى ما أراد ، ولم يزل يدبر أمر  
إشبيلية ، وهؤلاء المذكورون من وزرائه ،  
وكان له من الولد إسماعيل وهو الأكبر يكنى  
أبا الوليد وعباد يكنى أبا عمرو ، فأما إسماعيل  
فخرج إلى لقاء البربر بعد أن حدث لأبيه  
أمل في التعلب على ما كان البربر يملكونه  
من الحصون القريبة من إشبيلية بعسكر من  
جند إشبيلية ، فالتقى هو وصاحب ضهاجة ،  
فأسلمت إسماعيل عساكره ، وكان أول قتيل  
وقطع رأسه وسير به إلى مالقة إلى إدريس  
ابن عليّ الفاطمي كما تقدم ، وبقي الأمر  
كذلك ، والقاضي أبو القاسم يدبر الأمور  
أحسن تدبير ، وكان صالحا مصلحا إلى أن  
مات في شهر رست ٤٣٩ .

اختيارهم بعد محض الرأي وتنقيح التدبير  
على القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن  
عباد اللخمي لما كانوا يعلمونه من حصافة  
عقله ، وسعة صدره ، وعلوّ همة ، وحسن  
تدبيره ، فعرضوا عليه ما رأوه من ذلك ،  
فتهيب الاستعداد ، وخاف عاقبة الانفراد أولا  
وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم  
رجالا يساهم لهم يكونون له أعوانا ووزراء  
وشركاء لا يقطع أمرا دونهم ، ولا يحدث  
حدثا إلا بمشورتهم ، وهؤلاء المسمون هم  
الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ،  
ومحمد بن يريم الالهاني ، وأبو الأصع عيسى  
سجاج الحضرمي ، وأبو محمد عبد الله بن عليّ  
الموزني ورجال آخرون ذهبت عن أسمائهم  
ولا أعرف قبائلهم وبيوتهم ، ففعلوا ذلك

### صفحات من كتاب العيني (١)

عن مقاومته فأخرجوه ، فاستدعاه القاضي  
أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد  
إليه بأشبيلية ، وأذاع أمره ، وقام  
بنصره ، فسار إليه وقام بواجبه ، وكتب  
بظهوره إلى ملوك الأندلس فأجاب أكثرهم  
وخطبوا له ، وجرت بيعته في المحرم سنة  
تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم إن عباد سير  
جيشا إلى زهير العامري بأنه يخطب للوئيد  
فاستنجد زهير حيوس بن مكر الصنهاجي

وأما إشبيلية فاستولى عليها قاضيا محمد  
ابن إسماعيل بن عباد اللخمي ، وهو من  
ولد النعمان بن المنذر ، وفي هذا الوقت  
ظهر أمر المؤيد هشام بن الحكم ، وكان  
قد اختفى وانقطع خبره ، وكان ظهوره بمالقه  
ثم سار منها إلى المريّة ، فخافه صاحبها زهير  
العامري وأخرجها منها ، وقصد قلعة رياح  
فأطاعه أهلها ، فسار إليهم صاحبها أول  
إسماعيل ذي النون ، فخار بهم وضعفوا

وتلاحق بجرير أصحابه وأشياعه ، وترك الظافر ملقى على الأرض ، فرّ عليه بعض أهل قرطبة فأبصره على تلك الحالة فزنع رداه وألقاه عليه ، وكان أبوه إذا ذكره يمثّل بهذا البيت :

« ولم أدر من ألقى عليه رداه

سوى أنه قد سل عن ماجد محض . »

ولم يزل المعتمد يسعى في أخذها حتى عاد ملكها إليه وترك ولده المأمون فيها فأقام بها حتى أخذها يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد حروب كثيرة أتى ذكرها إن شاء الله تعالى وأخذت لإشبيلية من أبيه المعتمد ، وبقي مسحونا في أغصان إلى أن مات بها ، وكان هذا وأولاده جميعهم - الرشيد ، والمأمون ، والراضى ، والمعتمد ، وأبوه ، وجدّه علماء شعراء -

## ملوك الطوائف (١)

بقلم الأستاذ نيكلسون

تفرقت امبراطورية عبد الرحمن الثالث العظيمة ، وظهر على أنقاضها عدّة ممالك صغيرة « دويلات » أنشأتها الظروف والمصادفات ، وكان يحكمها بعض القادة المظفرين .

وقد أحسن نيكلسون في تشبيه تاريخ إسبانيا في القرن الحادى عشر الميلادى

صاحب غرناطة ، فسار إليه بجيشه فعادت عساكر ابن عباد ، ولم يكن بين العسكرين قتال ، وأقام زهير ببأسه ، وجاء حيوس إلى مالقة فمات وولى بعده ابنه باديس ، واجتمع هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحيوس فلم يستقر بينهما قاعدة واقتتلا فقتل زهير ، وجع كثير من أصحابه ، والتقى عسكر ابن عباد وابنه إسماعيل مع باديس بن حيوس ، وعسكر إدريس النلوى صاحب سبتة بطنجة واقتتلوا قتالا شديدا فقتل إسماعيل ثم مات بعده القاسم أبو القاسم بن عباد وولى بعده ابنه أبو عمرو ، ولقب المعتمد بالله فصط ماولى وأظهر وفاة المؤيد ، واشتمل بأمر إشبيلية وبقي كذلك إلى أن مات وولى بعده ابنه أبو القاسم محمد ولقب بالمعتمد على الله ، فاتسع في ملكه ، وشمخ سلطانه ، وملك كثيرا من الأندلس ، وملك قرطبة أيضا ، وولى عليها ابنه الظافر بالله فبلغ خبر ملكه لها إلى يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة فحسده عليهما فصمن له جرير بن عكاشة ، وسار إلى قرطبة ، فأقام يسعى في ذلك وهو ينتظر الفرصة ، فاتفق أن في بعض الليالى جاء مطر عظيم ومعه رج شديدة ورعدو برق فثار جرير فخرج الظافر فيمن معه من العبيد والحرس ، وكان صغير السن فحمل عليهم ودفعهم عن الباب ، ثم إنه عثر في بعض كراته فسقط فوثب عليه شخص فقتله ولم يبلغ الخبر إلى الأندلس . أها . البلد الا . القصر . قد ملك

(١) اصل مختار من كتاب مظاهرات في تاريخ

كل جهة فتحوها فعاث أولئك المسيحيون في كنف المسلمين ، وأحسن الحكومة معاملتهم ، ومنحتهم الحرية الدينية وكثيرا مارفتهم إلى مناصب عالية في الجيش وفي بلاط الملك . فاعتنق كثير منهم الحضارة الاسلامية وافنن بها افتناما .

حتى رأينا « القارذ » كاهن قرطبة في أواسط القرن التاسع للميلاد يرول في أوائل ذلك العصر شاكيا من أبناء دينه انصرفهم إلى مطالعة أشعار العرب وأساطيرهم وهيامهم بدراسة كتابات لاهوت نبي المسلمين وفلاسفتهم لا يقصدون بذلك إلى تنفيذها بل يقصدون إلى التعبير عن خوالجهم بأسلوب عربي رائع صحيح .

وكان القارذ يقسال .

أنى يتاح لانسان في هذه الأيام أن يقابل واحدا من أبناء جسدنا يقرأ التفاسير اللاتينية للكتب المقدسة ؟ ومن ذا الذى يدرس منهم فصول الأنجيل وسير الأنبياء والحواريين ؟ واحسرتاه :

إن كل الشبان المسيحيين ذوى المواهب لا يعرفون الا العربية والا كتابات العرب فهم يقرءونها ويدرسونها بحماسة بالغة منتهاها كما أنهم ينفقون المال الطائل لاقتنائها في مكائهم وتراهم أنى وجدوا يذيعون أن تلك الآداب جدرة بالاعجاب .

فاذا تجاوزت عن ذلك وأخذت تحدثهم عن الكتب المسيحية أزرور جانبهم وأجابوك

بتاريخ إيطاليا فى القرن الخامس عشر ، فقد كان وجه الشبه - كما يقول - كبيرا جدا بينهما .

وكان هؤلاء القادة الذين اقتسموا بلاد الأندلس أشبه بأولئك القادة الذين كان يطلق عليهم فى إيطاليا اسم : « Condottieri » وكان من بينهم ملوك العبادية الدين قطنوا لإشبيلية ، وهم أقوى ملوك ، وقد أطلق عليهم كتاب المسلمين اسم : « ملوك الطوائف » وعلى الرغم من أن ذلك كان عصر تدهور سياسى ، وعلى الرغم من أن إسبانيا تشكو عجز مواردها الاقتصادية ، فتد وصل المجتمع فى تلك الأيام الى مستوى لم يصل الى مثله من قبل .

وهنا يجدر بنا أن نقف لحظة علنا نستطيع أن نستعرض فيها أماما الشوط البعيد المدى الذى قطعته الآداب والعلوم فى طريق النجاح فى ذلك العصر الذى يعد أزهى أعصور الاحتلال الاسلامى فى أوروبا .



فبينما ترى العرب الفاتحين فى آسيا - كما بينا ذلك - قد سحرتهم حضارة قديمة تفوق حضارتهم بما لا نهاية له فأذعنوا لها وظهر أثرها فيهم إذ تراهم لم يكادوا يعبرون مضيق جبل طارق - فى الغرب - حتى انعكست الآية تماما .

وذلك أهم بعد أن قلبوا على شبه الجزيرة وقع فى أيديهم آلاف المسيحيين من



وقد كان للشعر العربي - في أوروبا -  
على الاجال الخصائص التي رأيناها في الشعر  
المعاصر له في الشرق .

فان الأوزان المصطلح عليها والقيود التي  
لم يستطع أساطين بغداد أن يحرروا أنفسهم  
من ربقها ظلت بخدافيرها في قرطبة واشبيلية .  
وكما تأثر الشعر العربي في الشرق بالآداب  
الفارسية ، فقد تأثر في اسبانيا كذلك باتحاد  
الآريين والساميين واندماهم شيئا فشيئا .

فكان ذلك سببا في ادخال عناصر  
جديدة ظهرت في آدابها ، ولعل أمتع ميزات  
الشعر الأندلسي هي ذلك الوجدان العاطفي  
الرقيق الذي يندر وجود مثله في النسيب  
والذي ظهر كثيرا في أغانيهم عن الحب وهو  
وجدان لا يقتصر على تصوير فروسية القرون  
الوسطى بل يتخطى ذلك إلى حد أن تحسبه  
إحساسا جديدا بمحاسن الطبيعة التي جلته .

ولهذه الميزة سهل فهم ذلك الشعر على  
الكثيرين من الآريين الذين قد لايسهل  
عليهم تفهم روح المعلقات أو قصائد المتنبي

بازدراء أنها أسفار نافهة لاخطر لها .

واحسرتاه عليهم ! لقد نسى المسيحيون  
أنفسهم حتى ليندرا العصور بين آلاف منا على  
على فرد يستطيع أن يبحر الى أحد أصدقائه  
رسالة لاتينية بأسلوب لا بأس به على حين  
ترى جمهورهم قادرة على الابانة عما في نفوسهم  
بأسلوب عربي رائع ، وعلى حين ترى حذقهم  
في قرض الشعر العربي قد وصل الى حد فاقوا  
معه العرب أنفسهم .

ومهما يكن في كلام هذا الكاهن من  
اغراق فما يترفع عن الجدل والتشكك أن  
الثقافة الاسلامية قد أخذت بألباب  
المسيحيين الاسبان ، كما افتن بها اليهود  
الذين خدموا الشعر والفلسفة بمساعدتهم  
العديدة وكتاباتهم التي أنشئوها بلغتهم وبلغه  
أبناء عمهم العرب .

أما المولدون والصابثون من الاسبانيين  
الذين لانوا بالاسلام فقد استعربوا تماما بعد  
أجيال قليلة ، ومن هؤلاء نبغ أشهر من  
ازدان بهم الأدب العربي .



## دراسات الكتاب لابن زيدون

« أثبتنا في هذه الصفحات أهمّ الدراسات  
التي كتبت - في العصر الحديث - عن  
ابن زيدون إتماماً للفائدة . »

### ١ - دراسة الدكتور أحمد ضيف<sup>(١)</sup>

اقتربت الوزارة في الأندلس بالأدب ، فكان الوزير كاتباً وشاعراً ، وكان أشهر الكتاب والشعراء وزراء ، وكانت الشهرة بالكتابة والشعر ، وفنون الأدب ، وفروع العلوم من وسائل الوصول إلى امتلاك الوزارة ، فكان للوزراء أثر عظيم في سير البلاغة والأدب ، وأصبحت منزلة الأدب كمنزلة الوزراء أنفسهم في الدولة ، وظهر في الأندلس طائفة من الرجال الذين تربعوا في مناصب الملك ، وتقلبوا في مراكز الدولة ، وتقلبوا على شئونها ، وهم جميعاً من الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء وأصحاب الشورى ، وأعلام الحياة العقلية .

ومن أشهر هؤلاء الوزراء الأدباء والشعراء المجددين ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المرومي الأندلسي القرطبي ، أشهر من عرف في حلبة الأدباء ، وأطهرهم مييزة في فنون الكلام وأساليب الشعر والبيان ، لأنه صبورة من صور الأدب في الأندلس ، وصحيفة من صحف البلاغة هناك ، وثمرة من ثمار عرس العرب في بلاد المغرب .

ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة في سنة ٣٩٤ هـ وتوفي بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ وهو ثالث ثلاثة نسوا ابن زيدون : أحدهم أبو بكر عبد الله بن أحمد بن غالب والده ، والثاني أبو بكر ابنه وكان وزيراً للمعتد بن هباد ومات مقتولاً ، وهم من أصل عربي كما أشرنا إلى ذلك في كلامنا على القبائل التي نزلت الأندلس من العرب . كان أبوه قاضياً مشهوراً بين قضاة قرطبة ، وعالماً وأديباً . مات سنة ٤٠٥ هـ فكان عمر ابنه إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وكان أبو الوليد منذ حداثة ميلاله إلى العلم والتعليم ، فاندفع يطالب نفسه الكمال العقلي ، وكانت نشأته في قرطبة ساحة العلوم والآداب ، فانكب على الدرس والبحث ، وأخذ الأدب عن رجاله للعروفين ، وكان له ميل شديد لعلوم العرب وفنون اللغة لحفظ منها شيئاً كثيراً ، كما وعي كثيراً من أخبار الأدباء والشعراء ، وأمثال العرب وحوادثها ، ومسائل اللغة ، حتى أصبح في مقدمة الشعراء والأدباء ، واندمج في مجالس الأدب ، فصار معلماً من أعلامها ودعامة من دعائمها ، وكانت قرطبة لا تزال في أوج علاها على الرغم من أول شمس بني أمية بها ، وأعلمها في رخاء من العيش ، أكثرهم يميل إلى العلم والأدب ومجالسة الأدباء ، فامتلات الحافل والجامع بضروب اللهو والطرب ، وكان لابن زيدون خفة روح ودعابة وميل إلى الجون ، ساعده ذلك على أن يسبق غيره ، وأن ينال شهرة

(١) من كتاب بلاغة العرب في الأندلس للدكتور أحمد ضيف



واسعة بين أتباعه . وكان لفساد أثر عظيم في هذه المجالس ، فاتجه الناس إلى الاندماج فيها واستمدوا هذا المورد ، وانصرف هم الأدباء إلى التفوق في هذا الميدان ، فكان لذلك أثر عظيم في أخلاق الأدباء وصورة البلاغة من نظم ونثر ، وكأنا صامت كل صفة جدية في الجامع الأدبية لجرؤ الوزراء على الجاهرة بالجون ، وكان ابن زيدون أحد أبطال هؤلاء لجذب إليه الأنظار .

وكان لولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي شهرة عظيمة في قرطبة لجملها وعلمها وأدبها ، فوقع ابن زيدون في شركها ووقع في شركه ، واشتمل كل منهما على صاحبه ، حتى حسد عليها وحسدها الناس عليه ، وكان من بين هؤلاء الحساد الوزير أبو طاهر بن عبدوس وهو كبير الحول وال طول ، فتقرب إلى ولادة حتى أمالها إليه ، وكانت ولادة ملت صداقة ابن زيدون واتهمته كما اتهمها بذلك أيضا ، فبهت عاصفة من الحفا بينهما شقت من شملها وحالت بين قلوبهما ، لذلك غلب ابن عبدوس ابن زيدون على أمره ، واستولى على قلب ولادة ، ثم حدث أن رجعت إلى ابن زيدون فكتب عن لسانها لابن عبدوس رسالته الشهيرة الهزلية ، ثم استأثر بها ثانية ابن عبدوس ، فكانت هذه الحال سبب اضطراب في حياة ابن زيدون العقلية والسياسية وهكذا كانت حال الوزراء وأرباب الدولة وعقول الأدباء وأصحاب الأفلام والفكرين ، وهذه الحادثة من أكبر الحوادث في حياة ابن زيدون . عاش ابن زيدون في بيئة كلها اضطراب ودسائس ، وترى ودرج في ذلك وتقلد الورارة فيها ، لأنه اشترك في حوادث الاضطراب التي كانت على أثر زوال دولة بني أمية ، فكان من أشيع ابن جهور أحد ملوك الطوائف الذي ادعى لنفسه الملك في قرطبة بعد انحلال الدولة الأموية سنة ٤٢٣ . وعلت منزلة ابن زيدون هاك ، فاتخذ ابن جهور وزيراً له فلك أزمة الأمور ، وكان أقرب الناس إلى سيده الذي استعان به كثيراً في المسائل السياسية ، وتأمين الصلة بينه وبين الأمراء الآخرين لدكانه ودعائه ، فكانوا يحسدون ابن جهور على الاختصاص به ، وحدثت حوادث أفرقت عليه صدور كثير من مناصبه والحاسديه على فضله ومنزلته ، لحملوا عليه عند ابن جهور حتى أمر بسجنه فسجنه طويلاً ، فاستغفر واستعطف بما يلين من أجله الحديد ، فلم يفلح في إرضاء الأمير فزم على إعمال الحيلة والهرب من السجن . واختفى بقرطبة إلى أن استنفع بأبي الوليد بن جهور عند أبيه أبي الحرم حتى شفع له وجعله أبو الوليد بمسد موت أبيه من المقدمين في دولته ، ولكن ابن زيدون لم يأمن على نفسه من بقائه في قرطبة ، فهاجر إلى إشبيلية سنة ٤٤١ ودخل في حاشية المعتضد بن عباد وصار وزيراً لابنه المعتد وبقي هناك إلى آخر عمره . هذه حياته وأخلاقه ، وقد ذكرها في شعره ونثره ومنها يرى أن حركات عقله كانت تقفوز ذلك خطوة بخطوة ، فكانت حياته العقلية نتيجة هذه الحياة ، لذلك يمكن أن تقسم آثاره الأدبية إلى أقسام ثلاثة : عشقه لولادة وأثر ذلك في نفسه وما كتبه في هذا ، ثم مدحه لابن جهور وابن عباد ثم أثر السجن في حياته العقلية .

## شعر ابن زيدون

كان لأخلاق ابن زيدون والبيئة التي عاش فيها وميول الناس إلى اللهو أثر عظيم في شعره ، فقد كان للجون مسحة خاصة في النظم والنثر ، فبرع ابن زيدون في النزل ، وكثير من شعره في ذلك كان منبثاً عن هوران في نفسه وقلبان في ميوله وأهوائه ، أذكر في ذلك كله حبه لولادة ، فإن عشقه هنا يفتح له باباً واسعاً

من الخيال قال فيه ما شاء وشاءت هواطفه أن توحى إليه ، كذلك كانت آلامه وما لاقاه في السجن باهتاً من بواث استنهاض ملكة الشعر به وإلهاماً من إلهاماته الفنية .

وثنى به أعداؤه وحاسدوه إلى ابن جهور ، وكاد له منافسوه في حبّ ولادة حتى نالوا منه ، وشفوا غلتهم بحمل ابن جهور على سجنه بعد أن أحله منزلة الوزير يدبر ملكه ، وبعد أن اتشه وعرف له رأي السديد وبراعته في إدارة الأمور وسله زمام الدولة ، ولم يكن لابن جهور أن يخطئ في نظره لما اشتهر به نفسه من سداد الرأي وصحته ، فإذا ناله ابن زيدون مكانة في نفس ابن جهور ، فقد كان ذلك من جدارة واستحقاق ، ولكن أعداؤه تمكنوا من ابن جهور فغضب عليه وأمر سجنه ، فأثار هذا السجن من نفس ابن زيدون عاصفة فنية جديدة رقت من خياله الشعرى أنارتها آلامه فأخذ يش أئيناً جبلاً ، ويفن في آلامه وصفها والتعير عنها مرةً شعراً ومرةً نثراً . . . والفى يبرج فنه دائماً بكل ما يرى ويسمع ويشعر ، ولقد كانت نفس ابن زيدون من العوس الدقيقة الادراك ، التي إذا أتت تش أبهى الموسيقى ، وإذا شكت تشكو شكاة القلوب المملوءة شعوراً الواسعة التصوّر والإدراك الدقيق ، الذي يجعل الشكوى حيلة والكلام فيها حيلة . كتب ابن زيدون من السجن إلى صديقه أني حمص بن برد يشكو ويش من بلواه وهو ينهيه الأمل مرة ويقعده اليأس أخرى ، ولا يترك شاردة تمر بخاطرهم إلا هداها بها نفسه ، وتسلّى بها عن آلامه . يستسلم أحياناً إلى القنواء فيشعر في نفسه راحة واطمئنان ، ويقبل أمامه صحفات الأيام فلا يصح من الحوادث التي ألمت به ، ويرجع إلى صديقه فيسليه هو نفسه ، ويسأله ألا يكف عن مجونه وتسلّيته ، لأن السمادة خلسة ، ثم يعود فيذكر أعداءه وتلهم منه ويبين أن ذلك ليس بالمعجب لأنه :

إن قسا الدهر فللمساء من الصخر انحناس

ويرى أنه حسد لمكانته ، ويمرّج ذلك بالعبير والحكم والسحرية والتحكم من أحوال العالم وحوادث الحياة ، ويرجع أئينه وأله وحقه على الناس ، ولا سيما حاسديه ، ويصر المثل كي يسكن من نفسه ، وهو في ذلك كعادته في الشكوى : يهبط مرةً إلى الدرك الأسفل من اليأس ، ويرفع أخرى إلى دروة الرجاء ، وكأنه في شعار مستتر بينه وبين نفسه وشعوره ، كل هذه المعاني في أبيات قليلة بأسلوب جبل رقيق ، يكاد يلح الإنسان فيها خاطره المضطرب المتناوج . حيث يقول :

« ما على طليّ باس بحرج الدهر وياسو » الخ

هذه فتحات القلوب ، وهذا هو الشعر القوي يستولى على النفس ويلهمها الحكمة والعبرة ، وهذا هو جمال القول ، ليس ذلك لأنه مطرب مرصّ بوزنه وقافيته ، بل لأنه ساحر بعمانيه وجماله ، كل معنى فيه يحتاج إليه النفس في مثل هذه المواقف ، ولقد كانت هذه المعاني سائمة للنفس لأن الشاعر صادق في قوله ، معبر عن شعوره يرسم صوره من نفسه الحزينة المتألّمة ، لهذا كان الشعر جبلاً .

وقد بدأ قصيدة من قصائده في هذا بالفخر بنفسه ، وأمن في ذلك ، وكأنما كان يبكي حظه ويندبه بهذا الأسلوب الفحري ، أو كأنما كل معنى من هذه المعاني كانت تهدي خاطره وترج نفسه ، فلما مدح ابن جهور مدحه في قالب استعطاف ، وتوسط بين المدح والمبالغة والجدى ، وقد ظهر بنفس كبيرة وأنف أشم حتى أنه مدح نفسه أكثر من ابن جهور ، فكان مادما أشد منه طائياً ، لأنه كثيراً ما كان في مثل هذا الموقف لا ينسى الفخر بنفسه ، ولا يريد أن يعلى عليها ولو همسا أنه في موقف مثله ، وكأنه كان يتسلّى بهذا ، لأنه يرى أن أعداءه لم ينالوا منه إلا لأنه لاقاه بمله ومضه حتى إنه قال متكاملاً :

« ولو أننى أستطيع كى أرضى العدا شريت ببعض الحلم خطاً من الجمل .  
وكل قصائده التى أرسلها يستعطف بها ابن جهور هى أثر ذلك الشفاء الذى لقيه فى سجنه ، وصورة من صور  
البؤس التى حرك شعوره وقتئذ من لسانه ، وأثار فى سسه عواطفه الشعرية المعلقة المبلوعة ، وما فيها من  
ولكن أسلوبه فى الشكوى والاستعطاف واحد فى نظمه ونثره ، وما أشبه قصائده فى ذلك وما فيها من  
من المعانى برسائله الحدية ، وكأنها كان فكره سجيناً مثله من شدة تأمله فى السجن ، فانه لم يخرج عن  
عادته فى ضرب الأمثال والفخر بنفسه ، وأنه أصل إنسان وأكرم من دب على وجه الأرض .  
غير أن كلامه مع ذلك عذب المذاق ، رقيق الحاشية ، جذاب خلاب ، تظهر عليه سيما الابتكار  
والصدق والتعبير ، فانه ليس من الخيالات الشعرية الصرفة ، بل به كثير من الحقائق التى كان يلمحها عليه  
شعوره كما قال :

« ما جال بعدك لحطى فى سنا القبر إلا ذكرتك ذكر المين بالأثر . »

وكتب إلى أحد أصدقائه وهو مخفف بقرطبة بعد فراره من السجن ، فقال :

« . . . وبلغنى أمك أحد اللاتين لى الح »

إلى أن قال :

« شحطنا وما نالدار بأى ولا شحط وشط بمن نهوى الرار وما شطوا . »

إلى آخر ما قال فى هذه القصيدة التى هى من أبدع قصائد الشكوى وأجمعها لذكر الماضى والحاضر والاستغفار  
والاستعطاف ، والسرور بذكر ما أقصى والكاء على الحاضر ، وهى أيضاً أظهر فى لهجتها الجدية من  
كثير من شعره ، ولذلك كانت أخف فى أسلوبها ومما فيها ، ليس بها تلك الرقة المبهودة فى كلامه ، كل ذلك  
هاحه السجن وما تذوقه من الآلام ، فرسه فى شعره ، لأنه رجل فى يعرف كيف يصور ما يشعر به ويمرر بما  
يحاول بمحاظه . ولقد يلاحظ الإنسان أن آراء ابن زيدون آراء عامة ليست ناشئة عن تفكير طويل أو  
علم واسع ، وإنما هو حياى أكثر منه مفكراً ، وشاعراً أكثر منه عالماً ، وهذه كل حال شعره ونثره .  
أما مدحه ورثاؤه فهما فى الرتبة الأخيرة من شعره ، لأنه على جبال أسلوبه فى ذلك ، وحس نصرته فى المعانى  
لا يكاد يعثر الإنسان عليه على معنى حديد ولا رأى خاص ، بل يكاد يكون كل ما جاء من المعانى من قيل معارضة  
غيره من الشعراء والأخذ بمبادئهم موزحاً ذلك بما له من البراعة والصناعة والافتنان .

ومن أجل قصائده كلامه فى المعتضد بن عباد وابنه المعتضد ، ومن أرق كلامه فى الشكوى ، وأقرب  
عبارانه وصولاً إلى القلوب بكائه على الماضى ، والتلذذ بذكره وما كان فيه من العيم كقوله :

« الهوى فى طلوع تلك الجيوم والملى فى هوب داك اللسم . »

ولقد كان ينظر إلى أيامه الماضية فيحن إليها حنيناً مؤلماً ، فإذ قرأت شعره فى ذلك رأيت نفسك كما كنت  
واقف على أطلال سعادته البالية ، فبكى وبكيت معه ، كما قال :

« ألا هل إلى الرهراء أوبة فارح تقصت مبانها مدامه نرحا . »

## الغزل فى شعر ابن زيدون

يتبين من أحوال الاجتماع فى الأندلس ، وميول النفوس ، واختلاط النساء بالرجال ، واندماج كثير من  
الأدبيات فى مجالس النهى والطرب ، أن المرأة شغلت جزءاً عظيماً من أوقات الرجال والمفكرين ، وملأت

وموسمهم ، كما أن مجالس الشرب كان لها سلطان عظيم على نفوسهم ، فكانت المرأة تحرك المواطن والشعور ، والفخر تدر العتول ، وتملي عليها القول ، وتفتح أمامها طرق التصور والخيال ، والمقول ثمة بنشوة الفرام والراءوس مثقلة بحرارة المدام ، والناس لا يفوتهم الطرب ، ولا يريدون أن يتواروا عنه لملقته بنفوسهم ، حتى في أشدّ الحزن ، فقد رأينا أن ابن زيدون كتب وهو في سجنه لصديقه أبي حفص بن برد يقول :

« وأدرى ذكرى كأساً ما امتطت كملك كأس  
واغنم صمعو الليالي إنما العيش اختلاس . »

وقع ابن زيدون في شرك ولادة بنت المستكفي بالله ، وكانت حليلة ماجه نادرة رقيقة بين الأدباء « تناصل الشعراء ، وتساجل الأدباء ، وتعوق البرعاء . . . خرجت على نهاية في الأدب والطرف ، حصور شاهد ، وعرارة أوايد ، وحسن منظر ومعبّر ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطة متدى لأحرار المصر ، ومناوذا ملعباً لحياذ النظم والثر ، يمشو أهل الأدب إلى سوء فترتها ، ويتهاك أفراد الشعراء والكتنا على حلاوة عسرتها ، وسهولة حجاجها ، وكثرة منابها ، تخلط ذلك دلوّ نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب ، على أنها أودحت للقول فيها السبيل فلة مالاتها ، وبجهرتها بلذاتها . . . » وقالوا « إنها كانت بالمغرب كملية بالشرق ، إلا أن هذه تريد الحس ، وأما الأدب والشعر والبادرة وحفة الروح فلم تكن تقتصر عنها ، وكان لها صنعة في الماء ، وكان لها مجلس يفشاء أدباء قرطبة وطرفاؤها ، فيمرّ فيه اللادر وإنشاد كثير مما اقتضاه عصرها . . . . . وكانت من الأدب والطرف ، وتتنيع السمع والطرف ، بحيث تختلس القلوب والألباب ، وتعبد الشيب إلى أحلاق الشباب » فقال ابن زيدون رصاها ، ووقع من نفسها كما وقعت هي من نفسه ، حتى كتبت إليه نصرب له موعدا فقالت :

« ترف إذا جنى الظلام ريارقى فأني رأيت الليل أكرم للسر  
وفى مك ما لو كان بالنفس لم تلح وبالدرد لم يطلع وبالنعم لم يسر . »

قال أبو الوليد : « فلما طوى النهار نوره ، وشر الليل ذناييه ، أنبت بقدر كالفضب ، وردف كالكتيب ، وقد أطبقت نرحس الفل ، على ورد الحجل ، فلنا إلى روس مديج ، وطل سجسج ، قد قامت ربايات أشجاره ، وفاصت سلاسل أهداره ، ودرّ الطلّ منشور ، وجيب الراح مزورور . فلما شبتنا نارها ، وأدركت ما تأرها ، صرح كل ما بحه وشكا ما بقلبه . . . وأنشدتها :

« ودع الصبر محب ودعك ذائع من سرّ ما استودعك . »

وكتبت إليه بعد ذلك تقول :

« ألاهل لما من بعد هذا التفرّق سبيل فيشكو كل صب بما لقي . »

إلى أن قالت :

« تمرّ الليالي لا أرى الين ينقضى ولا الصبر من رق القنوق معنقى  
سقى الله أرمداً قد غدت لك منزلا بكل سكوب هاطل الويل مقدق . »

ولا نريد الآن أن نتكلم في الشق وأثره في النفس وما يوجه من رواثع القول وجمال الفكر حتى عند عامة الناس ، فإن تاريخ الإنسانية حامل بموادته ، ولكنا نقول : إن العشق في كلام العرب أو شعر الغزل كما يسونه ، ليس مع المسائل الهزلية . لأن الشعر الذي هو وحر النفس وجمال الإدراك الإنساني ، أكثر

أكبر مظاهر الجلال في الحياة ، ومن لم يفتح قلبه يوماً ما ، لم ير غير ظواهرها ولم يتسرب إلى نفسه بصيص ضوء من جمال مظاهر الحياة وأسرار النفوس في التألف ، وكثير من آمال الناس في تلك الصلة النفسية ، والعشق وما فيه من سعادة وجمال سر كامن في الشعر ، لأنه مصدر الشعر الحيايى الجميل . لذلك كان أجل الشعر ما يكشف عن سر من أسرار النفوس ، ويفتح الملوب . ويظهر مكنونات الإنسان وأخلاقه وآلامه وآماله . إن النساء منبع من منابع الشعر ، والشعراء مدينون لها بأفضل الصفات لديهم وهي وصف شعور الناس ، والشاعر الذى يشمر بالحلم لا يتكلم عن نفسه لحسب ، وإنما يجمع آلام العشاق وأنينهم فيتألم ويئن معهم ، وليس أعذب من هذه الآلام ولا أحب للنفس من سماع هذا الأني . إن الشاعر يصوغ بكلماته اهتزازات القلوب ورنات ما يحول من المعاني ويدمها إلى النفوس تنصو إليها ، ويدبها بين العشاق ويرى كل قلبه وكأنه ينظر في امرأة يرى فيها صورته ، وذلك لا يكون إلا في الشعر .

فاذا أخطأ العرب في إيمانهم في هذا النوع والإكثار منه ، فقد أخطأوا من جهة واحدة : وهي تكرار المعاني وتقليد بعضهم بعضاً في ذلك ، وطهم أن كل قلب يجب بشكل واحد ، وإن صلة الحب بتطاهر الجسم قوية متينة ، وأن المعاني محصورة في ذلك . ولكن ابن زيدون ليس من هؤلاء المقلدين ، بل من الذين كانوا يحولون حولات واسعة في الحيايى ، فكان فياً مدعاً . أرايت شعراء العرب كيف يطنبون في وصف الأمكة التي احتموا فيها مع صديقاتهم ، وهم يتخذون ذلك وسيلة لأمرين : الأول لإحياء ذكرى تلك الأيام والأمكة وما فيها ، إذ كل شيء هناك كان يشهد بهم ويعطف على عشقهم ، وتلك الأمكة جيلة لأنها احتوت عليهم ، والأصواء التي تسطع عليهم والأشجار التي كانت تظله ، والكواكب التي كانت تتحسس أختارهم ، جديرة بأن لا تنسى ، لأنها أثر من آثار العشق . الثاني أن الشاعر القى يرم من التكرار ، ويعرف أن معاني العشق والحب سرعان ما تنفد ، فهو يتعاضل على شيء من المعاني الأخرى التي لها صلة بذلك ، كي يتسنى له أن يجول في ميدان أوسع ليصل إلى التعبير عن مراده ، أو يمنع العقول من أن يدركها الملل . فهو يستعين بذلك كما يستعين المصور الماهر بالألوان لإظهار الصورة التي يريد أن يرزها . كذلك كان ابن زيدون من هؤلاء العنبي أو قريباً منهم . فقد التفت إلى مدينة الزهراء الجميلة في أيام الربيع ، يريد أن يسلي نفسه ويخفف عنها من أثر حبه ولادة ، فذكر في شعر أرسله إليها كل ما كان يحيط به إبداعاً وأبداعاً بما إبداع ، وافتن اختارنا عظيماً في ذلك ، فقال :

« إنى ذكرتك بالزهراء مشتاقاً والأفق طلق ووجه الأرض قد راما »

ولما كان لابن زيدون ميزة في شعره العرلى فليس ذلك في ابتكار المعاني التي لم يسبق إليها ، وإنما هي في طريقة تصويرها بعبارات تملك النفوس وتستولى على القلوب وكأن الإنسان لم يقرأ مثلها ولم يسمع بما يشبهها لجودة الافتنان في التعبير والأسلوب . كما في قوله :

« إليك من الأثام غدا ارتياحى وأنت من الزمان مدى اقتراحى . »

ولقد يسمع الإنسان أنينه في شعره ، ويرى أنه الحزينة من خلال كلامه ، وكأنه يرى تلك الحيرة وذلك القلق النفسى اللذين يملآن نفوس العشاق ويمنعان منهم راحة الحياة ولداتها . على أنه يلتذ لذكر محبوبته ويدوق الآلام بسببها . فيقول :

« متى أنيك ما بى ياراحى وعذابى . »

ولقد بلغ درجة من التعبير يحمل بها القارئ على الاعتقاد بأنه يحمل كل الإخلاص في حبه ، وأن حبه هذا هو كل أميته ، وأنه يرى في سبيل العشق ما لا يراه غيره ، ويهون عليه كل شيء في سبيل لإرضاء حبيبته حتى حياته ، وهو يخور بهذا كما قال :

« أنى تصيح عهدك أم كيف تخلف وعديك . »

على أن لا يبرئ ابن زيدون من التصنع أحياناً فيما يقول لأنه كان كبيره من الشعراء يعبر عن غير شعور ، فإن تحمكه من الصنعة كان يفتق لسانه بقول الشعر ، كما قالوا إن السلطان أمره أن يعارض قطعاً كان يعنى بها ، واستحسن الخلباء ، وأنشأ أحياناً كأنها صادرة من عاشق مقيم ، وصننها مدح السلطان ، فقال :

« يقصر قرك ليسلى الطويلا ويشى وصالك قلى العليلا . »

وفي بعض كلامه ، ما يدل على أنه كان يتصيد الألفاظ والمعاني التي قبلت في العشق ، فيطعمها ويلبسها ثوباً جديداً وكثيراً له ، وقد روع براعة عظيمة في ذلك كما قل :

« يا عزالا أسارنى موهناً في يد الحب . »

وهو في كل كلامه مدح بمجد متعوق على غيره ، خفيف الروح ، عذب الألفاظ ، سهل الأسلوب .  
أما نوبته التي أرسل بها إلى ولاده وشها كثيراً من شـ وره وآرائه المختلفة . فهي على شهرتها وحالها ككل شعره ولذلك لم نذكرها .

## نثر ابن زيدون

اشتهر ابن زيدون برسائليه الحدية والمهرلية . أما الأولى فهي التي كتبها في سجنه يستعطف بها ابن جهمور وأما الرسالة المهرلية فكتبها على لسان ولادة يتهم على ابن جدوس ويال منه لمشاركتة في عرامه .

اشتهر ابن زيدون بـ اثنين الرسائليين لحدودة أسلوبهما النادر المثال ، ولاحتوائهما على كثير من الأسماء التاريخية والأمثال العربية ، واقتباس أبيات من الشعر معروفة وقعت في صوغ الكلام وكأشها حملت من أحله ، أو قيس على سمنه ، وليس من السهل اقتباس المثل في أمكنته ، ولا من الهين أن يحوض الإنسان غمار الأدب الواسع ويسهل عليه الاختيار منه ، ويحفظ نفسه من الضلال في وواجه ، ويتر بين الحيد وغيره ، ويختار ما يناسب المقام ، ويكون ذلك مصولاً لدى النفس ، ثم بصوغ ذلك كله في قالب واحد ويصم بعض أحرائه إلى نصها ، ويخصه كما يحصى الربد ، فلا يقاوم منه حزة مع آخر .

إن للكلام على هذا النحو أضعف من الابتكار في التأليف المتبدأ ، وكلما قرب إلى القارئ الأسلوب وصعب عليه معرفة تأليه ، شعر بسمة اطلاع الكاتب ، وأعجب به وكبرت في نفسه مبرلته ، وكلما فاحأه اسم لم يكن يحظر له سأل ، أو رأى عاب من ذهنه ، أو تلميح إلى قصة لا يظن أن تذكر في مثل هذا الكلام ، أو عبارة تحرك من نفسه حب الاستطلاع ، أو مثل انعطاف به ، أو ذكر رجل شهير يحمده ، أو نكتة تـسـر بها نفسه ، أو مسألة ممية يرنح لها ويلتذ بدكرها ، راد أعجابه بالكاتب وما كتب ، ورأى أن كل إنسان غير قادر على ذلك ، وأن هذه صفة يمتاز بها الكاتب عن سواه . كل ذلك في نثر ابن زيدون وهو من دواعي الإعجاب بأسلوبه في رسائله ، فقد عرف كيف يأتي في كتاباته بالتناسق في المعاني والألفاظ ، بل عرف أن يأتي بهذا التناسق في التأليف والجمع ، وكيف يتصيد كلام غيره وبرصته رصفاً جيلاً ، كما أمكنه أن يرسم لنفسه منهدباً جمع فيه كل معلوماته ، واختار منها ما يناسب حاجته ومودعه ، فكانت رسائله أنيقة

جيلة ، وكان كالمهندس الماهر الذى يعرف كيف يجمع بين المحر والمحر ، والمصور الفنان الذى يؤلف بين اللون واللون . ولقد حاول ابن زيدون فى رسالته الوصول إلى غرضه ، فلم يدع وسيلة ما يحسم بها للمضى فى نفس القارئ لتنهال عليه الممانى ويكون غرضه أوضح ، ورأيه أظهر ، إلا فلتها ، فكل ما ذكره من الأمثلة الفنتسة والممانى المختارة قصد به توضيح ما يريد .

فى رسالته الجديدة أراد أن يستعطف ابن جهور ، ويرى نفسه مما اتهم به وبشكل أعدائه ، فبدأ رسالته بالاستعطف وهو يستدل بمسألة تارة ، ويمدح ابن جهور ويظهر إحلاصه له ويتملق إليه أخرى ، ويستند عنه فيما وقع منه فى حق ، ثم يبين له شدة ألمه من شتم أعدائه ، فقال :

« يا مولاي وسيدى الذى ودادى له . الخ . »

ثم أحد يتطل بالآمال ، ويصرب فى ذلك الأمثال ، ليسل نفسه ويهدى منها عبارات شمعية يريد أن يؤثر بها فى نفس المرجو ويحمده على كل شيء ، كما يحمد الله على السراء والضراء ، فقال :

« هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه البوة عمرة ثم تنحلى . »

ثم وقف موقف المدلة وكأنما يسمع الإنسان بكاءه فى كلامه ، واستصغر ذنبه فى ساحة عفو سيده ، وفى جوار ما ارتكبه غيره من الذنوب الكبيرة ، فقال :

« وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذى لم يسه عموك . الخ »

والمعجب فى ذلك من حصور ذهنه وحدته مما يدل على تيقظه الشديد ، ثم أخذ بعد ذلك يرى نفسه ، ويعب من سيده الذى يصمى إلى أعدائه ، على ما كان له من المنزلة التى لم تدع عنه ذلك ، وأخذ يلوم ابن جهور لو ما لا يظهر إلا من خلال عباراته ، لشدة تمككه من تصرف الكلام واحتراسه فيما يقول :

« فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشح . الخ »

ثم ذكره بإحلاصه له ، ومدحه بإياه ، وأخذ يرجع إلى استعطافه وبمقلقه ، فقال :

« وقد زاننى رسم خدمتك . الخ »

ثم حادته عزة نفسه فانتقل شقة أخرى ، وبين له أن مثله لا يصير على الهوان وأنه يستطيع فراقه وهجر بلده إلى مكان آخر ، ويحاطر فى هجرته هذه بما عصى أن يلاقى من الآلام مستأنساً بأذبه وفصله ، فقال :

« ولمعرك ما جهلت أن صريح الرأى أن أحول إذا بلغت الشمس الخ . »

وكأنه شعر بأن هذا يدعو ابن جهور إلى أن ينسى استعطافه لما يظن فى هذا الكلام من عجب ابن زيدون بنفسه ، فأخذ يلطف من حديثه ، ويسكن من هياجه ، ويظهر تمسكه بجوار سيده لأنه أصل شيء لديه فى الحياة ، فقال :

« غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف . الخ »

ثم أخذ يقوى أمله فى إجابة طلبه ، ويصرب بالأمثال فى ذلك ، ويمدح البناء فى حوار سيده بقوله

« أعينك ونفسي من أن أشبه خلنا وأستمطر جهاما . الخ »

هذا أكثر ما فى هذه الرسالة الجديدة ، وأعظم ما فيها تأليفها الذى يرى من خلاله تلك النفس الحائرة المضطربة التى تهيج مرة وتهدأ أحياناً ثم ترجع وتلين ، وكأنما الكاتب فى نزاع مستمر بين نفسه وأهوائه ، أو كأنه هو ونفسه قرنان يشتد كل منهما عند ملغاف قوة صا .

هذه صورة نفس ابن زيدون يرأها القارئ إذا وقف عن كسب ونظر إلى حركته نفسه وهو يكتب أو

يمكر في هذه الرسالة . يرى نفسه الأتية وهو يفخر بها ويطن أنه من أهل الفضل ، ويرى نفسه المتهكمة ، وهو يحسب وبعد الذنوب الكبيرة التي تستحق مثل عقوبته ، لا يريد أن يقول هذا ظلم ، ولكن يريد أن يقول هذا حق وحق في الرأي ، ويرى نفسه السكتية التي أحسنها الاكدار فدلّت وأخذت تستعطف وتستشفع وتتملق ، يرى الإنسان كل ذلك في هذه الرسالة ، ومن هنا جالها وإبداءها . لامابها من الأسلوب المبلغ أو العبارات المختارة لا غير .

أما رسالته الثانية التي كتبها لابن عبدوس من لسان ولادة ، فقد دلّ فيها على اطلاع واسع بالأمثال والأخبار ، وعلى باع أوسع في الهباء ، لأنه أقنع في ذم ابن عدوس إقداعا ، وتهكم به تنكماً لا مثيل له حتى إنه لجبل إلى الإنسان أنه جمع كل ما يمكن أن يقال في الذم والتهكم وأفرغه على ابن عدوس واستعمل أسلوباً حيلاً خلافاً يدل على تمكنه من التصرف في الكلام ومعرفة امتلاكه عقول القراء ، لأن هذه الرسالة على ضوئها وكثرة الاقتباس فيها الذي يستغرق أروسة أحاسنها أو أكثر ، وعلى ما فيها من الأمثال المعروفة والأبيات المشهورة ، والاطّاب في ذكر الأسماء التي بكى منها القليل ، ليس فيها ما يدعو إلى الملل ، ولا ما يشعّر بالاستهجان والابتدال . على أن بها شيئاً كثيراً من تلك العيوب ، فقد ذكر أكثر من حسين اسماء مشهورى الرجال ، مردها سرداً ، وكان بكى عشرها ، وأكثر أيضاً من صفات الدم مما كاد يكون ثثرة ولعوا ، ولكنه ستر كل ذلك براعته في الصنعة ، وليس أدل على حفاء الطبع وغلظه من هذه الرسالة ، فقد ابتدأها بسفاهة مادرة ، ولكنها سفاهة أدبية فنيه فقال :

« أما بعد أيما المصاب عقله الخ »

وسار على هذا النحو وأكثر من ذكر هذه الأسماء ، ثم أقنع في الذم وأغش في صفاته فقال :

« وهما لم تلاحظك حين كاتبة عن عيونك ملؤها حبها حس بها من تود . الخ »

واستمر على هذا النحو إلى آخر الرسالة بصرف الأمثال للاستهزاء والتهكم ، ولقد كشف ابن زيدون في هذه الرسالة عن نفس حقودة بحجة الانتقام وأنه شديد الحفيظة ، ودل على غلظة في طبعه ، وحشونة في أخلاقه مع ذلك وهي رسالة تمار أسلوبها ، وتاسق عباراتها ، وأعلّ ابن زيدون أحد هذا الأسلوب عن الحافظ في بعض رسائله ، كما في رسالة الترتيع والتدوير .

## ٢ - دراسة الأستاذ السكندري<sup>(١)</sup>

عائته وأدبه وبديته :

نشأ ابن زيدون في عصر احتل فيه نظام ملك بني أمية لجأة ثورة البربر المشؤومة ، وفات هذه الثورة وآثار الحصار في كل شيء من علم وأدب وروح صاربة مجرأتها في قرطبة ، فكانت غيبة بالعلماء والفقهاء والمؤيدين والشعراء والمحسنين في كل صناعة ممن بيتوا في عصر المنصور الهامي<sup>(٢)</sup> ، فصادف ابن زيدون من نبل من علمهم وكرم من أدبهم ، وكان أبوه وعشيرته من أهل الفقه والأدب فلم يكن إقباله على ما أخذ به أهله أنفسهم بدءاً من نفسه ، وإتما حرى من مضارهم فزهم ظملاً وأدباً ، وبعد صيت وعلو همة .



## كتابة ابن زيدون

### (أ) طريقته فيها :

كانت طريقة كتابة الأندلسيين منذ عصر الناصر والمستنصر جارية على أسلوب ابن العميد وحلبته من أمثال الصاحب بن عباد والبديع والحوارمي والصابي ومن تابعهم من أمثال الحريري والعماد والاصفهاني ، وكان الكاتب الأندلسي الذي يسج على منوالها ، وإن حلّ المأثور من النظم وضمن بعض القرآن والحديث لا يعلل ذلك على قوله وتفقد فيه صورة نفسه وخاصة طبعه ، بل كانت تكون له التشبيهات الرائعة والتعليقات الحسنة ثم هو لا يخرج عن الترام السجع غالباً . وابن زيدون رعى هذه الطريقة من بعض الوجوه وخالفها من بعض ، فأما ما رعاه في كتاباته منها فهو :

- ١ - حل النظم من مشهور الأبيات .
  - ٢ - الاحتجاج والاستشهاد بكثير من هذه الأبيات مستعلاً لها استعمال الأمثال فلا يفسحها إلى قائلها .
  - ٣ - الاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث بلفظها أو تغيير بعض نظمها .
  - ٤ - تضمين الحكم والأمثال بلفظ أصحابها أو تغيير في نظمها .
- وأما ما خالف فيه فهو :
- ١ - عدم الترام السجع
  - ٢ - الاستكثار من أمثال العرب القديمة استكثاراً كاد يسج قوله الخاص بجمانه صائماً وبخاصة العريب من هذه الأمثال .
  - ٣ - الاستكثار جداً من ذكر أسماء رجال التاريخ المشهورين .
  - ٤ - الاستكثار جداً من أسماء الوقائع الشهيرة في التاريخ .
  - ٥ - الاستكثار من الحل المترادف على مثال واحد في المعنى الواحد حتى يتكوّن منها فصل طويل يشتمل فراغاً كثيراً من الرسالة لو اقتصر على فقرة واحدة من الفقر المتكررة في المعنى لزلت الرسالة إلى خضمها أو سدسها . وهذه الطريقة عبت على كتاباته وهي على رسالتيه الجدية والهرلية أغلظ ولا سيما الهرلية .

### (ب) منزلته فيها :

اشتهر ابن زيدون عند المعاصرين والمشارقة بأه من بلاء الكتاب والشعراء ، فأما الشعر فلا جدال في استحلاله ، فلاستحقاقه ذلك الصيت الدائم فيما تاولل وتعليل يخرجان عن حدّ بلاغة الكتابة في ذاتها إلى أمور خارجه عن جوهر الاجادة ، وذلك أن كتابته اشتهرت بين الناس لأسرین :

أولاً : أنها ليست على منوال كتابة الأندلسيين في عصره بل هي مخالفة لها في بعض الصور ، وصدور العمل المخالف لعمل الناس من رجل متوسط في الحال لا فت بداته للأنظار ، باهر للنقوس ، فكيف به لو صدر من ذي شأن نبیه بمنصب رفيع ونسب عريق ، وصيت ذائع في السياسة والأدب والشعر وحسن المحاضرة والمداومة .

وثانياً : أنها باهرة لامعانيها وروعة أساليبها وشدة حوكمها في نفس قارئها بل بما اشتهرت عليه من وفرة التضمين والاستشهاد والوقائع وأسماء الرجال ، مما يكبر من شأن كاتبها في العهد ، ويصعد له

بطول الباع ، وسمة الاطلاع ، ويكبر من شأنها هي ، إذ تكون بمثابة مجموعة أدبية حافلة بمأثور الأقوال ، مرمّمة بكثير من حوادث التاريخ وأسماه الأبطال ، بحيث إذا حفظ ناظم متأدب الرسالة منها أودعت صدره زبدة اطلاع كثير وبحيث طويل ، فكان شهرته آتية من طريق انتشيف والتعليم ، فتكون في الأدب أشبه بيقن من متون العلم كثير المسائل والاحكام وحيز العبارة ، وهذا السبب بعينه هو سبب شهرة مقامات الحريري ، وبمس القصائد المحتوية على كثير من أسماه الرجال وحوادث التاريخ والحكم والأمثال ، كقصورة ابن دريد ورائية ابن عديون في رثاء دولة بني الأفطس ، ونونية الرندي ، ولامية ابن الوردى ، ونونية البسقي ونحوها ، وكلها عطية الأثر في التعليم والتأديب وسرعة التوقيف على أكثر ما لا يسع الأديب جهله في لفظ يسير وزمن قصير ، لافي بلاغتها ذاتها وحسن تأثيرها في النفس حتى تستجيب النفس لداعياها ، وتمتلئ على قائلها ، ولذلك تجد رسالة ابن زيدون الجديبة التي استمطف بها جمهوراً لم تؤد ما وصحت له . ولا نرى كلاماً هذا أن الرجل كان قليل الحائط ، أو ضعيف الارتحال ، فكل من تعرض لذكر أخاره يصعبه بقوة المارصة ، وسرعة الدهية والارتحال ، وأنه كان في مجلس ولادة يرتحل المقطعات الشعرية اللبية ، ويحاضر بالكت البادرة والأحوبة المسكتة ، ودفن بمس حرمه فوق الناس يمرّونه على اختلاف طبقاتهم فما أحاب أحدأ بما أحاب به غيره ، وتلك عاية لا تترك .

ولما خلق الرجل شاعراً مطبوعاً ، واصطرته الواراة إلى الترسل والكتابة فكانت كتابته بالشعر أشبه منها بالثر ، وأكثر الفاربية لا يتعدثون إلا في شعره على عكس المشاركة .

### رسالته الجديدة

هذه الرسالة أشهر رسائله وأبلغها ، وأكثرها عائدة على المتعلمين الذين يحفظونها وتوع فصولها وتعدد الأغراض التي رمت إليها ، والمعانى التي لوحث بها على ما أناته من أمل كاتبها ، وما حوته من روعة التأثير في النفس . وهذه الرسالة تمت بها من السحن إلى جهور يستمطع بها ولكنه منج الاستطاف بكثير من الزهو والامتداد ، واستقطاع العقاب على ذنب متوهم على طريقته الكتابية التي وصفناها آنفا . وإذا حللنا هذه الرسالة إلى عناصر الأغراض التي تألفت منها وجدنا أنها لاتعدو عشرة أغراض تؤدى في عشرة أسطر إلا أن كثرة الجمل المترادة الأسلوب والصورة زادت في درعها طولاً .

وذلك أنه ناداه بألفاظ السيادة أولاً ، ثم اعتذر له عن نكبتة إياه بعد ما أحس الجداد به الإنسان بصدق حدتمته له وثائه عليه ، بأن عمل الخير قد يمود على صاحبه بالشر ، وأول هذه المقامة بأنها صادرة عن حسن نية وقصد تأديب ، ثم أخذ يسترث العفو ، ويستقطع هذا العقاب الذي كان يصعبه كايماً لدع الأبالسة وكبار الفتاك والخارجين على الأنبياء والأئمة والدين ، مع إن المسألة لاتخرج عن وشاية حساد سمع جهور لهم فتكى وليه الذي نوه بذكره ، ثم أخذه الزهو فذكر أنه كان في مكنته أن يستبدل بخدمته خدمة من يرحب بمن الملوك ، غير أنه من عليه مفارقة وطنه ومولاه القديم ، ثم عود نفسه من أن يكون معه كالمتجبر من الرضاء بالنار ، وتناشده التي حتى توقع المكاك ، ثم استملح نثر هذه الرسالة ورأى أن يستلحقها بصيدة ، فكانت هذه في رأينا آتي لفظاً ، وأهذب موداً ، وأطبع اساقاً .

» ثم أورد القصيدة وقال : »

## محاسن هذه الرسالة ومعانيها

لا ريب أن مكان هذه الرسالة من الأدب العربي مكان المشهور المأثور المحفوظ في الصدور الملهة في السطور وذلك لأمر :

الأول : أنها جراب أدب حاو لجملة نماذج مختلفة من عيون مواد الأدب بما صنعت من اقتباس القرآن والحديث ، والأمثال ، والحكم ، والأبيات المشهورة ، وحل نظم الكثير منها والإشارة إلى ما فيها من وقائع التاريخ الشهيرة التي يجدر بالأديب معرفتها والاستفهام بها .

الثاني : حسن ملاءمتها بين هذه الصنوف ووحدة وصفها وجمع شتاتها في موضوع واحد مما يصر على غير حاذق التوفيق بين متباينة ، ويعمل نمطها غريباً ونسجها جيداً .

الثالث : حصانة عبارتها وجرالة لفظها وكثير من مواضعها وخاصة ما استقل به كاتبها معنى وإنشاء . ولكنا إذا نظرنا إليها بعين البصيرة وأمعنا البحث في بلاغتها أى مطابقتها في معانيها ومبانيها لمقتضى الغرض الذي وصفت له ، وهو الاستعطاف ، وجدنا أنها تقصر دون بلوغه لجملة أمور :

الأول : كثرة ما رددته كاتبها فيها من عبارات الامتنان على مولاه بطول ثنائ عليه وحسن سابقته عنده وعظيم بلائه في إقامة دولته مما يعده الرئيس عادة تعبيراً ونحجباً .

الثاني : تهديد مولاه بأنه لولا حب الوطن لكان له أرفع مقام في خدمة غيره من الملوك الذين يتسارعون إلى الترحيب به ، ويشاقسون في استخدام أمثاله .

الثالث : أن وضعها بهذه الصورة يجعلها غير كفيلة بأنجاح الغرض الذي وصفت له ( وهو تحريك عاطفة الرحمة والعمو ) بما يصرّف نفس قارئها عن أن يتأثر ببلاغتها ويشغلها تذكّر الحوادث والنقص التي أتت عليها ، وأسماها الناس ، ومضرب الأمثال ، فلا يفرغ القارئ من تعرف اسم رجل حتى يقع في مضرب مثل ، ولا يخلص من تفهم شاهد حتى يتقحم في أمر منه ، فيتقسم فهمه ، ويدقّق تأثره ، وما نأمن يأتي التأثير من انصباب غمرة من الانخداعات المتكررة ، بتكرّر العبارات البليغة المؤثرة ، فتحدث بمجربوها أثرأ كلباً في النفس ، فتحيش بالشفقة ، وتهش للعمو ، وبمثل ذلك كان الإنشاء المبرقش بكثير من أنواع البديع غير مؤثر ببلافته ، لشغله الدهن عن التأثير ، وصرفه إلى تمهيم البديعية .

ومن هذه الوجهة نرى أن رسالة ابن زيدون ليست مثالا يحتذى للإمضاء اللين المؤثر في النفس .

الرابع : وقوع بعض هجوات له ذكرها الصفدى كاحتياج فغارها إلى ذكر فغار بعد تتم معناها وتلثم بها مع ما بعدها ( وهذه نصرب صفحاً عن ذكرها ) وكبعض أخطاء في المعنى والوقائع ( وهنّه نشير إلى بعضها ، ومن أراد مراجعة الجميع فعليه بهرح الصفدى ) .

فمن هذه قوله ( وتأولت في بيعة العقبة ) وسياق كلامه في هذا الفصل يقتضى ذكر أسماء أناس منكرات يبرأ هو أن يكون مثلهم ، ولم ينقل أحد من أهل الأثر أن أحداً ممن بايع فيها تأوّلها أو نكثها .

ومنها قوله . « وتخلّعت عن الصلاة في بى قريظة » ولم يعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنكر على من تخلف عن صلاة المصر في بنى قريظة وصلّاها في الدريق بل أقرّ الجميع على عملها وهد ذلك من اجتهاد الصحابة .

ومنها قوله « وزعمت أن بيعة أبى بكر كانت فلتة » مع أن قائل هذه الكلمة عمر بن الخطاب ، ولم يخلها عن إرادة سوء فلا ينبغي أن يمثّل به في أعمال الجنّة .

ومنها قوله « وكتب إلى عمرو بن سعد أن يجمع الحسين » مع أن المكنون إليه الحرث بن يزيد التميمي لا عمرو بن سعد .

وقد أتى الصفيدي على عيوب آتية من تصحيح أو سوء تأويل منه هو ، أعرضنا عنها خوف التناول .

### رسالته الهزلية

كان الوزير أبو عامر بن صدوس ينافس ابن زيد بن حب ولادة ، فاتفق أن يحدث رومة بينهما ، فأرسل ابن صدوس إليها امرأة من صواحباته تستبيلها إليه ، وتذكرها بصله وأدبه ، وردت ولادة المرأة الحليمة ، وكتب ابن زيدون إلى ابن صدوس عقب رجوع المرأة هذه الرسالة على لسان ولادة ، يرد عليه وينهك ويهجو ويتوعده . وفي طنا أن ابن زيدون كتبها من نفسه تشفياً من ابن صدوس لا عن رأتى ولادة ورواها عما ألحش فيها وأقنع .

والرسالة كساعتها وقلة أعراضها وتكرار أساليب مصولها ، وذلك أنه بدأها بوصف ابن صدوس بأوصاف الخلق والمهلاء منكرأه إرسال حليته إلى ولادة ، ثمثية عليه ومرغة فيه ، واصعة له بأوصاف أعيان الرمان من اللعاء ، والأدباء ، والأطباء ، والفلاسمة ، والشخصان من فلان وفلان ، وإن ولادة طردتها أشنع طردة ، ثم أحد يهجو بأوصاف في الخلق والخلق ، وإن ولادة لو أرادت الرجال لكان لها من الأكفاه من قومها وأعيان رماها من يفعله ساء وشرفاً وحمالا الخ .

### ٣ . دراسة الأستاذ علام سلامة<sup>(١)</sup>

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المحرومي القرطبي كان من أبناء وجوه الفقهاء قرطبة ورع في الأدب والعموم ، هم عليه فصله ، وداع صيته ، وارتفعت مكانته ، واحتسب به أبو الوليد ابن جهور أحد ملوك الطوائف واتحدته وريراً وأنتد عليه في السفارات نبيه وبين ملوك الأندلس ، فأعجب القوم به ، وتموا ميله إليهم أبراعته ، وحسن سيرته ، واتفق أن يتم عليه ابن جهور وحبيه ، فاستعظمه برسائله الساقية ، وأثالثها فلم يس ذلك عنه شيئاً فتحيل لفسه حتى تسال من حبسه واتصل بالمعتصم بن عباد صاحب إشبيلية سنة ٤٤١ هـ خل من محل السويداء من أهوآد ، واستخلصه استخلاص المعتصم لاس أنى دؤاد يحالسه في حلوانه ، ويركن إلى إشارته ، ولم يزل هذه وعند انه المعتصم قائم الحاء وافر الحرمة حتى توفي سنة ٤٦٣ هـ وكان له ابن يقال له أبو بكر تولى وزارة المعتصم ، وقتل يوم أحد يوسف بن تاشفين قرطبة سنة ٤٨٤ هـ وقد أتى عليه ابن بسام في الدحية قوله : كان أبو الوليد غاية مثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني محروم ، فاق الأنام طرا ، ووسع البيان فظاً ونثراً ، إلى أدبائس للحرح تدفقه ، ولالندر تألقه ، وشمر ليس للسحر بيانه ، ولالانحوم الزهر افتترانه ، وحط من النثر غريب اللاني ، شعري الألفاظ والمعاني .

ومما يحكى عنه في سمة البيان والندرة على التنفن في أساليب الكلام أن استه توفيت فوقف للناس عند منصرفهم من الجبازة ليقشكر لهم ، فما أعاد عبارة قالها لأحد ، وهذا عجيب للآية ، ولا سيما أن يزون قد قذاعة من كبده :

« ولكنه صوب العقول إذا انبرت سحائب منه أعقت بسحاب . »

## كتابه

كان ابن زيدون مع صفاء قريحته ، وقوة سليقته في البيان يؤثر الرواية والثاني لنسج القول ، وكان مع سعة روايته لقول الأدب علما بأخبار العجم والعرب ، متمسكا من كل ما يعوز الأديب بسبب ، فليس بدعا أن يكون لكل أولئك آثار في كتابه ، وليس بدعا أن لم تكن كتابته عفو الحاطر الساخن ، ولا وحى البديهة الباردة ، ولا عصاره عصر الحبيب ووليدة التشكف ، فقد جاءت خلاصة الرواية المحصيفة تؤيدها قوة الطبع ومصاصة التنقيح السديد ، يؤازره لطف الدوق ، كما جاءت سبك رائعة صاغها صانع من مبتكر للمعاني الساحرة ، ومستل الأمثال السائرة ، ومتنفس الآيات النادرة ، ووصفها فرائد من أخبار الناس ونوادر الحوادث . ولئن كان الديق قد فاقه في استرسال الطبع ، ولطف الخيال ، ورشاقة المعاني ، لقد فاق هو الديق في متانة الباني ، والتعلم في نواحي المعاني ، والصر بمواضع الاقتباس ، وتوشية الرسائل بأخبار الناس . أما أوضح ميزاته ففعالة الألفاظ في غير كرازة ، وعلو الأسلوب في غير اعتساف ، ورصانة المعاني في غير حفاف ، والتأليف بين جمال الخيال وحلال الحقيقة .

ومن ماسن رسائله رسائله الهدية والهرلية وكتاها غرّة في حين الآداب العربية ، وقد عي بهرحما كثير من الأدباء . أما شعره فله دياحة رائة ، وصياغة بارعة كماها هو سسائك النصر ، أو حدائق الأزهار ، إذا سب أنساك صاحب بثينة ، وإن مدح حلتة شاعر مرينه ، من مقطعاته التي تشهد له بجودة الطبع ، وإتقان الصنة قوله :

« بنى وبك مالو شئت لم يصع سر إذا داعت الأسرار لم يدع . »

ومن شعره الذي يحتلط بالروح رقة ، وبالهواء لطافة قصيدته التي كتبها إلى ولادة التي كان شديد الكلف بها والهام بحبا يستديم عهدا ، ويؤكد ودّا ، وفيها يقول :

« أضحى الثاني بدلا من تدانيدا ورت من طيب لقيانا نحافينا . » الخ

وقد سقا أكثر هذه القصيدة لزاهتها ، وقد من بعض شطورها ابن الوكيل في موشحة ، وسدسها بعض أدباء العرب .

## ٤ - دراسة الأستاذ أحمد زكي باشا

### أولية ابن زيدون

كان في جملة القبائل التي دعت إلى الأندلس وهط من بي مخزوم توطنوا في جهات قرطبة وما إليها ، وناهيك بهذه القبيلة ذات الشرف الصميم ، واللسان القويم .

فكان بنو زيدون من رجالاتهم المدودين ، خصوصا في الفقه والأدب ، واشتهر منهم ثلاثة حفظ لنا التاريخ أسماءهم ، وهم :

(١) أبو بكر طاب بن زيدون

(٢) أبو الوليد أحمد بن زيدون

(٣) أبو بكر بن زيدون

كان مولد الأول في سنة ٣٠٤ ومات سنة ٤٠٥ بعد أن بلغ من العمر مائة سنة . توفي في ضيعة له .  
ثم نقلوا تابوته إلى قرطبة ، فدفن بالربيع ( أي صاحبة ) .

وهناك رثاه أبو بكر عبادة الشاعر الأندلسي بما يروى بمقامه في قوله :

« أي ركن من الرياسة هيباً وجوم من المكارم غيباً  
حلوه من بلدة نحو أخرى كي يوافوا به ثراه الأريضا  
مثل حمل السحاب ماء طيباً لتداوى به مكاناً مريضاً . »

وأما ثانيهم هو واسطة العقد ، والذي يدور عليه كلامنا . والثالث هو الذي تقلد بعد أبيه ( أي الوليد )  
وزارة المعتد بن عباد ، واستتم لأبيه من دى الوراثين ابن عمار ، وكان أبو بكر هذا هو الذي تولى  
السفارة عن ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الأقصى حينما تنمر الاسمايون مع ملكهم  
الإدموش ( الفرس السادس ) ملوك الطوائف ، وخصوصاً لى عاد في خلب بطول شرحه ،  
ولا يسع المقام تلخيصه .

### من هو ابن زيدون ؟

هو دو الوراثين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عاصم بن زيدون المحرومي الأندلسي . كان مولده  
بقرطبة في سنة ٣٩٤ أي في الوقت الذي سرى فيه الاحتلال في حرم الخلافة المروانية بالأندلس بعد أن  
بلت من المجد نهاية الهيايات ، وأدركت من الفجأة ما لا تصدق معه الروايات . في ذلك الوقت تحملت عرى  
الدولة ، فاهتم المسلمون على أنفسهم ، وتحادوا ، واستنصروا أعداءهم على بعضهم بعضاً ، وسلموا البلاد  
والقلاع والحصون واحداً تلو الآخر إلى أعدائهم وأمد بهم بالمعونة على إخوانهم ، وهكذا حتى أودت تلك  
الفوضىحة بذلك الملك الكبير ، ثم أتت على القوم بأكلهم فأصبحوا حبراً بعد عين . تتسأل عنهم بقولنا  
كيف وأين ؟ في تلك الأيام استطهروا على شهورهم بحر ديولها ، وامتروا نظالاتها من أحلاف أباطيلها .  
حتى اشتقت عصاهم ، ودارت بدائرة السوء ، على الجهالة رحاهم .

كان ابتداء الاضمحلال والاعمال من أول يوم جلس فيه المستعين على عرش الخلافة في منتصف  
ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ .

فقد كانت أيامه كلها كما وصفا ابن حيان الأندلسي « شداداً بكرات ، صماناً مشؤمات ، كرميات المبدأ  
والعاقبة ، قبيحات المنتهى والحاقبة ، ما فقد فيها حيف ، ولا ورق حوف ، ولا نمر سرور ، ولا فقد غذور  
مع تير السيرة ، وحرق الهيبة ، واشتعال الفتنة ، واعتلاء المصيبة ، وظلم الأمن وطول الخما ، دولة  
كفاهها ذما أنها تحمضت عن الفارقة الكبرى ، وآت من التي بعدها إلى ما كان أعصّل وأدهى . مما  
طوى بساط الدنيا ، وعفا رسمها وأهلك أهلها ، وإذا أراد الله شيئاً أمصاه . »

وكذلك لم يكن في المستكني أدنى كرامة للخلافة . وإنما أرسله الله على الأمة بمنحة وبلية . إذ كان منذ  
عرف منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، عاطلاً عن كل حلية تدل على فصله ، عصته الفتنة فأملق ،  
وهان حتى أهانه أهله ، ولقد رآه أبو حيان مؤرخ الأندلس المشهور أيام الحسب بأهل بيته في الدولة الموحدية  
ولم يكن من لحقه الاعتقال منهم لركا كنه . كان يقصد أهل الفلاحه ليوثد بقرطبة أو أن ضدهم لملاتهم  
يسألهم من زكياتها . قال « وقد أجم أهل التحصيل أنه لم يجلس في الامارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ؛

ولا أقص . إذ لم يزل معروفاً بالتحلف والركاكة ، مشتهراً بالشرب والبطالة ، سقيم الدم والملائية ، أسير الشهوة ، عامل الخلوة . »

ذلك الوقت هو الذي أشار إليه ابن حزم بقوله :

« فصيحة لم يقع في الدهر مثلها ، أرمدة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها ، يسمى كل واحد منهم بأمرير المؤمنين ، ويخط له في زمن واحد : أحدهم حلف المصري بأشيبيلة على أنه هشام بن الحكم المؤيد . والثاني محمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة المصرية ، والثالث محمد بن علي بن حمود بمدينة مالقة ، والرابع إدريس بن يحيى بن علي بن بشته ، تلك هي الأيام التي نرى العرب والبربر فيها في حصار مستديم ، وكان كل من الفريقين منقسماً على نفسه ، وكان الجميع في خلاف مع أهل المغرب الأقصى من الجنوب ، وفي حروب وخطوب مع بقايا الأمم الإسبانية من الشمال والعرب . في ذلك الوقت المصيب تفرق أهل الأندلس فرقاً . وتلب في كل حمة منها متعل . وهم الذين عرفهم التاريخ باسم — ملوك الطوائف — وقد أرادوا أن يفحموا أنفسهم وممالكهم فتقسموا ألقاب الخلافة ، كما تاهوا أشلاءها . فكان منهم المعتضد ، والمأمون ، والمؤتمن والمستعين ، والمقتدر ، والمعتصم ، والمعتد ، والموفق ، والنوكل . إلى غير ذلك من الألقاب الخلافة . حتى قال في ذلك أبو علي الحسن بن رشيق ببطين سارا سير الشمس ، وبقياء الدهر ، وهما :

« مما يزهدني في أرض أندلس سماع معتد فيها ومعتصد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالحريكي انتفاخاً صولة الأسد . »

فكانت طرطوش ، وسرقسطة ، وافرغة ، ولاردة ، ومقلمة أيوب في يد بني هود . وكانت بلنسية في يد عبد الملك بن عبد العزيز ، وكان الثمر أي مانون طليطلة في يد بني دي الون وكانت قرطبة في يد أبناء جهور ، وكانت أشبيلية في يد بني عباد ، وكانت مالقة والجزيرة الخضراء وغرناطة في يد بني رزال من البربر ، وأما المرية فكانت في يد رهبر العاصري الحادم ، ثم حيران العاصري الحادم ، ثم ابن صمادح وكانت دابية وأعمالها والجزائر المرقية ( البليار ) في يد مجاهد العاصري ، وكانت تطليوس وبيرة وشترين في يد بني الأفضس ، فلاجب إذا كثرت الورراء في تلك الأيام ، ولاعب إذا كثرت أيضاً ذوو الوزارتين ، فالناس على دين ملوكهم ، فكان كل من امتلك مائة كيلو متراتبعاً في مثلها يعد نفسه سلطاناً كبيراً . ويتخذ من الحاشية ما يصارع به أئمة الخلافة وقد كان عهدهم بها قريباً — فكثرت عندهم الورراء ، وكثرت بينهم الذين يدعون أنفسهم بدو الوزارتين .

ومن الطبيعي أن الرئاسة إذا انحطت عن حالاتها تبعها الرؤوس في السقوط ، فلما تدلت الخلافة في الانحلال صارت الورارة أيضاً في درحات الهوان . فإن المستعين الذي ذكرناه قال بعد أن حاس على عرش الخلافة للناس أجمعين . ارتعوا كيف شئتم ، وارتمسوا بما أحببت من الخطط ، فسمي بالورارة مفردة ومثناة أرادل الدائرة ، وأعابت النظار ، فضلا عن زعائن الكتاب والخدمة ( عن ابن بسام ) وصارت هذه الرتبة تحط مع انحطاط الدول ، حتى نزلت في أواسط القرن الثامن للهجرة إلى المرحلة التي وصفا لها ابن فضل الله العمري حيث قال :

« سألت الشيخ العلامة ركن الدين أبا عبد الله بن التوقيع رتبة الوزير بالمغرب ، فقال : ليست بطائل ، ولا لصاحبها شيء من الأسر . بل هو كالجلاويش يخرج من قدام السلطان يوم الجمعة : حقيقة دون السمعة » وقد استبد هؤلاء الرؤساء بتدبير ما تغلبوا عليه من الجهات ، واقطعت الدعوة للخلافة ، فلم يبق لخليفة

هاشمي أو أموي ذكر على منابر الأندلس خلا أيام يسيرة دعي فيها بإشيلية لهشام المؤيد بن الحكم ( أو لتجس شسبه له ) حسباً اتصنته الحيلة ، واضطر إليه التديير . ثم انقطع ذلك ، فأشبهت حال ملوك الأندلس بعد الفتنة حال ملوك الطوائف من الفرس بعد قتل دارا . وحال قواد الاسكندر بعد وفاته . ولم يزل هؤلاء الرؤساء في اقتتال وتخاذل ، يستعينون بعدوهم جميعاً فيبيل تارة إلى هذا وطورا إلى ذلك حتى اختلت الأحوال إلى أن تولاهم الصمصه فاستنصروا بالمرايعين فانظلم الشمل ، وعادت المياه ذاربا . ولكن إلى أجل معين . ثم عاد الانشقاق والانقسام ، فانحطت كلمة الاسلام ، وانطأ ذلك النور ، وباد القوم عن انحرهم في سنة ٨٩٧ هجرية . بعد أن أقاموا فيها ثمانية قرون . لأن دخولهم كان في سنة ٩٢ للهجرة على يد طارق يد زياد .



رفعت الستار عن هذا المنظر المزن ليكون لكم ولأمم المشرق تذكرة وعبرة . خصوصاً في الأوقات الحاضرة ، والآن أقول لكم إنه على الرغم من توالي انقفا . واضطراب الأحوال كانت سوق الأدب رائحة وبصاعة نافعة . فكل أمير ، وكل وزير ، وكل كاتب ، وكل وحيه كان له من الأدب نصيب وامر . عرما من تقسيم الأندلس بين ملوك القوافل أن بني جمهور استبدوا بقرطبة وأن بني عباد استأثروا بإشيلية ، في المملكة الأولى درج دو الورارئين اس زيدون وترى وطهر فصله . وفي الثانية قصي بقية أيامه في المزا والكرامة . وكانت بها وفاته في محرم سنة ٤٦٣ هـ على التحقيق الدقيق كما نص عليه معاصره ابن سام ولا عبرة بالأقوال الأخرى من وفاته ، لأن الدين قالوا بوفاته في سنة ٤٠٥ هـ خلطوا بينه وبين أبيه غالب ابن زيدون .

اشتغل ابن زيدون بالأدب ، ولخص من كتبه ، وقف من دقائقه . إلى أن رجع وبلغ من صناعاته الشعر والنظم المبلغ الطائل . حتى قال فيه ابن بسام :

« كان أبو الوليد غاية مثور ومنظوم وحاتمة شعراء بني محروم . . الخ . »

وما هم أن أصبح في الأندلس « متبم ذلك الحى ، وعاشق ولادة لامي ، راد على مجوى ليلي ، وقيس لبي ، وابن أن ربيعة صاحب الثريا ، تركه هواه أنحف من قلم ، وأشهر من ناز على علم . وله مع ولاده أخبار ماحكي مثلها ابن أنى عتيق ، ولا الاصفهانى من سكان وادى العتيق ، ولا الأصمى من أهل ذلك الفريق ، أندى من نسيم الصباح ، وأرق من رقيق العوادي في ثمرور الأفاح » وإذا تصفحنا دواوين الأدب هند الأمم الأخرى لا نخلد له شيكاً سوى تيبولس شاعر الرومان . وتقسف حياة ابن زيدون إلى قسفين مهين ( ١ ) في قرطبة ، ( ٢ ) في إشيلية .



أولاً - في قرطبة : برع ابن زيدون في الأدب ، حتى كان أبو الوليد في الأندلس شبيهاً ومثيلاً لأبي الوليد في دولة التوكل العباسي ، وقد سماه الناس بحزى الأندلس ، ولقد صدقوا . فن جملة المخطوط عنه في صاه قوله :

أخذت نك الهوى غصباً ولى نك . . الخ.

ثم هام بعد ذلك بحب ولاده بنت المستكفي الخليفة الأموي بالأنطلس ، وكانت أدبية ، شاعرة ، جملة القول حسنة الشعر ، هائل الشعر ، ولساجل الأدياء . وحرمت حمراً طويلاً ولم تزوج قط . جاءت على خلاف



أيها وكلّ أوصالها . فكانت مصداقاً لقوله تعالى « يخرج الحيّ من الميت » وقد ابتذل حجابها بمسد نكية أيها وقته ، فصارت تجلس للشعراء والكتاب وتماثرهم ، وتخاصمهم ، ويعتصمها الكبراء منهم . وكانت على خلق جميل ، وأدب غصن .

وكان لابن زيدون معها أخبار تطرف القلوب ، وتشف الماسم ، لأنه خلق في هواها المذرى عذاره ، وقد شهد المؤرخون كلهم لها بالهمة والصيانة . ولكن الشعراء في كل واد يهيون ، فكيف لا يهيم بولاده أبو الوليد بن زيدون .

والقام لا يتسع لاشعاره فيها وإشعارها إليه . ولكي آتيكم براموز ومثال ، واترك الباقي لغير هذا المجال . ودعها ذات يوم فأنشدتها سرّتحلا :

« ودع الصبر محب ودعك . . . الخ »

ثم قال :

« يانارحا وصير القلب القلب مثواه . . . الخ »

ولما كان مجلس ولادة بقرطة منتدئ لآحرار مصر . وداؤها ملعباً لحباد النظم والثر . يمشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، وينهات أمراء الشعراء والكتاب على حلالة مسامرتها ، وهي مع ذلك مخافطة على علو النص ، وكرم الأساب ، وطهارة الائتوب ، ولقد طمع مصمم في الاستئثار بها دون ابن زيدون فنازعه على حبها وزاجه في ودعا رجل من رجالات عصره ، وهو أبو عبد الله البظليوسي ، فكنت إليه ابن زيدون يزجره بهذا الزجر :

« أيا عبد الإله اسمع . . . الخ . »

ومنها الوزير أبو عامر ابن عبيدوس الملقب بالفار . وكان من أكبر رجالات قرطبة ، فاغتاط ابن زيدون وبست إليه بهذه الآيات :

« أثرت هزبر العرى إذ ربحن . . . الخ »

ثم كتب له رسالته المشهورة على لسان ولادة ، وقد عث فيها به كما عث الجاحظ في رسالته « التريع والتدوير » بأحمد بن عبد الوهاب الكاتب في بغداد ، فاشتهرت رسالة ابن زيدون في المشارق والمغرب وهي التي شرحها كثير من أدباء المشارة ، كابن نباتة والصفدى .

وشرح ابن نباتة قد طبع في مصر مراراً . وهو في طاية الحس ونهاية الفائدة . وأما شرح الصفدى لهذه الرسالة فلم يصل . على أن ابن عبيدوس لم يثق عن محاولته . حتى تمكن من إيقاع الجفوة بين ابن زيدون ولولادة ، واستأثر بها دونه ، فاغتاط ابن زيدون والتجأ إلى قريضة الفارسي ، فلعس الرجل بقوله :

« أكرم بولادة ذخرا لمدخر لو فرقت بين بيطار وعطار

قالوا أبو عامر أضحى يلم بها قلت الفراشة قد تدنو من النار

غير تمونا بأن قد صار يخلفنا فيمن نحب وما في ذاك من عار

أكل شهي أصبنا من أطايبه بعضاً وبعضاً صفعنا عنه للفار . »

وايضا فاز ابن زيدون بماء . من إقصاء الفار عن حماء . بل أن ولادة أخذت تمبث بذلك الوزير . حتى لأنها صرت به ذات يوم في تربها وسربها ، وكان الوزير ابن عبيدوس حالاً على داره يستنشق الهواء العليل ، وكانت أمام ديرة بركة تجمعت فيها مياه المطر ، وانساق إليها شيء من أقدار الدار . وكان الوزير

جالسا في أبيته وعظلمته وقد بشركية ، ونظار في عطفه ، وحفر أعوانه إليه . فلما قربت منه ولادة ناذته باسمه ، فحش إليها وبش ، واقرب من البدر فقالت له وهي تشير إلى البركة : يا ابن عبدوس :

« أنت الحبيب وهذه مصر فتصدقا فكلّا كما بحر . »

ثم نفرت كالظبي الشارد وتركته حائراً نائراً . باهتاً صامتاً ، لا يحير جواباً ، ولا يبي خطأ ولا صواباً ، وهذا البيت لأبي تواس تمثلت به ولادة وقتله هذا القل الحسن من المدح إلى الهجاء .

غير أن هذا الوزير صبر حتى خلا جو قرطبة من ابن زيدون فاستأثر بولاده وعاش وعاشت حتى بلغا الثمانين وهما يتراسلان ويرتمان في سائين الأدب ورياض العقاف .



لم يبلغ ابن زيدون الخامسة والعشرين من عمره حتى نبه ذكره ، وهم صيته . اصطحه أبو الحزم بن جهور المتغلب على قرطبة ونواحيها وصواحيها ونوه به لانه رأى في الآداب ، وعمدة الطرف . والشاعر البديع الوصف . ولما له قرطبة من الأنوثة السلية ، والوسامة والدراية ، وحلاوة المنظوم ، وقوة العارضة ، والافتنان في المعرفة ، فكانت الكتب تعذ من إنشائه إلى شرق الأندلس يقول : تأتي اشبيلية كتبها بالنظم الخطير ، أشبه منها بالمتنور . ثم ترقى وظائف الدولة القرطبية حتى صار إليه النظر على أهل الذمة . ثم رآه ابن جهور أهلاً للوزارة فراه إليها . بل حله دا وزارتين ، فكان منه بمنزلة السكير والوزير والمشير والسمير . فكم أنفذه إلى ملوك الطوائف لأمور سياسية . ولحجرات تقتضيا المعاملات والمجاهلات التي التي يوجبها ، أو بدعو إليها علاقته معهم أو مع ملوك الاسبانيين الذين كانوا يقرصون به وبهم دوائر السوء . فأحس ابن زيدون التصرف في ذلك . وعلب على قلوب الملوك . حتى كان كل ملك يخطب دمه . ويتنى أن يقيم عنده . ولكنه بعد ادعاء مهمته يرحل إلى صاحبه بقرطبة وإلى محالسه أسسه بها . ولهوه بأهلها في ذلك الوقت المضطرب بالمتة الداخلية . والخطوب الخارجية . كانت الحاسوسية لها أثر في مصالح الدولة ، وفي أحوال الأفراد .

ترك أمور الدولة وسياستها حاساً . وتقتصر على الدائرة التي ارتصينا لافسنا الجولان فيها وهي ميدان الأدب .

وتذكر حكاية تدل على الجاسوسية الفردية في تلك الأيام .

كانت بقرطبة حارية تتعشق في من الفرشيين . وكانت لوجدها كاتمة . ولما كان الخبير وصل إلى الوزير ابن زيدون ، فلم يعأ به لأن القوم كلهم كانوا يتاملين في هذه السبيل .

وكانت الجارية تقول الشعر فجاشت معها بيت فد وامتنع عليها ما تريد . وهذا البيت هو :

« يا معطفي عن وصال كنت وارده هل منك لي غلة إن صحت : واعطني . »

لجأت إلى كبير الوزراء . وأمير الشعراء . وسألته أن يزيد عليه شيئاً وهي تظن أنه لا يعلم بما هي فيه من الغرام . فأسلك القرطاس واغتم فرصة الروى ، وما يعلمه من السر المطوى ، فكتب :

« كسوتني من ثياب السقم أسبقها ظلاً وصيرت من لطف الضنى فرهى . »

.....

« جنى إذا الندت الإيجان طيب كرى جفا المنام وصاح الليل يا قرهى . »

ومن تأمل أحوال الأندلسيين رأى أنهم كانوا يبالغون في التشبه بالفرقيين في كل ما اشتبهوا به أو اشتبهوا

من أحوالهم ، فمنازعتهم وعمازهم وقصورهم ومنازهم بسببها بما اختاره الشرقيون في بلادهم كذلك حاكمهم في مجالس أسهم . وأما أقصر على ما يتعلق بابن زيدون وصحبه ، وأمهده لذلك بما كان في بغداد . كان في دار السلام الوزير المهلب المشهور ، والفاضل النسخي ، وقد بلغنا من الكبر سنًا عاليًا . ولهما ذقون بياض تنهل على صدورهما ، وكانا يتعاطيان في النهار أمور الدولة بناية الحشمة والوقار . حتى إذا جن الليل اجتمعا في مجلس المقار ، فكما يفرمان في أواني من البلور والنضار ، ولا يكتفیان بلذة الشراب ، بل يمسان أذنانها في الأواني ، ثم يرش كل منها الشراب بتلك الرشاشات الفريسة على صاحبه لتتم لها لذة السكر حسا وسمي . باطنًا وطاهرًا ، ويستمرآن على ذلك طرفا من الليل . حتى إذا جاء الصبح عادا إلى أشغالهما ، الوزير في تدير الدولة ، وقاضي التفتة في النظر في الخصومات ، والحكم على منتهى الصريح ، وأستمرّا على هذه الحال في معاقرة المدام ، حتى واماها الحمام .

فاسمعوا ظير ذلك في قرطبة . كان القاضي أبو بكر بن ذكوان ، من الجلالة باسمي مكان ، أدركته حرفة الأدب ، وله في العلم باع طويل ، وكان ينشبه في خلوته مع ابن زيدون ، بالداعي التنوخي مع الوزير المهلب ، وهناك ما شئت من دعابات ورقاعات ، وما تخيلت من فكاهات ومجانات ، حتى إذا أصبعا ، ذهب دو الزاوتين إلى شأنه في ديوانه ، وبكر أبو بكر إلى مجلس الحكم ينتهي الحق ، ومتى اقترب المساء عادا إلى النصب ، وتجاوزا في ميدانها كل وصف ، إلى أن سطا الدهر على أبي بكر .

واتفق أن سرّ ابن زيدون يوماً بغير ابن ذكوان في لمة من إخوانه ، وجاءه من عمار ميسدانه ، مصطفىا عليه مسلمين ، فقال أبو الوليد بن زيدون مرتحلا :

« انظر لخال السرو كيف تحال . . . الخ »



ففي أديب حر يصل إلى هذه المسكاة قبل أن يصل إلى الثلاثين من العمر ، فكيف لا يكون كما كان المتنبي حرب الزمان والدهر . ثم قد دبت عقارب العيرة بينه وبين حاسدي نعمته وسعادته ، والمناظرين والأنداد فتألبوا عليه وآسروا حتى انتهوا بإياعه في شركهم ، ونجحوا لدى الأمير ابن حمور نفسه حسبا طالت مدته ، فكانت تلك السجون مثارا لشجونه ، بعد أن صاغ لبى جهور ولاسيما لأبي الحزم فلائد وحرائد ، كتب إليه من السجى أشعاراً ورسائل محتارة ، فاصت بها نفسه في التنصل والاعتذار والاستشفاع والاستعطاف ، ولكن المراجين له على مركزه في الدولة ، وعلى حب ولادة كانوا دائماً ينفرون ، فبقى في السجن مدة تدف على الجسامة يوم .

كتب لابن حمور تلك الرسالة البديعة التي طبعها أحد المستشرقين في سنة ١٨٨٩ . وهي التي شرحها العلامة صلاح الدين الصفدي .

ولقد رازته أمة في سجنه . فخطبتها دمعته ، فقال يحاطبها من قصيدته اللامية التي وجهها إلى ابن حمور مستعظماً :

« ألم بأن أن يبكي العمام على مثلي . . . الخ »

وما أظن وصفه لنفسه ولوشاته في إحدى قصائده الطنانة :

« كان الوشاة - وقد منيت بأفكهم - أسباط يعقوب وكنت الديا . »

هذه الأحوال مضافة إلى نفس كبيرة تعصب في مرأدها الأبدان ، شيع رأس ابن زيدون وجعلته مرما قبل

الأوان ، فقد رأى الشيب في رأسه وعارضه . فبكى على نفسه وقال من قصيدة أخرى يستعطف بها ابن جهور أيضا :

« لم تطو برد شبابي كبرة وأرى برق المشيب انتلى في عارض الشعر  
قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كتب وللشبية غصن غير مهتصر . »  
ومها يقول بما يرمي بأنه عارف قدر نفسه :

« أحيى رف على الآفاق من أدنى غرس له من حناه يالغ الثمر ؟  
وسيلة سببا إن لا تنكس سبا هو الوداد صعا من غير ما كدر . »

فدلنا بذلك على أن الشيب أم برأسه وبلحيته ، قل أن يصل إلى الثلاثين من عمره . وذلك مصداق لما ذكرناه من أنه بلغ مراتب الملا وهو في سن الفتوة وربما الصا ، وذكر الصفدى أنه كان يحصب بالسواد . ثم أنه تحيل في الهرب ونجح . فلما خرج من السحس اختفى بثرطب . وأقام فيها متوارياً ، ثم طعم قصيدة طويلة يخاطب فيها ولادة ويستنهض الأدب أما بكر بن مسلم للشعاعة ويستنزل أنا الحرم بن جهور ومها يعرفنا أن مدة حبسه بلغت خمس سنين . قال :

« سسون من الأيام حسن قطعتها أسيراً ، وإن لم يد شد ولاربط . »

والقصيدة طويلة حيلة جليلة ، ثم إنه مارال بأبو الوليد بن جهور يستشع به إلى أبيه أبي الحزم ، حتى شفع له وانتقل من نكبته وصيره في صنائعه ، ولما ولي الأمر عهد والده توه به وقدمه في الدين استطاع لدولته وجله كرامة لم تقعه ، رعموا . فلا عراية إذا بكى واستبكى حينما مات أبو الوليد بن جهور الذي أدافه من الحبس والعداب ألواناً . وقد وحد ابن سنام بحظ ابن حيان هذه المراتبة الدنيئة لابن ريدون في أبي الحرم :

« ألم تر أن الشمس قد صمها العبر . . . . . الخ »

ولكننا نعود إلى ولادة ونسأل هل سى أبو الوليد ولادة ؟ كلا . بل عاد إلى التودد إليها والتفرد معها ، وكان يذكروها في قرطبة ويراسلها بأشعاره الرائعة الفاتحة .  
ذهب مرة إلى الرهراء يتأمل في محاسنها فوصفها بقوله :

« إني دكرتك بالرهراء مشتاقاً . . . . . الخ »

ثم أرسله أبو الوليد بن جهور سفيراً إلى حصرة لإدريس الحسى بمالقة . فأطال الثواء هناك واقترب من إدريس وخف على نفسه ، وأحصره مجالس أسه ، فعت عليه ابن جهور وصرفه عن السفارة بينه وبين أسراء الأندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمداخلة . إلى هنا انقضت أيامه في قرطبة ، فلقد حتى أبو الوليد أن يلقى من الوليد مالا فاه من الوالد . وحينئذ صحت عزمته على الهجرة من قرطبة والذهاب إلى المعتضد بن عباد بأشبيلية . فلما بعص احصائه على ما اعترمه من التحول عن وطنه وهجر أهله وخلانه ، فكتب إليه رسالة صافية يعتذر فيها لنفسه ويقول من جللتها ماضه :

« وكنت أول حبسى قد وصعت من السجن في موضع قد جرت المادة بوضع مستورى الناس . . . الخ . »  
ولكن ابن زيدون كان قد داق من الدهر حلوه ومره فلم يرض لنفسه بالذهاب إلى لأشبيلية دون أن يكون على قمة من أمره . لذلك كتب رسائل بدئية إلى بعض المفترين من المعتضد ، ثم إلى المعتضد نفسه ، ليهد السبيل إلى الهجرة . حتى إذا تحقق أنه سينزل في لأشبيلية على الرحب والسمة أزعج الرحيل إليها ، وكان ذلك في سنة ١٤٦ هـ .

واتفق في وقت فراره من قرطبة إلى إشبيلية أن صاعده عيد الأنصبي ، رأى الناس مبتهجين بالعيد ، وهم يتزاوون ويتبادلون التهاني ، وهو شريد طريد ، ففاصت نفسه بوصف حاله :

« خليلي لا فطر يسر ولا أصحى . . . . . الخ »

فلما وصل إشبيلية . نزل على كنف المعتضد ، وأصبح من خواصه ومحابته يحالسه في خلواته ، ويرسله في مهم رسائله ، وولاه الوزارة وحفظ له لقمه « ذا الوزارتين » .

كان المعتضد جعل مجلسه محطاً من مجلساته وولى عهده المعتضد بن غياث فكتب المعتضد لابن زيدون :

« أيها المحط عني محلسا وله في الدرس أعلى مجلس

بغواذي لك حب يقتضى أن ترى تحذل فوق الأرواس » .

فأجابه ابن زيدون يشكره :

« أسيط الظل فوق الرجس أم سيم الروض تحت الحدس ؟ »

ولكن هل أساء ذلك ولادة ومحاسنها . أم قرطبة ومساكنها ؟ كلا فلم يزل صاحباً مشغولاً بهده وبثلك وأشعاره أكبر دليل على ذلك . فكما حانت له فرصة ، أو مرته نشوة ، قال فيها أقوالاً تذيب المؤاد . فلقد تشوق إلى قرطبة وساكبها بقصيدة تدل على حبه لها ولم يلبها ، فقال :

« على الثم الشهدي متى تحية . . . . . الخ »

وكان يبلغه عن بني جمهور ما يسوءه في نفسه وفرائده في قرطبة ، فقال يحاطبهم :

« بني جمهور أحرقتو بمحائلكم فؤادي ! فما مال المدائح تعقب

تصدومي كالصبر الورد لعماء تنوح لكم ألعاسه حين يحرق » .

وأما أمداحه في المعتضد بن عباد فشيء كثير حليل .

وقد كنت عنه إلى صهره الموفق أبي الحيش بن مجاهد العامري صاحب داية والجرائر المرفقة المروفة الآن بجرائر البليار :

« عرفت عرف العسا اذهب عاطره . . . . . الخ »

قلت فيما تقدم إن ملوك الطوائف كانوا منقسمين على أنفسهم ، وإن الحرب كانت دائرة بينهم فإليكُم مثالا واحداً مما يتعلق بابن زيدون ، وذلك أن الحرب وقعت بين المعتضد صاحب إشبيلية ، وبين ابن الأظف صاحب نطليوس ، فانهم ابن الأظف هزيمة فظيمة ، وحسر حسارة جسيمة ، فقال ابن زيدون يبيء المعتضد :

« لبين الهدى إنحاح سعيك في العدا . . . . . الخ »

هذا مع أن ابن زيدون سبق له مدح ابن الأظف بمدحة غراء في قصيدته التي يقول فيها

« لبين الظلي وللسود الهم . . . . . الخ »

ولا غرابة في ذلك ، فالملك عقيم ، وتصاريف السياسة تعقى بالتعبير من حال إلى حال . خصوصاً إذا انقسمت أمة من الأمم على نفسها وحاضنت في عمار الخطوب والعتن ، وفوق ذلك ، أليس القلب من مديح إلى هجاء ومن ملام إلى سلام ، هو سجية من سجايا النعماء الكرام وغير الكرام .

فلما مات المعتضد بن عباد وتولى الملك ابنه المعتضد بن عباد كان لابن زيدون عنده تلك الكرامة وهذه الحفاوة ، تدبها على ذلك شهادة التاريخ . ويؤيدها قوله ابن زيدون نفسه في رثاء المعتضد ومحاطبته روحه بعد دفته :

«أعباد ! يأرقى الملوك لقد عدا ، طليك زمان من سجيته القدر.» الخ

ومن المعلوم أن ابن زيدون هو الذى دبر دولة المتصد وأطهر صولته وأغراه بأعدائه ، وزين له الايقاع صمالة ووزرائه . صدأ شجواى صدورهم ، وبكدا فى سرورهم . فلما آل الأمر إلى المعتد ، قام حساده وحصونه وسعوا لديه فى الكايه به ، ثم رموا إليه برقمة فيها قصيدة طويلة أولها :

« يا أيها الملك العلى الأعظم انقطع وريدى كل باغ يندم !

واحسم سيمك داء كل منافق يدبى الجليل . وصد ذلك يكتما ! »

وهى قصيدة طويلة تتألف من ٢٧ بيتاً كلها اغواء بابن زيدون على سبيل التصريح المفهوم . ولكن المعتد كن أعقل من ابن حور . فلم يصح لتلك النجعة ، ولم تنفع لديه تلك السعايه فقال فى صدم ورد كيدىم ونحرم :

« كدنت مماكم : صرحوا أو جمحوا . . . . . الخ . »

لما بلغ ابن زيدون ما راحهم به ، وتحقق حس مدهه ، وعلم أن حيلتهم قد أخفقت ، وسعايتهم مانفتت ، وسهامهم تبرعت ، ومكائدهم تددت وتورعت ، قال يمدح المعتد ويعرس بأعاديهِ بقصيدة طويلة مطلعها :

« الدهر إن أملى فصيح أعجم . . . . . الخ . »

واستقر المعتد به فى ورائته ، فكان أحد ورائه الثلاثة الأكبر المشاة ورائتهم ( أى أحد الثلاثة الذين يلقب كل واحد منهم بدى الوراريتين ) والآحرا هما ذو الوراريتين ابن عمار ، وذو الوراريتين ابن خلدون ( جد صاحب التاريخ المشهور ) .

خرج الثلاثة فى أحد الأيام من أشبيل إلى مطرة ( قصر خلوى ) لى عباد بموصع يقال له القنت ( تقريبا لفظ اسانى ) وهو منزه تحب به مروح مشرفة الأنوار ، منسمة الأعناد والأعوار ، متبسمة عن ثبور البوار . . . . . فى زمان ربيع سقت الأرض السحب فيه بوسيمها وولياها ، وحملتها فى راها ملسها وباهر حليها ، وأرداف الرنى قد تآزرت بالارر الحصر من بياتها ، وأحياد الحداويل قد نظم الوار قلانده حول لباتها ، وبجاسر الزهر تمطر أردية السائم عند هباتها ، وهناك من البهار ، مايررى على مداها النصرار ، ومن انحرس الزيان ، مايرأ سواص الأحمان ، وقد نووا الانفراد للهو والطرب ، والتزده وروضى البسات والأدب ، وشوا صاحبا لهم يسمى «حليعة» هو قوام لدتهم ، وعظام مسرتهم ، ليأتيهم ببنيدهم ولهم بدهبه فى لحين راحه ، ويرمون به بما يتهى بتحريكه للهرة عن الدلوب وإراحه ، فجلسوا لانتظاره ، وترقب عوده على آثاره ، فلما بصروا به منبلا من أول الفج بادروا إلى لقائه وسارحوا نحوه . واتفق أن فارساً من الجند رك فرسه صدمه ، ووطئ عليه بهشم أعظمه ، وأخرى دمه ، وكسر قصال (١) البيذ الذى كان معه ، وفرق من شملهم ما كان الدهر جمعه ، ومضى على غلوائه راكماً حتى حى عن العين ، خائفاً من متعلق به يحين تنقله الحين ، وحين وصل الوراء إليه تأسعوا عليه وأفاصوا فى ذكر الزمان وعدوانه والخطب وألوانه ، ودحواله بطوام المصريات ، على تمام المصريات ، وتكديره الأوقات المنهمات ، بالآفات المؤلمات ، فقال ابن زيدون :

« أناهو والحتوف با مطيبة وأأس والمنون لما يحف »

فقال ابن خلدون :

« وى يوم وما أنراك يوم مضى قصا لنا ومضى خليفه »

(١) القصيدة التى يستعملها المغاربة والأندلسيون بمعنى جرة التبيذ ، وهو لما من الفجار .

فقال ابن عمار :

« هما غلارنا راج وروح تكسرتافاشفاف وجيفه »

ولابن زيدون مدائح في المعتد بن عباد كلها درر وغرر ، وآيات بينات ، وله معه مداعبات ومطارات ومساحلات ، فتارة يشوقه إلى لماعطى الجيا في قصوره البديعة ، وتارة يرسل له التفاح ويكتب عليه الأشعار ، يدعوهم إلى تناول العقار ، وتارة يهنيه ، وأخرى يمدحه ، وله بيتان قد بلما حدّ الابداع في هذا الباب . قال يحاطبه :

« هما امتدحت سواك قبل فاما مدحى إلى مدحى لك استستطاد

يفشى الميادين الفوارس حقبة كيتما يعلمها الزوال طراد »

فما أحسن هذا التنصل بالتمرن على المديح ، حتى إذا أجاد وبلغ المراد أهدى ثمرته إلى ابن عباد . هذه فطرة من بحر من بحر شعرك ذلك الفرد ، وأما نثره فشئى بعيد حصره ، ومما يحمله كثيرون أنه ألف كتابا في التاريخ وجعله ابن حزم من مفاخر الأدلس ، وقال إن أبا الوليد بن زيدون ألف كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالأدلس على منزع كتاب التبيين في خلفاء المشرق للمسعودى ، وقد نقل صاحب نفع الطيب سطرا أو سطرين عن هذا الكتاب الذى لم يبق له أثر ولا عين .

وما زال ابن زيدون يتشوق لقرطبة ولبن فيها ويعمل لدى المعتد بن عباد حتى جعل قرطبة تنتهي أمه . فعسى في مداحلة أهلها . ومواصلة دوى الكلم فيها لأنه رأى عدم العائلة والمكايده لاستمساك أهلها بدهوة الخلافة وأمتهم من رواها عنهم وانطباس رسومها في بلدكم ، فلما فاز بالرام وانظمت تلك العاصمة الصحة في ملكه ، ذهب إليها سرعا واهتم بتدبير شؤونها ، هنالك جاشت نفسه بالعمرى سائر ملوك الطوائف وال « من الملوك بشأؤ الأصيلد البطل . . . . . الخ . »

أما ابن زيدون ، فقد عاد قرير العين إلى وطنه وأهله ، وكانت له شبيه كبيرة في قرطبة ، قارن مع جده ، وراد إقبال الدنيا عليه وبلدت خطوته عند المعتد درجة لا يطعم فيها .

فحينئذ سعى في هلاكه صاحاه ، ابن مرتين وابن عمار ، وتلطفا لإساده وإعاده ابنه من بعده ليحلوا لهما الجو ، وليسرعا بالاستئثار بابن عاد ، ولقد ساعدتهما الطروف .

« قد وقعت فتنة في إشبيلية واضطر ابن عباد للتعجيل بإرسال جيش كثيف إليها تحت قيادة ابنه سراج الدولة بن عاد ، فسول ابن مرتين وابن عمار لابن عاد أن يرسل ابن زيدون مع سراج الدولة وتلطفا في تفهم السلطان أن دهاب ذى الوراثة فيه حق للدهاء ، وحفظ للظام ، لما له من المكانة العالية والجاه الريع ، ولأنه محبوب لدى جميع القلوب ، ثم وسوسا له بأن المصلحة كل المصلحة هي في وجود ابن زيدون الوزير الناقل المدبّر المحكّ المحبوب بحان سراج الدولة الذى هو قرّة عين الملك ، ومطبخ الأنظار لبقاء البيت المبادى ، وما زال الرجلان ينسجان على هذا المنوال حتى أطلعا خصوصا لنياب ابن زيدون في مرض أزمه البيت .

صدر إليه الأمر بالدهاب ولم يعذره السلطان في التوقف لما به من الآلام ، فخرج منها مع الحاحب سراج الدولة بن عاد والجيش متوجهين إلى إشبيلية ، وكان ذلك يوم ١٣ ذى الحجة سنة ٤٦٢ ، وخلف في قرطبة ابنه الوزير الكاتب أبا بكر بن زيدون ، ولكن صاحبتها ( ابن مرتين وابن عمار ) مازالا يملآن لدى ابن عاد حتى صدر الأمر إلى أبي بكر بن زيدون أيضا بأن يلحق بابيه في إشبيلية .

حينئذ خلا لهما الجو فاستأثرا بالأموور كلها وانفردا بتدبير الدولة بلا مشارك لهما في الشؤون ولا معارض

لها في اغراضهما ، وكان زوال دولة ابن عباد كال مقداراً على يد هــدين الرحابن فان سرهين ، يكفى في التعريف بمراميه أنه ابن سرهين أى أنه من أصل غير عربى ، فان حده رجل إسباني ، وأما ابن عمار فقد أنكر فصل ابن عباد ، وشق عصا طاعته ، وسمى في السواد والحراب ، وحرق اليهود ، وخان وأتلف ابن عباد سقى أوهى دولته ، على ماهو معروف مشهور .

أما ابن ريدون وهو في إشبيلية ، فلم يطل الأمد به بعد خاق إبيه به ، فكأنه جاء ليكفنه ويدفنه بها في صدر رحب سنة ٤٦٣ ، حيث تدولى منه كهل ان يخلف الدهر مثله حالاً وبيناً وروعة وظرفاً .  
وهو عند أولى التحقيق في الطم أمد طلقاً ، وأحث عقاً ، فلا يلحقه قصير ، ولا يخشى وهناً ، ولما وحل خبره إلى قرطبة ، وله فيها شجرة كبيرة وأشياء كنار ، نارعه وحرثوا عليه لأنه كان منهم ، هاوياً إليهم ، حدناً عليهم ، وليحة حير بينهم وبين سلطانهم الحديث الولاية .

فأراد السلطان أن يترصام فأرسل لابنه ( أى أبى بكر ابن ريدون ) وقره إليه ، ووقاه في صرّات والده حتى أحطاه بالوزارة وقد اعتم هذا فرصة ماوقع من دى الوراثة ابن عمار من الحروج على ان عاد فأوغر صدر ابن عباد عليه ، ومارال يمل لديه حتى كان سداً في هلاك ابن عمار على ماهو معروف مشهور .

## انتهى الكتاب



تم طبعه « بشركة مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده » في يوم الخميس ٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥١ ( ٤ اغسطس سنة ١٩٣٢ ) م

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي



## فهرس

القوائى من ديوان ابن زيدون<sup>(١)</sup>

صفحة

٢٥٣ لأنت الذى نفسى عليه تذوب

٢٥٩ يا قر الديوان ، وللوكب

٢٦٤ يا راحتى وعذابى

٢٦٩ قد ضاق بى - فى حبك - المذهب

٢٦٩ سوى أننى محض الهوى صادق الحب

٢٧٣ أم لشاكيك طيب

٢٧٥ وما فى الحق غصى واجتنابى

٢٧٦ يا ليت غائب ذاك المهدي قد آبا

( ٢٨٦ ) ( يختطف الناس عن قريب )

( ٢٨٧ ) ( وما آتجتما ولا أقرقا لإهاب )

( ٢٨٩ ) ( عن العيان فكنتوني أبا العجب )

( ٣٢٥ ) ( فقلت لهم إن الشكول أقارب )

( ٣٧٠ ) ( نادى لفقد جيب النفس واحربا )

( ٣٧١ ) ( وقد صادني طرف كيل وحاجب )

( ٣٧١ ) ( وبجر له فى المكرمات عباب )

( ٣٧٢ ) ( وللقلب فى حين النداء - وجيب )

( ٣٧٨ ) ( ومن يلتذ غفران الذنوب )

( ٣٧٩ ) ( فأمضى عزى أم أعوج مع الركب )

( ٣٨٥ ) ( ورد ثلقك العتي حجابا من العتب )

## حرف الألف

صفحة

٧٥ فاقن شكرا وعزاء

٧٧ ونلت عافية الشفاء

( ٧٧ ) ( فيه حكى أو قضائى )

٢٢٩ وهل يملك البع المشوق للصبأ

٢٦٠ حين يجلو بلطفه السخنا

( ٢٨٥ ) ( يعدل فى الأرض وفى السماء )

( ٣٨٧ ) ( ونفسى منه السنا والسناء )

## حرف الباء

١٩ يا دمع صب ما شئت أن تصوبا

٣٤ تحملها منه السلام إلى القرب

٤٠ فيقصر - عن لوم المحب - عتاب

( ٤٠ ) ( خبير بأدواء النفوس طيب )

٦٠ زمنا ، فكان السجن منه ثوابى

٦٩ فصلى بفرعك ليلك الفريبا

٩١ يامن تزينت الرئاسة حين ألبس ثوبها

( ٩٦ ) ( زأرى وأبذر كلب شذبيه )

( ١٧١ ) ( فعذب ساكنيه وعذبوه )

( ٢٣٠ ) ( وليل أقاسيه بطىء للكواكب )

(١) كل ما وضعناه بين قوسين هو لغير ابن زيدون

| صفحة                                 | صفحة                                  |
|--------------------------------------|---------------------------------------|
| ١٥٨                                  | (ارماح قومي بالعادة لواعبا) (٣٩٣)     |
| ٢٦١                                  | (كفاه بنخلت السحاب) (٣٩٥)             |
| (٣٧٣)                                | (يرتاح فيها باصطياد أرناب) (٣٩٦)      |
| (٣٧٣)                                | (رجاك على بعد فأصبح ذا قرب) (٣٩٦)     |
| (٣٧٨)                                | (وما أحصى صوابه) (٣٩٩)                |
| (٣٨٤)                                | (ذهبوا من الاغراب أبعد مذهب) (٤٠٠)    |
| (٣٩٣)                                | حرف التاء                             |
| حرف الدال                            | وقد خفقت في ساحة الفصر رايات ٦١ و ٣٩١ |
| (٣٩٢ و ٦٠)                           | وأعزل عن رضاك وقد وليت ٢٦٦            |
| (٦٨)                                 | (جداول ماء أرسلت فاسبطرت) (٢٠٩)       |
| و لم تحمل محلك من فؤادي ٧٤           | (ليس من الوحش ولا النسات) (٢٨٧)       |
| فله منا أحمل الشكر والحمد ٧٨         | (عن فؤادي دجنة السكربات) (٣٩٢)        |
| (قلت : امران هين وشديد) (٨٦)         | (ولمعي من منايهن غايات) (٣٩٩)         |
| وفدت حير وفاده ١٦٥                   | حرف الثاء                             |
| مهاة حمتها - في مراتعها - أسد ١٧٧    | وأوفى له بالهد إذ هو ناكث ٢٧٧         |
| لو ساعف الكاف المشوق مراد ١٩٧        | حرف الجيم                             |
| (وأنت أمرؤ عافى انائك واحد) (٢٠٤)    | (قلبي لها أحد البروج) (٣٨٩)           |
| (ضربت على الأرض بالإسداد) (٢٠٦)      | (يا بدر الدياحي) (٣٩٢)                |
| (جهلا بنا وولدت عبدا) (٢١٠)          | حرف الحاء                             |
| (يفحصن بالمعزاء شدا) (٢١٠)           | فما حال من أمسى مشوقا كما أنحى ٥٤     |
| (وإن راح صنع الله نحوك وأغتدى) (٢١٦) | تصبي ، ولأعطاف نشاوى صواح ٨٩          |
| (ماطل فيه سماكي ولا حادا) (٢١٩)      | (وأخذني الحمد بالثمن الربيع) ١ (٩٦)   |
| كأشرب العذب في نفسي. الصدى ٢٢٣       |                                       |



| صفحة                                   | صفحة                                    |
|--|---|
| (وقصرت أعمار العداة على قسر) (٣٧٦)     | ٢٤٤ ما أبرزته غرائز الفسك               |
| (وقد زهرت فيه الأزاهر كالزهر) (٣٧٦)    | ٢٤٨ وقر لك من دون البخور معطر           |
| (ماذا يفيد عليك البعث والحذر) (٣٧٧)    | ٢٥٤ واجتل التأيد في أبهى الصور          |
| (والنعم قد صرف العنان على السرى) (٣٨٠) | ٢٥٩ إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير     |
| (ومن منال قصى السؤل والوطر) (٣٨٧)      | ٢٦٧ قلبي عليك يقامى الهم والفكرا        |
| باصاره الغرة الزاهر (٣٨٩)              | ٢٦٨ واختيارى إن أخير                    |
| (ووجهك أملح في ماطرى) (٣٨٩)            | ٢٧٢ لا كتمن بسماع الخمر                 |
| (والوجد قد جل فاستر) (٣٩٠)             | ٢٧٢ وارضى تسليمك المختصر                |
| (وآقرن الليل بالنهار) (٣٩٢)            | ٢٨١ مدى الدنيا مظفر                     |
| (وقنعت وجهك بالمغفر) (٣٩٣)             | (وعشرته مشكورة وعشائره) (٢٩٨)           |
| (كنى به فدعاني فصله الظافر) (٣٩٤)      | (حرف لفصل اللفظ مقدور) (٣٠١)            |
| (يسرى إلى عرته السارى) (٣٩٦)           | (ويبقى من المال الأحاديث والذكر) (٣١٧)  |
| (ولم ألف في بحر نعام زحرا) (٣٩٦)       | (غرس أشجارها مستجزل الثمر) (٣٧١)        |
| حرف السين                              | (فيها السرى إلا رأى مقمر) (٣٧١)         |
| يخرج الدهر ويأسو ١                     | (ووصل كظل الروض تعطيكه نزرا) (٣٧١)      |
| (للشيب عذرا في النول براسى) (٩٣)       | (يناقضه سنا البدر) (٣٧١)                |
| وقد آن أن تترع الأكثوس ٩٨              | (إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير) (٣٧٣) |
| أطول عمر يهيج الأنفسا ١٠٦              | (ويقصر أن لاقيتها أطول الدهر) (٣٧٣)     |
| ويظلم لى النهار وأنت شمسى ١١١          | (من أفق من أنا في قلبى أشاطره) (٣٧٤)    |
| (ها أثر منهم جنى ودارس) (١٩٣)          | (وتصبر عنه ولا يصبر) (٣٧٤)              |
| (أم نسيم الروض تحت الحندس) (٢٤٧)       | (تومئلة تنفث بالسحر) (٣٧٥)              |
| (وارع إذا المره أنسا) (٢٩٧)            | (وإن فؤادى - والإله - صبور) (٣٧٥)       |
|  | (ويأمرنى ، إنه أليبيب أمير) (٣٧٥)       |

صفحة  
 بنعيك أن الدين من بعض ما نعى ١٨٤  
 (تفرع لمتى شيب فظيع) (٢٠٩)  
 (وهز المشرفة والوقوع) (٢١٠)  
 ومثير كأمته الدموع ٢٦٣  
 محضا ولا م به الواشى فلم أطمع ٢٦٥  
 وسبيل الهوى وقصد الولوع ٢٧٠  
 أناديك لما عيل صبرى فاسمعى (٢٧١)  
 سر إذا ذاعت الأمرار لم يذع ٢٧٩  
 (ويا واحدا فاق الخلائق أجمعا) (٣٧٨)  
 (نفيس لا تمار ولا تباع) (٣٢٨)  
 (يعنوله ملك الزمان ويخضع) (٣٧٣)  
 (بأن ليس فى حى لغيرك مطعم) (٣٨٦)  
 (ألا غفر الرحمن ذنبا تواقه) (٣٨٨)  
 (وشادنا فى مهجتي يرتع) (٣٩٣)  
 (وتنهى القلب الصديق) (٣٩٧)  
 (كلما أعطى تعباً نزعا) (٤٠٠)

### حرف الفاء

لنا، هل لذات الوقف بالجرع - موقف ٢٣  
 (تخوفنى الأعداء والنفس أخوف) (٢٠٤)  
 أنا مستودع لعلقى شريف ٢٦٨  
 ذكرك منى بالأفاس موصول ٥٢٧٨  
 يا من تناهيت - فى الظلمة - فجفا ٢٧٩

صفحة  
 (بأنس السماع وحسو الكؤوس) (٢٩٨)  
 (نقى للعدم عن الناس) (٣٩٢)  
 حرف الشين  
 هل منك لى غلة إن صحت «واعطشى» ٢٨٠  
 حرف الصاد  
 (فى غير ذاك من الأمور أخص) (٦٨)  
 حرف الضاد  
 نشب وافر ، وحاه عريض ٨٢  
 ونهته اذهدا فأغتمض ٢٣٧  
 (كراكب فى السماء تبيض) (٣٧٤)  
 (وهب لنا التغميضا) (٣٩٤)

### حرف الطاء

وشط - بمن نهوى - المزار وماشطوا ١٣  
 حرف العين

(يوما وصلنى ساعه) (٢٢)  
 وخذ - فيما ترى - أودع (٦٦)  
 ذهب القواد فليس فيه براجع ٧٩  
 (نفيس لا تمار ولا تباع) (٩٧)  
 عارض كرب بلفظه رفعه ١١٨  
 (ببقى الدواء مطامحه) (١١٨)  
 أم فى اللثات التى قدّمت منتفع ١٣٠  
 (من الدهر حتى قيل لئن يتصدعا) (١٤٥)

| صفحة                                  | صفحة                                  |
|---------------------------------------|---------------------------------------|
| (٣٨٨) (ومشرقة من خلال الحلك)          | (٢٩٣) (وصول ليس بالجاني)              |
| (٣٨٩) (وتأنس بذكرها في انفرادك)       | (٣٧٠) (فلست على العلات منها أخاصك)    |
| (٣٩٢) (فتغيب مسرعة لذلك)              | (٣٩٣) (فإن الهوى مابه منصف)           |
| (٣٩٢) (سكران من خمر اشتياقك)          | حرف القاف                             |
| (٣٩٣) (فبدا لطفى أنه فلك)             | (٤٩) (بلى الصديق والعدو صدقه)         |
| (٣٩٤) (مقالة لم تشب يافك)             | جناني ، ولكن المدائح تعبق ٦٠          |
| (٣٩٤) (ونخلها أعهدكا)                 | (وما المرء إلا عهده ومواقفه) (٢٠٠)    |
| (ولحت من طرق الملاح شباكى) (٤٠٥)      | والآفاق طامق ومرأى الأرض قدرا ٢٥٧     |
| (ردت الروح علي المصني معك) (٤٠٨)      | (فنظل نصبح بالسرور ونعبق) (٣٧٤)       |
| حرف الالام                            | ( كأنه الصبح تحته تنفق) (٣٧٥)         |
| (رحال عن الباب الذى أنا داخله) (٣٢)   | حرف الكاف                             |
| فديتك واعتزرت على ذليل ٥٧             | فيميل - فى سكر الصبا - عطفاك ٩        |
| أم عهدنا الدر يجتات الحلل ٦٢          | ذائع من سره ما أستودعك ١٢             |
| (سهم العدا غنى فـكتـم نضالها) (٦٨)    | بكل السننا جلااك ١١١                  |
| وموردهم حيث الدماء مناهل ٩٩           | واطلب ففسدك يضمن الإدراك ١٣٦          |
| (نهال وأساب المنايا نهالها) (٩٩)      | دعهم فشانهم غير شانك ١٤٧              |
| تخالط لون الحب الوجل ١٠٥              | (كلهاها ذو أنف ومحك) (٢١٧)            |
| (لَو أَبصره الواشى لقرت بلايله) (١٠٨) | أم كيف أخاف وعدك ٢٦٦                  |
| ويطلب تأرى البرق منصلت النصل ١١٢      | لا تظهري بخلا بمود أراك ٢٧٠           |
| (فلا تمتصر ماء الصنعية بالمطل) (١١٥)  | الا بوصل قفرك ٢٧٢                     |
| وحلى - فى رجائك - الكايل ١٢٠          | (لا تركنى - هـكـذا - هـالـبـكا) (٣٧٥) |
| لا تخش منى فسيانا ولا بدلا ١٣٩        |                                       |

| صفحة    |                                 | صفحة    |                                      |
|---------|---------------------------------|---------|--------------------------------------|
| ( ٣٧٤ ) | ( كل نيل أناله لى قليل )        | ١٤٩     | وحز للمنى وتنجز الآمالا              |
| ( ٣٨٨ ) | ( هيات جاءتك مهديـة الدول )     | ١٥٣     | ولدولة العليا كيف تدال               |
| ( ٣٨٩ ) | ( سفها وهل يثنى الحليم الجاهل ) | ١٦٥     | فى المنظر الحسن الجميل               |
| ( ٣٩٠ ) | ( إلى محب هائم مثله )           | ( ١٦٦ ) | ( والمرء يعجز لا الحويل )            |
| ( ٣٩٠ ) | ( فشوقى صحيح وجسمى عليل )       | ١٦٧     | كم لها من ألم يدنى الأمل             |
| ( ٣٩٣ ) | ( وبالسيف والرمح أمضى قتال )    | ١٦٩     | قد لفتح التشوق عن حيال               |
| ( ٣٩٤ ) | ( منى طلى خلتك الجميل )         | ١٩٥     | وحال تجنيك دون الحيل                 |
| ( ٣٩٦ ) | ( قنصت فيها أرابنا وحجل )       | ٢٢٤     | ومطلعها من جيوب الحلل                |
|         | حرف الميم                       | ( ٢٤٢ ) | ( يا دهر أف لك من خليل )             |
| ٣٥      | ريح معطرة النسيم                | ٢٦٩     | لقد فقت - فى الحسن - بدر الكمال      |
| ٥٠      | وللى فى هبوب ذاك النسيم         | ٢٦٣     | ويشفى وصالك قلبى العليل              |
| ٧٦      | وعلى أنت بها عالم               | ٢٤٨     | وسوغت دأبا نساء الأجل                |
| ١٢٢     | بعقلي - مذنب عنى - أم           | ٢٧٥     | يا حائر الحكم أفديه بمن عدلا         |
| ١٨٨     | يعطى اعتبارى ماحملت فأعلم       | ٢٧٥     | لا ولا ذاك التجنى مللا               |
| ١٩٢     | إذ العيش غضى والزمان غلام       | ٢٦٩     | يملا عيني من تأمل                    |
| ٢٤١     | عن القصد إن أعيالك منه مرام     | ٢٨٠     | يميل - مع الزمان - كما يميل          |
| ٢٤٣     | علينا أذمة لا تنم               | ( ٢٩٢ ) | ( واسكن على أثر المسير قفوها )       |
| ٢٧١     | يا من يصح بقلتيه ويسقم          | ( ٢٩٢ ) | ( وليس عليه فى المنكاح سبيل ؟ )      |
| ٢٧٦     | زكت ، وطلى وادى العقيق سلام     | ( ٣٧٠ ) | ( وللى لما يهوى الندامى لفعال )      |
| ٢٧٩     | قام بك العذر فلا لأثم           | ( ٣٧٠ ) | ( فأنذا الذى لست بسال )              |
| ( ٢٩٢ ) | ( كما باهت بصحبته الكرام )      | ( ٣٧٢ ) | ( إلى أن مدت للمصبح فى الليل أعمال ) |
| ٣٠٣     | ومرويا لسكل لهم                 |         |                                      |

| صفحة                                | صفحة                                    |
|-------------------------------------|---|
| (٢٢١) (بدور الزمان واسد العرين)     | (٣١٧) (من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً) |
| ٢٦٥ ودعوت من حق عليك فأمننا         | (٣٢٩) (أخت بنى الأكرمين من جشم)         |
| ٢٦٧ واستحدث القلب شوقاً بعد سلوان   | (٣٣٢) (إلا لتوهن قوة العظم)             |
| ٢٧٠ سأحفظ فيك ما ضيعت منى           | (٣٧٠) (إلا الظالوم المظلم)              |
| ٢٧١ حسب المقيم أنه قد أحسننا        | (٣٧٠) (وأوقد في الأعداء شر ضرام)        |
| ٢٧٣ وحططتى ولطالما أعلمتى           | (٣٧١) (وقد خلقت لها في مجلس الكرم)      |
| ٢٧٣ وعن تمدادى الأسى والشوق سلوانا  | (٣٧٤) (فان فؤادى بالمعالي لهاثم)        |
| ٢٧٦ لو كان ساحى فى وصله الرمن       | (٣٧٨) (طعمين منه أرى يا وسما)           |
| ٢٧٨ وقصينا الذى علينا وزدنا         | (٣٧٩) (وى والا مانواح الحائم)           |
| ٢٧٨ من الحسن فنون                   | (٣٨٦) (يجب فيه الصلاة والصوم)           |
| (٣٧٥) (يسلو - وإن سئل السلو - ضنين) | (٣٨٦) (أمكن ورد فلا يطل حوم)            |
| (٣٧٦) (فقد فقت الممالك فى معان)     | (٣٩١) (وحان أن يتسلى لى بكم حلم)        |
| (٣٨٨) (أو روضة مسكية الريحان)       | (٣٩٥) (ومتبع الانعام اتاماً)            |
| (٣٩١) (إذ لا كتاب يوافينى فيحيينى)  | (٣٩٦) (وستر الله مد على الأنام)         |
| (٣٩٣) (من فارس سهم الجنان)          | حرف النون                               |
| (٣٩٥) (من المجد فاحتل غير القرن)    | وناب - عن طيب لفيانا - تحافينا ٤        |
| (٤٠١) (أو يرجع القول معناه فيعنينا) | ٣٩ ونفى الشك اليقين                     |
| (٤٠٢) (تشجى لواديك أونشجى لوادينا)  | ٦٨ بعث ودى بلا ثمن                      |
| حرف الهاء                           | ١٧٠ فى حلى الظرف الحسان                 |
| ٢٥٨ انستك ديناك عبدا أنت دنياه      | ١٠٨ موثقافى يد الحن                     |
| ٢٦٦ ومستغشاً لنا صحبه               | (١٠٨) (أبحرنا بذكرك أم كنيننا)          |
| (٢٨٨) (فاق ذكاء فخاله من شبهه)      | (١٠٩) (إذ لا كتاب يوافينى فيحيينى)      |



| صفحة .  | حرف الياء                    | ٥٩        | فلتنسناها هذه التالية          |
|---------|------------------------------|-----------|--------------------------------|
| ( ٣٣٢ ) | ( أن الرؤوس محل النهي )      |           |                                |
| ( ٢٧٨ ) | ( فالأرض تشرق منه )          |           |                                |
| ( ٣٧٩ ) | ( ونعيمه فاستعذبوه أواره )   |           |                                |
| ( ٣٨٧ ) | ( وعاشق من لا يباليه )       | ( ٢٠٥ )   | ( فروق ، فرامح ، فحقه )        |
| ( ٣٨٧ ) | ( وصرفته لما انصرف عـ عليه ) | ( ٢٧٥ )   | ( وإن كنت قد جردت عزمي ماضيا ) |
| ( ٣٩٣ ) | ( وبكت مقلتاى شوقا إليه )    | ( ٣٨٥ )   | ( وقد عطشنا ونم ري )           |
|         | حرف الواو                    | ( ٣٨٦ )   | ( له الندى الرحب والندى )      |
| ( ٢١٧ ) | ( فوز من قراقر إلى سوى )     | ( ٣٩٥ ) . | ( على العبيد الوفي )           |



# مِخْنَارُ الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ

تضمن هذا الديوان عيون الشعر الجاهلي

لستة من خول الشعراء

وهم

- |                               |                   |
|-------------------------------|-------------------|
| (١) أمروء القيس               | (٤) طرفة بن العبد |
| (٢) النابغة الذبياني          | (٥) عنترة بن شداد |
| (٣) زهير بن أبي سلمى المُرَني | (٦) علقمة الفحل   |

صحح روايته، وشرح غريبه، وضبطه

مصطفى سقا

مدرس اللغة العربية وآدابها بمدرسة الخديو إسماعيل الثانوية بالقاهرة  
مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد وحرف جميل مضبوط بالشكل ومصحح  
بغاية الاعتناء ومجلد بالقماش المذهب .  
يطلب من مكتبة :

مصطفى البابی الحلبي وأولاده بمصر

ص . ب . ب . الفورية رقم ٧١

التي تقدم الفهرس الحاوى للسكتب الأدبية وخلافها لمن يطلبه مجاناً









